المملكة العربية السعودية
الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة
كلية الدعوة وأصول الدين
الدراسات العليا - شعبة العقيدة

تمام الطالب بتصحيح ما طلب
صنع في الجملة والله ولي التوفيق
عضو لجنة المناقشة
د. صالح بن عبد الله العبود

مضو لجنة المناقشة
د. علي بن عبد الرحمن الدميني

المشرف

مظاهر الانحرافات العقدية عند الصوفية وأثرها السيئ على الأمة الإسلامية

رسالة مقدمة لنيل درجة العالمية: الماجستير

إعداد الطالب: إدريس محمود إدريس

إشراف فضيلة الدكتور صالح بن عبد الله العبود

١٤١٢/١١هـ - ١٩٩١/٩٠م

بسم الله الرحمن الرحيم

((بسم الله الرحمن الرحيم))

المقدمة

ان الحمد لله نحمده و نستعينه و نستغفره و نعوذ بالله من شرور أنفسنا و من سيئات أعمالنا من يهد الله فلا مضل له و من يضلل فلا هادى له

و أشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له و أشهد أن محمدا عبده و رسوله

((يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته و لا تموتن الا و أنتم مسلمون))(١)

((يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة و خلق منها زوجها و بث منهما رجالا كثيرا و نساءا و اتقوا الله الذى تساءلون به و الأرحام ان الله كان عليكم رقيبا))(٢)

((يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله و قولوا قولا سديدا يصلح لكم أعمالكم و يغفر لكم ذنوبكم و من يطع الله و رسوله فقد فاز فوزا عظيما))(٣)

أما بعد فان الله سبحانه و تعالى بعث نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم على حين فترة من الرسل اندرست فيها معالم التوحيد و اختفت آثاره الا في قلة من الحنفاء و استشرى الشرك و عم بلاؤه نطاق المجتمعات البشرية عربية كانت أو أعجمية حيث اتخذ الناس من دون الله آلهة من طواغيت البشر و الشجر و الحجر يستغيثون بها عند الشدائد و يستعينون بها في تذليل الأزمات و تسهيل العقبات و يخضعون لتشريعات الطواغيت من البشر فيحلون ما أحلوه لهم و يحرمون ما حرموه عليهم

---

(١) ـ آل عمران ١٠٢

(٢) ـ النساء ١

(٣) ـ الأحزاب ٧٠ ـ ٧١

و قد أراد الله للمجتمع العربي أن يتولى قيادة البشرية و يتولى ريادتها و هدايتها الى التوحيد الخالص فاختار منهم رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم ليكون للعالمين بشيرا و نذيرا فصدع فيهم بدعوة الله المباركة و دعاهم الى افراد الله بالعبادة و نبذ ما كانوا فيه من الشرك و الوثنية و بهذه الدعوة المباركة تبدل الوضع في الجزيرة العربية و نشأ فيها جيل يستقي من كتاب الله و سنة رسوله محمد صلى الله عليه وسلم و يكيف حياته وفق الشريعة الاسلامية و يعمل ليل نهار لتخليص البشرية كافة من العبودية لغير الله الى العبودية لله سبحانه و تعالى

و ظلت هذه الصفوة المختارة تسير على ضوء الكتاب و السنة يشد بعضها بعضا كالجسد الواحد و قد شهد لهم بهذه الأخوة الصادقة الله سبحانه و تعالى في كتابه فقال : ((محمد رسول الله و الذين آمنوا معه أشداء على الكفار رحماء بينهم)) الآية (١)

و قد فارقهم رسول الله صلى الله عليه وسلم و هو عنهم راض بعد أن بلغهم الرسالة و أشهدهم على ذلك و رباهم أحسن تربية ليكونوا شهداء على الناس و يكون الرسول عليهم شهيدا

و هكذا كانت الأمة الاسلامية في عهد أبي بكر و عمر و عثمان في عافية من البدع و العقائد الفاسدة موحدة فيما بينها متماسكة مترابطة حتى ظهر عبد الله بن سبأ الخبيث في أواخر عهد عثمان رضي الله عنه الذى كان السبب الرئيسي في تفريق الأمة الاسلامية

---

(١) — الفتح ٢٩

و نشـر العقـائد الفاسدة

و منذ ذلك الوقت ظل السيف يعمل في رقاب المسلمين و ظلت أفكار اليهـود تجد مرتعا خصبا لدى العقـول المريضـة فظهـرت عقائـد غريبـة على الاسلام كعقائد الشيعـة و الخـوارج و هكذا توالـت البـدع حتى ظهـرت العقائـد الباطلة بشتى أنواعها كالمعتزلـة و الجهمية و الأشاعرة و الصوفية و غيرهـا مـن الفـرق الضـالة المنتشـرة في عالمنـا الاسـلامي على امتداده الواسع و الـذى يهمنـا في هـذه الرسالة هي الصوفية .

و الصوفية ظهرت أول ما ظهرت على هيئة الزهد المبالـغ فيه و التقشف الـذى ليس له أساس في الاسـلام حيث أن الزهد الذى مارسوه اذا نظرنا فيه نجـده زهدا فلسفيا وثنيا بحتا و ليس من الاسلام في شيء

و يا ليتهم وقفوا عند هذا الحد بل واصلوا طريقهم حتى تأثروا بعقائـد الفلاسفة اليونانييـن و البوذييـن و الهنود و النصرانية المحرفة فاعتنقوا عقائـد الحادية ووثنيـة

و هكذا واصلوا الطريق حتى نشروا الشرك و الوثنية في العالم الاسلامي بأسره الا ما شاء الله كالمملكة العربية السعودية التي طهرها الله من هذه الشركيـات بدعوة الامام محمد بن عبد الوهاب السلفية حيث انك تجد في كل العالم الاسلامي قبور تعبد من دون الله سبحانه و تعالى يتوجه اليها الناس بالدعاء و الاستغاثـة و الذبح و النذر و هذه الوثنية كان وراءها الصوفية و لا زالوا الى الآن يواصلـون نشرها و ينفقون الأموال الطائلة لها و خير شاهد على ذلك المركز العالمي للصوفية و الذى مقره في لندن حيث ان هذا المركز يقود الصوفية في العالم أجمع و يصـدر

كتب و مجلات كلها مليئة بالدعوة الى الشرك و الالحاد و انظر اذا أردت الدليل على ذلك مجلتهم التي يصدرونها بعنوان ((الصوفية المتجددة)) فانك ستجد فيها نفس العقائد الالحادية التي قررها محيي الدين بن عربي و أمثاله من زعماء الصوفية و هذا يؤكد لنا وحدة معتقدات الصوفية مهما تباعدت أمكنتهم و أزمنتهم و هو في نفس الوقت رد كاف على الذين يقولون بأن محيي الدين بن عربي و أمثاله من أهل وحدة الوجود لا يمثلون كل الصوفية حيث ان كل من يقرأ في كتب الصوفية التي ألفوها بأيديهم يجد ثناءهم على ابن عربي و أمثاله من أهل وحدة الوجود حيث يصفونه بأنه الشيخ الأكبر و الكبريت الأحمر ،

سبب اختياري للكتابة عن الصوفية :
==========

إنني اخترت الكتابة عن مظاهر الانحرافات العقدية عند الصوفية و أثرها السيء على الأمة الاسلامية :

أولا : لخطورة الصوفية على الأمة الاسلامية حيث إن الصوفية اعتنقوا عقائد باطلة دخيلة على الاسلام ثم قاموا بنشرها بين الأمة الاسلامية و ليس هناك أي باب من أبواب العقيدة الاسلامية الا و قد انحرفوا فيه سواء كان فيما يتعلق بالالهيات أو النبوات أو في باب الولاية و كذلك انحرفوا في باب القضاء و القدر و التوكل و الزهد و الجهاد و الجنة و النار و الخوف و الرجاء و هذا سيتضح من خلال قراءة هذه الرسالة إن شاء الله

و من الأسباب التي دفعتني للكتابة في هذا الموضوع هو أنني أردت أن أبين خطورة الصوفية على الأمة الاسلامية و أنها من أشد الفرق الضالة التي كانت السبب الرئيسي في انحراف كثير من أفراد الأمة الاسلامية عن المعتقد الصحيح

والمنهج السليـــم

ومن الأسباب التي دفعتني للكتابة عن الصوفية الايضاح والتبيين لعـــوام المسلمين الذين يسيرون خلف دجاجلة الصوفية مع جهلهم لحقائقها

ولأجل هذا أحببت أن أشارك في الدفاع عن العقيدة الاسلامية بتقديـــم جهد المقل حسب استطاعتي لعل الله سبحانه وتعالى أن يكتبه لي في ميـــزان حسناتي يوم القيامة وان كانت بضاعتي من العلم أقل من القليل ٠

منهـج البحث:
==========

١ــ لقد جمعت مادة هذا البحث فيما يتعلق بالصوفية من كتبهم التي الفالروفي بعـض الأحيان أنقل عنهم بواسطة الكتب التي ألفت في التصوف وذلك الزام لهم بـــأن هذا المعتقد المنسوب اليهم هو معتقدهم الحقيقي

٢ــ اذا أردت أن أبحث أي إنحراف عقدي عند الصوفية أعقد له مبحثا أو مطلبا خاصا به وأذكر فيه مجموعة من النصوص من بطون كتب الصوفية أنفسهم مع شرح بعـــض النصوص الغامضة وتوضيح وجه الاستدلال بها للموضوع المذكور فيه النصان كانت تحتاج الى شرح وايضاح والا أورد النص وأتركه لوضوحه

ثم أتبعه بالرد عليهم بالكتاب والسنة وأقوال علماء الأمة الاسلامية عبر التاريخ بعقد مبحث أومطلب آخر غالبا وقد لا أعقد مبحثا أومطلبا آخر ان كان الرد عليهم لا يقتضي التطويل

٣ــ حاولت بقدر المستطاع أن لا أخرج في المناقشة عن الأسلوب العلمي والمجادلة بالتي هي أحسن مع البعد عن تحكم العاطفة وسيطرتها وبذلت جهدي بقـــدر الامكان لوضع الأمور في مواضعها دون تجن عليهم أو تعصب للرأي المجرد عـــن الدليل قاصدا بذلك ابراز الحق والصواب وتبيين الباطل ودحضه محكما في كـــل

الكتاب و السنة مع فهمهما الفهم الصحيح قدر الامكان

٤ ـ أكثرت من نقل أقوال الصوفية لالزامهم الحجة و المعتقد المنسوب اليهم و كذلك أكثرت من ايراد الآيات القرآنية و الأحاديث النبوية و أقوال علماء أهل السنة و الجماعة لاثبات بطلان المعتقد الصوفي بالكتاب و السنة و بالاضافة الى ذلك فقد قال ببطلانه علماء أهل السنة و الجماعة عبر القرون المتتالية و ليس هو قول رجل أو رجلين كما يزعم الصوفية و أتباعهم

٥ ـ ترجمت لبعض الأعلام من الصوفية الذين لهم اليد الطولى في تأليف الكتب في مجال تأسيس عقائد الصوفية و عباداتهم و سلوكهم و قواعدهم التي يسيرون عليها الذين وردت أسماءهم في الرسالة و أكثرت من النقل عنهم والأعلام الذين لهم باع طويل في تأسيس مبادىء الصوفية وان لم تكن لهم مؤلفات و الأعلام الذين تنتسب اليهم الطرق الصوفية كالقادرية و الشاذلية و الرفاعية و التيجانية و الختمية و غيرها من الطرق

٦ ـ عزوت الآيات القرآنية الواردة في الرسالة بذكر رقمها واسم السورة في الهامش

٧ ـ خرجت الأحاديث النبوية الواردة في الرسالة

٨ ـ عملت الفهارس الآتية :

١ ـ فهرس للآيات القرآنية

٢ ـ فهرس للأحاديث النبوية

٣ ـ فهرس للأعلام المترجم لهم في الحاشية

٤ ـ فهرس للمصادر و المراجع

د ـ فهرس للموضوعات

خطة البحـــث :

ان الخطة التي سرت عليها في هذه الرسالة هي كما يلي :

لقد قسمتها الى مقدمة و خمسة أبواب و تحت كل باب فصول و تحت كل فصـــل مباحث و تحت كل مبحث مطالب ان احتاج الأمر الى تقسيم المباحث الى مطالب

و اليك الخطة مفصلة :

الباب الأول : مفهوم التصوف و نشأته و مصادره و أقسامه و أهم العوامل التي أدت الى الانحرافات العقدية عند الصوفية

و تحته فصلان :

الفصل الأول : تعريف التصوف و نشأته و مصادره و أقسامه

و تحته ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : تعريف التصوف

المبحث الثاني : نشأة التصوف

المبحث الثالث : مصادر التصوف و أقسامه

الفصل الثاني : أهم العوامل التي أدت الى الانحرافات العقدية عند الصوفية

و تحته أربعة مباحث :

المبحث الأول : طلب الهداية في غير الكتاب و السنة

المبحث الثاني : اعتقادهم بأن هناك حقيقة تخالف الشريعة

المبحث الثالث : الغلو الزائد في الرسول صلى الله عليه و سلم و الأولياء

المبحث الرابع : تأثرهم بالفكر اليوناني الوثني .

الباب الثاني : إنحرافات الصوفية في الالهيات

و تحته فصلان :

الفصل الأول : إنحرافات الصوفية في التوحيد مع ذكر المفهوم الصحيح لتوحيد الله

و تحته ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : تعريف التوحيد في اللغة و الاصطلاح مع توضيح المفهوم الصحيح لتوحيد الله الذى أرسل الله به الرسل و أنزل به الكتب

المبحث الثاني : موقف الصوفية من التوحيد

المبحث الثالث : مفهوم التوحيد عند غلاة الصوفية و المضاعفات التي ترتبت على هذا المفهوم مع ذكر حكم من آمن بوحدة الوجود في ميزان الاسلام

و تحته ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : ذكر النصوص التي تدل على أن الصوفية يعتقدون بأن حقيقة التوحيد هو القول بوحدة الوجود

المطلب الثاني : المضاعفات التي ترتبت على القول بوحدة الوجود

المطلب الثالث : حكم من يعتقد بوحدة الوجود في ميزان الاسلام

الفصل الثاني : انحراف الصوفية في المحبة و اعتقادهم بأن الله يحل في بعض مخلوقاته

و تحته مبحثان :

المبحث الأول : إنحراف الصوفية في المحبة

المبحث الثاني : إعتقاد الصوفية بأن الله يحل في بعض مخلوقاته الذين يتفانون في الرياضة على الطريقة الصوفية

و تحته مطلبان :

المطلب الأول : ذكر النصوص عنهم التي تدل على قول الصوفية بالحلول

المطلب الثاني : موقف أهل الاسلام من القول بالحلول

الباب الثالث : إنحرافاتهم في الرسول صلى الله عليه و سلم و الخضر عليه السلام و الأولياء رحمهم الله تعالى

و تحته ثلاثة فصول :

الفصل الأول : إنحرافاتهم في الرسول صلى الله عليه و سلم

و تحته ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : إنحرافهم في مبدأ خلقه و المادة التي خلق منها

و تحته ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : إعتقادهم بأن الرسول صلى الله عليه وسلم أول مخلوق و أنه خلق من نور

المطلب الثاني : إعتقادهم بأن الكون خلق من نور محمد صلى الله عليه وسلم

المطلب الثالث : إعتقادهم بأن الكون خلق من أجل محمد و أن جميع العلوم جزء من علمه حتى علم اللوح و القلم

المبحث الثاني : اعتقاد الصوفية بجواز التوجه إلى الرسول بالدعاء و الاستغاثة من دون الله وأهم شبههم و مناقشتها و حكم التوجه الى الرسول بالدعاء و الاستغاثة

و تحته ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : ذكر النصوص عنهم التي تدل على أنهم يتوجهون الى الرسول صلى الله عليه وسلم بالدعاء والاستغاثة

المطلب الثاني : أهم الشبه التي يوردها الصوفية لتجويز دعاء الرسول صلى الله عليه وسلم والاستغاثة به ومناقشتها

المطلب الثالث : حكم التوجه الى الرسول صلى الله عليه وسلم بالدعاء والاستغاثة

الفصل الثاني : إنحرافاتهم في الخضر عليه السلام

وتحته مبحثان

المبحث الأول : إعتقادهم بأن الخضر ولي وليس بنبي وأن الولي أفضل من النبي ومناقشتهم

المبحث الثاني : إعتقادهم بأن الخضر حي يرزق إلى يوم القيامة

وتحته مطلبان :

المطلب الأول : ذكر النصوص عنهم التي تدل على أنهم يعتقدون بأن الخضر حي يرزق

المطلب الثاني : بيان بطلان هذا المعتقد وأن الصحيح وفاته

الفصل الثالث : إنحرافاتهم تجاه الأولياء

وتحته أربعة مباحث :

المبحث الأول : إدعاء الصوفية التلقي عن الله والعروج اليه وتفضيل الولاية على النبوة

وتحته مطلبان :

المطلب الأول : ذكر النصوص عنهم التي تثبت بأنهم يزعمون التلقي عن الله والعروج اليه وأن الولاية أفضل من النبوة

المطلب الثاني : بيان بطلان هذا الادعاء وأنه لا وحي بعد رسول الله صلى الله عليه و سلم يتلقاه أحد عن الله كائنا من كان

المبحث الثاني : إعتقادهم بأن هناك مجموعة من الأولياء لهم ألقاب خاصة بهم يتصرفون في هذا الكون و يتحكمون فيه : و تحته مطلبان :

المطلب الأول : مراتب الأولياء ووظائفهم عندهم و ذكر نماذج من النصوص عنهم تثبت بأنهم يعتقدون بأن للأولياء تصرفا في هذا الكون

المطلب الثاني : موقف أهل الاسلام من هذه المراتب و ممن يدعي التصرف لغير الله

المبحث الثالث : اعتقادهم بأن الأولياء يعلمون الغيب و تحته مطلبان :

المطلب الأول : ذكر النصوص عنهم التي تثبت بأنهم يعتقدون بأن الأولياء يعلمون الغيب

المطلب الثاني : بيان أن علم الغيب خاص بالله تعالى و حكم من يدعي علم الغيب

المبحث الرابع : توجه الصوفية الى الأولياء بالدعاء و الاستغاثة و تحته مطلبان :

المطلب الأول : ذكر النصوص عنهم التي تثبت بأنهم يتوجهون الى الأولياء بالدعاء و الاستغاثة

المطلب الثاني : حكم دعاء غير الله تعالى

الباب الرابع : إنحرافاتهم في مفهوم الزهد و الجهاد و القضاء و القدر و التوكل و الجنة و النار : و تحته ثلاثة فصول :

الفصل الأول : إنحرافهم في مفهوم الزهد : و تحته مبحثان :

المبحث الأول : تعريف الزهد و مراتبه و الفهم الصحيح له

المبحث الثاني : إنحراف الصوفية في مفهوم الزهد : و تحته مطلبان :

المطلب الأول : تعريف الصوفية للزهد

المطلب الثاني : عبارات أئمة التصوف التي تدل على أنهم يفهمون الزهد بأنه ترك الدنيا بالكلية و تعذيب النفس بشتى أنواع التعذيب من الجوع و العرى و السهر و الفقر

الفصل الثاني :إنحرافهم في مفهوم الجهاد مع ذكر نماذج من مواقفهم من أعداء الأمة الاسلامية عبر التأريخ : و تحته مبحثان :

المبحث الأول : مكانة الجهاد في سبيل الله في الاسلام

المبحث الثاني :إنحرافهم في مفهوم الجهاد و موقفهم من أعداء الأمة الاسلامية عبر التأريخ

الفصل الثالث : انحرافهم في مفهوم القضاء و القدر و التوكل و الجنة و النار : و تحته ثلاثة مباحث :

المبحث الأول :إنحرافهم في مفهوم القضاء و القدر و أهمية الايمان بهما في العقيدة الاسلامية : و تحته ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : تعريف القضاء و القدر و مكانة الايمان بهما في العقيدة الاسلامية

المطلب الثاني :إنحرافهم في عقيدة القضاء و القدر

المطلب الثالث : بيان بطلان المعتقد الصوفي تجاه عقيدة القضاء و القدر

المبحث الثاني :إنحرافهم في مفهوم التوكل و مكانته العظيمة في العقيدة الاسلامية و تحته مطلبان :

المطلب الأول : تعريف التوكل و فضله و مكانته العظيمة في الاسلام و أنواعه

المطلب الثاني : عقيدة الصوفية في التوكل و بيان بطلانها

المبحث الثالث :إنحراف عقيدة الصوفية تجاه الجنة و النار و الخوف والرجاء

الباب الخامس: أهم الآثار السيئة التي نشرها الصوفية في الأمة الاسلامية وأساليب مقاومة الزحف الصوفي :

الفصل الأول : أهم الآثار السيئة التي نشرها الصوفية في الأمة الاسلامية

و تحته أربعة مباحث :

المبحث الأول : انتشار الوثنية و الشرك

المبحث الثاني : تعطيل الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر في الحياة العامة

و تحته مطلبان :

المطلب الأول : تعريف الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر و أهميتها في الاسلام

المطلب الثاني : تعطيل الصوفية للأمر بالمعروف و النهي عن المنكر في الحياة العامة

المبحث الثالث : نشر الموالد البدعية في الأمة الاسلامية

و تحته ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : نشأة الموالد

المطلب الثاني : المفاسد التي وقعت بسبب هذه الاحتفالات

المطلب الثالث : حكم الاحتفال بالمولد النبوي و الموالد الأخرى التي يقيمها الصوفية في العالم الاسلامي

المبحث الرابع : انتشار الأذكار والأدعية والصلوات المبتدعة في الأمة الاسلامية واعراض الناس بسببها عن تلاوة القرآن وذكر الله بما ورد في الكتاب والسنة : وتحته مطلبان :

المطلب الأول : نماذج من الأذكار والصلوات الصوفية المبتدعة

المطلب الثاني : موقف الاسلام من الأوراد والأذكار والأدعية التي ابتدعتها الصوفية

المبحث الأول : نشر العقيدة الاسلامية الصحيحة المأخوذة من الكتاب و السنة

المبحث الثاني : القضاء على المظاهر التي تكون سببا في انتشار الشركيات كالقباب و المساجد المبنية على القبور و الأشجار و الأحجار التي تعبد من دون الله

المبحث الثالث: منع كتب الصوفية لئلا يتداولها الناس ومنع دعاة التصوف و دراسة كتبهم من قبل شخصيات لها حصانة عقدية لكشف زيفها .

شكـــر و تقديـــر :
==========

أولا و قبل كل شيء أشكر الله عزوجل على توفيقه لي لاتمام هذه الرسالة

ثم أشكر كل من ساهم معي في اخراج هذه الرسالة بتوجيه أو نصح أو ابداء رأى سديد و أخص بالشكر شيخي الفاضل د / صالح بن عبد الله العبود الذى كان لـي شرف التتلمذ على يديه فكان نعم المشرف فقد كان له اليد الطولى في اظهار هـــذا البحث على هذا الوجه و قد منحني الكثير من وقته و جهده المبارك و توجيهاته المفيدة مع تزاحم الأعمال و الواجبات عليه فجزاه الله عني خير الجزاء وأمد الله في عمره و نفع به الاسلام و المسلمين

كما أشكر القائمين على الجامعة الاسلامية الذين بذلوا النفس و النفير لخدمة أبناء العالم الاسلامي وتعليمهم كتاب ربهم وسنة نبيهم على المنهج الصحيح السليم فجزاهـم الله خيرا و سدد خطاهم و أخذ بأيديهم الى ما فيه الخير لخدمة أبناء المسلمين وحفظ الله على هذه البلاد دينها و أمنها و كفاها الله شر الحاسدين و الحاقدين انه ولـي ذلك و القادر عليه و هو نعم المولى و نعم النصير

و آخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم .

الباب الأول : مفهوم التصوف و نشأته و مصادره و أقسامه و أهم العوامل التي أدت الى الانحرافات العقدية عند الصوفية :

و تحته فصلان :

الفصل الأول : تعريف التصوف و نشأته و مصادره و أقسامه

الفصل الثاني : أهم العوامل التي أدت الى الانحرافات العقدية عند الصوفية

الفصل الأول :

تعريف التصوف و نشأته و مصادره وأقسامه :

و تحته ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : تعريف التصوف .

المبحث الثاني : نشأة التصوف .

المبحث الثالث : مصادر التصوف و أقسامه .

المبحث الأول : تعريف التصوف :

قبل أن نتعرض لتعريف التصوف في اللغة و الاصطلاح نريد أن نتعرف على الشيء الذى اشتقت منه كلمة " التصوف " أو كلمة " صوفي "

و الشيء الذى اشتقت منه هذه الكلمة لم يعرف له مصدر محدد من قبل أكثر الباحثين سواء من الصوفية أو من غيرهم و لكنهم ذكروا عدة احتمالات لتحديد الشيء الذى قد تكون مشتقة منه

فالاحتمال الأول الذى ذكروه هو أن هذه الكلمة "التصوف" نسبة الى الصفاء و قد رد هذه النسبة القشيرى (١) و الكلاباذى (٢)

الاحتمال الثاني أن تكون منسوبة الى الصفة نسبة الى أهل الصفة الذين كانوا يقعدون في مؤخرة مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم (٣)

قلت و هي نسبة باطلة لغويا وواقعيا

---

(١) — انظر الرسالة القشيرية ١٢٦

و ترجمته هو أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيرى النيسابورى وهو من قبيلة قشير ابن كعب ت ٤٦٥هـ و من آثاره الرسالة في التصوف و لطائف الاشارات في التصوف انظر الرسالة ١٤

(٢) — انظر التعرف لمذهب أهل التصوف ٨

و ترجمته هو محمد بن ابراهيم الكلاباذى البخارى أبو بكر شارك في بعض العلوم من آثاره التعرف لمذهب أهل التصوف ت ٣٨٠هـ انظر .

(٣) — انظر كتاب أبو حامد الغزالي و التصوف فقد أبطلها من عدة وجوه ١٣٦

الاحتمال الثالث التصوف نسبة الى رجل يقال له صوفة ، واسمه العوني ابن مر ، وانما سمي صوفة لأن أمه نذرت لان عاش لتعلقن برأسه صوفة و لتجعلنه ربيط الكعبة ، فكان أول من تفرد بخدمة بيت الله الحرام وانتسب اليه قوم في الجاهلية فسموا "صوفية" و قد انقطعوا الى الله عز و جل وقطنوا الكعبة ، فمن تشبه بهم فهم "الصوفية".(١)

و نفهم من هذه النسبة بأن المتصوفة ينتسبون الى أناس من أهل الجاهلية لم يعرفوا الاسلام ، واذا صحت مثل هذه النسبة فان القوم قد حكموا على أنفسهم بأنهم ينتسبون الى أقوام في الجاهلية .

الاحتمال الرابع أن تكون نسبة هذه الكلمة الى " صوفانة" وهي بقلة رعناء قصيرة، و نسبوا اليها لاكتفائهم بنبات الصحراء ، و هذا أيضا لا يصح لغويا لأنه لو نسبوا اليها لقيل للواحد منهم "صوفاني".(٢)

الاحتمال الخامس أن تكون نسبة هذه الكلمة الى الصوف، و قد ذهب الى ذلك شيخ الاسلام ابن تيمية و ابن خلدون .(٣)

وهو الراجح لأن القوم كانوا يلبسون الصوف كثيرا اقتداء برهبان النصارى ، و بعدوا عن الرفاهية و الراحة الجسمية رغم أن الاسلام لم يأمر بتعذيب الجسد و لا بلباس معين، بل الاسلام أباح لنا أن نأكل

---

(١) — انظر تلبيس ابليس ص ١٦٣

(٢) — تلبيس ابليس ص ١٦٣ . دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان .

(٣) — انظر الفتاوى لشيخ الاسلام ج ١١ ص ٦ و المقدمة لابن خلدون ص ٤٦٧

من الطيبات فقال تعالى : (يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم و اشكروا لله ان كنتم اياه تعبدون) .(١)

و قال تعالى : (يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا و اشربوا و لا تسرفوا انه لا يحب المسرفين .) (٢)

تعريف التصوف لغة و اصطلاحا :

أولا : تعريفه في اللغة :

قال الجوهرى في الصحاح : الصوف للشاة و الصوفة أخص منه و صوفة أى حي من مضر و هو الغوث بن مريم بن أدين بن طابخة بن الياس بن مضر ، كانوا يخدمون الكعبة في الجاهلية و يجيزون الحاج أى يفيضون بهم .

و قول الشاعر : حتى يقال أجيزوا آل صوفانا (٣)

و كبش صاف أى كثير الصوف .(٤)

و صاف السهم عن الهدف يصوف و يصيف عدل عنه .

و منه قولهم صاف عني شر فلان و أصاف الله عني شره .(٥)

---

(١) ــ البقرة ١٧٢

(٢) ــ الأعراف ٣١

(٣) ــ انظر معجم مقاييس اللغة لأبي الحسن أحمد بن فارس بن زكريا . الطبعة الأولى ، القاهرة ٣ / ٣٢٢

(٤) ــ المصباح المنير ص ٤٨١ (٥) ــ الصحاح للجوهرى ٤ / ١٣٨٨

ومن خلال هـذه التعريفات اللغـوية المتقدمة يتضـح لنـا أن كلمة صـوف تأتي بمعنى الصـوف المعروف للشـاة و نحـوهـا .

كما تأتي بمعنى مـال وعـدل .

و يـرى أحمـد بن فارس أن البـاب كله يرجـع الى الصـوف المعروف و فـي ذلك يقـول : (الصـاد والواو و الغـاء أصـل واحد صحيح و هو الصـوف المعـروف .

يقـال كبش أصـوف و صـوف و صـائف و صـاف كل هذا يكـون في كثير الصـوف .

و يقـولون أخذ بصـوفة قفـاه اذا أخذ بالشـعر السائل في نقرته.) (١)

و ذهب أحمـد بن علي المقرى في المصـباح المنير الى أن كلمـة صـوفية كلمـة مولـدة لا يشـهد لها قياس و لا اشـتقاق في اللغة العربية . (٢)

و قـال ابن خلدون في المقدمة : (ان قيل بالاشـتقاق فانها مشـتقة من الصـوف لأنهم في الغـالب مختصـون به .) (٣)

ثـانيا : تعريف التصـوف في الاصـطلاح :

و أبدأ أولا بتعريف التصـوف لدى المتصـوفة أنفسـهم .

و قـد اختلفـوا اختلافا كثيرا في تعريفه ، كمـا اختلفوا في أصله و اشتقاقه ،

---

(١) ـ انظر معجم مقاييس اللغة لأبي الحسين أحمد بن فارس ج ٣ / ٣٢٢

(٢) ـ انظر المصباح المنير ج ١ / ٤٨١ الطبعة الخامسة بالمطبعة الأميرية .

(٣) ـ مقدمة ابن خلدون ص ٤٦٧ الطبعة الرابعة .

بل اختلفوا هنا في تعريفه اختلافا كبيرا حتى تناقضت و تعارضت تعريفاتهم

فمن المتصوفة الذين أوردوا تعريفات عديدة للتصوف :

١ــ معروف الكرخي (١) و قد عرفه بما يلي : (التصوف الأخذ بالحقائق واليأس مما في أيدى الخلائق .) (٢)

٢ ــ الجنيد (٣) و قد عرفه بما يلي فقال : (التصوف أن تكون مع الله بلاعلاقة) و قد عرفه أيضا بما يلي فقال : (التصوف تصفية القلب عن موافقة البرية و مفارقة الأخلاق الطبعية و اخماد الصفات البشرية

---

(١) ــ و هو أبو محفوظ معروف بن فيروز ، و معروف قد أسلم على يد علي ابن موسى الرضا و هو أستاذ السرقسطي و قد صحب داود الطائي ، و توفي ببغداد و دفن بها . انظر الطبقات للسلمي ص٨٣ــ٨٥ .

(٢) ــ عوارف المعارف للسهرودى ص٦٢ طبعة دار المعارف ببيروت .

(٣) ــ نفس المرجع السابق .

و ترجمة الجنيد هو محمد أبو القاسم الخزاز و كان أبوه يبيع الزجاج فلذلك كان يقال القداريرى و أصله من نهاوند و مولده و منشوءه بالعراق و كان فقيها تفقه على أبي ثور و كان يفتي في حلقته ، و صحب السرى السقطي و الحارث المحاسبي و غيرهما ، و هو من أئمة القوم توفي سنة ٢٩٧ هجرية انظر السلمي ص ١٥٥ .

و مجانبة الدواعي النفسانية و منازلة الصفات الربانية و التعلق بعلوم الحقيقة و اتباع الرسول في الشريعة .) (١)

و قد عرف سحنون التصوف بما يلي حين سئل عنه فقال : (التصوف هو أن لا تملك شيئا و لا يملكك شيء .) (٢)

اذا نظرنا في التعريفات السابقة نرى أن أئمة التصوف قد عرفوا التصوف بتعريفات مختلفة ، فمثلا معروف الكرخي قد عرفه بأن معنى التصوف هو الأخذ بالحقائق ، كلمة الحقائق تحتمل عدة وجوه و لا ندرى ماذا يقصد بها و لعله في الغالب يقصد بها العلم الصوفي الذى يقولون عنه علم الحقيقة .

و أما الجنيد فقد عرفه بتعريفين ، ففي التعريف الأول عرفه بأن معنى التصوف هو أن يكون الانسان مع الله بلا علاقة ، و لعله يقصد بأن على الانسان أن يقطع جميع علاقاته مع بني جنسه و هذه دعوة باطلة فاننا لسنا مأمورين بالهروب

---

(١) — التعرف لمذهب أهل التصوف للكلاباذى ص ٣ . مكتبة الكليات الأزهرية الطبعة الأولى .

(٢) — اللمع للطوسي ص ١٥ .

و سحنون هو سحنون بن عمر المحب و يقال سحنون بن عبد الله أبو الحسن الخواص و يقال كنيته أبو القاسم سمى نفسه سحنون الكذاب ، صحب السرى السقطي و محمد بن علي القصاب و غيرهما ، و هو من كبار مشائخ العراق مات بعد الجنيد . انظر طبقات الصوفية للسلمي ١٦٥ .

عن البشـر و الاختفـاء عنهم في الأربطة و الخـوانق و الزوايا الصـغيرة كـما يفعل المتصـوفة الى يومنـا هذا .

و أمـا في التعريف الثـاني فقد عرفه بأنه تصفية القلب عن موافقـة الخليقة و الابتعاد عن الأخلاق الطبيعيـة التي فطر الانسـان عليها و السـعي الـى التخلص من الصـفات البشـرية و عدم اعطـاء النفس حقها مما تـطلبه و أن يكون متعلقا بعلوم الحقيقـة و يتبـع الرسـول في الشـريعة .

و هذه كلها مخالفـة لمـا جاء به الرسـول صلى الله عليه و سـلم من عند الله لأن الانسـان بشـر و سيظل بشـرا هكذا مهما عبد الله سبحانه و تعالى .

و سـحنون قد عرف التصـوف بأنه التجرد عن كل الأمـلاك و التحرر من أى أحد أن يملكك .

و هذا مخالف للاسلام لأن الاسـلام لم يأمرنـا بالتجرد عن أملاكنـا بـل أمرنا الرسـول صلى الله عليه و سلم أن نعطي كل شـيء حقـه .

و في الحقيقـة فـالصـوفية في هذه التعريفات تعرب لنـا عن معتقدات الصـوفية التي يعتقدونهـا في قلـوبهم و لم يقولوها هكذا جزافـا .

تعريف التصـوف لدى غير المتصـوفة من المسلمين :

لقد عرف الدكتور ابراهيم هلال التصـوف بما يلي فقال :

(رغم كثرة التعريفات التي عرف بها التصـوف الاسـلامي في كتب التصوف و غيرها فاننـا نسـتطيع أن نقـول أن التصـوف كـما يراه الصـوفية في عمومه هو السير في طريق الزهـد ، و التجـرد عن زينة الحياة و شـكلياتهـا

وأخذ النفس بأسلوب من التقشف وأنواع من العبادة والأوراد والجوع والسهر في صلاة أو تلاوة أوراد .

حتى يضعف في الانسان الجانب الجسدى ويقوى فيه الجانب النفسي أو الروحي فهو اخضاع الجسد للنفس بهذا الطريق المتقدم سعيا الى تحقيق الكمال النفسي كما يقولون والى معرفة الذات الالهية وكمالاتها وهو ما يعبرون عنه بمعرفة الحقيقة .) (١)

والاسلام يدعو حقيقة الى تربية الانسان تربية اسلامية صحيحة حتى يكون مستقيما في حياته ويخضع لأوامر الله ورسوله عن قناعة كاملة .

ولكن الاسلام لا يسلك في تربية الانسان الطريق الذى سلكه المتصوفة في تربية الانسان وانما يسلك في التربية الى تقوية الايمان بالله وباليوم الآخر وبجميع ما يجب الايمان به والعمل بالشريعة في حدود استطاعة الانسان بالاتيان بالواجبات والاقلاع عن المحرمات والابتعاد عنها كلية ، ولذا أقول ان سلوك المتصوفة في تربية الانسان سلوك منحرف بعيد كل البعد عن المنهج الذى جاء به الاسلام وأمرنا أن نسلكه ، ذلك لأن السلوك الذى يسير عليه المتصوفة في التربية يحطم معنويات الانسان ويسعى دائما أن يفصل الانسان عن هذه الحياة نهائيا حتى يصبح عضوا هيتا لا قيمة له في هذه الحياة ، وهذا سلوك يختلف تماما مع السلوك الذى دعى

---

(١) — التصوف الاسلامي بين الدين والفلسفة للدكتور ابراهيم هلال الطبعة الاولى ١٣٦٥هـ نشر دار النهضة العربية ص١ .

اليه الاسلام ذلك لأن الاسلام دين شامل كامل يدعو الانسان لكي يقوم بوظائفه في هذه الحياة على أكمل وجه وأتمه .

فالاسلام أباح للانسان أن يأكل من الطيبات كما قال تعالى : (يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم) .(١)

وقال تعالى : (قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق) .(٢)

ولو تتبعنا وبحثنا في المصادر التاريخية فسنجد بأن هذه التربية الصوفية أخذت من فلسفات أجنبية كالهندوكية والبوذية أو الديانات المحرفة كالمسيحية واليهودية أو أنها أخذت من البيئة الاسلامية عن طريق الطوائف الضالة كالشيعة والباطنية .

فالمتصوفة قد أدخلوا في الاسلام ما ليس منه في جميع جوانبه سواء كان في جانب العبادة أو كان في جانب العقائد والأخلاق حتى أصبحت معرفة الصوفية في عمومها معرفة فلسفية أو اشراقية لا معرفة دينية ترجع الى محض التمسك بالكتاب والسنة .

فالاشراق الفلسفي الذى عرف من قبل عند سقراط وأفلاطون وغيرهم من فلاسفة اليونان والهند والفرس ، والذى يصل فيه المرء بعد مرحلة التجرد والرياضة والعبادة الى مرحلة الكشف والاخبار عن

---

(١) ـ البقرة ١٧٢

(٢) ـ الأعراف ٣٢

المغيبات هو غاية التصوف الاسلامي في منهجه الفلسفي .(١)

و قد عرفه الشيخ محمد فهر شقفة بقوله :

(التصوف طريقة زهدية في التربية النفسية يعتمد على جملة من العقائد الغيبية ((الميتافيزيكية)) مما لم يقم على صحتها دليل لا في الشرع و لا في العقل .

و قد شرح هذا التعريف فقال :

(و قولنا يعتمد على جملة من العقائد ((الميتافيزيكية)) مما لم يقم على صحتها دليل في الشرع و لا في العقل .

يعني تلك العقائد التي تبحث فيما وراء الطبيعة و التي يدعون بأنهم تعلموها عن طريق الكشف أو وردت اليهم عن طريق الخواطر أو الرؤى المنامية كعقيدة البعض في الحلول ووحدة الوجود و الحقيقة المحمدية و اعتبارها أصلا لكل حياة بشرية و كونية ، و عقيدة البعض الآخر عن النواميس الطبيعية مما لم يخبر بذلك قرآن و لا سنة و لا يقوم على أساس علمي و لا يتفق مع المقاييس العقلية .)(٢)

---

(١) — انظر التصوف الاسلامي بين الدين و الفلسفة لابراهيم هلال ص ١

(٢) — التصوف بين الحق و الخلق للشيخ محمد فهر شقفة . الدار السلفية ص٧ .

المبحث الثاني : نشأة التصوف :

اذا تتبعنا كتب التأريخ التي كتبت عن نشأة الفرق في الاسلام فسنجد بأن أول بوادر ظهور التصوف و بروزه ظاهرة معروفة بهذا الاسم و لها تعاليم خاصة بها و مدرسة و تلاميذ تربيهم تربية خاصة تختلف مع التربية العامة التي يسلكها أهل السنة و الجماعة في تربية الأجيال المسلمة كان في القرن الثاني الهجرى و ذلك نتيجة توسع الفتوحات الاسلامية و اختلاط الشعوب المتنوعة المختلفة في عقائدها و أجناسها و لغاتها ، ولذا لا يستبعد أن يكون بعض من المسلمين تأثروا بالعقائد التي كانت سائدة هناك خاصة و أن التصوف كان معروفا قبل الاسلام في الامم الماضية و بالاخص في بلاد فارس و الهند رغم أن التصوف في الامة الاسلامية بدأ بمظهر الزهد و المبالغة في العبادة في أول أمره .

و يذهب بعض المؤرخين الى أن ظهور التصوف كان نتيجة اقبال الناس على الدنيا و الانشغال بها و لذا عرف المقبلون على الزهد و العبادة باسم الصوفية و المتصوفة .(١)

و من ذلك الحين غلبت هذه التسمية على هذه الطائفة من الزهاد فيقال رجل صوفي و للجماعة "الصوفية" و من يتوصل الى ذلك يقال له متصوف و الجماعة المتصوفة .(٢)

---

(١) — مقدمة ابن خلدون ٤٦٧ و تلبيس ابليس ١٦٣ .

(٢) — الرسالة القشيرية ٢ / ٥٥٠

ويقال بأن أول رجل لقب بالصوفي هو أبو هاشم الكوفي المتوفي سنة ١٥٠هـ و أنه بنى أول خانقاه للصوفية في الرملة من بلاد الشام.

وكان يقول بالحلول والاتحاد وكان باطنيا ودهريا وهو من الموالي (١)

وقيل ان أول من تسمى ببغداد صوفيا هو عبدك الصوفي وقيل من بين الذين لقبوا بالصوفي أولا جابر بن حيان.(٢)

ويقول الامام الشافعي رحمه الله: (تركت ببغداد وقد أحدث الزنادقة فيها شيئا يسمونه السماع وهو الغناء والمواجيد.) والامام الشافعي معروف بأنه دخل مصر سنة ١٩٩هـ.

ومن كلام الشافعي نستنتج أن أمر هؤلاء الزنادقة كان معلوما قبل ذلك.

وكلام الامام الشافعي رحمه الله يدل دلالة واضحة على أنه كان في القرن الثاني الهجرى توجد فرقة معلومة عند علماء الاسلام يسمونهم أحيانا بالزنادقة وأحيانا بالمتصوفة، ووصف الشافعي لهم بهذا الوصف يدل على أن القوم كانوا منحرفين في ذلك الوقت المبكر.

ويقول ابن خلدون رحمه الله في مقدمته: (ان نشأة التصوف كانت في القرن الثاني عندما أقبل الناس على الدنيا وانصرف أناس للزهد

---

(١) — انظر الصلة بين التصوف والتشيع لكامل الشيبي ص٢٦٦

(٢) — انظر المرجع السابق ص٢٦٦

(٣) — انظر تلبيس ابليس ص٢٣٠

والعبادة فسموا بالصوفية.)(١)

وأيد شيخ الاسلام ابن تيمية هذا الرأى فقال ان نشأة التصوف كانت في أوائل القرن الثاني الهجرى وأنه لم يشتهر الا بعد القرن الثالث(٢)

وقال رحمه الله : (ان أول ما ظهرت الصوفية في البصرة وأول من بنى دويرة للصوفية بعض أصحاب عبد الواحد بن يزيد من أصحاب الحسن وكان في البصرة من المبالغة في الزهد والعبادة والخوف ونحو ذلك ما لم يكن في سائر أهل الأمصار.

ولهذا يقال فقه كوفي وعبادة بصرية.)(٣)

كما ذكر شيخ الاسلام رحمه الله أنه قد نقل التكلم بالتصوف عن الحسن البصرى المتوفي سنة ١١٠هـ وعن سفيان الثورى المتوفي سنة ١٦١ هـ. (٤)

ويقول عمر رضا كحالة عن اسم الصوفية : (اشتهر هذا الاسم قبل المائتين من الهجرة فهو اسم محدث بعد عهد الصحابة و التابعين.

وورد لقب الصوفي مفردا في النصف الثاني للهجرة اذ نعت به جابر

---

(١) ـ انظر مقدمة ابن خلدون ٤٦٧ الطبعة الرابعة

(٢) ـ انظر الفتاوى لشيخ الاسلام ابن تيمية ١١/ ٥ ـ ٧.

(٣) ـ الفتاوى ١١/ ٦ ـ ٧.

(٤) ـ الفتاوى ١١ / ٥.

ابن حيـان .

وأمـا صيغة الجمع " الصـوفية" فانهـا ظهرت عام ١٤١هـ .)

و قال : (و قد أطلق الصـوفي و المتصوف بادئ الأمـر مرادفا للزاهد والعـابد والفقيـر .)(١)

و قد اشـتهر في هذه الفترة ـ أى القرن الثاني الهجرى ـ الـزاهـد الصـوفي ابراهيم بن أدهم البلخي (٢) المتوفي سنة ١٦٠ أو ١٦٢ الذى ترك ملكه و أموالـه و لبس الصـوف و هام على وجهه في البلاد متقشـفا منصرفا الى العبـادة رغم ما في هذا السـلوك من مخالفة لتعاليم الاسلام الحنيف .

كمـا اشـتهرت في هذه الفتـرة الزاهدة رابعة العدوية(٣) المتـوفاة سنة ١٣٥ بدعوتهـا الى حب الله حبـا مطلقـا مجـردا من الخـوف و الرغبـة وجعلت هذا الحب من أسس الصـوفية و ركـزت عليه .

---

(١) ـ الفلسفة الاسلامية و ملحقاتها لعمر رضا كحالة ط الحجاز بدمشق ١٣٩٤ ص ٢٣١

(٢) ـ هو أبو اسحاق من أهل بلخ كان من أبناء الملوك و المياسير خرج متصيدا فهتف به هاتف فيما يزعم أيقظه من غفلته فترك التزين و اتجه الى طريق أهل الزهد و الورع و خرج الى مكة و صحب بها سفيان الثورى و العقيل بن عياض و دخل الشام و كان يعمل فيه و يأكل من عمل يده و بها مات .

انظر طبقات الصوفية للسلمي ص٣٠ـ٣١ تجد القصة كاملة .

(٣) ـ هي رابعة بنت اسماعيل بن الحسين بن زيد بن علي بن أبي طالب و هي صوفية كبيرة و عابدة شـهيرة ، قال ابن الجوزى : كانت رابعة فطنة ==

وهـذا مخالف للنـهج الاسلامي الصحيح فالله سبحانه وتعالى قال في وصف أنبيائه أنهم كانوا يسارعون في الخيرات ((ويدعوننا رغبا ورهبا وكانـوا لنا خاشـعين))(١)

فما دام أن الله وصـف أنبياءه بهذا الوصف وهم أعرف به من غيرهم فمن باب أولى أن يعبد الله غيرهم رغبـا ورهبـا .

قال الامام ابن تيمية رحمه الله : (قال بعضهم : من عبد الله بالحب وحده فهو زنديق ، ومن عبد الله بالخوف وحده فهو حروري ، ومن عبد الله بالرجاء وحده فهو مرجيء ، ومن عبد الله بالحب والخوف والرجاء فهو مؤمن موحد)(٢)

ولم يكن للتصـوف في أول نشـأته جماعة معروفة بعينها لها نظامـهـا الخاص ورئيسها المعين ،وانما تميزت الجماعات الصـوفية في أول أمرهـا بالزهد المبالغ فيه ومحاربة النفس والتوكل على الله في جميع أمورهم كـمـا يزعمـون ، وان كان على فهم الصـوفية للتوكل ملاحظات سـتأتي في محلها

== ومن قولها : الذل عصى قوة فهمها قولها أستغفر الله من قلة صدقي في قولي أستغفر الله) وقال مصطفى عبد الرزاق انها (هي السابقة الـى وضع قواعد الحب والحزن في هيكل التصوف) وتوفيت سنة ١٣٥هـ وقيل ١٨٥هـ أعلام النساء لعمر رضا كحالة ٢/ ٤٣١ المطبعة الهاشمية ط٢—١٣٧٦هـ .

(١) — الأنبياء آية ٩٠

(٢) — انظر الفتاوى لشيخ الاسلام ابن تيمية ١٠/ ٨١

في الباب الرابع ،و بالاضافة فان محاربة النفس ليست من الأمور التي حث عليها الاسلام بل الاسلام حث على حفظ حقوق النفس وعدم تحميلها ما لا تطيق من الأعمال و العبادات.

و لذا الصوفية الأوائل كانوا ينطلقون دائما من قاعدتين اثنتين و هما المبالغة في الزهد و حب الله و لكن مع مرور الزمن و قعوا في انحرافات خطيرة و ذلك لبعدهم عن تعاليم كتاب الله و سنة رسوله صلى الله عليه و سلم ،و هكذا مصير كل من يبتغي الهدى من غيرهما .

و الحقيقة أن الزهد في الدنيا بدون مبالغة و تنطع أمر مشروع في الاسلام الا أن المتصوفة بالغوا فيه حتى أدخلوا فيه تدريجيا عناصر من المذاهب و الفلسفات الأجنبية المخالفة للاسلام.

و قد دعا القرآن الى الزهد في متاع الدنيا و حذر من الاغترار بالحطام الدنيوى الفاني ،و قد وصف الله الدنيا بأنها حقيرة لا تساوى شيئا بالنسبة لنعيم الآخرة ، لكن مع ذلك لم يأمر الاسلام بالبعد الكامل عن الدنيا و اهمال الواجبات فيها بل الله سبحانه و تعالى أحل لنا أن نأكل من الطيبات و نلبس و نتزوج و ننام كل ذلك بدون اسراف و نسيان للآخرة بينما المتصوفة يدعون الى البعد الكامل عن الدنيا بكل ما فيها و تعذيب الجسد بالجوع و السهر و العرى و هذا ليس من الاسلام في شيء .

و الآيات التي تحذر من الاغترار بالدنيا كثيرة منها :

١ــ قوله تعالى : ((و ما الحياة الدنيا الا متاع الغرور))(١)

---

(١) ــ آل عمران آية ١٥٨ .

٢ــ و قوله تعالى : ((أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة الا قليل))(١)

٣ــ و قوله تعالى : ((اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب و لهو و زينة و تفاخر بينكم و تكاثر في الأموال و الأولاد كمثل غيث أعجب الكفار نباته))(٢)

و قد وصف الله سبحانه و تعالى المؤمنين بأنهم يحبون الله أشد المحبة فقال تعالى : ((و من الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله و الذين آمنوا أشد حبا لله))(٣)

و قوله تعالى : ((يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم و يحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله و لا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء و الله واسع عليم))(٤)

و من هنا نعلم بأن حب الله أمر واجب و لكن ليس الحب الصوفي الذى يسمى أهله الاعتقاد الحلول و الاتحاد بذات الله فهذا اعتقاد فاسد و ليس حبا اسلاميا و انما هو فلسفة وثنية هندية و يونانية كما سنعرف ذلك حينما نتعرض لذكر مصادر الصوفية في المبحث الآتي .

---

(١) ــ التوبة آية ٣٨

(٢) ــ الحديد آية ٢٠

(٣) ــ البقرة آية ١٦٥

(٤) ــ المائدة آية ٥٤

والحقيقة لقد وجد في صدر الاسلام كثيرون ممن عرفوا بالزهد كأهل الصفّة وأبي ذر الغفاري وحذيفة بن اليمان وغيرهم ،وكان زهدهم زهدا معتدلا لا يخرج عما أرشد اليه القرآن من التوسط والاعتدال بمعنى أنهم لم يكونوا منقطعين عن الحياة العامة بل كانوا يشاركون في الحياة الاجتماعية ويسعون لكسب معاشهم بخلاف المتصوفة فانهم يحيون حياة تخالف حياة الآخرين من حيث المبالغة في الزهد وترك متاع الدنيا وتكليف النفس مالا تطيقه من العبادات حتى تنهار وبالتالي تعجز عن القيام بواجباتها ، و سأوضح ذلك ان شاء الله في الفصل الخاص بمفهوم المتصوفة الخاطئ للزهد في الباب الرابع ان شاء الله .

يقول رينولد :

(كان التصوف في بدء أمره صورة من صور الحياة الدينية لا يأخذ بها الا الأفراد ولا يأخذها عن هؤلاء الافراد الا خاصة أصحابهم ثم أصبح رويدا رويدا حركة منظمة ومدرسة يتخرج فيها الأولياء ـ والأحرى يتخرج فيها الدجاجلة والمجاذيب والدراويش والكهنة والمشعوذين ـ لها قواعدها ورسومها من حيث سيرة المريدين وأخلاقهم وعبادتهم وأصبح المريد يتلقى قواعد الطريق الصوفي على استاذه ويخضع لارشاد هذا الأستاذ خضوعا أعمى .

وهناك دلائل واضحة على أن رجال التصوف من أهل القرن الثالث لم يقنعوا بحياة الزهد والعزلة عن الناس بل تطلع المريد الذى سلك طريق القوم أن يصبح يوما شيخا عظيما ومرشدا ملهما يظهر في الحفلات العامة

و من حوله أتباعه الكثيرون المعجبـون به .

يقول أبو يزيد البسطامي : من لم يكن له استاذ فامامه الشيطان .....

و قد ادعى رجال التصوف منذ البدء الحظوة عند الله و استمداد السلطـان منه ، فهذا معروف الكرخي يقول لمحدثه : اقسم على الله بي .

و هذا ذو النون المصرى يصرح بأن طاعة المريد لأستاذه أولى به من طاعته لربـه .

أمـا تقعيد القواعد و تنظيم رسـوم الطريق الصـوفي فانك تلمحهمـا واضحين كل الوضوح في أقوال مشـائخ ذلك العصر ـ القرن الثالث الهجرى ـ أينما قرأتها ، فانهم قسـموا الطريق الى سلسلة من المراحل بل ميزوا بيـن أنواع مختلفة من الطرق .

يقول يحيى بن معاذ الرازى المتوفي ٢٥٨هـ :

اذا رأيت الرجل يعمل بالطيبات فاعلم أن طريقه التقوى و اذا رأيته يحدث بآيات الله فاعلم أنه على الابدال و اذا رأيته يحدث بآلاء الله فاعلم أنه علـى طريق المحبين و اذا رأيته عاكفا على ذكر الله فاعلم أنه على طريق العارفين)(١)

و من هنا يتضح لنا أن التصوف في القرنين الثالث و الرابـع الهجريين ظهر في صـورة جديدة تختلف تمام الاختلاف عن سـابقتها ، حيث أن التصوف في هذه الفترة لم يقف عند حدود الزهد و الرياضة و المجاهدة و انما تجـاوز

---

(١) ـ في التصوف الاسلامي و تاريخه لرينولد ص١٩ـ٢٠ طبع لجنة التأليف و الترجمة و النشـر .

هذا كله الى غاية بعيدة ألا وهي فناء الانسان في نفسه اتحاده بربه — حسب زعم المتصوفة الأفاكين لأن اتحاد المخلوق بالخالق غير ممكن فالله سبحانه وتعالى مباين لخلقه — .

ولقد تأثرت الصوفية في هذه الفترة بالمذاهب الفلسفية القديمة كالبوذية والهندوسية واليونانية الوافدة والتي انتشرت في ذلك الوقت في أنحاء الخلافة الاسلامية الواسعة وبالأخص في خراسان وفارس وذلك نتيجة للفتوحات الاسلامية لهذه البلاد الذى تولد عنه الاختلاط بين الثقافات.(١)

وقد ظهر في هذه الفترة كثير من كبار المتصوفة وكان معظمهم من غير العرب بل ان جلهم كان من الفرس ، و بلاد الفرس هي منبع الفرق الضالة وعلى رأسها الشيعة والفرق الباطنية بأنواعها المختلفة وما الصوفية الا وليدة التشيع.

واليك نبذة قليلة بأسماء عدد قليل من الذين ظهروا في هذين القرنين :

١ــ أبو سليمان الداراني المتوفي سنة ٢١٥هـ الذى اشتهر بشدة التقشف(٢)

---

(١) ــ انظر : ظهر الاسلام لمحمد أمين ٤ / ١٥٠ــ١٥١ .

(٢) ــ هو عبد الرحمن بن عطية ويقال عبد الرحمن بن أحمد بن عطية وهو من أهل داريا قرية من قرى دمشق وهو

انظر طبقات الصوفية للسلمي ص ٧٥ .

٢ ـ بشر الحافي ت ٢٢٧هـ الذى كان ذا شأن في المجاهدة كما يقول المتصوفة. (١)

٣ـ أبو بكر الشبلي الخراساني ت ٢٣٤هـ. (٢)

٤ـ بُو تراب ت ٢٤٥هـ والذى كان من كبار سياحي المتصوفة قطع بوادى كثيرة على التجرد. (٣)

---

(١) ـ هو بشر بن الحارث الحافي بن عبد الرحمن بن عطاء بن هلال ماهان بن عبد الله الحافي كنيته أبو نصر أصله من مرو من قرية بقرد أوما برسام سكن بغداد ومات بها .

انظر طبقات الصوفية للسلمي ص ٣٩ .

(٢) ـ اسمه دلف يقال بن جحدر ويقال بن جعفر ويقال اسمه جعفر ابن يونس وهو خراساني الأصل بغدادى المنشأ والمولد وأصله من أسروشنة ومولده كما قيل سامراء صحب الجنيد ومن في عصره من المشائخ وعاش ٨٧ سنة ومات في ذى الحجة سنة ٣٣٤هـ ودفن في مقبرة الخيزران .

انظر طبقات الصوفية للسلمي ص ٣٣٧

(٣) ـ واسمه عسكر بن حصين ويقال بن محمد بن حصين صحب أبا حاتم العطار البصرى وحاتم الأصم البلخي وتوفي بالبادية وقيل نهشته السباع ت ٢٤٥هـ.

انظر طبقات الصوفية للسلمي ص ١٤٦ .

٥ ـ الحارث المحاسبي ت ٢٤٧هـ الذى عمل كتابا في أصول التصوف اسمه الرعاية لحقوق الله ، ويعتبر أقدم الكتب في التصوف.(١)

٦ ـ ذا النون المصرى (٢) ت ٢٤٥ والذى يعتبر من الذين لهم الاثر الكبير في تشكيل الفكرة الصوفية كما قال المستشرق نيكلسون . وكذلك ذكر نيكلسون بأن ذا النون أول من تكلم في معرفة الأحوال والمقامات وأول من بحث فيما يسمونه المعرفة بحثا نظريا غامضا .(٣)

---

(١) ـ الحارث المحاسبي وكنيته أبو عبد الله من علماء مشايخ القوم وله تصانيف كثيرة ومشهورة منها كتاب الرعاية لحقوق الله وغيره وهو يعتبر أستاذ أكثر البغداديين وهو بصرى مات ببغداد سنة ٢٤٣هـ.

انظر طبقات الصوفية للسلمي ص٥٦ .

(٢) ـ ذا النون المصرى وذا النون بن ابراهيم المصرى أبو الفيض ويقال ثوبان بن ابراهيم وذا النون لقب ويقال الفيضي بن ابراهيم وهو مولى لقريش وكان أبوه ابراهيم نوبيا توفي سنة ٢٤٥ وقيل مات سنة ٢٤٨هـ.

انظر طبقات الصوفية للسلمي

(٣) ـ انظر: في التصوف الاسلامي وتاريخه ص ٧ـ٨ .

٧ــ السرى سقطي الفارسي الذى ذكر عنه الهجورى بأنه أول من تكلم في بغداد في ترتيب المقامات و بسط الأحوال و أنه أكثر مشائخ العراق من حيث المريدين (١)

٨ــ أبو اليزيد البسطامي ت ٢٦١هـ و الذى كان ظهوره سببا في تطور انحراف الأفكار الصوفية تطورا خطيرا لأنه أدخل في التصوف فكرة الفناء و فكرة وحدة الوجود .(٢)

٩ــ الجنيد ت ٢٩٧هـ و هو فارسي من نهاوند و يلقب بسيد الطائفة .(٣)

---

(١) ــ السرى سقطي و هو سرى بن المغلس السقطي كنيته أبو الحسن يقال انه خال الجنيد و أستاذه صحب معروفا الكرخي و هو أول من تكلم ببغداد في الحقائق و الأحوال و هو امام البغداديين و شيخهم في وقته و اليه ينتمي أكثر الطبقة الثانية من مشائخ الصوفية، ت ٢٥١هـ.

انظر طبقات الصوفية للسلمي ص ٤٨ .

(٢) ــ انظر: في التصوف الاسلامي و تاريخه ص ٢٢ــ٢٤

و ترجمة أبو يزيد البسطامي هو طيفور بن عيسى بن سروشان و كان جده سروشان هذا مجوسيا فأسلم و هو من أهل بسطام مات سنة احدى و ستين و مائتين .

انظر طبقات الصوفية للسلمي ص٦٣ .

(٣) ــ سبقت ترجمته .

١٠ـ الحلاج ت ٣٠٩هـ والذى نادى بمذهب الحلول، وبظهور الحلاج بلغ التصوف غايته وذروته في الانحراف من حيث العقيدة لأنه استطاع أن يظهر معتقده في الحلول على الملأ فأفتى علماء عصره بكفره وقتله فقتل في آخر سنة ٣٠٩ هـ ولكن طريقته بقيت بعده وتولى نشرها بعده كبار المتصوفة في الماضي والحاضر.(١)

وقد ظهر في هذين القرنين كثير من الشخصيات الصوفية غير الذين سبق ذكرهم وانتشروا في الساحة الاسلامية على امتداد الخلافة الاسلامية وبالأخص في فارس وخراسان والعراق بسبب وجود المؤثرات الأجنبية المختلفة في هذه المناطق كالهندوسية والبوذية والفارسية واليونانية والنصرانية المحرفة المصبوغة بالفلسفة اليونانية والتي انقلبت الى ديانة وثنية بتخطيط من اليهود.

وبدأوا ينظمون أنفسهم في جماعات وفرق لها طرقها الخاصة

---

(١) ـ الحلاج هو الحسين بن منصور وكنيته أبو مغيث وهو من أهل بيضاء فارس ونشأ بواسط بالعراق.

صحب الجنيد وأبا الحسن الثورى وعمر المكي والخواص وغيرهم وقد اختلف المتصوفة في أمره فمنهم من ذمه وأبعده ومنهم من أثنى عليه وآواه الى حظيرة التصوف وقد قتل ببغداد بباب الطاق يوم الثلاثاء ٢٠٤هـ.

و شيوخها و سالكوها

و كانت هناك مدارس كثيرة للتصوف في هذه الفترة لكل منها طابع معين .

و قد ذكر الهجويرى ت ٤٦٥هـ الطرق الصوفية التي ظهرت في هذه الفترة باثنتي عشرة فرقة و نسب كل منها الى شيخ من شيوخ القرنين الثالث و الرابع الهجريين .(١)

و هذا دليل على أن الصوفية قد انتشرت في هذه الفترة انتشارا واسعا كما انتشرت تبعا لذلك الخوانق و الأربطة و الزوايا التي يختلون بها في أنحاء بلاد العالم الاسلامي على امتداد رقعة الخلافة الاسلامية الواسعة .(٢)

و قد وضعوا نظاما خاصا في هذه الأربطة يشبه الى حدما نظام الرهبنة في المسيحية و البوذية حيث يقوم بادارة كل منها شيخ من شيوخهم ، و انتشر نظام الأربطة في الصوفية على أيدى رجال الطرق التي توالى ظهورها سريعا في القرنين الخامس و السادس الهجريين .(٣)

و العجيب أن كل واحد من أولئك الطرقيين الذين قاموا بانشاء

---

(١) — انظر كشف المحجوب للهجويرى ١/٥٨

(٢) — انظر الخطط للمقريزى ص٤ م دار العلم للملايين ، بيروت .

(٣) — انظر : في التصوف الاسلامي و تاريخه

هـذه الطرق الصوفية يزعم كل واحـد منهم أنه من نسل رسول الله صلى الله عليه و سلم حيث استطاع كل منهم أن يقيم له طريقة صوفية خاصة به و أتباعا مخصوصيـن فاننا اذا نظرنا في العالم الاسلامي نجد أن كل مجموعة من الصوفية تنتسب الـى شيخ من شيوخ الصوفية الى يومنا هذا

و في القرن السادس و السابع و الثامن بلغت الفتنة الصوفية أقصاها و أنشـأوا فرقا خاصة للدراويش و ظهر المجاذيب و بنيت القباب على القبور في كـل ناحيـة و ذلك بقيام الدولة الفاطمية في مصر و بسط سيطرتها على أقاليم واسعة من العالم الاسلامي و استطاعت هذه الدولة تجنيد هذه الفرق الصوفية و غزوا العالـم الاسلامي بها و التي كان لها أعظم الأثر بعد ذلك في تمكين الجيوش الصليبيـة من أرض الاسلام (١)

و هكـذا امتلأت السـاحة الاسـلامية بالمـدارس و المـذاهب الصـوفيـة التي وضعت للمـريـد لكي يدخل الى مقـام شيخـه أو ينخرط فـي طـريقـه قوانيـن يجب أن يسلكهـا و امتلأت الصـوفيـة بالـرسـوم و الطقـوس التي أطلـقـوا عليهـا اسـم الأحـوال و المقـامات يتـدرج فيهـا المـريـد الـى أن يصـل الـى مرحلـة العشـق و الـوجـد و الفنـاء الباطـل و الاتحـاد و الحلـول و غيـر ذلك من العقـائـد الباطلـة التي تتضـح لنا من خلال هـذه الرسـالة ان شاء الله (٢)

---

(١) ـ الفكر الصوفي لعبد الرحمن عبد الخالق ٧

(٢) ـ انظر دراسات في الفرق لطعيمة ١٠٨

أما في مجال التدوين فقد دون الصوفية علوما خاصة بهم ذكروا فيها مقامات الصوفية وأحوالها ومجاهداتها وما ينشأ عنها من الأذواق والمواجد والعقائد الباطلة الالحادية

ومن أشهر مؤلفيهم الطوسي (١) فقد ألف كتابا خاصا بالتصوف بعنوان اللمع ، وأبو طالب المكي (٢) ، ومحيي الدين ابن عربي الذي يصفونه بأنه الشيخ الأكبر (٣) ، وابن الفارض (٤) ، وابن عجيبة (٥) وغيرهم من المؤلفين الكبار الذين

---

(١) — هو أبو نصر عبد الله بن علي السراج الطوسي شيخ الصوفية وهو بحق أكثر المؤلفين الصوفيين وأستاذهم جميعا بلا استثناء ت ٣٧٨هـ انظر مقدمة اللمع ١٢—١٤

(٢) — هو أبو عبد الله عمرو بن عثمان المكي امام الطائفة في الأصول والفروع والطريقة مات ببغداد ٢٩١هـ انظر الرسالة للقشيري

(٣) — محيي الدين بن عربي هو أبو عبد الله محمد بن علي المعروف بابن عربي الطائي الحارثي الأندلسي من غلاة الصوفية القائلين بوحدة الوجود ويقول عنه الصوفية الامام الأكبر والكبريت الأحمر وله كتب كثيرة في التصوف منها : الفتوحات المكية وفصوص الحكم وذخائر الأعلام وغيرها ت ٦٣٨هـ . انظر جمهرة الأولياء للمنوفي ٢/٦٠١

(٤) — هو أبو حفص عمر بن أبي الحسين حموي الأصل مصري المولد ت ٦٣٢هـ ومن أشهر مؤلفاته ديوانه المعروف بديوان ابن الفارض والذي يتغزل فيه بالحب الالهي حسب زعمه . انظر مقدمة ابن الفارض والحب الالهي ٢٨

(٥) — هو أحمد بن محمد المهدي بن عجيبة صوفي من أهل المغرب وله كتب كثيرة في التصوف منها : الفتوحات الالهية ، وايقاظ الهمم في شرح الحكم ت ١٢٢٤هـ انظر جمهرة الأولياء للمنوفي ١ / ٢٣٤

يصعب حصرهم .

و قد امتلأت كتب هؤلاء بالمصطلحات الصوفية الغامضة و زعموا أنه لا يفهمها الا من سلك طريقهم و تعارف عليها و ربما عجزوا هم أنفسهم عن ايضاح بعضها .

و هكذا تطور الانحراف لدى المتصوفة حتى وصلوا الى تقسيم العلم الى قسمين : علم الشريعة و علم الحقيقة .

و قالوا ان علم الشريعة خاص بالفقهاء و هم الذين يسمونهم أهل الرسوم .

و علم الحقيقة أو الباطن كما يسمونه خاص بأهل الحقائق و يعنون به أنفسهم .

و من هنا انفصل غلاة المتصوفة عن علمي الكتاب و السنة و أنشأوا لهم علما خاصا مزيجا من أفكار الباطنية و الشيعة و الأديان الهندية و الافلاطونية اليونانية و هذا منتهى الضلال و الانحراف الخطير الذى هوى به غلاة المتصوفة الى الحضيض في مجال العقيدة و العبادة و السلوك .

و من الأمثلة على ذلك ما قاله محيي الدين بن عربي :

(فلما رآى أهل الله أن الله قد جعل الدولة في الحياة الدنيا لأهل الظاهر من علماء الرسوم و أعطاهم التحكم في الخلق بما يفتون به و ألحقهم بالذين يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا و هم عن الآخرة هم غافلون ، و في أفكارهم عن أهل الله يحسبون أنهم يحسنون صنعا ،

سلم أهل الله لهم أحوالهم لأنهم علموا من أين تكلموا و صانوا عنهم أنفسهم بتسميتهم الحقائق اشارات فان علماء الرسوم لا ينكرون الاشارات)(١)

• قد بذل المتصوفة جهدهم للتوفيق بين التصوف و بين القرآن و السنة و ذلك بالتأويلات الفاسدة التي هي تحريفات في الحقيقة .(٢)

قال الامام ابن الجوزى رحمه الله منكرا تقسيم الاسلام الى حقيقة و شريعة :(و قد فرق كثير من الصوفية بين الشريعة و الحقيقة و هذا جهل من قائله لأن الشريعة كلها حقائق)

و قال ابن عقيل : (جعلت الصوفية الشريعة اسما و قالوا المراد منها الحقيقة) قال :(و هذا قبيح لأن الشريعة وضعها الحق لمصالح الخلق و تعبداتهم فما الحقيقة بعد هذا سوى شيء واقع في النفس من القاء الشياطين و كل من رام الحقيقة في غير الشريعة فمغرور مخدوع)(٣)

---

(١) ــ الفتوحات المكية ١ / ٣٦٥ نقلا عن التصوف للشقفة ص٣٧ .

(٢) ــ انظر فصوص الحكم لابن عربي فسترى تحريفات خبيثة من أول الكتاب الى آخره .

(٣) ــ تلبيس ابليس لابن الجوزى ص٣٢٤ .

أقسام الصوفية:

لقد اختلف العلماء المتقدمون في تقسيم الصوفية، واليك بعضا من أقوال العلماء الذين تكلموا في تقسيم الصوفية:

فقد قسمها شيخ الاسلام ابن تيمية الى ثلاثة أقسام وتبعه الهجويرى في تقسيم الصوفية اليه ثلاثة أقسام، بينما الرازى قسم الصوفية الى ستة أقسام، وفيما يلي تقسيم كل منهم على حدة:

أولا: أقسام الصوفية عند الامام ابن تيمية:

يرى شيخ الاسلام ابن تيمية أن الصوفية ينقسمون الى ثلاثة أقسام وهي:

١ــ صوفية الحقائق: وهم المتفرغون للعبادة والذكر والزاهدون في الدنيا.

٢ــ صوفية الارزاق: وهم الذين وقفت عليهم الوقوف، ويشترط شيخ الاسلام في هؤلاء الشروط الاتية:

أ ــ العدالة الشرعية بحيث يؤدون الفرائض ويجتنبون المحارم.

ب ــ التأدب بآداب أهل الطريق وهي الآداب الشرعية، أما الآداب البدعية فلا يلتفت اليها.

ج ــ أن لا يكون أحدهم متمسكا بفضول الدنيا.

٣ــ صوفية الرسم: وهم المقتصرون علي المظاهر كاللباس والزنار ونحوها وليس لهم رصيد من العمل فيظن الجاهل أنهم منهم وليسوا منهم. (١)

---

(١) ــ مجموع الفتاوى ١١/١٩ــ٢٠ بتصرف.

ثانيـا : أقسام الصوفية عند الهجويرى :

يقسم الهجويرى الصوفية الى ثلاثة أقسام و يقول ان منهم:

١ــ الصـوفي : و هو المتفرغ لعبادة الله المتجه اليه المتجرد عن العلائق الدنيوية

٢ــ و منهم المتصوف: و هو الذى يجاهد نفسه و يقومها للوصول الى الدرجـة السـابقة.

٣ــ و منهم المستصوف: و هو من تشبه بهم من أهل المنزلـة و الجـاه و المـال و لا رصيد له من العمل المخلص حتى قيل فيه : المستصوف عند الصوفية كالذباب و عند غيرهم كالذئاب.(١)

ثالثا : أقسام الصـوفية عند الفخر الرازى :

يقسمهم الرازى الى ست فرق نوجزها فيما يلي :

١ــ الاولى أصحاب العادات: و هم الذين يهتمون بتزيين الظاهر كلبس الحزقـة و تسـوية السجادة.

٢ــ الثانية أصحاب العبادات: و هم المتفرغون للعبادة المنقطعون عن الدنيا .

٣ــ الثالثة أصحاب الحقيقة : و هم الذين اذا فرغوا من الفرائض لم يشـتغلـوا بنـوافل العبادات بل في التفكر في ملكوت الله و تجريد النفس عن كل ما يشغلها عن ذكر الله فهم يحرصون أن لا يخلـوا بالهم عن ذكر الله .

٣ــ الرابعة النورية : و هم يقولون ان الحجاب حجابان نورى و نارى ،أما النورى فالاشـتغال با كتسـاب الصـفات المحمـودة وأمـا النارى فالاشـتـغال

---

(١) ــ كشـف المحجـوب للهجويرى ١/ ٢٣١

بالشهوة و الغضب و الحرص و الأمل

٥ــ الخامسة الحلولية : و هم قوم يزعمون أنه قد حصل لهم الحلول أو الاتحـــاد فيدعون دعاوى عظيمة و ليس لهم من العلوم العقلية نصيب

٦ــ السادسة : المباحية و هم قوم يدعون محبة الله و يخالفون شريعته و يقولون ان الحبيب رفع عنا التكاليف و هؤلاء شر الطوائف (١)

قلت و هناك قسمان آخران من أقسام الصوفية و هما :

١ــ الصوفية القائلون بوحدة الوجود كابن عربي و ابن الفارض و ابن عجيبة و غيرهـــم من ملاحدة الصوفية

٢ــ الصوفية القبورية و هم الذين يزعمون أن للأولياء تصرفا في هذا الكون و أنهـــم يغيثون من استغاث بهم و يجيبون من ناداهم و يفرجون الكربات و من الذين كتبـوا في هذا المجال يوسف النبهاني و يظهر هذا في كتابه شواهد الحق (٢) و منهـــم الشعراني و يظهر هذا في كتابه الطبقات الكبرى و الصغرى (٣) و منهـــم زيـــني دحلان و يظهر في كتابيه خلاصة الكلام والدرر (٤) ومنهم العلوى المعاصر الساكن بمكة و الذى لا يزال حيا يرزق

---

(١)ــ اعتقادات فرق المسلمين و المشركين للرازى ١١٥ــ١١٧

(٢)ــ هو يوسف بن اسماعيل النبهاني الشاذلي له كتب كثيرة فيها الصالح و الطالح و حمل على أعلام الاسلام كابن تيمية و ابن القيم حملة شعواء و تناول بمثلها الامام الألوسي والامام محمد بن عبد الوهاب . قلت وهومن الصوفية الغلاة و من دعاة الشـــرك و الضلال . ت ٩٧٢ انظر الأعلام ٩ / ٢٨٩

(٣)ــ هو عبد الوهاب بن أحمد بن علي الشعراني الشاذلي طريقة له مؤلفات كثيرة في التصوف وهو من الغلاة القبوريين الذين دعوا الى عبادة القبور بكل وقاحة ت ٩٧٣هـ انظر معجم المؤلفين لكحالة ٦ / ٢١٨

(٤)ــ هو أحمد زيني دحلان وهومن غلاة الصوفية المتأخرين وله مؤلفات كثيرة في الدعوة الى الشرك والخرافة مثل كتابه خلاصة الكلام والدرر السنية . انظر الأعلام للزركلي ١ / ١٢٥

و غير هؤلاء كثيرون يصعب حصرهم و سيظهر لنا في الأبواب القادمة و خاصة في باب انحراف المتصوفة في باب الولاية و النبوة كثير من هذه الانحرافات.

و هـذه الأقسـام التي أشـار اليها هؤلاء الأعلام لا تختص بزمان معين و لا بطريقة معينة من المتصوفة بل ان المتصوفة و ان تعددت الطرق التي ينتسبون اليها فانهم متفقون في منطلقاتهم و وسـائلهم و أهدافهم التي يرمون اليهـا فلكل قسم من هذه الأقسـام التي سـبق ذكرها أتبـاع و مريـدون ، فلـو نظرنا في متصوفة عصرنا الحاضر لوجدنا هذه الأقسام كلها موجودة بل و سـنجـد زيادة على هذه الأقسام و هذا ما سيظهر لنا ان شاء الله خلال بحثنا معهم في هذه الرسـالة.

و بما أننا لا نريد أن نتناول كل الأقسام التي ذكرت للتصوف بل نريد أن نكشف عن الأقسام المنحرفة عقديا من المتصوفة نريد أن نركـز بحثنا عن الأقسام الآتية من المتصـوفة و هي :

١ـ الصوفية الحلولية و هم القائلون بحلول الله في بعض مخلوقاته .

٢ـ الصـوفية الوجودية و هم القائلون بوحدة الوجود .

٣ـ الصوفية الاباحية و هم القائلون بسقوط التكاليف و اباحة المحرمات .

٤ـ الصـوفية القبورية و هم الداعون الى دعاء الأنبياء و الأولياء أحياءا و أمواتا من دون اله أو مع الله .

و لذا أرجو من قارئ هذه الرسالة أن يجعل في حسبانه هذا و ذلك حتى لا يتبادر من عنوان الرسالة بأن المقصود منها هو القول بأن جميع المتصوفة وقعوا في انحرافات عقـدية .

المبحث الثالث: مصادر التصوف:

ان التصوف مذهب عجيب و غريب ذلك لأن التصوف له روافد متعددة و مصادر مختلفة ، اذ هو متأثر بالثقافات المتنوعة و الديانات المختلفة سواء كانت هذه الديانات وثنية في الأصل كالبوذية و اليونانية أو كانت ديانات سماوية في الأصل كالمسيحية التي تأثرت بهذه الفلسفات التي سبق ذكرها .

ولذا أريد الآن أن أذكر أهم المصادر التي استقى منها المتصوفة أفكارهم ومبادئهم لاثبات أن هذه المصادر استمد منها المتصوفة نظرياتهم التي تصطدم مع العقيدة الاسلامية اصطداما صريحا و خاصة العقائد الالحادية كالقول بوحدة الوجود و الحلول و الاتحاد و ادعاء تلقي العلوم عن طريق ما يسمونه الاشراق بدون دراسة و لا تعلم بل عن طريق المجاهدة و التي يعني بها المتصوفة تعذيب الجسد حتى تبقى الروح صافية فينكشف لها الغيبيات ، و لنبدأ بالأفلاطونية اليونانية :

المصدر الأول : الأفلاطونية اليونانية الغربية (١) :

ان أثر الفلسفة اليونانية لدى الصوفية واضح جدا و يتمثل هذا الاثر في

---

(١)— ولد أفلاطون عام ٤٢٧ في عهد ديوتيمس و كان لا يزال في مستهل الطفولة حين توفي والده و بعد انتهاء طفولته رعاه عبد مسن كان يقوده الى المدرسة وهو أحد الفلاسفة اليونانيين الذين برعوا في الفلسفة و اليه تنسب الفلسفة الأفلاطونية اليونانية الوثنية . انظر أفلاطون تعريب محمد اسماعيل ص ٦

نظريات المتصوفة الآتية وهي نظرية القول بوحدة الوجود والحلول والاتحاد فهذه النظريات كلها قال بها فلاسفة اليونان ، كما نقل عنهم عبد القادر محمود (انه لا يوجد شيء الا الله وأن كل شيء غير الله ليس الا مظاهر خارجية وأحوال لله)(١)

وقال أبو الريحان البيروني : (ان قدماء اليونانيين قبل ظهور الحكمة فيهم بالسبعة المسميين أساطين الحكمة) وقد سماهم باسمائهم .. ثم قال : (كانوا على مثل مقالة الهند وكان بينهم من يرى أن الأشياء كلها شيء واحد .... ومنهم من كان يرى الوجود الحقيقي للعلة الأولى فقط لاستغنائها بذاتها فيه وحاجة غيرها اليها وأن ما هو مفتقر في الوجود الى غيره فوجوده كالخيال غير حق والحق هو الواحد الأول فقط ...) ثم قال : (وكذلك ذهبوا الى أن الموجود شيء واحد وأن العلة الأولى تتراءى فيه بصور مختلفة وتحل قوتها في أبعاضه بأحوال متباينة توجب التغاير مع الاتحاد)(٢)

فالنصان السابقان يثبتان لنا بأن عقيدة وحدة الوجود قال بها اليونانيون ، وهذه العقيدة تعني أن كل شيء في هذا الوجود هو الله وما هذه الأشياء الموجودة في هذا الكون من حيوان وانسان وغيرهم الا مظاهر ومجال لله سبحانه وتعالى ، وهذا حسب زعم القائلين بها والا فهي عقيدة باطلة ومرفوضة نقلا وعقلا وبما أننا لا نريد في هذا المبحث الا المقارنة بين

---

(١) ـ الفلسفة الصوفية في الاسلام ، د / عبد القادر محمود ص ٣٠

(٢) ـ تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة ص ٢٤ ـ ٢٥

عقائد المتصوفة و الفلاسفة اليونانيين حتى نثبت استمداد المتصوفة منهم بعض عقائدهم لنترك بيان بطلان هذه العقيدة للفصل الخاص بها . (١)

و من النصوص التي تثبت بأن المتصوفة قالوا بمثل ما قال به اليونانيون و أنهم يعتقدون نفس هذه العقيدة الوثنية :

قول ابن عربي و الذى قاله لتقرير عقيدة وحدة الوجود :

فلولاه لما كنا ولولا نحن ما كانا

فان قلنا بأنا هو يكون الحق ايانا

فيظهرنا ليظهر هو سرارا ثم اعلانا (٢)

فهذه الأبيات كلها واضحة فيها عقيدة وحدة الوجود و بالأخص في البيت الأخير و هو قوله : (فيظهرنا ليظهر هو) فقد صرح في هذا البيت بأن كل هذه المخلوقات خلقها الله ليظهر فيها هو .

و يقول أيضا :

الرب حق و العبد حق يا ليت شعرى من المكلف

ان قلت عبد فذاك حق أو قلت رب أنى يكلف (٣)

و يقول صاحب كتاب هتك الأستار في علم الأسرار :

(العالم موجود بوجود الحق و هو منقطع النظر عن الحق غير موجود في

---

(١) — انظر ص ٢٧٣ — ٢٨٤

(٢) — الفتوحات المكية لابن عربي ٢ / ٥٩ نقله عنه الشقفة في كتابه التصوف بين الحق و الخلق . ص٦٨

(٣) — التصوف بين الحق و الخلق لشقفة ص٦٨

عينـه اذ لا وجود له من ذاته و لا وجود لظل بلا وجود شخص)(١)

و قـال أيضـا في مكان آخر من نفس الكتـاب: (ان الحق المنزه عـن الأكوان هو بعينه الخلق المشبه و ان قد تميز الخلق بامكانه من الخالـق فالشيء الذى هو الخالق هو المخلوق بعينه لكن في مرتبة أخرى غير مرتبـة الخالقيـة) (٢)

فالمقارنة بين النصـوص المتقدمة التي أوردناها من الطرفين اليوناني و الصـوفي نماذج لاثبات أن الأفلاطونية اليونانية مصدر من مصادر التصوفة تثبت لنا بأن بين الطرفين تطابقا كاملا في القول بوحدة الوجود و التي هـي تعتبر من أخطر العقائد الفاسدة التي لا يمكن أن يبقى للانسان الـذى يعتقـدها اسلام لأنالقول بوحدة الوجود يعني أن كل ما في هذا الكون يطلق عليه (الله) و ما الأشياء الموجودة في هذا الكون الا مظاهر و مجال لله سبحانه و تعالى و هذا الحاد صـريح .

و قـد نقـل القول بوحدة الوجود عن كثير من علماء التصـوف و فـي مقدمتهم محي الدين بن عربي كما سبق و الحلاج وعبد الكريم الجيـلـي و عبد الغني النابلسي و أحمـد التيجاني و غيرهم من غلاة المتصوفة .

و لكن لا نجد أحدا خدم فكرة وحدة الوجود كابن عربي حيث حاول مزج تاريخ كل نبي من الأنبياء بروح نظرية وحدة الوجود و حاول أن يضعها تحت

---

(١) ـ دائرة معارف القرن العشرين لمحمد فريد وجدى ١٠/١٧٨ .

(٢) ـ المرجع السابق ١٠/١٧٩ .

حماية كل نبي و ذلك عن طريق تأويل الآيات القرآنية و تحريفها عن معانيها من أجل تأييد نظريته الالحادية الوثنيـة ألا و هي القول بوحدة الوجود .

فقد ألف كتابا كاملا لأجل هذا الغرض و تعرض للآيات التي تتكلـم عـن الأنبياء و فسرها كلها تفسيرا باطنيا بحتا و حاول تمييع معنى الآيـات القرآنيـة لتأييـد فكرتـه الخبيثة مبتدءا بآدم عليه السلام و منتهيا بخاتـم الأنبياء و المرسلين محمد صلى الله عليه و سلم و هذا الكتاب هو كتابه المسمى بفصـوص الحكم ، فالكتاب من أوله الى آخره زندقة و كفـر بواح .

و اليك انموذجا من تفسيره الغريب في نفس الكتاب حيث يقول في " فص حكمة قدسية في كلمة ادريسية " :

(و من أسمائه العلي ، على من ؟ و ما ثم الا هو فهو العلي لذاته ، أو عن ماذا ؟ و ما هو الا هو ، فعلوه لنفسه و هو من حيث الوجود عين الموجودات فالمسمى محدثات هي العلية لذاتها و ليس الا هو . . . . فهو الأول و الآخـر و الظاهر و الباطن فهو عين ما ظهر و هو عين ما بطن فهو ظاهر لنفسه باطن عنه و هو المسمى أبا سعيد الحزاز و غير ذلك من أسماء المحدثات) (١)

و المقصـود أن كل من يقرأ في كتب ابن عربي سيلاحظ بأن الرجل عنـده مقدرة على التلاعب بالألفاظ و أنه يفسر النصوص القرآنية و الحديثية حسب هواه بحيث توافق فكرتـه التي استوردها من وثني اليونان و الهنود .

و بما أننا سنتحدث الآن في العقيدة الثانية التي أخذها المتصوفة مـن

---

(١) — فصوص الحكم ص ٧٧ .

فلاسفة اليونان و هو القول بالحلول فاننا نرى من اللازم أن نذكر الفرق بين الحلول ووحدة الوجود فنقول :

((الفرق بين الحلول ووحدة الوجود أن الحلول هو وجود حقيقتين مختلفتين "الالهية" و "البشرية" و قيام الأولى بالثانية تحت ظروف خاصة بينما يرى أصحاب وحدة الوجود وحدة ذاتية لجميع الأشياء مع تعدد مظاهرها)) (١)

العقيدة الثانية التي أخذها غلاة المتصوفة من فلاسفة اليونان عقيدة القول بحلول الخالق في المخلوق ، فاليونانيون قالوا بالحلول و اليك النصوص التي تثبت ذلك :

يقول أفلاطون حاكيا كيفية اتحاده بالله حسب زعمه :

(و قد حدث مرات عدة أن ارتفعت خارج جسدي بحيث دخلت نفسي كنت حينئذ أحيا و أظفر باتحاد مع الاله ، يجب علي أن أدخل في نفسي و من هنا أستيقظ و بهذه اليقظة أتحد بالله)

ثم ان تعريف أفلاطون لسقراط في قوله : (اعرف نفسك) يؤكد لنا بأن منهجه الذي دخل الأفق الصوفي يقتضي أن ينطوى الانسان على نفسه و يسد كل المنافذ التي تربط بينه و بين العالم الخارجي ، و الأفلاطونية تحاول الارتفاع بالمتناهي الى مقام اللا متناهي و باتحاد الانسان بالله عبر صعق الفناء (٢) و هو عين ما أخذه البسطامي و الحلاج و غيرهما من غلاة

---

(١) — الاسلام و الفلسفات القديمة لأنور الجندي ص١٣٧ ط دار الاعتصام.

(٢) — انظر الفلسفة الصوفية في الاسلام د / عبد القادر محمود ص٣٣—٣٤ باختصار.

المتصوفة القائلين بالحلول و الاتحاد و سأورد نصوصا منقولة من كتب المتصوفة تثبت ذلك بعد قليل .

و قد أورد أبو الريحان البيروني عن أفلاطون العبارة الآتية :

(ان المنصرف بكليته الى العلة متشبها بها على غاية امكانه يتحد بها عند ترك الوسائط و خلع العلائق) (١)

فهذا النص الذى أورده أبو الريحان البيروني عن " أفلاطون " يثبت لنا بأن القول بامكانية حلول الخالق في المخلوق أو اتحاده به عقيدة يونانية وثنية .

و المقصود أنه يجب على النفس الانسانية في النظرية الأفلاطونية أن ترجع من حالة التبدد و الكثرة الى حال الوحدة المطلقة التي تكون فيها النفس في حال الفناء و المحو و يصبح كل شيء في حال عماء تسميه الدوائر الصوفية حال الغراب الأسود كما أسمته الدوائر المسيحية الصوفية الليلة الظلماء فاذا ارتفع الانسان من مرتبة الفناء و المحو بعد أن يجتاز جسر القلق و التردد و الخوف الى مرتبة الطمأنينة بعد مرتبة الصعق أصبح و كأنه هو الله أى بأنه الله .(٢)

و حين يفصل أفلاطون في هذه الحالة يؤكد أنها تأتي لا بالاختيار بل تتلقاها النفس و كأنها نور يهبط عليها و هو هنا يؤكد لنا وحدة الشهود في هذا الاتحاد و البقاء عبر الفناء .(٣)

---

(١) — تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة ص ٢

(٢) — الفلسفة الصوفية في الاسلام للدكتور عبد القادر محمود ص ٢

(٣) — نفس المرجع ص ٣٠

والآن وبعد أن أثبتنا بأن عقيدتي الحلول والاتحاد من عقائد فلاسفة اليونان الوثنيين اليك نصوصا تثبت لنا بأنهم قالوا بمثل ما قال به اليونانيون في امكانية حلول الخالق في المخلوق واتحاده به :

ولنبدأ بالحلاج الذى يعتبر المؤسس الأول لعقيدة الحلول في الأوساط الصوفية فقد قال مبينا الأمور التي اذا قام بها الانسان يحل فيه روح الله :

(من هذب نفسه في الطاعة وصبر على اللذات والشهوات ارتقى الى مقام المقربين ثم لا يزال يصفو ويرتقي في درجات المصافات حتى يصفو عن البشرية فاذا لم يبق فيه من البشرية حظ حل فيه روح الاله الذى حل في عيسى بن مريم ولم يرد حينئذ شيئا الا كان كما أراد وكان جميع فعله فعل الله)(١)

ومن زعماء المتصوفة القائلين بالحلول أيضا أبو يزيد البسطامي فقد ذكر هذا الرجل بأنه رفع الى الله مرة وأجرى مع الله محادثات طلب فيها من الله أن يحل به وذلك حسب زعمه وهذا هو النص حرفيا :

فقد قال : (رفع بي مرة حيث قمت بين يديه فقال لي : يا أبا يزيد ، ان خلقي يحبون أن يروك . قلت : يا عزيزى وأنا أحب أن يروني . فقال : يا أبا يزيد اني أريد أن أريكهم . فقلت : يا عزيزى ان كانوا يحبون أن يروني وأنت تريد ذلك وأنا لا أقدر على مخالفتك قربني بوحدانيتك والبسني ربانيتك وارفعني الى أحديتك حتى اذا رآني خلقك قالوا رأيناك فيكون أنت ذاك ولا أكون أنا هناك ففعل بي ذلك) (٢)

---

(١) — دائرة معارف القرن العشرين لمحمد فريد وجدى ١٠/٣٥٤

(٢) — اللمع للطوسي ٤٦١

و يقول عبد الكريم الجيلي (١) واصفا حلول الله في الخلق :

(اذا تجلت ذات الحق سبحانه و تعالى على عبده بصفة من صفاتهـــا سبح العبد في فلك تلك الصفة الى أن يبلغ حدهـــا بطريق الاجمال لا بطريق التفصيل لأن الصفاتين لا تفصل لهم الا من حيث الاجمال فاذا سبح العبـــد في فلك صفة و استكملهـــا الاجمال استوى على عرش تلك الصفة فـكـان موصوفا بها فحينئذ تتلقـاه صفة أخرى فلا يزال كذلك الى أن يستكمل الصفات جميعها . . .) الى أن قال : (فاذا أقام الحق لطيفة من ذاته عوضا عن العبد كان التجلي على تلك اللطيفة فما تجلى الا على نفسه لكنا نسمي تلك اللطيفـة الالـهية عبـدا باعتبار أنها عوض عن العبد و الا فلا عبـد و لا رب اذ بانتفاء المربوب انتفى اسم الرب فما ثم الا الله وحده الواحد الأحـد) (٢)

و قال في مكان آخر في معرض حديثه عن كيفية حلول الله في المخلوقـات :

(و اعلم أن تجليات الصفات عبارة عن قبول ذات العبد الاتصاف بصفات الرب قبولا أصليـا حكميـا قطعيـا كما يقبل الموصوف الاتصاف بالصفة) (٣)

---

(١) ــ عبد الكريم الجيلي هو عبد الكريم بن ابراهيم بن عبد الكريم الجيلي بـن سبط الشيخ عبد القادر الجيلاني من علماء الصوفية الكبار له كتب كثيرة منها : الانسان الكامل في معرفة الأوائل والأواخر و المناظر الالهية و مراتب الوجود و قاب قوسيـن و غيرها . انظر الأعلام للزركلي ٤ / ١٧٥

(٢) ــ الانسـان الكامل لعبد الكريم الجيلي ١ / ٦٢

(٣) ــ نفس المرجع ١ / ٦٣

فهذه النصوص المتقدمة منقولة عن زعماء المتصوفة كلها تدور حول القول بالحلول والاتحاد وبالمقارنة البسيطة بين هذه النصوص التي نقلت عن أئمة التصوف وبين أقوال فلاسفة اليونان يتضح لنا بأن عقيدتي الحلول والاتحاد أخذهما المتصوفة من فلاسفة اليونان الوثنيين ولذا نقول ان الفلسفة اليونانية تعتبر من أهم المصادر للمتصوفة المتفلسفة كالحلاج والبسطامي وابن عربي وغيرهم ممن سار على نهجهم من المتصوفة الى يومنا هذا .

ومقصدنا هنا هو الاثبات بأن الفلسفة اليونانية تعتبر من أهم مصادر الفكر الصوفي الفلسفي وقد أثبتنا ذلك والحمد لله بايراد نصوص من الطرفين اليوناني والصوفي وتبين لنا من خلال النصوص المنقولة من الطرفين بأن القول بالحلول والاتحاد بالله مصدره الفكر اليوناني الفلسفي فبهذا يتبين لنا بأن عقيدتي الحلول والاتحاد عقيدتين وثنيتين دخيلتين على الاسلام والاسلام برىء من الذى يعتقد بهاتين العقيدتين ولا أريد هنا أن أتعرض لمناقشة القول بالحلول والاتحاد وابطاله بالأدلة لأن هذا له مجاله ان شاء الله وسوف أناقش ذلك في الباب الثاني من هذه الرسالة .(١)

المصدر الثاني : أديان الهند الوثنية :

ان كل من يقرأ في كتب المتصوفة بامعان ويفهمها جيدا سيدرك بأن المتصوفة قد تأثروا الى حد كبير بأديان الهند القديمة في تعاليمهم وفلسفتهم وأورادهم وأذكارهم ولا يشك أحد في وجود الأثر الهندى الوثني في الفكر الصوفي بل ان كبار الكتاب عن التصوف والباحثين فيه من المستشرقين والمسلمين بل وحتى من الصوفية أنفسهم أقروا بوجود الأثر الهندى في الفكر الصوفي وذلك

---

(١) — انظر ص ٣٢٣ — ٣٢٨ وكذلك ٢٧٣ — ٢٨٤

لأنه حقيقة واضحة لا يمكن انكارها و بما أن مقصودنا هنا هو اثبات أن أديان الهند القديمة مصدر من مصادر التصوف أريد أن أذكر نماذج فقط لاثبات العلاقة بين المتصوفة و الوثنيين الهنود ، و قد اخترت النموذجين التاليين لذلك و هما :

أولا : القول بالحلول :

ان الاعتقاد بالحلول مأخوذ من العقائد الهندية الوثنية ، فالهنود قد قالوا بالحلول في كتبهم التي كتبها لهم الكهنة و السحرة .

(ولقد سئل أرجن باسديو فقيل له : كيف مثال براهم في العالم ؟ قال باسديو : تتوهمه شجرة أشوت ـ و هي معروفة عندهم من كبار الأشجار و هي معكوسة الوضع ،عروقها في العلو و غصونها في السفل قد غزر غذاؤها حتى غلظت و انبسطت فروعها و تشبثت بالأرض فعلقت بها و تشابه في الجهتين فروعها و عروقها فاشتبهت ـ فبراهم من هذه الشجرة عروقها العليا و ساقها (بيذ) و غصونها الآراء و المذاهب و أوراقها الوجوه و التفاسير و غذاؤها بالقوى الثلاثة و استغلاظها و تماسكها بالحواس و ليس للعاقل سوى قطعها فاذا تم له قطعها طلب من عند منشئها موضع القرار الذى يعدم فيه العود و اذا نالـه فقد خلف أذى الحر و البرد وراءه ووصل من ضياء النيرين و النيران الى الأنوار الالهية .)

ثم قال البيروني : (و الى طريق بانتجل ذهبت الصوفية في الاشتغال بالحق) ثم ذكر أمثلة لذلك من أقوال الصوفية أنفسهم و من الأدلة التي ذكرها قول الصوفية الآتي :

(ما دمت تشير فلست بموحد حتى يستولي الحق على اشارتك باخفائهـــا عنك فلا يبقى مشير و لا اشـــارة) (١)

و من الأدلة التي ذكرها البيروني على قول الصوفية بالحلول متأثرين بأقوال الهند القديمة قول الشبلي: (اخلع الكل تصل الينا بالكلية فتكون و لا تكـــون اخبارك و فعلك فعلنـــا) (٢)

و استدل أيضا بقول أبي يزيد البسطامي حينما سئل : بم نلت ما نلت ؟ قال : اني انسلخت من نفسي كما تنسلخ الحية من جلدها ثم نظرت الى ذاتي فاذا أنا هـــو .) (٣)

فالنصوص التي نقلها عنهم البيروني كلها تدل دلالة صريحة بأن المتصـــوفـــة يؤمنون بنظرية الحلول و هي كما ترى عقيدة هندية وثنية الحادية دخيلة علـــى الاسلام فالفناء الصوفي الذى يسعى أصحابه للحلول و الفناء الهندى الـــذى يعبرون عنه "بالنرفانا" و كلمة النرفانا من جملة معانيها الحلول (٤) فبيـــــن الفنائين الصوفي و الهندى تطابقا كاملا .

و من هنا نقول ان صلة الفكر الصوفي بالفكر الهندى الوثني قوية جدا .

ثانيا : من العقائد التي أخذها المتصوفة عن الهنود الوثنيين القول بوحـــدة الوجـــود :

فالقـــول بوحدة الوجود قال به الهنود و قد ذكر هذا أبو الريحان البيروني

---

(١)—(٢)—(٣)— تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة للبيروني ١ / ٦٥—٦٦

(٤)— قصة الحضـــارة ، الديو لورنت ٣ / ٨٤

حيث قال : (قال "باسديو" في كتابه "كيتا": أما عند التحقيق فجميع الأشياء الهية لأن بـش جعل نفسه أرضا ليستقر عليها و جعله ماءا ليغذيهم و جعله نارا و ريحـا لينميهم و ينشئهم و جعله قلبا لكل واحد منهم و منح الذكر و العلم و ضديهما على ما هو مذكور في "بيد") (١)

و يقول الديورانت في كتابه قصة الحضارة :

(اذا بحثنا عن أخطر نظرية أخذهـا الجانب الصوفي في الاسلام عـن المصـدر الهندى وجدناهـا نظرية وحدة الوجود ، انها أساس جوهر "الفيدا" فالاله "براجاتي" هو خالق و خلق و العالم فيها لم ينشأ من العدم و انمـا أجزاؤه أبعاض الاله) (٢)

و لا شك أن ابن عربي رئيس الاتحادية في مدرسـة وحدة الوجود و ما سبقه من مدارس كالحلاج و أبي يزيد لبسطامي و ما لحقه من مدارس كعبد الكـريـم الجيلي و عبد الغني النابلسي و التيجاني و الرفاعي و غيرهم من زعماء الطـرق الصـوفية قد تأثروا تأثرا كبيرا بالأفكار الهندية الوثنية في قولهم بالحلول و الاتحاد و لا حاجة لنا هنا أن نورد نصوصا لاثبات أن المتصوفة يقولون بالحلول ووحـدة الوجود لأننا ذكرنـا عنهم نصوصا في المصدر الأول من مصادر التصوف و هـو المصدر اليوناني فانظره هناك فانه كاف لاقامة الحجة عليهم

و يقول الدكتور عبد القادر محمود : (وتبدو نظرية وحدة الوجود واضحـة

---

(١) — تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة ١ / ٣٠

(٢) — قصة الحضارة الديورانت ٣ / ٣٤ .

في "اليو بنشاد"(١) على الأخص حيث يؤكد في تعبيراته الشعرية أن الله والنفس الانسانية شيء واحد

فان خيل للانسان أنهما شيئان مختلفان فما ذاك الا لأن ادراكه أضيق من أن يرى اتحادهما)(٢)

ثالثا : من النظريات التي أخذها المتصوفة عن الهنود نظرية تعذيب النفس وحرمانها من الحياة السعيدة :

ان تعذيب النفس وتحميلها أكثر مما تطيقه وحرمانها من الأكل والشرب واللباس ما أخذه المتصوفة الا عن أديان الهند القديمة وخاصة البوذية فالمقارنة البسيطة بين سلوك بوذا وسلوك المتصوفة ترينا بوضوح مدى الصلة بين الطرفين الفكر الهندى والصوفي

واليك قصة بوذا :

فصاحب كتاب قصة الحضارة يروى لنا قصة بوذا فيقول :

(وفي ظلمة الصباح الباكر خلف بوذا المدينه على ظهر جواده يصحبه سائق عربته وقد تعلق يائسا بذيل الجواد . . .) ثم قال : (ووقف عند مكان اسمه "يوروفيلا" قلت لنفسي ان هذا المكان رائع وان هذه الغابة جميلة . . وهنا في هذا الموضع أخضع نفسه لأشد أنواع التقشف ولبث ستة أعوام يحاول أساليب "اليوجا"(٣) التي كانت قد ظهرت قبل ذلك في ربوع الهند

---

(١) — كتاب من كتب الهنود الوثنيين .

(٢) — الفلسفة الصوفية في الاسلام للدكتور عبد القادر محمود ص١١

(٣) — أى رياضة النفس.

وعاش على الحبوب والكلأ ومضى عليه عهد اقتات بالروث وانتهى به التدرج الى أن جعل طعامه حبة من الأرز كل يوم ولبس ثيابا من الوبر وانتزع شعر رأسه ولحيته لينزل بنفسه العذاب لذات العذاب وكان ينفق الساعات الطويلة واقفا أو راقدا على الشوك وكان يترك التراب والقذر يتجمع على جسده حتى يشبه في منظره شجرة عجوزا وكثيرا ما كان يرتاد مكانا تلقى فيه جثث الموتى مكشوفة ليأكلها الطير والوحش فينام بين هذه الجثث العفنة ...) ثم قال بوذا: (فضمر جسدى ضمورا شديدا وكان من أثر تقليل الطعام أن أصبحت العلامة التي أتركها على الأرض اذا ما جلست في هيئة أثر الخف يتركها البعير على الرمال وكان من أثر تقليل الطعام أن برزت عظام فقراتي ...) ثم قال المؤلف: (ان بوذا أدرك أن تعذيب النفس لا يمكن أن يحصل عن طريقه على المعرفة والعلم فأقلع عن الزهد وجلس تحت شجرة وارفة الظل وسأل نفسه ما مصدر ما يعانيه الانسان من أحزان وآلام وأمراض وشيخوخة وموت وهنا أشرقت عليه فجأة صورة للموت والولادة تعاقبان مجرى الحياة تعاقبا لا ينتهي)(١)

والخلاصة أن بوذا خرج من هذه المجاهدات القاسية بعقيدة تناسخ الأرواح والتي تعتبر العمود الفقرى لعقائد الهنود الوثنيين رغم أنه حسب زعمه كان يبحث عن الهداية وتطهير النفس ولكن بوذا أدرك أخيرا بأنه لا يمكن أن يصل الى مطلبه عن طريق التقشف الشديد ونبذ الحياة فانتقل أخيرا الى طريق آخر وهو طريق الراحة وحصل على النتيجة السابقة ومع ذلك فان المتصوفة قد ساروا على

---

(١)— قصة الحضارة ٣/ ٦٨—٧١ بتصرف واختصار طبع الادارة الثقافية لجامعة الدول العربية.

نفس الطريق الذى سلكه بوذا طالبا للهداية و الطهر و المعرفة حسب زعم بوذا و نحن هنا لا يهمنا في كون بوذا يسلك هذا الطريق أو غيره فالرجل وثني لا يعرف خالقه لا يعرف خالقه و لكن يهمنا أمر المتصوفة الذين سلكوا هذا الطريق الذى خطه هذا الوثني لأتباعه فأصبحوا يمارسون نفس الرياضات التي اتبعها بوذا طالبا للمعرفة و لذا سنرى خلال بحثنا الطويل مع المتصوفة بأن بحثهم عن الهداية و المعرفة عن طريق تعذيب النفس بالرياضات الشاقة لم توصلهم الى الهداية و انما وصلت بهم الى الضلال و الانحراف الخطير .

و حتى لا نكون تجنينا على المتصوفة في أن الطريق الذى سلكوه طلبا للمعرفة أخذوه من الديانة البوذية اليك نصوصا من بطون كتبهم و مقالات زعمائهم الكبار الذين يعتبرونهم قمة في المعرفة و الولاية كما يزعمون

فقد ذكر الهجويرى (١) عن أحد المتصوفة و هو أبي عشان المغربي بأنه في بداية حاله اعتزل عشرين سنة في البوادى بحيث لم يكن يسمع آدميا حتى ذابت بنيته من المشقة و صارت عيناه كسم الخياط و تحول عن صورة الآدميين و جاءه الأمر بالصحب بعد عشرين عاما ، و قيل له : اصحب الخلق . فقال لنفسه : فلأبدأ بصحبة أهل الله و مجاورى بيته ليكون ذلك أكثر بركة . فقصد مكة و أطلع المشايخ

---

(١) — هو علي بن عثمان من كبار أئمة الصوفية في القرن الرابع الهجرى وتظهرلنا مكانته بين الصوفية من خلال كتابه كشف المحجوب فقد ذكر فيه عقائد الصوفية وآدابهم و عباداتهم و سلوكهم وهو بحق يعتبر من المراجع المهمة في مجال الصوفية وهو من بلاد فارس وقد ترجم كتابه الدكتور سعاد قنديل ت١٩٧٤ هـ .

على مجيئه بقلوبهم و خرجوا لاستقباله فوجدوه و قد تبدلت صورته و في حال لم يكن قد بقي عليه فيها شيء سوى رق الخلقة (١)

و قال أبو طالب المكي : (قد كان الخواص لا يقيم في بلد أكثر من أربعين يوما و يرى أن ذلك علة في توكله فيعمل في اختبار نفسه و كشف حاله)(٢)

و حكى عن ابراهيم الخواص أنه قال : (مكثت في البادية أحد عشر يوما لم آكل و تطلعت نفسي أن آكل من حشيش البر فرأيت الخضر مقبلا نحوى فهربت منه ثم التفت فاذا هو رجع عني فقيل لم هربت قال تشوفت نفسي أن يغيثني ، فهؤلاء الفارون بدينهم)(٣)

و نقل الشعراني عن شيخه أمين الدين أنه قال :

(كان شخص من أرباب الأحوال بناحية شان شلمون (٤) بالشرقية جالسا في البرية و قد حلق على نفسه بزرب شوك و عنده داخل هذه الحلقة الحيات و الثعالب و الثعابين و القطط و الذئاب و الخرفان و الاوز و الدجاج)(٥)

---

(١) — كشف المحجوب للهجويرى ١ / ٤١٦

(٢) — قوت القلوب لأبي طالب المكي ٢ / ٤٢٨

(٣) — عوارف المعارف للسهروردى ٩٠

(٤) — مكان في مصر

(٥) — الطبقات الكبرى للشعراني ١ / ١٣٦

و ذكر الشعراني في طبقاته عن البدوى (١) أنه قال :

(كان طول نهاره و ليله قائما شاخصا ببصره الى السماء و قد انقلب سواد عينيه بحمرة تتوقد كالجمر و كان يمكث الأربعين يوما و أكثر لا يأكل و لا يشرب و لا ينام) (٢)

و ذكر الطوسي أن الشبلي كان يكحل بالملح ليعتاد السهر و لا يأخذه النوم و أحيانا كان يحمي الميل فيكحل به (٣)

و أما ابن الفارض فيقول عنه ابنه : (سمعت والدى ابن الفارض يقول : كنت في أول تجريدى أستأذن أبي و أطلع الى وادى المستضعفين بالجبل الثاني من المقطم و آوى فيه و أقيم في هذه السياحة ليلا و نهارا) (٤)

فهذه النصوص التي نقلتها عن المتصوفة توضح لنا بأن المتصوفة قد تأثروا تأثرا كبيرا بالبوذية في المجاهدات و الرياضات التي اتبعوها طلبا للمعرفة كما يزعمون هم فبوذا الوثني قد سلك طريق تعذيب النفس بأشق أنواع العذاب فتوصل أخيرا الى العقيدة الباطلة ألا و هي عقيدة تناسخ الأرواح و اتبعه

---

(١) — هو أبو العباس أحمد البدوى الشريف ولد بمدينة فاس بالمغرب ثم رحل أبوه الى مكة ٦٠٣هـ و عمره اذ ذاك سبع سنين و كان لكثرة ما يتلثم لقب بالبدوى و كانوا يسمونه في مكة العطاب فلما أحدث عليه حادث الوله تغيرت أحواله و اعتزل الناس و لازم الصمت ثم سافر الى العراق ومنها الى مصر و استقر في طنطا، ت ٦٨٦هـ انظر جمهرة الأولياء للمنوفي ٢/٢٣٧

(٢) — الطبقات الكبرى للشعراني ١/١٨٣

(٣) — اللمع للطوسي ٢٧٥

(٤) — جمهرة الأولياء للمتوفي ٢/٢٤٦

المتصوفة في سلوكه فوصلوا عن طريق هذه المجاهدات الى ادعاء تلقي العلوم عن الله و امكانية حلول الله في مخلوقاته و بما أننا لا نريد هنا مناقشة المتصوفة في هذا السلوك المشين الذى أخذوه عن وثنيي الهند بل قصدنا هنا هو الاثبات بأن أديان الهند الوثنية تعتبر مصدرا هاما من مصادر التصوف و قد أثبتنا ذلك و الحمد لله بايراد نصوص من الطرفين البوذى و الصوفي فلنكتفي بهذا .

و تأكيدا لما قلته بأن أديان الهند الوثنية تعتبر مصدرا هاما من مصادر التصوف اليك نبذة من أقوال الباحثين في مجال التصوف من المسلمين و غيرهم من الكتاب المستشرقين

فقد كتب الأستاذ أبو العلاء العفيفي في ثنايا بحثه عن المشتغلين بالدراسة عن التصوف من المستشرقين فقال :

(أما ريتشورد هارتمان ، و ماركس هورتين فنزعتهما واحدة و هي أن التصوف يستمد أصوله من الفكر الهندى و ان كان هورتين قد بذل من المجهود في اثبات هذه النظرية ما لم يبذله أى كاتب آخر فقد كتب في سنتي ١٩٢٧—١٩٢٨م مقالتين حاول أن يثبت في احداهما بعد تحليل تصوف الحلاج و البسطامي و الجنيد أن التصوف الاسلامي في القرن الثالث الهجرى كان مشبعا بالأفكار الهندية و أن الأثر الهندى أظهر ما يكون في حالة الحلاج .

و في المقالة الثانية أيد النظرية نفسها عن طريق بحث المصطلحات الصوفية الفارسية و انتهى الى أن التصوف الاسلامي هو بعينه مذهب الفيدانتا الهندية .

و استند هارتمان في اثبات دعواه الى النظر في الصوفية أنفسهم و في مراكز الثقافة القديمه التي كانت منتشرة في بلادهم و احتج هذا الكاتب لاثبات دعواه

بما يلي :

أولا : أن معظم أوائل الصوفية من أصل غير عربي كابراهيم بن أدهم و شقيق البلخي و أبي يزيد البسطامي .

ثانيا : أن التصوف ظهر أولا و انتشر في خراسان .

ثالثا : أن تركستان كانت قبل الاسلام مركز تلاقي الديانات و الثقافات الشرقية و الغربية فلما دخل أهلها الاسلام صبغوه بصبغتهم الصوفية القديمة .

رابعا : أن المسلمين أنفسهم يعترفون بوجود الأثر الهندى في التصوف .

خامسا : أن استعمال الزهاد للمخلاة في سياحتهم و استعمالهم للسبح عادتان هنديتان)(١) .

و يقول جولد زيهر :

(ان نظرية الصوفيين في فناء الشخصية هي التي تقترب وحدها من فكرة الجوهر الذاتي "أتمان" اذا لم تكن تتفق معها تماما و يطلق الصوفيون على هذه الحالة لفظ الفناء أو المحو أو الاستهلال)(٢) .

و الخلاصة التي نخرج بها هو أن الديانات الهندية القديمة تعتبر من أهم المصادر التي استقى منها المتصوفة بعض عقائدهم و سلوكهم و قد اتضح لنا ذلك من خلال ايراد النصوص من الطرفين الصوفي و البوذى و من خلال أقوال الكتاب و الباحثين الذين اهتموا بالدراسات في مجال التصوف .

---

(١) — مقدمه كتاب : في التصوف الاسلامي و تاريخه لنيكسون ص (ح ، ط)

(٢) — العقيدة و الشريعة في الاسلام لجولد زيهر ترجمة عربية ص١٦٢

المصدر الثالث من مصادر التصوف: المسيحية المحرفة:

جاء الاسلام و زالت بمجيئه نظريات الرهبنة و التبتل و الهروب الى الصحارى و الغارات و ترك الأهل و الأولاد و اعتزال المجتمعات بحجة تطهير النفس و تربيتها و صار للرهبنة في الاسلام مفهوم جديد يخالف تماما ذاك المفهوم الذى كان عليه سابقا في العهود الماضية قبل الاسلام فقد صارت الرهبنة رمز الجهاد في سبيل الله سبحانه و تعالى و مقارعة الأعداء و الدخول في خضب المعارف بعد أن كانت رمزا للخلوات المظلمة التي كثيرا ما تكون هذه الخلوات المظلمة مأوى لمردة الشياطين و التبتلات و قطع العلائق مع البشرية الذى نتج عنه الخلل العقلي و الخيالات ، و لما جاء رجل الى النبي صلى الله عليه و سلم مستوصيا قال له النبي صلى الله عليه و سلم : (وعليك بالجهاد فانه رهبانية الاسلام)(١)

لكن التصوف أعاد مفهوم الرهبنة السابق الى الأمة الاسلامية و دعا الى الخلوات المظلمة و الى الهروب عن الناس و الى ترك التزوج و دعا الى تطهير الروح عن طريق تعذيب الجسد بأنواع من المجاهدات الشاقة القاتلة و الى لبس الصوف الخشن من الثياب عامة و تجويع النفس لتطهيرها و السياحة في البلاد و لذلك فالمتصوفة كانوا يستمعون الى مواعظ الرهبان و أخبار رياضاتهم الروحية حتى يقتدوا بهم في سلوكهم ، و كتب المتصوفة مليئة بقصص كثيرة مروية عن رهبان النصارى .

---

(١) — أخرجه أحمد في المسند ٣/٢٦٦ و انظر سلسلة الأحاديث الصحيحة ٢/٨٧

و اليك نموذجا لذلك من كتاب احياء علوم الدين للغزالي و هو يدل على حرص الصوفية على الاستفادة من رياضات رهبان النصارى فقد أورد الغزالي عن ابراهيم بن أدهم و هو يعتبر من الرجال الذين يشار لهم بالبنان في الأوساط الصوفية :

(قال ابراهيم بن أدهم : تعلمت المعرفة من راهب يقال له سمعان .

دخلت عليه في صومعته .

فقلت : يا سمعان منذ كم كنت في صومعتك ؟ قال : منذ سبعين سنة .

قلت : فما طعامك؟ قال : يا حنيفي و ما دعاك الى ذلك؟ قلت : أحببت أن أعلم

قال : في كل ليلة حمصة . قلت : فما الذى يهيج من قبلك حتى تكفيك هذه الحمصة؟

قال : ترى الدير الذى بحذائك؟ قلت : نعم . قال : انهم يأتون كل سنة يوما واحدا

فيزينون صومعتي و يطوفون حولها و يعظموني فكلما تثاقلت نفسي عن العبادة

ذكرتها عز تلك الساعة فأنا أحتمل جهد سنة لعز ساعة فاحتمل يا حنيفي جهد

الساعة لعز الأبد .

قال ابراهيم بن أدهم : فوقع في قلبي المعرفة .

فقال : حسبك أو أزيدك؟ قلت : بلى . قال : انزل عن الصومعة . فنزلت فأدلى

لي بركوة فيها عشرون حمصة) (١)

و قال الغزالي أيضا بأنه لا وصول الى الله سبحانه و تعالى الا بالتنزه عن

الشهوات و الكف عن اللذات و التجرد لله في الحركات و السكنات .

---

(١) — الاحياء ٣/٢٣٤

ثم بدأ يثني على انفراد رهبان النصارى عن الخلق و اعتزالهم في قمم الجبال بعدا عن الخلق و طلبا للأنس بالله عزوجل و ذكر أن الله أثنى عليهم لذلك بقوله :

((ذلك بأن منهم قسيسين و رهبانا و أنهم لا يستكبرون)) (١)

بالاضافة الى ذلك أن الغزالي قد شحن كتابه الاحياء بروايات كثيرة منسوبة الى المسيح في التعبدات و الأمثال و الحكم و الأحكام (٢)

و أن أثر المسيحية و الفلسفة الأفلاطونية الحديثة و الفلسفة البوذية عامل لا سبيل الى انكاره في تكوين التصوف الاسلامي و قد كانت هذه المذاهب و الفلسفات متغلغلة في الأوساط التي عاش فيها المتصوفة فلم يكن مخرج من أن تترك طابعها في مذاهبهم . (٣)

و أخطر مسألة تأثر فيها المتصوفة بالمسيحية المحرفة هي مسألة الحلول

ففي المفهوم المسيحي لطبيعة المسيح عليه السلام تتمحور المواقف حول وجهين لشخصية المسيح هما اللاهوت الذى حل في الناسوت ، فالمسيح وفق مفهوم أوريجنس و هو فيلسوف مسيحي هو كلمة و عقل حل في عيسى الانسان و بهذا المعنى يكون المسيح قد بدأ و ظهر أو تجلى في شخص عيسى عليه السلام و فكرة الحلول هذه تفيد أن عيسى انسان الهي صورته الخارجية صورة انسان و طبيعته الداخلية مما ينتمي للاله فهو من طبيعتين امتزجتا و صارتا طبيعة واحدة انه

---

(١) — سوره المائدة آية ٨٢

(٢) — انظر الاحياء ١ / ٢٦٦

(٣) — في التصوف الاسلامي و تاريخه نيكلسون ٤٢ — ٤٣

مركب من الناسوت و اللاهوت كما يزعمون .(١)

و كل المسيحيين يعتقدون بحلول الله في المسيح و لكنهم اختلفوا في كيفية الاتحاد و التجسد ففرقة ترى أنه اشراق النور على الجسد المشف و فرقة ترى أنه انطباع النقش في الشمعة و فرقة ترى أنه ظهور الروحاني بالجسماني و فرقة ترى أن اللاهوت تدرع بالناسوت و فرقة ترى أن الكلمة مازجت جسد المسيح ممازجة اللبن بالماء .

أما حقيقة الله عند المسيحية المحرفة فهو أنه جوهر واحد غير متحيز و ليس بذى حجم بل قائم بالنفس و هو واحد بالجوهرية ثلاثة بالأقنومية .

و الأقانيم هي الصفات الوجود و الحياة و العلم . . . الأب و الابن و روح القدس .

و لكن العلم من بين تلك الصفات تدرع و تجسد دون سائر الأقانيم .

و القاضي عبد الجبار يرى أن فرق المسيحية الثلاثة اتفقت على أن الخالق جوهر واحد ثلاثة أقانيم و أن أحد هذه الأقانيم أب و الآخر ابن و الثالث روح القدس و أن الابن هو الكلمة و الروح هي الحياة و الأب هو القديم الحي المتكلم . . .

و مضى القاضي عبد الجبار يقول : ان المسيحيين جميعا اتفقوا على أن الابن اتحد بالشخص الذى يسمونه المسيح وأن ذلك الشخص ظهر للناس و صلب و قتل أما في كيفية صلبه فقد آمن المسيحيون أنه قتل و صلب و لكنهم اختلفوا هل

---

(١) ــ التصوف منشؤه و مصطلحاته د / أسعد السحراني ص٤٥ ط دار النفائس

القتل ورد على الجزء اللاهوت أم ورد على الجزء الناسوت أم على الجزءين معا ثم قام و صعد (١)

و قال أبو علي الجبائي أن المسيحيين جميعا متفقون على أن الكلمة هي الابن و أن الذى له الروح و الكلمة هو الابن و الثلاثة في رأى المسيحيين جميعا اله واحد و خالق واحد و أنها من جوهر واحد (٢)

و تابع بعض غلاة الصوفية المسيحيين في القول بالحلول حيث زعموا أن الحق اصطفى أجساما حل فيها بمعنى الربوبية و أزال عنها معاني البشرية و الأجسام التي اصطفاها الله تعالى أجسام أولياءه و أصفياءه اصطفاها بطاعته و خدمته و زينها بهدايته و بين فضلها على خلقه و هذا حسب زعم المتصوفة . (٣)

و من الأدلة على ذلك قول الصلاح في الأبيات الآتية :

سبحان من أظهر ناسوته ... سر سنا لاهوته الثاقب

ثم بدا في خلقه ظاهرا ... في صورة الآكل و الشارب

حتى لقد عاينه خلقه ... كلحظة الحاجب بالحاجب (٤)

و الحلولية ليست من الاسلام في شيء كما ذكرناه سابقا في بحث موضوع تأثر الصوفية بالديانات الهندية و الفلسفة اليونانية . (٥)

---

(١) — انظر الملل و النحل للشهرستاني ٢/٣٣—٤٤

(٢) — نفس المرجع ٢/٣٩—٤٤

(٣) — معجم مصطلحات الصوفية للدكتور عبد المنعم الحفني بيروت دار المسيرة ط ١—١٤٠٠

(٤) — تلبيس ابليس لابن الجوزى بيروت دار الكتب العلمية ١٧١

(٥) أنظر ٥٩

و لذلك نقول ان ما ظهر من هذا القبيل عند بعض المتصوفة هو من تأثير الحلولية المسيحية على الصوفية .

و يكفي هذا بايجاز و سنتعرض للموضوع بالتفصيل في الفصل القادم لأن مقصودنا في هذا الفصل هو مجرد اثبات بأن المسيحية مصدر من مصادر الأفكار الصوفية . (١)

و قد دعا كثير من المتصوفة الى البعد عن الزواج و هذه نماذج من أقوال مشائخهم الكبار :

قال السهروردى : (التزوج انحطاط من العزيمة الى الرخص و رجوع من الترمح الى النقص و تقييد بالأولاد و الأزواج و دوران حول مظان الاعوجاج و التفات الى الدنيا بعد الزهادة و انعطاف على الهوى بمقتضى الطبيعة و العادة) (٢)

و نقل أبو طالب المكي عن قطب من أقطاب الصوفية الأوائل أبي سليمان الداراني المتوفي سنة ٢١٥هـ أنه قال : (من تزوج فقد ركن الى الدنيا) (٣)

و هذه العبارات كلها المقصود منها هو التنفير عن الزواج و هذا خطأ كبير منهم و انحراف عن منهج خاتم الأنبياء و المرسلين محمد بن عبد الله عليه الصلاة و السلام و الخير كل الخير في اتباع هديه و الشر كل الشر في مخالفته و هذه الأمور انما ورثها المتصوفة من الرهبان النصارى الذين يمتنعون عن الزواج

---

(١) انظر ٣٠٦ — ٣٢٩

(٢) — انظر عوارف المعارف للسهروردى ص ١٠٤

(٣) — انظر قوت القلوب لأبي طالب المكي ٢٥٢/١ دار صادر بيروت .

فيفسدون البنـــات في الأديرة لأن كبت الغريزة الجنسية بهذه الطريقـة أمر من الصعوبة بمكان فالزواج هو السبيل الوحيد لبقاء الجنس البشرى على هـــذه المعمورة و قد حث الرسول على الزواج في أحاديث كثيرة و لا نريد أن نوردهـا هنا لأن لها موضع آخر في الرسالة و سنتطرق و نناقش الموضوع بالتفصيل و سأقـوم بالرد عليهم ردا مقنعا ان شاء الله تعالى في انحراف مفهوم الصوفية في الزهد .

و قد وردت عدة آيات في الانجيل المحرف تدعوا الى التبتل و البعد عـن الزواج فمن هذه الآيات قول المسيح :

(و يوجد خصيان خصوا أنفسهم لأجل ملكوت السماوات من استطاع أن يقبل فليقبل) (١)

و يقول بولس في رسالته الى أهل كورنتوس:

(و أما من جهة الأمور التي كتبتم عنها فحسن للرجل أن لا يمس امرأة) (٢)

و كذلك قال : (أقول لغير المتزوجين الأرامل انه حسن لهم اذا لبثوا كما أنـا) (٣)

هذه هي تعاليم المسيحية و كلها دعوة الى البعد عن الزواج و بهـــذه التعاليم تأثر المتصوفة فدعوا الى البعد عن الزواج كما رأينا ذلك في النصـوص التي أوردناها عن زعماء التصوف.

---

(١) — انظر انجيل متى العهد الجديد الآية ١٢

(٢) — انظر رساله بولس الى أهل كورنتوس من العهد الجديد الاصحاح السابع الآيـة ١ .

(٣) — نفس المرجع الآية ٨

و مما يؤكد بأن المسيحية المحرفة مصدر من مصادر التصوف قول الكاتب الأوروبي نيكلسون حيث كتب يقول :

(لم يخرج الصوفية كثيرا على الحديث القائل : لا رهبانية في الاسلام ، الا بعد مضي عدة قرون . . .) ثم قال : (واننا لا نعلم الا القليل عن نظام الزهد الرهباني و نشأته في العصور الاسلامية الأولى) ثم قال : (و يقال ان أول خانقاه أسست لمتصوفة المسلمين كانت برملة في فلسطين قبل نهاية المائة الثامنة الميلادية على ما يظهر و أن مؤسسها كان راهبا مسيحيا . . .) ثم قال : (و قد ذكر الصوفية بعض الأحاديث المدخولة على النبي التي تشير لاباحة العزوبة لجميع المسلمين بعد المائتين من الهجرة . . . . فقد ظهر نظام الرهبنة في الاسلام حوالي هذا التاريخ تقريبا ، نعم لم يعم الزهد في العالم الاسلامي و لم تظهر فيه الربط و الزوايا المظلمة الا في عصر متأخر لأن القارئ للكتب التي ألفت في التصوف حتى منتصف القرن الخامس الهجرى مثل قوت القلوب لأبي طالب المكي و حلية الأولياء لأبي نعيم و الرسالة للقشيرى قلما يجد فيها اشارة الى هذه الربط و الزوايا و مع ذلك نجد أن كبار الصوفية من رجال القرنين الثالث و الرابع قد اجتمع حولهم المريدون ليأخذوا عنهم الطريق و يتأدبوا بآدابه . ومن الطبيعي أن هؤلاء المريدون أقاموا في بيوت دينية من نوع ما كلما وجدوا الى ذلك سبيلا . و يذكر المقريزى أن الخانقاوات وجدت في الاسلام في القرن الخامس الهجرى المقابل للقرن الحادى عشر الميلادى . . .

و بعد ذلك بمائتي سنة أى بين ٤٥٠ و ٦٥٠ زيد في نظام الرهبنة و انتشر هذا النظام على أيدى رجال الطرق كالعدوية و القادرية و الرفاعية و غير ذلك

من الطرق التي توالى ظهورها سريعا)(١)

و لهذا نقول ان اتخاذ الزوايا و الخانقات و الأربطة جلبها المتصوفة من الرهبان المسيحيين و ذلك لانه لا يوجد في تعاليم القرآن و السنة الدعوة الى الانعزال عن الناس في الأربطة المظلمة و انما هذا من عادة الرهبان المسيحيين الذين يتعبدون في الأديرة بعيدا عن الناس، فنظام الرهبنة عند المتصوفة مصدره المسيحية المحرفة .

---

(١) — في التصوف الاسلامي و تاريخه لنيكلسون ترجمة عربية للدكتور أبي العلاء عفيفي ص ٥٦—٥٨ .

الفصل الثاني :

أهم العوامل التي أدت الى الانحرافات العقدية عند الصوفية :

و تحته أربعة مباحث :

المبحث الأول : طلب الهداية في غير الكتاب و السنة .

المبحث الثاني : اعتقادهم بأن هناك حقيقة تخالف الشريعة .

المبحث الثالث : الغلو الزائد في الرسول صلى الله عليه و سلم و الأولياء .

المبحث الرابع : تأثرهم بالفكر اليوناني .

المبحث الأول : طلب الهداية في غير الكتاب و السنة :

من يقرأ في كتب المتصوفة يلاحظ بأن القوم لا يهتمون بعلم الكتاب و السنة اللذين لا يمكن الحصول على الهداية الا عن طريقهما و ذلك لأن القوم يزعمون بأن لهم علوما خاصة يتلقونها عن الله سبحانه و تعالى مباشرة عن طريق الكشوفات المزعومة و بالاضافة الى ذلك يزعمون بأنهم يلتقون بالأنبياء بعد موتهم و يتعلمون منهم علوما و بالأولياء أيضا و على رأس الأولياء يزعمون بأنهم يلتقون بالخضر و يتعلمون منه العلوم اللدنية و لم يكف المتصوفة بهذا الادعاء بل صرحوا بأن علومهم التي يتلقونها عن الله بلا واسطة كما يزعمون أفضل من العلوم التي أتى بها رسول الله صلى الله عليه و سلم و لذا نفر المتصوفة الناس عن تعلم العلوم الشرعية و هذا مكر و مكيدة و دهاء خبيث منهم لأنهم يعلمون بأن علومهم الوهمية الخيالية التي يزعمون بأنهم يتلقونها عن طريق المنامات و الأحلام و الرؤى و الهتافات و الكشوفات لا يمكن أن يقبلها منهم الناس اذا تعلموا الكتاب و السنة و لذا نفروا الناس عن العلوم الصحيحة التي مصدرها الكتاب و السنة حتى لا تتبدد أباطيلهم فتصبح هباءا منثورا لأنها ما هي الا كالسراب الذى يحسبه الظمآن ماءا حتى اذا جاءه لم يجده شيئا .

و لم يكف المتصوفة بالتنفير عن طلب العلم الشرعي بل استهزؤا بعلماء الأمة الاسلامية ووصفوهم بأنهم علماء الرسوم الذين لا يفهمون شيئا عن الحقائق ووصفوا أنفسهم بأنهم علماء الحقيقة و من أجل هذا طلب المتصوفة الهداية خارج الكتاب و السنة عن طريق الهواتف و المجاهدات و الكشوفات المزعومة فضلوا عن الصواب و أضلوا كثيرا من شعوب العالم الاسلامي و هكذا مصير كل من بحث عن

الهداية و الوصول الى رضوان الله سبحانه و تعالى خارج الكتاب و السنة فان مصيره الضلال و التيه و الضياع.

و لقد ادعى كثير من المتصوفة بأن الهداية تأتي اليهم عن طريق الهواتف و اليك الدليل على ما أقول :

فقد ذكر ابراهيم بن أدهم بأن أباه كان من ملوك خراسان و أنه خرج يوما للصيد و أثار ثعلبا أو أرنبا ثم يقول انه هتف به هاتف و سمع صوته و لم يره و قال له : (يا ابراهيم ألهذا خلقت أم بهذا أمرت) ثم يذكر بأن الهتاف عاوده فقال : (ما لهذا خلقت و لا بهذا أمرت) ثم قال انه أخذ جبة راعي أبيه و انطلق هائما في الصحارى و الغابات و الأودية و الجبال طلبا للهداية و التقى بسليمان عليه السلام و علمه اسم الله الأعظم ثم جاءه الخضر و قال له : (ان الذى علمك اسم الله الأعظم هو أخي داوود)

ثم قال ابراهيم بن أدهم انه التقى بأسلم بن يزيد بالاسكندرية : (فقال لي: من أنت يا غلام؟ قلت: شاب من أهل خراسان ــ قال : و ما حملك على الخروج من الدنيا . قلت: زهدا فيها و رجاء الثواب من الله تعالى .

فقال : ان العبد لا يتم رجاؤه لثواب الله تعالى حتى يحمل نفسه على الصبر فقال رجل ممن كان معه : و أى شيء الصبر؟ فقال : ان أدنى منازل الصبر أن يروض العبد نفسه على احتمال مكاره الأنفس. قال : قلت: ثم مه؟ قال : ان كان محتملا للمكاره أورث الله قلبه نورا . قلت: و ما ذاك النور؟ قال : سراج يكون في قلبه يفرق به بين الحق و الباطل و الناسخ و المتشابه . . . .

ثم قال ابراهيم بن أدهم قال له رجل من أصحاب أسلم بن يزيد أضربه

فأوجعه فانا نراه غلاما قد وفق لولاية الله تعالى)(١)

و بتحليلنا لهذه القصة نستنتج الأمور التالية :

الأمر الأول : أن الهداية قد جاءت لابراهيم بن أدهم من هاتف هتف به و لا أريد مناقشة هذه الدعوى لاثبات صحتها أو بطلانها لأن الذى أوردها صوفي له مكانته العالية في الأوساط الصوفية و لكن الذى أريده هو أنني أقول ان هذا الطريق الذى سلكه ابراهيم بن أدهم طالبا للهداية يختلف تماما عن الطريق الذى رسمه لنا رسول الله صلى الله عليه و سلم لطلب الهداية

فالهداية دائما انما تطلب بالعودة الى تلاوة كتاب الله و فهم معانيه و الاهتمام بدراسة سنة رسول الله صلى الله عليه و سلم و لا يمكن أن تكون الهواتف عندنا طريقا للهداية لأن الهواتف أنواع شتى فقد يكون الهاتف شيطانا و يأمره بشيء فيضل الطريق و لذا فالأحلام و الرؤى و المنامات و الهتافات أو الهواتف لا وزن لها في الشريعة الاسلامية فضلا عن أن تكون أسبابا للهداية .

الأمر الثاني : أقول ان خروج ابراهيم عن وطنه و تركه لماله و أهله و خلق ثيابه و بعده عن الدنيا كلية ليس من الاسلام في شيء لأن الاسلام لا يأمر المسلم أن يهاجر عن وطنه الا اذا اضطهد فيه و أصبح لا يتمكن من أداء الشعائر الاسلامية فحينئذ تجب الهجرة ،و خراسان بلد ابراهيم لم تكن كذلك .

الأمر الثالث : ثم ان ادعاء ابراهيم بن أدهم بأنه لقي داوود عليه السلام و علمه اسم الله الأعظم

---

(١) — طبقات الصوفية للسلمي تحقيق نور الدين شريبة ص٢٧ — ٣٠

أولا و قبل كل شيء ما الذى دعا داوود عليه السلام للعودة الى الدنيا مرة أخرى ليعلم فردا من أفراد أمة محمد صلى الله عليه و سلم اسم الله الأعظم

مع أن الرسول صلى الله عليه و سلم قال لعمر : ((والله لو كان موسى حيا لما وسعه الا أن يتبعني)) (١) فكذلك داوود لو عاد حيا لم يسعه الا اتباع الرسول صلى الله علية و سلم و لا يجوز له أن يقوم بتعليم الناس شيئا لم يعلمه لهم رسول الله صلى الله عليه و سلم على حد زعم المتصوفة و الا فاسم الله الأعظم ليس مجهولا حتى يأتي داوود و يخرج من قبره ليعلمنا اياه بل هو معروف من ملة محمد صلى الله عليه و سلم فقد ورد في الحديث الصحيح (أن رسول الله صلى الله عليه و سلم سمع رجلا يدعو قائلا : اللهم اني أسألك بأني أشهد أنك أنت الله لا اله الا أنت الأحد الصمد الذى لم يلد و لم يولد و لم يكن له كفوا أحد . فقال صلى الله عليه و سلم : قد سأل الله باسمه الأعظم الذى اذا سئل به أعطى و اذا دعي به أجاب) .

الأمر الرابع: نستنتج من قصة ابراهيم بن أدهم بأنه بالمجاهدة و الصبر يحصل النور الذى يعرف به الحق و الباطل و الناسخ و المتشابه

و أنا أقول ان مجرد المجاهدة و الصبر مهما كانت لا يمكن أن تعلم الانسان بل لا بد من التعلم لأن الرسول صلى الله عليه و سلم يقول : (انما العلم بالتعلم) (٢)

---

(١) — مسند أحمد ٥ / ٣٥٠

(٢) أخرجه الخطيب البغدادى في تاريخه ٩ / ١٢٧ و ذكره الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة برقم ٣٤٢

نعم الاجتهاد في طلب علمي الكتاب و السنة و الصبر فيهما يجعل قلب الانسان منورا لأن العلم نور و الجهل ظلام فالاجتهاد في العلم الذى جاء به رسول الله صلى الله عليه و سلم من عند الله و هو علم الكتاب و السنة الذى من تعلمه عرف الحق من الباطل و الله عزوجل يقول : ((فاعلم أنه لا اله الا الله و استغفر لذنبك)) الآية فالله عزوجل أمر بالعلم قبل العمل بخلاف المتصوفة فانهم يأمرون بالعمل على الجهل من أجل الحصول على العلم الذى يزعمون بأنه يقذف في قلوبهم بسبب المجاهدة .

الأمر الخامس: نأخذ من قول أسلم بن يزيد لابراهيم بن أدهم: (ياغلام انا قد أفدناك و مهدناك و علمناك علما) بأن للمتصوفة طريقا آخر يتلقون منه العلوم غير العلوم التي جاء بها رسول الله صلى الله عليه و سلم من ربه حسب زعمهم

و قد صرح المتصوفة بأن هناك علما آخر غير العلم الذى جاء به الرسول صلى الله عليه و سلم من عند الله و مما يدل على هذا قول الغزالي (١) :

فقد قسم العلوم الى أقسام و ذكر من جملة الأقسام علم يسمى "علم المكاشفة"

---

(١) — أبو حامد الغزالي هو محمد بن محمد بن أحمد أبو حامد الطوسي الغزالي ولد بطوس ٤٥٠هـ و لما حضرت الوفاة لوالده وصى به و بأخيه أحمد الى صديق له متصوف و قد لبس الثياب الخشنة و قلل طعامه و شرابه و صار يطوف المشاهد و يزور الترب و المساجد و يأوى الى القفار الى أن صار قطب الوجود و تكلم على لسان أهل الحقيقة — حسب زعمهم — توفي في طوس سنة ٥٠٥ هـ .

انظر ترجمته في مقدمة الاحياء ١ / ١ — ٦

فقال : (القسم الأول : علم المكاشفة : و هو علم الباطن ،و ذلك غاية العلوم فقد قال بعض العارفين : من لم يكن له نصيب من هذا العلم أخاف عليه سوء الخاتمة و أدنى نصيب منه التصديق به و تسليمه لأهله . . . . و هو علم الصديقين و المقربين اعني علم المكاشفة فهو عبارة عن نور يظهر في القلب عند تطهيره و تزكيته من صفاته المذمومة و ينكشف من ذلك النور أمور كثيرة . . . .)ثم قال : (فنعني بعلم المكاشفة أن يرتفع الغطاء حتى تتضح له جلية الحق في هذه الأمور اتضاحا يجرى مجرى العيان الذى لا يشك فيه و هذا ممكن في جوهر الانسان لولا أن مرآة القلب قد تراكم صدؤها و خبثها بمذمومات الدنيا و انما نعني بعلم طريق الآخرة العلم بكيفية تصقيل هذه المرآة عن الخبائث التي هي الحجاب عن الله سبحانه . . . و هذه العلوم التي لا تسطر في الكتب و لا يتحدث بها من أنعم الله عليه بشيء منها الا مع أهله و هو المشارك فيه على سبيل المذاكرة و بطريق الاسرار و هذا هو العلم الخفي الذى يوصف بالعلم المكنون فقد قيل في وصفه : ان من العلم كهيئة المكنون لا يعلمه الا أهل المعرفة بالله فاذا نطقوا به لم يجهله الا أهل الاغترار بالله تعالى)(١)

و من أقوال الغزالي السابقه يتضح لنا بأن القوم يدعون بأن لهم علوما خاصة و أن هذه العلوم يحصلون عليها من قبل الله عزوجل عن طريق قذفها في قلوبهم و على هذا فالقوم لهم علوم أخرى يطلبون الهداية الى الحق و الصواب عن طريقها و ليس لهم أى حاجة لاتعاب أنفسهم في الدراسة ما داموا يتلقون العلوم

---

(١) — الاحياء ١ / ٣١—٣٢

الربانية بطريقة سريعة و هي القذف في القلوب و لكن من الموكد أن قول المتصوفة هذا انما هو مجرد ادعاء فقط و الا فليس لهم علوم يحصلون عليها عن طريق القذف في القلوب كما يدعون و بالتالي تهديهم الى الحق و الصواب و الصراط المستقيم و انما من الممكن أن يكونوا يتلقون علوما من قبل الشياطين لأن الشياطين أيضا لهم وحي شيطاني كما قال الله عزوجل : ((و ان الشياطين ليوحون الى أوليائهم ليجادلوكم و ان أطعتموهم انكم لمشركون)) (١)

و الا فليس لدينا في الاسلام وحي غير الوحي الذى جاء به الرسول صلى الله عليه و سلم من عند الله و قد ختمت النبوة فكل من يدعي أنه يحصل على علم غير العلم الذى جاء به رسول الله فقد كذب و افترى على الله فرية عظيمة و لو نظرنا و فكرنا جيدا فسنجد بأن المتصوفة ادعوا هذا الادعاء من أجل التعمية على العوام من الناس حيث أن المتصوفة يفسرون الكتاب بأهوائهم تفسيرا يختلف تماما مع التفسير الذى فسره العلماء للقرآن الكريم و اذا سئلوا قالوا ان هذا علم الباطن الذى لا يعلمه الا الخاصة من أوليائه و بهذه القاعدة هدموا كثيرا من أمور الشريعة و سنتناول هذة الفرية ألا و هي ادعاء الصوفية بأن للقرآن ظاهرا و باطنا في موضعها و سنوضح بأنها محض افتراء لا أساس لها من الصحة حينما نتعرض للعامل الثاني من العوامل التي أدت الى النحراف المتصوفة ان شاء الله (٢)

الطريق الثاني الذى يطلب المتصوفة الهداية عن طريقه هو الكشوفات التي يزعمونها :

يعتقد كثير من المتصوفة بأن كل من انتسب الى أى طريقة من الطرق الصوفية

---

(١) — الأنعام ١٢١

(٢) انظر ١٠٦ — ١٣٢

تحصل له المكاشفات و المشاهدات و تنزل عليه علوما من الله سبحانه و تعالى و ذلك بشرط أن يجهد نفسه بقطع الرياضات الشاقة التي ابتدعها المتصوفة

قال الغزالي : (اعلم أن ميل أهل التصوف الى العلوم الالهامية دون التعليمية فلذلك لم يحرصوا على دراسة العلم و تحصيل ما صنفه المصنفون و البحث عن الأقاويل بل قالوا الطريق تقديم المجاهدة و محو الصفات المذمومة و قطع العلائق كلها و الاقبال بكنه الهمة على الله تعالى و مهما حصل ذلك كان الله هو المتولي لقلب عبده و المتكفل له بتنويره بأنوار العلم و اذا تولى الله أمر القلب فاضت عليه الرحمة و أشرق النور في القلب و انشرح الصدر و انكشف له سر الملكوت و انقشع عن وجه القلب حجاب العزة بلطف الرحمة و تلألأت فيه حقائق الأمور الالهية فليس على العبد الا الاستعداد بالتصفية المجردة و احضار الهمة مع الارادة الصادقة و التعطش التام و الترصد بدوام الانتظار لما يفتحه الله تعالى من الرحمة فالأنبياء و الأولياء انكشف لهم الأمر و فاض على صدورهم النور لا بالتعلم و الدراسة و الكتابة للكتب بل بالزهد في الدنيا و التبرى من علائقها و تفريغ القلب من شواغلها و الاقبال بكنه الهمة على الله تعالى و الاختلاء في زاوية مع الاقتصار على الفرائض و الرواتب و يجلس فارغ القلب مجموع الهم و لا يفرق فكره بقراءة قرآن و لا بالتأمل في تفسير و لا بكتب حديث و لا غيره بل يجتهد الصبر أن لا يخطر بباله شيء سوى الله تعالى فلا يزال العبد بعد جلوسه في الخلوة قائلا بلسانه : الله الله ، على الدوام مع حضور القلب حتى ينتهي الى حالة يترك تحريك اللسان و يرى كأن الكلمة جارية على لسانه ثم يصبر عليه الى أن ينمحي أثره عن اللسان . . . و هكذا يصبح متعرضا لنفحات رحمة ربه فلا يبقى الا الانتظار لما يفتح الله من الرحمة كما فتحها

على الأنبياء و الأولياء بهذا الطريق و عند ذلك اذا صدقت ارادته و صفت همته و حسنت مواظبته فلم تجاذبه شهواته و لم يشغله حديث النفس بعلائق الدنيا تلمع لوامع الحق في قلبه و يكون في ابتدائه كالبرق الخاطف لا يثبت) (١)

و هكذا الغزالي قد تأثر بأفكار المتصوفة الى حد بعيد حتى أصبح من أبرز علمائهم حيث ذكر في كتابه الاحياء كلاما عن الصوفية لا يمكن أن يقبله مسلم له علم بالكتاب و السنة

و الشاهد من كلام الغزالي السابق اثبات بأن القوم يدعون بأنهم يتلقون علوما أخرى غير العلوم التي جاء بها رسول الله صلى الله عليه و سلم و من هنا نعلم بأن القوم يبحثون عن الهداية خارج الكتاب و السنة و هذا هو الأمر الذى ضل القوم بسببه حيث أن كل من يطلب الهداية عن غير الطريق الذى جاء به رسول الله صلى الله عليه و سلم فمصيره التيه و الضلال المبين

و يقول عبد الكريم الجيلي واصفا كتابه "الانسان الكامل": (و كنت قد أسست الكتاب على الكشف الصريح و أيدت مسائله بالخبر الصحيح و سميته بالانسان الكامل في معرفة الأواخر و الأوائل) ثم يقول : (فأمرني الحق الآن بابرازه بين تصريحه و ألغازه ووعدني بعموم الانتفاع فقلت طوعا للأمر المطاع) (٢)

و كلام عبد الكريم الجيلي السابق مضمونه هو أنه يقول انه تلقى المعلومات التي ضمنها كتابه عن طريق الكشف من الغيب و أن الله أمره باظهار هذا الكتاب بما فيه

---

(١) — الاحياء ٣ / ٢١

(٢) — الانسان الكامل لعبد الكريم الجيلي ص٦

من ألفاظ صريحة و ألفاز معقدة و أن الله وعده بعموم الانتفاع به و أنه أجاب لهذا الأمر فأظهره

و ما كتاب الجيلي حتى يأمر الله باظهاره فهو كتاب من أوله الى آخره لا يحتوى الا على الكفر و الزندقة و سأورد منه نصوصا حينما أتعرض لعقيدة المتصوفة تجاه من يزعمونهم أولياء في الباب الرابع ان شاء الله تعالى

و يقول ابن عربي : (نحن بحمد الله لا نعتمد في جميع ما نقوله الا على ما يلقيه الله تعالى في قلوبنا لا على ما تحتمله الألفاظ)

و قال أيضا : (اعلم أن العارفين رضي الله عنهم لا يتقيدون في تصانيفهم بالكلام فيما بوبوا عليه فقط و ذلك لأن قلوبهم عاكفة على باب الحضرة الالهية مراقبة لما يبرز لهم منها فمهما برز لهم كلام بادروا لالقائه على حسب ما حد لهم فقد يلقون الشيء الى ما ليس في جنسه امتثالا لأمر ربهم و هو تعالى يعلم حكمة ذلك) (١)

فاذا نظرنا الى هذه النصوص فسنجد أن النص الأول صرح فيه ابن عربي بأنه هو و أتباعه من المتصوفة الكبار يلقي الله عزوجل علوما في قلوبهم و أنهم لا يتقيدون بما تدل عليه الألفاظ فقط لأن الوقوف على المعاني التي تدل عليها الألفاظ ظاهرا انما هو من اختصاص علماء الظاهر أو علماء الرسوم كما يسمونهم

و أما النص الثاني فقد صرح فيه ابن عربي بأن علوم المتصوفة لا يحصلون عليها عن طريق الفكر و انما تلقى عليهم من الله القاء مباشرة فهي هبة من الله تعالى .

---

(١) — اليواقيت و الجواهر في عقيدة الأكابر للشعراني ٢ / ٢٤ — ٢٥

وأما النص الثالث فقد صرح فيه ابن عربي بأن قلوب المتصوفة عاكفة على باب الحضرة الالهية وانها تراقب هذه الحضرة حتى تأخذ عنها أى شيء يظهر منها ولذا فانهم يبادرون بالقاء أى كلام يلقى عليهم من قبل الحضرة الالهية وأنهم لا يضعون هذا الكلام الا على حسب ما حدد الله لهم ولذلك فقد يضع مشايخ المتصوفة الكلام في غير جنسه امتثالا لأمر الله تعالى كما يزعمون ،

ووصف الرندى (١) علم المتصوفة الذى يحصلون عليه عن طريق كشوفاتهم المزعومة فقال :

(والعلم المخزون هو العلم اللدني الذى اختزنه الله عنده فلم يؤته الا للمخصوصين من الأولياء) ثم أورد حديثا مكذوبا على الرسول صلى الله عليه وسلم فقال ان الرسول قال : (ان من العلم كهيئة المكنون لا يعلمه الا العلماء بالله تعالى فاذا نطقوا به لا ينكره الا أهل الغرة بالله) (٢)

وقد شرح أحد المتصوفة هذا النص فقال : (هي أسرار الله تعالى يبديها الله الى أنبيائه وأوليائه وسادات النبلاء من غير سماع ولا دراسة وهي من الأسرار التي لم يطلع عليها أحد الا الخواص) (٣)

---

(١) — الرندى هو أبو عبد الله محمد بن ابراهيم بن عباد النفرى الرندى وهو يعتبر من كبار أئمة الصوفية وله كتب كثيرة في التصوف من أهمها غيث المواهب العلية شرح الحكم العطائية ت ٧٩٢ هـ . انظر الأعلام للزركلي

(٢) — غيث المواهب العلية للرندى ٢/٢٣٨ ط دار الكتب الحديثة ١٣ شارع الجمهورية بعابدين لصاحبها توفيق عفيفي عامر

(٣) — نفس المرجع ٢/٢٣٩

و قال الرندى أيضا : (و ربما أطلعك على غيب ملكوته و حجب عنك الاستشراف على أسرار العباد) (١)

و النتيجة التي توصلنا اليها من خلال ايرادنا لهذه النصوص هي اثبات بأن المتصوفة يدعون التلقي عن الله مباشرة علوما خاصة بهم مخزونة عند الله وأن هذه العلوم لا يكشفها الله الا لهم لأنهم خصوا أنفسهم بالأولياء و هم لا يطلقون هذا اللفظ الا لمن انخرط تحت لواء احدى الطرق الصوفية ، و أن هناك علما مكنونا و هو لا يعلمه الا العلماء بالله و يعنون بهذا أنفسهم و أن هذه العلوم هي عبارة عن أسرار الله و أنه سبحانه لا يظهرها الا للأنبياء و الأولياء و أن الحصول على هذه العلوم لا يحتاج الى دراسة و لا سماع بل تلقى في القلب القاء و هي علوم خاصة بالخواص من البشر و هم زعماء الطرق الصوفية كما يزعمون

و لذا طلب المتصوفة الهداية الى الحق و التقرب الى الله عن طريق هذه العلوم التي ادعوا بأنهم يتلقونها عن الله فلم يصلوا الى الهدى بل ضلوا الطريق لأنهم بحثوا عن الهداية في غير مكانها و سلكوا لها غير طريقها فان كل من يطلب الهداية في غير الكتاب و السنة فان مصيره الضلال المبين و الانحراف الخطير كما حصل لهؤلاء المتصوفة الذين بحثوا عن الهداية عن طريق الكشوفات المزعومة فانحرفوا في عقائدهم و سلوكهم و معاملاتهم .

الطريق الثالث الذى يبحث المتصوفة فيه عن الهداية الذوق :

قال أبو حامد الغزالي في معرض حديثه عن المتصوفة : (ابتدأت بتحصيل

---

(١) ـ غيث المواهب العلية للرندى ٢ / ٧

علمهم من مطالعة كتبهم مثل قوت القلوب لأبي طالب المكي و كتب الحارث المحاسبي. . حتى اطلعت على كنه مقاصدهم العلمية و حصلت ما يمكن أن يحصل من طريقهم بالتعلم و السماع فظهر لي أن أخص خواصهم ما لا يمكن الوصول اليه بالتعلم بل بالذوق و الحال و تبدل الصفات)

ثم قال أيضا : (فعلمت يقينا بأنهم أرباب الأحوال لا أصحاب الأقوال و أن مـــا يمكن تحصيله بطرق العلم فقد حصلته و لم يبق الا ما لا سبيل اليه بالسماع و التعلـــم بل بالذوق و السلوك)(١)

و قال ابن عربي : (جميع علومنا من علوم الذوق لا من علم بلا ذوق فان علـــوم الذوق لا تكون الا عن تجلي الهي و العلم قد يحصل لنا بنقل المخبر الصادق و بالنظر الصحيح)(٢)

و من هنا نعلم بأن الذوق من أهم الطرق التي يبحث المتصوفة فيه عن الهدايـة و هو معرفة الله سبحانه و أن هذا العلم الذى يسميه المتصوفة علم الذوق لا يحصـــل عليه الانسان الا عن طريق الكشف بتجلي الله له كما قال ابن عربي في النص السابق ،

و يقول عبد الرحمـــن الوكيل في نقده لاعتماد الصوفية على الذوق في تلقي العلوم:

(و يدين الصوفية بشبهتان آخر يدمغها بالمروق عن الاسلام ذلك هو اعتقادها أن الذوق الفردى لا الشرع و لا العقل هو وحده وسيلة المعرفة و مصدرها معرفة اللـــه و صفاته و ما يجب له فهو أى الذوق الذى يقوم حقائق الأشياء و يحكم عليها بالخيريـة

---

(١) ـــ المنقذ من الضلال للغزالي ص ٦١

(٢) ـــ اليواقيت و الجواهر في عقيدة الأكابر للشعراني ٢/ ٨٤

أو الشـــرية بالحســـن أو القبـــح بـأنهـا حـق أو بـاطـل فـــلا جـــرم أن تـديـــن الصـوفيـــة بـعـــدد عـديـد مـن أربـاب و آلـهـة و لا عجب أن تـرى النـحلـة منهـــا تعبـــد وثنـــا بغيـــر مـا تعبـــده أخـــرى أو تخنـــع لـصـنم يكفـــر بـه ســـواهـــا مـن النحـل الصـوفيـة لا عجـــب مـن ذلك كـله مـا دامـت تجعـل الـذوق الفـردى حاكـما و قيمـا علـــى المسميـــات و أسمـائهـــا فيضـع للشـيء معنـــاه مـرة ثم ينسخـــه بنقيضـه مـرة أخرى ، هـذه الحـــدة فـي تـوتـر التنـاقض صبغـــت الصـوفية دائمـا في منطقهـا المخبـول و لقـــد ضـربـت الصـوفييـن أهـواء أحبـــارهـــم بالحيـــرة و الفـرقـة فحالـــوا طـرائـق قـددا تـوّلـه كـل طـريقـــة منهـا مـا ارتضـاه كاهنهـا صنمـا لـه و تعبـده بمـــا يفـتـريـــه هـــواه مـن خرافـــات (١) .

تنفير الصوفية الناس عن العلم الشرعي :

لقد نفـر الصوفية النـاس عـن العلـم الشرعي بـوصفهـم له بأوصـــاف منفـــرة حيـث وصفـــه بعضهـم بأنـه آفـــة المريـــد ووصفـه البعـض منهـــم بـأنه مفـرق الاهتمـامـات ووصـف بعضهـم طلـب العلـم بـأنـه ركـون الـــــى الدنيـــا و انحطـاط مـن الحقيقـــة الـى العلـــم ووصفـه بعضهم بـأنـــه موحش ووصفـه بعضهم بأنه حجاب

و اليك النصوص الدالة على ذلك من بطون كتبهم :

---

(١) — هذه هي الصوفية لعبد الرحمن الوكيل ٢٠

فقد وصف أبو بكر الوراق(١) كتابة الحديث والاهتمام به بأنه من الآفات التي يجب أن يبتعد عنها المريد فقال :

(آفة المريد ثلاث : التزويج و كتابة الحديث والأسفار)(٢)

و يقول الجنيد : (اذا لقيت الفقير (أى الصوفي) فالقه بالرفق و لا تلقه بالعلم فان الرفق يؤنسه و العلم يوحشه) (٣)

و اعتبر بعض المتصوفة طلب الحديث النبوى بأنه ركون الى الدنيا حيث قال :

(اذا طلب الرجل الحديث أو سافر في طلب المعاش أو تزوج فقد ركن الى الدنيا) (٤)

ووصف بعض المتصوفة العلم بأنه حجاب عن الله حيث قال أبو يزيد البسطامي :

(أشد المحجوبين عن الله ثلاثة : الزاهد بزهده والعابد بعبادته والعالم بعلمه)(٥)

---

(١) — هو محمد بن عمر الحكيم أصله من ترمذ و أقام ببلخ لقي أحمد بن خضرويه و صحبه له كتب كثيرة مشهورة في أنواع الرياضات و المعاملات و الآداب ت انظر طبقات الصوفية للسلمي ٢٢١

(٢) — الرسالة القشيرية ٢ / ٤٣٦

(٣) — الرسالة القشيرية ٢ / ٤٥٥ ط دار التأليف مصر

(٤) — تراجم الصوفية للمناوى .

(٥) — تراجم الصوفية للمناوى

ولقد صرح أحد كبار المتصوفة بأن المتصوفة لم يتعلموا العلم ولم يحرصوا على دراسته فقال : (اعلم أن ميل أهل التصوف الى الالهية دون التعليمية ولذلك لم يتعلموا ولم يحرصوا على دراسة العلم وتحصيل ما صنفه المصنفون بل، قالوا الطريق تقديم المجاهدات بمحو الصفات المذمومة وقطع العلائق كلها والاقبال على الله تعالى بكنه الهمة وذلك بأن يقطع الانسان همه عن الأهل والمال والولد والعلم ويخلو نفسه في زاوية ويقتصر على الفرائض والرواتب ولا يقرن همه بقراءة القرآن ولا بالتأمل في نفسه ولا يكتب حديثا ولا غيره ولا يزال يقول : (الله الله الله) الى أن ينتهي الى حال يترك تحريك اللسان ثم يمحو عن القلب صورة اللفظ) (١)

فالنصوص المتقدمة كلها توضح لنا موقف المتصوفة من العلم وتثبت لنا بأن المتصوفة من ألد الأعداء لعلمي الكتاب والسنة حيث أن النصوص المتقدمة صرحوا فيها بعدائهم للقرآن والسنة بنهيهم وتحذيرهم عن طلب الحديث النبوى وتلاوة كتاب الله عزوجل فهل هناك جريمة أكبر من الذى يحذر عن تلاوة القرآن وكتابة الحديث النبوى وطلبه بلوطلب العلم عموما

ولم يقدم زعماء الصوفية على هذا عن جهل منهم بل أقدموا عليه عن تخطيط وتدبير ومكر ومكيدة لأنهم يعلمون جيدا بأن أباطيلهم لا يمكن أن يقبلها الناس الا اذا كانوا جهالا لا يعلمون شيئا عن الكتاب والسنة فعلم الكتاب والسنة نور يكشف عورات هذه الظلمات التي يدعوا لها أرباب التصوف عوام الناس لأنه بالعلم ينكشف للناس حقائق طرقهم وزيف أقوالهم وبالعلم يتبين المنكر وبالعمل به يتم الانكار

---

(١) — احياء علوم الدين للغزالي ٣ / ٢١

و لقد علم الصوفية بأن الانكار أصبح حجر عثرة أمامهم و أعاق طريقهم و المنكر لا يمكن أن يعرف الا عن طريق العلم و لذا نفروا الناس عنه و دعوهم الى الابتعاد عنه و شغلوهم بحلقات الرقص و نوادى الوجد و السماع و لبس الخرقة و التزام الخلوات المظلمة و غير ذلك من بدعهم المنكرة كما سيتضح لنا ذلك خلال بحثنا الطويل معهم في هذه الرسالة ان شاء الله تعالى

حث الاسلام على العلم و الاعلاء من شأنه :

لقد حث الاسلام على العلم و أعلى من شأنه و مما يدل على ذلك الأدلة الآتية من كتاب الله و سنة رسول الله صلى الله عليه و سلم :

فأول سورة نزلت من القرآن جاء الأمر فيها بالقراءة و هي سورة العلق حيث قال تعالى :

((اقرأ باسم ربك الذى خلق . خلق الانسان من علق . اقرأ و ربك الأكرم . الذى علم بالقلم . علم الانسان ما لم يعلم)) (١)

و قد أمر الله سبحانه بالعلم قبل العمل فقال :

((فاعلم أنه لا اله الا الله و استغفر لذنبك)) (٢)

و قد أخبرنا الله سبحانه و تعالى بأن أولى الناس بخشية الله سبحانه و تعالى هم العلماء فقال :

((كذلك انما يخشى الله من عباده العلماء)) (٣)

---

(١) — سورة العلق ١ — ٥

(٢) — سورة محمد ١٩

(٣) — سورة غافر ٢٨

و قد أنكر الله سبحانه و تعالى أن يستوى العالمون و الجاهلون فقال تعالى :

((قل هل يستوى الذين يعلمون و الذين لا يعلمون)) الآية. (١)

و أما الأدلة من السنة في الحث على طلب العلم و فضله فكثيرة جدا و اليك نبذة منها :

الحديث الأول : حديث معاوية رضي الله عنه قال سمعت النبي صلى الله عليه و سلم يقول : (من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين ، و انما أنا قاسم و الله يعطي و لن تزال هذه الأمة قائمة على أمر الله لا يضرهم من خالفهم حتي يأتي أمر الله) (٢)

الحديث الثاني : الحديث الذى رواه أبو هريرة رضي الله عنه حيث قال : قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : (من سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له طريقا الى الجنة) (٣) و قال الترمذى عنه : حديث حسن .

الحديث الثالث : الحديث الذى رواه أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : (من خرج في طلب العلم فهو في سبيل الله حتى يرجع) (٤)

الحديث الرابع : الحديث الذى رواه ابن عباس رضي الله عنهما قال : ضمني رسول الله صلى الله عليه و سلم و قال : (اللهم علمه الكتاب) (٥)

---

(١) — الزمر آية ٩

(٢) — البخارى مع الفتح ١/١٦٤

(٣) — جامع الترمذى مع تحفة الأحوذى ٧/٤٠٥

(٤) — نفس المرجع ٧/٤٠٥

(٥) — البخارى مع الفتح ١/١٦٩

فالآيات و الأحاديث السابقة التي أوردتها هنا كلها تفيد بأن الاسلام دعا الى العلم و رفع من شأن العلم و شأن أهله ووعد على طلبه الأجر العظيم و الثواب الجزيل و أن كل دعوة الى الابتعاد عن العلم و التنفير منه ما هي الا محادة لله و لرسوله و تدمير و قتل لمواهب الأمة الاسلامية لأنه ما من أمة ابتعدت عن العلم الا و انتشر فيها الجهل و أى أمة انتشر فيها الجهل فانها تدمر و تصبح لقمة سائغة لأعدائها

و لم يدع الصوفية الى الابتعاد عن العلم الصحيح الا ليصبح الناس جهلة حتى تسهل قيادتهم الى حيث يشاءون و ينشرون فيهم أفكارهم الخرافية الوهمية التي لا تستطيع أن تثبت أمام الحقائق العلمية و لذا نرى دائما زعماء الطرق الصوفية يحاربون علم الكتاب و السنة لأنهم يعلمون يقينا بأنهم لا وجود لهم و لا لأفكارهم الضالة اذا فهم الناس دينهم كما أنزل على الرسول صلى الله عليه وسلم من عند الله عزوجل لأن أفكار الصوفية لا يمكن أن تعيش الا في الظلام الحالك كالسباع التي لا تخرج الا ليلا لتبحث عن فريستها فكذلك الصوفية يريدون أن يبقى الناس جهالا حتى يسهل اخضاعهم لهذه الأفكار المنحرفة

استهزاء الصوفية بعلماء الأمة الاسلامية :
==========

لقد استهزأ الصوفية بعلماء الأمة الاسلامية ووصفوهم بأوصاف تحط من قدرهم وذلك حتى ينفروا الناس و يسقطوهم من عيونهم و اليك الأدلة على ما أقول :

فقد وصف أحد الصوفية الكبار الطريقة التي نقلت بها السنة النبوية بأنها طريقة لا يسلكها الا المساكين وصرح بأن الصوفية يأخذون علمهم عن الله مباشرة و اليك نص كلام هذا الصوفي :

فقد قال ابراهيم بن سبتيه : (حضرت مجلس أبي يزيد و الناس يقولون فلانا

لقي فلانا و أخذ من علمه و كتب منه الكثير و فلانا لقي فلانا ،فقال أبو يزيد : (مساكين أخذوا علمهم ميتا عن ميت و أخذنا علمنا عن الحي الذى لا يموت) (١)

و كلام أبي يزيد هذا يرمي الى أمور خطيرة جدا من هذه الأمور أن أبا يزيد بكلامه هذا قلل من شأن الاسناد الذى يعتبر مفخرة عظيمه للأمة الاسلامية دون غيرها بجانب أنه قلل من شأن علماء السنة المشرفة و الذين نقلوا الينا السنة كما قالها رسول الله صلى الله عليه و سلم و الاستهزاء و الاستهتار بعلماء الأمة الاسلامية لا يحصل الا من انسان في قلبه مرض و كراهية للاسلام و المسلمين ، ثم ان وصف أبي يزيد للعلوم الاسلامية و على رأسها السنة النبوية بأنها نقلت ميتا عن ميت فيها استهزاء بمن شهد لهم القرآن بالجنة أو أخبرنا الله بأنه رضي عنهم و هم الصحابة الكرام و هذا يعتبر أكبر جريمة

ثم ان ادعاء أبي يزيد بأنه أخذ علمه هو و جماعته الصوفية الكذابين عن الله ما هو الا محض افتراء على الله عزوجل فنحن المسلمين نعتقد بأنه لا نبي ولا رسول بعد النبي محمد صلى الله عليه و سلم لأن الله عزوجل يقول :

((ما كان محمد أبا أحد من رجالكم و لكن رسول الله و خاتم النبيين)) (٢)

و بما أن الله عزوجل أخبرنا بأنه لا يكلم البشر الا بالوحي أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحي باذنه ما يشاء ، و أبو يزيد البسطامي و أمثاله من المتصوفة الذين يدعون بأنهم يتلقون علومهم من الله ليسوا بأنبياء و لا رسل فدعواهم التلقي المباشر عن الله تصبح دعوى لا أساس لها من الصحة بل هي كذب و افتراء على الله

---

(١) الكواكب الدرية للمناوى ١/٢٤٦

(٢) ـ الأحزاب ٤٠

عزوجل و مع ذلك فنحن لا ننكر بأن القوم ربما يوحى اليهم من قبل الشياطين لأن الله عزوجل قد أثبت في كتابه الكريم بأن الشياطين يوحون الى أوليائهم حيث قال تعالى : ((و ان الشياطين ليوحون الى أوليائهم ليجادلوكم و ان أطعتموهم انكم لمشركون)) (١)

و قوله تعالى : ((وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الانس و الجن يوحي بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا و لو شاء ربك ما فعلوه فذرهم و ما يفترون)) (٢)

و على هذا فنحن لا نصدق المتصوفة بأنهم يتلقون علوما من الله مباشرة و ذلك لأن النبوة قد ختمت و لكن نقول لهم انه من الممكن أن ينزل اليكم الوحي من قبل الشياطين و الا فليس عندنا في الاسلام دينان دين يتلقاه أبو يزيد و أمثاله من دجاجلة الصوفية عن الله و دين أتى به الرسول صلى الله عليه و سلم عن الله بل الدين عندنا دين واحد وهو الدين الذى جاء به الرسول صلى الله عليه و سلم لا غير .

و ممن حمل على أئمة الاسلام و علمائهم ابن عربي حيث شبههم بأوصاف قبيحة للتقليل من شأنهم فمرة شبههم بغراعنة الرسل و مرة وصفهم بأنهم فاقدوا الادراك و مرة وصفهم بعدم الانصاف و اليك نصوصا من كتبه :

فقد قال : ((و ما خلق الله أشق و لا أشد من علماء الرسوم على أهل الله المختصين بخدمته العارفين به من طريق الوهب الالهي الذى منحهم أسراره في خلقه و فهمهم معاني كتابه و اشارات خطابه فهم لهذه الطائفة مثل الغراعنة للرسل)) (٣)

و قال أيضا : ((ولو كان علماء الرسوم ينصفون لاعتبروا بما في نفوسهم اذا نظروا

---

(١) — سورة الأنعام آية ١٢١

(٢) — سورة الأنعام ١١٢

(٣) — الفتوحات المكية لابن عربي ٢ / ١٧٥

في الآية بالعين الظاهرة التي يسلمون بها فيما بينهم فيرون أنهم يتفاضلون في ذلك و يعلو بعضهم في الكلام على معنى تلك الآية و يقر القاصر بفضل غير القاصر و كلهم في مجرى واحد

و مع هذا الفضل المشهود لهم فيما بينهم في ذلك ينكرون على أهل الله اذا جاءوا بشيء مما يغمض عن ادراكه و ذلك لأنهم يعتقدون فيهم أنهم ليسوا بعلماء و أن العلم لا يحصل الا بالتعلم المعتاد في العرف و صدقوا فان أصحابنا ما حصل لهم العلم الا بالتعلم و هو الاعلام الرحماني الرباني)(١)

و قال أيضا : (فلما رأى أهل الله أن الله قد جعل الدولة في الحياة الدنيا لأهل الظاهر من علماء الرسوم و أعطاهم التحكم في الخلق بما يفتون به و ألحقهم بالذين يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا و هم عن الآخرة هم غافلون و هم في أفكارهم عن أهل الله يحسبون أنهم يحسنون صنعا . سلم أهل الله لهم أحوالهم لأنهم علموا من أين تكلموا و صانوا عنهم أنفسهم لتسميتهم الحقائق اشارات فان علماء الرسوم لا ينكرون الاشارات)(٢)

و هكذا زعماء التصوف الدجاجلة استهزؤوا بعلماء الاسلام ووصفوهم بأوصاف لا تليق أن يوصف بها انسان جاهل بل انسان كافر فضلا عن العلماء الربانيين فماذا ترك ابن عربي من التشويه بعدما تقدم لعلماء الأمة الاسلامية الذين تفتخر بهم الأمة الاسلامية و اذا بحثنا عن السبب الذي دفع زعماء التصوف للقيام بهذه الحملة

---

(١) ــ الفتوحات المكية لابن عربي ٢/ ١٧٦

(٢) ــ الفتوحات المكية لابن عربي ٢/ ٢٧٩

ضد علماء الأمة الاسلامية فاننا سنجد بأن الدافع الأساسي لهم على هذا هو تنفير الناس العوام من هؤلاء العلماء حتى لا يأتوا اليهم و يتعلموا منهم، و يعرفوا الحق من الباطل فتتعطل مصالح المتصوفة الاقتصادية التي يحصلون عليها من قبل جهلاء الأمة الاسلامية و بالاضافة الى ذلك فان زعماء المتصوفة يستخدمون الجهلة من المسلمين الذين انخرطوا في أحد هذه الطرق الصوفية كالعبيد في مصالحهم الشخصية .

و في ختام هذا المبحث أقول ان زعم المتصوفة بأنهم يتلقون علوما خاصة بهم من الله مباشرة كذب محض لا أساس له من الصحة لأن الله عزوجل يقول :

((و ما كان لبشر أن يكلمه الله الا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحي باذنه ما يشاء))(١)

و بما أن زعماء الطرق الصوفية ليسوا بأنبياء و لا رسل تصبح دعوى تلقيهم العلم عن الله عارية عن الصحة، اذا نقول لا كشف لهم و لا الهام لهم من الله يأتون عن طريقه بعلوم تخالف العلوم التي جاء بها رسول الله محمد صلى الله عليه و سلم لأن الله قد ختم النبوة به كما قال سبحانه : ((ما كان محمد أبا أحد من رجالكم و لكن رسول الله و خاتم النبيين))(٢)

و لذا نقول فكل من يدعي تلقي العلم عن الله تعالى انما هو محادد لله و لرسوله لأن الله أخبر في كتابه بأن النبوة قد ختمت و كذلك أخبر الرسول في سنته

---

(١) — سوره الشورى آيه ٥١

(٢) — الأحزاب آية ٤٠

بأنه آخر النبيين فدعوى الصوفية بأنهم يتلقون العلم عن الله دعوى فارغة عارية عن الصحة وانما هي محض دجل وافتراء فقط لايهام العوام والتلبيس عليهم

وبما أن الدين قد كمل وتم فلا يحتاج الى ترقيع عن طريق الكشوفات المزعومة كما قال الله سبحانه وتعالى في كتابه : ((اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا))(١) .

وهذه من أكبر النعم على هذه الأمة حيث أكمل لها دينها فلا تحتاج الى دين غيره فلا حلال الا ما أحله الله ولا حرام الا ما حرمه الله ولا دين الا ما شرعه الله وكل شيء أخبر به فهو حق وصدق لقوله تعالى : ((وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى))(٢) .

وقد أخرج الطبرى رحمه الله عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال : (أكملت لكم) وهو الاسلام قال : أخبر نبيه صلى الله عليه وسلم والمؤمنين أنه قد أكمل لهم الايمان فلا يحتاجون الى زيادة أبدا وقد أتمه الله عز ذكره فلا ينقصه أبدا وقد رضيه الله فلا يسخطه أبدا)(٣) .

ويقول سيد قطب رحمه الله في تفسير هذه الآية :

(أعلن لهم اكمال العقيدة واكمال الشريعة معا فهذا هو الدين ولم يعد للمؤمن من أن يتصور أن بهذا الدين نقصا يستدعي الاكمال ولا قصورا يستدعي الاضافة ولا محلية أو زمانية تستدعي التطور أو التحوير)(٤)

---

(١) — المائدة ٣

(٢) — النجم ٣—٤

(٣) — تفسير ابن جرير الطبرى ٩/٥٦

(٤) — في ظلال القرآن لسيد قطب ٢/٨٤٣

و بما أن الدين قد كمل و الحمد لله فالعلوم التي يزعم المتصوفة بأنهم يتلقونها عن الله لا قيمة لها في ميزان الشرع لأنها أوهام و خيالات و كذب و دجل فقط و اليك قول المعلمي فانه مفيد في هذا المجال حيث قال رحمه الله : (و الشرع يقضي بأن الكشف ليس مما يصلح الاستناد اليه في الدين ففي صحيح البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول : (لم يبق من النبوة الا المبشرات، قالوا : وما المبشرات؟ قال : الرؤيا الصالحة) (١)

ثم قال المعلمي : (و فيه حجة على أنه لم يبق مما يناسب الوحي الا الرؤيا اللهم الا أن يكون بقي ما هو دون الرؤيا فلم يعتد به فدل ذلك أن التحديث و الالهام و الفراسة و الكهانة و الكشف كلها دون الرؤيا . . . .) ثم قال المعلمي : (ان التحديث و الالهام من القاء الملك في الخاطر و الكهانة من القاء الشياطين و الكشف قوة طبيعية كما يسمى في هذا العصر قراءة الأفكار . . . .)

ثم قال : (وقد اتفق أهل العلم على أن الرؤيا لا تصلح للحجة و انما هي تبشير و تنبيه و تصلح للاستئناس بها اذا وافقت حجة شرعية صحيحة كما ثبت عن ابن عباس)

ثم قال : (هذه حال الرؤيا فقس عليه حال الكشف ان كان في معناها فأما ان كان دونها فالأمر أوضح و تجد في كلام المتصوفة أن الكشف قد يكون حقا و قد يكون من الشيطان و قد يكون تخيلا موافقا لحديث النفس. . . .) ثم يقول المعلمي : (فالكشف اذا تبع للهوى فغايته أن يؤيد الهوى و يرسخه في النفوس و يحول بين صاحبه و بين الاعتبار و الاستبصار فكأن الساعي في أن يحصل له الكشف انما يسعى

---

(١) - صحيح البخاري مع الفتح ١٢ / ٣٧٥

في أن يضله الله عزوجل ولا ريب أن من التمس الهدى من غير الصراط المستقيم مستحق أن يضله الله عزوجل و ما يزعمه بعض غلاتهم من أن لهم علامات يميزون بها بين ما هو حق من الكشف و ما هو باطل دعوى فارغة

فأما ما عرف عن المتصوفة من تحريف النصوص ربما أشنع و أفظع من تحريف الباطنية فهذا لا يشهد لكشفهم بل يشهد عليه أوضح شهادة بأنه من أبطل الباطل و ذلك لأمـــور :

أولا : لأن النصوص بدلالتها المعروفة حجة فاذا شهدت ببطلان قولهم علم أنه باطـــل

ثانيا : لأنهم يعترفون أن الكشف محتاج الى شهادة الشرع فان قبلوا من الكشف تأويل الشرع فالكشف شهد لنفسه فمن يشهد له على تأويله

و أما التحديث و الالهام ففي صحيح البخاري و غيره من حديث أبي هريـــــرة رضي الله عنه عن النبي أنه قال : (لقد كان فيما قبلكم من الأمم محدثون فان يكـن في أمتي فانه عمر)

و جاء في عدة روايات تفسير التحديث بالالهام

و هذه سيرة عمر بين أيدينا لم يعرف عنه و لا عن أحد من أئمة الصحابة و علمائهم أنهم استدلوا بالتحديث و الالهام في القضايا الدينية بل كان يخفى عليهم الحكـم فيسألون عنه فيخبرهم انسان بخبر عن النبي صلى الله عليه و سلم فيصيرون اليه) (١)

---

(١) ـ القائد الى تصحيح العقائد للمعلمي ط المكتب الاسلامي ١٤٠٢ هـ ـ ١٩٨٢م ص ٦٩ .

البحث الثاني : اعتقادهم بأن هناك حقيقة تخالف الشريعة :

ان من أهم العوامل التي أدت الى انحراف المتصوفة هو تفريقهم بين الحقيقة والشريعة وادعاءهم بأن الحقيقة غير الشريعة .

ومصطلح الشريعة والحقيقةمصطلح خاص بهم وكل من يقرأ في كتب المتصوفة يجد بأن المتصوفة يكررون هذا المصطلح بكثرة وهو في الحقيقة لا يبعد كثيرا عن مصطلح الظاهر والباطن الذى وضعه الباطنية مصطلح خاص بهم الا أن الصوفية قد شاركوا الباطنية في مصطلح الظاهر والباطن أيضا وكلا المصطلحين وضعهما الصوفية والباطنية ليهدموا بهما الشريعة الاسلامية ويقضوا عليها

ويعني المتصوفة والباطنية بهذين المصطلحين بأن هناك في الاسلام علمين علم يخص أهل الظاهر وهي الشريعة الاسلامية التي جاء بها الرسول صلى الله عليه وسلم بكل ما فيها من عقائد وعبادات وآداب وأخلاق وسلوك وهذا علم يترفع عنه المتصوفة ويرون الوقوف عند هذا العلم انحطاطا وأن الانسان الذى تعلم العلم الشرعي الكتاب والسنة يعتبر في نظر المتصوفة في درجة العوام الذين لا يعتد بفتواهم والعلم الثاني العلم الذى يطلق عليه المتصوفة علم الحقيقة وهو الذى يعبرون عنه بالعلم اللدني ويعتقد المتصوفة بأن هذا هو العلم النافع وهو الذى من عرفه يستحق أن يسمى عالما في زعمهم وأما الكيفية التي ينال بها هذا العلم اللدني حسب زعم المتصوفة فهي المجاهدة التي اذا استمر عليها الانسان ينزل عليه علم الحقيقة من الله والذى يقولون عنه أنه سر من أسرار الله لا ينزله الله الا على قلوب الخاصة ويعنون بهذا أنفسهم لأنهم يقولون لا ينزل هذا العلم الا على أولياء الله وقد حصروا الولاية في أنفسهم ومن هنا بعد القوم عن الشريعة

الاسلامية الغراء التي جاء بها الرسول صلى الله عليه و سلم من عند الله و فيهـــا هدى و نور و أصبحوا يبحثون عن الهداية و الوصول الى مرضاة الله عن طريق علمهم المزعوم و الذى وصفوه بأنه علم الحقيقة و أصبحوا يفسرون النصوص القرآنية و الحديثية تفسيرا باطنيا بحتا بعيدا كل البعد عن المعاني التي تدل عليها النصوص القرآنيـة و الحديثية على حسب الآساليب المعروفة في اللغة العربية و كل من اعترض علـــى تفسيرهم الباطل سدوا عليه الباب بأن هذا علم الحقيقة أو علم الباطن وأن هـــذا العلم لا يدركه الا أهل الحقيقة و يعنون أنفسهم و لذا لا ينبغي لأهل الرسوم أن يعترضوا عليهم لأنهم يجهلون هذا العلم و لقد صرح المتصوفة بأن هناك علـــما يسمى علم الحقيقة يختلف تماما مع علم الشريعة الذى جاء به الرسول صلى الله عليـــه و سلم و اليك النصوص من كتبهم أنفسهم

قال الشوفي في كتابه " جمهرة الأولياء" : (ان القوم يرجعون بسند طريقهـــم الى الرسول صلى الله عليه و سلم من حيث أن جبريل عليه السلام نزل بالشريعة أولا فلما تقررت ظواهر الشريعة و استقرت نزل اليه بالحقيقة المقصودة و الحكمة المرجوة . . من أعمال الشريعة فخص الرسول صلى الله عليه و سلم بباطن الشريعة بعض أصحابـــه دون البعض ثم قال في نفس الصفحة : و أول من أظهر علم القوم و تكلم فيه سيدنا علي و ذكر السلسلة الصوفية في تلقي العلوم اللدنية الى أن وصل الى الجنيد الـــذى قال عنه أنه صحب الشافعي في علوم الظاهر ثم صحب و أخذ عن خاله السريســقطي علوم الباطن و عن الجنيد أخذ المحاسبي ثم انتشر هذا الطريق انتشارا لا ينقطـــع حتى ينقطع عمر الدنيا) (١)

---

(١) — جمهرة الأولياء للمتوفي ١٥٩/١ ط مؤسسة الحلبي و شركاه

و قد ذكر ابن عجيبة في الفتوحات الالهية شرح المباحث الأصلية شرح الحديث المكذوب على الرسول صلى الله عليه و سلم و الذى هو : (ان من العلم كهيئة المكنون لا يعلمه الا أهل المعرفة بالله فاذا نطقوا به لا ينكره الا أهل العزة بالله) ثم ذكر في نفس الكتاب شرح هذا الحديث المكذوب فقال : (قال بعضهم في شرح هذا الحديث هي أسرار الله يبديها الله الى أمناء أوليائه و سادات النبلاء من غير سماع و لا دراسة و هي من الأسرار التي لم يطلع عليها الا الخواص فاذا سمعها العوام أنكروها و من جهل شيئا عاداه)(١)

و ينبغي أن نتذكر جيدا بأن المتصوفة يقصدون بكلمة العوام علماء الأمة الاسلامية من محدثين و مفسرين و فقهاء .

فمن النصوص المتقدمة نخرج بالنتائج الآتية :

أولا : أثبتنا بأن المتصوفة يقولون بأن هناك حقيقة تختلف عن الشريعة و مع هذا فاننا نلاحظ أيضا بأن البعض منهم قالوا انها نزلت على الرسول بعد استكمال الشريعة و البعض الآخر قال انها أسرار الله يبديها الله لأوليائه و كلا القولين تترتب عليهما أمور اخطيرة

فالقول بأن الرسول خص بعلم الحقيقة جزءا أو بعضا من أصحابه دون البعض فيه اتهام للرسول صلى الله عليه و سلم بأن كتم العلم و هذا يعتبر جناية كبرى و كفرا بواحا فان من العقيدة التي يجب أن يعتقدها المسلم تجاه الأنبياء التبليغ الكامل بكل الأشياء التي أمرهم الله بتبليغها و قد أمر الله رسوله محمدا صلى الله عليه و سلم أن يبلغ كل ما أنزل الله اليه و بالفعل قام الرسول صلى الله عليه و سلم بتبليغ الأمانة كاملة

---

(١) — الفتوحات الالهية في شرح المباحث الأصلية لابن عجيبة على هامش ايقاظ الهمم في شرح الحكم له ١/ ٢٩

فلم يكتم منها شيئا بل بلغ الرسالة و أدى الأمانة و نصح الأمة و جاهد في الله حق جهاده حتى أتاه اليقين

فكون المتوفي يقول بأن الرسول خص بعض صحابه ببعض العلوم كذب صراح و دعوى عارية عن الدليل لأنه لا يستطيع أن يأتي بدليل واحد من كتاب الله أو سنة رسول الله يؤيد قوله اذ الرجل ارتكب جرائم عديدة بايراده هذا الكلام فأولا الرجل وقع في جريمة الكذب و هي تعتبر من الجرائم الكبيرة عند عوام المسلمين فكيف بمن نصب نفسه للتأليف

ثانيا يعتبر تصريح المتوفي بأن الرسول خص بعض أصحابه بعلم دون البعض اتهام للرسول بكتمان ما أنزل الله مع أن الله أمره بتبليغ ما أنزل اليه و نحن نعتقد اعتقادا جازما بأن الرسول بلغ ما أنزل اليه من ربه و من هنا نستطيع أن نقول بأن ادعاء المتوفي بأن جبريل نزل بالشريعة أولا ثم بالحقيقة و أن الرسول خص بها بعض أصحابه دعوى كاذبة خالية عن الدليل و البرهان

بل ان علياً رضي الله عنه قد نفى تخصيص الرسول لهم بعلم خاص فقد روى الامام البخارى في صحيحه أن أبا جحيفة قال : قلت لعلي : هل عندكم كتاب ؟ فقال : لا ، الا كتاب الله أو فهم أعطيه رجل مسلم أو ما في هذه الصحيفة . قلت : و ما في هذه الصحيفة؟ قال : العقل (١) و فكاك الأسير و لا يقتل مؤمن بكافر

ففي هذا الأثر ينفي علي رضي الله عنه أن يكون خص رسول الله صلى الله عليه و سلم أهل بيته بشيء و كتمه عن غيرهم و أنه ليس عندهم علم مكتوب أو غير مكتوب الا

---

(١) — صحيح البخارى مع الفتح ١ / ٢٤٦

كتاب الله أو فهم أى علم و هو أثر الفهم و الاجتهاد و في الصحيفة فليس عندهم الا ما عند الناس و الله سبحانه يختص بقوة الفهم من يشاء و هذا الأثر يعتبر أقوى دليل على بطلان مزاعم الصوفية الذين ادعوا بأن الرسول خص عليا و أهل بيته و بعضا من الصحابة بعلم خاص لأن عليا رضي الله عنه قد نفى هذا الزعم الصوفي و الحمد لله فالقوم ليس لهم أى دليل يستندون عليه لاثبات هذه الدعوى و ما دام ليس لهم أى مستند فدعواهم بأن هناك حقيقة تختلف عن الشريعة باطلة لأنه لا يمكن لانسان أن يدعي دعوة لا أساس لها فيحاول فرضها على الناس عن طريق الكذب و الدجل .

أما الحديث الذى أورده المتصوفة لاثبات بأن هناك علوما مخزونة عند الله و أن هذه العلوم هي عبارة عن أسرار الله لا يبديها الله الا لأوليائه .

أولا الحديث مكذوب على الرسول صلى الله عليه و سلم اخترعه المتصوفة لاثبات دعواهم بأن الأولياء تنزل عليهم علوم من الله غير العلوم التي نزلت على الرسول صلى الله عليه و سلم و نحن نقول للمتصوفة ان الدعاوى لا يمكن أن تثبت عن طريق الكذب و انما تثبت الدعاوى عن طريق الأدلة القوية الصحيحة أما اختراع الأحاديث و نسبتها الى الرسول صلى الله عليه و سلم فهذا غير جائز شرعا كيف و قد قال الرسول صلى الله عليه و سلم : (من كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار) (١)

و ادعاء تلقي العلوم عن الله سبحانه و تعالى يلزم منه بأن النبوة لم تختم لأن التلقي للعلوم عن الله لا يكون الا عن طريق الوحي و يلزم منه أيضا القول بأن هناك طريقا آخر غير الطريق الذى جاء به الرسول صلى الله عليه و سلم يغني عما جاء به

---

(١) — صحيح البخارى مع الفتح ١ / ٢٠٠

الرسول صلى الله عليه و سلم و هذا فيه مخالفة صريحة للنصوص فقد أخبرنا الله سبحانه و تعالى في كتابه بأن النبوة قد ختمت فقال تعالى :

((ما كان محمد أبا أحد من رجالكم و لكن رسول الله و خاتم النبيين و كان الله بكل شيء عليما)) (١)

و في الحديث فقد قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : (لا نبي بعدى) (٢)

و على هذا فالنبوة قد ختمت و بختم النبوة الوحي قد انقطع فدعوى الصوفية بأن هناك علما يلقيه الله على قلوبهم و يطلبون الهداية عن طريقه و أنه من الممكن أن يستغنوا به عن علم الشريعة فيه خطورة عظيمة عليهم فليرجعوا عنه و الا يعتبرون منكرين شيئا معلوما من الدين بالضرورة فكل المسلمين مجمعون بأن النبوة قد ختمت و أن الوحي قد انقطع و أنه لا توجد علوما يمكن أن تزكي النفس و تطهرها الا علم الكتاب و السنة اللذين جاء بهما الرسول صلى الله عليه و سلم من عند الله

و حتى يتضح لنا مقصود الصوفية بمصطلح الحقيقة و الشريعة اليك بعض النصوص من بطون كتبهم

فقد قال القشيرى في معرض حديثه لايضاح معنى الحقيقة و الشريعه في الفكر الصوفي :

(الشريعة أمر بالتزام العبودية و الحقيقة مشاهدة الربوبية) ثم قال : (فالشريعة أن تعبده و الحقيقة أن تشهده و الشريعة قيام بما أمر و الحقيقة شهود لما قضى و قدر و أخفى و أظهر) (٣)

---

(١) — الأحزاب ٤٠

(٢) — صحيح مسلم مع النووى ١٢ / ٢٣١

(٣) — الرسالة القشيرية لأبي القاسم القشيرى ١ / ٢٦١ ط حسان القاهرة ش الحسيني

فكلام القشيرى السابق واضح جدا بأن الصوفية يعنون بالحقيقة خلاف الشريعة التي جاء بها الرسول صلى الله عليه و سلم و أنهم يعنون بالحقيقة رؤية الله عزوجل و الاطلاع على قضاء الله و قدره و ما أخفاه الله و أظهره

و نحن نقول رؤية الله عزوجل في الدنيا لا يمكن أن تحصل لأحد كائنا من كان لأنها لم تحصل للرسل و هم أفضل الناس فكيف تحصل لمن دونهم و حينما طلب موسى ابن عمران رؤية الله سبحانه و تعالى قال له : ((لن تراني و لكن انظر الى الجبـــل فان استقر مكانه فسوف تراني فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا و خر موسى صعقا فلما أفاق قال سبحانك تبت اليك و أنا أول المؤمنين)) (١)

ثم ان ادعاء القشيرى بأن الحقيقة مشاهدة ما قضاه الله و قدره و أخفاه و أظهـره فيه جرأة كبيرة على الله عزوجل لأن هذا يعتبر ادعاء علم الغيب مع أن الله سبحانـه و تعالى قد أخبر بأن الغيب لا يطلع عليه أحد الا من ارتضى من رسله حيث قال سبحانه و تعالى في كتابه :

((عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا الا من ارتضى من رسول فانه يسلك من بين يديه و من خلفه رصدا)) (٢)

و الرسل أيضا لا يعلمون من الغيب الا ما أعلمهم الله به عن طريق الوحي فالرسول صلى اله عليه و سلم قد أخبر عن الأحداث التي حصلت للأمم الماضية مع أممهم و أقوامهم و ذلك لأن الله أعلمه بذلك عن طريق الوحي

---

(١) ـ الأعراف ١٤٣

(٢) ـ الجن ٢٦ـ٢٧

و قد أمر الله رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم أن ينفي عن نفسه علم الغيب فقال لـه : ((قل لا أقول لكم عندى خزائن الله و لا أعلم الغيب و لا أقول لكم اني ملـك ان أتبع الا ما يوحى الي))(١)

اذا فدعوى القشيرى بأن الحقيقة هي الاطلاع على قضاء الله و قدره أمر لا يمكـن أن يكون لأحد مهما كان فعلم الغيب خاص بالله سبحانه و تعالى

و قد جر مصطلح الحقيقة و الشريعة المتصوفة الى القول بأن العلم علمان ظاهر و باطن و أن العلم الظاهر هو علم الشريعة و العلم الباطن هو علم الحقائق

فقد روى المتصوفة حديثا و نسبوه الى الرسول كذبا و زورا حيث قالوا ان أحـد الصحابة سأل رسول الله صلى الله عليه و سلم عن علم الباطن فقال : (سألت جبريـل عن علم الباطن فقال : سألت الله جل ثناؤه عن علم الباطن فقال : هو سر من سـرى أجعله في قلب عبدى لا يقف عليه أحد من خلقي)(٢)

فمن هذا الحديث المكذوب نخرج بنتيجة و هي أن المتصوفة يعنون بعلم الباطن غير علمي الكتاب و السنة و أن هذا العلم لا يعلمه أحد حتى الرسول صلى الله عليه و سلم بل هو علم يقذف في قلوب المتصوفة حسب زعمهم و لا يخفى ما في هذا الكلام من تفضيل أنفسهم على الرسول صلى الله عليه و سلم لأن هذا الرجل الصوفي زعم بأن الرسول سئل عن هذا العلم فقال الله له هو سر من سرى و لم يعلمه اياه و على هذا فالصوفية يزعمون بأنهم يعلمون علوما لم يعلمها رسول الله صلى الله عليه و سلم و هذا

---

(١) ـ الأنعام ٥٠

(٢) ـ كتاب السيف الحداد في أعناق أهل الزندقة و الالحاد لمصطفى كمال الدين علي البكرى ص١٦ المطبعة المتوسطة بالعشاوى مصر

يعتبر منهم انحراف خطير و استهتار بالرسول صلى الله عليه و سلم و تقليل من شأنه بالاضافة الى أنهم كذبوا عليه و قد قال الرسول صلى الله عليه وسلم : (من كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار) (١)

و قال في نفس الصفحة : (و علوم المشاهدات و المكاشفات هي التي تختص بعلم الاشارة و هو العلم الذى تفردت به الصوفية بعد جمعها سائر العلوم و انما قيل علم الاشارة لأن مشاهدات القلوب و مكاشفات الأسرار لا يمكن العبارة عنها على التحقيق بل تعلم بالمنازلات و المواجيد و لا يعرفها الا من نازل تلك الأحوال و تلك المقامات) (٢)

و نقل أيضا عن غانم المقدسي ما يلي :

(اعلم أن العلم علمان علم الظاهر للشريعة و علم الباطن للحقيقة) و كذب على الرسول فقال : (العلم علمان علم باللسان و علم بالقلب فأما علم اللسان فهو حجة الله على عباده و أما علم القلب فهو العلم الأعلى الذى لا يخشى الله العباد الا به) (٣)

ثم قال : (فعلم القلب هو العلم اللدني لم يسطر في الطروس و انما هو تلقين من الله سبحانه و تعالى بغير واسطة ملك و لا سفارة) (٤)

فالنصوص المتقدمة كلها تثبت بأن المتصوفة يؤمنون بأن هناك علمين ظاهر و باطن

---

(١) — صحيح البخارى مع الفتح ١ / ٢٠٠

(٢) — كتاب السيف الحداد في أعناق أهل الزندقة و الالحاد لمصطفى كمال الدين البكرى ص١٦ المطبعة المتوسطة بالعشاوى مصر

(٣) — نفس المرجع ص١٠٧

(٤) — نفس المرجع ص١٠٨

و أن العلم الظاهر هو العلم الذى جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم من عند الله و أنه مجرد حجة فقط و أن العلم الذى يورث خشية الله سبحانه و تعالى هو علمهم المزعوم الذى سموه بعلم الحقيقة و زعموا أنهم يتلقونه عن الله سبحانه و تعالى و هذا الاعتقاد يعتبر كفرا فلا يمكن لانسان يؤمن بالله ربا و بالاسلام دينا و بمحمد نبيا و رسولا أن يفضل أى علم عن علمي الكتاب و السنة و لا يمكن أن يقول بأنه يتلقى علما عن الله سبحانه و تعالى يغنيه عن العلم الذى جاء به الرسول صلى الله عليه و سلم و انما يقدم على مثل هذه الأقوال من فرغ قلبه عن الايمان بالله و برسوله و بكتابه و الا فكيف يدعي الانسان تلقي العلم عن الله مع بقاء الايمان عنده ،

و قال ابن عجيبة الحسني : (فالعلم الظاهر هو علم الشريعة و العلم الباطن هو علم الطريقة و الحقيقة فاذا لم يحصل شيئا من هذين العلمين ثم ادعى مرتبة الشيخوخة فأخرجه من سفينة دائرة الشيخوخة و ألقه في بحر لجج النفاق)(١)

و نقل عن أحد المتصوفة بأنه لا يعتبر أحد من الرجال الذين يقتدى بهم الا أن يكون جامعا لعلمي الظاهر و الباطن حيث نقل عنه بأنه قال : (لا يقتدى في طريقنا هذه بظاهر و لا بباطن و انما يقتدى بمن جمع بينهما)(٢)

ثم قال ابن عجيبة : (واعلم أن ما شرطه هذا العارف في شيخ التربية من العلم الظاهر و الباطن صحيح)(٣)

---

(١) — ايقاظ الهمم في شرح الحكم لابن عجيبة ١ / ١٦٥

(٢) — نفس المرجع ١ / ١٥١

(٣) — نفس المرجع ١ / ١٥١

و قال ابن عجيبة في وصف الحقيقة :

(الحقيقة شهود الحق . . . .و لا تطاق الا بعد موت النفوس و حط الرؤوس و تصفية البواطن من الأغيار و تحليتها بالأنوار فمن اطلع عليها قبل ذلك خيف عليه التزندق لأن الحقيقة لا تدرك بالعلم و انما هي أذواق ووجدان . . . .) ثم قال : (اطلاع المريد على الحقيقة قبل كمال الطريقة توجب له التقصير في الأعمال و التفتر في الخدمة فان الحقيقة حلوة قد يشتغل بها و يهمل الشريعة و لذا قيل من تصوف و لم يتشرع فقد تزندق لتعريته الحقيقة عن الشريعة) (١) .

ففي هذا النص صرح ابن عجيبة بأن الحقيقة عارية عن الشريعة .

و قال ابن عربي في الفتوحات المكية في معرض حديثه بأن المتصوفة تفيض عليهم العلوم فيضا نا من الله :

(و لما رأت عقول أهل الايمان بالله تعالى أن الله قد طلب منها أن تعرفه بعد أن عرفته بأدلتها النظرية علمت أن ثم علما آخر بالله تعالى لا تصل اليه من طريق الفكر فاستعملت الرياضات و الخلوات و المجاهدات . . . .و الانفراد و الجلوس مع الله بتفريغ المحل و تقديس القلب عن شوائب الأفكار) ثم قال : (فتوجه العقل اليه بالكلية و الانقطاع من كل ما يأخذه عنه من هذه القوى

فعند هذا التوجه أفاض الله عليه من نوره علما الهيا عرفه بأن الله تعالى من طريق المشاهدة و التجلي لا يقبله كون و لا يرده كون) (٢) .

---

(١) — ايقاظ الهمم في شرح الحكم لابن عجيبة ٢ / ١٣٣

(٢) — الفتوحات المكية لابن عربي ٤ / ١٢١

و قال أبو حامد الغزالي في معرض حديثه عن أنواع العلوم التي يحصل عليهـــا الانسان :

(اعلم أن العلوم التي ليست ضرورية انما تحصل في القلب في بعض الأحـــوال تختلف الحال فتارة تهجم على القلب كأنه ألقي فيه من حيث لا يدرى و تارة تكتســب بطريق الاستدلال و التعلم فالذى يحصل بالاستدلال يسمى اعتبارا و استبصارا ثم الواقع في القلب بغير حيلة و تعلم و اجتهاد من العبد ينقسم الى ما لا يدرى العبد أنه كيف حصل له و من أين حصل و الى ما يطلع معه على السبب الذى استفاد منـه ذلك العلم و هو مشاهدة الملك الملقى في القلب و الأول يسمى الهاما و نفثـا فـي الروع و الثاني يسمى وحيا و تختص به الأنبياء و الأول يختص به الأولياء و الأصفياء و الذى قبله و هو المكتسب بطريق الاستدلال يختص به العلماء

و حقيقة القول فيه أن القلب مستعد لأن تنجلي فيه حقيقة الحق في الأشياء كلها و انما حيل بينه و بينها للحجاب المسدل الحائل بين مرآة القلب و بين اللوح المحفوظ الذى هو منقوش بجميع ما قضى الله به الى يوم القيامة و تجلي حقائق العلوم من مـرآة اللوح المحفوظ في مرآة القلب يضاهي انطباع صورة من مرآة في مرآة تقابلها و الحجاب بين المرآتين تارة يزال باليد و أخرى يزول بهبوب الرياح تحركه و كذلك قد تهب رياح الألطاف و تنكشف الحجب عن أعين القلوب فينجلي فيها بعض ما هو مسطور في اللـوح المحفوظ و يكون ذلك تارة عند المنام فيعلم به ما يكون في المستقبل و تمام ارتفـاع الحجاب بالموت فيه ينكشف الغطاء و ينكشف أيضا في اليقظة حتى يرتفع الحجاب بلطف خفي من الله تعالى فيلمع في القلوب من وراء ستر الغيب شيء من غرائب العلم تـارة

كالبرق الخاطف و أخرى على التوالي الى حدى ما دوامه في غاية الندور)(١)،

و قد قسم ابن عربي العلم الى قسمين : فطري ووهبي

حيث قال : (الحكيم عبارة عمن جمع العلم الالهي و الطبعي و الرياضي و المنطقي و ما ثم الا هذه الأربع مراتب من العلوم)

ثم قال : (العلم النظرى و العلم الوهبي و تختلف الطريق في تحصيلها تحصيل العلوم بين الفكر و الوهب و هو الغير الالهي و عليه طريقة أصحابنا ليس لهم في الفكر دخول لما يتطرق اليه من الفساد و الصحة فيه مظنونة فلا يوثق بما يعطيه و أعني بأصحابنا أصحاب القلوب و المشاهدات و المكاشفات لا العباد و الزهاد و لا مطلق الصوفية الا أهل الحقائق و التحقيق منهم و لهذا يقال في علوم النبوة و الولاية انها وراء طور العقل و ليس للعقل فيها دخول بفكر لكن له القبول خاصة عند سليم العقل الذى لم تغلب عليه شبهة خيالية فكرية يكون من ذلك فساد نظره و علوم الأسرار كثيرة) (٢) ،

فالنصوص المتقدمة التي نقلناها من كتب أئمة التصوف تثبت لنا بأن القوم يعنون بكلمة علم الباطن و الظاهر أو الحقيقة و الشريعة بأن هناك علما آخر غير العلم الذى جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم و أنهم يتلقون هذا العلم عن الله بواسطة الملك أو مباشرة عن الله بدون واسطة أو عن طريق الاطلاع على اللوح المحفوظ و الاطلاع على ما قدره الله و قضاه منذ الأزل و الاعتقاد بأن هناك طريقا آخر غير الطريق الذى

---

(١) — احياء علوم الدين للغزالي ٣ / ٢٠

(٢) — الفتوحات المكية لابن عربي ٤ / ١٦١

رسمه لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بأمر من ربه يغني عن الوحي الذى أتى به رسول الله صلى الله عليه وسلم أو يكون في منزلة الوحي الذى أوحاه الله الى رسوله أو هو أفضل منه يعتبر كفرا بواحا لأن الله عزوجل قال :

((و ما أتاكم الرسول فخذوه و ما نهاكم عنه فانتهوا))(١)

و قال تعالى : ((و ان تطيعوه تهتدوا))(٢)

و قد جعل الله علامة محبته اتباع رسوله فقال تعالى : ((قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله))(٣)

و باختصار أقول : فان الدين كمل و ان النبوة قد ختمت فكل من يدعي تلقي العلوم عن الله بواسطة أو بغير واسطة فهو كاذب مفتر و ادعاؤه تلقي العلوم عن الله يغنيه عن علمي الكتاب و السنة أو تكون في مستواهما أو أحسن منهما يعتبر انحرافا عقديا يجب أن يتوب منه لأن ادعاء تلقي العلوم عن الله معناه أن النبوة لم تختم بعد و هذا يعتبر مخالفة صريحة للنصوص القرآنية و الحديثية التي صرحت بختم النبوة و كمال الدين يقول تعالى : ((ما كان محمد أبا أحد من رجالكم و لكن رسول الله و خاتم النبيين))(٤)

و يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : (لا نبي بعدى)(٥)

---

(١) ـ الحشر آية ٧

(٢) ـ النور ٥٤

(٣) ـ آل عمران ٣١

(٤) الأحزاب ٤٠

(٥) ـ صحيح مسلم مع النووى ١٢ / ٢٣١

فدعوى الصوفيه بأنهم يتلقون العلوم عن الله و ينظرون الى اللوح المحفوظ دعوى كاذبة عارية عن الصحة تماما و انما هي دجل و افتراء من أجل التعمية على العوام و القضاء على الاسلام و المسلمين لأن المتصوفة رأوا أن علومهم تختلف تمام الاختلاف مع ما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسسوا قاعدة العلم الظاهر و العلم الباطن و أن العلم الباطن لمجموعة خاصة ليس لأحد غيرهم المقدرة على معرفته بل هو علم خاص بهم كما يدعون و لذا لا ينبغي لغيرهم أن يعترض عليهم لأنه محجوب عن علم الحقيقة و على حسب هذه القاعدة و هي القول بأن هناك علمين ظاهر و باطن فقد قسم المتصوفة العلوم الى عدة أقسام و اختلفوا في تقسيمها مع أنهم كلهم متفقون بأن هناك علما آخر يسمى علم الباطن يتلقونه عن الله سبحانه و تعالى

فقد ذكر الهجويرى عن محمد بن الفضل البلخي أنه قال في تقسيم العلوم:

(العلوم ثلاثة علم من الله و علم مع الله و علم بالله) ثم قال : (فالعلم بالله هو علم المعرفة الذى عرفه جميع أوليائه و لو لم يكن تعريفه و تعرفه لما عرفوه

و أما العلم من الله فهو علم الشريعة و هو أمر و تكليف منه لنا و أما العلم مع الله فهو علم مقامات الطريق الحق و بيان درجات الأولياء) (١)

و قد ذكر الهجويرى بأن لكل من علمي الحقيقة و الشريعة أركاناً خاصة به و هذا مما يدل على أن المتصوفة يعنون بالحقيقة غير الشريعة فقال :

(و لعلم الحقيقة أركان ثلاثة :

الأول : العلم بذات الله

الثاني : العلم بصفات الله و أحكامها

---

(١) — كشف المحجوب للهجويرى ١/٢١٠

الثالث: العلم بأفعال الله

و لعلم الشريعة أركان ثلاثة:

الأول :الكتاب الثاني :السنة،الثالث: الاجماع) (١)

و قد سبب ادعاء المتصوفة بأن هناك علم يسمى علم الحقيقة يختلف تماما مع علم الشريعة الاستهتار بعلم الشريعة و أهلها و أنها ما جاءت الا للعوام و طبعا هم يقصدون بكلمة العوام كل من لم يندرج تحت لوائهم و لو كان بحرا في علوم الشريعة

فقد نقل أبو طالب المكي عن أحد المتصوفة أنه قال :(ان الله سبحانه و تعالى اطلع على قلوب طائفة من عباده فلم يرها تصلح لمعرفته و لا موضعا لمشاهدته فرحمها فوهب لها العبادات و الأعمال الصالحة)(٢)

فنفهم من هذا النص أن المتصوفة يعتبرون العبادات و الأعمال الصالحة انما أنزلها الله سبحانه و تعالى لأناس لا تصلح قلوبهم لمعرفة الله و لذا شرع لهم الأعمال الصالحة و العبادات بكل أنواعها و بما أن المتصوفة يعتبرون أنفسهم أنهم العارفون بالله حقيقة فلا تجب عليهم العبادات و الأعمال الصالحة و بهذا يعتبر المتصوفة قد انسلخوا تماما من الأوامر و النواهي التي أنزلها الله في كتابه و في سنة رسوله لأنه ليس هناك اسلام مجرد عن العبادات و الأعمال الصالحة.اذا قال المتصوفة بأن علمهم الذى سموه علم الحقيقة ينص على هذا و هذا ليس ببعيد لأن علمهم المزعوم ما هو الا من القاء الشيطان ووساوسه فمن الممكن جدا أن يوحي اليهم الشيطان بأن هذه التكاليف ما أنزلها الله الا للعوام أما الزاعمون بأنهم عرفوا الله فليسوا مكلفين بها

---

(١) — كشف المحجوب للهجويرى ٢٠٧/١

(٢) — قوت القلوب في معاملة المحبوب لأبي طالب المكي ٦١/٢

و قد صرح المتصوفة بأنهم صعب عليهم التوفيق بين علم الشريعة و علم الحقيقة المزعوم و مما يدل على هذا قول أبي يزيد البسطامي : (عملت في المجاهدة ثلاثين سنة فما وجدت شيئا أشد علي من العلم و متابعته) (١)

و قد تولى المنوفي الصوفي المعاصر المعروف بأن مقصود أبي يزيد بهذا هو أنه صعب عليه تطبيق الباطن على الظاهر و الحقيقة على نهج الشريعة

و من هذا النص نستخلص بأن الحقيقة عند المتصوفة تناقض تماما علم الشريعة الغراء التي جاء بها محمد رسول الله عليه الصلاة و السلام و ما دام اعترف المتصوفة أنفسهم بهذا فنحن نقول ان من أهم العوامل التي أدت الى انحراف المتصوفة هو قولهم أو زعمهم بأن علم الحقيقة يختلف عن علم الشريعة و من يعتقد مثل هذا الاعتقاد لا شك أن مصيره هو الضلال كما حصل للمتصوفة لأنه ليس هناك علم ينجي صاحبه من النار يوم القيامة الا علم الكتاب و السنة

و قد بالغ المتصوفة في رفع شأن علمهم المزعوم و أوجبوا على كل انسان أن يذهب الى زعماء الطرق الصوفية من أجل أن يحصل على علم الحقيقة من الله مباشرة

و في هذا يقول المنوفي : (اعلموا رحمكم الله أن علم التصوف يقال له علم الباطن) ثم قال : (لا ينبغي للعالم و لو تبحر في العلوم حتى صار وحيد أهل زمانه أن يقنع بما علمه و انما الواجب عليه الاجتماع بأهل الطريق المستقيم حتى يكون ممن يحدثهم الحق تعالى في سرائرهم من شدة صفاء باطنهم و يصير أهلا لفيضان العلوم اللدنية على قلبه و لا يتيسر ذلك عادة الا بسلوك الطريق على يد شيخ كامل عالم بعلاج النفوس و تطهيرها من الخبائث) (٢)

---

(١) — التمكين للهروي ص ١٩٦

(٢) — بداية الطريق للمنوفي ص٦٦

و قد صرح المتصوفة بأن علماء الظاهر و يعنون بهم علماء الشريعة الاسلامية ليسوا بحجة على علماء الباطن و هم علماء الحقيقة و ذلك لأن علماء الحقيقة يعلمون علما لدنيا خاصا بهم يتلقونه عن الله مباشرة حسب زعمهم بينما علماء الظاهر لا يعلمون الا الكتاب و السنة و هذه في نظر المتصوفة لا قيمة لها و في هذا نقل ابن عجيبة عن أحد المتصوفة أنه قال : (لا تجعلوا أهل الظاهر حجة على أهل الباطن) ثم قال ابن عجيبة : (أى لأن أهل الباطن نظرهم دقيق و غزلهم رقيق لا يفهم اشاراتهم غيرهم) (١)

و قد صرح المتصوفة بأنه ليس بينهم و بين علماء الشريعة أى محبة و لا مودة و انما هو عداء و صراع مستمر و صدقوا في هذا لأن علماء الشريعة يقفون أمامهم حجر عثرة و يبددون أفكارهم الواهية التي يزعمون بأنها حقائق و لكنها في الحقيقة ما هي الا علوم شيطانية

و في هذا يقول الشعراني نقلا عن شيخه ابراهيم المتبولي و غيره قال أنه سمعهم يقولون : (ما بيننا و بين هؤلاء المنكرين الذين ينكرون علينا مودة و لا محبة لأنه ليس معهم شيء لنستفيده و لا يقبلون منا ما هو معنا من المعارف و الأسرار) (٢) .

و في هذا النص لقد صرح المتصوفة بأن علوم الظاهر لا تفيدهم شيئا لأنهم ليسوا في حاجة اليها و ماذا يعملون بها بعد أن ادعوا الأخذ عن الله مباشرة حسب زعمهم

و قد قال الشعراني : (ان أقل درجات الأدب مع القوم أن يجعلهم المنكر كأهل

---

(١) — ايقاظ الهمم في شرح الحكم لابن عجيبة ١ / ٦٣

(٢) — لطائف المنن للشعراني ١ / ١٤٥

الكتاب لا يصدقهم و لا يكذبهم)(١)

و هنا جنى الشعراني على نفسه و على أصحابه المتصوفة حيث صرح أنه ينبغي للمسلم أن يقف من المتصوفة و علومهم كموقفه من أهل الكتاب و انما قال الشعراني هذا الكلام لأنه رأى تناقضا واضحا بين الشريعة و علمهم المزعوم و أنه لا يمكن التوفيق بينهما و لم ير مخرجا يخرجه من هذا المأزق الا أن يصرح بأنهم كالكتابيين و نحن نقول لا نقف منهم موقف أهل الكتاب لأن أهل الكتاب نزلت عليهم الكتب ثم حرفت و لذا نقف معها يقولونه موقف المحايد فلا نصدقهم و لا نكذبهم الا ما صدقه شرعنا أو كذبه بخلاف المتصوفة فاننا لا نعترف لهم بأنهم تنزل عليهم علوما خاصة من الله تختلف مع علم الشريعة الاسلامية و لذا فيجب علينا اذا صدر من المتصوفة أو من غيرهم أى فعل يخالف الشريعة أن ننكر عليهم لأن من أوصاف هذه الأمة الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر كما قال تعالى في كتابه العزيز: ((كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف و تنهون عن المنكر))(٢)

و قد نقل الشعراني عن سيده علي الوفا أنه كان يقول : (التسليم للقوم أسلم و الاعتقاد فيهم أغنم و الانكار عليهم سم ساعة في اذهاب الدين وربما تنصر بعض المنكرين و مات على ذلك) ثم قال الشعراني : (فان أردت يا أخي عدم الانكار فاجل مرآة قلبك

---

(١) — لطائف المنن للشعراني ١ / ١٢٥

(٢) — آل عمران ١١٠

فانك تشهد الصوفية من خيار الناس و يقل انكارك و الا فمن لازمك كثرة الانكار لأنك لا تنظر في مرآتك الا صورة نفسك)(١) .

و قد وصف المتصوفة المنكر عليهم بأوصاف قبيحة

يقول ابن عجيبة في معرض حديثه عن علم المتصوفة التي تلقى عليهم من قبل الله عزوجل و هي من الأسرار التي لم يطلع عليها الا الخواص فاذا سمعها العوام أنكروها ثم قال : (ومن جهل شيئا عاداه) و ضرب المثل العربي المعروف و الذى هو : (ومن يكن ذا فم مر مريض يجد مرا به الماء الزلالا)

و استشهد بقول البوصيرى :

قد تنكر العين ضوء الشمس من رمد و ينكر الفم طعم الماء من سقم

ثم قال : (و قال مشائخ الطريقة : المنكر علينا كالعنين ينكر شهوة الجماع والمزكوم ينكر رائحة المسك الاذخر و المحموم ينكر حلاوة السكر و في مثلهم قال الشاعر :

و كم عائب ليلى و لم ير وجهها فقال له الحرمان حسبك ما كان)(٢)

و من هذه النصوص يتضح لنا بأن المتصوفة يعتبرون غيرهم كالمرضى لأنهم لا يعلمون شيئا عن علومهم المزعومة التي هي تختلف تماما مع العلوم التي جاء بها رسول الله صلى الله عليه و سلم لذلك يعتبرون كل من ينكر عليهم كالمريض الذى يقول للحلو مر لعلة منه مع سلامة الشيء و بقائه على حلاوته و لذا شبه المتصوفة المنكرين كالمرضى و هذه استهانة بعلماء المسلمين و بالشريعة الاسلامية في آن واحد فالعلماء لا ينكرون

---

(١) — لطائف المنن للشعراني ص١٢٥

(٢) — الفتوحات الالهية في شرح المباحث الأصلية على هامش ايقاظ الهمم في شرح الحكم له ١/ ٢٩

على المتصوفة الا اذا وقعت منهم مخالفة صريحة لنصوص الشريعة الاسلامية لأن المنكر ما أنكرته الشريعة و المعروف ما قالت عنه الشريعة انه معروف

و الحقيقة أن المتصوفة يضربون هذه الأمثلة للتشنيع بالشريعة و العلماء في آن واحد لأنهم يعلمون بأن علومهم في نظر الشريعة الاسلامية و علمائها ما هي الا أضغاث أحلام و لذا يضربون هذه الأمثال لتنفير الناس عن علماء الأمة الاسلامية

و نحن نقول ان أى انسان يرتكب أمرا مخالفا لما جاء به الرسول صلى الله عليه و سلم يجب أن ينكر عليه كائنا من كان و لا عبرة بمن يقول انه يفعل هذا الفعل لأنه أوحي اليه من الله و أمره بفعله فان هذا كذب و بهتان و افتراء على الله فلا نبوة بعد نبوة سيدنا محمد بن عبد الله و لا شريعة بعد شريعته فالنبوة قد ختمت و الشريعة قد كملت فكل من يريد أن يأتي الينا بتشريعات جديدة فيجب أن يرد بحزم و يؤمر بتوبة فان تاب و الا فيجب أن يقطع عنقه حتى لا ينشر فساده لأن ادعاء تلقي علم آخر يحل ما حرمته الشريعة أو يحرم ما أحلته الشريعة ليس بأمر سهل بل أمر خطير جدا يؤدى بصاحبه الى الهلاك الدنيوى و الأخروى و يفتح الباب على مصراعيه لكل دجال أفاك كذاب يكيد للاسلام و المسلمين

موقف المتصوفة من القرآن الكريم

أما موقف المتصوفة من القرآن الكريم فقد فسروا القرآن الكريم تفسيرا باطنيا يختلف تماما مع التفسير الذى فسره به السلف و علماء الأمه الاسلاميه عبر التاريخ و بعيدا كل البعد عن المعاني التي تدل عليها الألفاظ عند العرب و ذلك من أجل اخضاع الآيات القرآنية لعقائدهم الفاسدة و اليك نماذج من تفسيرهم الباطني حتى تعرف بأن المتصوفة من ألد الأعداء لكتاب الله عزوجل

يقول محيي الدين بن عربي في تفسير قوله تعالى :

((ان الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون))

قال : (ايجاز البيان فيه :

يا محمد ((ان الذين كفروا)) أى ستروا محبتهم في عنهم

فسواء عليهم أأنذرتهم بوعيدك الذى أرسلتك به

((أم لم تنذرهم لا يؤمنون)) بكلامك فانهم لا يعقلون غيرى و أنت تنذرهم بخلقي ، و هم ما عقلوه و لا شاهدوه)

ثم قال : (و كيف يؤمنون بك يا محمد و قد ختمت على قلوبهم فلم أجعل فيها متسعا لغيرى

((و على سمعهم)) فلا يسمعون كلاما في العالم الا مني

((و على أبصارهم غشاوة)) من بهائي عند مشاهدتي فلا يبصرون سواى) (١)

ثم قال مرة أخرى في تفسير نفس الآيات حيث أراد أن يوضح تفسيره جيدا فقال :

(انظر كيف أخفى سبحانه أولياءه في صفة أعدائه و ذلك أنه لما ابتدع الأسماء من اسمه اللطيف و تجلى لهم من اسمه الجميل فأحبوه تعالى و الغيرة من صفات المحبة في المحبوب و المحب بوجهين مختلفين فستروا محبته تعالى غيرة منهم عليه كالشبلي و أمثاله و سترهم الحق بهذه الغيرة عن أن يعرفوا فقال : ((ان الذين كفروا)) أى ستروا ما بدا لهم في مشاهدتهم من أسرار الوصلة فقال لا بد من أن أحجبكم عن ذاتي بصفاتي فهو كذلك . . .

---

(١) — الفتوحات المكية ٢ / ٢٠٦ ط المكتبة العربية القاهرة

ختم الله على قلوبهم فلم يسمعها غيره و على سمعهم فلا يسمعون سوى كلامه على ألسنة العالم فيشهدونه في العالم متكلما بلغاتهم ،

و على أبصارهم غشاوة من سناه اذ هو النور و بهائه اذ له الجلال و الهيبة

فأبقاهم الحق غرقى في بحور اللذات بمشاهدة الذات فقال لهم لا بد لكم ((من عذاب عظيم))

فما فهموا ما العذاب لاتحاد الصفة عندهم فأوجد لهم الحق علم الكون و الفساد و علمهم جميع الاسماء و أنزلهم على العرش الرحماني وفق عذابهم و قد كانوا مخبوئين عنده في خزائن غيوبه فلما أبصرتهم الملائكة خرت سجودا لهم فعلموهم الاسماء فأما أبو يزيد فلم يستطع الاستواء و لا أطاق العذاب فصعق من حينه فقال تعالى ردوا علي حبيبي فانه لا صبر له عني

فحجب بالشوق و المخاطبة و بقي للكفار فنزلوا من العرش الى الكرسي فنبتت لهم المقدمان فنزلوا عليهما من الثلث الباقي من ليلة هذه النشأة الجسمية الى السماء الدنيا ((النفس)) فخاطبوا أهل الثقل الذين لا يقدرون على الودج هل من داع فيستجاب له هل من تائب فيتاب عليه هل من مستغفر فيغفر له) (١)

و يقول في تفسير قوله تعالى :

((الله نور السموات و الأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح))

قال : (فشبه نوره بالمصباح فلم يكن أقرب اليه تعالى قبولا في ذلك الهباء الا حقيقة محمد صلى الله عليه وسلم المسماه بالعقل فكان سيد العالم بأسره و أول ظاهر في الوجود فكان وجوده من ذلك النور الالهي و من الهباء و من الحقيقة الكلية و في

---

(١) — الفتوحات المكية لابن عربي ٢ / ٢٠٨ ط المكتبة العربية القاهرة

الهباء وجد عينه و عين العالم من تجليه و أقرب الناس اليه علي بن أبي طالب وأسرار الأنبياء)(١) .

و نكتفي بهذه النماذج لاثبات أن المتصوفة فسروا القرآن الكريم بأهوائهم من أجل أن يوافق معتقدهم الفاسد و هذا يتضح لنا من خلال تفسيرات ابن عربي التي أوردناها نماذج فقط فابن عربي في تفسيره للآية الأولى حاول أن يثبت وحدة الأديان و أنه ليس هناك مؤمن و لا كافر بل الكل واحد و أثبت أيضا من خلال تفسيره القول بوحدة الوجود أن الكل رب لأن هذا العالم كله مظاهر و مجال لله سبحانه و تعالى حسب زعمه

و أما الآية الثانية و هي قوله تعالى : ((الله نور السموات و الأرض)) فقد فسرها كما رأينا تفسيرا باطنيا باطلا بعيدا كل البعد عن المعنى الذى تدل عليه الآية و هو لجأ الى هذا التفسير كما هو واضح من أجل أن يثبت عقيدته التي يعبر عنها بالحقيقة المحمدية رغم أن الآية بعيدة كل البعد عن التفسير الذى فسرها به ابن عربي فالرسول صلى الله عليه وسلم بشر ولد من أب و أم معروفين و ليس هو مخلوق من نور كما يزعم المتصوفة الأفاكين و مناقشة عقيدة المتصوفة تجاه الرسول لها باب خاص في البحث فلا داعي لمناقشتها هنا

و من هنا يتضح لنا بأن المتصوفة حاولوا أن يخضعوا معاني القرآن لتوافق معتقدهم الفاسد و ذلك عن طريق التأويلات الباطلة

أما السنة فانهم بعيدون عنها كل البعد فهم دائما تراهم يحبون البدع و ينشئونها و يشجعون عليها و يروون لتأييدها أحاديث و ينسبونها الى الرسول كذبا و زورا فهم قوم هلكى غرقى في البدع و الخرافات بل هم وكر البدع و الخرافات و ناشروها في الأمة

---

(١)— الفتوحات المكية لابن عربي ٢/٢٢٧

الاسلامية .

موقف العلماء من تقسيم الصوفية الدين الى شريعة و حقيقة :

قد رفض علماء الأمة الاسلامية تقسيم الدين الى شريعة و حقيقة و استنكروها و اليك نماذج من أقوالهم حتى تعلم أن المتصوفة ما أتوا بهذا التقسيم الا لتأييد مذهبهم الباطل حتى لا يحتج عليهم الناس بالنصوص فيبطلون ما عليه من الأعمال المخالفة للنهج الاسلامي

فقد قال الامام ابن القيم مستنكرا قول الصوفية بأن هناك علما باطنا و ظاهرا :

(و من كيد الشيطان ما ألقاه الى جهال المتصوفة من الشطح و الطامات و أبرز لهم في قالب الكشف من الخيالات فأوقعهم في أنواع الأباطيل و الترهات و فتح لهم أبواب الدعاوى الهائلات و أوحى اليهم أن وراء العلم طريقا ان سلكوه أفضى بهم الى الكشف العياني و أغناهم عن التقيد بالسنة و القرآن فحسن لهم رياضة النفوس و تهذيبها و تصفية الأخلاق و التجافي عما عليه أهل الدنيا و أهل الرياسة و الفقهاء و أرباب العلوم و العمل على تفريغ القلب و خلوه من كل شيء حتى ينقش فيه الحق بلا واسطة تعلم فلما خلا من صورة العلم الذى جاء به الرسول نقش فيه الشيطان بحسب ما هو مستعد له من أنواع الأباطيل و خيله للنفس حتى جعله كالمشاهد كشفا و عيانا فاذا أنكره عليهم ورثة الرسل قالوا لكم العلم الظاهر و لنا الكاشف الباطن و لكم ظاهر الشريعة و عندنا باطن الحقيقة و لكم القشور و لنا اللباب فلما تمكن هذا من قلوبهم سلخها من الكتاب و السنة و الآثار كما ينسلخ الليل من النهار ثم أحالهم في سلوكهم على تلك الخيالات و أوهمهم أنها من الآيات البينات و أنها من قبل الله الهامات فلا تعرض على السنة و القرآن و لا تعامل الا بالقبول و الاذعان

و كلما ازدادوا بعدا و اعراضا عن القرآن و ما جاء به الرسول كان هذا الفتح على قلوبهم أعظم)(١) .

و قال ابن عقيل في معرض نقده للمتصوفة و التحذير منهم : (فالله الله في الاصغاء الى هؤلاء الفرغ الخالين من الاثبات و انما هم زنادقة جمعوا بين مدايح العمال مرقعات و صوف و بين أعمال الخلعاء الملحدة أكل و شرب و رقص و سماع و اهمال لاحكام الشرع و لم تتجاسر الزنادقة أن ترفض الشريعة حتى جاءت المتصوفة فجاؤوا بوضع أهل الخلاعة

فأول ما وضعوا اسماء و قالوا حقيقة و شريعة . و هذا قبيح لأن الشريعة ما وضعه الحق لمصالح الخلق . فما الحقيقة بعدها سوى ما وقع في النفوس من القاء الشياطين و كل من رام الحقيقة في غير الشريعة فمغرور مخدوع)(٢) .

و قال الامام ابن الجوزى رحمه الله : (و قد فرق كثير من الصوفية بين الشريعة و الحقيقة و هذا جهل من قائله لأن الشريعة كلها حقائق) ثم قال : (و قد أنكر جماعة من قدمائهم في اعراضهم عن ظواهر الشرع)(٣) .

و من هذه النصوص التي أوردتها عن الائمة الكبار من علماء الأمة الاسلامية يتضح لنا بأن ادعاء الصوفية تقسيم العلم الى حقيقة و شريعة أو ظاهر و باطن كذب و افتراء فليس هناك حقيقة و شريعة و انما عندنا الشريعة فقط فهي الحقيقة عندنا و لكن في الاسلام عندنا أعمال القلوب و أعمال الجوارح و هذه كلها موجودة في الشريعة الاسلامية

---

(١) — اغاثة اللهفان من مصايد الشيطان لابن القيم ١ / ١١٦

(٢) — تلبيس ابليس لابن الجوزى ص ٣٢٤ ط دار الكتب العلمية بيروت لبنان

(٣) — نفس المرجع ص ٣٢٤

و لذا نقول للمتصوفة لا يمكن أن تصلوا الى الحقيقة خارج الشريعة فان كنتم تبحثـــون عن الحقيقة بالفعل فارجعوا الى الشريعة التي جاء بها محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم فهي الحقيقة لا غير ،

الانحرافات التي وقع فيها الصوفية بسبب هذه القاعدة :

ان المتصوفة قد وقعوا في انحرافات عديدة بسبب هذه القاعدة الـــتي وضعوها و هي القول بأن الحقيقة تختلف عن الشريعة و من هذه الانحرافات التي وقعوا فيها ما يلي :

١ــ اتهام الرسول بأنه خص أناسا بعلم خاص و هذا يترتب عليه اتهامه بكتمان مـــا أنزل اليه و الواجب تجاه الرسل الاعتقاد بأنهم قد بلغوا ما أمرهم الله به

٢ــ تعطيل وظيفة الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر بحجة أنه نزل عليهم علوم تختلف عن علم الشريعة و لذا لا ينبغي ينكر عليهم

٣ــ ادعاء التلقي عن الله مباشرة و هذا يؤدي الى القول بعدم ختم النبوة و هـــو انحراف عقدي خطير

٤ــ الاستهزاء بعلماء الأمة الاسلامية و التقليل من شأنهم ووصفهم بأنهم عـــوام و بأنهم محجوبون بظواهر الشريعة عن علوم الحقيقة

٥ــ تفسير القرآن الكريم بأهوائهم و تأويله بحيث يؤيد معتقدهم الى جانب تحريفهم لمعاني السنة النبوية وتصحيح الأحاديث عن طريق كشفهم المزعوم مما أدى بهم الـــى نسبة أحاديث كثيرة كذبا و زورا الى الرسول صلى الله عليه وسلم لتأييد معتقدهم الفاسد كما مر بنا بعضها في موضوع تفويض الصوفية بين الحقيقة و الشريعة .

المبحث الثالث : الغلو الزائد في الرسول صلى الله عليه و سلم و الأولياء :

ان من أهم العوامل التي أدت الى انحراف المتصوفة عن الطريق المستقيم هو الغلو في الرسول صلى الله عليه وسلم و الأولياء

و قبل أن نتعرض لتوضيح غلوهم في هذا المجال نحب أن نتعرض لتعريف الغلو في اللغة و الاصطلاح مع ذكر موقف الاسلام من الغلو عموما بايجاز كتمهيد للموضوع

أولا : تعريف الغلو :

الغلو لغة التجاوز عن الحد و الخروج عن القصد في كل شيء و غلا في الدين و الأمر يغلو جاوز حده و أفرط فيه

و اصطلاحا :

قال ابن الأثير في النهاية في قوله صلى الله عليه وسلم : (اياكم و الغلو في الدين) (أن التشدد فيه مجاوزة الحد كحديثه الآخر : (ان هذا الدين متين فأوغل فيه برفق)

و قيل معنى الغلو البحث عن بواطن الأشياء و الكشف عن عللها وغوامضمتعبداتها

و منه الحديث : (و حامل القرآن غير الغالي فيه و لا الجافي عنه) انما قال ذلك لأن من أخلاقه و آدابه التي أمر بها القصد في الأمور و خير الأمور أوساطها و كلا طرفي قصد الأمور ذميم

و منه حديث عمر : (لا تغالوا صدق النساء) و في رواية : (لا تغلوا في صدقات النساء) أي لا تبالغوا في كثرة الصداق ، و أصل الغلاء الارتفاع و مجاوزة القدر في

كل شيء يقال غاليت الشيء و بالشيء و غلوت فيه أغلو اذا جاوزت فيه الحد)(١)

اذا نظرنا في التعريف اللغوى للغلو نجد أن معناه هو المبالغة في أى شيء كان و مجاوزة الحد به و رفعه فوق مستواه

و كذلك التعريف الاصطلاحي للغلو يدل على أن المراد بالغلو هو التشدد في أى شيء كان و مجاوزة الحد به .

و من التعريف الاصطلاحي للغلو أيضا هو المبالغة في الشيء

و الخلاصة التي نخلص بها من التعريفين اللغوى و الاصطلاحي أن من المعاني التي يدل عليها الغلو هو مجاوزة الحد في أى شيء كان و رفعه فوق منزلته الحقيقية ،

ثانيا : موقف الاسلام من الغلو :

لقد حذر الاسلام من الغلو بجميع صوره و عاب على أهل الكتاب غلوهم في دينهم فقال تعالى :((قل يا أهل الكتاب لا تغلو في دينكم))(٢)

و ما وقع الغلو في أمة الا و أهلكها فقد ثبت في الحديث أن النبي صلى الله عليه و سلم قال محذرا أمته من الغلو :(اياكم و الغلو فانما هلك من كان قبلكم بالغلو في الدين)(٣)

و ما اجتاحت الشياطين البشرية عن فطرتها الا بالغلو في رجال صالحين ذكرهم الله سبحانه و تعالى في كتابه فقال تعالى :((و قالوا لا تذرن آلهتكم و لا تذرن ودا و لا سواعا و لا يغوث و يعوق و نسرا و قد أضلوا كثيرا))(٤)

---

(١) — النهاية في غريب الحديث و الأثر لابن الأثير ٢ / ٣٨٢

(٢) — المائدة آية ٧٧

(٣) — مسند أحمد ١ / ٢١٥

(٤) — سورة نوح آية ٢٣

و قد روى ابن جرير في معنى هذه الآية ما يلي :

(ود و سواع و يغوث و نسر كانوا قوما صالحين بين آدم و نوح و كان لهم أتباع يقتدون بهم فلما ماتوا قال أصحابهم الذين كانوا يقتدون بهم لو صورناهم كانوا أشوق لنا الى العبادة اذا ذكرناهم، فصوروهم فلما ماتوا و جاء آخرون دب اليهم ابليس فقال انما كانوا يعبدونهم و بهم يسقون المطر فعبدوهم) (١)

و نهى النبي صلى الله عليه و سلم عن اطرائه خشية أن يقال فيه ما قالته النصارى في عيسى عليه السلام فقد روى البخارى عن ابن عباس أنه سمع عمر رضي الله عنه يقول على المنبر : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول : (لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى بن مريم فانما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله) (٢)

و عن أنس رضي الله عنه أن ناسا قالوا : يا رسول الله يا خيرنا و ابن خيرنا و سيدنا و ابن سيدنا . فقال : (يا أيها الناس قولوا بعض قولكم ولا يستهوينكم الشيطان أنا محمد عبد الله و رسوله ما أحب أن ترفعوني فوق منزلتي التي أنزلني الله عزوجل) (٣).

بمثل هذا نهى الاسلام عن الغلو لأن الغلو هو السبب الرئيس في حدوث الشرك بالله لأول مرة في تاريخ البشرية و لا شك أن الشرك بالله يعتبر أعظم ما عصي به الله على وجه الأرض و مما يدل على هذا قول الله عزوجل على لسان لقمان : ((واذ قال لقمان لابنه و هو يعظه يا بني لا تشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم)) (٤)

---

(١) — جامع البيان للطبرى ٢٩ / ٦٢

(٢) — البخارى مع الفتح ٦ / ٤٧٨ ط دار الفكر

(٣) — مسند أحمد ٣ / ١٥٣

(٤) — لقمان آية ١٣

و قوله تعالى : ((ان الله لا يغفر أن يشرك به و يغفر ما دون ذلك لمن يشاء)) (١)

و الصوفية وقفوا من هذه النصوص موقف المعاند فلم يلقوا لها بالا و لم يتقيدوا بها بل أتوا بنقيضها فغلو في الرسول صلى اللهعليهوسلم و نسبوا اليه أمورا لو كان حيا لقاتل قائلها ، و توجهوا اليه بطلب المنفعة و دفع المضرة و الأخذ باليد يوم الحشر و شكوا اليه نوائب الدهر و نسوا الله الذى بيده مقاليد كل شيء و لم يقف التصوفة في غلوهم في الرسول صلى الله عليهوسلم بل غلو أيضا في مشايخهم فاعتقدوا فيهم أمورا لا تليق الا بالله عزوجل

و ليس الغلو أن يعتقد الانسان بأن فلانا من البشر يستطيع أن يخلق و يوجد فحسب فان هذا المعتقد ما اعتقده أحد من المشركين الذين بعث الله اليهم الرسل و ليس هو الذى وقعت فيه الخصومة و ذلك أن المشركين لم يشركوا في ربوبية الله كما أخبرنا الله بذلك في كتابه حيث قال تعالى : ((و لئن سألتهم من خلق السموات و الأرض ليقولن الله)) (٢)

و قال تعالى : ((و ما يؤمن أكثرهم بالله الا و هم مشركون)) (٣)

انما استحقوا الشرك لاشراكهم في ألوهية الله بغلوهم في رجال صالحين كعيسى و عزير وود و هذا عين ما تفعله الصوفية حيث غلوا في الرسول صلى اللهعليهوسلم و الأولياء حتى رفعوهم الى منزلة الألوهية و الربوبية و هذا سيتضح لنا الآن أثناء

---

(١) — النساء آية ٤٨

(٢) — الزمر آية ٣٨

(٣) — يوسف آية ١٠٦

تعرضنا لايراد نماذج من غلو الصوفية تجاه الرسول و الأولياء و اليك البيان وسنبدأ بضرب نماذج من غلو الصوفية تجاه الرسول ثم سنتبعه ثانيا بضرب نماذج أخرى نثبت بها غلو الصوفية تجاه الأولياء :

المطلب الأول : غلوهم في الرسول محمد صلى الله عليه و سلم :

لقد غلا المتصوفة غلوا مفرطا في الرسول محمد صلى الله عليه وسلم حتى رفعوه فوق منزلته التي أنزله الله فيها و اعتقدوا فيه عقائد فاسدة باطلة لا أساس لها من الصحة و نحن هنا لا نريد أن نناقش كل معتقدات الصوفية المنحرفة تجاه الرسول محمد صلى الله عليه وسلم و انما سنضرب نماذج فقط نثبت بها بأن من أهم العوامل التي أدت الى انحراف المتصوفة عن الخط المستقيم هو غلوهم الزائد تجاه الرسول صلى الله عليه وسلم وذلك لأن انحرافات المتصوفة تجاه الرسول صلى الله عليه وسلم قد عقدنا له فصلا خاصا في الباب الثالث من هذه الرسالة و سنناقش كل انحرافاتهم تجاهه هناك مناقشة تفصيلية حتى نثبت بأن المتصوفة أتوا بهذه العقائد من عند أنفسهم مع براءة الاسلام منها كلية (١)

و من الانحرافات التي وقع فيها المتصوفة بسبب غلوهم في الرسول صلى الله عليه وسلم ما يلي :

١ــ الانحراف الأول : اعتقادهم بأن الرسول صلى الله عليه وسلم خلق من نور و أنه أول مخلوق على الاطلاق و أن الله خلق من نور محمد جميع ما في هذا الكون من أرض و سماء و ما فيهما و ما بينهما و اليك النصوص من بطون كتب القوم

(١) انظر ٢٢٤ — ٢٦٩

قال أحمد بن المبارك راويا عن شيخه عبد العزيز الدباغ(١) :

(و سمعته رضي الله عنه يقول في قوله : (و انفلقت الأنوار) ان أول ما خلق الله تعالى نور سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ثم خلق منه القلم و الحجب السبعين و ملائكتها ثم خلق اللوح ثم قبل كماله و انعقاده خلق العرش و الأرواح و الجنة و البرزخ . . . .ثم قال مفصلا ما مضى : ثم ان الله تعالى خلق ملائكة الأرضين من نوره صلى الله عليه وسلم و أمرهم أن يعبدوه عليها و أما الأرواح و الجنة الا مواضع منها فانها أيضا خلقت من نور و خلق ذلك النور من نوره صلى الله عليه وسلم و أما البرزخ فنصفه الأعلى من نوره صلى الله عليه وسلم فخرج من هذا أن القلم و اللوح و نصف البرزخ و الحجب السبعين و جميع ملائكتها و جميع ملائكة السموات و الأرضين كلها خلقت من نوره صلى الله عليه وسلم بلا واسطة و أن العرش و الماء و الجنة و الأرواح خلقت من نور خلق من نوره صلى الله عليه وسلم)(٢) .

هذا هو النموذج الأول مما تعتقده الصوفية تجاه الرسول صلى الله عليه وسلم حيث ادعوا في هذا النص بأن أول ما خلق الله نور الرسول صلى الله عليه وسلم و أن جميع

---

(١)— عبد العزيز الدباغ هو عبد العزيز بن مسعود المعروف بالدباغ صوفي مشهور من آثاره الابريز من كلام سيدى عبد العزيز في التصوف جمعه أحمد بن المبارك السلجماسي أحد تلاميذه الذين تربوا تحت رعايته

انظر معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة ٥ / ٢٦٣

(٢)— الابريز لعبد العزيز الدباغ ٢٥٢

ما في هذا الكون خلق من نوره صلى الله عليه وسلم

و لنعرض هذا المعتقد الصوفي على الكتاب و السنة لنرى هل أتوا بهذا المعتقد من عند أنفسهم أم أخذوه من الكتاب و السنة

فنقول أولا ان ادعاء المتصوفة بأن أول ما خلق الله نور الرسول صلى الله عليه وسلم غير صحيح بل هو ادعاء باطل و كذب محض و ليس لهم أى دليل يستندون عليه لاثبات دعواهم هذه سوى الحديث الموضوع و الذى نصه (أول ما خلق الله نور نبيك يا جابر) (١) و الحديث الموضوع لا يصلح أن يكون دليلا لاثبات قضية عادية فضلا عن أن يكون دليلا لاثبات قضية عقدية و لهذا نقول ان المتصوفة أتوا بهذا المعتقد من عند أنفسهم ليضللوا به العوام عن المعتقد الصحيح الموجود في كتاب الله و في سنة رسوله صلى الله عليه وسلم و الا فالرسول صلى الله عليه وسلم ليس مخلوقا من نور كما يزعمون بل خلق مما يخلق منه البشر و لكن الله فضله بالرسالة و جعله خاتم رسله و جعله أفضل مخلوقاته

و قد أخبرنا الله سبحانه و تعالى بأن أول مخلوق بشرى هو أبونا آدم عليه السلام و بين لنا من أى شيء خلقه و ذكر لنا المراحل التي مر بها أثناء انشائه فقال تعالى : ((و لقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين)) (٢)

---

(١) — الابريز لعبد العزيز الدباغ ٢٥٢

(٢) — المؤمنون ١٢ — ١٤

والشاهد في الآية هو قوله تعالى : ((ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين)) والمقصود بها أصل الانسان وهو أبونا آدم عليه السلام حيث خلقه الله من طين .

ومما يدل على أن أصل الانسان من طين قوله تعالى : ((واذ قال ربك للملائكة اني خالق بشرا من طين فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين)) (١)

فهذه الآيات التي أوردتها وغيرها كثير كلها أثبتت لنا بأن أصل الانسان من طين وأن أول مخلوق بشرى هو أبونا آدم عليه السلام وبما أن الرسول صلى الله عليه وسلم هو أحد أفراد ذرية آدم عليه السلام فأصله من تراب

ولهذا نقول ونحن موقنون ومتأكدون مما نقوله بأنه حق وما عداه باطل بأن الرسول ليس أول مخلوق ولا هو مخلوق من نور كما تدعي الصوفية بل الرسول ولد من أب وأم قرشيين معروفين وهذا معلوم لدى الجميع الا من أصيب بالمكابرة والعناد وكون الرسول خلق كما يخلق غيره من البشر لا ينقص هذا من قيمته ومكانته العالية وذلك لأن الله سبحانه وتعالى قد فضله بالرسالة الخاتمة وجعله خير الخليقة على الاطلاق ولكن مع ذلك كله فهو عبد الله وقد وصفه الله بالعبودية له في آيات عديدة من كتابه سبحانه وتعالى منها :

قوله تعالى : ((وأنه لما قام عبد الله يدعوه كادوا يكونون عليه لبدا)) (٢)

ومنها قوله تعالى : ((سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى)) (٣) الآية

---

(١) — ص ٧١ — ٧٢

(٢) — الجن آية ١٩

(٣) — الاسراء آية ١

و قال تعالى : ((و ان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله))(١)

و قد أمره الله سبحانه و تعالى أن يقول انه بشر مثلنا فقال تعالى : ((قل انما أنا بشر مثلكم يوحى الي أنما الهكم اله واحد))(٢) الآية

و بعد أن سقنا هذه الأدلة و أبطلنا حجج المتصوفة بها نقول ان الاعتقاد الواجب تجاه الرسول صلى الله عليه وسلم من حيث خلقه هو أنه خلق كما يخلق البشر غيره من أب و أم ثم أكرمه الله سبحانه و تعالى و شرفه بالرسالة الخاتمة و جعله أفضل جميع الخلق على الاطلاق و ما يعتقده المتصوفة من أنه خلق من نور فغير صحيح بل هو اعتقاد باطل و كذب محض أتو به من عند أنفسهم لافساد عقيدة المسلمين حتى يردوهم أمة وثنية تعبد الأشخاص و الأحجار و الأشجار

و بما أننا أبطلنا دعوى الصوفية بأن الرسول خلق من نور فلا حاجة لمناقشة الصوفية في ادعائهم الآخر و هو قولهم ان الكون خلق من نور محمد صلى الله عليه و سلم لأن الأساس الذى أقاموا عليه دعوتهم قد هدمناه و بينا بأنه كذب محض و أثبتنا بأن الرسول بشر خلق كغيره من أب و أم وولد كما يولد البشر[٣] فالادعاء الثاني و هو زعم المتصوفة بأن الكون خلق من نوره باطل أيضا لأنها ليس لها أى أساس تعتمد عليه و ليس لهم برهان من الله ولا من رسوله على صحة دعواهم هذه .

و الخلاصة أن الرسول ليس مخلوقا من نور و ليس الكون مخلوقا من نوره كما تدعي الصوفية بل هو بشر قد ولد من أب و أم قرشيين معروفين فضله الله بالرسالة الخاتمة

---

(١) — البقرة ٢٣

(٢) — الكهف ١١٠

(٣) — انظر ص ١٣٩ — ١٤١

و جعله أفضل الخليقة و ادعاء الصوفية بأنه خلق من نور كذب محض و مصادمة صريحة مع نصوص الكتاب و السنة فيجب أن ترد عليهم و يضرب بها على وجوههم ،

٢ــ الانحراف الثاني الذي وقع فيه المتصوفة هو قولهم بأن جميع الأنبياء فاضت عليهم العلوم من الرسول صلى الله عليه و سلم :

لقد بالغ المتصوفة في الغلو في الرسول صلى الله عليه وسلم حتى وصل بهم الأمر الى ادعاء أن جميع الأنبياء فاضت عليهم العلوم من الرسول صلى الله عليه وسلم و اليك النصوص الدالة على هذا :

فقد قال أحمد مبارك ناقلا عن شيخه الدباغ:

(و سمعته رضي الله عنه يقول مرة أخرى أن الأنبياء عليهم الصلاة و السلام و ان سقوا من نوره لم يشربوه بتمامه بل كل واحد يشرب منه ما يناسبه و كتب له فان النور المكرم ذو ألوان كثيرة و أحوال عديدة و أقسام كثيرة فكل واحد شرب لونا خاصا و نوعا خاصا ، قال رضي الله عنه : فسيدنا عيسى صلى الله عليه وسلم شرب من النور المكرم فحصل له مقام الغربة وهو مقام يحمل صاحبه على السياحة و عدم القرار في موضع واحد و سيدنا ابراهيم شرب من النور المكرم فحصل له مقام الرحمة و التواضع مع المشاهدة الكاملة فتراه اذا تكلم مع أحد يخاطبه بلين و يكلمه بتواضع عظيم فيظن المتكلم أنه يتواضع له و هو انما يتواضع لله عزوجل لقوة مشاهدته و سيدنا موسى صلى الله عليه وسلم شرب من النور المكرم فحصل له مقام مشاهدة الحق سبحانه في نعمه و خيراته و عطاياه التي لا يقدر قدرها و هكذا سائر الأنبياء عليهم الصلاة و السلام و الملائكة الكرام والله أعلم) (١)

---

(١)ــ الابريز لعبد العزيز الدباغ ٢٥٤

و قال البوصيرى (١) :

و ان من جـودك الدنيـا و ضـرتها و مـن علومك علـم اللـوح و القلـم

و كـل آى أتـى الرسل الكرام بهـا فانمـا اتصلـت من نـوره بهـم(٢)

فالنصوص المتقدمة تدل دلالة واضحة بأن الصوفية يعتقدون بأن جميع الرسـل شربوا من نور الرسول صلى الله عليه وسلم كـل واحد منهم حسب ما يناسبه و أن جميع الرسل فاضت عليهم العلوم من نور الرسول صلى الله عليه و سلم

و لكن الصوفية ليس لهم دليل يستندون عليه لاثبات هذا المعتقد البـاطل لا من كتاب الله و لا من سنة رسول الله صلى الله عليه و سلم بل هي دعوى مبنية علـى الهواء البحت فقط

و الرسل عليهم الصلاة و السلام لم تفض عليهم العلوم من الرسول كما يزعمون بـل نزلت عليهم من الله عزوجل وحيا كما نزلت على الرسول محمد صلى الله عليه و سلـم و مما يدل على هذا قول الله عزوجل : ((انا أوحينا اليك كما أوحينا الى نـوح و النبيين من بعده)) الآية (٣)

فهذه الآية نص قاطع في أن جميع الرسل نزل عليهم الوحي من الله و لم تفـض عليهم العلوم من نور الرسول كما يزعم الصوفية الكذبة

و قد أخبرنا الله عزوجل في كتابه بأن رسولنا محمد صلى الله عليه و سلم ما كان يعرف الكتاب

---

(١) — هو الأديب البليغ والشاعر المجيد والصوفي المتحقق شرف الدين أبو عبد الله محمد ابن سعيد بن حماد بن محسن بن عبد الله وقد تلقى علومه ومعارفه على طائفة من علماء عصره كأبي حيان وهو من تلاميذ أبي العباس المرسي الشاذلي وقد توفي بالاسكندرية ٦٩٤هـ

(٢) — بردة المديح للبوصيرى ١٤ — ١٥

(٣) — الشورى ٥٢

و لا الايمان قبل أن يوحي الله اليه فكيف أخذ الرسل منه العلوم التي أوحيت اليهم و في هذا يقول الله عزوجل : ((و كذلك أوحينا اليك روحا من أمرنا ما كنت تدرى ما الكتاب و لا الايمان و لكن جعلناه نورا نهدى به من نشاء من عبادنا و انك لتهدى الى صراط مستقيم)) (١)

و من هنا نقول ما دام الرسول صلى الله عليه و سلم ما كان يدرى الكتاب و لا الايمان قبل أن يوحي اليه الله عزوجل فمن باب أولى أن الرسل لم يأخذوا العلوم التي أوحيت اليهم منه بالاضافة الى أن الرسل أوحي اليهم قبل أن يخلق الرسول صلى الله عليه وسلم و يظهر في الوجود و من أجل هذا نقول ان دعوى الصوفية بأن الرسل أخذوا العلوم من نوره صلى الله عليه وسلم دعوى باطلة تماما و ليس لها أى أساس تعتمد عليه .

٣ــ الانحراف الثالث الذى وقع فيه المتصوفة هو اعتقادهم بأن الرسول ينفع و يضر من دون الله و التوجه اليه بالدعاء و الاستغاثة به :

لقد غلا المتصوفة غلوا مفرطا في الرسول صلى الله عليه وسلم حتى رفعوه من مقام العبودية الى مقام الألوهية فقد توجهوا اليه بأنواع من العبادات التي لا ينبغي صرفها لغير الله عزوجل رغم أن الرسول صلى الله عليه وسلم حذر من الغلو و الاطراء فيه في أحاديث كثيرة و قد نهى الله عزوجل عن الغلو فقال تعالى : ((يا أهل الكتاب لا تغلو في دينكم غير الحق و لا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل و أضلوا كثيرا و ضلوا عن سواء السبيل)) (٢)

---

(١)ــ الشورى ٢٢

(٢)ــ المائدة ٧٧

و اليك نماذج من كلام المتصوفة الذى يظهر فيه الغلو واضحا جليا و تشم منه رائحة الشرك العفنة المنتنة الذى نهى عنه الرسول صلى الله عليه وسلم في سنته و نهى الله عنه في كتابه و الذى يعتبر أكبر جريمة عصي بها الله عزوجل في هذا الكون على الاطلاق.

فقد قال محمد الفقي في كتابه "التوسل و الزيارة" في احدى قصائده و التي زعم أنها احدى القصائد التي نظمها في مدح النبي صلى الله عليه وسلم متوسلا به مستغيثا به وزعم أن الرسول تحدث معه بشأنها و نحن لا نريد ايراد القصيدة كلها هنا و انما نريد أن نأخذ منها مقتطفات فقط لتكون لنا شواهد على ما نقول

يقول في تلك القصيدة:

الى مصدر الأنوار و الأنس شهرع ... و في الساحة العليا تحط و تفزع

حماك ملاذ اللاجئين و قصدهم ... يطوف به وفد و آخر يضرع

ألا يا رسول الله ما لي ملجأ ... سواك أناجيه و جاهك واسع

أناجيك في سرى و أدعوك جهرة ... يهيجني وجد و شوق و مطمع

و ليس بخاف أنني كنت دائما ... أروح بحبي في رضاك و أرجع

و ما ذاك الا أنك الفضل كله ... و أنك غوث للأنام و مفزع

و أنك يوم العرض حصن وموئل ... رؤوف رحيم شافع و مشفع

فيا من عهدناه الوسيلة للورى ... يلبي دعاء المستجير و يسمع

و يا من عهدناه الشفيع اذا دعا ... الى الموقف الداعي و عم التطلع

سألتك فضلا يسعف القلب و النهى ... يقوم به مثلي و يحيا و يخشع

فجد لي به و اعطف فعطفك نعمة ... و كل الورى يصبو اليه و يطمع

ألست لنا بعد المهيمن رحمة ... و بابا لعفو الله و الكل يقرع

فيا سيدى اني على الباب قائم أموت و أحيا هواك و أولـــــع (١)

فالأبيات اذا نظرنا اليها نظرة فاحصة سنجد فيها أن الرجل وقع في شرك صريح بالله عزوجل حيث صرف للرسول صلى الله عليه وسلم عبادات لا ينبغي صرفها لغير الله عزوجل لأن المعبود هو الله سبحانه و تعالى وحده لا شريك له أما غيره فكلهم عبيـــد له سبحانه يتصرف فيهم كما يشاء ففي البيت الأول الرجل صرح بأنه اذا أصيب بـأى مصيبة يسرع الى الرسول و يفزع اليه حتى ينقذه مما أصيب به حسب زعمه و كذلك فـــي البيت الثاني وصف الرسول بأن كل من يطلب شيئا يتوجه الى الرسول وأن هناك وفـود تطوف بالرسول و طبعا يقصد قبره ووفود أخرى تتضرع الى الرسول و في البيت الثالث صرح الرجل بأنه يناجي الرسول في سره و يدعوه علنا طالبا منه ما يريده و في البيـت الرابع وصف الرسول بأنه يعلم الغيب و يعلم ما فيه من حالة و أنه بذل جهده لارضاء الرسول صلى الله عليه وسلم . و في البيت الخامس كما هو واضح وصف الرسول بأنـــه كـل الفضل و أنه مغيث لجميع من في الكون و مفزعهم عند الشدائد و في البيت السادس وصف الرسول بأنه حصن لجميع المخلوقات و موئلهم يوم القيامة و في البيت السابع وصف الرسول بأنه وسيلة جميع الورى و أنه يستجيب دعاء من يدعوه و يسمعهم و في البيـت العاشر و الحادى عشر صرح الرجل بأن الفضل بيد الرسول و طلب منه أن يجود له به ثم صرح بأن جميع من في هذا الكون يتوجهون اليه و يطمعون في فضله و في البيـــت الأخير صرح الرجل بأنه قائم على باب الرسول و يعني به طبعا باب قبره طلبا للمغفـرة و الرحمة منه و قضاء جميع ما يحتاجه

---

(١)— التوسل و الزيارة لمحمد الفقي ١٢٤

و هكذا غلا المتصوفة في الرسول صلى الله عليه وسلم حتى أعطوه أمورا لا يملكهـا الا الله عزوجل حيث تجاوزوا به حدود البشرية و أوصلوه الى حدود الألوهية و الربوبية فتوجهوا اليه بأنواع العبادات رغم أن الرسول صلى الله عليه وسلم نهى عن الغلـو و حذر منه تحذيرا شديدا منها حديث : (لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى بـن مريم انما أنا عبد فقولوا عبد الله و رسوله) (١) و مع ذلك فقد بالغ المتصوفة في تعظيمه صلى الله عليه وسلم حتى رأوا أن الطواف بقبره و التمسح بترابه و السجود له من القربات التي يتقرب بها الى الله عزوجل و اعتقدوا أنه ينفع و يضر و يعطي و يمنع و أنه يفـرج الكربات و أنه يشفع فيمن يشاء و يدخل الجنة من يشاء و هذا غلو منهم و مبالغة ممقوتـة تؤدي بصاحبها الى الشرك و الانسلاخ الكامل من الدين ان لم يتب منها

و قد صرح الرسول صلى الله عليه وسلم بأنه لا يملك نفعا و لا ضرا كما أمره اللـه عزوجل في كتابه فقال : (قل لا أملك لنفسي نفعا و لا ضرا الا ما شاء الله و لو كـنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير و ما مسني السوء ان أنا الا بشير و نذير لقـوم يؤمنـون) (٢)

ففي هذه الآية نفى الله عن رسوله ملك النفع و الضر و أنه لو كان يملك ذلك لمـا أصابه السوء بل لدفعه عنه و معروف أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد أصيب في حروبه مع المشركين اصابات كما في غزوة أحد (٣) فلو كان يملك تفريج الكربات لفرج عن نفسـه و لكنه لا يملك شيئا من ذلك بل الرسول يدعو الله عزوجل و الله يفرج عنه فهو عبد مـن عباد الله فضله الله بالرسالة و جعله خير ما خلقه الله على الاطلاق و لكن مع ذلك لـم

---

(١) — صحيح البخاري مع الفتح ٦ / ٤٧٨

(٢) — الأعراف ١٨٨

(٣) — انظر الروض الأنف للسهيلي ٥ / ٤٤١ و السيرة النبوية لابن حبان ٢٢٣ و في نور اليقين في سيرة سيد المرسلين ١٣٨

يخرج عن كونه عبدا لله

و الرسول صلى الله عليه وسلم لم يرسله الله الا للنهي عن الشرك بالله و الدعوة الى توحيده فكل من يدعو غير الله يعتبر محادا لله و لرسوله لأنه يريد أن يعيد الشرك الذى وصفه الله بأنه أعظم ظلم و حاربه رسوله صلى الله عليه وسلم

فالمخلوق لا يملك لنفسه نفعا و لا ضرا سواء كان نبيا أو ملكا أو وليا فالكل عبيد الله فالتوجه اليهم بالدعاء و الاستغاثة يعتبر شركا أكبر و قد وصف الله عزوجل من يتوجه الى غيره بالدعاء بأنه مثل الذى يريد ايصال الماء الى فيه مع بسط كفيه و هذا تشبيه دقيق و مقنع فكما أن الذى يريد أن يوصل الماء الى فيه مع بسط كفيه لا يمكن أن يصل الى فيه و يشرب منه فكذلك الذى يتوجه بالدعاء الى غير الله لا يمكن أن يحصل على مطلوبه لأن الذى يتوجه اليه بهذا الدعاء لا يملك ما يطلبه منه و فاقد الشيء لا يعطيه و اليك الآية قال تعالى : ((له دعوة الحق و الذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء الا كباسط كفيه الى الماء ليبلغ فاه و ما هو ببالغه و ما دعاء الكافرين الا في ضلال))(١)

و قد أخبر الله سبحانه و تعالى بأن المدعوين من دونه لا يملكون كشف الضر ولا تحويله عمن يدعوهم فقال تعالى : ((قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم و لا تحويلا))(٢)

و قد أخبر الله عزوجل بأن المشركين دعوا شركاءهم فلم يستجيبوا لهم حيث قال تعالى : ((و قيل ادعوا شركاءكم فدعوهم فلم يستجيبوا لهم ورأوا العذاب))(٣)

---

(١) — الرعد آية ١٤

(٢) — الاسراء آية ٥٦

(٣) — القصص آية ٦٥

و قد أخبرنا الله سبحانه و تعالى بأن المدعوين من دونه لا يملكون شيئا و لو كان شيئا بسيطا جدا كالقطمير فقال تعالى : ((و الذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير ان تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم و لو سمعوا ما استجابوا لكم و يوم القيامة يكفرون بشرككم و لا ينبئك مثل خبير)) (١)

و بعد أن أوردنا هذه الآيات نقول ان كل من يتوجه الى غير الله بالدعاء و الاستغاثة و طلب قضاء الحوائج سواء كان المدعو ميتا أم حيا و لكنه غائب و سواء كان المدعو نبيا أو ملكا أو وليا يعتبر قد وقع في الشرك الأكبر الذى بعث الله الرسل لمحاربته

قال شيخ الاسلام ابن تيمية في الرسالة السنية : (فاذا كان على عهد النبي صلى الله عليه وسلم من انتسب الى الاسلام ممن مرق منه مع عبادته العظيمة فليعلم أن المنتسب الى الاسلام و السنة في هذه الأزمان أيضا قد يمرق و ذلك بأسباب : منها الغلو الذى ذمه الله في كتابه حيث قال : ((يا أهل الكتاب لا تغلو في دينكم)) و كذلك الغلو في بعض المشايخ بل الغلو في علي بن أبي طالب بل الغلو في المسيح عليه السلام فكل من غلا في نبي أو رجل صالح و جعل فيه نوعا من الالهية مثل أن يقول يا سيدى فلان انصرني أو اغنني أو ارزقني فكل هذا شرك و ضلال يستتاب صاحبه فان تاب و الا قتل فان الله انما أرسل الرسل و أنزل الكتب ليعبد وحده و لا يدعى معه اله آخر و الذين يدعون مع الله آلهة أخرى مثل المسيح و الملائكة و الأصنام لم يكونوا يعتقدون أنها تخلق الخلائق أو تنزل المطر أو تنبت النبات و انما كانوا يعبدونهم أو يعبدون قبورهم أو يعبدون صورهم يقولون : ((ليقربونا الى الله زلفى)) (٢)

---

(١) — فاطر آية ١٤ — ١٥ (٢) — الزمر آية ٣

و يقولون ((هؤلاء شفعاؤنا عند الله))(١) فبعث الله رسله تنهى أن يدعى أحد من دونه لا دعاء عبادة ولا دعاء استغاثة

و لهذا نقول ان ما يعتقده المتصوفة تجاه الرسول صلى الله عليه وسلم من أنه ينفع و يضر من دون الله و توجههم اليه بأنواع من العبادات التي لا ينبغي صرفها لغير الله عزوجل يعتبر شركا أكبر بالله عزوجل و قد اتضح لنا جيدا من خلال النصوص التي سقناها عن المتصوفة أنفسهم أنهم يتوجهون بطلب كل ما يحتاجونه الى الرسول صلى الله عليه وسلم من تفريج كرب أو تحقيق مطلب من المطالب أو جلب منفعة من المنافع مع أن هذه الأشياء لا يقدر عليها الا الله عزوجل في حياته فكيف بعد مماته و الرسول صلى الله عليه وسلم قد نفى عن نفسه هذه المهام التي يزعم المتصوفة أنه بامكانه أن يحققها كما في قوله تعالى : ((قل لا أملك لنفسي نفعا ولا ضرا الا ما شاء الله و لو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير و ما مسني السوء ان أنا الا نذير و بشير لقوم يؤمنون))(٢)و قال : ((قل انما أنا بشر مثلكم يوحى الي أنما الهكم اله واحد فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا))(٣)

فالآيات المتقدمة تكفي للرد على المتصوفة بأن ما يعتقدونه تجاه الرسول صلى الله عليه وسلم من أنه ينفع و يضر و يعطي و يمنع و يفرج كرب المكروبين و هم المهمومين و يستجيب لمن دعاه باطل و اعتقد فاسد مخالف تمام المخالفة لما جاء به الرسول صلى الله عليه و سلم بل هو شرك محض لا علاقة له بالاسلام دين التوحيد لأن الرسول صلى الله

---

(١)— يونس آية ١٩

(٢)— الأعراف آية ١٨٨

(٣)— الكهف آية ١١٠

عليه وسلم قد صرح بأنه لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا و قد أخبر بأنه بشر وأن ميزتـــه الوحيدة هي أنه يوحى اليه و أنه أفضل جميع الخليقة و لكن كونه أفضل جميـــع الخليقة لا يدعونا ذلك الى أن ندعوه من دون الله و نرفعه الى درجة الربوبية .

و قد نهى الله عزوجل عن أن يتجه الانسان بالدعاء الى غيره فقال تعالى :

((و لا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك فان فعلت فانك اذا من الظالمين وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هـــو))(١)

اذا فدعاء غير الله يعتبر شركا بالله و أن المدعو من دون الله ليس بمقدوره النفـع والضر و أنه لا يستطيع أن يرفع البلاء و لا أن يرد الخير و قد أخبر الله عزوجل بأن كل من يدعو من دون الله أحدا من خلقه يعتبر كافرا بالله فقال تعالى :((و من يـــدع مع الله الـها آخر لا برهان له به فانما حسابه عند ربه انه لا يفلح الكافرون))(٢)

و هذه الآية نص صريح في أن دعاء غير الله و الاستغاثة به شرك أكبر و لهذا قـال تعالى :((و ان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو وان يردك بخير فـــلا راد لفضلـه))(٣) لأنه المتفرد بالملك و القهر و العطاء و المنع و لازم ذلك افـــراده بتوحيد الألوهية لأنهما متلازمان و افراده بسؤال كشف الضر و جلب الخير لا يكشـف الضر الا هو ولا يجلب الخير الا هو قال تعالى :((ما يفتح الله للناس من رحمـة فلا ممسك لها و ما يمسك فلا مرسل له من بعده و هو العزيز الحكيم))(٤)

فتعين أن لا يدعى لذلك الا هو و بطل دعاء من سواه ممن لا يملك لنفسه ضرا ولا نفعا فضلا عن غيره و كما قالوا فاقد الشيء لا يعطيه

---

(١)— يونس ١٠٧—١٠٨

(٢)— المؤمنون آية ١١٨

(٣)— الأنعام آية ١٨

(٤)— فاطر آية ٢

المطلب الثاني : غلوهم في الأوليـــاء :

لقد غلا المتصوفة في الأولياء كما غلو في الرسول صلى الله عليه وسلم غلوا شديدا حتى رفعوهم الى منزلة الأنبياء و لم يقفوا عند هذا بل تجاوزوا بهم منزلة الأنبيـــاء حتى أوصلوهم الى منزلة الألوهية و الربوبية فوقعوا بذلك في عقائد باطلة تصطـــدم تماما مع العقيدة التي جاء بها محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم و نحن هنـــا لا نريد أن نتتبع الانحرافات التي وقع فيها الصوفية تجاه الأولياء فان هذا له بـــاب خاص في البحث سيأتي(١) و انما غرضنا هنا هو الاتيان ببعض النماذج لكي نثبت بأن من أهم العوامل التي أدت الى انحراف المتصوفة هو غلوهم في الأولياء و اليك البرهـــان على ما نقول :

١ــ الانحراف الأول : رفع مشايخهم الى منزلة الألوهية و الربوبية :

أولا : النصوص عنهم من كتبهم :

قال ابن عربي في منزلة القطب : (القطب هو مركز الدائرة و محيطها و مرآة الحق عليه مدار العالم له رقائق ممتدة الى جميع قلوب الخلائق و منزلة حضرة الايجاد و الصرف فهو الخليفة و مقامه تنفيذ الأمر و تصريف الحكم و حاله الحالة العامية لا يتقيد بحـــال تخصيص فانه الستر العام في الوجود و بيده خزائن الوجود و الحق له متجلي علـــى الدوام و له من البلاد مكة و لو سكن حيث ما سكن بجسمه فان محله مكة ليس الا)(٢) ،

و قال الدسوقي : و مكني في سائر الأرض كلها و في الجن و الأشباح و المردية

---

(١) أنظر ص ٥١٤ — ٧١٣

(٢) ــ كتاب الانسان الكامل و القطب الغوث الفرد من كلام الشيخ الأكبر محيي الدين ابن عربي جمع و تأليف محمود محمود الغراب بدون ذكر مكان الطبع و تاريخه

و في أرض صين الصين و الشرق كلها لأقصى بلاد الله تحت ولايتي ،

ففي هذا النص يتضح لنا جيدا بأن المتصوفة يعتقدون في مشايخهم ما لا يجوز اعتقاده الا في الله عزوجل حيث اعتقدوا فيه بأنه منفذ للأمور و مصرف للحكم و أن خزائن الوجود كلها بيده

و لو عرضنا هذه المعتقدات على الكتاب و السنة سنجد بأنها عقائد مخالفة تماما لما فيهما

فالله سبحانه و تعالى قد أخبرنا في كتابه بأن كل الأمور بيده و أن جميع ما في الكون له سبحانه و تعالى لا يشركه فيه أحد لا ملك مقرب و لا نبي مرسل و لا ولي من أولياء الله عزوجل قال تعالى : ((قل لمن الأرض و من فيهنا ان كنتم تعلمون سيقولون لله قل أفلا تذكرون)) (١)

و قال تعالى : ((قل من بيده ملكوت كل شيء و هو يجير و لا يجار عليه ان كنتم تعلمون سيقولون لله قل أفلا تتقون)) (٢)

و قال تعالى : ((ألا له الخلق و الأمر تبارك الله رب العالمين)) (٣)

فهذه الآيات كلها تفيد بأن كل ما في السماوات و ما في الأرض لله سبحانه و تعالى لأنه المتصرف فيه وحده لا شريك له لأنه هو الذى خلقه و بالتالي فهو الذى يسيره لا يشركه في ذلك أى أحد من مخلوقاته مهما كانت منزلته و لذا نقول ان زعم الصوفية بأن مشايخهم لهم التصرف في هذا الكون كذب محض لا يعتمد على أى دليل

---

(١) — المؤمنون آية ٨٥

(٢) — المؤمنون ٨٦ — ٨٧

(٣) — الأعراف ٥٤

لا عقلي ولا نقلي بل هو زعم يؤدي بصاحبه الى الشرك في توحيد الربوبية ان لم يتب منه لأن من الواجب لله سبحانه و تعالى افراده في توحيد ربوبيته و ألوهيته و أسمائه و صفاته و القول بأن للمشايخ تصرف في هذا الكون يعتبر شركا في توحيد الربوبية يجب أن يتوبوا منه و يرجعوا الى الله فيوحدوه حق توحيده و لم يكف الصوفية بهذا بل ادعوا بأن مشائخهم لهم القدرة الكاملة على اجابة كل من استغاث بهم و أنهم يستطيعون تفريج كربمن دعاهم بل بالغوا فيهم حتى زعموا بأنهم باستطاعتهم أن يتحدوا الله في قضائه و قدره و اليك الدليل على ما أقول :

فقد ذكر صاحب كتاب مناقب الشيخ عبد القادر الجيلاني راويا عن الرفاعي (١) أنه قال : (توفي أحد خدام الغوث الأعظم و جاءت زوجته الى الغوث فتضرعت والتجأت اليه و طلبت حياة زوجها فتوجه الغوث الى المراقبة فرأى في عالم الباطن أن ملك الموت عليه السلام يصعد الى السماء و معه الأرواح المقبوضة في ذلك اليوم فقال : يا ملك الموت قف و اعطني روح خادمي فلان و سماه باسمه فقال ملك الموت : اني أقبض الأرواح بأمر الهي و أؤديها الى باب عظمته كيف يمكنني أن أعطيك روح الذي قبضته بأمر ربي فكرر الغوث عليه اعطاءه روح خادمه اليه فامتنع من اعطائه و في يده ظرف معنوي كهيئة الزنبيل فيه الأرواح المقبوضة في ذلك اليوم فبقوة المحبوبية جر الزنبيل و أخذه من يده فتفرقت الأرواح و رجعت الى أبدانها فناجى ملك الموت عليه السلام ربه و قال

---

(١) — هو أحمد بن أبي الحسين الرفاعي نسبة الى بني رفاعة قبيلة من العرب و سكن أم عبيدة بأرض البطائح الى أن مات بها عام ٥٧٠ هـ و كانت انتهت اليه الرياسة في علوم الطريق و شرح أحوال القوم و كشف مشكلات منازلهم و به عرف الأمر بتربية المريدين بالبطائح و اليه تنتسب الطريقة الرفاعية . انظر ترجمته في الطبقات الكبرى للشعراني ١ / ١٤٠

يا ربي أنت أعلم بما جرى بيني و بين محبوبك ووليك عبد القادر فبقوة السلطنة و الصولة أخذ مني ما قبضته من الأرواح في هذا اليوم فخاطبه الحق جل جلاله : يا ملك الموت ان الغوث الأعظم محبوبي و مطلوبي لما أعطيته روح خادمه و قد راحت الأرواح الكثيرة من قبضتك بسبب روح واحد فتندم هذا الوقت)(١) .

و ذكر أحد الصوفية بأن الشيخ محمد صديق وقع في البحر و لم يكن يعرف السباحة فكاد أن يغرق فناداه — أي عبد القادر — مستغيثا به فحضر و أخذ بيده و أنقذه من الغـــرق .

و حكى في نفس الصفحة أنه كان جالسا يوما مع أصحابه في رباطه اذ ابتلت يـــده الشريفة و كمه الى ابطه فعجبوا من ذلك و سألوه عنه فقال رضي الله عنه : استغاث بـي رجل من المريدين تاجرا كان راكبا في السفينة و قد كادت أن تغرق فخلصتها مـــن الغرق فابتل لذلك كمي و يدى فوصل هذا التاجر بعد مدة و حدث بهذا الأمر كما أخبر الشيخ رضي الله عنه)(٢)

فلو نظرنا في النصوص المتقدمة نلاحظ بأن الصوفية يجيزون الالتجاء الى المخلـوق و الاستغاثة به و يقولون بأن بامكان الولي أن يعلم بكل ما في هذا الكون و هو جالـس في مكانه و أن باستطاعته تغيير القدر الذى قدره الله في الأزل و أنه يسمع كل مـــن ناداه و استغاث به و يفرج عنه كربه و لو عرضنا هذه الاعتقادات كلها على الكتاب و السنة سنجدها تصطدم تماما مع ما فيهما من الاعتقادات التي أمرنا الله سبحانه و تعالى

---

(١)— كتاب تفريج الخاطر في مناقب تاج الأولياء و برهان الأصفياء الشيخ عبد القادر الجيلاني ص ١٧

(٢)— المواهب السرمدية في مناقب النقشبندية لمحمد أمين الكردى ص ٢١٠

أن نعتقدها

و لنبدأ أولا بمناقشة موضوع الاستغاثة بغير الله و الالتجاء الى غيره بايجاز شديد جدا

فالصوفية كما اتضح لنا في النصوص السابقة التي نقلناها عنهم يجوزون الاستغاثة بغير الله و الالتجاء الى غيره عند الشدائد و الملمات مع أن الاستغاثة تعتبر عبادة لأن الاستغاثة هي طلب الغوث و هي بمعنى الدعاء و اذا كان الأمر كذلك فلا يجوز الاستغاثة بغير الله لأنها عبادة لا يجوز صرفها لغير الله سبحانه و تعالى بل يجب أن يعبد الله وحده ولا يشرك معه أحد غيره في عبادته سبحانه و تعالى و بما أن المخلوق ليس لديه القدرة على اغاثة من استغاث به فلا يجوز التوجه اليه بالدعاء و طلب الاغاثة اذا كان غائبا أو ميتا أما اذا كان حاضرا فيجوز طلب الاغاثة منه فيما يقدر عليه فقط و ادعاء الصوفية بأن مشائخهم بامكانهم اغاثة من استغاث بهم بعد مماتهم أو في حياتهم حال غيابهم يعتبر كذبا محضا و افتراء على الله بغير علم و لا هدى و لا كتاب مبين لأن المغيث هو الله وحده لا شريك له أما من عداه فلا يستطيع أن يغيث أحدا و قد أخبرنا الله سبحانه و تعالى على أن أى مدعو من دونه لا يملك كشف ضر عن أحد أو تحويله عنه فقال تعالى : ((قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم و لا تحويلا))(١)

و قد أخبرنا الله سبحانه و تعالى بأن المشركين دعوا شركاءهم فلم يستجيبوا لهم

---

(١) — الاسراء آية ٥٦

فقال تعالى : ((و قيل ادعوا شركاءكم فدعوهم فلم يستجيبوا لهم)) (١)

و قد أخبرنا الله سبحانه و تعالى بأن أى مدعو من دونه لا يملك شيئا و لو كان صغير الحجم قليل القيمة أو فاقد القيمة فقال تعالى : ((و الذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير ان تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم و لو سمعوا ما استجابوا لكم و يوم القيامة يكفرون بشرككم و لا ينبئك مثل خبير)) (٢)

فهذه النصوص القرآنية التي أوردتها تفيد بأن المدعو من دون الله سبحانه و تعالى لا يملك لنفسه نفعا و لا ضرا فضلا عن غيره فلذا لا يجوز دعاء غير الله عزوجل و كل من خالف هذه النصوص و دعا غير الله عزوجل يعتبر وقع في الشرك الأكبر و الذى يعتبر أكبر ظلم عصي به الله عزوجل على الاطلاق و قد نهى الله عزوجل في كتابه عن دعاء غيره فقال تعالى : ((و لا تدع من دون الله ما لا ينفعك و لا يضرك فان فعلت فانك اذا لمن الظالمين)) (٣)

و قال تعالى : ((و لا تدع مع الله الها آخر لا اله الا هو كل شيء هالك الا وجهه له الحكم و اليه ترجعون)) (٤)

و قال تعالى : ((و أن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا)) (٥)

و الله عزوجل لم ينهنا عن دعاء غيره و يتركنا هكذا حيارى بل أمرنا أن ندعوه وحده و لا نشرك معه أحدا غيره لا ملكا مقربا و لا نبيا مرسلا و لا وليا فقال تعالى : ((و اذا

---

(١) — القصص آية ٦٥

(٢) — فاطر آية ١٤ — ١٥

(٣) — يونس آية ١٠٦

(٤) القصص آية ٨٨

(٥) — الجن آية ١٨

سألك عبادي عني فاني قريب أجيب دعوة الداع اذا دعان))(١)

و قال تعالى : ((و قال ربكم ادعوني أستجب لكم ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين))(٢)

الى غير ذلك من الآيات التي تحثنا كلها على دعاء الله سبحانه و تعالى و الالتجاء اليه و الاستغاثة به عند الشدائد

و في الحديث : (ينزل ربنا تبارك و تعالى الى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر ثم يقول : (من يدعوني فأستجيب له من يسألني فأعطيه من يستغفرني فأغفر له)(٣)

و في حديث آخر : قال الرسول صلى الله عليه وسلم : (الدعاء هو العبادة)(٤)

و في حديث آخر : قال الرسول صلى الله عليه و سلم : (الدعاء مخ العبادة)(٥)

و أما ادعاء الصوفية بأن أحد مشايخهم نظر الى ملك الموت وهو يصعد بالأرواح في زنبيل ثم أخذها منه و رجعت الأرواح الى أصحابها و أن أحد مشائخهم أنقذ سفينة من الغرق و هو جالس في مكانه بالاضافة الى انقاذ انسان آخر استغاث به فهذه كلها ادعاءات كاذبة مبنية على الكذب المحض لا أساس لها من الصحة و لا يمكن أن يقبلها انسان به أقل شيء من العقل السليم من التأثر بالخرافات الصوفية و أوهامهم الفاسدة

---

(١) — البقرة آية ١٨٦

(٢) — غافر آية ٦٠

(٣) — صحيح مسلم بتحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ١ / ٥٢١

(٤) — سنن الترمذي ٥ / ٤٢٦

(٥) — سنن الترمذي ٥ / ٤٢٥

ولذا لا نريد أن نطول في الرد عليها بل نقول بايجاز شديد ان علم الغيب مختص بالله سبحانه و تعالى و لا يمكن لأحد أن يعلم الغيب كائنا من كان كما قال تعالى : ((عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحد الا من ارتضى من رسول فانه يسلك من بين يديه و من خلفه رصدا))(١)

و مشائخ الصوفية ليسوا أنبياء و لا رسلا حتي يدعي أتباعهم بأنهم يوحى اليهم من الله ولذا نقول بأن ادعاء الصوفية بأن مشائخهم يشاهدون ما في هذا الكون و هم جالسون في مكانهم لا أساس له من الصحة بل محض دجل و افتراء متعمد لتضليل العوام بتهويل قدر مشائخ الصوفية في أعينهم حتى يصرفوهم عن عبادة الله الواحد القهار الى عبادة القبور و الأحجار ،

و أما زعم هذا الصوفي بأن أحد مشائخ الصوفية أخذ الأرواح من ملك الموت ورد ها الى أصحابها فهذا يجر الصوفية الى الاعتقاد بأن أحدا ما من المخلوقات باستطاعته منازعة الله في قضائه و قدره و ذلك لأن من المعلوم و الواجب اعتقاده بأن كل شيء يقع في هذا الكون يكون بقضاء الله و قدره و أن الله سبحانه و تعالى قد حدد الآجال و الأرزاق فكل ميت لا يمكن أن يموت قبل اليوم الذى قدره الله له ولا يمكن أن يحيى كذلك بعدها و لو لحظة و من الأدلة في هذا المجال الآيات التالية :

قوله تعالى : ((انا كل شيء خلقناه بقدر))(٢)

و قوله تعالى : ((و خلق كل شيء فقدره تقديرا))(٣)

و قوله تعالى : ((ما أصاب من مصيبة في الأرض و لا في أنفسكم الا في كتاب من قبل أن نبرأها ان ذلك على الله يسير))(٤)

---

(١) — الجن ن ٢ — ٢٧ (٢) — القمر أية ٤٩

(٣) — الفرقان آية ٢ (٤) — الحديد آية ٢٢

و قوله تعالى : ((ان أجل الله اذا جاء لا يؤخر لو كنتم تعلمون))(١)

و قوله تعالى : ((فاذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة و لا يستقدمون))(٢)

و لهذا نقول ان زعم هذا الصوفي بأن شيخه أخذ الأرواح و ردها الى أصحابها ليس بصحيح و انما هو كذب و افتراء على الله و يلزم أصحاب هذا القول الاعتقاد بأن المخلوق يستطيع أن يغالب الله في قضائه و قدره و هذا يعتبر في توحيد الربوبية و ذلك لأن من أقسام التوحيد هو افراد الله في ربوبيته و الله سبحانه و تعالى قد قدر كل الأشياء قبل أن يظهرها لنا و مما يدل على ذلك قوله تعالى : ((ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم الا في كتاب من قبل أن نبرأها ان ذلك على الله يسير))(٣)

و منها قوله تعالى : ((و فجرنا الأرض عيونا فالتقى الماء على أمر قد قدر))(٤)

و المعنى : أى على أمر قد علم في سابق علم الله سبحانه و تحتم وقوعه فوقع كما قدره الله سبحانه و تعالى

و منها قوله تعالى : ((فأنجيناه و أهله الا امرأته قدرناها من الغابرين))(٥)

و منها قوله تعالى : ((و كان أمر الله قدرا مقدورا))(٦)

و لهذا نقول ان الايمان بقضاء الله و قدره أمر واجب على كل مسلم و معنى الايمان بقضاء الله و قدره هو أن نؤمن بأن الله سبحانه و تعالى قد قدر كل ما يقع في هذا الكون و قضاه و كل شيء قدره الله لا بد و أن يقع ولا يمكن لأحد كائن من كان أن يغير شيئا مما قدره الله سبحانه . تصبح دعوى الصوفية بأن الشيخ نزع

---

(١) — نوح آية ٤ (٢) — الأعراف آية ٣٤

(٣) — الحديد آية ٢٢ (٤) — القمر آية ١٢

(٥) — النمل آية ٥٧ (٦) — الأحزاب آية ٣٨

الأرواح من ملك الموت و رجعت الى أصحابها كذب و افتراء بحت و ذلك لأن الله سبحانه قد قدر بأن هذه الأرواح ستموت في هذا اليوم و ما دام قدر الله أن تموت في هـــذا الوقت فلا يمكن أن تعود هذه الأرواح الى أصحابها الا اذا قال الصوفية بأنهـــم يؤمنون بأن مشائخهم باستطاعتهم أن ينازعوا الله في قضائه و قدره و التصرف في هذا الكون و اذا قالوا بهذا فانهم قد وقعوا في الشرك بالله في توحيد ربوبيته لأن من الأمور الواجب اعتقادها تجاه الله سبحانه و تعالى هو الايمان بأن كل ما في هـــذا الكون تحت تصرفه سبحانه و تعالى لا يشركه فيه أحد و لا يستطيع أحد أن ينازعه مهما كانت مكانته لا نبيا مرسلا ولا ملكا مقربا و لا وليا لأن الكل عبيد لله سبحانه و تعالـــى يتصرف فيهم كما يشاء

٢ــ الانحراف الثاني الذى وقع فيه الصوفية بسبب غلوهم في مشائخهم هو الادعاء بأن لهم علوما خاصة يتلقونها عن الله و عن رسوله مباشرة :

لقد وصل الغلو بالصوفية الى أن ادعوا بأن لمشائخهم علوما خاصة يتلقونها عن الله مباشرة تختلف تماما مع العلوم التي جاء بها رسول الله صلى الله عليه و سلم من ربه و ادعوا أيضا بأنهم يتلقون علوما خاصة بهم عن رسول الله صلى الله عليه و سلم و هم يسمون هذه العلوم علوم الخاصة أى علوما يختصون بها هم دون سائر الأمة الاسلامية و اليك الأدلة من بطون كتبهم :

قال صاحب الرماح الذى بها مرجواهر المعاني (١) في الفصل الثاني و العشرين (انهم لا ينطقون الا بما يشاهدون و يأخذون عن الله ورسوله الأحكام الخاصة للخاصة لا مدخل فيها للعامة لأنه صلى الله عليه وسلم كان يلقي الى أمته الأمر الخاص . . . . . ثم قال ان الكامل منهم ينزل عليه الملك بالأمر و النهي)(٢)

و نقل الشعراني عن ابن عربي أنه قال : (حدثني قلبي عن ربي أو حدثني

---

(١)ــ هو علي بن برادة من أتباع الطريقة التيجانية المشهورة و من غلاتهم له كتاب جواهر المعاني في التصوف

(٢)ــ الرماح بها مرجواهر المعاني ١٥٦/١

ربي عن قلبي أو حدثني ربي عن نفسه بارتفاع الوسائط)(١)

فالنصين السابقين يدلان دلالة واضحة على أن الصوفية يؤمنون بأن مشائخهم يتلقون علوما خاصة بهم عن الله مباشرة

والرد عليهم بايجاز : ان ادعاءهم هذا يؤدى بهم الى القول بعدم ختم النبوة وبقاء بابها مفتوحا لكل من يدعي التلقي عن الله و هذا يعتبر انحرافا عقديا خطيرا و ذلك لأن عقيدة ختم النبوة تعتبر من الأمور المعلومة من الدين بالضرورة يعرفها العامي فضلا عن العالم و قد وردت نصوص قرآنية و أحاديث نبوية تدل دلالة قاطعة على ختم النبوة فمن الآيات الدالة على ذلك قوله تعالى : ((ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله و خاتم النبيين و كان الله بكل شيء عليما))(٢)

و من الأحاديث الدالة على أن النبوة قد ختمت قوله صلى الله عليه وسلم: (لا نبي بعدى)(٣)

فالآية و الحديث السابقان يدلان دلالة واضحة على أن النبوة قد ختمت بالرسول محمد صلى الله عليه و سلم و ذلك لأن الله سبحانه و تعالى قد أخبرنا بأن محمدا ابن عبد الله عليه أفضل الصلاة و السلام خاتم النبيين و نفى الرسول صلى الله عليه وسلم أن يكون نبيا بعده

فكل من يدعي بأنه تنزل عليه علوم من الله سبحانه و تعالى بعد هذا الدليل القاطع يعتبر دجالا مفتريا على الله يجب أن يستتاب فان تاب و الا فيجب أن تقطع عنقه حتى

---

(١)ـ لطائف المنن للشعراني ١/ ١٤٥

(٢)ـ الأحزاب آية ٤٠

(٣)ـ صحيح مسلم مع النووى ١٢/ ٢٣١

لا يفتن المسلمين في دينهم و ذلك لأن ادعاء التلقي عن الله يؤدى الى الاتيان بأحكام و عقائد جديدة تختلف مع العقيدة و الشريعة التي أتى بها محمد بن عبد الله عليه الصلاة و السلام من ربه و اذ اعترض عليه أى معترض يستطيع أن يقول بكل سهولة أنه تلقاه عن الله تعالى كما يزعم الصوفية ذلك و هذا يعتبر هدما و تقويضا للعقيدة و الشريعة الاسلامية و القضاء عليها نهائيا

٣ــ الانحراف الثالث الذى وقع فيه الصوفية بسبب غلوهم في المشائخ هو الادعاء بأن لهم الاطلاع على الغيب:

لقد وصل غلو الصوفية في مشائخهم الى أن زعموا بأنهم يعلمون الغيب حيث ادعوا بأن الأولياء يعلمون الأشياء المكتوبة على أوراق الشجر والماء والهواء وكل ما في البر والبحر وما في السماء وكل ما يقع للانس والجن في حياتهم وبعد مماتهم وأنهم يسمعون كل من ناداهم من قريب أو بعيد فيقضون له طلبه واليك الأدلة على هذا من بطون كتبهم

فقد قال ابراهيم الدسوقي (١) في معرض حديثه عن خصائص العارف بالله عندهم (وكذلك لهم الاطلاع على ما هو مكتوب على أوراق الشجر والماء والهواء وما في البر والبحر وما هو مكتوب على صفحة قبة خيمة السماء وما في حياة الانس والجان مما يقع لهم في الدنيا والآخرة ولا يحجب من حكيم يتلقى علما من حكيم عليم)(٢)

وحكى أحد الصوفية عن أحد الصوفية أنه وقع في البحر ولم يكن يعرف السباحة فكاد أن يغرق فناداه مستغيثا به فحضر وأخذ بيده وأنقذه من الغرق (٣)

فالنصان السابقان يدلان بأن الصوفية يعتقدون بأن مشائخهم يعلمون الغيب ويفرجون كرب كل من استغاث بهم ودعاهم

---

(١)ــ هو ابراهيم بن محمد بن عبد الرحمن الدسوقي الصوفي ولد سنة ٨٣٣ هـ ولبس خرقة التصوف من شهاب الدين ولقنه الذكر أبو العباس المرسي ت ٦٧٦هـ

انظر الكواكب السائرة ١/ ١٠٠

(٢)ــ جمهرة الأولياء للمنوفي ٢/ ٢٤٢

(٣)ــ المواهب السرمدية لمحمد أمين الكردى ص. ٢١٠ مطبعة السعادة مصر ط١ ١٣٢٩هـ

والذى نريد أن نناقشه هنا هو مسألة علم الغيب و هل يمكن للمخلوق أن يعلمه أم أن علم الغيب مختص بالله سبحانه و تعالى

فلو نظرنا في كتاب الله عزوجل سنجد فيه آيات كثيرة و كلها تتحدث في اختصاص الله تعالى بعلم الغيب و ليس بامكاننا الآن أن نذكر كل الآيات التي تتحدث في هذا المجال و انما نريد أن نذكر آية واحدة مع ايراد بعض أقوال المفسرين فيها و هي بالفعل كافية و مقنعة في هذا المجال لمن يبحث عن الحق و يريد الوصول اليه أما المعاند المكابر فلا يمكن أن يقتنع مهما أتينا له بالآيات

والآية التي نريد أن نستدل بها على أن علم الغيب خاص بالله تعالى و أنه لا يمكن لأحد أن يطلع على الغيب اطلاقا باستثناء الرسل عليهم الصلاة و السلام فان الله سبحانه و تعالى يطلعهم على بعض غيبه تأييدا لهم حتى يكون ذلك مساعدا لهم لاقناع أقوامهم بما يدعونهم اليه هي قوله تعالى : ((عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا الا من ارتضى من رسول فانه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربهم و أحاط بما لديهم و أحصى كل شيء عددا))(١)

واليك أقوال بعض المفسرين الأعلام في هذه الآية حتى نستطيع التوصل الى الحكم الصحيح في كل من يدعي علم الغيب

فقد قال القرطبي : (والغيب ما غاب عن العباد

فلا يظهر على غيبه أحدا الا من ارتضى من رسول فانه يظهره على ما يشاء من غيبه لأن الرسل مؤيدون بالمعجزات و منها الاخبار عن بعض الغائبات . . .) ثم قال : (و الأولى أن يكون المعنى : أى لا يظهر على غيبه الا من ارتضى أى اصطفى للنبوة فانه

---

(١)— الجن ٢٦—٢٨

يطلعه على ما يشاء من غيبه ليكون ذلك دالا على نبوته)(١)

ثم قال القرطبي : (قال العلماء رحمة الله عليهم : لما تمدح سبحانه بعلم الغيب واستأثر به دون خلقه كان فيه دليل على أنه لا يعلم الغيب أحد سواه ثم استثنى من ارتضاه من الرسل فأودعهم ما شاء من غيبه بطريق الوحي اليهم و جعله معجزة لهم و دلالة صادقة على نبوتهم و ليس المنجم و من ضاهاه ممن يضرب بالحصى و ينظر في الكتب و يزاجر الطير ممن ارتضاه من رسول فيطلعه على ما يشاء من غيبه بل هو كافر بالله مفتر عليه بحدسه و تخمينه)(٢)

و قال ابن جرير الطبرى في تفسير هذه الآية في المجلد الثاني عشر :

(يعني بعالم الغيب عالم ما غاب عن أبصار خلقه فلم يروه فلا يظهر على غيبه أحدا فيعلمه أو يريه اياه ((الا من ارتضى من رسول)) فانه يظهره على ما يشاء من ذلك)

و نقل عن ابن عباس أنه قال في تفسيرها : (أعلم الله سبحانه الرسل من الغيب الوحي و أظهرهم عليه بما أوحى اليهم من غيبه و ما يحكم الله فانه لا يعلم ذلك غيره)

و نقل عن قتادة أنه قال في تفسير هذه الآية :

(فانه يصطفيهم و يطلعهم على ما يشاء من الغيب)

و نقل عن ابن جريج أنه قال في تفسيرها : (ينزل من غيبه ما شاء على الأنبياء أنزل على رسول الله الغيب القرآن قال و حدثنا فيه بالغيب بما يكون يوم القيامة)(٣)

---

(١)— الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٩/٢٧

(٢)— الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٩/٢٨

(٣)— تفسير ابن جرير الطبرى ٢١/٧٦

و قال عبد الرحمـــن بن ناصر السعدى في كتابه تيسير الكريم الرحمـــن في تفسيـــر كلام المنان : (فلا يظهر على غيبه أحدا من الخلق بل انفرد بعلم الضمائر و الأســـرار و الغيـــوب ((الا من ارتضى من رسول)) أى فانه يخبره بما اقتضت حكمته أن يخبره به و ذلك لأن الرسل ليسوا كغيرهم فان الله أيدهم بتأييد ما أيده أحدا من الخلـــق و حفظ ما أوحاه اليهم حتى يبلغوه على حقيقته من غير أن تقربه الشياطين فيزيدوا فيـــه أو ينقصوا منه)(١) .

فالأقوال التي أوردتها عن هؤلاء العلماء الأجلاء الذين سبق ذكرهم كلها اتفقت على نفي علم الغيب على جميع ما في هذا الكون و من هنا نقول ان باب علم الغيـــب مسدود نهائيا و كل من يحاول أن يعلم الغيب انما يسعى لكي يضله الله عزوجل و الا فما الداعي لانسان يؤمن بأن القرآن كلام الله أن يسعى للاطلاع على علم الغيب بعـــد أن أخبر الله عزوجل في كتابه بأن الغيب خاص به سبحانه و أنه لا يطلع عليه أحدا الا رسله فانه يطلعهم على جزء من غيبه حتى يكون لهم معجزة فيساعدهم في ايمان أقوامهم أو اقناعهم و حتى الوحي الذى يوحيه اليهم يعتبر غيبا و قد قال بعض المفسرين بهذا كما سبق .

و الخلاصة ان غلو المتصوفة في مشائخهم و اعتقادهم بأنهم يعلمون الغيب يعتبر اعتقادا فاسدا و أن الواجب عليهم التراجع عن هذا الغلو الذى صار سببا في ضلالهم كما ضل بسببه كثير ممن كان قبلهم من الأمم الماضية و معروف أن أول شرك حصل فـــي الأرض كان سببه الغلو في رجال صالحين

---

(١) ـ تيسير الكريم المنان في تفسير كلام المنان ٨ / ١٨٢ المطبعة السلفية مصر ١٣٧٧

المبحث الرابع: تأثرهم بالفكر اليوناني الوثني :

ان من أهم العوامل التي أدت الى انحراف الصوفية هو تأثرهم بالفكر اليوناني الوثني

و مما يدل على تأثر المتصوفة بأفكار الفلاسفة اليونانيين كأفلاطون و أرسطو طاليس ثناء كبار المتصوفة على هؤلاء الفلاسفة و تمجيدهم ووصفهم بالطهر و الثناء على طريقتهم بوصفهم لها بأنها من أحسن الطرق التي ينبغي اتباعها لتطهير النفوس و صفائها

و الى جانب ذلك فقد أثبت المفكرون الاسلاميون الذين كتبوا عن التصوف تأثر المتصوفة بالفكر اليوناني في قضايا اعتقادية و سلوكية كثيرة و بما أنه يصعب حصر هذه الأشياء التي أخذها المتصوفة عن اليونانيين سأكتفي بذكر نماذج فقط لأن المقصود هو الاثبات بأن من أهم العوامل التي أدت الى انحراف المتصوفة هو تأثرهم بالفكر اليوناني وليس المقصود حصر الأمور التي يلتقي فيها المتصوفة مع فلاسفة اليونان فان هذا يحتاج الى رسالة مستقلة و اليك بيان هذا فيما يلي :

أولا : أقوال كبار أئمة التصوف التي تدل على تأثرهم بفلاسفة اليونان و اعجابهم بهم :

فمن المتصوفة الذين ذكروا اعجابهم بفلاسفة اليونان عبد الكريم الجيلي (١) فقد

---

(١) — عبد الكريم الجيلي هو : عبد الكريم بن ابراهيم بن عبد الكريم الجيلي بن سبط الشيخ عبد القادر الجيلاني من كبار علماء الصوفية و له كتب كثيرة منها الانسان الكامل في معرفة الأواخر و الأوائل في اصطلاحات الصوفية و "المناظر الالهية" و "مراتب الوجود" و "قاب قوسين و ملتقى الناموسين" انظر الأعلام للزركلي ٤ / ٢٧٥

قال في كتابه "الانسان الكامل في معرفة الأوائل و الأواخر" في الجزء الثاني منه كلاما يدل دلالة صريحة وواضحة على حبه العميق لموجدى الفلسفة اليونانية و اعجابه بهم و اليك نص كلامه الذى يدل على ما قلناه :

فقد قال : (ولقد اجتمعت بأفلاطون الذى يعدونه أهل الظاهر كافر فرأيته وقد ملأ العالم الغيبي نورا و بهجة و رأيت له مكانة لم أرها الا لآحاد من الأولياء فقلت له : من أنت ؟ قال : قطب الزمان وواحد الأوان و لكم رأينا من عجائب و غرائب مثل هذا ليس من شرطها أن تفشى و قد رمزنا لك في هذا الباب أسرار كثيرة ما كان يسعنا أن نتكلم فيها بغير هذا اللسان فالق القشرة من الخطاب و خذ اللب ان كنت من أولي الألباب) (١)

و قد ذكر في مكان آخر من كتابه بأن أرسطو تلميذ أفلاطون لزم خدمة الخضر واستفاد منه علوما جمة و كان من تلامذته (٢)

قلت : ادعاء عبد الكريم الجيلي بأن أفلاطون التقى بالخضر كذب محض و ليس بصحيح لأن أفلاطون رجل وثني كافر و الخضر نبي من أنبياء الله على القول الراجح و لأن الخضر قد مات أيضا على القول الراجح كما سنبينه في الباب الثالث من هذه الرسالة (٣)

و هل عبد الكريم الجيلي يدعي مثل هذا الادعاء لكي يبرر الأخذ من الوثنيين اليونانيين و ينشر عقائدهم في أوساط المسلمين

---

(١) — الانسان الكامل لعبد الكريم الجيلي ٢ / ٥٢ — ٥٣

(٢) — الانسان الكامل لعبد الكريم الجيلي ٢ / ١١٧

(٣) أنظر ٤١٥ — ٥٠٤

و من المتصوفة الذين مدحوا الفلاسفة اليونانيين لسان الدين الخطيب (١) فقد نقل عن أرسطو أنه قال :

(اني ربما خلوت بنفسي كثيراً و جعلت بدني جانبا و صرت كأني مجرد بلا بدن عرى من الملابس الطبيعية فأكون داخلا في ذاتي خارجا من سائر الأشياء فأرى في ذاتي من الحسن السناء و البهاء و الضياء و المحاسن العجيبة و المناظر الأنيقة ما أبقى له متعجبا متحيرا باهتا فأعلم أني جزء من أجزاء العالم الأعلى الشريف فلما أيقنت بذلك رقيت بذهني الى العلة الالهية المحيطة بالكل فصرت كأني موضوع متعلق بها فأكون فوق العالم كله فرأني كأني واقف في ذلك الموقف الشريف المقدس الالهي فأرى هنالك من النور و البهاء و البهجة و السناء مالا تقدر الألسن على صفته و الأسماع على نعته و لا الأوهام أن تحيط به فاذا استغرقني ذلك النور و البهاء لم أطق على احتماله و لا الصبر عليه فارتددت عاجزا عن النظر اليه و هبطت من العقل الى الفكر و الروية فاذا صرت في عالم الفكر و الروية حجبت الفكرة عن ذلك النور والبهاء و حالت بيني و بينه الأوهام فأبقى متعجبا كيف انحدرت من ذلك الموضع الشاهق العالي الالهي و صرت سفلا في موضع الفكر و الضيقة بعد أن قويت نفسي على التخلف عن بدنها و الرجوع الى ذاتها و الترقي الى العالم العقلي ثم العالم الالهي مع العقول فوق العوالم كلها حتى صرت في موضع البهاء و النور و السناء متجلية الذى هو علة كل نور و بهاء و سبب كل دوام و بقاء ومن العجيب أني كنت قد رأيت نفسي مستلئة نورا و هي في البدن كهيأتها و البدن

---

(١) — هو محمد بن عبد بن سعيد المعروف بلسان الدين الخطيب و ينسب الى سلمان و هو حي من مراد من عرب اليمن انتقل الى الشام ثم هاجر الى الأندلس و استقر في غرناطة و قد مات قتيلا بسبب كتابه روضة التعريف بالحب الشريف وذلك لما يحتويه من أباطيل ومنكرات عظيمة . انظر ترجمته في الاحاطة ٤ / ٤٣٩

معها و هي خارجة عنه على أني لما أطلت الفكر و محضت الروية و أجلت الآ و صرت كالمتحير المبهوت تذكرت الفلطنوس فانه أمر بالطلب و البحث عن جوهر النفس الشريفة و الحرص على الصعود الى ذلك العالم الأعلى و لحق بالجواهر الالهية و الأسباب الكلية يجزى أحسن الجزاء اضطرارا فلا ينبغي لأحد أن يفتر عن الطلب و الحرص و الجد في الارتقاء الى ذلك العالم و ان تعب و كد و نصب فان أمامه الراحة التي لا تعب بعدها في حياة دائمة و عيشة راضية و لذات باقية لا يتناهى أمدها و لا يقطع مددها مخلوقة للانسان كلها و الانسان مخلوق لها أليس عجزا أن تمر ساعة من عمره في غير ما خلق من ذلك أليس من فرط في السعي لذلك ظالم لنفسه و مهلكا ذاته و فاعلا بجوهرته النفسية ما لم يفعل به أعدى عدوله فيندم حين لا ينفعه الندم) .

ثم علق لسان الدين الخطيب على كلام أرسطو هذا بما يلي :

فقال :(و بيان هذه السعادة من تعرض له فقد تعاطى ما لا تستقل به نفس و لا تطمع فيه قوة انسانية . . . و سبيل السعادة عندهم الرياضة و علاج الأخلاق حتى يصير شبيبها بالخير المحض و هو المبدأ أو تلطيف السر و أن يصرف عن النفس شواغل الجسم و يترقى في معارج المحبة و الشوق الى ذلك الكمال بالفكرة حتى تحس النفس بانجذابها الى عالمها و تفيض عليها عجائبه و قد أخبر هؤلاء الالهيون عن أنفسهم بما ذكرنا آنفا من أنهم نزعوا جلابيب الجسمانية في هذا العالم و ترقوا الى العالم العلوى فأبصروا من نوره و لذاته أمورا مذهلة ثم عادوا الى عالم الحس و رمزوا ذلك في كتبهم حسبما نقل سقراط الدنان و معلم الخير أفلاطون و امام المشائين أرسطو)(١).

---

(١) — روضة التعريف بالحب الشريف للسان الدين الخطيب ٥٥٩ — ٥٦٠

اذا نظرنا في كلام لسان الدين الخطيب نرى أنه قد صرح باعجابه بهذه الطريقة التي يسلكها فلاسفة اليونان لتربية النفس و مما يدل على هذا وصفه للفيلسوف اليوناني الوثني أفلاطون بأنه معلم الخير ووصفه لأرسطو بالامام و من هنا نفهم بأن أقطاب التصوف كانوا معجبين بآراء فلاسفة اليونان و قد تأثروا بهم بالفعل تأثرا كبيرا .

و من المتصوفة الذين أكدوا تأثر بعض الصوفية بالأفكار اليونانية المنوفي الصوفي المعاصر المصرى (١) فقد قال : (وأما وحدة الوجود الحلولية التي تجعل من الله شيئا كائنا يحل في مخلوقاته أو الاتحادية بالمعنى المفهوم خطأ

تلك تجعل من الكائن الفاني شخصية تتحد بالوجود الدائم الباقي المنزه عن سائر النسب و الاضافات و الأحياز الزمانية والمكانية المحدثة أو يتحد به شيء منها فانها مذهب هندى أو مسيحي و ليس باسلامي ولا يعرفه الاسلام استمده أهل الشذوذ في التصوف الاسلامي من الفلسفة البائدة و غذوا به مذهبهم الشاذ بفكر أفلاطونية و آراء بوذية و فارسية عن طريق الفارابي و ابن سينا و ان المتتبع لحياة الحلاج و مؤلفات السهروردى و ابن عربي يرى أنهم تأثروا بالمتفلسفة المسلمين الذين أخذوا عن الفلسفة الأفلاطونية القديمة و الأفلاطونية الحديثة و الأرسطوطالسية) (٢)

---

(١) — هو أبو الفيض محمود المنوفي من كبار الصوفية المعاصرين وله كتب كثيرة في التصوف منها جمهرة الأولياء و بداية الطريق

(٢) — جمهرة الأولياء للمنوفي ١ / ٢٩٢

اذا نظرنا في كلام المنوفي نرى أنه صرح بأن المتصوفة تأثروا فعلا بفلاسفة اليونان و أنهم أتوا بتلك العقائد الالحادية التي توجد في التصوف من أولئك الفلاسفة اليونانيين الوثنيين و مع أن المنوفي صوفي الا أنه لم يستطع أن ينكر تأثر المتصوفة بفلاسفة اليونان و هذا في الحقيقة دليل قاطع و مخرس لكل من ينكر تأثر المتصوفة بأفكار فلاسفة اليونان الوثنيين

و قال المنوفي في مكان آخر في معرض حديثه عن تأثر غلاة المتصوفة بفلاسفة اليونان (فكان بعضهم يعلن انه اطلع على الغيب و أن في مقدوره الاتيان بخوارق العادات ثم يذهب الى ما هو أبعد من هذا مثل قولة الحلاج المشهورة : (ما في الجبة غير الله) و غيره (أنا الحق)

و بمثل هذا و ذاك ثار على الحلاج معاصروه و رموه بالسحر تارة و الجنون أخرى و عذب عذابا أليما الى أن مات في أوائل القرن الرابع و الله أعلم بحاله و كان من أمثال الحلاج من بالغوا مبالغة قلت أم كثرت كشهاب الدين عمر السهروردى المقتول (١) و رئيس جماعة الاشراقيين و محيي الدين بن عربي الأندلسي و ابن سبعين السقلي و هم من رجال القرنين السادس و السابع و تابعهم جماعة من شعراء الفرس و أشال جلال الدين الرومي و فريد الدين العطار و كلهم يرمي الى أن يقيم التصوف الاسلامي على دعائم فلسفية أو فارسية و هندية أو يونانية) (٢)

---

(١) — هو عمر بن محمد بن عبد الله أبو حفص شهاب الدين القرشي البكرى السهروردى من كبار الصوفية كان شيخ الشيوخ ببغداد و له كتب كثيرة في التصوف منها عوارف المعارف و جذب القلوب الى مواصلة المحبوب توفي ٦٣٢ . انظر الأعلام للزركلي ٥ / ٢٢٣

(٢) — جمهرة الأولياء للمنوفي ١ / ٢٧٦

ثانيا : الكتاب الذين كتبوا عن التصوف و أثبتوا تأثرهم بالفكر اليوناني الوثني :

لقد أثبت كثير من الكتاب الذين كتبوا في الفكر الصوفي تأثر المتصوفة الى حد بعيد بفلاسفة الفكر اليوناني الوثني و من هؤلاء الكتاب الذين كتبوا عن تاريخ التصوف الدكتور عبد الرحمن البدوى حيث قال في معرض حديثه عن الأثر اليوناني في التصوف تحت عنوان "التأثير اليوناني في التصوف": (و أهم نص في هذا الباب هو كتاب أرثولوجية أرسطو طاليس و هو كما تعلم فصول و مقتطفات منتزعة من التساعات الأفلاطونية و فيه نظرية الفيض (١) و الواحد التي ستلعب دورا خطيرا في التصوف الاسلامي خصوصا عند السهروردى المقتول و ابن عربي و فيه أيضا نظرية الكلمة (٢) ثم قال عبد الرحمن بدوى : (ولا شك في تأثر الصوفية المسلمين ابتداء من القرن الخامس الهجرى بما في (أرثولوجية) من آراء و انما الخلاف هنا هو في هل وصل تأثيره الى التصوف الاسلامي

---

(١)— الفيض عند الصوفية هو ما يفيده التجلي الالهي فان ذلك التجلي هيولاني الوصف و انما يتعين و يتقيد بحسب المتجلي فان كان المتجلي له عينا ثابتة غير موجودة يكون هذا التجلي بالنسبة اليه تجليا وجوديا فيفيد الوجود وان كان المتجلي له موجودا خارجيا كالصورة يكون التجلي بالنسبة اليه بالصفات و يفيد صفة غير الوجود كصفة الحياة و نحوها و الفيض الأقدس عبارة عن التجلي الحسي الذاتي الموجب لوجود الأشياء و استعداداتها في الحضرة العلمية ثم العينية . انظر معجم مصطلحات الصوفية ص ٢٠٨

(٢)— أما الكلمة فهي عين من الأعيان الثابتة في العلم الالهي الداخلة تحت الايجاد انظر معجم مصطلحات الصوفية ص ٢٠٨

مباشرة أو عن طريق كتب الاسماعيلية و كلها حافلة بالتأثر به و يتلوه في الأهمية الكتب المنسوبة الى هرمس(١) و شخصيته بارزة التأثير عند السهروردى المقتول و ابن عربي و الأول خصوصا في فكرة الطباع التام الذى تأثر بها كل الاشراقيين بعد السهروردى و الطباع التام هو (النور) و يسمى أيضا الروحانية و الطبيعة الكريمة ... و من النصوص المهمة المنسوبة الى هرمس رسالة هرمس في معاذلة النفس التي نشرناها في كتابنا الأفلاطونية المحدثة عند العرب فهي مناجيات للنفس و تحليل لها و تأنيب للنفس الأمارة و دعوة للنفس من أجل التطهر و التقدس و من السهل أن نجد أصداءها و مشابه في مناجيات الصوفية المسلمين ثم ان هناك فصولا منحولة لأفلاطون وسقراط و غيرهما من الفلاسفة اليونانيين معظمها آداب و أقوال و كلها تتشابه في بعض آرائها مع الأقوال المنسوبة الى كبار الصوفية المسلمين في كتب طبقات الصوفية المختلفة كالقشيرى و السلمي و الشعراني و الهروى و العطار و الجامي و غيرهم)(٢)

و من الكتاب الذين كتبوا عن التصوف و أقروا تأثره بالفكر اليوناني الوثني الدكتور أبو الوفاء الغنيمي التفتازاني فقد قال متحدثا عن تأثر المتصوفة بالأفكار اليونانية (و نحن لا ننكر الأثر اليوناني على التصوف الاسلامي فقد وصلت الفلسفة اليونانية عامة و الأفلاطونية المحدثة خاصة الى صوفية الاسلام عن طريق الترجمة و النقل أو الاختلاط مع رهبان النصارى في الرها و حران و قد خضع المسلمون لسلطان أرسطو و ان كانوا قد عرفوا فلسفة أرسطو على أنها فلسفة اشراقية لأن عبد المسيح بن ناعمة الحمصي حينما ترجم الكتاب المعروف ب (أرثولوجية أرسطو طاليس) قدمه الى المسلمين

---

(١)— هو أحد فلاسفة اليونان الوثنيين وقد أعجب به كثير من الصوفية و مدحوه وقلدوه في عقائده الوثنية كما قلدوا أفلاطون . انظر نظرية المعرفة الاشراقية د. ابراهيم هلال

(٢)— تاريخ التصوف لعبد الرحمن بدوى ص٤١ —٤٢

على أنه لأرسطو على حين أنه مقتطفات من تاسوعات أفلاطون وليس من شك في أن فلسفة أفلوطين السكندرى التي تعتبر أن المعرفة مدركة بالمشاهدة في حال الغيبة عن النفس وعن العالم المحسوس كان لها أثرها في التصوف الاسلامي فيما نجده من كلام متفلسفي الصوفيه عن المعرفة وكذلك كان لنظرية أفلوطين السكندرى في الفيض وترتيب الموجودات عن الواحد والأول أثرها على الصوفية المتفلسفين من أصحاب الوحدة كالسهروردى المقتول ومحيي الدين بن عربي وابن الفارض وعبد الحق بن سبعين وعبد الكريم الجيلي ومن نحا نحوهم ونلاحظ بعد ذلك أن أولئك المتفلسفة من الصوفية نتيجة اطلاعهم على الفلسفة اليونانية قد اصطنعوا كثيرا من مصطلحات هذه الفلسفة مثل (الكلمة)(١) العقل الأول)(٢) العقل الكلي)(٣) (العلة والمعلول)(٤)

---

(١)ـ الكلمة : عين من الأعيان الثابتة في العلم الالهي تحت الايجاد والكلمة الحضرة اشارة الى قوله (كن) فهي صورة الارادة الكلية . انظر معجم مصطلحات الصوفية ٢٢٥

(٢)ـ العقل الأول : هو مرتبة الوحدة وقيل هو محل تشكيل العلم الالهي في الوجود لأنه العلم الأعلى ثم ينزل منه العلم الى اللوح المحفوظ . انظر معجم مصطلحات الصوفية ١٧٥—١٨٦

(٣)ـ العقل الكلي : هو القسطاس المستقيم وهو ميزان العدل وبالجملة هو العاقلة أى المدركة النورية التي ظهرت بها صور العلوم المودعة في العقل الأول . انظر المعجم الفلسفي ١٨٦

(٤)ـ العلة في اللغة اسم لعارض يتغير به وصف المحل بحلوله لا عن اختيار ومنه سمي المرض علة لأنه بحلوله يتغير حال الشخص من القوة الى الضعف وكل أمر يصدر عنه أمر آخر بالاستقلال أو بانضمام الغير اليه فهو علة لذلك الأمر والأمر معلول له والعلة عند الحكماء ما يتوقف عليه وجود الشيء ويكون خارجا ومؤثرا فيه . انظر المعجم الفلسفي ٩٥

و غير ذلك من المصطلحات الفلسفية اليونانية)(١) .

و من العلماء الكبار الذين أثبتوا تأثر المتصوفة بالفلاسفة في عقائدهم الضالـــة شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى فقد تكلم عن سبب وقوع المتصوفة في القول بوحدة الوجود و أثبت أن سبب ذلك هو سلوكهم مسلك الفلاسفة و بعدهم عن الكتاب و السنة فقال : (ولهذا لما سلك ابن عربي و ابن سبعين و غيرهما هذه الطرق الفاسدة أورثهم ذلك الفناء المذموم عن الوجود السوى فجعلوا الموجود واحدا ووجود كل مخلوق هو عين وجود الحق و حقيقة الفناء عندهم أن لا يرى الا الحق و هو الرائي و المرئي و العابد و المعبود و الذاكر و المذكور و الآمر خالقه و الآمر المخلوق و هو المتصف بكل ما يوصف به الوجود من مدح و ذم و عباد الأصنام ما عبدوا غيره و ما ثم موجود مغاير له ألبتة عندهم و هذا منتهى سلوك هؤلاء الملحدين فحقيقة قولهم قول فرعون لأن فرعون كان في الباطن عالما بأن ما يقوله باطل و كان جاحدا مريدا للعلو و الفساد و لهذا جحد وجود الصانع بالكلية و أما هؤلاء فجهال ضلال يحسبون أن ما يقولونه هو حقيقة اثبات الرب و تعظيمه وهو في الحقيقة قول فرعون فان فرعون ما كان ينكر وجود هذا العالم و لا ينكر أن الموجودات تشترك في مسمى الوجود و انما ينكر أن لهذا الوجود خالقـــا مباينا له و لهذا أمر ببناء الصرح ليكذب موسى بزعمه أن للعالم الها فوقه كما حكى الله لنا في كتابه فقال : (و قال فرعون يا هامان ابن لي صرحا لعلي أبلغ الأسباب أسباب السماوات فأطلع الى اله موسى و اني لأظنه كاذبا و كذلك زين لفرعون سوء عمله و صد عن السبيل و ما كيد فرعون الا في تباب))(٢)

---

(١) ـ مدخل الى التصوف للدكتور أبي الوفاء الغنيمي التفتازاني ٣٣ ـ ٣٤

(٢) ـ غافر آية ٣٦ ـ ٣٧

و أكثر هؤلاء الملاحدة القائلين بوحدة الوجود يقولون ان فرعون أكمل من موسى . . .

ثم قال شيخ الاسلام ابن تيمية : (و هؤلاء ليسوا مسلمين و لا يهودا ولا نصارى بل كثير من المشركين أحسن حالا منهم و هؤلاء أئمة نظار المتفلسفة و صوفيتهم و شيعتهم كان من أسباب تسلطهم و ظهورهم هو بدع أهل البدع من الجهمية المعتزلة و الرافضة و من نحا نحوهم في بعض الأصول الفاسدة فان هؤلاء اشتركوا هم و أولئك الملاحدة في أصول فاسدة يجعلونها قضايا عقلية صادقة و هي باطلة كاذبة مخالفة للشرع و العقل) (١) .

و من الكتاب الذين كتبوا عن التصوف و أكدوا تأثر المتصوفة بالفكر اليوناني الوثني الدكتور قاسم غني الفارسي فقد قال : (و قد أثر في التصوف و العرفان ذيوع آراء أفلاطون و ظهور الفلسفة الأفلاطونية الحديثة بين المسلمين أكثر من أى شيء و بعبارة أخرى أحرز التصوف الذى كان الى ذلك الحين زهدا عمليا أساسا نظريا و علميا و اذا دققنا في آراء الأفلاطونية الحديثة و جدنا أن الصوفي الزاهد الذى غض الطرف عن الدنيا و ما فيها بحكم أنها فانية و تعلق خاطره بما هو خالد يشعر بلذة الرضى في فلسفة أفلوطين بل يحصل على منتهى غايته في تلك الآراء و موضوع وحدة الوجود في الفلسفة الأفلاطونية الحديثة جذب أنظار الصوفية أكثر من أى شيء آخر لأن الذين يؤمنون بهذه العقيدة يرون أن العالم كله مرآة لقدرة الحق تعالى و كل موجود بمثابة مرآة تتجلى ذات الله فيها الا أن المرايا كلها ظاهرة و الوجود المطلق و الوجود الحقيقي هو الله و ينبغي على الانسان أن يسعى حتى يمزق الحجب و يجعل نفسه محلا لتجلي جمال الحق الكامل و يبلغ السعادة الأبدية على السالك أن يطير بجناح العشق نحو الله

---

(١) — الرد على المنطقيين لشيخ الاسلام ابن تيميه ١ د ٢—٥٢٢—٥٢٣

تعالى و يحرر نفسه من قيد وجوده الذى ليس الا مظهر فحسب و ينمحي و يفنى في ذات الله أى الموجود الحقيقي)(١)

فهذه آراء بعض الكتاب الباحثين الذين كتبوا عن التصوف و كما هو واضح أمامنا فقد أثبتوا كلهم تأثر المتصوفة بالفكر اليوناني الوثني و مما ينبغي أن يعلم أن هؤلاء الكتاب الذين نقلت عنهم هذه الأقوال اما متصوفة بحت و اما من الموالين لهم و المدافعين عنهم الا شيخ الاسلام ابن تيمية ،

و قد صرح كثير من الكتاب الغربيين بتأثر المتصوفة بالفكر اليوناني الوثني و منهم المستشرق نيكلسون فقد قال مقررا تأثر المتصوفة بالفكر اليوناني : (و قد كان لمصر و الشام دائما الصدارة بين الأمم التي انتشرت فيها الحضاره اليونانية و هما البلدان اللذان ظهر فيهما التصوف لأول مرة بمعناه الدقيق .... و الرجل الذى اضطلع بأكبر قسط في تطور هذا النوع من التصوف هو ذوالنون المصرى الذى وصف بأنه حكيم كيمائي أو بأنه بعبارة أخرى أحد أولئك الذين نهلوا من منهل الثقافة اليونانية فاذا أضفنا الى هذا أن المعاني التي تكلم فيها ذو النون هي في جوهرها المعاني التي نجدها في كتابات يونانية مثل كتابات(ديونيسيون) وليس عندى من شك في أن المذهب الغنوصي بعدما أصابه من التغيير و التحوير على أيدى مفكرى المسيحية و اليهودية و بعد امتزاجه بالنظريات اليونانية كل من المصادر الهامه التي أخذ عنها رجال التصوف و ان بين التصوف و الغنوصية مواضع اتفاق كثيرة هامه و لا شك عندى أيضا في أن دراسة هذه المسألة دراسة دقيقة وافيه لما يأتي بأطيب الثمرات و لكني على يقين من أننا اذا نظرنا الى الظروف التاريخيه التي أحاطت بنشأة التصوف استحال علينا

---

(١) — التصوف الاسلامي للدكتور قاسم غنى ترجمة عربية صادق نشأت ١٤٢ — ١٤٣

أن نرد أصله الى عامل هندى أو فارسي ولزم أن نعتبره وليدا لاتحاد الفكر اليوناني والديانات الشرقية أو بمعنى أدق وليد اتحاد الفلسفة الأفلاطونية الحديثة والديانة المسيحية والمذهب الغنوصي)(١)

والخلاصة بعد أن أوردنا نصوصا عديدة عن الصوفية أنفسهم التي مدحوا فيهـــا فلاسفة اليونان وأردنا أقوال بعض الباحثين الذين كتبوا عن التصوف قديما وحديثا و الذين أثبتوا كلهم تأثر الصوفية بالفكر الفلسفي اليوناني نقول ان تأثر الصوفية بالفكـــر اليوناني الوثني كان من أهم العوامل التي أدت الى انحراف الصوفية عن الطريق القويم في العقيدة والعبادة والسلوك وذلك لأنهم ابتغوا الهدى في غير الكتاب والسنـــة فوقعوا في متاهات وضلالات وخرافات وبدع عقدية وسلوكية وتعبدية

---

(١)ـــ في التصوف الاسلامي وتاريخه لنيكلسون ٧٣ـــ٧٤

الباب الثاني : انحرافات الصوفية في الالهيات

وتحته فصلان :

الفصل الأول : انحراف الصوفية في التوحيد مع ذكر المفهوم الصحيح لتوحيد الله :

وتحته ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : تعريف التوحيد في اللغة والاصطلاح مع توضيح المفهوم الصحيح لتوحيد الله الذى أرسل الله به الرسل وأنزل به الكتب .

المبحث الثاني : موقف الصوفية من التوحيد .

المبحث الثالث : مفهوم التوحيد عند غلاة الصوفية والمضاعفات التي ترتبت على هذا المفهوم مع ذكر حكم من يعتقد بوحدة الوجود في ميزان الاسلام :

وتحته ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : ذكر النصوص التي تدل على أن الصوفية ، يعتقدون بأن حقيقة التوحيد هو القول بوحدة الوجود

المطلب الثاني : المضاعفات التي ترتبت على القول بوحدة الوجود .

المطلب الثالث : حكم من يعتقد بوحدة الوجود في ميزان الاسلام .

الفصل الثاني : انحراف الصوفية في المحبة واعتقادهم بأن الله يحل في بعض مخلوقاته :

وتحته مبحثان :

المبحث الأول : انحراف الصوفية في المحبة .

المبحث الثاني : اعتقاد الصوفية بأن الله يحب في بعض مخلوقاته الذين يتفانون في الرياضة على الطريقة الصوفية : وتحته مطلبان :

المطلب الأول : ذكر النصوص عنهم التي تدل على قول الصوفية بالحلـــول .

المطلب الثاني : موقف أهـــل الاسلام من القول بالحلـــول .

الفصل الأول : انحراف الصوفية في التوحيد مع ذكر المفهوم الصحيح لتوحيد الله :

وتحته ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : تعريف التوحيد في اللغة والاصطلاح مع توضيح المفهوم الصحيح لتوحيد الله الذي أرسل الله به الرسل وأنزل به الكتب .

المبحث الثاني : موقف الصوفية من التوحيد .

المبحث الثالث : مفهوم التوحيد عند غلاة الصوفية والمضاعفات التي ترتبت على هذا المفهوم مع ذكر حكم من يعتقد بوحدة الوجود :

وتحته ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : ذكر النصوص التي تدل على أن الصوفية يعتقدون بأن حقيقة التوحيد هو القول بوحدة الوجود .

المطلب الثاني : المضاعفات التي ترتبت على القول بوحدة الوجود .

المطلب الثالث : حكم من يعتقد بوحدة الوجود في ميزان الاسلام .

المبحث الأول : تعريف التوحيد في اللغة والاصطلاح مع توضيح المفهوم الصحيح

لتوحيد الله الذى أرسل الله به الرسل وأنزل به الكتب :

أولا : تعريف التوحيد في اللغة :

كلمة التوحيد مصدر للفعل الثلاثي المزيد بتضعيف عينه وهي تعني الوحدة والانفراد والتفرد يقال رأيته وحده و جلس وحده أى منفردا و فلان لا واحد له وواحد دهره أى لا نظير لـه

والله الواحد الأحد المنفرد بالذات والصفات فهو عدم المثل والنظير ،واحد اللـه تعالى ووحده أى نسبه الى الوحدة والانفراد فهو سبحانه منفرد في ذاته وصفاته(١)

وأما المدلول الشرعي لكلمة التوحيد فهو اعتقاد أنه اله واحد لا شريك له وافـراده عزوجل بالعبادة والتوجه اليه وحده بطلب المنافع ودفع المضار ونفي الكفء والمثل عن ذاته تعالى وصفاته فهو المتصف بصفات الكمال الذاتية ونفي الشريك له في الربوبيـة و اعتقاد أنه وحده الخالق الرازق القادر المحي المميت المعز المذل النافع الضار المتصرف في هذا الكون بمن فيه وما فيه (٢)

---

(١)ـ انظر مادة "وحد" في الصحاح ٢/٥٤٧ والقاموس المحيط ١/٣٤٣ والمفردات في غريب القرآن للأصبهاني ٥١٤

(٢)ـ رسالة توحيد الألوهية أساس الاسلام ٢

ثانيـا : المفهوم الصحيح لتوحيد الله عزوجل :

اذا أردنا أن نعرف المفهوم الصحيح لتوحيد الله عزوجل فلا بد وأن نرجع الـى كتاب الله عزوجل و سنة رسوله محمد صلى الله عليه وسلم و نفهمهما الفهم الصحيح و قد تتبع علماء أهل السنة و الجماعة نصوص الكتاب و السنة فخرجوا بالنتيجة التاليه ألا و هي أن توحيد الله سبحانه و تعالى يعني افراد الله سبحانه و تعالى في توحيد ربوبيتـه و ألوهيته و أسمائه و صفاته ، و قد قسموا التوحيد الى ثلاثة أقسام و هي :

أولا : توحيد الربوبية :

و تعريفه قال الراغب الأصفهاني في المفردات : (الرب في الأصل التربية و هـو انشاء الشيء حالا فحالا الى حد التمام يقال ربه و رباه و ربيبه و قيل:لأن يربيني رجل من قريش خير من أن يربيني رجل من هوازن يعني لأن يملكني) (١)

قال الدكتور هراس رحمه الله : (فالرب مصدر مستعار مستعمل للفاعل و لا يقـال الرب مطلقا الا لله تعالى المتكفل بمصلحة الموجودين نحو قوله : ((بلدة طيبة و رب غفور)) (٢) و على هذا قال : ((و لا يأمركم أن تتخذوا الملائكة و النبيين أربابا)) (٣) أي آلهة و بالاضافة يقال له و لغيره نحو : ((رب العالمين)) (٤) و ((ربكم و رب آبائكم الأولين)) (٥) و يقال رب الدار و رب الفرس لصاحبهما

---

(١) ـ المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني ١٨٤

(٢) ـ سبأ آية ١٥

(٣) ـ آل عمران آيه ٨٠

(٤) ـ الفاتحـه

(٥) ـ الشعراء آية ٢٦

وعلى ذلك قوله تعالى : ((اذكرني عند ربك فأنساه الشيطان ذكر ربه))(١)

وقوله : ((معاذ الله انه ربي أحسن مثواى))(٢)

قيل عنى به الله وقيل عنى به الملك الذى رباه والأول أليق بقوله)(٣)

وفي النهاية لابن الأثير : (الرب يطلق في اللغة على المالك والسيد والمدبر والمربي والتيم والمنعم ولا يطلق غير مضاف الا على الله تعالى واذا أطلق على غيره أضيف فيقال رب كذا

فأما قوله تعالى : ((اذكرني عند ربك)) فانه خاطبه على التعارف عندهم وعلى ما يسمونهم به

فأما الحديث في ضالة الابل حتى يلقاها ربها فان البهائم غير متعبدة ولا مخاطبة فهي بمنزلة الأموال التي يجوز اضافة مالكيها اليها وجعلهم أربابا لها)(٤)

قال الهراس : (من هذا يتبين أن للفظ الرب عدة معاني وهذه المعاني كلها مما يصح أن تراد بلفظ الرب اذا أطلق على الله تعالى فهو المربي للأشياء الذى ينميها وينقلها في الأطوار المختلفة حتى يبلغ بها غاية كمالها وهو المالك لها والسيد عليها والمدبر لمصالحها والقائم بحفظها وكلاءتها لهذا كانت شئون الربوبية كلها من الخلق والرزق والملك والتدبير والتصريف مختصة به سبحانه لا يشاركه فيها أحد من خلقه

---

(١) — يوسف آية ٤٢

(٢) — يوسف آية ٢٣

(٣) — دعوة التوحيد لمحمد خليل هراس ص٣١

(٤) — النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير ٢ / ١٧٦

وهذا أمر مركوز في الفطره لا يكاد ينازع فيه أحد حتى أن المشركين الذين بعث فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا يقرون بذلك و لا ينكرونه و لا يجعلون أحدا من آلهتهم شريكا لله في ربوبيته

قال الله تعالى : ((قل من يرزقكم من السماء و الأرض أمن يملك السمع و الأبصار و من يخرج الحي من الميت و يخرج الميت من الحي و من يدبر الأمر فسيقولون الله فقل أفلا تتقون)) (١)

و قال تعالى : ((قل لمن الأرض و من فيها ان كنتم تعلمون سيقولون لله قل أفلا تذكرون قل من رب السموات السبع و رب العرش العظيم سيقولون لله قل أفلا تتقون قل من بيده ملكوت كل شيء و هو يجير و لا يجار عليه ان كنتم تعلمون سيقولون لله قل فأنى تسحرون)) (٢)

و غير ذلك من الآيات التي تفيد اقرار المشركين من العرب بتوحيد الربوبية و انفراد الله عزوجل بجميع شئونها من خلق ورزق و احياء و اماتة و تدبير و تصريف و لم يعرف عن أحد من طوائف العالم نازع في هذا الا الدهرية الذين يجحدون الصانع و يزعمون أن العالم يسير بنفسه و يقولون ما حكى الله عنهم في القرآن : ((ان هي الا حياتنا الدنيا نموت و نحيا و ما يهلكنا الا الدهر و ما لهم بذلك من علم ان هم الا يظنون)) (٣)

و لكن لما وجد في الناس من ينازع في توحيد الله بالربوبية و يجعل لغير الله عزوجل شيئا من الشركة معه في الخلق و الرزق أو التدبير لم يهمل القرآن الكريم الاحتجاج له

---

(١) — يونس آية ٣١

(٢) — المؤمنون آية ٨٤ — ٨٩

(٣) — الجاثية آية ٢٤

بل قرره أبدع تقرير في قوله من سورة المؤمنون حيث قال تعالى : ((ماتخذ الله من ولد و ما كان معه من اله اذا لذهب كل اله بما خلق و لعلا بعضهم على بعض سبحان الله عما يصفون))(١)

قال شارح الطحاوية رحمه الله بعد ذكره لهذه الآية : (فتأمل هذا البرهان بهذا اللفظ الوجيز الظاهر فان الاله الحق لا بد أن يكون خالقا فاعلا يوصل الى عابده النفع و يدفع عنه الضر فلو كان معه سبحانه اله آخر يشركه في ملكه لكان له خلق و فعل و حينئذ فلا يرضى تلك الشركة بل ان قدر على قهر ذلك الشريك و تفرد بالملك و الالهية دونه فعل و ان لم يقدر على ذلك انفرد بخلقه و ذهب بذلك الخلق كما ينفرد ملوك الدنيا بعضهم عن بعض بملكه اذا لم يقدر المتفرد على قهر الآخر و العلو عليه فلا بد من أحد ثلاثة أمور :

١ــ اما أن يذهب كل اله بخلقه و سلطانه

٢ــ و اما أن يعلو بعضهم على بعض

٣ــ و اما أن يكونوا تحت قهر ملك واحد يتصرف فيهم كيف يشاء و لا يتصرفون فيه بل يكون وحده هو الاله و هم العبيد المربوبون المقهورون من كل وجه

و انتظام أمر العالم كله و احكام أمره من أدل دليل على أن مدبره اله واحد و ملك واحد و رب واحد لا اله للخلق غيره و لا رب لهم سواه . . . .الى أن يقول : فالعلم بأن وجود العالم عن صانعين متماثلين ممتنع لذاته مستقر في الفطرة معلوم بصريح العقل بطلانه فكذا تبطل الهية اثنين فالآية الكريمة موافقة لما ثبت و استقر في الفطرة من توحيد الربوبية دالة مثبتة مستلزمة لتوحيد الالهية)(٢)

---

(١)ــ المؤمنون آيه ٩١

(٢)ــ شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي ص٢

بعض الآيات الدالة على توحيد الربوبية :

ان كل من يتلو القرآن الكريم بتدبر و يتأمل في معانيه يلاحظ بوضوح أن الله سبحانه و تعالى دائما يلزم المشركين بما أقروا به من تفرد الله سبحانه و تعالى بتوحيد الربوبية فيجعله برهانا واضحا على وجوب افراده سبحانه بتوحيد الألوهية

و ذلك لأن الذى يستحق العبادة و الخضوع له هو من كان ربا خالقا و مالكا مدبرا بخلاف من لا يخلق و لا يدبر الأمور فانه لا يصلح أن يكون الها معبودا اذا لم يصلح لأن يكون ربا مقصودا و لهذا نرى دائما يسوق الله عزوجل الآيات و الدلائل الشاهدة بربوبيته تعالى لكل شيء ثم ينتقل منها الى الدعوة لعبادته وحده قال تعالى : ((يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذى خلقكم و الذين من قبلكم لعلكم تتقون الذى جعل لكم الأرض فراشا و السماء بناء و أنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم فلا تجعلوا لله أندادا و أنتم تعلمون)) (١)

فهذا خطاب عام لجميع الناس أن يعبدوا الله سبحانه و تعالى و يفردوه و يخصوه بالعبادة لأنه لا رب لهم سواه فهو الذى خلقهم و خلق آباءهم الأولين وهو الذى جعل لهم هذه الأرض مهادا يتقلبون عليها و يمشون في مناكبها و هو الذى أنزل لهم من السحاب ماء فأجراه أنهارا فسلكه ينابيع فأخرج لهم به من جميع الثمرات فلا تجعلوا لله أندادا أى نظراء من خلقه تساوونهم به في استحقاق العبادة و أنتم تعلمون أنها لم تخلق شيئا

و قال تعالى : ((و الهكم اله واحد لا اله الا هو الرحمن الرحيم ان في خلق

---

(١) — البقره آيه ٢٢

السموات و الأرض و اختلاف الليل و النهار و الفلك التي تجرى في البحر بما ينفع الناس و ما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها و بث فيها من كل دابة و تصريف الرياح و السحاب المسخر بين السماء و الأرض لآيات لقوم يعقلون)) (١)

و قال سبحانه : ((أم من خلق السموات و الأرض و أنزل لكم من السماء ماء فأنبتنا به حدائق ذات بهجة ما كان لكم أن تنبتوا شجرها أإله مع الله بل هم قوم يعدلون أم من جعل الأرض قرارا و جعل خلالها أنهارا و جعل لها رواسي و جعل بين البحرين حاجزا أإله مع الله بل أكثرهم لا يعلمون أم من يجيب المضطر اذا دعاه و يكشف السوء و يجعلكم خلفاء الأرض أإله مع الله قليلا ما تذكرون أم من يهديكم في ظلمات البر والبحر و من يرسل الرياح بشرا بين يدى رحمته أإله مع الله تعالى الله عما يشركون أم من يبدأ الخلق ثم يعيده و من يرزقكم من السماء و الأرض أإله مع الله قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين)) (٢)

فالآيات المتقدمة كلها تنفي أن يكون اله معه ما دام هو الرب وحده

و يقول جل شأنه في سورة النحل بعد أن ذكر آيات ربوبيته في الخلق و التدبير : ((أفمن يخلق كمن لا يخلق أفلا تذكرون و ان تعدوا نعمة الله لا تحصوها ان الله لغفور رحيم و الله يعلم ما تسرون و ما تعلنون و الذين يدعون من دونه لا يخلقون شيئا و هم يخلقون أموات غير أحياء و ما يشعرون أيان يبعثون الهكم اله واحد فالذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة و هم مستكبرون)) (٣)

---

(١) — البقرة آية ١٦٤

(٢) — النمل ٦٠ — ٦٤

(٣) — النحل ١٧ — ٢٢

فنفى الالهية عن كل ما يدعى من دونه لأنه لا يخلق شيئا بل هو مخلوق و لأنه ميت غير حي و لا يدرى متى يبعث ٠

أما الأحاديث الدالة على توحيد الربوبية فكثيرة جدا و اليك هذين الحديثين :

الحديث الأول : قوله صلى الله عليه وسلم في سيد الاستغفار : (اللهم أنت ربي لا اله الا أنت خلقتني و أنا عبدك و أنا على عهدك ووعدك ما استطعت أعوذ من شر ما صنعت أبوء لك بنعمتك علي و أبوء بذنبي فاغفر لي فانه لا يغفر الذنوب الا أنت)(١)

ففي هذا اقرار العبد و اعترافه بأن الله هو ربه الذى لا رب غيره و أنه لا معبود بحق في الوجود كله سواه فانه هو الذى خلقه و سواه ثم يعاهده بأنه سيظل قائما على عهده ووعده ما استطاع الى ذلك سبيلا ثم يلجأ اليه و يحتمي به من شر ما جنى على نفسه ثم يبوء و يرجع اليه بسبب انعامه عليه ثم يرجع اليه من ذنبه طالبا أن يغفر له لأنه هو الغفور الرحيم

و مثل هذا قوله صلى الله عليه وسلم : (اللهم رب السموات السبع و رب العرش العظيم ربنا و رب كل شيء فالق الحب و النوى منزل التوراة و الانجيل و القرآن أعوذ بك من كل ذى شر أنت آخذ بناصيته أنت الأول فليس قبلك شيء و أنت الآخر فليس بعدك شيء و أنت الظاهر فليس فوقك شيء و أنت الباطن فليس دونك شيء اقض عني الدين و اغنني من الفقر)(٢)

---

(١) — سنن الترمذى مع التحفة ٩ / ٣٣٧

(٢) — صحيح مسلم مع النووى ١٧ / ٣٦ و الترمذى مع التحفة ٩ / ٣٤٣

النوع الثاني من أنواع التوحيد : توحيد الالوهيـة :

بعد أن عرفنا توحيد الربوبية و أوردنا الأدلة من الكتاب و السنة على أنه من أقسام التوحيد الذى جاء به الرسل عليهم الصلاة و السلام نريد أن ندخل في القسم الثانـي من أقسام التوحيد ألا وهو توحيد الالوهية

تعريفـه :

هو افراد الخالق جل و علا بالعبادة و اخلاص الدين له وحده فان الالهية نسبة الى الاله بمعنى المعبود . يقال أله يأله الهة و ألوهة و ألوهية بمعنى عبد عبادة و الاله اسم للمعبود مطلقا بحق أو بغير حق فهو يطلق على الله عزوجل كما يطلـق على غيره من المعبودات الباطلة و جمعه آلهة

و أما الله فمختص بالمعبود بحق لا يطلق على غيره فهو يشبه أن يكون علما عليـه و ان كان الصحيح أنه مشتق كما قدمنا (١)

و هذا التوحيد هو الذى بعث الله الرسل و أنزل الكتب من أجله و هو الذى وقـع فيه النزاع و الخصام بين الرسل و أممهم و هذا واضح جلي في القرآن الكريم و ذلك لأن المشركين من كل أمة كانوا يتخذون من دون الله أندادا يشركونهم مع الله في العبا د ة و كانوا يقصدون بذلك التقرب بهم الى الله تعالى و جعلهم شفعاء ووسطاء عند اللـه و ذلك زعما منهم أنه لا تقضى لهم حاجة و لا يسمع لهم دعاء و لا تفتح لهم أبواب السماء الا بشفاعة هؤلاء الوسطاء

قال شارح الطحاوية متحدثا عن منزلة توحيد الألوهية :

(اعلم أن التوحيد أول دعوه الرسل و أول منازل الطريق و أول مقام يقوم فيه السالك

---

(١) — دعوة التوحيد لمحمد خليل هراس ص ٣٧ — ٣٨

الى اللـــه

قال تعالى : ((لقد أرسلنا نوحا الى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من الـه غيره)) (١)

و قال هود عليه السلام لقومه : ((اعبدوا الله ما لكم من اله غيره)) (٢)

و قال شعيب عليه السلام لقومه : ((اعبدوا الله ما لكم من اله غيره)) (٣)

و قال تعالى : ((و لقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله و اجتنبـــــوا الطاغـوت)) (٤)

و قال تعالى : ((و ما أرسلنا من قبلك من رسول الا نوحي اليه أنه لا اله الا أنـا فاعبدون)) (٥)

و قال صلى الله عليه و سلم : (أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا اله الا الله و أن محمدا رسول الله) (٦)

و لهذا كان الصحيح أن أول واجب على المكلف شهادة أن لا اله الا الله و أن محمدا رسول الله ، لا النظر و لا القصد الى النظر و لا الشك كما هي أقوال لأربـــاب الكلام المذموم بل أئمة السلف كلهم متفقون على أن أول ما يؤمر به العبد الشهادتان . . الى أن قال : فالتوحيد أول الأمر و آخره أعني توحيد الألوهية) (٧)

---

(١) ــ الأعراف آية ٥٩

(٢) ــ الأعراف ٦٥

(٣) ــ الأعراف آية ٨٥

(٤) ــ النحـل آية ٣٦

(٥) ــ الأنبياء آية ٢٥

(٦) ــ صحيح مسلم مع النووي ١ / ٢١٢

(٧) ــ شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي ص ١٤

و قال الشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب متحدثا عن مكانة توحيد الألوهية :

(و هذا التوحيد هو أول الدين و آخره وباطنه و ظاهره و هو أول دعوة الرسل و آخرها و هو معنى قول لا اله الا الله فان الاله هو المألوه المعبود بالمحبة و الخشية و الاجلال و التعظيم و جميع أنواع العبادة و لأجل هذا التوحيد خلقت الخليقة و أرسلت الرسل و أنزلت الكتب و به افترق الناس مؤمنين و كفارا و سعداء أهل الجنة و أشقياء أهل النار قال تعالى : ((يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذى خلقكم و الذين من قبلكم لعلكم تتقون)) (١) فهذا أول أمر في القرآن

و قال تعالى : ((لقد أرسلنا نوحا الى قومه فقال يا قومي اعبدوا الله ما لكم من اله غيره)) (٢) فهذه دعوة أول رسول بعد حدوث الشرك

و قال النبي صلى الله عليه وسلم لمعاذ : (انك تأتي على قوم من أهل الكتاب فليكن أول ما تدعوهم اليه عبادة الله عزوجل) (٣)

و هذا التوحيد هو أول واجب و آخر واجب و أول ما يدخل به الاسلام و آخر ما يخرج من الدنيا قال صلى الله عليه و سلم : (من كان آخر كلامه لا اله الا الله دخل الجنة) (٤) و قال : (أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا اله الا الله و أن محمدا رسول الله) (٥)

---

(١) — البقرة آية ٢١

(٢) — الأعراف آية ٥٩

(٣) — صحيح مسلم مع النووى ١ / ١٩٦

(٤) — سنن أبي داود مع بذل المجهود ١٤ / ٧٩

(٥) — صحيح مسلم مع النووى ١ / ٢١٢

ثم قال : (و يسمى هذا النوع من التوحيد توحيد الالهية لأنه مبني على اخلاص التأله و هو أشد المحبة لله وحده و ذلك يستلزم اخلاص العبادة و توحيد العبادة لذلك و توحيد الارادة لأنه مبني على ارادة وجه الله بالأعمال و توحيد القصد لأنه مبني على اخلاص القصد المستلزم لاخلاص العبادة لله وحده و توحيد العمل لأنه مبني على اخلاص العمل لله وحده)

و قال أيضا : (و هذا التوحيد هو حقيقة دين الاسلام الذى لا يقبل الله من أحد سواه كما قال النبي صلى الله عليه وسلم : (بني الاسلام على خمس : شهادة أن لا اله الا الله و أن محمدا رسول الله و اقام الصلاة و ايتاء الزكاة و صوم رمضان و حج البيت) (١)

فأخبر أن الاسلام مبني على هذه الأركان الخمسة و هي الأعمال فدل على أن الاسلام هو عبادة الله وحده لا شريك له بفعل المأمور و ترك المحظور و الاخلاص في ذلك لله و قد تضمن ذلك جميع أنواع العبادة فيجب اخلاصها لله تعالى فمن أشرك بين الله و بين غيره في شيء فليس بمسلم) (٢)

و حق الله على عباده أن يعبدوه و لا يشركوا به شيئا كما في الحديث الصحيح الذى رواه معاذ عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال :

(كنت رديف رسول الله صلى الله عليه وسلم على حمار يقال له عفير قال فقال : يا معاذ تدرى ما حق الله على العباد و ما حق العباد على الله . قال : قلت : الله ورسوله أعلم قال : فان حق الله على العباد أن يعبدوا الله و لا يشركوا به شيئا و حق العباد على الله عزوجل أن لا يعذب من لا يشرك به شيئا . قال : قلت : يا رسول الله أفلا أبشر الناس . قال : لا تبشرهم فيتكلوا) (٣)

---

(١) — صحيح البخارى مع الفتح ١ / ٤٩ و كذلك صحيح مسلم مع النووى ١ / ١٧٧

(٢) — تيسير العزيز الحميد شرح كتاب التوحيد للشيخ سليمان بن عبدالله ٣٦ — ٣٩

(٣) — صحيح مسلم مع النووى ١ / ٢٣٢

النوع الثالث من أنواع التوحيد توحيد الأسماء والصفات:

أولا : تعريفه:

هو الاقرار بأن الله بكل شيء عليم وعلى كل شيء قدير وأنه الحي القيوم الذى لا تأخذه سنة ولا نوم له المشيئة النافذة والحكمة البالغة وأنه سميع بصير رؤوف رحيم على العرش استوى وعلى الملك احتوى وأنه الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر سبحان الله عما يشركون الى غير ذلك من الاسماء الحسنى والصفات العلى (١)

ثانيا : الأسس التي يقوم عليها توحيد الأسماء والصفات:

يقوم هذا النوع من التوحيد على أسس ثلاثة وهي :

١ــ الأساس الأول : أن أسماء الله عزوجل وصفاته كلها توقيفية لا يجوز اطلاق شيء منها على الله في الاثبات أو في النفي الا باذن من الشرع فلا نثبت لله سبحانه من الأسماء والصفات الا ما أثبته هو لنفسه أو أثبته له رسوله صلى الله عليه وسلم ولا ننفي عنه كذلك من الأسماء والصفات الا ما نفاه هو عن نفسه أو نفاه عنه رسوله محمد صلى الله عليه وسلم وما لم يصرح الشرع باثباته ولا بنفيه يجب التوقف فيه حتى يعلم ما يراد به فان أريد به معنى صحيح موافق لما جاء به النص قبل والا وجب رده

الأصل في ذلك أن معرفة الله عزوجل بأسمائه وصفاته وبما يجب له أو يمتنع أو يجوز عليه لا سبيل الى ادراكها بالعقل وحده لأنها من شئون الغيب التي لا تدخل في نطاق قدرته وانما كل وظيفة العقل في ذلك في أن يفهم ما تضمنته النصوص من معاني

---

(١) ــ تيسير العزيز الحميد شرح كتاب التوحيد ص ٣٤

٢ــ الأساس الثاني : أن الله عزوجل في كل ما ثبت من الأسماء و الصفات لا يماثل شيئا من خلقه و لا يماثله شيء بل كل ما ثبت له من صفات الكمال التي وردت بها النصوص الصريحة من الكتاب و السنة فهو مختص به لا يشركه فيه أحد من خلقه

و ليس معنى هذا أن ما يطلق على الرب أو على صفاته من أسماء لا يسمى به غيره فقد يكون الاسم مشتركا بينه و بين غيره أو بين صفته و صفة غيره و لكن هذا الاشتراك في الاسم لا يوجب مماثلة المخلوقين فيما دلت عليه هذه الأسماء

فتسميته تعالى عالما و تسمية العبد عالما لا يوجب مماثلة علم الله لعلم العبد وكذلك تسميته تعالى مريدا أو حيا أو سميعا و بصيرا أو متكلما الى غير ذلك من الأسماء التي قد تطلق على المخلوقين لا يوجب أن تكون ارادتهم كارادته و لا حياتهم كحياته

و الأصل في ذلك أن ما يوصف الله عزوجل به و يوصف به العباد انما يوصف الله به على ما يليق به و يوصف به العباد على ما يليق بهم فالاشتراك انما هو في مفهوم الاسم الكلي و ذلك اذا أخذ الاسم مطلقا غير مضاف فاذا أضيف صار مختصا لا يقبل الشركة فاذا قيل علم الله و قدرة الله و ارادة الله و نحو ذلك كان المراد صفته الخاصة به التي لا يشاركه فيها المخلوق

و اذا قيل علم العبد و قدرته و ارادته و نحو ذلك كان المراد صفته الخاصة به التي يتنزه عنها الخالق جل شأنه

واذا فهم هذا الأساس الثاني على هذا الوجه البين لم يكن هناك موجب أصلا لنفي بعض الصفات الثابتة بالكتاب و السنة بحجة أن اثباتها يوهم المماثلة بين الله و بين خلقه و ذلك لأنها اذا أطلقت على الله عزوجل حملت ما يليق به مما لا يماثل صفة

المخلوق و اذا أطلقت على المخلوق حملت على ما يليق به مما لا يماثل صفة الخالق ، و حينئذ لا نحتاج الى التعسف في تأويل هذه النصوص و صرفها عن معانيها المتبادرة منها لا سيما و أن هذه النصوص في الكتاب و السنة من الكثرة و الصراحة حيث لا يمكن تأويلها الا اذا اعتبرنا الشارع كله أحاجي و ألغاز لا يدل لفظ منه على معناه و هذا اتهام للشرع بأن خطابه غير مفهم و لا مبين و لا دال على الحق الذى يجب اعتقاده .

٣ــ الأساس الثالث : أن صفاته كلها صفات كمال :

أن صفاته سبحانه صفات كمال كلها فهو موصوف بصفات الكمال التي لا غاية وراءها بريء من صفات النقص و الاحتياج و الحدوث و الواجب أن يثبت له أقصى ما يمكن من الأكملية بحيث لا يكون هناك كمال عار عن النقص الا وهو ثابت له يستحقه بكمال ذاته و يتنزه عن الاتصاف بضده و ضابط ذلك أن أى كمال ثبت للمخلوق و أمكن أن يتصف به الخالق كان الخالق أولى به و كل نقص تنزه عنه المخلوق فالخالق أولى بالتنزه عنه و لكن ينبغي أن يعلم أن الكمال لا يكون الا أمر وجوديا أما الأمور السلبية أو العدمية فلا تكون كمالا الا اذا تضمنت أمرا وجوديا فان العدم المحض ليس بشيء أصلا فضلا عن أن يكون كمالا لهذا لم يرد في الكتاب ولا في السنة صفة سلب الا و هي متضمنة اثبات ما يضادها من الكمال

فنفي العجز مثلا في قوله تعالى : ((و ما كان الله ليعجزه من شيء في السموات و لا في الأرض)) متضمن لاثبات كمال قدرته

و نفي السنة و النوم في قوله : ((لا تأخذه سنة ولا نوم)) لاثبات كمال حياته و قيوميته و نفي الشريك و الند و الصاحبة و الولد لاثبات كمال غناه و عظمته (١)

---

(١)ــ دعوة التوحيد للشيخ الهراس ص١٢ و نحوه في القواعد المثلى للشيخ العثيمين ١٣

ثالثا : الواجب على المسلم تجاه أسماء الله وصفاته :

ان الواجب على أى مسلم هو أن يصف الله بما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله لا يتجاوز في ذلك ما جاء في القرآن و الحديث مع الاعتقاد الجازم بأنه لا يوجد أى تشابه بين صفات الله و صفات المخلوقين و ان توافقت بعض الصفات في مجرد الاسم فقط لأن الله سبحانه موصوف بصفات الجلال و الكمال كما يليق به سبحانه و تعالى و المخلوق موصوف بصفات هي لائقة به

قال شيخ الاسلام ابن تيمية متحدثا عن صفات الله سبحانه و تعالى و واجب المسلم تجاه هذه الصفات :

(ثم القول الشامل في جميع هذا الباب أن يوصف الله بما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله و بما وصفه به السابقون الأولون لا يتجاوز القرآن و الحديث

قال الامام أحمد رحمه الله : لا يوصف الله الا بما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم لا يتجاوز القرآن و الحديث .

و مذهب السلف أنهم يصفون الله بما وصف به نفسه و بما وصفه به رسوله من غير تحريف و لا تعطيل و من غير تكييف و لا تمثيل و نعلم أن ما وصف الله من ذلك فهو حق ليس فيه لغز و لا أحاجي بل معناه يعرف من حيث يعرف مقصود المتكلم بكلامه لا سيما اذا كان المتكلم أعلم الخلق بما يقول و أفصح الخلق في البيان و التعريف و الدلالة والارشاد و هو سبحانه مع ذلك ليس كمثله شيء لا في نفسه المقدسة المذكورة باسمائه و صفاته ولا في أفعاله فكما نتيقن أن الله سبحانه له ذات حقيقية و له أفعال حقيقية فكذلك له صفات حقيقية و هو ليس كمثله شيء لا في ذاته ولا في صفاته و لا في أفعاله و كل ما أوجب نقصا أو حدثا فان الله منزه عنه حقيقة فانه سبحانه مستحق للكمال الذى لا غاية

فوقه و يمتنع عليه الحدوث لامتناع العدم عليه و استلزام الحدوث سابقة العدم و لافتقار الحدث الى محدث و الوجوب وجوده بنفسه سبحانه و تعالى .

و مذهب السلف بين التعطيل و التمثيل فلا يمثلون صفات الله بصفات خلقه كما لا يمثلون ذات الله بذات خلقه و لا ينفون عنه ما وصف به نفسه ووصفه به رسوله فيعطلوا أسماءه الحسنى و صفاته العليا و يحرفوا الكلم عن مواضعه و يلحدوا في أسماء الله و آياته

و كل واحد من فريقي التعطيل و التمثيل فهو جامع بين التعطيل و التمثيل أما المعطلون فانهم لم يفهموا من أسماء الله و صفاته الا ما هو اللائق بالمخلوق ثم شرعوا في نفي تلك المفهومات فقد جمعوا بين التعطيل و التمثيل مثلوا أولا و عطلوا آخرا و هذا تشبيه و تمثيل منهم للمفهوم من أسماء الله وصفاته بالمفهوم من أسماء خلقه و صفاتهم و تعطيل لما يستحقه هو سبحانه من الأسماء و الصفات اللائقة بالله سبحانه و تعالى (١)

و قال شيخ الاسلام ابن تيمية أيضا : (فما وصف الله من نفسه و سماه على لسان رسوله صلى الله عليه و سلم سميناه كما سماه و لم نتكلف منه صفة ما سواه لا هذا و لا هذا لا نجحد ما وصف و لا نتكلف معرفة ما لم يصف)(٢)

و قال أيضا : (و الراسخون في العلم الواقفون حيث انتهى علمهم الواصفون لربهم بما وصف من نفسه التاركون لما ترك من ذكرها لا ينكرون صفة ما سمى منها جحدا و لا يتكلفون وصفه بما لم يسمه تعمقا لأن الحق ترك ما ترك و تسميته ما سمى ((و من يتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى و نصله جهنم و ساءت مصيرا)) .)(٣)

---

(١)— مجموع فتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية ٥ / ٢٦—٢٧

(٢)— نفس المرجع ٥ / ٤٤

(٣)— نفس المرجع ٥ / ٤٦

و قال أبو سليمان الخطابي اجابة لسائل سألهُ عن الموقف الواجب اتباعه تجاه صفات الله عزوجل :

(فأما ما سألت عنه من الصفات و ما جاء منها في الكتاب و السنه فان مذهب السلف اثباتها و اجراؤها على ظواهرها و نفي الكيفية و التشبيه عنها و قد نفاها قوم فابطلوا ما أثبته الله و حققها قوم من المثبتين فخرجوا في ذلك الى ضرب من التشبيه و التكييف و انما القصد في سلوك الطريقة المستقيمة بين الأمرين و دين الله تعالى بين الغالي فيه و الجافي و المقصر عنه

و الأصل في هذا أن الكلام في الصفات فرع عن الكلام في الذات و يحتذى في ذلك حذوه و مثاله فاذا كان معلوما أن اثبات البارى سبحانه انما هو اثبات وجود لا اثبات كيفية فكذلك اثبات صفاته انما هو اثبات وجود لا اثبات تحديد و تكييف فاذ قلنا يد و سمع و بصر و ما أشبهها فانما هي صفات أثبتها الله لنفسه و لسنا نقول أن معنى اليد القوة أو النعمة و لا معنى السمع و البصر العلم و لا نقول أنها جوارح و لا نشبهها بالأيدى و الأبصار و الأسماع التي هي جوارح و أدوات الفعل و نقول ان القول انما وجب باثبات الصفات لأن التوقيف ورد بها ووجب نفي التشبيه عنها لأن الله ليس كمثله شيء ، و على هذا جرى قول السلف في أحاديث الصفات)(١)

و قال أبو عمر ابن عبد البر : (أهل السنة مجمعون على الاقرار بالصفات الواردة كلها في القرآن و السنة و الايمان بها و حملها على الحقيقة لا على المجاز الا أنهم لا يكيفون شيئا من ذلك و لا يحدون فيه صفة محصورة)(٢)

---

(١) — مجموع فتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية ٥ / ٥٨ — ٦٥

(٢) — نفس المرجع ٥ / ٨٧

و قال القاضي أبو يعلى (١) :

(لا يجوز رد هذه الأخبار و لا التشاغل بتأويلها و الواجب حملها على ظاهرها و أنها صفات الله لا تشبه صفات سائر الموصوفين بها من الخلق و لا يعتقد التشبيه فيها لكن على ما روى عن الامام أحمد و سائر الأئمة)

و قال عن التأويل : (ويدل على ابطال التأويل أن الصحابة و من بعدهم من التابعين حملوها على ظاهرها و لم يتعرضوا لتأويلها و لا صرفوها عن ظاهرها فلو كان التأويل سائغا لكانوا أسبق اليه لما فيه من ازالة التشبيه و رفع الشبهة) (٢)

و قال شيخ الاسلام ابن تيمية : (و الصواب في كثير من آيات الصفات و أحاديثها القطع بالطريقة الثابتة كالآيات و الأحاديث الدالة على أن الله سبحانه و تعالى فوق عرشه و تعلم طريقة الصواب في هذا و أمثاله بدلالة الكتاب و السنة و الاجماع على ذلك دلالة لا تحتمل النقيض و في بعضها قد يغلب على الظن ذلك مع احتمال النقيض و تردد المؤمن في ذلك هو بحسب ما يؤتاه من العلم و الايمان و من لم يجعل الله له نورا فما له من نور) (٣)

---

(١) — القاضي أبو يعلى : عالم العراق أبو يعلى محمد بن الحسين الفراء البغدادي الحنبلي كان آية في معرفة مذهب الامام أحمد و قد صنف تصانيف فائقة توفي ٤٥٨هـ انظر الحاشية على الحموية ص ٥٣

(٢) — مجموع فتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية ٥/٨٧—٩٠

و كذلك الفتوى الحموية الكبرى لشيخ الاسلام ابن تيمية ص ٥٣

و قال الشيخ حافظ بن أحمد حكمي :

(و جميع آيات الأسماء و الصفات و أحاديثها نمرها صريحة أى على ظواهرها كما أتت عن الله و عن رسوله بنقل العدل عن العدل متصلا الينا كالشمس في وقت الظهيرة صحوا ليس دونها سحاب مع اعتقادنا ايمانا و تسليما لما له اقتضت من أسماء ربنا تبارك و تعالى و صفات كماله و نعوت جلاله كما يليق بعظمته و على الوجه الذى ذكره و أراده من غير تحريف لألفاظها)(١)

رابعا : أركان الايمان بأسماء الله الحسنى :

و الايمان بالأسماء الحسنى له ثلاثة أركان :

الركن الأول : الايمان بالاسم

الركن الثاني : الايمان بما دل عليه الاسم

الركن الثالث : الايمان بما يتعلق به من الآثار

فتؤمن بأن الله رحيم ذو رحمة واسعة وسعت كل شيء و يرحم عباده ، قدير ذو قدرة و تقدير على كل شيء غفور ذو مغفرة و يغفر لعباده (٢)

خامسا : دلالة الأسماء الحسنى : ثلاثة أنواع:

أسماء الله كلها حسنى و كلها تدل على الكمال المطلق و كلها مشتقة من أوصافها فالوصف فيها لا ينافي العلمية و العلمية لا تنافي الوصف

---

(١) ــ معارج القبول لحافظ بن أحمد حكمي ١/ ٣١٦

(٢) ــ شرح أسماء الله الحسنى لسعيد بن علي بن وهف القحطاني ص١٦

و دلالتها ثلاثـة أنواع :

١ــ دلالة مطابقة : اذا فسرنا الاسم بجميع مدلوله

٢ــ دلالة تضمن : اذا فسرناه ببعض مدلوله

٣ــ دلالة الالتزام : اذا استدللنا به على غيره من الأسماء التي يتوقف هذا الاسم عليها فمثلا الرحمن دلالته على الرحمة و الذات دلالة مطابقة و على أحدهما دلالة تضمن لأنها داخلة في الضمن و دلالته على الأسماء التي لا توجد الرحمة الا بثبوتها كالحياة و العلم و الارادة و القدرة و نحوها دلالة التزام و هذه الأخيرة تحتاج الى قوة فكر و تأمـــــل و يتفاوت فيها أهل العلم فالطريق الى معرفتها أنك اذا فهمت اللفظ و ما يدل عليه من المعنى و فهمته فهما جيدا ففكر فيما يتوقف عليه و لا يتم بدونه و هذه القاعدة تنفعك في جميع النصوص الشرعية فدلالتها الثلاث كلها حجة لأنها معصومة محكمة(١)

---

(١)ــ توضيح الكافية الشافيه للشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدى ص ١٣٢

المبحث الثاني : موقف الصوفية من التوحيد الذى أرسل الله به رسله و أنزل به كتبه :

لقد وقف الصوفية من التوحيد الذى أرسل الله به رسله و أنزل به كتبه موقفا معاديا تماما و يتمثل ذلك :

أولا : قال بعضهم أنه لا يمكن التعبير عن التوحيد بل هو شيء خيالي و من عبر عنه فقد أشرك و كفر

ثانيا : لقد صرح الصوفية بأن التوحيد الذى أرسل الله الرسل و أنزل الكتب من أجله توحيد العوام أما الخواص يعتبر هذا التوحيد عندهم شركا

ثالثا : لقد قسم الصوفية التوحيد الى أقسام لم ترد في الكتاب ولا في السنة

و باختصار فانهم وقفوا من التوحيد الصحيح موقفا معاديا و أتوا بتصورات جديدة من عند أنفسهم للتوحيد و اليك بيان هذا بنقل عباراتهم التي تدل على ما قلناه

فمن مشائخ المتصوفة الذين تكلموا عن التوحيد الشبلي حيث سأله أحد الأشخاص عن التوحيد قائلا له : (أخبرنا عن توحيد مجرد و بلسان حق مفرد)

فأجابه الشبلي قائلا : (ويحك من أجابك عن التوحيد بالعبارة فهو ملحد و من أشار اليه فهو ثنوى ومن أومأ اليه فهو عابد وثن و من نطق به فهو غافل و من سكت عنه فهو جاهل و من توهم أنه واصل فليس حاصل) (٢)

---

٢ ـ الرسالة القشيرية ٢ / ٥٨٦

و قال الشبلي أيضا : (ما شم روائح التوحيد من تصور عنده التوحيد)(١)

فاذا تدبرنا في النصين السابقين اللذين أوردتهما عن الشبلي و الذى يعتبر من الأئمة العظام عند المتصوفة نرى أن الشبلي استنكر على السائل سؤاله عن التوحيد وذلك لأنه يعتقد أن التوحيد غير معلوم و لذا فانه لا يمكن التعبير عنه و أن كل من حاول التعبير عن التوحيد فهو ملحد لا محالة بل ادعى أن مجرد الاشاره الى التوحيد أوالايماء اليه تخرج الانسان من الاسلام و تحوله الى عابد الأوثان و أن النطق بالتوحيد يعتبر غفلة و السكوت عنه جهل و أن كل من توهم أنه وصل الى معرفة توحيد الله فليس بواصل لأنه لا يمكن الوصول الى معرفة توحيد الله نهائيا و هذا حسب زعم الدجاجلة من المتصوفة و الا فالتوحيد معروف و معلوم وواضح عند المسلمين الذين جعلوا منهجهم كتاب الله و سنة رسوله و ليس بمعقد بهذه الصورة التي صوره بها الشبلي و هذا يبين لنا مدى عداء المتصوفة لتوحيد الله عزوجل حيث ان الانسان يخرج من هذا التصوير الذى صور به التوحيد الشبلي بأنه لا شيء في الوجود يسمى توحيدا نهائيا و المتصوفة يصورون التوحيد بهذه الصورة و يعقدون معرفته مثل هذا التعقيد من أجل أن يبعدوا الناس عن معرفة توحيد الله معرفة صحيحة و ذلك حتى يسهل نقلهم الى عقائد باطلة تدريجيا حتى ينسلخوا نهائيا عن العقيدة الاسلامية الصحيحة

و في النص الثاني قرر الشبلي ان مجرد التصور لتوحيد الله سبحانه و تعالى تبعد الانسان عن معرفة توحيد الله بل حتى عن مجرد شمة توحيد الله فضلا أن يكون موحدا ، و من هنا نخرج بنتيجة ألا و هي أن المتصوفة يعتقدون أن التوحيد غير متصور نهائيا بل هو شيء مجهول غير معلوم

---

(١) — الرساله القشيرية ٢ / ٥٨٧

و هذا اعتقاد باطل مخالف للكتاب و السنه و ذلك لأن الله سبحانه و تعالى عبر عن التوحيد بأنواعه الثلاثة في كتابه و كذلك الرسول صلى الله عليه و سلم عبر عن التوحيد في سنته و لذا فالتوحيد واضح كل الوضوح بل هو أوضح من الشمس في وضح النهار

و هذه العبارة التي صور بها الشبلي التوحيد ليس له عليها دليل يعتمد عليه لاثباتها من الكتاب و السنة بل هو تصوير أتى به من عند نفسه قصد من ورائه تضليل عوام المسلمين و ابعادهم عن توحيد الله سبحانه و تعالى

قال شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى :

(قول المتصوفة : انه لا تصح العبارة عن التوحيد، كفر باجماع المسلمين فان الله قد عبر عن توحيده و رسوله عبر عن توحيده و القرآن مملوء من ذكر التوحيد بل انما أرسل الله الرسل و أنزل الكتب بالتوحيد قال تعالى : ((واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون)) (١)

و قال تعالى : ((وما أرسلنا من قبلك من رسول الا نوحي اليه أنه لا اله الا أنا فاعبدون)) (٢)

و لو لم يصح عنه عبارة لما نطق به أحد

و أفضل ما نطق به الناطقون هو التوحيد كما قال النبي صلى الله عليه وسلم : (أفضل الذكر لا اله الا الله و أفضل الدعاء الحمد لله) (٣)

و في حديث آخر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (أشهد أن لا اله الا الله و أني رسول الله لا يلقى الله بهما عبد غير شاك فيحجب عن الجنة) (٤)

---

(١) — الزخرف آية ٤٥

(٢) — الأنبياء آية ٢٥

(٣) — سنن ابن ماجه ٢ / ١٢٤٩

(٤) — صحيح مسلم مع النووي ١ / ٢٢٦

و من المتصوفة الذين اعتبروا التوحيد الذى جاء في الكتاب و السنه شركا و جحودا لسان الدين الخطيب فقد قال هذا الرجل معبرا عن المعتقد الصوفي و موقفهم من توحيد الله الذى جاء في كتابه و سنة رسوله محمد صلى الله عليه وسلم:

(قالوا فمن وحد و نعت فقد عين قضية ثلاثية

من موحِّد محدث هو نفسه و موحَّد قديم هو معبوده و توحيد حديث هو فعل نفسه و قد تقدم أن التوحيد انتفاء عين الحدوث و عين الحدوث الآن ثابت متعدد و التوحيد مجحود و الدعوى كاذبة كمن يقول لغيره وهما في بيت واحد ليس في البيت غيرك فيجيبه الآخر انما يصح هذا اذا عدمت أنت)

و نقل عن أحد الحكماء مستشهدا به لاثبات نظريته تجاه التوحيد ما يلي فقال:

(قال الحكيم في قولهم : (خلق الله الزمان) : هذه ألفاظ تناقض أصولها لأن خلق الزمان و هو فعل لا بد من وقوعه في زمان و هذا اقتضاه ضيق العبارة عنه و عدم تأدية اللسان الى الحق فيه فاذا تحقق فكان الموحد هو الموحد و عدم سواه و ذهب الحدوث جملة صح التوحيد الذاتي و هو قولهم : (لا يعرف الله الا الله) .)(١)

من خلال هاتين الحكايتين اللتين أوردتهما عن لسان الدين الخطيب يتضح لنا جليا بأن هذا الرجل يعتبر التوحيد الذى أرسل الله به الرسل و أنزل به الكتب ليس توحيدا صحيحا بد هو عين التعدد و ذلك لأنه يتكون من شخص و الذى يطلق عليه موحد و من الله سبحانه و تعالى و يطلو عليه موحد و من توحيد

و نحن أمة مسلمة مؤمنة بالله ربا و بالاسلام دينا و بمحمد صلى اله عليه وسلم نبيا و رسولا لا نعتبر هذا تعددا في الموحد بد هو عين التوحيد لأن الله سبحانه و تعالى

---

(١) — روضه التعريف بالحب الشريف للسان الدين الخطيب ص٤٦٩

أرسل رسله و أنزل كتبه على خلقه من أجل أن يوحدوه و قد بلغ الرسل صلوات الله وسلامه عليهم هذا التوحيد الذى أمرهم الله بتبليغه فوحد المؤمنون ربهم بهذا التوحيد

و لذا فان اعتبار لسان الدين الخطيب هذا تعددا انما هو مغالطة واضحة منه قصد من ورائها القضاء على توحيد الله سبحانه و تعالى الذى أرسل الله به الرسل و أنزل الكتب من أجله ليسهل بعد ذلك تقلهم الى اعتناق عقائد فاسدة التي نقلها المتصوفة من الفلسفات الوثنية القديمة و الديانات المحرفة مثل القول بحلول الله في مخلوقاته و هذا واضح في قول لسان الدين الخطيب السابق (لا يعرف الله الا الله) و قوله (فكان الموحد هو الموحد) هذه العبارات تساوى القول بحلول الله في مخلوقاته وهي عقيدة باطلة مخالفة لما جاء في الكتاب و السنة من الاعتقاد الواجب تجاه الله سبحانه و تعالى حيث ان من العقائد المعلومة بالضرورة تجاه الله سبحانه و تعالى هو الاعتقاد بأن الله سبحانه و تعالى مباين لمخلوقاته في ذاته و صفاته وأفعاله كما في قوله تعالى :

((ليس كمثله شيء و هو السميع البصير)) (١)

و قوله سبحانه : ((ولم يكن له كفوا أحد)) (٢)

و قوله سبحانه هل تعلم له سميا)) (٣)

و قد نقل لسان الدين عن أحد المتصوفة و لم يذكر اسمه أنه قال عن التوحيد : (اعلم أن لطائف التوحيد أرق و ألطف من أن تخرج بكثيف العبارة) (٤)

و حكى عن منصور المغربي أنه قال : (كنت بجامع بغداد و الحصرى يتكلم في التوحيد فرأيت ملكين يعرجان الى السماء فقال أحدهما لصاحبه : هذا علم و التوحيد

---

(١) — الشورى آيه ١١

(٢) — الاخلاص آية ٤

(٣) — مريم آية ٦٥

(٤) — روضة التعريف بالحب الشريف ص ٤٩٨

غيـــره) (١)

و قال ابن عطاء أنه قال : (حقيقة التوحيد نسيان التوحيد)(٢)

و نقل عن الواسطي أنه قال : (لا تصح المعرفة و في العبد استغناء بالله و افتقار اليه)(٣)

فالنصوص السابقة كلها منقولة عن كتاب متصوفة كبار معروفين و بالاضافة الى ذلـــك قالها أناس متصوفة و ألفاظها واضحة صريحة لا تحتاج الى توضيح أو شرح

ففي النص الأول زعم هذا الصوفي أنه لا يمكن أن يعبر عن التوحيد لأن العبارة كيفة و التوحيد رقيق و لطيف و هو افتراء على الله بغير علم و لا هدى ولا كتاب مبين

و في النص الثاني يقول هذا الصوفي أنه كان الحصرى يتكلم في التوحيد و الله أعلـم بنوع التوحيد الذى كان يتكلم عنه هذا الرجل و أنه سمع ملكين يقول أحدهما لصاحبه :ان ما يقوله هذا الرجل علم و لكن التوحيد غيره

و في النص الثالث يزعم هذا الصوفي بأن حقيقة التوحيد هي نسيان التوحيد و لا أدرى كيف يمكن الوصول الى تحقيق التوحيد من نسيانه ؟!! ان هذا لشيء عجاب بل هـــو استهزاء و استهتار و سخرية بعقول الناس و ما هذه العبارة الا دعوة الى نسيان التوحيد حتى يسهل لهم غرس الشركيات في قلوب الناس بعد أن يفرغوها تماما من التوحيد الصحيح الذى جاء من عند الله سبحانه و تعالى

أما النص الرابع فقد زعم فيه هذا الصوفي أنه لا يمكن أن يطلق على أحد أنه عـــارف بالله سبحانه و تعالى و معرفة الله سبحانه و تعالى حسب ما جاء في كتاب الله وســـنة رسوله صلى الله عليه وسلم عند أهل السنة و الجماعه هي توحيد الله في ربوبيته و ألوهيته

---

(١) ــ روضة التعريف بالحب الشريف ص٤٩٨

(٢) ــ الرسالة القشيرية ٢/ ٥٨٨

(٣) ــ الرسالة القشيرية ٢/ ٦٠٣

و أسمائه و صفاته و تحليل ما أحله الله و تحريم ما حرمه الله و طاعته الطعه المطلقة و طاعة رسوله هذه هي معرفة الله و متطلباتها أما من شرط للمعرفة عدم الاستغناء بالله والافتقار اليه فهذه ليست معرفة الله بل هي كفر بالله و تكبر عليه و لعل هذا الرجل يقصد القول بعقيدة الحلول .

و من مشائخ الصوفية الذين تكلموا عن التوحيد جمال الدين محمد أبو المواهب الشاذلي (١) في كتابه قوانين حكم الاشراق

فقد كان متحدثا عن التوحيد عند الصوفية :

(توحيد هو تعداد و توحيد أنا افراد فاذا أردت أن تستغرق بحر الافراد و تقف على الساحل مع الأفراد فاجعل توحيدك هو بلا هو فهناك تذهب بينونة البين) (٢)

ففي هذا النص يتضح لنا جليا بأن هذا الصوفي اعتبر كلمة هو دالة على التعدد و هو وجود رب و عبد و أن هذا ليس بتوحيد صحيح لأنه يفهم منه أن هناك مخلوقا و خالقا و أن التوحيد الصحيح حسب زعم المتصوفة هو أن يلقي هذا المعتقد و يصل الى مرحلة يقول فيها أنا فاذا وصل هذه المرحلة فقد حقق التوحيد لأنه نفى وجود أى شيء الا الله سبحانه و تعالى و بمعنى أدق يرمي هذا الرجل الى عقيدة وحدة الوجود و التي هي أن كل ما في هذا الكون مجالى و مظاهر لله سبحانه و تعالى و بالتالي يجوز عبادة كل

---

(١) — هو جمال الدين محمد أبو المواهب الشاذلي كان من الظرفاء الأجلاء و كان له خلوة فوق سطحه و كان يغلب عليه السكر و كان كلامه ينشد في الموالد و الاجتماعات و المساجد على رؤوس العلماء و الصالحين فيتمايلون طربا من حلاوته، ت ٨٠٠

انظر طبقات الشعراني ٢/٦٧

(٢) — قوانين حكم الاشراق لجمال الدين ص ١٠

ما في هذا الكون و لذا فالتوحيد الذى يدعو اليه المتصوفة هو القول بوحدة الوجود و هذا ليس توحيدا بل هو الالحاد بعينه و أى الحاد أعظم من هذا الالحاد الذى يجعل كل ما يدب على وجه الأرض أربابا و آلهة سبحانك هذا بهتان عظيم و افك مبين

و قد قسم هذا الرجل المعرفة الى أقسام ثلاثة فقال بعد ذكره للمرتبتين الأولى و الثانية: (. . . . و من المرتبة الثالثة مرتبة الاحسان و هي معرفة أهل العقول القدسية و معرفتهم أن يشهدوا معروفهم في جميع المتفرقات كلها شيئا واحدا ويسمعوا نطقا واحدا و يشاهدوا تعريفا واحدا)(١)

نلاحظ في النص السابق بأن الرجل صرح بأن نهاية معرفة الله سبحانه و تعالى و بلوغ الغاية القصوى فيها هي رؤية الله سبحانه و تعالى في جميع ما في هذا الكون و بالتالي أن يعتقدوا بأن كل ما يسمعونه ما هو الا شيء ينطق به واحد بمعنى أن كل ما يشاهدونه يطلق عليه الرب و الاله و أن كل ما في هذا الكون من مخلوقات ما هو الا مجال و مظاهر لله سبحانه و تعالى في نظر المتصوفة

و المقصود من ايراد هذه العبارات هو الاثبات بأن المتصوفة يقفون من التوحيد الذى أرسل الله به الرسل و أنزل به الكتب موقفا معاديا و يعتبرونه شركا بالله سبحانه و تعالى و أن التوحيد الحقيقي عندهم هو الاعتقاد بوحدة الوجود و هو معتقد الحادى كما هو معروف و سنفرد لهذه العقيدة الالحادية مبحثا خاصا بعد هذا المبحث مباشرة فلا حاجة لمناقشتها هنا (٢)

و نقل أبو القاسم عن سهل بن عبد الله أنه قال في المعرفة:

(المعرفة غايتها شيئان الدهر و الحيرة)(٣)

---

(١)— قوانين حكم الاشراق لجمال الدين ٤٩

(٢) انظر ٢٢٣ — ٢٣٤

(٣) — الرسالة القشيرية ٢ / ٦٠٥

و قال ذى النون المصرى في وصفه لأعرف رجل بالله : (أعرف الناس بالله أشدهم تحيرا فيه) (١)

و قال الشبلي : (بداية هذا الأمر حيرة و نهايته دهش كالطفل أوله طفولة ثم يرد الى علم ثم يرد الى جهل) (٢)

و القصد من ايراد هذه النصوص هو أن هؤلاء الأئمة الكبار عند المتصوفة كلهم مدحوا الحيرة بل صرح أحدهم و هو ذى النون المصرى و الذى يعتبره المتصوفة قاطبة أنه أكبر من تكلم في المعرفة من أئمة التصوف بأن أعلى درجة يبلغها العارف بالله هو الذى يكون فيهم أكثر تحيرا فيه

و لو نظرنا في كتاب الله عزوجل سنجد بأن الله سبحانه و تعالى قد ذم الحيرة و كيف يكون الحائر عارفا بالله و هو جاهل و ضال لا يعرف الى أين يتجه لتحيره قال تعالى : (قل أندعوا من دون الله ما لا ينفعنا و لا يضرنا و نرد على أعقابنا بعد اذ هدانا الله كالذى استهوته الشياطين في الأرض حيران له أصحاب يدعونه الى الهدى ائتنا قل ان هدى الله هو الهدى)) (٣)

و من هنا نقول الحيرة تعتبر من جنس الجهل و الضلال و التيه لأن الحائر هو الذى غلبه أمر من الأمور و لم يعرف الى أين يتجه أو ماذا يفعل أو ماذا يعتقد فلا يمكن أن تكون الحيرة نهاية المعرفة بل هي جهل و ضلال مبين ، صحيح أن الانسان من الممكن أن يكون حائرا قبل معرفة الله سبحانه و تعالى أما أن تكون الحيرة هي أقصى حد يبلغها العارف بالله فهذا ليس بصحيح بل هو كذب و افتراء

---

(١) — الرسالة القشيرية ٢ / ٦٠٥

(٢) — روضة التعريف بالحب الشريف للسان الدين الخطيب ص ٤١

(٣) — سورة الأنعام آية ٧١

و نحن نعتقد اعتقادا جازما بأن الرسول صلى الله عليه و سلم أعرف بالله على الاطلاق و لم نجد في القرآن الكريم ولا في السنة الصحيحة أنه كان متحيرا في الله و كيف يكون متحيرا في الله وهو الذى بعثه الله لهداية البشرية و الجن الى الطريق القويم و الصراط المستقيم و يدل على هذا قول الله عزوجل :((وانك لتهدى الى صراط مستقيم))(١) و من وصفه الله بهداية الخلق فلا يمكن أن يكون حائرا بل هو على بينة و برهان من ربه

قال تعالى :((والنجم اذا هوى ما ضل صاحبكم و ما غوى و ما ينطق عن الهوى))(٢) و قال تعالى :((كتاب أنزلناه اليك لتخرج الناس من الظلمات الى النور باذن ربهم الى صراط العزيز الحميد))(٣)

و قال تعالى :((اتقوا الله و آمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته و يجعل لكم نورا تمشون به و يغفر لكم والله غفور رحيم))(٤)

قال شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى راداً على المتصوفة الذين مدحوا الحيرة :

(ولم يمدح الحيرة أحد من أهل العلم و الايمان و لكن مدحها طائفة من الملاحدة كصاحب الفصوص ابن عربي و أشاله من الملاحدة الذين هم حيارى فمدحوا الحيرة و جعلوها أفضل من الاستقامة و ادعوا أنهم أكمل الخلق و أن خاتم الأولياء منهم يكون أفضل في العلم بالله من خاتم الأنبياء و أن الأنبياء يستفيدون العلم بالله منهم و كانوا في ذلك كما يقال فيمن قال :(فخر عليهم السقف من تحتهم) لا عقل ولا قرآن فان الأنبياء أقدم فكيف يستفيد المتقدم من المتأخر و هم عند المسلمين و اليهود و النصارى أفضل من الأولياء فخرج هؤلاء عن العقل و الدين دين المسلمين و اليهود و النصارى)(٥)

---

(١) — الشورى آية ٥٢

(٢) — النجم آية ١ — ٣

(٣) — سورة ابراهيم أية ١

(٤) — سورة الحديد آية ٢٨

(٥) — الفتاوى الكبرى لشيخ الاسلام ابن تيمية ٥ / ٥٩

و من المتصوفة الذين صرحوا بأن كل من زعم أنه موحد لله سبحانه و تعالى فهو جاحد وأنه لا يمكن أن يوجد من يوحد الله سبحانه و تعالى حقا الا الله سبحانه وتعالى الهروى(١)

و اليك الأبيات التي قالها الهروى (١) معبرا بها عما قلناه فقد قال :

ما واحد الواحد من واحد ... اذ كل من وحده جاحد

توحيد من ينطق عن نعته ... تثنية أبطلها الواحد

توحيده اياه توحيده ... و نعت من ينعته لاحد (٢)

فأبو اسماعيل الهروى يقصد بهذه الأبيات التوحيد الذى جاءت به الرسل و نزلت به الكتب و به بعث الله الأولين و الآخرين من الرسل قال تعالى : ((و اسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون)) (٣)

و قال تعالى : ((و لقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله و اجتنبوا الطاغوت فمنهم من هدى الله و منهم من حقت عليه الضلالة)) (٤)

و قال تعالى : ((و ما أرسلنا من قبلك من رسول الا نوحي اليه أنه لا اله الا أنا فاعبدون)) (٥)

وقد أخبرنا الله سبحانه و تعالى عن الرسل مثل نوح و هود و صالح و شعيب و غيرهم

---

(١) — الهروى هو عبد الله بن محمد بن علي بن محمد بن أحمد بن علي بن جعفر ابن منصور الأنصارى الهروى أبو اسماعيل ولد بقندهار و حدث و توفي بهراة في ذى الحجة، من تصانيفه منازل السائرين الى الحق المبين

انظر معجم المؤلفين للكحالة ٦ / ١٣٣

(٢) — منازل السائرين الى الحق المبين للهروى

(٣) — الزخرف آية ٤٥

(٤) — النحل آية ٣٦ (٥) — الأنبياء آية ٢٥

أنهم قالوا لقومهم جميعا اعبدوا الله ما لكم من اله غيره و هذا أول دعوة الرسل وآخرها

قال النبي صلى الله عليه وسلم : (أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا اله الا الله و أني رسول الله فاذا قالوها عصموا مني دماءهم و أموالهم الا بحقها و حسابهم على الله)(١)

و في حديث آخر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أشهد أن لا اله الا الله و أني رسول الله لا يلقى الله بهما عبد غير شاك فيحجب عن الجنة)(٢)

قال شيخ الاسلام ابن تيمية : (و القرآن كله مملوء من تحقيق هذا التوحيد و الدعوة اليه و تعليق النجاة و الفلاح و اقتضاء السعادة في الآخرة به و معلوم أن الناس متفاضلون في تحقيقه و حقيقته اخلاص كله لله و الفناء في هذا التوحيد مقرون بالبقاء و هي أن تثبت الهية الحق في قلبك و تنفي الهية ما سواه فتجمع بين النفي و الاثبات فتقول لا اله الا الله فالنفي هو الفناء و الاثبات هو البقاء و حقيقته أن تفنى بعبادته عما سواه و محبته عن محبة ما سواه و بخشيته عن خشية ما سواه و بطاعته عن طاعة ما سواه و بموالاته عن موالاة ما سواه و بسؤاله عن سؤال ما سواه و بالاستعاذة به عن الاستعاذة بما سواه و بالتوكل عليه عن التوكل على ما سواه)(٣)

و قال شيخ الاسلام ابن تيمية في صفحة أخرى من نفس الكتاب في معرض رده على الهروى و أمثاله من المتصوفة: (و هذا التوحيد كثير في القرآن و هو أول الدين و آخره و باطن الدين و ظاهره و ذروة سنام هذا التوحيد لأولي العزم من الرسل ثم للخليلين محمد و ابراهيم صلى الله عليهما و سلم تسليما . . . . و أفضل الرسل بعد محمد صلى الله عليه وسلم ابراهيم فانه قد ثبت في الصحيح أنه قال عن خير البرية انه ابراهيم و هو الامام

---

(١)— صحيح مسلم مع النووى ١/ ٢١٢

(٢)— صحيح مسلم مع النووى ١/ ٢٢٦

(٣)— منهاج السنة النبوية لشيخ الاسلام ابن تيمية ٥/ ٣٤٧

الذى جعله الله اماما و جعله أمة و الأمة القدوة الذى يقتدى به فانه حقق هذا التوحيد و هو الحنيفية ملتـــه)(١)

قال تعالى : ((قد كانت لكم أسوة حسنة في ابراهيم و الذين معه اذ قالوا لقومهم انا برآء منكم و مما تعبدون من دون الله كفرنا بكم و بدا بيننا و بينكم العداوة و البغضاء أبدا حتى تؤمنوا الا قول ابراهيم لأبيه لأستغفرن لك و ما أملك من الله من شيء ربنـا عليك توكلنا و اليك أنبنا و اليك المصير ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا و اغفر لنا ربنا انك أنت العزيز الحكيم لقد كان لكم فيهم أسوه حسنة لمن كان يرجوا الله و اليـــوم الآخـر))(٢)

و قال تعالى : ((واذ قال ابراهيم لأبيه و قومه انني برآء مما تعبدون الا الـــذى فطرني فانه سيهدين و جعلها كلمة باقية في عقبه لعلهم يرجعون))(٣)

و قال شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله في نفس الكتاب في صفحة أخرى :

(و المقصود هنا أن الخليلين هما أكمل خاصة الخاصة توحيدا فلا يجوز أن يكـون في أمة محمد صلى الله عليه وسلم من هو أكمل توحيدا من نبي من الأنبياء فضلا عن الرسل فضلا عن أولي العزم فضلا عن الخليلين و كمال توحيدهما بتحقيق افراد الألوهية و هـو أن لا يبقى في القلب شيء لغير الله أصلا بل يبقى العبد موليا لربه في كل شيء يحـب ما أحب و يبغض ما أبغض و يرضى بما يرضى و يسخط بما سخط و يأمر بما أمر و ينهى عما نهى)(٤)

---

(١)ـ منهاج السنة النبوية لشيخ الاسلام ابن تيمية ٥ / ٢٤٩

(٢)ـ الممتحنة ٤ ـ ٦

(٣)ـ الزخرف ٢٦ ـ ٢٨

(٤)ـ منهاج السنة النبوية لشيخ الاسلام ابن تيمية ٥ / ٢٥٥

و قال شيخ الاسلام ابن تيمية في كتاب الهروى منازل السائرين :

(وقد ذكر في كتابه أشياء حسنة نافعة و أشياء باطلة و لكن هو فيها ينتهي الى الفناء في توحيد الربوبية ثم الى التوحيد الذى هو حقيقة الاتحاد ولهذا قال :باب التوحيد : قال الله تعالى : ((شهد الله أنه لا اله الا هو)) (١) التوحيد تنزيه الله عن الحدث ، قال : وانما نطق بما نطقوا به و أشار المحققون الى ما أشاروا اليه في هذا الطريق لقصد تصحيح التوحيد و ما سواه من حال أو مقام فكله مصحوب العلل) (٢) .

أقسام التوحيد عند الصوفية :

لقد قسم المتصوفة التوحيد الى ثلاثة أقسام و هذه الأقسام الثلاثة و ان اختلفوا في العبارات التي ساقوها بها الا أنهم يتفقون جميعا في المضمون الذى يرمون اليه وكلهم متفقون على أن التوحيد الحقيقي الذى يجب أن يحققه الصوفي ليس التوحيد الذى أرسل به الرسل و أنزل به الكتب وهو افراد الله بالعبادة وحده لا شريك بل يعتبرون هذا التوحيد للعوام فقط أما الخاصة و خاصة الخاصة فليس هذا توحيدهم بل توحيد خاصة الخاصة هو القول بوحدة الوجود و هذا ليس وصولا الى حقيقة التوحيد بل هو وصول الى قمة الالحاد الذى لم يسبقهم اليه أحد من أهل الديانات السماوية المحرفة كاليهودية و النصرانية

و الى جانب ذلك فهذه الأقسام التي قسمها المتصوفة للتوحيد تخالف تماما الأقسام التي قسمها أهل السنه و الجماعة لتوحيد الله عزوجل استقراءا من النصوص الشرعية

---

(١) — آل عمران آية ١٨

(٢) — الفتاوى الكبرى لشيخ الاسلام ابن تيمية ٥ / ٣٤٢

وأبدأ بذكر نماذج من النصوص التي تثبت انحراف المتصوفة في تقسيم التوحيد

فمن الأئمة الكبار عند المتصوفة الذين تكلموا عن التوحيد عند الصوفية وقسموه الى أقسام ثلاثة أبو اسماعيل الهروى فقد تكلم عن التوحيد وقسمه الى ثلاثة اقسام فقال :

والتوحيد على ثلاثة أوجه

الأول توحيد العامة الذى يصح بالشواهد

والثاني توحيد الخاصة وهو الذى يثبت بالحقائق

والوجه الثالث توحيد قائم بالقدم وهو توحيد خاصة الخاصة

فأما التوحيد الأول فهو شهادة أن لا اله الا الله وحده لا شريك له الأحد الصمد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد هذا هو التوحيد الظاهر الجلي الذى نفى الشرك الأعظم وعليه نصبت القبلة وبه وجبت الذمة وبه حقنت الدماء والأموال وانفصلت دار السلام من دار الكفر وصحت به الملة للعامة وان لم يقوموا بحسن الاستدلال بعد أن سلموا من الشبهة والحيرة والريبة بصدق شهادة صحتها قبول القلب

هذا توحيد العامة الذى يصح بالشواهد والشواهد هي الرسالة

قال :وأما التوحيد الثاني الذى يثبت بالحقائق فهو توحيد الخاصة وهو اسقاط الأسباب الظاهرة والصعود عن منازلات العقول وعن التعلق بالشواهد وهو أن لا يشهد في التوحيد دليلا ولا في التوكل سببا ولا في النجاة وسيلة فيكون شاهدا سبق الحق بحكمه وعلمه ووضعه الأشياء مواضعها وتعليقه اياها بأحابينها واخفائه اياها في رسومها ويحقق معرفة العلل ويسدل سبيل اسقاط الحدث هذا توحيد الخاصة .....

ثم قال وأما التوحيد الثالث فهو توحيد اختصه الحق لنفسه واستحقه وألاح منه لائحا الى أسرار طائفة من صفوته وأخرسهم عن نعته وأعجزهم عن بثه والذى يشار به اليه على ألسن المشيرين أنه اسقاط الحدث واثبات القدم على أن هذا الرمز في ذلك

التوحيد علة لا يصح ذلك التوحيد الا باسقاطها

ثم قال : هذا قطب الاشارة اليه على ألسن علماء أهل هذا الطريق وان زخرفوا له نعوتا وفصلوها تفصيلا فان ذلك التوحيد تزيده العبارة خفاء والصفة نورا والبسط صعوبة والى هذا التوحيد شخص أهل الرياضة وأرباب الأحوال واليه قصد أهل التعظيم واياه عنى المتكلمون في عين الجمع وعليه تصطلم الاشارات ثم لم ينطق عنه لسان ولم تشر اليه عبارة فان التوحيد وراء ما يشير اليه كون أو يتعاطاه حين أو يقله سبب (١)

ثم قال : وقد أجبت في سالف الدهر سائلا سألني عن توحيد الصوفية بهذه القوافي الثلاث

ما وحد الواحد من واحد ... از كل من وحده جاحد

توحيد من ينطق عن نعته ... عارية أبطلها الواحد

توحيده اياه توحيده ... ونعت من ينعته لا حد

من خلال هذه العبارات التي نقلتها عن أئمة التصوف يتضح لنا بأن المتصوفة أعرضوا عن الأقسام التي قسمها أهل السنة والجماعة للتوحيد عن طريق الاستقراء لنصوص الكتاب والسنة وأتوا بتقسيمات جديدة من عند أنفسهم للتوحيد ما أنزل الله بها من سلطان لأن هذه الأقسام الثلاثة التي للتوحيد لم نجدها لا في كتاب الله ولا في سنة رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم بل هي تقسيمات أتوا بها من عند أنفسهم متبعين أهوائهم الضالة وأرائهم الفاسدة ولورجعوا الى كتاب الله وسنة رسوله محمد صلى الله عليه وسلم وفهموا معناهما لوصلوا الى حقيقة التوحيد وأقسامه الصحيحة والذى يتلخص بأنه ((هوافراد الله

---

(١) — منازل السائرين للهروى ص ٤٧

٢ وكذلك روضة التعريف للسان الدين الخطيب ص ٤٩٧

٣ وكذلك قوانين حكم الاشراق لجمال الدين ص ١٣

في ألوهيته وربوبيته وأسمائه وصفاته ولما وقعوا في هذه المتاهات والخرافات والضلالات التي أوقعتهم في مزالق خطيرة وقعوا بسببها في كلام واعتقاد خطير جدا يؤدى بصاحبه الى الهلاك الأبدى ان لم يتب منه ألا وهو اعتبارهم التوحيد الذى جاءت به الرسل وأنزلت به الكتب بأنه خاص بالعوام الذين لا يدركون حقائق الأمور فقط أما الخواص الذين يدركون الحقائق فانه بالنسبة لهم يعتبر شركا وهذا كلام خطير جدا فان هذا التوحيد الذى يصفونه بهذه الأوصاف هو التوحيد الذى أنزل الله الكتب وأرسل الرسل من أجله فكيف تجرؤا على أن يصرحوا قائلين انه توحيد العوام وأن توحيدهم توحيد الحقائق وكذبوا والله فان توحيد الحقائق هو هذا التوحيد الذى أرسل الله به الرسل وأنزل به الكتب وهو افراد الله في ألوهيته وربوبيته وأسمائه وصفاته

أما التوحيد الذى يدعيه دجاجلة المتصوفة فليس بتوحيد انما هو الحاد وخرافة وزندقة وبهتان وكذب وافتراء على الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب مبين

والتقسيمات التي نعرفها عن أهل السنة والجماعة من خلال استقرائنا لنصوص الكتاب والسنة هي أقسام ثلاثة فقط وهي كلها تختلف مع هذه التقسيمات التي ذكرها المتصوفة للتوحيد

فالقسم الأول هو توحيد الألوهية

والقسم الثاني هو توحيد الربوبية

والقسم الثالث هو توحيد الأسماء والصفات

ولا نريد أن نتعرض لتعريفها وتوضيحها هنا لأننا قد بيناه في المبحث السابق(١) .

(١) انظر ١٨٥ — ٢٠٥

قال شيخ الاسلام ابن تيمية متحدثا عن تقسيمات المتصوفة هذه للتوحيد وقد تكلم عن كل الأقسام الثلاثة ونقضها ولكني أريد أن أورد كلامه عن القسم الثالث فقط خشية الاطالة قال رحمه الله :

((وأما التوحيد الثالث فهو توحيد اختصه الحق لنفسه واستحقه بقدره ... الى آخر كلامه . فهؤلاء هم الذين أنكر عليهم أئمة الطريق الجنيد وغيره حيث لم يفرقوا بين القديم والمحدث وحقيقة قول هؤلاء الاتحاد والحلول الخاص من جنس قول النصارى في المسيح وهو أن يكون الموحد هو الموحد ولا يوحد الله الا الله وكل من جعل غير الله يوحد الله فهو جاحد عندهم كما قال

ما وحد الواحد ((أي من واحد غيره)) اذ كل من وحده جاحد

فانه على قولهم هو الموحد والموحد ولهذا قال

توحيد من ينطق عن نعته عارية ابطلها الواحد

يعني اذا تكلم العبد بالتوحيد وهو يرى أنه المتكلم فانما ينطق عن نعت نفسه فيستعير ماليس له فيتكلم به وهذه عارية أبطلها الواحد ولكن اذا فنى عن شهود نفسه وكان الحق هو المتكلم على لسانه حيث فنى من لم يكن وبقى من لم يزل فيكون الحق هو الناطق بنعت نفسه لا بنعت العبد ويكون هو الموحد وهو الموحد ولهذا قال توحيده اياه توحيده

أي توحيد الحق اياه أي نفسه هو توحيده هو لا توحيد المخلوقين له)) فانه لا يوحده عندهم مخلوق بمعنى أنه هو الناطق بالتوحيد على لسان خاصة ليس الناطق هو المخلوق كما يقول النصارى في المسيح أن الاهوت تكلم بلسان الناسوت

وحقيقة الأمر أن كل من تكلم بالتوحيد أو تصوره وهو يشهد غير الله فليس بموحد عندهم واذا غاب وفنى عن نفسه بالكلية فتم له مقام توحيد الفناء الذى يجذبه الى توحيد أرباب

الجمع صار الحق الناطق المتكلم بالتوحيد و كان هو الموحِّد و هو الموحَّد لا موحد غيره

و حقيقة هذا القول لا يكون الا بأن يصير الرب و العبد شيئا واحدا و هو الاتحاد فيتحد اللاهوت و الناسوت كما يقول النصارى ان المتكلم بما كان يسمع من المسيح هو الله و عندهم ان الذين سمعوا منه هم رسل الله و هم عندهم أفضل من ابراهيم و موسى و لهذا تكلم بلفظ اللاهوت و الناسوت طائفة من الشيوخ الذين وقعوا في الاتحاد والحلول مطلقا و معينا فكانوا ينشدون قصيدة ابن الفارض و يتحلون بما فيها من تحقيق الاتحاد العام و يرون كل ما في الوجود هو مجلى و مظهر ظهر فيه عين الحق

ثم قال شيخ الاسلام ناقدا لقول المتصوفة في النص السابق في وصفهم للقسم الثالث من أقسام التوحيد : (و ألاح منه لائحا الى أسرار طائفة من صفوته وخرسهم عن نعته و أعجزهم عن بثه قال أفضل صفوته هم الأنبياء و أفضلهم الرسل أولوا العزم و أفضل أولوا العزم محمد صلى الله عليه وسلم و ما ألاحه الله على أسرار هؤلاء فهو أكمل توحيد عرفه العباد و هم قد تكلموا بالتوحيد و نعتوه و بثوه و ما يقدر أحد قط أن ينقل عن نبي من الأنبياء و لا وارث نبي أنه يدعي أنه يعلم توحيدا لا يمكنه النطق به بل كل ما علمه القلب أمكن التعبير عنه لكن قد لا يفهمه الا بعض الناس

فأما أن يقال ان محمدا صلى الله عليه وسلم عاجز عن أن يبين ما عرفه الله من توحيده فهذا ليس كذلك . . . . . ثم قال شيخ الاسلام في شرحه لقول المتصوفة في النص السابق و بالتحديد في القسم الثالث من أقسام التوحيد عندهم : (والذي يشار اليه على ألسن المشيرين أنه اسقاط الحدث و اثبات القدم

يقال مرادهم بهذا نفي المحدث أي ليس هنا الا القديم و هذا على وجهين فان أريد به نفي المحدث بالكلية و أن العبد هو القديم فهذا شر من قول النصارى فان

اليعقوبية يقولون ان اللاهوت و الناسوت امتزجا و اختلطا فصارا جوهرا واحدا و أقنوما واحدا و طبيعة واحدة . . . . . فقول القائل اسقاط الحدوث ان أراد به أن المحدث عدم فهذا مكابرة و ان أراد به اسقاط المحدث من قلب العبد و أنه لم يبق في قلبه الا القديم فهذا ان أريد به ذات القديم فهو قول النسطورية من النصارى و ان أريد به معرفته و الايمان به و توحيده أو قيل مثله أو المثل العلمي أو نوره أو نحو ذلك فهذا المعنى صحيح فان قلوب أهل التوحيد مملوءة بهذا لكن ليس في قلوبهم ذات الرب القديم و صفاته القائمة به و أما أهل الاتحاد العام فيقولون ما في الوجود الا الوجود القديم و هذا قول الجهمية)(١) .

و الخلاصة التي توصلنا اليها من خلال دراستنا لموقف المتصوفة من التوحيد الذى أرسل الله به الرسل و أنزل الكتب من أجله هي أن مواقفهم من التوحيد مواقف مخالفة و مضادة لما جاء في الكتاب و السنه عن توحيد الله سبحانه و تعالى و يتلخص هذا :

أولا : يعتقد المتصوفة بأنه لا يجوز التعبير عن التوحيد و من عبر عنه فقد كفر و ألحد لأنه شيء غامض غير متصور و قد بينا مخالفة هذا المعتقد لما جاء في الكتاب و السنة من التعبير عن التوحيد بشتى الصور

ثانيا : يعتقد المتصوفة بأن التوحيد الذى جاء في الكتاب و السنة ليس بتوحيد صحيح بل هو عين التعدد و الشرك و أن الموحد الصحيح هو الذى يصل الى مرحلة يحل فيه الله فيقول أنا الله حسب زعمهم

ثالثا : يعتقد المتصوفة بأن هذا التوحيد الذى أرسل الله به الرسل و أنزل الكتب من أجله انما هو توحيد خاص بالعوام فقط أما الخواص و خواص الخواص فتوحيدهم غير

---

(١) ـ منهاج السنة لشيخ الاسلام ابن تيمية ٥ / ٢٧٠ ـ ٢٨٣ باختصار

هذا تماما حيث ان الوقوف عند التوحيد الذى جاء في الكتاب والسنة يعتبر عندهم شركا

وعلى هذا فالصوفية يقفون من التوحيد الذى أمر الله به موقفا معاديا ويا ليت المتصوفة يقفون عند هذا الحد بل ذهبوا بعد أن نفروا الناس عن التوحيد الصحيح الى ابتداع عقائد الحادية وسموها التوحيد الحقيقي الذى ينبغي أن يصل اليه الانسان وهذا ما سنبينه في المبحث الآتي ان شاء الله (١)

---

(١) — انظر ص ٢٢٧ — ٢٥٥

المبحث الثالث : مفهوم التوحيد عند غلاة الصوفية : هو القول بوحدة الوجود :

وتحته ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : النصوص التي تثبت على أن التوحيد عند غلاة الصوفية هو القول بوحدة الوجود

المطلب الثاني : المضاعفات التي ترتبت على القول بوحدة الوجود

المطلب الثالث : حكم من يعتقد بعقيدة وحدة الوجود في ميزان الاسلام

المطلب الأول : ذكر النصوص التي تدل على أن الصوفيـة يعتقدون بأن حقيقة التوحيد

هو القول بوحدة الوجود :

لقد بينا في المبحث السابق موقف الصوفية ، من التوحيد الذى أرسل الله به الرسـل و أنزل به الكتب و رأينا هناك بأنهم يقفون من هذا التوحيد موقفا معاديا حيث صـرح بعضهم بأنه لا يمكن التعبير عن التوحيد لأنه شيء غامض جدا بل لا يمكن حتى مجـرد تصوره هذا بل من عبر عنه أو تصوره فهو جاحد كافر مع أن الله طلب من عباده أن يعبروا عن التوحيد في كتابه بشتى الصور و عبر عنه الرسول في سنته و لم يكتفوا بهذا بل قـال بعضهم بأن التوحيد الذى جاء في الكتاب و السنة انما هو توحيد يليق بالعوام فقط أما الخواص فان هذا التوحيد بالنسبة لهم يعتبر شركا و يقصد المتصوفة بالعوام كل الأمـة الاسلامية ما عداهم

و في هذا المطلب نريد أن نبين بأن المتصوفة لم يقفوا عند هذه الضلالات التي سبق ذكرها بل ادعوا بأن حقيقة التوحيد التي ينبغي أن يصل اليها الانسان هي القـول بوحدة الوجود و هذا ليس وصولا الى حقيقة التوحيد و انما هو وصول الى حقيقة الالحاد و قمته و نهايته

ووحدة الوجود تعني في المعتقد الصوفي :

انه ليس هناك موجود الا الله فليس غيره في الكون و ما هذه الظواهر التي نراها الا مظاهر لحقيقة واحدة هي الحقيقة الاهية (تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا)

هذه الحقيقة التي تنوعت وجوداتها و مظاهرها في هذا الكون المشاهد و ليس هذا

الكـون في هذه العقيدة الباطلة الا الله في زعمهم تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا (١)

والآن بعد أن عرفنا معنى وحدة الوجود اليك نصوصا عن أئمة التصوف و من بطـون كتبهم تثبت لنا بأن المتصوفة بالفعل يعتنقون هذه العقيدة الالحادية و يعتبرونها قمـة التوحيد و نهايته رغم أن العكس هو الصحيح و هو أن هذه العقيدة هي قمة الالحـاد و نهايته و ليس هناك في هذا الكون الحاد أعظم منها

فمن الأئمة الكبار عند المتصوفة الذين قالوا بوحدة الوجود محيي الدين ابن عربـي و هذا الرجل يعتبر من المتصوفة الكبار الذين تفانوا في توضيح هذه العقيدة الالحادية بشتى الأساليب حتى لقد حاول صرف معاني الآيات القرآنية عن معانيها الصحيحة الـتي تدل عليها من أجل تأييد عقيدة وحدة الوجود و هو بالفعل يعتبر الرجل الوحيد الذى فاق من سبقه و من لحق به و من عاصره في توضيح هذه العقيدة الالحادية و يلاحظ هذا كل من يقرأ في كتبه مثل فصوص الحكم و الفتوحات المكية

و اليك النصوص التي تثبت أن هذا الرجل كان يقول بوحدة الوجود بألفاظ صريحة وواضحة و دالة دلالة مباشرة على هذه العقيدة الكفرية الالحادية الخالصة

قال متحدثا عن الاله في معتقده الصوفي الفاسد :

(فالاله المطلق لا يسعه شيء لأنه عين الأشياء وعين نفسه و الشيء لا يقال فيـه يسع نفسه و لا يسعها فافهم)(٢)

فاذا نظرنا في هذا النص نجده يدل دلالة واضحة على اعتقاد الرجل بوحـــدة الوجود و يتضح لنا هذا في قوله : (فالاله المطلق لا يسعه شيء لأنه عين الأشياء) أى أن الله سبحانه و تعالى عين كل الأشياء الموجودة في هذا الكون و اذا كان الله عيـن

---

(١)ـ انظر الفكر الصوفي لعبد الرحمن عبد الخالق ص ٦٩

(٢)ـ فصوص الحكم لمحيي الدين ابن عربي فص فردية في كلمة محمدية ٤٤٠ مع شـرح بالي أفنـدى

كل الأشياء فاذا كل ما في هذا الكون مجالى و مظاهر لله و بالتالي يطلق عليه الله و هذه هي بعينها عقيدة القول بوحدة الوجود

و يقول ابن عربي أيضا معبرا عن عقيدته الالحادية و موضحا لها: (. . . . و اذا كان الحق وقاية للحق بوجه و العبد وقاية بوجه فقل في الكون ما شئت ان شئت قلت هو الخلق و ان شئت قلت هو الحق و ان شئت قلت هو الحق الخلق و ان شئت قلت لا حق من كل وجه و لا خلق من كل وجه و ان شئت قلت بالحيرة)(١)

فالنص واضح فيه عقيدة الرجل بوحدة الوجود حيث قال انه يصح اطلاق الربوبية على هذا الكون حيث انه يعني بكمه الحق الله سبحانه و تعالى ، ثم قال انه يجوز أن يوصف هذا الكون بأنه حق و خلق أى مزدوج و هذه عقيدة الاتحاد و الشاهد في النص هو قول ابن عربي في الكون : (ان شئت قلت هو الحق و ان شئت قلت هو الحق الخلق)

و يقول ابن عربي أيضا معبرا عن عقيدته الوجودية :

فلولاه ولولانا لما كان الذى كانا فأنا أعبد حقا و ان الله مولانا

و أنا عينه فاعلم اذا ما قلت انسانا فلا تحجب بانسان فقد أعطاك برهانا

فكن حقا و كن خلقا تكن بالله رحمانا و غذ خلقه منه تكن روحا و ريحانا

فأعطيناه ما يبدو به فينا و أعطانا فصار الأمر مقسوما باياه و ايانا

فكنا فيه أكوانا و أعيانا و أزمانا (٢)

ففي هذه الأبيات الشعرية عبر ابن عربي عن عقيدته الالحادية و هو القول بوحدة الوجود فانظر مثلا قوله في البيت الثاني :

---

(١)— فصوص الحكم لابن عربي ١١٢

(٢)— فصوص الحكم لابن عربي الفص العيسوى ص١٤٣

(وأنا عينه فاعلم اذا ما قلت انسانا فلا تحجب بانسان فقد أعطاك برهانا)

معنى هذا البيت يقول ابن عربي انه هو بنفسه عين الله أى هو الله و يحذر من أن تحجب صورته البشرية عن أنه عين الله و يقول لا تحجب بانسان فقد أعطاك برهانا

و معنى البيت الثالث يأمر ابن عربي أن يكون أى مخلوق مخلوقا و خالقا في آن واحد أى ازدواجيين الخالق و المخلوق

و معنى البيت الرابع يقول ابن عربي ان المخلوقات أعطت لله سبحانه و تعالى هذه الهياكل و الأشكال ليظهر فيها و لهذا صار الأمر بين الله و بين الخلق بمعنى أن كل المخلوقات هذه هي مظاهر و مجالى لله سبحانه و تعالى تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا

وفي البيت الأخير يصرح ابن عربي بأن كل ما يطلق عليه كون أو أعيان أو أزمان فهي كلها مظاهر ومجالى لله سبحانه وتعالى ولا حقيقة لوجود أى شيء سوى الله سبحانه وتعالى وهذه بعينها هي القول بوحدة الوجود .

ويقول ابن عربي في كتابه فصوص الحكم موضحا عقيدته الوحدوية أى عقيدة وحدة الوجود ومن اسمائه الحسنى العلى على من . . . . .وماثم الا هو فهو العلي لذاته أو عن ماذا وماهو الا هو فعلوه لنفسه وهو من حيث الوجود عين الموجودات فالمسمى المحدثات هي العلية لذاتها وليست الا هو فهو العلي لا علو اضافة لأن الأعيان التي لها العدم الثابتة فيه ما شمت رائحة من الوجود فهي على حالها مع تعداد الصور في الموجودات والعين واحدة من المجموع في المجموع فوجود الكثرة في الأسماء وهي النسب وهي أمور عدمية وليس الا العين الذى هو الذات فهو العلي لنفسه لا بالاضافة فما في العالم من هذه الحيثية علو اضافة لكن الوجوه الوجودية متفاضلة فعلو الاضافة موجود في العين

الواحدة من حيث الوجوه الكثيرة لذلك نقول فيه هو لا هو أنت لا أنت

قال الخراز رحمه الله تعالى وهو ووجه من وجوه الحق ولسان من ألسنته ينطق عن نفسه بأن الله تعالى لا يعرف الا بجمعه بين الأضداد في الحكم عليه بها فهو الأول والآخر والظاهر والباطن فهو عين ما ظهر وهو عين ما بطن في حال ظهوره وما ثم من يراه غيره ثم من يبطن عنه فهو ظاهر لنفسه باطن عنه و هو المسمى أبا سعيد الخراز وغير ذلك من المحدثات (١)

ففي هذا النص عقيدة وحدة الوجود ظاهرة جدا في عدة ألفاظ فمثلا قوله على وما ثم الا هو هنا في هذا النص نفي أن يكون غير الله موجودا

ثم في قوله (وهو من حيث الوجود عين الموجودات)

ففي هذا النص قول ابن عربي بوحدة الوجود واضح جدا لأنه قال ان الله عين الموجودات وكلمة الموجودات تشمل كل ما في هذا الكون من أرض وسماء وما فيهما وما بينهما ففي نظر ابن عربي ان هذه الموجودات كلها هي الله تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا ،والنص فيه شواهد كثيرة للتدليل على أن هذا الرجل من القائلين بوحدة الوجود ولكن اكتفينا بذكر بعض الشواهد خشية الاطالة لأن المقصود هو ذكر دليل يثبت اعتناق ابن عربي لعقيدة وحدة الوجود وقد تم ذلك

ولم يتورع ابن عربي مع ذلك أن ينسب ما في هذا الوجود كله من شر وقبائح وسفك دماء الى الله عز وجل بل جعل كله ذلك هو الله سبحانه وتعالى واليك نص كلامه الدال على ذلك

فقد قال : فالعلي لنفسه هو الذي يكون له الكمال الذي يستغرق به جميع الأمور

---

(١) — فصوص الحكم لابن عربي ص ٧٦

الوجودية حيث لا يمكن أن يفوته نعت فيها وسواء كانت محمودة عرفا وعقلا وشرعا أومذمومة عرفا وعقلا وشرعا وليس ذلك الا لمسمى الله خاصة (١)

فعلى قول ابن عربي هذا ان القائلين بوحدة الوجود يصفون الله عز وجل بكل ما في هذا الكون من أوصاف سواء كانت هذه الأوصاف قبيحة أو حسنة بل يصفونه بكل موجود في هذا الكون من حيوان وانسان وجن وغيرها من مخلوقات الله وذلك لأنهم يعتقدون بأنه لا موجود في هذا الكون الا الله أما ما عداه فهي مجرد مجالى ومظاهر لله سبحانه وتعالى وهذا كفر بواح بل ليس على الأرض كفرا أكبر من هذا الكفر ولقد كرر مثل هذا المعنى في كتابه فصوص مرات عديدة فقال :

(ألا ترى الحق يظهر بصفات المحدثات وأخبر بذلك عن نفسه وبصفات النقص وبصفات الذم) (٢) .

ولم يكتف ابن عربي بهذا بل زعم أن الحق لا يشهد أتم شهود ولا يعرف حق المعرفة الا في المرأة . . . . حال اللذة والشهوة واليك نص عبارته الوقحة البعيدة عن الأدب حيث قال : (ولما أحب الرجل المرأة طلب الوصلة أى غاية الوصل التي تكون في المحبة فلم يكن في صورة النشأة العنصرية أعظم وصلة من النكاح ولهذا تعم الشهوة أجزاء كلها ولذلك أمر بالاغتسال منه فعمت الطهارة كما عم الفناء فيها عند حصول الشهوة فان الحق غيور على عبده أن يعتقد أنه يلتذ بغيره فطهره بالغسل ليرجع بالنظر اليه فيمن فنى فيه اذا لا يكون الا ذلك فاذا شاهد الرجل الحق في المرأة كان شهودا في منفعل واذا شاهد في نفسه من حيث ظهور المرأة عنه شاهده في فاعل واذا شاهده في نفسه من غير

---

(١) — فصوص الحكم لابن عربي ص ٧٩

(٢) — فصوص الحكم لابن عربي ص ٨٠

استحضار صورة ما تكون عنه كان شهوده في منفعل عن الحق بلا واسطة فشهوده للحق في المرأة أتم وأكمل . . . . لأنه يشاهد الحق من حيث هو فاعل منفعل . . . . ومن نفسه من حيث هو منفعل خاصة فلهذا أحب الرسول صلى الله عليه وسلم النساء لكمال شهود الحق فيهن اذ لا يشهد الحق مجردا عن المواد ابدا) (١)

واستطرد ابن عربي مقررا هذا المعنى شارحا له فقال : (فشهود الحق في النساء أعظم الشهود وأكمله) وقال أيضا : (فمن أحب النساء على هذا الحد فهو حب الهي)

وقال أيضا :

صح عند الناس أني عاشق غير ان لم يعرفوا عشقي لمن (٢)

قال الشيخ عبد الرحمن الوكيل معلقا على قول ابن عربي هذا :

(الرجل والمرأة عند ابن عربي صورتان من صور الله ، يعني حقيقة تتجلى في صورتي رجل وامرأة وفي حال المواقعة يسمى الرجل فاعلا والمرأة منفعلة ويدين الزنديق بأن ربه فاعل منفعل معا فهو فاعل لتعينه في صورة رجل وهو منفعل لتعينه في صورة امرأة مع رجل ولما كانت المرأة هكذا يصور الزنديق تعتبر فاعلة لشدة تأثيرها في الرجل في تلك الحال العاصفة بالشهوة فان شهود الاله الصوفي في المرأة الهلوك أتم وأكمل اذ يشاهده فيها في صورة فاعل ومنفعل . وهنا يبدو خطر التصوف الجامح على الخلق والعرض والأمة ماذا يفعل الصوفي وهو يؤمن أن المرأة هي أتم وأكمل مجالي الاله ماذا سيحدث منه وهو يؤمن أن ربه امرأة يواقعها رجل أعفني من الجواب لأنك ستدرك الجواب وستدرك أن التصوف دعوة ملحة الى الاباحية الماجنة وهذا يؤكد لك ما قررته من قبل وهو أن لحيوان الشهوة المعربد في أعماق

---

(١) فصوص الحكم لابن عربي ص ٢١٧

(٢) — فصوص الحكم لابن عربي ص ٢١٨

ابن عربي أثرا بعيدا في تصوفه فقد تولّه وهو بمكة حين زارها سنة ٥٩٨ هـ بحب غانية هي ابنة الشيخ مكين الدين الأصفهاني ولكنها لم تهدهد من نزواته الفواجر ولم تروّع غلة ذئبه الظامئ الى الدم فنظم يستدرجها الى الغواية فيها ديوان شعره المسمى ترجمان الأشواق وابن عربي نفسه يقر بأنه نظم ديوانه هذا بتلك الغانية القتول وحين عصفت الفضيحة بهواه فر هاربا من مكة حتى لا يجابه عار الفضيحة بيد أن الهوى ظل يعصف به ويلهبه وثمة نفس عن جحيمه بخيالات زندقته فراح يصور به في صورة امرأة ويزعم أنه يتجلى أجمل وأحلى ما يتجلى في صورة امرأة تقترف كل هذا من أجل امرأة لم تستطع شهوته أن تضرس منها اللحم وتعرق العظم (١)

ثانيا من المتصوفة الكبار الذين قالوا بوحدة الوجود وألفوا فيها كتبا ابن سبعين (٢)

---

(١) — مصرع التصوف لبرهان الدين البقاعي هامش ص ١٤٤

(٢) — هو عبد الحق بن ابراهيم بن محمد بن نصر بن سبعين الاشبيلي المرسي أبو محمد من القائلين بوحدة الوجود وله كتب كثيرة في التصوف والفلسفة وقد كفره كثير من الناس له مريدون وأتباع يعرفون بالسبعينية قال ابن دقيق لعيد جلست مع ابن سبعين من ضحوة الى قريب الظهر وهو يسرد كلاما تعقل مفرداته ولا تعقل مركباته

وقال الذهبي أشهد عن ابن سبعين أنه قال لقد تحجر ابن آمنة واسعا بقوله لا نبي بعدي وكان في الله عز وجل انه حقيقة الموجودات وقصد في مكة فنزل الى يجري حتى مات نزفا وقال محمد بن شاكر الكتبي بعد أن حكى كلمات الكفر عن ابن سبعين فان كان ابن سبعين قال هذا فقد خرج به من الاسلام مع أن هذا الكلام هو أخف وأهون من قوله في ربه انه حقيقة الموجودات تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا أنظر لسان الميزان ٣/٣٩٢ ودائرة المعارف الاسلامية ١/١٨٨ والاعلام للزركلي ٤/٥١

يعتبر ابن سبعين من كبار مشائخ الصوفية الملاحدة الذين قالوا بوحدة الوجود واليك نماذج من مقالاته التي كتبها لتوضيح عقيدة وحدة الوجود

فقد قال في أحد رسائله والتي تسمى بالرسالة النورية مخاطبا أحد تلاميذه وموجها له الى المعتقد الذى يجب أن يعتقده نحو ربه حيث أوصاه لكي يذكر ربه بأى شيء أراد و أن يسميه بأى اسم يخطر في باله وأخبره بأن كل ما في هذا الكون هو الله سبحانه واليك نص كلامه

قال ابن سبعين : (وجميع ما توجه الضمير اليه اذكره به ولا تبال وأى شيء يخطر ببالك سمه به من اسمه (الوجود) كيف بأسماء منحصرة هيهات ؟ الله لا اسم له الا الاسم المطلق أو المفروض فان قلت نسميه بما سمى به أو نبينه يقال لك من سمى نفسه (الله) قال لك ان كل شيء وجميع من تنادى أنا)(١)

ففي هذا النص قول ابن سبعين بوحدة الوجود ظاهر في قوله لتلميذه (ان كل شيء وجميع من تنادى أنا)

وهذا نص آخر يزعم فيه ابن سبعين بأن الموجود في هذا الكون الله فقط ولذا فهو عين الحامد والحمد وهو عين كل شيء ظاهر في هذا الوجود

واليك نص كلامه الدال على ما قلته

فقد قال في أحد رسائله معبرا عن عقيدته الوجودية وموضحا لها : (الله فقط ، الله المستعان والمستعين والاعانة معنى فيه في كونه معينا ومستعينا الحمد لله في الأزل والأبد والمجد ومن هو بهما عين الحامد والحمد ولا حول ولا قوة الا بالسارى بذاته في أفعاله عن أسمائه بصفاته أحب فتسمى بالحي وأحاط فتسمى بالعالم .... هو عين كل ما ظهر فحق له أن يتسمى بالظاهر وهو معنى كل معنى فحق له أن يتسمى

---

(١)— رسائل ابن سبعين ص ١٨٤

بالباطن) (١)

ففي هذا النص صرح ابن سبعين بعقيدته الصوفية وحدة الوجود ويظهر هذا في كل النص وبالتحديد يظهر جليا في قوله (عين الحامد والحمد) أى أن الله سبحانه وتعالى عين كل أحد يحمده ولذا فكل من حمد الله فقد حمد نفسه لأنه عين الله وأن الحمد المحمود به الله سبحانه وتعالى هي عين الله وعلى هذا فليس هناك اله يحمد ويعبد لأن كل ما في هذا الكون (الله)

ويظهر أيضا في قوله (هوعين كل ماظهر) ومعنى هذا أن الله سبحانه وتعالى عين كل شئ ظاهر في هذا الوجود ومعنى هذا أن كل الموجودات هي (الله) ولذا فليس هناك عابد ولا معبود

ويقول ابن سبعين أيضا معبرا عن عقيدته الوجودية وموضحا لها :

(فان الحق واحد وما عداه وهم والأوهام هي المستندة والمستند اليها بوجه ما ونحن تلك الأوهام بل نحن نحن بل هوهو بل لا يقال نحن ولا هو من حيث الاشارة والميل ولكنها تشعر بالشئ الذى يجد ذلك الشئ من كل الجهات ويصرف هو والهوهو الى أنا ويجد الانية والهوية معا (٢)) (٣)

فاذا نظرنا في هذا النص نجد أن ابن سبعين اعتبر أن الموجود في هذا الكون

---

(١)— رسائل ابن سبعين ١٩٠

(٢)— الأنانية والأنينة عباره عن الحقيقة التي يضاف اليها كل شر من العبد كقولك نفسي وروحي ويدي وتكون حقيقتك وباطنك غير الحق ونفي الأنينية هو عين معنى الاله ثم اثبات الحق سبحانه في باطنك

ثانيا هو عين معنى الا الله أنظر معجم مصطلحات الصوفية ٢٦

(٣)— رسائل ابن سبعين رسالة الألواح ص ٢٧٦

موجودا واحدا فقط وهو الله وما عداه من الموجودات فهي أوهام لا حقيقة لها البتـــة ولذا لا يقال نحن ولا هو بل يقال الصحيح حسب زعمه أن يقال أنا وذلك كما هو واضـح في آخر النثر يقول الانسان هوهوهو الى أن يصل الى مرحلة يقول فيها أنا وحينئذ فقد وصل الى نهاية المعرفه عند المتصوفة وذلك لأنه اعتبر نفسه الها واعتقد أن كل الموجودات في هذا الكون آلهة لأنها مظاهر ومجالى لله سبحانه وتعالى وهذه هي عقيدة وحـــدة الوجود بعينها

ويقول ابن سبعين في نثر آخر أيضا معبرا عن عقيدته وحدة الوجود الوجودية فـــي أحد الوصايا التي أوصى بها أصحابه معرفا لهم بأن العلم الالهي الصحيح هي معرفـه وحدة الوجود وأنه لا يوجد في هذا الكون غير الوحدة المحضة واليك نص كلامـه

فقد قال : (والذى تحتاج اليه أن تعلمه أن الأولى أن يطلق العلم الالهي علـــى معرفة الوحدة وأن المقصود منه هو التوحيد وأن الموحد صاحب النتيجة الماحيـــة لكل معلوم فيه غير الوحدة المحضة والذى يبلغ هذه الدرجة أدرك المقصود) (١)

فاذا نظرنا في هذا النثر نجد أن ابن سبعين صرح بعقيدة وحدة الوجود في عـدة ألفاظ منه فمثلا في قوله (والذى تحتاج اليه أن تعلمه أن الأولى أن يطلق العلـــم الالهي على معرفة الوحدة) والمتصوفة يقصدون بكلمه الوحدة (وحدة الوجود) و يظهر أيضا في قوله (وأن الموحد صاحب النتيجة الماحية لكل معلوم فيه غير الوحـــدة المحضة) والمعنى أن الموحد يتدرج في التوحيد الى أن يصل الى الاعتقاد بوحـــدة الوجود وهذه هي غاية التصوف التي يسعون للوصول اليها وهي كما تعلم نهاية الالحـاد والكفر

---

(١) — رسائل ابن سبعين ص ٣١٤

وقال الدكتور أبو الوفاء الغنيمي التفتازاني بعد أن ذكر جملة من عبارات ابـــــن سبعين التي تدل على الوحدة المطلقة :

(ان ابن سبعيـــن يريد أن يقول ان العقول القاصرة تميز بين الذوات المجـــردة وغيرها وبين الواجب والممكن والمحال والحقيقة ان هذا التمايز باطل وهـــــم لأن الوجود واحد والواحد لا يتعدد والرب المألوف الذى يتصوره البعض متميزا عن وجـــود الممكنات قد يكون نقطة البداية التي يبدأ منها المسترشد فاذا ما وصل الى نهايـــة تحقيقه تبين له أنه لا تمايز اطلاقا بين الذوات وأن الممكن هو عين الواجب فيكون ما يدين به بعد وصوله أعلى مرتبة مما كان يدين به قبل الوصول ويكون فهمه للألوهية في الاسلام أرقى من فهم الواقفين عند حد الاثنينية بين الخالق والمخلوق وكأن ابن سبعين يريد أن يقول ان عوام المسلمين لقصور عقولهم عن ادراك الوحدة المطلقة يفرضون تصـــورا معينا للألوهية على أنفسهم ولا كذلك الخواص الذين يتحررون مما فرضه أولئك العـــوام من قصور الألوهية فيثبتون الوحدة الوجودية المطلقة التي هي عين التوحيد الحقيقي الذى دعا اليه الاسلام)(١) .

ومن كبار أئمة التصوف الذين قالوا بوحدة الوجود عبد الكريم الجيلي ويظهر ذلـــك من خلال كلامه الآتي حيث أنشد الأبيات التالية معبرا بها عن عقيدته في وحدة الوجود حيث قال :

فما ثم شئ سوى الله في الورى ... وما ثم مسموع وما ثم سامع

هو العرش والكرسي والمنظر العلي ... هو السدرة اللاتي اليه المراجع

هو الأصل حقا والرسوم مع الهوى ... هو الفلك الدوار وهو الطبائع

---

(١)— كتاب ابن سبعين وفلسفته الصوفية للتفتازاني ص ٢٢٣

هو النور والظلماء والماء والهوى هو العنصر الناري وهو الطبائع (١)

ففي هذه الأبيات صرح عبد الكريم الجيلي بأنه لا يوجد شيء في هذا الكون غير الله ولذا فليس هناك شيء يسمى مسموع وشيء آخر يسمى سامع لأن الكل حسب زعمه الباطل آلهه ثم بدأ في التفصيل فقال ان الله هو الكرسي وهو العرش وهو الفلك الذي يدور وهو الطبائع الأربع البرودة والحرارة وغيرها من أصناف الطبائع وهو النور المضيء وهو الظلمة الحالكة وهو الماء والهواء الذي نستنشقه بل هو النور أيضا وهذه هي بعينها عقيدة وحدة الوجود حيث ان القاعدة التي تقوم عليها هي اعتبار بأن ما في هذا الكون كله رب معبود وما هذه الأشكال والهياكل الا مظهر من مظاهر الله كما يزعمون تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا .

وقال عبد الكريم الجيلي أيضا موضحا عقيدة وحدة الوجود :

(اعلم أن جميع حقائق الوجود وحفظها في مراتبها تسمى الألوهية وأعني بحقائق الوجود أحكام المظاهر مع الظاهر فيها أعني الحق والخلق فشمول المراتب الالهية وجميع المراتب الكونية واعطاء كل حقه من مرتبة الوجود هو معنى الألوهية) (٢)

ويقول أيضا : (واعلم أن للرب في كل موجود وجه كامل وذلك الوجه على صورة ذلك الموجود و روح ذلك الموجود على صورة محسوسة وجسد وهذا الأمر للرب أمر ذاتي) (٣)

ففي النصين السابقين اعتقاد الرجل بوحدة الوجود واضح جدا ويظهر لنا ذلك في قوله (اعلم أن جميع حقائق الوجود وحفظها ومراتبها تسمى الألوهية) والمعنى أن كل الموجودات في هذا الكون يصح أن يطلق عليها لفظ الآلهه لأنها لا وجود لها في

---

(١)— الانسان الكامل لعبد الكريم الجيلي ١ / ٦١ م وفتوح الغيب للجيلاني ٢٠٣

(٢)— الانسان الكامل للجيلي ١ / ٢٧

(٣)— الانسان الكامل للجيلي ١ / ٢٤

الحقيقة بل الموجود الوحيد في هذا الكون هو الله سبحانه وتعالى وما عداه ما هو الا مظاهر ومجالى لله سبحانه وتعالى وهذه هي عقيدة وحدة الوجود لا غير .

ومن أئمة التصوف الذين قالوا بوحدة الوجود ابن عجيبة الحسني (١) ويتضح لنا هذا من خلال كلامه الآتي حيث قال معبرا عن عقيدة وحدة الوجود ووصف العارفين :

(وأما العارفون فقد ظفروا بنفوسهم ووصلوا الى شهود معبودهم فهم يستأنسون بكل شيء لمعرفتهم في كل شيء يأخذون النصيب من كل شيء ويفهمون عن الله في كل شيء فاذا مدحوا انبسطوا بالله لشهودهم المدح من الله والى الله ولا شيء في الكون سواه)(٢)

ففي هذا النص يظهر لنا بوضوح قول ابن عجيبة بوحدة الوجود ويظهر لنا هذا في قوله (فاذا مدحوا انبسطوا بالله لشهودهم المدح من الله ولا شيء في الكون سواه) ومعنى هذا الكلام واضح جلي لا يحتاج الى بيان ولكن من باب تحديد الشاهد في النص فقط للفصل ومعنى هذا الكلام أن العارفين بالله ينبسطون اذا مدحوا لأنهم يعتقدون أن المادح الله وأن الممدوح الله أيضا وذلك لأن في هذا الكون لا يوجد سوى الله شيء وما دام الأمر كذلك اذا فكل مايوجد في هذا الكون آلهة تمشي وعلى هذا فلا مانع من عبادة كل ما يدب على وجه الأرض .

ومن ائمة التصوف الذين قالوا بوحدة الوجود أبي سعيد الحزاز (٣) ويظهر لنا هذا في كلامه الآتي حيث قال شارحا لقول ابن عربي الآتي (أنت لا أنت) قال أبو سعيد الحزاز أنه وهو وجه من وجوه الحق ولسان من ألسنته كما علمت (٤)

---

(١) —

(٢) — الفتوحات الالهية لابن عجيبة ص ٤١٣

(٣) أبو سعيد الحزاز هو أحمد بن عيسى قال عنه الجنيد لو طالبنا الله بحقيقة ماعليه أبو سعيد الحزاز لهلكنا توفي ٢٧٧ وقيل ٢٨٦ انظر في صفوة الصفوة لابن جوزي

(٤) — شرح القاشاني على الفصوص ص ٧٨

وقال أيضا : حين سئل فقيل له : (بم عرفت الله ؟ قال بجمعه بين الأضداد وما هو الا ظهور الحق في صورته بجميع أسمائه المتضاده فهو محكوم عليه بها كالخلق بل هو حق من حيث الحقيقة وجه خاص من وجوهه من حيث تعينه و خصوصيته كسائر المحدثات اذ ليس في الوجود غيره الا أن الوجود متفاوتة متفاضلة بحسب ظهور الأسماء فيها وبطونها وغلبة أحكام الوجوب والامكان فيها بعضها على بعض كغلبة الروحانيات في بعضهـــا والجسمانية في بعضها) (١)

ففي النصين السابقين يتضح لنا قول الحزاز بوحدة الوجود صراحة حيث قال في شرح قول ابن عربي (أنت لاأنت) ان ابن عربي يقصد بهذا أنه والله وجه من وجوه الحـق ولسان من ألسنته لأنه لا موجود في هذا الكون غير الله حسب عقيدة أهل وحدة الوجـود وفي النص الثاني تظهر لنا عقيدة وحدة الوجود في أبي سعيد الحزاز في قوله (اذ ليس في الوجود غيره الا أن الوجود متفاوتة متفاضلة بحسب ظهور الأسماء فيها) اذا ما دام لا يوجد شئ في هذا الكون غير الله فكل ما يمشي على وجه هذه الأرض فهو مجالـــي ومظاهر لله سبحانه وتعالى تنزه الله عما يقول الظالمون وتقدس .

ومن أئمة التصوف الذين قالوا بوحدة الوجود ابن الفارض ومن النصوص الداله علـــى هذا قوله في الأبيات التالية

قال :

تجلت في تجليها الوجود لناظـــرى ففي كل مرئى أراها برؤيـــة

وأشهدت غيبي اذ بدت فوجدتنـــي هنالك اياهـــا بجلوة خلـــوتي

وطاح وجودى في شهودى وبنت عن وجود شهودى ما حيا غير مثبت

---

(١) ـ شرح القاشاني على الفصوص ص ٧٨

وعانقت ما شاهدت في محو شاهده بمشهده للصحو من بعد سكرتي (١)

ففي هذه الأبيات صرح ابن الفارض بوحدة الوجود ويظهر لنا هذا جليا في البيت الأول حيث صرح بأنه يرى الله في كل شيء يراه ومعنى ذلك لا يوجد شيء سوى الله في هذا الكون وما هذه الأشباح الوجودة الا مظاهر ومجالى لله سبحانه وتعالى وليس لها وجود في الحقيقة وهذا حسب معتقد أهل وحدة الوجود الباطل

قال الدكتور مصطفى حلمي تعليقا على هذه الأبيات التي أوردتها عن ابن الفارض:

لترى أن الشاعر هنا يذهب الى ما يشتم منه رائحة وحدة الوجود فهو يقول ان المحبوبة في حال تجليها وظهورها قد أظهرت لعينه الوجود بحيث أصبح يراها في كل موجود وأنه حين كشف عن باطنه الحجاب شهد أن ذاته هي عين ذات المحبوبة وأن وجوده قد انمحى في شهوده ولترفوق هذا كله أنه تمسك في صحوة الحاصد بعد سكره بما شاهده في باطنه وهو أن المحبوبة هي الوجود المطلق وهذا ينتهي بابن الفارض الى أن يصبح فناؤه من فناء الملاحدة القائلين بوحدة الوجود وبأن الرب الذى هو عند ابن الفارض المحبوبة عين الوجود أى أن وجود الرب هو عين وجود العالم (٢)

وقال الدكتور مصطفى حلمي أيضا : يدور الاتحاد عند ابن الفارض حول فكرة الجمع (٣)

وقال أبو سعيد الخراز موضحا معنى الجمع في المصطلح الصوفي :

قال :الجمع عبارة عن ايجاد الحق نفسه في أنفس السالكين بل اعدامه لوجودهم لأنفسهم عند وجودهم له (٤)

---

(١)ـ ابن الفارض والحب الالهي لمصطفى حلمي ص ١٩٠

(٢)ـ ابن الفارض والحب الالهي لمصطفى حلمي ص ١٩٠

(٣)ـ ابن الفارض والحب الالهي لمصطفى حلمي ص ١٩٨

(٤)ـ التعرف لمذهب أهل التصوف ص ١٤٤

وقال القاشاني (١) في معنى الجمع في المصطلح الصوفي :

(ان معنى الجمع أنه تزول فيه التفرقة بين القدم و الحدوث اذ لما انجذبت الروح الى مشاهدة جمال الذات استتر نور العقل الفارق بين الأشياء في غلبة نور الذات القديمة و ارتفع التمييز بين القدم و الحدوث لزهوق الباطل عند مجيء الحق)(٢)

و من أئمة التصوف الذين قالوا بوحدة الوجود ابن عطاء الله السكندرى (٣) و يظهر لنا معتقده هذا من خلال كلامه الآتي حيث قال معبرا عن عقيدته الوجودية :

(الأولياء وليسان :

١ــ ولي يفنى عن كل شيء فلا يشهد مع الله شيئا

٢ــ ولي يبقى في كل شيء فيشهد الله في كل شيء و هذا أتم لأن الله سبحانه

---

(١)ــ القاشاني هو عبد الرزاق القاشاني كمال الدين صوفي و من تصانيفه " شرح منازل السائرين للهروى" و شرح فصوص الحكم لابن عربي و له كتب كثيرة في التصوف انظر ترجمته في معجم المؤلفين لكحالة ٥ / ٢١٥

(٢)ــ ابن الفارض و الحب الالهي لمصطفى حلمي ١٩٨

(٣)ــ ابن عطاء الله السكندرى هو أحمد بن محمد بن عبد الكريم بن عطاء الله تاج الدين أبو الفضل الاسكندراني الشاذلي صحب الشيخ الشاذلي أبا العباس الشاذلي المرسي الشاذلي و صنف مناقبه و مناقب شيخه و كان المتكلم على لسان الصوفية في زمانه و هو من المتصوفة الذين قاموا على شيخ الاسلام ابن تيمية و قد بالغ في عدائه لشيخ الاسلام الى أبعد الحدود ت ٧٠٧

انظر ترجمته في الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة لابن حجر العسقلاني ١ / ٢٦١

لم يظهر المملكة الا كي يشهد فيها فالكائنات مرايا الصفات فمن غاب عن الكون غاب عن شهود الحق فيه فما نصبت الكائنات لتراها ولكن لترى فيها هو لا هي فمراد الحق منك أن تراها بعين من لا يراها : تراها من حيث ظهوره فيها ولا تراها من حيث كونيتها)

ثم أنشد الأبيات التالية :

ما أبينت لك العوالم الا لتراها بعين من لا يراها

فارق عنها رقي من ليس يرضى حالة دون أن يرى مولاها

ثم قال : (فالناظر في الكائنات غير شاهد للحق فيها غافل والغاني عنها عبد بسطوات الشهود ذاهل والشاهد للحق فيها عبد مخصص كامل وانما ترفع الهمة عن الكون من حيث كونيته لا من حيث ظهور الحق فيه وذلك لعدم نفوذ هم اليه من كل شيء لا لعدم ظهوره في كل شيء فانه ظاهر في كل شيء حتى انه ظاهر فيما احتجب به فلا حجاب

ثم أنشد الأبيات التالية :

وأنت الذي أظهرته ثم ظهرت في جميع المبادي مثل ما شهد العرف

ظهر لكل الكون فالكون مظهر وفيه له أيضا كما جاءت الصحف(١)

اذا نظرنا في النصوص السابقة سنجد أن القول بوحدة الوجود ظاهر فيها جدا فمثلا في قوله : (ولي يفنى عن كل شيء فلا يشهد مع الله شيئا) وفي قوله : (ولي يبقى في كل شيء فيشهد الله في كل شيء وهذا أتم لأن الله سبحانه لم يظهر المملكة الا كي يشهد فيها فالكائنات مرايا الصفات)

---

(١) — لطائف المنن لابن عطاء الله السكندري تحقيق الدكتور عبد الحليم محمود ٩٠ — ٩١

وابن عطاء السكندري يقصد بهذا أن يقول ان العارف الحقيقي هو(الذي لا يشهد في هذا الكون مع الله شيئا بل يرى الله فقط و أن من يرى الله فقط في هذا الكون أكمل منه ممن يرى الله في كل شيء في هذا الكون و ما خلق الله هذه الكائنات الا لكي يظهر فيها الله سبحانه و تعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا

و هذه هي عقيدة وحدة الوجود بعينها ،

و من أئمة التصوف الذين قالوا بوحدة الوجود ابراهيم الدسوقي

و قد بالغ هذا الرجل في توضيح هذه العقيدة و يتضح لنا هذا من خلال أبياته التالية التي قالها معبرا عن عقدته الوجودية حيث قال :

تجلى لي المحبوب في كل وجهة ... فشاهدته في كل معنى و صورة

و خاطبني مني بكشف سرائري ... فقال أتدري من أنا قلت منيتي

فأنت مناي بل أنا أنت دائما ... اذا كنت أنت اليوم عين حقيقتي

و انظر في مرآة ذاتي شاهدا ... لذاتي بذاتي و هي غاية بغيتي

و ما شهدت عيني سوى عين ذاتها ... و ان سواها لا يلم بفكرتي

بذاتي تقوم الذات في كل ذروة ... أجد فيها حلة بعد حلة

فليلى و هند و الرباب و زينب ... و علوى و سلمى بعدها و بثينة

عبارات أسماء بغير حقيقة ... و ما لوحوا بالقصد الا لصورتي (١)

و يقول أيضا : (من ادخل دار الفردانية و كشف له عن الجلال و العظمة بقي هو بلا هو)(٢)

---

(١) ـ الطبقات الكبرى للشعراني ١/ ١٨٢

(٢) ـ الطبقات الكبرى للشعراني ١/ ١٦٧

اذا نظرنا في الأبيات السابقة نجد بأن قول ابراهيم الدسوقي بوحدة الوجود واعتناقه لها ظاهر جلي ففي البيت الأول صرح بأن الله ظهر له في كل الجهات وأنه رآه في كل شيء سواء كان هذا الشيء معنويا أو حسيا

وفي البيت الثالث يقول ابراهيم الدسوقي مخاطبا الله سبحانه وتعالى : (بل أنا أنت)

والمعنى أنه هو الله وأن الله عين حقيقة الدسوقي حسب زعمه وأن ذات الله تقوم بذات الدسوقي في كل مرة وأنه يـ فيها الـ واحدة تلوى الأخرى

وأن كل ما يسمى بليلى وهند والرباب وزينب وعلوى وسلمى وبثينة ما هي الا الأسماء مجردة عن الحقيقة

فالكل يطلق عليه اله وأن الجميع ما يوحوا بالقصد الا لصورة ابراهيم الدسوقي لأنه عين ذات الله كما يزعم وهذه هي عقيدة وحدة الوجود بعينها

ومن أئمة الصوفية الذين قالوا بوحدة الوجود لسان الدين الخطيب ويتضح لنا هذا من خلال كلامه الآتي فقد قال معبراً عن عقيد وحدة الوجود : (وأول

مراتب العلم الالهي هو عين الذات المعبر عنه بحقيقة الحقائق الكلية وسريانه في كل اعتبار ففي الالهية الهيا وفي الكونيه كونيا والكل مظاهره وهو قسمان ذاتي و وجداني يلازمه الفنى معناه شهود الذات نفسه من حيث الوحدانية التي هي مظهر للأمرية بجميع الاعتبارات والشئون معنويها ومثاليها وحسيها دنيا وبرزخا وآخرة دفعة واحدة من حيث الكل في شهود الحق عينا واحدة (١) .

وقال أيضا حاكيا عن المتصوفة مثله :

(قالوا واذا شهد العارفون الحق على ما هو عليه بعدم ذواتهم من غير حجاب تجلت لهم جميع الصور الموجودات ما رأيت شيئا الا رأيت الله فيه) (٢)

فاذا نظرنا في النصين السابقين نجد قول لسان الدين الخطيب بوحدة الوجود ظاهراً. ويظهر لنا هذا في السطرين الأولين من النص الأول وبالذات في قوله (والكل مظاهره) أى أن جميع ما في هذا الكون مظاهر ومجالى لله سبحانه وتعالى وفي النص الثاني يظهر لنا قول لسان الدين بوحدة الوجود في قوله (تجلت لهم جميع الصور الموجودات ما رأيت شيئا الا رأيت الله فيه) أى أن الله سبحانه وتعالى يتجلى و يظهر في جميع الصور الموجودة في هذا الكون وهذه هي عقيدة وحدة الوجود بعينها .

ومن أئمة التصوف الذين قالوا بوحدة الوجود علي وفا (٣) ويظهر ذلك من خلال

---

(١) - روضة التعريف بالحب الشريف للسان الدين الخطيب ص ٥٨١

(٢) - روضة التعريف بالحب الشريف للسان الدين الخطيب ص ٤٦٤

(٣) - قال عنه الشعراني في ترجمته وهو يعدد أقطاب التصوف :

ومنهم العارف بالله سيدى محمد وفا رضي الله عنه كان من أكابر العارفين وأخبر ولده سيدى علي أنه هو خاتم الأولياء صاحب الرتبه العلية وكان أميا وله لسان غريب في علوم القوم ومؤلفاته كثيرة . . . ولما دنت وفاته خلع منطقته على الابرازى صاحب الموشحات وكان حي وديعة عنده حتى خلعها على ولده علي . أنظر الطبقات الكبرى للشعراني ٢ / ٢

تفسيره للآية الآتيه حيث فسر قوله تعالى ((ألا انه بكل شئ محيط)) فقال أى كاحاطة ماء البحر بأمواجه معنى وصورة فهو حقيقة كل شئ وهو ذات كل شئ وكل شئ عينه وصفته فافهم (١)

اذا نظرنا في النص السابق نجد أن قول علي وفا واضح فيها وبالأخص في آخر النص ألا وهو قوله (فهو حقيقة كل شئ وهو ذات كل شئ وكل شئ عينه وصفته فافهم) والشاهد من النص أن علي وفا صرح بأن الله حقيقة وذات وعين وصفة كل شئ موجود في هذا الكون وعلى هذا فلا موجود في هذا الكون الا الله وهذه هي عقيدة وحدة الوجود

ومن أئمة التصوف الذين قالوا بوحدة الوجود أحمد الفاروقي ويتضح لنا هذا في كلامه الآتي حيث قال معبرا عن عقيدته الوجودية وموضحا لها :

وجدت الله عين الأشياء كما قاله أرباب التوحيد الوجودى من متأخرى الصوفية ثم وجدت الله في الأشياء من غير حلول ولا سريان ثم ترقيت في البقاء وهو ثاني قدم في الولاية فوجدت الأشياء ثانيا فوجدت الله عينها بل عين نفسي ثم وجدت الله تعالى في الأشياء بل في نفسي ثم مع الأشياء بل مع نفسي (٢)

اذا نظرنا في النص السابق نجد أن أحمد الفاروقي قال بوحدة الوجود صراحة ويتضح لنا هذا في السطر الأول من النص وهو قوله (وجدت الله عين الأشياء كما قاله أرباب التوحيد الوجودى من متأخرى الصوفية) وأرباب التوحيد الوجودى يعني بهم أهل وحدة الوجود وبما أنه يؤكد هذه العقيدة ويشهد على أنه بالفعل وجد الله عين الأشياء فهو من أهل وحدة الوجود ،

ومن أئمة التصوف الذين قالوا بوحدة الوجود عبيد الله أحرار فقد قال مبينا عقيدة

---

(١) — الطبقات الكبرى للشعراني ٢/٢٣

(٢) — المواهب السرمدية ص ١٨٢

وحدة الوجود : (كمال الحمد أن يحمده العبد ويعرف أنه لا حامد الا هو تعالى وأنه العبد عدم محض لا رسم له ولا اسم ولا فعل وانما يبتهج سرورا بكونه تعالى جعله مظهرا لصفاته (١) .

ومن أئمة التصوف الذين قالوا بوحدة الوجود عبد الرزاق القاشاني ويتضح لنا ذلك من خلال كلامه الآتي حيث قال موضحا عقيدته : (فان للحق في كل خلق ظهور بحسب استعداد ذلك الخلق فهو الظاهر في مفهوم بقدر استعداد الفاهم . . . . فان الحقيقة الالهية المطلقة لم تكن هوية الا باعتبار تقييدها ولو تقيد الاطلاق كقوله (هو الله أحد) وأما من حيث هي هي فهي مطلقة مع تقيدها بجميع القيود الاسمائية فالعالم هويته أى حقيقته بقيد الظهور) (٢)

اذا نظرنا في النص السابق نجد أن القاشاني قال بوحدة الوجود صراحة ويظهر هذا في قوله (فالعالم هويته أى حقيقته) والمعنى أن كل ما في هذا العالم حقيقة الله سبحانه وتعالى وهذه هي عقيدة وحدة الوجود .

وقال القاشاني أيضا في شرح بيت ابن عربي الآتي

وما حكمه في موطن دون موطن ولكنه بالحق للخلق سافر (٣)

قال القاشاني : أى ليس حكمه في موطن أولى به من موطن أخر فان المواطن كلها بالنسبة الى الحق سواء ففي أى موطن تجلى كان حكم تجليه في سائر المواطن كذلك ولكنه تعالى بحقيقته يسفر عن وجه الحق للخلق قال وفيه ايماء الى الله أنه يظهر بحقيقته للخلق في صورة الخلق فلم يظهر لأنه انما يبرز في صورة العين الثانية لكل واحد من

---

(١) — الأنوار القدسية للشعراني ١٦١

(٢) — شرح القاشاني على الفصوص ٥٧

(٣) — الفصوص مع شرح القاشاني ١٠٧

الخلائق فيعرفونه ويشهدونه بقدر ما تجلى لهم فيهم) (١)

وقال أيضا في شرح بيت ابن عربي الآتي :

ونزهه و شبهه و قم في مقعد الصدق (٢)

قال القاشاني : (ونزهه عن أن يكون متعينا بتعين فيشبه متعينا آخر فيلزم الشرك وشبهه بالخلق من حيث الحقيقة فيكون عين كل متعين اذ لا موجود سواه فهو هو أى فاجمع بين التنزيه و التشبيه بنفي ما سواه مطلقا فتقوم في مقعد الصدق في مقام التوحيد الذاتي والجمع بين المطلق والمقيد) (٣)

وقال القاشاني في شرح قول ابن عربي (أنت لا أنت) ينطق عن نفسه بأن الله لا يعرف الا بجمعه بين الأضداد في الحكم عليه بها فهو الأول و الآخر والباطن فهو عين ما ظهر وهو عين ما بطن في حال ظهوره وما ثم من يراه غيره وما ثم من يبطن عنه فهو ظاهر لنفسه باطن عنه و هو المسمى أبا سعيد الخراز وغير ذلك من أسماء المحدثات (٤)

اذا نظرنا في النصوص السابقة نجد أن القول بوحدة الوجود ظاهر و واضح فيها ولا أظنها تحتاج الى شرح .

ومن أئمة التصوف الذين قالوا بوحدة الوجود بالي أفندى (٥)

---

(١) — شرح القاشاني على الفصوص ١٠٧

(٢) — فصوص الحكم مع شرح القاشاني ١٢٠

(٣) — شرح القاشاني على الفصوص ١٢٠

(٤) — شرح القاشاني على الفصوص ٧٨

(٥) — هو بالي أفندى صوفي زمانه و شيخ عصره وهو المكنى بخليفة الصوفية ت ٩٦٠هـ انظر الصفحة الأولى من شرح الفصوص

و مما يدل على أنه قال بوحدة الوجود كلامه الآتي الذى قاله معبرا به عن عقيدته حيث قال مفسرا قول ابن عربي الآتي : (أنت لا أنت) :

(أى الموجودات عين الحق من حيث الأحدية (لا أنت) أى الموجودات ليست عين الحق من حيث التعينات الخليقية)(١)

اذا نظرنا في النص السابق نجد أن بالي أفندى صرح بعقيدة وحدة الوجود و يظهر لنا هذا جليا في قوله :

(أى الموجودات عين الحقيقة من حيث الأحدية)

و من أئمة الصوفية الذين قالوا بوحدة الوجود أحمد الرفاعي و مما يدل على أنه كان يعتقد عقيدة وحدة الوجود قوله الآتي :

(و راقبه في الخلوات و الجلوات و أحمده و أشكره على الفقر و الغنى و اترك الأغيار فما في الذر غيره ديار و كن صوفيا صافيا)(٢)

و يقول أيضا :

(الذكر حفظ القلب من الوسواس و ترك الميل الى الناس و التخلي عن كل قياس و ادراك الوحدة بالكثرة و حسن ملاحظة المعنى)(٣)

ففي النصين السابقين قول أحمد الرفاعي بوحدة الوجود واضح فيهما أما النص

---

(١) — هامش شرح الفصوص للقاشاني ٧٨

(٢) — قلادة الجواهر للصيادى ١٥١

(٣) — قلادة الجواهر للصيادى ١٤٨

الأول فالشاهد فيه هو قول الرفاعي : (واترك الأغيار فما في الذر غيره ديار) أى لا يوجد شيء في هذه الحياة و كلمة الأغيار يعني بها الصوفية الغير أى اترك وجود اعتقاد شيء في هذا الكون غير الله و اذا كان كذلك فكل ما يوجد في هذا الكون لا حقيقة لوجوده و انما هو مظاهر و مجال لله سبحانه و تعالى

أما في النص الثاني فقد صرح فيه الرفاعي بعقيدة وحدة الوجود و يتضح لنا هذا في قوله : (وادراك الوحدة بالكثرة)

و يعني بهذا أن ما في هذا الكون مع كثرته في الظاهر ينبغي أن يعتقد الانسان الصوفي الواصل أو العارف أنه مظاهر و مجال لله سبحانه و تعالى و بالتالي فلا موجود الا الله

و من أوراد الطريقة الشاذلية الدالة على أنهم يقولون بوحدة الوجود الورد الآتي : (وزج بي في بحار الأحدية وانشلني من أوحال التوحيد وأغرقني في عين بحر الوحدة حتى لا أرى ولا أسمع ولا أحس الا بها) (١)

و يقول أبو الحسن الشاذلي (٢) معبرا عن عقيدة وحدة الوجود :

(الهي لطفك الخفي ألطف من أن يرى وأنت اللطيف الذى لطفت بجميع الورى حجبت من سريان سرك في الأكوان فلا يشهده الا أهل المعرفة و العيان) (٣)

---

(١) — النفحة العلية في الأوراد الشاذلية ١٦

(٢) — أبو الحسن الشاذلي هو عبد الله بن عبد الجبار الشاذلي مؤسس الطريقة الشاذلية احدى الطرق الصوفية الواسعة الانتشار في العالم نسبة الى قرية اسمها شاذلة قرية من قرى أفريقيا و قد وصفه كثير من الصوفية بأنه قطب الزمان حجة الصوفية القطب الغوث الجامع حسب زعمهم ت ٦٥٦هـ . انظر ترجمته في طبقات الشعراني ٢ / ٤

(٣) —

و من أئمة التصوف الذين قالوا بوحدة الوجود الششترى(١) و قد ادعى هـــذا الصوفي بأن ربه قد ظهر في كل ما في هذا الكون من المخلوقات سواء كانت عاقلة أو غير عاقلة أو جمادات و اليك نص كلامه :

محبوبي قد عم كل الوجود و قد ظهر في بيض و سود و في النصارى مع اليهود
و في الخنازير مع القرود و في الحروف مع النقط أفهمني قط أفهمني قط
عرفته طول الزمان ظهر لي في كل أوان وفي المياه وفي الدلوان و في الطلوع و في الهبوط
أفهمني قط أفهمني قط (٢)

فقول هذا الرجل بوحدة الوجود ظاهر وواضح و جلي و ما أظنه يحتاج الى الشرح لأنه قد صرح بأن محبوبه و يقصد به الله سبحانه و تعالى قد ظهر في كل الموجودات ،

و من أوراد الطريقة القادرية التي تدل على أنهم يقولون بوحدة الوجود (٣)الورد الآتي : (الحمد لله الذى كيف الكيف و تنزه عن الكيفية و أين الأين و تعزز عن الأينية ووجد في كل شيء و تقدس عن الظرفية و حضر عند كل شيء و تعالى عن العندية)(٤)

و منها : (يا أول كل شيء و يا آخر كل شيء و يا ظاهر كل شيء و يا باطن كل شيء) (٥)

---

(١)ـ الششترى هو علي بن عبد الله المتوفي ٦٦٨ انظر ترجمته في الأعلام للزركلي ٢٣٦/٣

(٢)ـ ايقاظ الهمم في شرح الحكم لابن عجيبه ٤٣

(٣)ـ الطريقه القادريه نسبه الى عبد القادر الجيلاني و هي طريقه واسعه الانتشار على امتداد العالم الاسلامي

(٤)ـ الفيوضات الربانيه في المآثر و الأوراد القادريه ٤١ عقيده الغوث

(٥)ـ نفس المرجع ورد الصبح ٥١

اذا نظرنا في هذين النصين نجد أن دندنة القادريين بوحدة الوجود واضحة فمثلا في النص الأول يظهر لنا قولهم بوحدة الوجود في قولهم (ووجد في كل شيء) والمعنى أن الله حال في كل ما في هذا الكون وأن الجميع مظاهره

وفي النص الثاني عقيدة وحدة الوجود ظاهرة فيه

ونكتفي بهذا في ايراد النصوص عن مجموعة من أئمة التصوف لاثبات بأن المتصوفة بالفعل يعتقدون هذه العقيدة الالحادية وننتقل الى المطلب الثاني والذى سأذكر فيه بعض المفاسد التي ترتبت على القول بوحدة الوجود(١)

---

(١)ـ انظر ص ٢٦٥ـ٢٧١

المطلب الثاني : المضاعفات التي ترتبت على القول بوحدة الوجود :

بعد أن بينت في المطلب السابق اعتناق المتصوفة لعقيدة وحدة الوجود وأثبت ذلك بإيراد مجموعة من النصوص عن أئمتهم العظام عندهم والذين يفتخرون بهم (١) أحب أن أذكر بعض العقائد الباطلة الخطيرة التي وقع فيها المتصوفة نتيجة اعتقادهم بوحدة الوجود رغم أن الاعتقاد بوحدة الوجود كاف جدا لوحده لتحويل من يعتقد هذه العقيدة الى ملحد كافر برب العالمين أريد أن أذكر نماذج من المضاعفات العظيمة التي وقعوا فيها زيادة في الايضاح لبيان خطورة اعتناق هذه العقيدة الكفرية

أولا : من العقائد الفاسدة التي وقع فيها المتصوفة القائلون بوحدة الوجود : تجويز عبادة كل شيء موجود في هذا الكون :

لقد جوز المتصوفة القائلون بوحدة الوجود عبادة كل شيء موجود في هذا الكون وذلك انطلاقا من عقيدتهم الباطلة التي تقول بأن كل ما في هذا الكون يعتبر مجالى ومظاهر لله سبحانه وتعالى ولذا يجب على الانسان أن يعبد كل شيء في هذا الوجود ويحب كل شيء لأن عبادته لأى شيء من الأشياء من هذا الكون يعتبر عبادة لله سبحانه وتعالى لأن الكل يطلق عليه عند القائلين بوحدة الوجود (الله) بل يعتقد المتصوفة بأن حصر العبادة على الله سبحانه وتعالى يعتبر نقصا في التوحيد وحصرها في بعض أجزاء الاله لأن الكل في هذا الوجود يعتبر جزء من الله تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا ولذا يجب عبادة كل شيء

---

(١) — انظر ص ٢٢٨ — ٢٥٥

فمن الأمور الدالة على أنهم يجوزون عبادة كل شيء هو تصريحهم بأن عبدة الأوثان والأصنام تعتبر عباداتهم صحيحة وأنهم يعتبرون بعبادتهم للأوثان والأصنام من دون الله عبدوا الله سبحانه وتعالى وذلك انطلاقا من معتقدهم الفاسد بأن الكل في هذا الكون يطلق عليه (الله) لأنه مظهر من مظاهر الله سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا

فابن عربي يعتبر موقف السامري وصناعته للعجل من أجل أن يعبده بنو اسرائيل من دون الله صحيحا وأن موقف هارون عليه السلام النبي المرسل من عند الله تعالى خطأ لأن السامري عرف الحق في نظر ابن عربي وهارون لم يعرف الحق ولذا أنكر على بني اسرائيل عبادة العجل لأن هارون حسب زعم ابن عربي المفترى لم يعرف هذه العقيدة الالحادية التي يقول بها ابن عربي والتي تعتبر كل ما في هذا الكون آلهة ولم يكف بهذا بل زعم أن موسى عرف الحق وأنكر على السامري حصر الاله في شيء واحد فقط لأن كل شيء في هذا الكون يعتبر مجالي ومظاهر لله سبحانه

واليك كلام ابن عربي نصا حتى يتضح الأمر جيدا فقد قال ابن عربي مصححا موقف السامري ومنكرا موقف هارون وزاعما أن موسى وقف مع السامري في دعوته الى عبادة غير الله قال:

(ثم قال هارون لموسى عليه السلام: اني خشيت أن تقول فرقت بين بني اسرائيل. فتجعلني سببا في تفريقهم فان عبادة العجل فرقت بينهم فكان منهم من عبده اتباعا للسامري وتقليدا له ومنهم من توقف عن عبادته حتى يرجع اليهم موسى فيسألونه عن ذلك فخشي هارون أن ينسب ذلك الفرقان بينهم اليه فكان موسى أعلم بالأمر من هارون لأنه علم ما عبده أصحاب العجل لعلمه أن الله قضى أن لا يعبد الا اياه .... وما

حكم الله بشيء الا وقع فكان عتب موسى أخاه هارون لما وقع الأمر في انكاره وعدم اتساعه فان العارف من يرى الحق في كل شيء بل يراه عين كل شيء)(١)

ثم يواصل ابن عربي توضيح عقيدته الباطلة فيحرف معنى قوله تعالى (قال فما خطبك يا سامري) قائلا : (يعني فيما صنعت من عدولك الى صورة العجل على الاختصاص) أي لماذا خصصت العجل فقط بكونه الها والحال في هذه العقيدة أن كل شيء هو الله ولذلك حرق موسى العجل حتى لا يحصر الاله في شيء واحد تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا ثم يستطرد ابن عربي قائلا : (وقال له : (انظر الى الهك) فسماه الها بطريق التنبيه للتعليم أنه بعض لمجال الالهية)(٢)

فانظر كيف زعم أن قول موسى للسامري : ((وانظر الى الهك)) أن هذا اعتراف من موسى بألوهية العجل لأنه بعض الأشياء التي يتجلى فيها الرب حسب زعم ابن عربي سبحانك هذا بهتان عظيم ، كبرت كلمة تخرج من أفواههم ان يقولون الا كذبا

ثم يعلل ابن عربي عدم تسلط هارون على نسف العجل واحراقه وكون موسى هو الذي سلط على ذلك زاعما أن هذا كان ليعبد الله في كل صورة والعجل هو احدى هذه الصور التي يجب عنده أن يعبد الله فيها ويتضح لنا هذا من خلال تحريفه لمعنى الآية الآتية وهي قوله تعالى : ((رفيع الدرجات)) حيث قال :

(فلله درجات يعبد فيها وكل صنم والله عبد في الأرض فهو احدى الدرجات وأسماها) ثم قال : (فكان عدم قوة ارداع هارون بالفعل أن ينفذ في أصحاب العجل بالتسليط على العجل كما سلط موسى عليه حكمة من الله تعالى ظاهره في الوجود ليعبد في كل صوره وان ذهبت تلك الصوره بعد ذلك فما ذهبت الا بعدما تلبست عند

---

(١) — فصوص الحكم لابن عربي ١٩٢ (٢) سورة طه ٩٥

(٣) — فصوص الحكم لابن عربي ١٩٢

عابدها بالألوهية ثم قال (وما عبد شيء من العالم الا بعد التلبيس بالرفعة عند العابد والظهور بالدرجة في قلبه وكذلك تسمى الحق لنا برفيع الدرجات ولم يقل رفيع الدرجة فكثر الدرجات في عين واحدة فانه قضى أن لا يعبد الا اياه في درجات مختلفة أعطت كل درجة مجلى الهيا عبد فيها وأعظم مجلى عبد فيه وأعلاه الهوى كما قال : (أفرأيت من اتخذ الهه هواه) وهو أعظم معبود فانه لا يعبد شيء الا به ولا يعبد هو الا بذاته وفيه أقول

وحق الهوى أن الهوى سبب الهوى ولولا الهوى في القلب ما عبد الهوى (١)

ثم قال ابن عربي :

(والعارف المكمل من رأى كل معبود مجلى للحق يعبد فيه ولذلك سموه كلهم الها مع اسمه الخاص بحجر أو شجر أو حيوان أو انسان أو كوكب أو ملك) (٢) .

ثانيا : يعتقد المتصوفة القائلون بوحدة الوجود أن كل الذين يعبدون غير الله مؤمنون حقا :

لقد ذهب المتصوفة الى القول بأن كل العباد في هذا الكون سواء كانوا عابدين لله وحده أو عابدين لغيره من الأثان والأصنام والأحجار والأشجار والحيوان وغيرها مما يوجد في هذا الكون مؤمنين حقا لأن الكل يعتبر عابدا لله في نظر المتصوفة وذلك بناء على معتقدهم الباطل والقائل بأن كل ما في هذا الكون مجالى ومظاهر لله فقط وكل فيه جزء من الألوهية فاذا عبدت أى شيء مما يوجد في هذا الكون فكأنما عبدالله

---

(١) — الفصوص ١٩٤

(٢) — الفصوص ١٩٥

ويتضح لنا هذا من خلال زعم ابن عربي بأن قوم نوح أجابوا نوحا حقا في دعوته و بما أن نوحا مكر بهم فلذا هم أيضا بالمقابل مكروا به و ان تمسك قوم نوح بمعبوداتهم الباطلة و هي الأصنام و الأوثان التي كانوا يعكفون حولها و يعبدونها من دون الله يعتبر حقا أراد نوح عليه السلام أن يزيحهم عنه و لكنهم صمدوا على معبوداتهم

و اليك عبارته نصا في هذا المجال حتى يتضح الأمر جليا :

(علم العلماء بالله ما أشار اليه نوح عليه السلام في حق قومه من الثناء عليهم بلسان الذم و علم أنهم انما لم يجيبوا دعوته لما فيها من الفرقان و الأمر قرآن لا فرقان و من أقيم في القرآن لا يصغي الى الفرقان و ان كان فيه ..... دعاهم ليغفر لهم لا ليكشف لهم و فهموا ذلك منه صلى الله عليه وسلم لذلك جعلوا أصابعهم في آذانهم و استغشوا ثيابهم و هذه كلها صورة الستر التي دعاهم اليها فأجابوا دعوته بالفعل لا بلبيك) (١)

ثم قال ابن عربي : (... ((ومكروا مكرا كبارا)) لأن الدعوة الى الله تعالى مكر بالمدعو ، ((ادعوا الى الله)) فهذا عين المكر ، فأجابوه مكرا كما دعاهم) (٢)

فانظر كيف جعل الدعوة الى الله مكرا بالمدعوين ، بل عين المكر ثم بين نوح المكر الذى قابل به قوم نوح فيقول : (فقالوا في مكرهم ((لا تذرن آلهتكم ولا تذرن ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا)) فانهم اذا تركوهم جهلوا من الحق على قدر ما تركوا من هؤلاء فان للحق في كل معبود وجها يعرفه من يعرفه و يجهله من يجهله فما عبد غير الله في كل معبود) (٣)

---

(١) — فصوص الحكم ٧١

(٢) — الفصوص ٧٢

(٣) — الفصوص ٧٢

فمن النصوص المتقدمة يتضح لنا بأن ابن عربي يعتبر الدعوة الى عبادة الله وحده مكر ومكيدة بالمدعو مع أن الله عز وجل اعتبر الدعوة الى الله من أوضح و أشرف و أنصح الوظائف حيث قال تعالى :((ومن أحسن قولا ممن دعا الى الله وعمل صالحا وقال انني من المسلمين)) (١)

وقد أمر الله رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم بالدعوة الى الله فقال تعالى : ((ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن)) (٢)

ومن هنا نقول أن الدعوة الى الله من أشرف الوظائف وهي وظيفة الأنبياء والمرسلين ومن سار على نهجهم الى يوم الدين وليست مكرا كما يزعم ابن عربي ولم يكف ابن عربي بهذا بل اعتبر تمسك قوم نوح بعبادة أصنامهم حقا و أنهم لو تركوا عبادة تلك الأوثان وعبدوا الله وحده لاعتبروا بذلك جهالا بالله تعالى لأن الكل في هذا الكون يطلق عليه (الله) حسب زعم ابن عربي ولذا يعتبر العابد الكل في نظره كل من يصرف العبادات لجميع ما في هذا الكون لا من يحصر عبادته في الله سبحانه وتعالى وهذه دعوة صريحة الى الشرك الذى أرسل الله الرسل وأنزل الكتب من أجل نهي الخليقة عنه ولا غرابة في ذلك فان من يعتقد بوحدة الوجود يعتقد بأن كل ما في هذا الكون مجالى ومظاهر لله سبحانه وتعالى .

ثم واصل ابن عربي تحريفاته لمعاني الآيات القرآنية فاعتبر قوم نوح غرق في بحار العلم بالله تعالى و أن الله كان ناصرهم وأن المقصود بالضلال بالنسبة لقوم نوح انما كان حيرة لمعرفتهم أسرار الربوبية واعتقادهم بأن كل موجود هو الله فصاروا بذلك

---

(١) — فصلت ٣٣

(٢) — النحل آية ١٢٥

أربابا عند أنفسهم حسب زعمه واليك نص كلامه في هذا المجال حيث قال في تفسير قوله تعالى ((مما خطيئاتهم)) (١) فهي التي خطت بهم ففرقوا في بحار العلم بالله تعالى .... ((فلم يجدوا من دون الله أنصارا)) فكان الله عين أنصارهم فهلكوا فيه الى الأبد (٢)

ثم واصل تحريفاته لمعاني الآيات فقال في تفسير قوله تعالى ((انك ان تذرهم يضلوا عبادك)) قائلا أى يحرروهم فيخرجوهم من العبودية الى ما هم فيه من أسرار الربوبية فينظرون أنفسهم أربابا بعد ما كانوا عند أنفسهم عبيدا فهم العبيد الأرباب (٣)

واعتبر ابن عربي أيضا كفار قريش الذين تمسكوا بآلهتهم الباطلة قائلين ((ما نعبدهم الا ليقربونا الي الله زلفى غير منكرين لله بل متعجبين لأنهم وقفوا مع كثرة الصور ونسبوا الألوهية لها ثم يزعم أن الرسول محمد صلى الله عليه وسلم قد جاء داعيا لهم الى اله يعرف ولا يشهد ثم يصف ابن عربي هذا الاله قائلا : (فدعا أى الرسول محمد صلى الله عليه وسلم الى اله يصمد اليه ويعلم من حيث الجملة ..... ولا يشهد ولا تدركه الأبصار اللطيفة و سريانه في أعيان الأشياء فلا تدركه الأبصار كما أنها لا تدرك أرواحها المدبرة أشباحها وصورها الظاهرة وهو اللطيف الخبير : و الخبرة ذوق ،والذوق تجلي والتجلي في صور فلا بد منها ولا بد منه فلا بد أن يعبده من رآه بهواه ان فهمت

---

(١)— نوح ٢٥

(٢) — الفصوص ٧٣

(٣) — الفصوص ٧٤

ولم يكتف ابن عربي بتصحيح موقف قوم نوح و كفار قريش بل صرح بأن فرعون اللعين الذى لم تعرف الأرض أكفر منه ولا أظلم من المؤمنين الموحدين الفائزين بالجنة واليك نص كلامه في هذا المجال فقد قال :

(ولما كان فرعون في منصب التحكم صاحب الوقت وأنه الخليفة بالسيف وان جار بالعرف الناموسي لذلك قال : ((أنا ربكم الأعلى)) أى وان كان الكل أرباب بنسبة ما فأنا ربكم الأعلى بما أعطيته في الظاهر من التحكم فيكم ولما علمت السحرة صدقه في مقاله لم ينكروه بل أقروا له بذلك فقالوا ((فاقض ما أنت قاض انما تقض هذه الحياة الدنيا)) (١) ((فاقض ما أنت قاض)) فالدولة لك فصح قوله أنا ربكم الأعلى) (٢)

ويقول ابن عربي متحدثا عن فرعون أيضا معقبا على قوله تعالى ((قرة عين لي ولك)) (٣) وجاءنا بنجاة فرعون من عذاب الآخرة

(فيه قرت عينها بالكمال الذى حصل لها وكان قرة عين لفرعون بالايمان الذى أعطاه الله عند الغرق فقبضه الله طاهرا مطهرا ليس فيه شئ من الخبث

وقال عنه أيضا : (فنجاه الله من عذاب الآخرة في نفسه ونجى بدنه فقد عمته النجاة حسا ومعنى) (٤)

ففي هذا النص حكم ابن عربي بنجاة فرعون من النار وأنه قبضه الله مؤمنا فمات طاهرا مطهرا وأن النجاة عمت بدنه حسا ومعنى وهذا يعتبر تكذيبا لله سبحانه

---

(١) — طه آية ٧٢

(٢) — الفصوص ٢١٠ — ٢١١

(٣) — القصص آية ٩

(٤) — الفصوص ٢٠١ — ٢١٢

سبحانه وتعالى وكفرا بكتابه وذلك لأن الله عز وجل أخبرنا بأن فرعون مات كافرا فمن نصدق أنصدق الله أم نصدق ابن عربي الدجال ؟ . . المفترى ولا شك أننا نؤمن بكلام ربنا ونعتقد بأن فرعون مات كافرا ونكفر بكلام هذا الصوفي الذى يعتقد بأن كل الناس الموجودين في هذا الكون مؤمنون حقا وأنه ليس هناك تقسيم الناس الى مؤمنين وكافرين في نظره وهذا معتقد مخالف تمام المخالفة لما جاء في الكتاب والسنة المطهرة حيث قال الله سبحانه وتعالى عن فرعون :

((النار يعرضون عليها غدوا وعشيا ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب)) (١)

---

(١) ــ غافر آية ٤٦

ثالثا من المضاعفات التي ترتبت على القول بوحدة الوجود القول بوحدة الأديان

ان من أهم المفاسد الخطيرة التي ترتبت على القول بوحدة الوجود والتي يعنى بها المتصوفة بأن الله عين خلقه وما الأشياء الموجودة في هذا الكون الامظهر من مظاهر الله عز وجل ترتبت على هذه العقيدة الالحادية قول الصوفية بوحدة الأديان سواء كانت هذه الأديان الأديان الوثنية الباطلة من مجوسية وبوذية وغيرها من الأديان التي ليس لها صلة بالوحي السماوى لا من قريب ولا من بعيد أو الأديان التي لها أساس من الوحي السماوى الا أنها حرفت وبدلت حتى انقلبت الى أديان وثنية سوى المتصوفة بين هذه الأديان حتى وصل بهم الأمر الى أن يساووا بين الايمان والتوحيد والكفر والشرك وان الاسلام دين الهدى والقدسية والطهر هو عين الأديان الباطلة التي تدعو الى الضلال والباطل

يقول ابن عربي في تقرير هذه العقيدة وتوضيحها :

عقد الخلائق في الاله عقائد وأنا اعتقدت جميع ما اعتقدوه (١)

وقال أيضا :

لقد كنت قبل اليوم أنكر صاحبي اذا لم يكن ديني الى دينه واني

لقد صار قلبي قابلا كل صورة فمرعى لغزلان و دير لرهبان

وبيت لأوثان وكعبة طائف و ألواح توراة ومصحف قرآن

ادين بدين الحب أنى توجهت ركائبه فالدين ديني وايماني (٢)

اذا نظرنا في الأبيات السابقة نجد أن ابن عربي قد صرح بأنه يعتقد جميع العقائد

---

(١) — فصوص الحكم لابن عربي ٢٤٥

(٢) — ذخائر الأعلاق شرح ترجمان الأشواق لابن عربي ٣٩

الموجودة في هذا الكون وكامة جميع تعني أنه يعتقد كل العقائد التي يعتقدها البشر على اختلاف عقائدهم تجاه الله سبحانه وتعالى وهذا طبعا بناء على عقيدته الالحادية الفاسدة وهي عقيدة وحدة الوجود التي تعتبر أن الكل في هذا الكون ما هو الا مظاهر ومجالى لله سبحانه فاذا عبد الانسان أى نوع من هذه الأنواع الموجودة في هذا الكون فعبادته صحيحة لأنه عبد الله في احدى صوره وعلى هذا فليس عند ابن عربي ومن يقول من المتصوفة بوحدة الوجود مؤمن ولا كافر بل الجميع مؤمنون حقا

ثم في الأبيات الثانية صرح ابن عربي بأنه كان ينكر صاحبه قبل أن يصل الى هذا المعتقد الالحادى صاحبه اذا اختلف معه في الدين ولكن بعد أن وصل الى قمة الالحاد والاعتقاد بأن كل ما يمشي على وجه الأرض آلهة أصبح يحب أى مخلوق بقطع النظر عما يحمله من معتقد وذلك لأن قلبه أصبح متهيئا لقبول أى صورة معبودة في هذا الكون وأن قلبه أصبح كالعبادة الرهبان النصارى وعبادة الأوثان وعبادة المسلمين وعبادة اليهود وأكد أنه يدين بدين الحب فقط وأنه يحب الكل وأن كل الديانات الموجودة في هذا الكون دينه وايمانه بقطع النظر عن مصدر هذه الديانات أهي ديانة الهية أم ديانة وثنية لأن كل الأديان في نظر أهل وحدة الوجود واحدة وليس هناك دين صحيح ودين باطل بل الجميع صحيح

وحذر ابن عربي من الايمان بدين خاص والكفر بما سواه فقال :

فاياك أن تتقيد بعقد مخصوص وتكفر بما سواه فيفوتك خير كثير بل يفوتك

العلم بالأمر على ما هو عليه فكن في نفسك هيولي (١) لصور المعتقدات كلها فان الله تعالى أوسع وأعظم من أن يحصره عقد ون عقد فالكل مصيب و كل مصيب مأجور سعيد وكل سعيد مرضي عنه (٢)

اذا نظرنا في الفص السابق نجد أن ابن عربي حذر من أن يعتقد احد بدين واحد فقط ويكفر بما سواه وذلك حتى لا يفوته الخير الكثير ودعا الى أن يكون أى أحد قابلا لكل المتقدات على اختلافها لأن الله سبحانه وتعالى أوسع من أن يكون محصور في معتقد واحد فقط وصرح بأن كل عابد في هذه الدنيا مصيب أيا كان معبوده وأن الكل سعداء مرضي عنهم وعلى هذا ففي معتقد أهل وحدة الوجود ليس هناك كافر قط بل الكل مؤمنون حقا

وهذا المعتقد الخبيث وصل بالصوفية الى نفي عذاب الآخرة وصرحوا بأنه سمي عذاب الآخرة عذابا لعذوبة طعمه وليس هذا القول بغريب فيمن يعتقد بأن كل ما في هذا الكون يطلق عليه (الله) وما دام كل ما في هذا الكون يطلق عليه الرب اذا فالمشرك والموحد أيضا من جملة مافي هذا الكون يطلق عليهما الرب ولذا يستحيل أن يعذب الرب نفسه ولهذا يقول ابن عربي مقررا بأن الجنة

---

(١) — الهيولي لفظ يوناني بمعنى الأصل والمادة وفي الاصطلاح هي جوهر في الجسم قابل لما يعرض لذلك الجسم من الاتصال والانفصال محل للصورتين الجسمية والنوعية . انظر المعجم الفلسفي ٥٣٦

(٢) — فصوص الحكم لابن عربي

والنار متساوية وأن كلا منهما فيه نعيم وراحة :

فلم يبق الا صادق الوعد وحده وما لوعيد الحق عين تعاين

وان دخلوا دار الشقاء فانهم على لذة فيها نعيم مباين

نعيم جنان الخلد فالأمر واحد وبينهما عند التجلي تباين

يسمى عذابا من عذوبة طعمه وذاك كالقشر والقشر صائن (١)

ولا غرابة في قول ابن عربي هذا ما دام يعتقد بأن الرب عين العبد وأن الايمان صنو الكفر حقيقة وغاية فما الذى يمنعه من الايمان بأن الوعد عين الوعيد وأن نعيم الجنة وكوثرها عين عذاب السعير وغسلينها فأى قضاء على الدين والأخلاق أشد طغيانا من ذلك اذا كان العمل الصالح والعمل الخبيث يستويان واذا كانت الفضيلة عين الرذيلة واذا كان الخير قرين الشر وما مصير الانسانية لو آمنت بهذه الصوفية الا الهلاك والدمار

وبناء على هذا المعتقد الباطل حكم ابن عربي بنجاة فرعون موسى حيث قال معقبا على قوله تعالى ((قرة عين لي ولك)) فهو قرت عينها بالكمال الذى حصل لها وكان قرة عين لفرعون بالايمان الذى أعطاه الله عند الغرق فقبضه طاهرا مطهرا ليس فيه شئ من الخبث (٢)

ويقول عن فرعون أيضا : فنجاه الله من عذاب الآخرة في نفسه ونجى بدنه فقد عمته النجاة حسا ومعنى (٣)

---

(١) — فصوص الحكم لابن عربي ١/ ٩٤ بتحقيق الدكتور عفيفي

(٢) — فصوص الحكم ٢٠١

(٣) — فصوص الحكم ٢١٢

و من المتصوفة الذين قالوا بوحدة الأديان عبد الكريم الجيلي و اليك نص كلامه فقد قال معبرا عن عقيدة وحدة الأديان :

و أسلمت نفسي حيث أسلمني الهوى و مالي عن حكم الحبيب تنازع
فطورا تراني في المساجد راكعا و اني طورا في الكنائس راتع
اذا كنت في حكم الشريعة عاصيا فاني في علم الحقيقة طائع (١)

ففي النص السابق صرح عبد الكريم الجيلي بالقول بوحدة الأديان و أنه هو بنفسه مرة يركع في المساجد و مرة في الكنائس و ذلك لأنه يعتقد أن الأديان كلها واحدة و ان اختلفت العقائد التي تقوم عليها هذه الأديان و سواء كانت هذه الأديان وثنية أو صليبية أو يهودية أو اسلامية قائمة على توحيد الله عزوجل و عبادته وحده لا شريك فالكل عنده سواسية و لذلك لا غرابة عنده في الجمع بين هذه الديانات

و يقول عبد الكريم الجيلي مفسرا "لا اله الا الله" (يعني الالهية المعبودة ليست الا أنا فأنا الظاهر في تلك الأوثان و الأفلاك و الطبائع و في كل ما يعبده أهل كل ملة و نحلة فمن تلك الآلهة كلها الا أنا و لهذا أثبت لهم لفظ الآلهة و تسميته لهم بهذا اللفظ من جهة ما هم عليه في الحقيقة ، تسمية حقيقية لا مجازية أنه أراد أن يبين لهم أن تلك الآلهة مظاهر و أن حكم الألوهية فيهم حقيقة و أنهم ما عبدوا في جميع ذلك الا هو فقال لا اله الا أنا أى ما ثم من يطلق عليه اسم الاله الا هو أنا . . . لا اله الا أنا أى ما ثم الا أنا ، و كل ما أطلق عليه اسم الاله فهو أنا) (٢)

---

(١) — الانسان الكامل لعبد الكريم الجيلي ١ / ٢٣

(٢) — الانسان الكامل لعبد الكريم الجيلي ١ / ٢٣

و من المتصوفة الذين قالوا بوحدة الأديان ابن الفارض فقد قال معبرا عن معتقده بأن الأديان واحدة و أن بامكان الانسان أن يجمع بين هذه المعتقدات المتناقضة فيصلي في المساجد و مرة يذهب الى بيع اليهود و مرة الى كنائس النصارى و ذلك من أجل أن يجمع بين هذه الأديان لأنه يعتقد أن كلها واحدة و كذلك يسجد للأشجار و الأحجار و الأصنام و الأوثان و يسجد لله أيضا و أن الكل في نظره عبادة لله سبحانه و تعالى لأن كل موجود في هذا الكون عند الصوفية الوجودية يطلق عليه الرب

و اليك كلام ابن الفارض نصا فقد قال في تائيته الكبرى :

مجلس الأذكار سمع مطالع ... ولي حانة الخمار عين طليعة

و ما عقد الزنار حكما سوى يدى ... و ان حل بالاقرار بي فهي حلت

و ان نار بالتنزيل محراب مسجد ... فمايار بالانجيل هيكل تبيعة

و أسفار توراة الكليم لقومه ... يناجي بها الأحبار في كل ليلة

و ان خر للأحجار في البدعا كمى ... فلا وجه للانكار بالعصبية

و زاعت الأبصار من كل ملة ... و ما زاغت الأفكار من كل نحلة

وما احتار من للشمس عن غرة صبا ... و اشراقها من نور أسفار غرتي

وان عبد النار المجوس و ما انطفت ... كما جاء في الأخبار في ألف حجة

فما قصد واغيرى وان كان قصدهم ... سوايا وان لم يظهروا عقد نية(١)

فمن خلال هذه الأبيات الشعرية يتضح لنا معتقد ابن الفرض الفاسد الباطل حيث صرح في هذه الأبيات بأن الحانات التي تشرب فيها الخمور و الأماكن التي يتعبد فيها اليهود و الكنائس التي يتعبد فيها النصارى و هياكل المجوس و الصابئة و بيوت

---

(١) — التائية الكبرى لابن الفارض ضمن ديوانه المسمى بديوان ابن الفارض ١١٤

الأصنام و مجالس ذكر الله و مساجد الله التي يعبد فيها الله سبحانه و تعالى كل هذه الأماكن عند ابن الفارض سواسية لا فرق بينها فهي أماكن يعبد فيها الله عبادة يحبها و يرضاها ولا غرابة في هذا فكل من يعتقد بوحدة الوجود يرى أن العابد و المعبود شيء واحد و لذا يرى ابن الفارض أن البشرية على اختلاف دياناتها و عقائدها كلها على بينة من الهدى و الفرقان ذلك لأن القائل بوحدة الوجود يرى أن كل ما في هذا الكون ما هو الا الذات الالهية متعينة في صور بشرية .

و يقول جوليد زيهر : (مهما تظاهر الصوفيون بتقديرهم للاسلام فلغالبيتهم نزعة مشتركة الى محو الحدود الفاصلة بين العقائد و الأديان و عندهم أن هذه العقائد كلها لها نفس القيمة النسبية ازاء الغاية المثلى التي ينبغي الوصول اليها)(١)

و الخلاصة التي نخرج بها هي أن المتصوفة بالفعل قالوا بوحدة الوجود و قد أثبت ذلك بايراد نصوص من أئمة التصوف و أن هذا المعتقد الالحادي جر المتصوفة القائلين به الى تجويز عبادة كل شيء في هذا الكون و ذلك انطلاقا من عقيدتهم الباطلة التي تقول انه لا موجود في هذا الكون الا الله و أن جميع ما فيه ما هو الا مظاهر و مجالى لله سبحانه و تعالى

و جرهم أيضا أن يقولوا أن عباد الأوثان و الأصنام عبادتهم صحيحة و أنهم كانوا أفقه من الأنبياء حينما رفضوا توحيد الله و أصروا على عبادتها بل صرح كبيرهم و شيخهم الذي يعتبرونه الشيخ الأكبر و الكبريت الأحمر بأن فرعون مات مؤمنا و قد قبضه الله طاهرا مطهرا

---

(١) — العقيدة و الشريعة لجوليد زيهر ١٧٠

و جرهم أيضا هذا المعتقد الى القول بأن الأديان كلها واحدة سواء كانت هـذه الأديان لها صلة بالوحي السماوى أم لم يكن لها فكل عابد فهو عابد لله و لو عبـد الوثن و الصنم لأن الصنم المعبود حسب معتقد أهل وحدة الوجود فيه وجه من الألوهية

و هذه كلها عقائد باطلة كل منها كما نرى كاف لاخراج الانسان من الاسلام و تحويله الى ملحد كافر و سيتضح لنا هذا في المبحث الآتي بعد هذا مباشرة حينما نذكـر موقف الاسلام من عقيدة وحدة الوجود ان شاء الله (١)

(١) أنظر ٢٧٣ — ٢٨٤

المطلب الثالث : حكم من آمن بوحدة الوجود في ميزان الاسلام :

لقد اتضح لنا فيما سبق بأن عقيدة وحدة الوجود هي الاعتقاد بأنه لا موجود في هذا الكون الا الله و ما هذه الأشياء التي نراها بأعيننا الا مظاهر و مجالى لله سبحانه و تعالى (١)

و مذهب أهل السنة و الجماعة أن الله سبحانه و تعالى بائن من خلقه لا يشبهه شيء من مخلوقاته متصف بصفات الكمال فله الأسماء الحسنى و الصفات العلى ((ليس كمثله شيء وهو السميع البصير)) فهو المتفرد بالجلال المتصف بصفات الكمال المنزه عن النقائص و العيوب فمن اعتقد أن الله تعالى متحد بمخلوقاته و أن العبد عين الرب و الرب عين العبد فقد كفر بما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم و خالف الفطر و الشرائع و قد كفّر الله تعالى النصارى الذين قالوا ان الله اتحد بعيسى عليه السلام فقال سبحانه : ((لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح بن مريم)) فكيف بمن يقول ان الله متحد مع جميع مخلوقاته فهو أولى بأن يكون كافرا لأنه يعتقد أن الله متحد بجميع ما في هذا الكون

أما الآن فاليك أقوال العلماء في حكم من يعتقد بوحدة الوجود :

و لنبدأ بشيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى رحمة واسعة فهو أكثر من كتب في الرد على هؤلاء الملاحدة و بيّن معتقدهم الخبيث و رد عليهم ردودا مقنعة في كثير من كتبه و اليك نبذة من مقالاته التي كتبها في الرد عليهم :

فقد قال رحمه الله رادا على الاتحادية تحت عنوان اتحاد الصوفية أشر من كفر أهل الكتاب : (فهذه المقالات و أمثالها من أعظم الباطل و قد نبهنا على بعض ما يعرف

---

(١) — انظر ص ٢٢٨ — ٢٥٥

معناها و أنه باطل و الواجب انكارها فان انكار هذا المنكر السارى في كثير من المسلمين أولى من انكار دين اليهود و النصارى الذى لا يضل به المسلمون لا سيما و أقوال هؤلاء شر من قول اليهود و النصارى و من عرف معناها و اعتقدها كان من المنافقين الذين أمر الله بجهادهم بقوله تعالى : ((جاهد الكفار و المنافقين و اغلظ عليهم)) (١) والنفاق اذا عظم كان صاحبه شرا من كفار أهل الكتاب و كان في الدرك الأسفل من النار و ليس لهذه المقالات وجه سائغ و لو قدر أن بعضها يحتمل في اللغة معنى صحيحا فان ما يحمل عليها اذا لم يعرف مقصود صاحبها و هؤلاء قد عرف مقصودهم كما عرف دين اليهود و النصارى و الرافضة و لهم في ذلك كتب مصنفة و أشعار مؤلفة و كلام يفسر بعضه بعضا و قد علم مقصودهم بالضرورة فلا ينازع في ذلك الا جاهل لا يلتفت اليه ويجب بيان معناها و كشف مغزاها لمن أحسن الظن بها أو خيف عليه أن يحسن الظن بها أو أن يضل فان ضرر هذه على المسلمين أعظم من ضرر السراق و الخونة الذين لا يعرفون أنهم سراق و خونة فان هؤلاء غاية ضررهم موت الانسان أو ذهاب ماله و هذه مصيبة في دنياه قد تكون سببا لرحمته في الآخرة و أما هؤلاء فيسقون الناس شراب الكفر و الالحاد في آنية أنبياء الله و أوليائه و يلبسون ثياب المجاهدين في سبيل الله و هم في الباطن من المحاربين لله و لرسوله و يظهرون كلام الكفار و المنافقين في قوالب ألفاظ أولياء الله المحققين فيدخل الرجل معهم على أن يصير مؤمنا وليا لله فيصير منافقا عدوا لله

و لقد ضربت لهم مرة مثلا بقوم أخذوا طائفة من الحجاج ليحجوا بهم فذهبوا بهم الى قبرص فقال لي بعض من كان قد انكشف له ضلالهم من أتباعهم : لو كانوا يذهبون بنا

---

(١) — سورة التوبة آية ٧٣

الى قبر لكانوا يجعلوننا نصارى و هؤلاء يجعلوننا شرا من النصارى و الأمر كما قال هذا القائل)(١)

و لقد ذكر شيخ الاسلام رحمه الله جملة من العلماء الذين قالوا بتكفير أهل الوحدة و الاتحاد فقال : (من المشائخ الذين قالوا بتكفير الاتحادية : هم سعيد بن المسيب و الحسن البصرى و عمر بن عبد العزيز و مالك بن أنس و الأوزاعي و ابراهيم بن أدهم و سفيان الثورى و الفضيل بن عياض و الشافعي و أحمد بن حنبل و غيرهم) الى أن قال : (كل هؤلاء متفقون على تكفير هؤلاء و من هو أرجح منهم و أن الله سبحانه ليس هو خلقه و لا جزء من خلقه و صفة لخلقه بل هو سبحانه و تعالى ميز بنفسه المقدسة بائن بذاته المعظمة عن مخلوقاته و بذلك جاءت الكتب الأربعة الالهية من التوراة و الانجيل و الزبور و القرآن و عليه فطر الله تعالى عباده و على ذلك دلت العقول)(٢)

و قال شيخ الاسلام ابن تيمية في معرض حديثه عن ابن عربي و عقيدته الوجودية : (عند ابن عربي رب و عالم كما تقول الفلاسفة الالهيون الذين يقولون بواجب الوجود و بالعالم الممكن الوجود بل عنده وجود العالم هو وجود الله و هذا يطابق قول الدهرية الطبائعية الذين ينكرون وجود الصانع مطلقا و لا يقرون بوجود واجب غير العالم كما ذكر الله عن فرعون و ذويه و قوله مطابق لقول فرعون لكن فرعون لم يكن مقرا بالله و هؤلاء يقرون بالله و لكن يفسرونه بالوجود الذى أقر به فرعون فهم أجهل من فرعون و أضل و فرعون أكفر منهم في كفره من العناد و الاستكبار ما ليس في كفرهم كما قال تعالى : ((وجحدوا بها و استيقنتها أنفسهم ظلما و علوا))(٣)

و قال له موسى : ((لقد علمت ما أنزل هؤلاء الا رب السموات و الأرض بصائر))(٤)

---

(١) — الرسائل و المسائل لشيخ الاسلام ابن تيمية ١ / ١٣٠

(٢) — نفس المرجع ١ / ١٨٦

(٣) — النحل آية ١٤

(٤) — الاسراء آية ١٠٢

و جماع أمر صاحب الفصوص و ذويه هدم أصول الايمان الثلاثة فان أصول الايمان :

الايمان بالله و الايمان برسله و الايمان باليوم الآخر

فأما الايمان بالله فزعموا أن وجوده وجود العالم ليس للعالم صانع غير العالم

و أما الرسول فزعموا أنهم أعلم بالله منه و من جميع الرسل و منهم من يأخذ العلم بالله الذى هو التعطيل ووحدة الوجود من مشكاته و أنهم يساوونه في أخذ العلم بالشريعة عن الله

و أما الايمان باليوم الآخر فقد قال :

فلم يبق الا صادق الوعد وحده و ما لوعيد الحق عين تعاين

و ان دخلوا دار الشقاء فانهم على لذة فيها نعيم مباين

و هذا يذكر عن بعض أهل الضلالة قبله أنه قال : ان النار تصير لأهلها طبيعة نارية يتمتعون بها و حينئذ فلا خوف و لا محذور و لا عذاب لأنه أمر مستعذب . ثم انه في الأمر و النهي عنده الآمر و الناهي و المأمور و المنهي واحد)(١)

و قال شيخ الاسلام ابن تيمية أثناء تقسيمه للقائلين بالاتحاد

قال : (الرابع:الاتحاد العام: و هو قول هؤلاء الملاحدة الذين يزعمون أنه عين وجود الكائنات و هؤلاء أكفر من اليهود و النصارى من وجهين :

الأول : من جهة أن أولئك قالوا ان الرب يتحد بعبده الذى قربه و اصطفاه بعد أن لم يكونا متحدين و هؤلاء يقولون ما زال الرب هو العبد و غيره من المخلوقات ليس هو غيره

و الثاني : من جهة أن أولئك خصوا ذلك بمن عظموه كالمسيح و هؤلاء جعلوا ذلك ساريا في الكلاب و الخنازير و القذر و الأوساخ و اذا كان الله تعالى قال : (لقد كفر

---

(١) — الرسائل و المسائل لشيخ الاسلام ابن تيمية ٢ / ٨٢

الذين قالوا ان الاله هو المسيح بن مريم)) فكيف بمن قال : ان الله هو الكفار والمنافقون والصبيان والمجانين والأنجاس والأنتان وكل شيء ، واذا كان الله قد رد قول اليهود والنصارى لما قالوا : ((نحن أبناء الله وأحباؤه)) وقال لهم : ((قل فلم يعذبكم بذنوبكم بل أنتم بشر ممن خلق)) فكيف بمن يزعم أن اليهود والنصارى هم أعيان وجود الرب الخالق ليسوا غيره ولا سواه ولا يتصور أن يعذب الا نفسه وأن كل ناطق في الكون فهو عين السامع كما في قوله صلى الله عليه وسلم : (ان الله تجاوز لأمتي عما حدثت به أنفسها) وأن الناكح عين المنكوح . . . .)

ثم قال شيخ الاسلام ابن تيمية : (وهؤلاء الملاحدة الاتحادية ضلال أكثرهم لا يعقلون قول رؤوسهم ولا يفقهونه وهم في ذلك كالنصارى كما كان الشيخ أحمق وأجهل كان لله أعرف وعندهم أعظم ولهم حظ من عبادة الرب الذي كفروا به كما للنصارى هذا ما دام أحدهم في الحجاب فاذا ارتفع عن قلبه وعرف أنه هو فهو بالخيار بين أن يسقط عن نفسه الأمر والنهي لحفظ المراتب وليقتدي به الناس المحجوبون وهم غالب الخلق ويزعمون أن الأنبياء كانوا كذلك اذ عدوهم كاملين) (١)

وقد ناقش شيخ الاسلام ابن تيمية الاتحادية بالأدلة النظرية فقال رحمه الله في بعض ما يظهر به كفرهم وفساد قولهم : (. . وذلك من وجوه :

أحدها أن حقيقة قولهم أن الله يخلق شيئا ولا ابتدعه ولا برأه ولا صوره لأنه اذا لم يكن وجود الا وجوده فمن الممتنع أن يكون خالقا لوجود نفسه أو بارئا لذاته فان العلم بذلك من أبين العلوم وأبدهها للعقول ان الشيء لا يخلق نفسه ولهذا قال سبحانه : ((أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون)) فانهم يعلمون أنهم

---

(١) — الرسائل والمسائل لشيخ الاسلام ابن تيمية ٢ / ٢٩ — ٣١

لم يكونوا مخلوقين من غير خالق ويعلمون أن الشيء لا يخلق نفسه فتعين أن لهم خالقا وعند هؤلاء الكفار الملاحدة الفرعونية أنه ما ثم شيء يكون الرب قد خلقه وبرأه أو أبدعه الا نفسه المقدسة ونفسه المقدسة لا تكون مخلوقة مربوبة مصنوعة مبروءة لامتناع ذلك في بداهة العقول من ذلك من أظهر الكفر عند جميع أهل الملل وأما على رأى صاحب الفصوص فما ثم الا وجوده والذوات الثابتة في العدم الغنية عنه ووجوده لا يكون مخلوقا والذوات غنية عنه فلم يخلق الله شيئا

الثاني أن عندهم أن الله ليس رب العالمين ولا مالك الملك أو ليس الا وجوده وهو لا يكون رب نفسه ولا يكون الملك المملوك هو الملك المالك وقد صرحوا بهذا الكفر مع تناقضه وقالوا أنه هو ملك الملك بناء على وجوده مفتقر الى ذوات الأشياء وذوات الأشياء مفتقرة الى وجوده فالأشياء مالكة لوجوده فهي ملك الملك

الثالث أن عندهم أن الله لم يرزق أحدا شيئا ولا أعطى أحدا شيئا ولا رحم أحدا ولا أحسن الى أحد ولا هدى أحدا ولا أنعم على أحد نعمة ولا علم أحدا علما ولا علم أحدا البيان، وعندهم في الجملة لم يصل منه الى أحد لا خير ولا شر ولا نفع ولا ضرر ولا عطاء ولا منع ولا هدى ولا ضلال أصلا وأن هذه الأشياء جميعها عين محض وجوده فليس هناك غير يصل اليه ولا أحد سواه ينتفع بها ولا عبد يكون مرزوقا أو منصورا أو مهديا

ثم على رأى صاحب الفصوص أن هذه الذوات ثابتة في العدم والذوات هي أحسنت وأساءت ونفعت وضرت وهذا عنده سر القدر

وعلى رأى الباقين ما ثم ذات ثابته غيره أصلا بل هو ذات نفسه بنفسه ولا عن نفسه بنفسه وهو المرزوق المضروب المشتوم وهو الناكح والمنكوح والآكل والمأكول وقد صرحوا

بذلـــك تصريحا بينـــا

الرابع : أن عندهم أن الله هو الذى يركع و يسجد و يخضع و يعبد و يصوم و يجـــوع و يقوم و ينام و تصيبه الأمراض و الأسقام و تبتليه الأعداء و يصيبه البلاء و قد صرحوا بذلك و صرحوا بأن كل كرب يصيب النفوس فانه هو الذى يصيبه و أنه اذا أنفس الكرب فانمـــا يتنفس عنه و لهذا كره بعض هؤلاء الذين هم من أكفر خلق الله و أعظمهم نفاقا و الحادا و عتوا على الله و عنادا أن يصبر الانسان على البلاء لأن عندهم هو المصاب المبتلى وقد صرحوا بأنه موصوف بكل نقص و عيب فانه ما ثم من يتصف بالنقائص و العيوب غيره فكل عيب و نقص و كفر و فسوق في العالم فانه هو المتصف به لا متصف به غيره كلهم متفقون علـــى هذا الوجود)(١)

و قال الامام أبو علي بن خليل السكوني بعد أن حذر من ابن عربي و اتباعه :

(.... و ليحذر مواضع كثيرة من كلام ابن عربي الطائي في فصوصه و فتوحاته المكية و غيرهما و ليحترز أيضا من مواضع كثيرة من كلام ابن الفارض الشاعر و أمثاله مما يشيرون بظاهره الى القول بالحلول و الاتحاد لأنه باطل بالبراهين القطعية فكل كلام أوطلاق يوهم الباطل فهو باطل بالاجماع فأجدى و أولى بطلانه اذا كان صريحا في الباطل)(٢)

و قال الامام برهان الدين البقاعي : (و قد تواتر نسبة ابن عربي و ابن الفارض الى الكفر تواترا معنويا و شاع ذلك على ألسنة المؤمنين الصادقين و اذا كان الله سبحانـــه حكم بالكفر في كتابه الكريم على من قال ان الله هو المسيح فلم لا يحكم المسلمون علـــى قطبي مذهب الحلول و الاتحاد و كل منهما يقول : الله عين كل شيء)(٣)

---

(١)— الرسائل و المسائل لشيخ الاسلام ابن تيمية ٢ / ٨٦

(٢)— مصرع التصوف لبرهان الدين البقاعي ١٣٧

(٣)— مصرع التصوف لبرهان الدين البقاعي ٢١٧

و قال الامام محمد بن عبد السلام عن ابن عربي حين سئل عنه في مصر : (انه شيخ سوء مقبوح يقول بقدم العالم و لا يحرم فرجا)(١)

و قال الشيخ ابراهيم الجعبرى : (رأيت ابن عربي شيخا مخضوب اللحية و هو شيخ رخيص يكفر بكل كتاب أنزله الله و كل شيء أرسله الله)(٢)

و قال الدكتور أنور الجندى عن أهل وحدة الوجود و موقف المسلمين منها :

(و قد رد المسلمون قول ابن عربي الذى قال ان ذاته و ذات الله قد أصبحتا ذاتا واحدة أى أن مظاهر العالم المختلفة هي مظاهر لله تعالى أى ليس لله وجود الا الوجود القائم بالمخلوقات و المسلمون يؤمنون بأن الله صاحب كل شيء و خالق كل شيء و مالك كل شيء و لكن الله ليس حالا أو متحدا بهذه الأشياء كلها و لا بالانسان و لا يقر الاسلام مذهبا الحلول الله في جسد الانسان أو الأشياء الأخرى)(٣)

و قال الشيخ محمود عبد الرؤوف القاسم عن عقيدة وحدة الوجود : (وحدة الوجود كفر مبين و معتقدها كافر مبين كافر حسب الشريعة و كافر حسب الحقيقة الحقة التي هي الشريعة الاسلامية له في الدنيا عقوبة المرتد عن الاسلام و له في الآخرة عذاب أليم الا أن يتداركه الله سبحانه بلطفه و عفوه و الصوفي الحق هو الذى يبطن وحدة الوجود و يظهر التمسك بالشريعة و هو منافق حقابل هو شر أنواع النفاق و ليكن مطمئنا من مقام الطمأنينة أن مقامه الحقيقي هو في الدرك الأسفل من النار ان لم يتداركه الله برحمته)(٤)

---

(١)ـ مجموعة الرسائل و المسائل لشيخ الاسلام ابن تيمية ٢ / ٨٤

(٢)ـ نفس المرجع ٢ / ٨٥

(٣)ـ المؤامرة على الاسلام لأنور الجندى ٥٣

(٤)ـ حقيقة الصوفية لأول مرة في التاريخ ٧١٠

و قال أيضا الدكتور محمود عبد الروؤف القاسم رادا على القائلين بوحدة الوجود و موضحا بطلانها : (يقول سبحانه :((و جعلوا بينه و بين الجنة نسبا و لقد علمت الجنة انهم لمحضرون))(١) طبعا وحدة الوجود تجعل الجن جزءا من الله تعالى و ليس بعد هذا النسب ما هو أقوى منه لأنه نسب بعض الذات الى الذات لكن الآية الكريمة تستهجن هذه الفكرة نفيا لها و دحضا و تنزه الله سبحانه و تعالى عما يصفه هؤلاء الواصفون و العبارة ((و لقد علمت الجنة انهم لمحضرون)) واضحة الدلالة على أن الجن لو كانوا يتصلون بنسب الى الله سبحانه لما جعلهم من المحضرين و عدم وجود النسب بينه سبحانه و بين الجنة ينفي وحدة الوجود نفيا كاملا

و يقول سبحانه و تعالى :((و قد خلقتك من قبل و لم تك شيئا))(٢)

و يقول :((أولا يذكر الانسان أنا خلقناه من قبل و لم يك شيئا))(٣)

الآيتان واضحتان كل الوضوح أن الله سبحانه خلق الانسان من لا شيء من العدم و لو كانت وحدة الوجود واقعة لكان الانسان شيئا قبل أن يوجد كما هو الآن شيء بعد وجوده فكون الانسان خلق من لا شيء من العدم ينفي وحدة الوجود جملة و تفصيلا لأن الله تعالى ليس عدما انه الحي القيوم الخالق البارىء المصور . . . . .) ثم قال : (و لو كان الخلق هو الحق كما يفترون و كانت المخلوقات جزء من الله سبحانه تعينت بهذه الأشكال المختلفة لما بقي أى معنى للأسماء الحسنى (الخالق البارىء الفاطر بديع السموات و الأرض) التي تعني كلها الايجاد من العدم و لو كانت وحدة الوجود صحيحة لكان الانسان جزء من الله و لكانت الآية :((ان الانسان لفي خسر))باطلة و كان الانسان في ربح سواء آمن أو لم يؤمن و عمل صالحا أم لم يعمل و تواصى بالحق

---

(١)— الصافات آية ١٥٨

(٢)— مريم آية ٩

(٣)— مريم آية ٦٧

و الصبر أم لم يتواص لأنه جزء من الله

و في القرآن الكريم آيات كثيرة تصبح شتما لله لو صحت عقيدة الصوفية بوحدة الوجود مثل قوله سبحانه : ((و أتبعوا في هذه الدنيا لعنة و يوم القيامة ألا ان عادا كفروا ربهم ألا بعدا لعاد قوم هود)) (١) لأن عادا حسب زعمهم و عقيدتهم الباطلة هم جزء من الله سبحانه حيث يصبح معنى الآية الكريمة : ان جزءا من الله ــ تعالى عما يصفون ــ أتبع في هذه الدنيا و يوم القيامة) (٢)

و قال الدكتور صابر طعمية بعد ذكره جملة من كلام ابن عربي الدال على اعتقاده بوحدة الوجود : (فهل بقي أدنى شك أو ذرة أو حاجة الى دليل لكي يعرف الناس جميعا أن ابن عربي و من على شاكلته أو على طريق منهجه و عقيدته في وحدة الوجود هم أكفر من كفار و أكفر من الكفار و أبعد ما يكونون عن نقاء الفطر السليمة و ضوابط العقول المستنيرة) (٣)

و قال الدكتور صابر طعمية في مكان آخر من كتابه أيضا :

(لما كان الايمان بواحدة من هاتين العقيدتين وحدة الوجود أو وحدة الشهود يعتبر شركا صريحا و كفرا بواحا لا يحتاج الى تبرير ولا الى تأويل فقد كان من البداهة أن تكون المؤثرات في هاتين العقيدتين غير اسلامية و من ثم أن يكون مردها غير اسلامي ذلك أن وثنية وحدة الوجود استلزمت عند الصوفية الايمان بوحدة الأديان بل و قد ترتب على معتقد الذين اعتقدوا بالفناء و هذا تعطيل ما بعده تعطيل و معتقد الذين آمنوا بأن الله سبحانه هو عين خلقه : أن تساوى عندهم الكفر و الشرك و المجوسية و اليهودية

---

(١) ــ سورة هود آية ٦٠

(٢) ــ حقيقة الصوفية لأول مرة في التاريخ ٤ ٧٠ــ٦ ٧٠ باختصار

(٣) ــ الصوفية معتقدا و مسلكا للشيخ صابر طعمية ٢٣٦

و المسيحية و كل ضروب الضلال مع الاسلام . . . .) ثم قال : (فأى كفر يكون ما عليه القوم ان كفر أبي جهل و أبي لهب يهون بجوار كفر أصحاب الشهود)(١)

و قال الاستاذ عبد المنعم خلاف:

(لقد غزا مذهب وحدة الوجود عقول الفلاسفة و الصوفية الذين آفتهم أن طلبوا أن يدركوا الله و ما وراء الطبيعة بالحواس التي يدركون بها الطبيعة و بالعقل البشرى المخلوق لادراك النسب بين الكائنات الطبيعية وحدها أولا فلما عجزوا عن رؤيته تعالى و ادراكه كما هو المنتظر ذهبوا الى أنه لا بد أن يكون الله هو هذا الوجود الظاهر و أنه يحل فيه و ليس له وجود منفصل عنه و هكذا تجد الوثنية التي حاربتها الأديان و الفلسفات سندا عظيما من هذه الفلسفة الالحادية) الى أن قال : (و قول أصحاب مذهب وحدة الوجود بأن الله و المادة وحدة لا تتجزأ هو خروج عن مفهوم الاسلام الحق الذى يقول بأن كل مسبب لا بد له من سبب و كل معلول لا بد له من علة و المسبب لا يقوم بنفسه و انما يقوم بالسبب و كذلك المعلول فانه لا يوجد بذاته و انما يوجد بوجود العلة فاذا زال السبب أو العلة زال المسبب و زال المعلول و الله سبحانه و تعالى هو الأول و هو الآخر و الحدوث مستحيل عليه باعتباره من صفات المعلولات و المادة معلولة و حادثة و لها خالق فاذا قيل بقدم المادة شاركت المادة الله في قدمه)(٢)

و قال شيخ الاسلام ابن تيمية بعد أن تكلم عن أصول الفلاسفة : (وكثير من ملاحدة المتصوفة كابن عربي و ابن سبعين و القونوى و التلمساني و غيرهم يوافقونهم في أصولهم

---

(١) ـ الصوفية معتقدا و مسلكا ٢٤٣ ـ ٢٤٥

(٢) ـ المؤامرة على الاسلام لأنور الجندى ٥٣

لكن يغيرون العبارات فيعبرون بالعبارات الاسلامية عما هو قولهم . . . . و هـــؤلاء المتفلسفة و متصوفوهم كابن سبعين و أتباعه يجوزون أن يكون الرجل يهوديا أو نصرانيا أو مشركا يعبد الأوثان فليس الاسلام عندهم واجبا و لا التهود و التنصر و الشرك محرما لكن قد يرجحون شريعة الاسلام على غيرها و اذا جاء المريد الى شيخ من شيوخهم و قال أريد أن أسلك على يديك ، يقول له : على دين المسلمين أو اليهود أو النصارى ؟ فاذا قال له المريد : اليهود و النصارى أما هم كفار؟ يقول : لا و لكن المسلمون خيـــر منهم ، و هذا من جنس جدل التتر أول ما أسلموا فان الاسلام عندهم خير من غيـــره و ان كان غيره جائزا لا يوالون عليه و يعادون عليه)(١)

و قال شيخ الاسلام ابن تيمية أيضا متحدثا عن حكم أهل وحدة الوجود في نظـــر الاسلام : (و هؤلاء ليسوا مسلمين و لا يهودا و لا نصارى بل كثير من المشركين أحسن حالا منهم و هؤلاء أئمة النظار المتفلسفة و صوفيتهم و شيعتهم كان من أسباب تسلطهم و ظهورهم هو بدع أهل البدع من الجهمية المعتزلة و الرافضة و من نحا نحوهم في بعض الأصول الفاسدة فان هؤلاء اشتركوا هم و أولئك الملاحدة في أصول فاسدة يجعلونهـــا قضايا عقلية صادقة و هي باطلة كاذبة مخالفة للشرع و العقل)(٢)

و الخلاصة التي نخرج بها من هذا المطلب أن عقيدة وحدة الوجود عقيدة الحادية بحتة ليست من الاسلام في شيء و أن علماء الاسلام وقفوا ضدها بكل حزم و عزم و ألفوا في الرد على أصحابها كتبا ووصفوا معتنقيها بأنهم ملاحدة كفرة و على هذا فكل مـــن يعتقد بهذه العقيدة الالحادية ليس من الاسلام في شيء بل الاسلام برىء منه كـــل البراءة كبراءة الذئب من دم يوسف عليه السلام

---

(١) — كتاب الرد على المنطقيين لشيخ الاسلام ابن تيمية ٢٨١—٢٨٢

(٢) — نفس المرجع ٥٢١—٥٢٣

الفصل الثاني : انحراف الصوفية في المحبة و اعتقادهم بأن الله يحل في بعض مخلوقاته :

و تحته مبحثان :

المبحث الأول : انحراف الصوفية في المحبة

المبحث الثاني : اعتقاد الصوفية بأن الله يحل في بعض مخلوقاته الذين يتغانون في الرياضة على الطريقة الصوفية :

و تحته مطلبان :

المطلب الأول : ذكر النصوص عنهم التي تدل على قول الصوفية بالحلول

المطلب الثاني : موقف أهل الاسلام من القائلين بالحلول

المبحث الأول : انحراف الصوفيـة في محبة الله عزوجل :

تمهيـــد :

ان حب الله حبا صحيحا كما جاء في الكتاب و السنة أمر واجب و ذلك لأنه شعبة من شعب الايمان و قد ذكـر الامام البيهقي ذلك في كتابه "شعب الايمان" فقال : (العاشر من شعب الايمان : وهو باب في المحبة لله عزوجل) (١)

و قد أخبرنا الله سبحانه و تعالى في كتابه الكريم بأن المؤمنين يحبون الله حبـــا شديدا فقال سبحانه : ((و من الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله و الذين آمنوا أشد حبا لله)) (٢) و هذا يدل على أن حب الله جل جلاله من الايمان لأن قوله ((والذين آمنوا أشد حبا لله)) اشارة الى أن الايمان يحرك على حب الله جل جلاله و يدعوا اليه جل ثناؤه

و قد أخبرنا الله سبحانه و تعالى في كتابه بأن من علامات المحبة الصادقة لله هو اتباع الرسول صلى الله عليه و سلم في سنته و عدم مخالفته فقال سبحانه : ((قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله و يغفر لكم ذنوبكم)) (٣)

و هذه الآية الكريمة تدل دلالة صريحة على أن علامة الحب الصادق هو اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم لأنه السبيل الوحيد للوصول الى محبة الله سبحانه و تعالى لعباده المؤمنين و هذا يدل على أن الذين يدعون محبة الله بدون متابعة الرسول ما هـــم الا كذبة و ذلك لأن اتباع الرسول شرط لكي يصل الانسان الى مرحلة يحبه الله فيها و هذه

---

(١) ـ شعب الايمان للامام البيهقي

(٢) ـ البقرة آية ١٦٥

(٣) ـ آل عمران ٣١

غاية كل مسلم يسعى ليل نهار للوصول اليها

و قال تعالى : ((قل ان كان آباؤكم و أبناؤكم و اخوانكم و أزواجكم و عشيرتكم و أموال اقترفتموها و تجارة تخشون كسادها أحب اليكم من الله ورسوله و جهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره و الله لا يهدى القوم الفاسقين)) (١)

قال الامام البيهقي رحمه الله بعد ايراده لهذه الآية في كتابه شعب الايمان :

(فأبان بهذه الآية أن حب الله و حب رسوله و الجهاد في سبيله فرض و أنه لا ينبغي أن يكون شيء سواه أحب اليهم منه و بمثل ذلك جاءت السنة النبوية

فعن أبي قلابة عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الايمان : أن يكون الله ورسوله أحب اليه مما سواهما ، و أن يحب المرء لا يحبه الا لله ، و أن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار) (٢)

قال الامام البيهقي بعد ايراده لهذا الحديث : (فأبان المصطفى صلى الله عليه وسلم بهذا أن حب الله و حب رسوله من الايمان و في ذلك دلالة على وجوب المحبة) (٣)

و قد ذكر الحليمي معاني كثيرة لمحبة الله عزوجل و من جملة هذه المعاني التي ذكرها :

(الحرص على أداء الفرائض و التقرب اليه بالنوافل) (٤)

---

(١) — التوبة آية ٢٤

(٢) — صحيح البخارى مع الفتح ١ / ٦٠ و شعب الايمان للبيهقي ٢ / ٣٤٠

(٣) — شعب الايمان للبيهقي ٢ / ٣٤٠

(٤) — المنهاج في شعب الايمان للحليمي ١ / ٤٩٦

و من هنا نقول ان الطريق الوحيد للوصول الى مرحلة يحب الله فيها عباده المؤمنين هو الايمان بالله و رسوله و بجميع ما جاء في الكتاب و السنة و أداء الفرائض المفروضة في أوقاتها و أداء ما كتبه الله من النوافل و ذلك لما جاء في الحديث الصحيح : (من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب و ما تقرب الي عبدى بشيء أحب الي مما افترضته عليه و لا يزال عبدى يتقرب الي بالنوافل حتى أحبه فاذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به و بصره الذى يبصر به و رجله التي يمشي بها و يده التي يبطش بها)(١)

قال الشيخ محمد السفاريني الحنبلي تعليقا على هذا الحديث :

(فدل هذا الحديث أنه لا طريق يوصل الى التقرب الى الله وولايته و محبته سوى طاعته التي شرعها على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم من أداء الفرائض و اجتناب المحارم و الاهتمام بنوافل العبادات الموصلة لمحبة الله تعالى فمن أحب الله سبحانه رزقه محبته و طاعته و الاشتغال بذكره)(٢)

و الخلاصة من خلال الأدلة القرآنية و الحديثية السابقة نخرج بأن الطريق الوحيد الذى يمكن أن يصل الانسان عن طريقه الى محبة الله عزوجل هو الايمان الصحيح والقيام بالفرائض و أداء المستطاع من النوافل أما أن يدعي الانسان بأنه محب لله سبحانه وتعالى بدون الخضوع لأوامر الله و رسوله فهذا مجرد زعم فقط ،

خطأ الصوفية في مفهوم الحب الالهي :

و اذا نظرنا الى الصوفية فاننا نجدهم لم يفهموا الحب الالهي فهما صحيحا بل فهموه فهما خاطئا فلذلك وقعوا في ضلالات و متاهات أوقعتهم في عقائد باطلة ومخالفة تماما للعقيدة الاسلامية

---

(١)— صحيح البخارى مع الفتح ١١ / ٣٤٠

(٢)— شرح ثلاثيات مسند الامام أحمد للسفاريني ١٤١

و قد ظهرت أول نظرية في الحب الالهي في المفهوم الصوفي المنحرف في مدرسة البصرة و كان ظهورها عند جماعة لقبوا بالزنادقة أو زنادقة الزهاد و هو اسم أطلقه عليهم أبو داوود السجستاني المتوفي ٢٧٥ و من هؤلاء رابعة العدوية توفيت ١٨٥هـ و رياح بن عمرو القيسي المتوفي سنة ١٨٨ و حبان أو ابن حبان الحريرى و أبو حبيب العجمي و قد أطلق هذا الاسم أيضا على عبد الواحد بن زيد المتوفي سنة ١٧٧ و كيب و عبدك الصوفي الشيعي و امرأة رياح القيسي و أبي العتاهية الشاعر

و لا شك أن ظهور الكلام في الحب الالهي في بيئة البصرة في صورة قوية ناضجة له مغزاه و ان كنا لا نعرف الكثير عن الظروف التي أحاطت برجال مدرستها و لكنا نعرف على الأقل أن منهم من كان متأثرا بالفلسفة المانوية (١) التي عرفت بنظرية خاصة في الحب الالهي خلاصتها أن أرواح الأبرار ذرات نورانية انبثقت من ينبوع النور الأعظم فهي دائما تنجذب اليه وتحن الى العودة اليه وتحاول جاهدة الفرار من هيا كلها المظلمة فغايتها الفرار من ربقة عبوديتها و الانطلاق من سجنها الأرض (٢)

و أول من تغنى بنغمة الحب الالهي من هذه الطبقة كانت رابعة العدوية التي أحبت الله لذاته لا خوفا من ناره ولا طمعا في جنته وكان أقصى أمانيها أن يكشف الله لها عن وجهه الكريم ويرفع عن قلبها الحجب التي تحول دون مشاهدته و في هذا تقول مخاطبة الذات الالهية :

---

(١) — المانوية نسبة الى رجل فارسي وثني اسمه ماني وهي مزيج من الزردشية والنصرانية وعلى كل فهي ديانة وثنية وقد تأثر بها الصوفية انظر الفلسفة الصوفية في الاسلام للدكتور عبد القادر محمود

(٢) — التصوف بين الحق والخلق لمحمد فهر شقفه ص ٥٧

أحبك حبين حب الهـــوى و حبا لأنك أهل لذاكـــا

فأما الذى هو حـب الهوى فكشفك لي الحجـب حتى أراكا

و أما الذى أنت أهـل لـه فلست أرى الكون حتى أراكـا

فلا الحمد في ذا ولا ذاك لي ولكن الحمد في ذا وذاكـــا

أدركت رابعة العدوية سر الحياة الصوفية وجوهرها وذلك السر هو انكار الذات و فناء الحب في المحبوب اذ لا يعرف الله حقا و لا يحب الحب الحقيقي و في النفس أدنى شعور بذاتها و بالعالم المحيـط بها (١) حسب زعمها

ولم تكن رابعة العدوية وحدها القائلة بهذه النظرية بل يتفق معها كثير مـــن المتصوفة الذين أتوا بعدها والذين تغنوا بنغمة الحب الالهي كما يزعمون بل هـــذه نـظرية سبق فيها المتصوفة من أصحاب الديانات الأخرى متصوفة الاسلام

فهذا أبو عبدالله القرشي (٢) يقول في المحبة عند المتصوفة :(حقيقة المحـبة أن تهب كلك من أحببت فلا يبقى لك منك شيء) (٣) ومعنى ذلك اذا لم يبق منـك ففيه اشارة الى القول بالفناء المذموم والذى يعني حلول الله في خواطر عباده كما يزعـم المتصوفة

ويقول الجنيد في معنى المحبة في المفهوم الصوفي :(المحبة هي دخول صفـات المحبوب على البدل من صفات المحب) (٤)

اذا نظرنا في تعريف الجنيد للمحبة في المفهوم الصوفي نجده قد عرفها بأن مفهوم المحبة الحقيقي عند المتصوفة هي التي يصل فيها المحب الى استبدال صفاته بصفـات المحبوب وسواء كان المحبوب انسانا أو أى مخلوق آخر في هذا الكون أو كان المحبـــوب

---

(١) ـ التصوف بين الحق والخلق لسقفه ٥٨

(٢) ـ الرسالة القشيرية ٢ / ٦١٥

(٣) ـ الرسالة القشيرية ٢ / ٦١٥

(٤) ـ الرسالة القشيرية ٢ / ٦١٥

الله جل جلاله فانه لا يمكن أن يطلق على أحد محب لله حتى يخلع صفاته الآدمية ويتحلى بالصفات الالهية والانسان لا يمكن أن يخلع صفاته البشرية التي خلقه الله عليها والتي هي دائما صفات النقص مهما أحب الله وأطاعه في أوامره ونواهيه وعبده حق عبادته مهما فعل ذلك فانه سيبقى بشرا ناقصا ولذا أقول تعريف الجنيد للمحبة بهذا التعريف لم يسبقه اليه أحد من سلف الأمة الذين يقتدى بهم ولم يقله أحد بعده أيضا لأن تعريف الجنيد هذا تشم منه القول بالحلول وهو امكانية حلول الله في عباده الذين أحبهم واصطفاهم كما يزعم المتصوفة ذلك وهذا مفهوم منحرف لحب الله عز وجل أدى بالمتصوفة الى الاعتقاد بامكانية حلول الله في مخلوقاته

وقال أبو يعقوب السوسي في تعريف المحبة :

(حقيقة المحبة أن ينسى العبد حظه من الله وينسى حوائجه اليه)(١)

واذا نظرنا في هذا التعريف للمحبة نجده يصطدم مع ما جاء في القرآن الكريم لأنه قال ان المحبة وحقيقتها هي نسيان العبد نصيبه من الله واحتياجه اليه وكيف تكون نهاية المحبة الحقيقية هذه وقد قال الله سبحانه وتعالى :((يا أيها الناس أنتم الفقراء الى الله والله هو الغني الحميد))(٢) ففي هذه الآية أخبرنا الله سبحانه وتعالى بأن جميع الناس فقراء محتاجون الى الله سبحانه وتعالى فكيف تكون هذه نهاية المحبة وهي تتناقض مع ما جاء في القرآن الكريم

وقد أمر الله سبحانه وتعالى أن يدعوه عباده فقال سبحانه :((واذا سألك عبادى عني فاني قريب أجيب دعوة الداعي اذا دعان فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون))(٣) ولذا أقول ان هذا التعريف الذى عرفه السوسي للمحبة انما

---

(١)ـ الرسالة القشيرية ٢/٦١٦

(٢)ـ فاطر آية ١٥

(٣)ـ البقرة آية ١٨٦

هو على المفهوم الصوفي الخاطئ، أما على المفهوم الاسلامي الصحيح فانه مصادم للكتاب والسنة وما دام كذلك فليس من الاسلام في شيء فضلا عن أن يكون تعريفا لحقيقة المحبة

وقال الحسين بن منصور: (حقيقة المحبة قيامك مع محبوبك بخلع أوصافك) (١)

اذا نظرنا في تعريف الحسين بن منصور هذا لحقيقة المحبة نجده أنه عرفها بأن الوصول الى حقيقة المحبة لا يمكن أن يصل اليه أحد الا أن يقوم مع محبوبه بعد أن يخلع أوصافه ولا أدرى ماذا يقصد بهذا أ يقصد أن الانسان الذى يدعي محبة الله ينبغي أن يخلع أوصافه البشرية ويقوم مع الله بعد ذلك فاذا كان يعني ذلك فان خلع الانسان أوصافه البشرية غير ممكن نهائيا مهما كان محبا لله فانه لن يصل الى أن يخلع عن أوصافه البشرية وهل اذا تخلى عن أوصافه البشرية سيتصف بالصفات الالهية واذا كان مقصوده هذا فان هذا هو عين القول بالحلول ولذا أقول ان هذا المفهوم للمحبة انما هو مفهوم صوفي وهو مفهوم منحرف كما نرى يقصد به المتصوفة بأن نهاية حب الله هو حلول الله في المحب أما ما دون ذلك فلا يسمى حبا عندهم وهذا غير صحيح فان الرسول كان أكثر الناس حبا لله وكذلك صحابته ولم نسمع أنهم ادعوا حلول الله فيهم

أقسام المحبة عند المتصوفة:

لقد قسم المتصوفة حب الله عزوجل الى قسمين وهما حب عام وحب خاص، ويقصد المتصوفة بالحب العام امتثال أمر الله واجتناب نواهيه فهذا يعتبره المتصوفة حب الله عزوجل ولكنه حب عام أى هو أدنى من الحب الخاص لأن هذا الحب لا يتوصل اليه الانسان الا بامتثال أوامر الله واجتناب نواهيه وهذا الطريق عند المتصوفة طريق

---

(١) — الرسالة القشيرية ٢/٦١٧

يسلكه العوام للوصول الى حب الله العام أما هم فأرفع من هذا !!!

و أما الحب الخاص فهو الحب الذى يتحصل عليه الانسان هبة من الله عزوجل و لا يمكن الحصول عليه عن طريق طاعة الله عزوجل و انما يحصل عليه الانسان عن طريق مشاهدة الروح حيث يتجلى نور الله عزوجل على الكائنات حسب زعمهم و يسمي المتصوفة هذا الحب حب الخواص و يعنون بهذا أنفسهم

و اليك النص الدال على هذا من بطون كتبهم :

فقد قال المنوفي في معرض حديثه عن أقسام حب الله عند المتصوفة :

(و الحب حبان : حب عام و حب خاص

فالحب العام يفسر بامتثال الأمر و من شرط المحب أن يكون مطيعا و هذا الذى عناه بعض شيوخ الطريق حين وضع الحب في المقامات لا في الأحوال فيكون الحب هنا منظور اليه بعين الكسب بالأعمال و هو أيضا صحيح و لكنه حب عام يدخل فيه كل أهل طاعة الله كسبا بطاعتهم و يدل على هذا قوله تعالى : ((قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله)) (١)

و أما الحب الخاص و الذى هو من أعلى و أرقى الأحوال الموهوبة هو حب الذات للذات هبة من الله و فضلا و ينشأ عن مطالعة الروح و هو من نور الله الى تجلي نور الله على الكائنات و العوالم وهو من اصطفاء الله و منته على عبده كما قلنا و هذا الحب ليس للكسب فيه دخل و لذلك كان من أشرف الأحوال و أجل المذاهب الالهية (٢)

ثم قال و ذلك الحب الخالص هو حب الخواص من عباد الله أهل المقامات الرضية و الأحوال السنية (٣)

---

(١) — آل عمران آية ٣١

(٢) — جمهرة الأولياء للمنوفي ١ / ٢٤١

(٣) — جمهرة الأولياء للمنوفي ١ / ٢٤٣

اذا نظرنا في النص السابق نجد أن المنوفي قسم الحب الى قسمين و هما حب عام و حب خاص و صرح بأن الحب العام هو الذى يتوصل اليه الانسان عن طريق امتثال أوامر الله و رسوله و اجتناب نواهيهما و أن هذا الحب يجوز أن يطلق عليه حب و لكنه ليس حب المتصوفة المنحرفين حيث أنهم لهم طريق آخر يتوصلون عن طريقه الى حب الله تعالى و هذا الطريق ليس عن طريق طاعة الله عزوجل و طاعة رسوله لأن الوصول اليه عن هذا الطريق طويلة و شاقة ولا تصلح الا للعوام أما الخاصون من عباد الله حسب زعم المنوفي فانهم يتوصلون الى حب الله عن طريق أقصر من هذا هو حب الذات البشرية للذات الالهية و هذا الحب هو هبة من الله محضة و يتحصل عليه المتصوفة عن طريق مطالعة الروح و هو من تجلي نور الله الى تجلي نور الله على هذه الكائنات الموجودة في هذا الكون و العوالم و أن هذا الحب ليس للكسب فيه أى شيء و يعني هذا أن هذا الحب لا يتوصل اليه المتصوفة عن طريق طاعة الله و طاعة رسوله و عن طريق عبادة الله بالصوم و الصلاة و الزكاة و الحج و غير ذلك من العبادات التي شرعها الله عزوجل لأن هذا الطريق هو طريق الكسب و المشقة وهو طريق طويل

و قد أطلق المنوفي على هذا الحب بأنه هو حب الخواص من عباد الله و كلمة الخواص يعني بها المتصوفة كل من انضوى تحت أى طريقة من الطرق الصوفية

و نحن نقول باختصار ان الطريق الوحيد الذى يتوصل به العبد الى محبة الله و مرضاته هو الطريق الذى شرعه الله في كتابه و على لسان رسوله و أن أى أحد يزعم بأنه يتوصل الى حب الله من غير امتثال أوامر الله و أوامر رسوله كاذب مفترى فالله سبحانه و تعالى قد أمر رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم أن يقول : ((قل ان كنتم تحبون الله

فاتبعوني يحببكم الله))(١) فهنا في هذه الآية جعل الله الشرط الأساسي لحب الله لعباده المؤمنين متابعة الرسول صلى الله عليه وسلم وطاعته فيما أمر و اجتناب ما نهى عنه و بهذا تتحقق المتابعة و بما أن متابعة الرسول فيها أوامر و نواهي فهي التكليف للقيام بأعمال عدة منها افراد الله بالعبادة وحده و الصلاة و الصوم والزكاة و الحج و الجهاد و غير ذلك من أعمال الاسلام العظيمة التي يترقى فيها المسلم درجة درجة الى أن يحبه الله عزوجل و كما في الحديث الصحيح : (من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب و ما تقرب الي عبدى بشيء أحب الي مما افترضته علي و لا يزال عبدى يتقرب الي بالنوافل حتى أحبه فاذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به و بصره الذى يبصر به و يده التي يبطش بها و رجله التي يمشي بها) .

و قد قسم المنوفي مرة أخرى المحبة بنوعيها و هما المحبة العامة و الخاصة الى قسمين مرة أخرى حيث قسمها الى ظاهر و باطن و يقصد بهذا التقسيم الى أن المحبة الخاصة و العامة كل منهما ينقسم الى محبة ظاهرة و باطنة

و اليك النص من كلامه على هذا التقسيم حيث قال : (اعلم أن المحبة بنوعيها ظاهر و باطن فظاهرها اتباع الشرع لبلوغ رضا المحبوب و باطنها دوام مناجاة الحبيب السر بالسر و العلن بالعلن و كم وراء ذلك من أغوار و أسرار لا يكشفها الأصفياء الأمناء و لا لأهل المحبة و الاجتباء)(٢)

اذا نظرنا في النص السابق نجد أن المنوفي زعم بأن كل قسم من أقسام المحبة و هما المحبة العامة و الخاصة ينقسم الى قسمين الى محبة ظاهرة و باطنة و فسر الظاهر بأنها هي التي يتبع فيها الشرع للبلوغ الى حب الله و رضاه و هذه ليست هي المحبة التي

---

(١) — آل عمران ٣١

(٢) — جمهرة الأولياء للمنوفي ١ / ٢٤٣

يطلبها المتصوفة لأنها من نصيب العوام

وانما المحبة التي يطلبها المتصوفة هي المحبة الباطنة وهي التي يناجون فيها الله سبحانه وتعالى سرا وعلنا ويطلعون فيها على الأسرار والغيوب وأنهم لا يطلعون على هذه الأسرار والغيوب التي يطلعون عليها الاالأمناء عليها وذلك حتى لا تفشى هذه الأسرار للعوام أو علماء الاسلام فينكروها عليهم لأنها غالبا ما تخالف ما جاء به الشرع

ونحن نقول للمنوفي في هذا التقسيم لحب الله تقسيم باطل لا أساس له من الصحة وذلك لأنه لم يذكر أى دليل يستند اليه لكي يثبت بأن تقسيمه هذا تقسيما شرعيا مما يدل على أنه أتى بهذا التقسيم من عند نفسه فقط متبعا هواه وضاربا بالشريعة عرض الحائط

اعتقاد الصوفية بأن من أحب أى شيء في هذا الكون فقد أحب الله :

يعتقد المتصوفة المنحرفون بأنه ليس هناك دين أرفع ولا أرقى من دين الحب والشوق الى الله بأى طريق كان هذا الحب مشروعا أو غير مشروع لأن الحب عندهم هو الهدف الأسمى ولذا يرحب المتصوفة بدين الحب على أى صورة ظهر هذا الحب ولذا صرح كبار المتصوفة بأنهم يحبون جميع أهل الأديان على اختلاف عقائدهم لأنهم جميعا ما عبدوا الا الله سبحانه حيث يعتقد هؤلاء المتصوفة بأن كل ما في هذا الكون ما هو الا مظار ومجالى لله وأن عبادة أى شيء في هذا الكون جائزة لأن الكل مظهر من مظاهر الله وتغنى بعض مشائخ المتصوفة الضالون بالعاهرات وزعم بأنه يتغنى بحب الله سبحانه لأن هؤلاء العاهرات ما هن الا مظهر من مظاهر الله سبحانه وتغنى أحد

المتصوفة الكبار بحب الله و صرح بأنه يجمع كل الأديان و العقائد المختلفة

و اليك النصوص الدالة على هذا من بطون كتبهم فقد قال محي الدين بن عربي و الذى يصفه المتصوفة في العالم أجمع بأنه الشيخ الأكبر و الكبريت الأحمر مبينا وموضحا بأن قلبه أصبح صالحا لقبول أى دين سواء كان هذا الدين اسلاما أو وثنيا أو يهوديا أو مسيحيا لأن المهم عنده هو الحب المطلق لأى شيء في هذا الكون لأنه يعتبر بأن كل ما في هذا الكون مظهر من مظاهر الله و لا يهم ابن عربي و أمثاله أن يكون حب هذا الشيء محمودا في الشريعة الاسلامية أو مذموما

لقد صار قلبي قابلا كل صورة فمرعى لغزلان و دير لرهبان

و بيت لأوثان و كعبة طائف و ألواح توراة و مصحف قرآن

أدين بدين الحب أنى توجهت ركائبه فالدين ديني و ايماني

لنا أسوة في بشر هند و أختها و قيس و ليلى ثم في و غيلان (١)

ففي هذه الأبيات الشعرية صرح ابن عربي بأن قلبه أصبح صالحا لتقبل أى صورة و أنه يجمع في قلبه كل العقائد و الأديان و أنه يدين بدين الحب فقط بقطع النظر عن توجه هذا الحب ثم ذكر بأن أسوته في هذا الحب هند و أختها و قيس و ليلى وغيلان و اتخذ ابن عربي هؤلاء أسوة له لأنه يعتبرهم محبين لله لأن كلا منهم أحب شخصا وهذا الشخص الذى أحبه مظهر من مظاهر الله فهم محبون لله و ذلك حسب زعمه

و قد شرح البيت الأخير بنفسه فقال : (الحب من حيث هو حب لنا و لهم حقيقة واحدة غير أن المحبين مختلفون لكونهم تعشقوا بكون و انا تعشقنا بعين و الشروط

---

(١) — ذخائر الاعلان لابن عربي ٣٩

و الأسباب و اللوازم واحدة فلسنا أسوة بهم فان الله تعالى ما هيم هؤلاء وابتلام بحب أمثالهم الا ليقيم بهم الحجج على من ادعى محبته و لم يهم في حبه هيمان هؤلاء حين ذهب الحب بعقولهم و أفناهم عنهم)(١)

و هذا ابن الفارض و الذى يلقبه المتصوفة بسلطان العاشقين يقول متغنيا بحب الله حسب زعمه

ففي النشأة الأولى تراءت لآدم بمظهر حوا قبل حكم النبوة

وتظهر للعشاق في كل مظهر من اللبس في أشكال حسن بديعة

ففي مرة لبنى وأخرى بثينة و آونة تدعى بعزة عزت (٢)

فاذا نظرنا في هذه الأبيات نجد أن ابن الفارض زعم أنه ربه ظهر لآدم في صورة حواء ولقيس في صورة لبنى و لجميل في صورة بثينة و لكثير في صورة عزه

وعلى هذا فما حواء أم البشر في نظر ابن الفارض الا الحقيقة الالهية و ما أولئك العشاق سكرت على شفاههن خطايا القبل المحرمة وتهاوت بهن اللهفة الجسدية الثائرة تحت شهوات العشاق ما أولئك جميعا سوى رب الصوفية تجسد في صورة غوان تطيش بهداهن نزوة ولهى أو نشوة سكرى أو رغبة تتلظى في عين عاشق (٣)

و يقول عبد الرحمن الوكيل بعد ايراده لأبيات عديدة عن ابن الفارض التي قالها متغنيا بحب الله حسب زعمه :

(فليفهم كل عاشق يطويه الليل على خاطئة أنه حين يقترف الخطيئة مع أنثاه و تعربد في جسدها الرخص أنيابه و أظفاره ليفهم كل عاشق أن أنثاه هذه التي يعرف أنوثتها ليست الا رب الصوفية الأعظم !! و ليصحح مؤرخوا الأدب تأريخه فابن الفارض

(١) — ذخائر الاعلاق لابن عربي ٣٦

(٢) — ديوان ابن الفارض ١٧٥

(٣) — انظر هذه هي الصوفية لعبد الرحمن الوكيل ٣١

يؤكد أن أولئك العشاق قيس، جميل ، كثير ،و كل شعراء العشق لم يريقوا خمور الغزل الا للذات الالهية متجسدة في صور عشيقاتهن القواتل ! !

أوعيت أذن علة اطلاق الصوفية على أربابهم أسماء نسوة جلهن عواطل من الفضيلة عوار عن الشرف ! ! كهان الصوفية أو حواريهم أن أربابهم تتجلى دائما في صور اناث تجردن لخطايا العشق و آثام الليل في حان الغرام)(١)

و قال الدكتور محمد فهر شقفة : (و يرى ابن عربي أن المحبوب على الحقيقة في كل ما يحب انما هو الحق الذى يتجلى فيما لا يتناهى من صور الجمال سواء أكانت حسية أم معنوية أم روحية و هو اذا تغنى بحب ليلى و سعدى و هند و غيرهن فانما يرمز بالاسم الى حقيقة المسمى و بالصورة الى صاحب الصورة و لا يعنيه الرمز قدر ما يعنيه المرموز اليه و قد كتب ديوانا بأكمله هو "ترجمان الأشواق" يتغزل فيه بالنظام ابنة الشيخ مكين الدين بن شجاع بن رستم الذى لقيه بمكة حين نزل بها و يصف فيه محاسن هذه الفادة الخلقية)(٢) .

و هذا جلال الدين الرومي الصوفي يعبر في ديوانه عن حبه الالهي بتعبيرات شركية رهيبة فيقول :

نفسي أيها النور المشرق ، لا تنأ عني لا تنأ عني

حبي أيها المشهد المتألق لا تنأ عني لا تنأ عني

أنظر الى العمامة أحكمتها فوق رأسي بل أنظر الى زنار زرادشت حول خصرى أحمل الزنار و أحمل المخلاة لا بل أحمل النور فلا تنأ عني لا تنأ عني

مسلم أنا و لكني نصراني و براهمي و زرادشتي توكلت عليك أيها الحق الأعلى

---

(١) — هذه هي الصوفية لعبد الرحمن الوكيل ٣٢

(٢) — التصوف بين الحق و الخلق لمحمد فهر شقفة ٥٩

فــلا تنأ عــني لا تنأ عــني

ليس لي سوى معبد واحد مسجد أو كنيسة أو بيت أصنام ووجهك الكريم فيــه غايــة نعمــتي فلا تنأ عــني لا تنأ عــني (١)

و لم يكتف كثير من المتصوفة على ادعاء الحب الالهي بأساليبهم الغريبة بل راحــوا يتلفظون بالعشق الالهي ! جاء في كتاب تلبيس ابليس : (قال السراج : و بلغني أن أبا الحسين النورى شهد عليه غلام الخليل أنه سمعه يقول : أنا أعشق الله عزوجل وهو يعشقني . فقال النورى : سمعت الله يقول : ((يحبهم و يحبونه)) و ليس العشــــق بأكثر من المحبة)

و قد قال الامام ابن الجوزى في الرد على ذلك :

(و هذا جهل من ثلاثة أوجــه : أحدها : من حيث الاسم فان العشق عند أهل اللغة لا يكون الا لما ينكح . و الثاني : أن صفات الله عزوجل منقولة فهو يحب و لا يقــال يعشق كما يقال يعلم و لا يقال يعرف . و الثالث : من أين له أن الله تعالى يحبه فهذه دعوى بلا دليل) (٢)

و راح المتصوفة أيضا يذكرون الخمرة و كؤوسها و العشق و مغامراته و يدعون ذلك حبا الهيا قال شاعرهم :

اسقني طــاب الصبــوح	مــا تــرى النجــم يلــوح
اسقني كــاســات راح	هــي لـــــلأرواح روح
غــني لــي بــاسم حبيــبي	فلــعــلــني أســتريــح

---

(١) ــ التصوف بين الحق و الخلق لمحمد فهر شقفة ٥٩

(٢) ــ تلبيس ابليس لابن الجوزى ١٧١

نحـن قـوم في سبيل ال لعشق نغـدو و نـروح

نحـن قـوم نكتـم الاراء و الـدمـع يبـوح (١)

و الخلاصة التي نخرج بها أن المتصوفة انحرفوا في حب الله عزوجل انحرافـات عديدة و تتلخص هذه الانحرافات :

أولا : اعتبروا أن الحب الالهي الحقيقي هو الذى يصل فيه الانسان الى مرحلـة ينخلع فيها عن صفاته البشرية و يتصف بالصفات الالهية و هذا يؤدى الى القول بالحلول و هو معتقد باطل بل هو الحلول بعينه و هو معتقد فاسد كفيل باخراج من يعتنقه من الاسـلام

ثانيا : قسم المتصوفة الحب الالهي الى قسمين حب العوام و حب الخواص و اعتقـدوا أن حب العوام هو الذى يتوصل فيه الانسان عن طريق طاعة الله و طاعة رسوله و أكـدوا بأن الحب الحقيقي هو الحب الصوفي الذى يصل فيه المتصوفة عن طريق مطالعة الروح كما يزعمون

و هذا مفهوم خاطىء لحب الله عزوجل و ذلك لأن الحب الحقيقي هو الذى يتوصل فيه الانسان عن طريق امتثال أوامر الله ورسوله و اجتناب نواهيهما و الاتيان بالفـرائض و الاكثار من النوافل أما الحب الذى يدعيه المتصوفة وهو الوصول الى حب الله بـد ون القيام بالأعمال الصالحة فهذا حب مزعوم وهو ادعاء فقط لا أساس له من الصحة و ليـس لديهم نص يؤيدهم على قولهم هذا

ثالثا : لقد تغنى المتصوفة بالغانيات و ادعوا أنهم حينما يتغنون بهن فانما يتغنون

---

(١) ـ العلم الشامخ للامام المقبلي ٣٧٧

بالله و صرحوا بأنهن مظهر من مظاهر الذات الالهية وقد ذكرنا من ذلك نماذج وهذا انحراف عقدى خطير يؤدى الى القول بالحلول بل هو الحلول بعينه و انحراف المتصوفة في الحب الالهي أدى بهم الى القول بالحلول و الذى سنتكلم عنه في المبحث القادم ان شاء الله

و ممن نقد مزاعم الصوفية و مسالكهم في مفهومهم المنحرف لحب الله شيخ الاسلام ابن تيمية فقد قال رحمه الله :(ولهذا وجد في المتأخرين من انبسط في دعوى المحبة حتى أخرجه ذلك الى نوع من الرعونة و الدعوى التي تنافي العبودية و تدخل العبد في نوع من الربوبية التي لا تصلح الا لله و يدعي أحدهم دعاوى تتجاوز حدود الأنبياء و المرسلين أو يطلبون من الله ما لا يصلح بكل وجه الا لله لا يصلح للأنبياء و المرسلين و هذا باب وقع فيه كثير من الشيوخ و سببه ضعف تحقيق العبودية التي بينتها الرسل و حررها الأمر و النهي الذى جاءوا به بل ضعف العقل الذى به يعرف العبد حقيقته و اذا ضعف العقل و قل العلم بالدين و في النفس محبته انبسطت النفس بحمقها في ذلك كما ينبسط الانسان في محبة الانسان مع حمقه و جهله و يقول أنا محب فلا أؤاخذ بما أفعله من أنواع يكون فيها عذران و جهل فهذا عين الضلال و هو شبيه بقول اليهود و النصارى((نحن أبناء الله و أحباؤه)) (٢)

و قال تعالى :((قل فلم يعذبكم بذنوبكم بل أنتم بشر ممن خلق يغفر لمن يشاء و يعذب من يشاء)) (٣) فان تعذيبه لهم بذنوبهم يقتضي أنهم غير محبوبين ولا منسوبين اليه بنسبة النبوة بل يقتضي أنهم مربوبون مخلوقون

---

(١) انظر ٣٠٦ — ٣٩٢

(٢) — المائدة آية ١٨

(٣) — المائدة آية ١٨

فمن كان الله يحبه استعمله فيما يحبه محبوبه لا يفعل ما يبغضه الحق و يسخطه من الكفر و الفسوق و العصيان و من فعل الكبائر و أصر عليها و لم يتب منها فان الله يبغض منه ذلك كما يحب منه ما يفعله من الخير اذ حبه للعبد بحسب ايمانه و تقواه و من ظن أن الذنوب لا تضره لكون الله يحبه مع اصراره عليها كان بمنزلة من زعم أن تناول السم لا يضره مع مداومته عليه و عدم تداويه منه بصحة مزاجه)(١)

و قال شيخ الاسلام أيضا : (وكثير من السالكين سلكوا في دعوى حب الله أنواعا من أمور الجهل بالدين اما من تعدى حدود الله و اما من تضييع حقوق الله و اما من ادعاء الدعاوى الباطلة التي لا حقيقة لها)(٢)

و قال أيضا : (وكثير ممن يدعي المحبة يخرج عن شريعته و سنته و يدعي من خيالات . . . . . حتى يظن أحدهم سقوط الأمر و تحليل الحرام له و غير ذلك مما فيه مخالفة شريعة الرسول و سنته و طاعته)(٣)

و قال شيخ الاسلام ابن تيمية أيضا رحمه الله متحدثا عن كلام بعض الصوفية في المحبة :

(و في كلام بعض الشيوخ : المحبة نار تحرق في القلب ما سوى مراد المحبوب

قال : أرادوا أن الكون كله قد أراد الله وجوده ، فظنوا أن كمال المحبة أن يحب العبد كل شيء حتى الكفر و الفسوق و العصيان ولا يمكن أحدا أن يحب كل موجود بل يحب ما يلائمه و ينفعه و يبغض ما ينافيه و يضره ولكن استفادوا بهذا اتباع أهوائهم فهم يحبون ما يهوونه كالصدور و الرئاسة و فضول المال و البدع المضلة زاعمين أن هذا من محبة الله ، و من محبة الله بغض ما يبغضه الله ورسوله و جهاد أهله بالنفس

---

(١)— الفتاوى الكبرى لشيخ الاسلام ابن تيمية ٥/ ١٩٨

(٢)— نفس المرجع ٥/ ١٩٩

(٣)— نفس المرجع ٥/ ٢٠٠

والمسال)(١)

و قال رحمه الله مقارنا بين الذين يحبون الله حقيقة و بين أدعياء المحبة كالمتصوفة و أمثالهم :

(فاتباع الشريعة و القيام بالجهاد من أعظم الفروق بين أهل محبة الله و أوليائه الذين يحبهم و يحبونه و بين من يدعي محبة الله ناظرا الى عموم ربوبيته أو متبعا لبعض البدع المخالفة لشريعته فان دعوى هذه المحبة لله من جنس دعوى اليهود و النصارى المحبة لله بل قد تكون دعوى هؤلاء شرا من دعوى اليهود والنصارى لما فيهم من النفاق الذين هم به في الدرك الأسفل من النار) (٢)

وقال شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله أيضا متحدثا عن المتصوفة الذين يدعون محبة الله مع مخالفة أوامره

(و كثير من المخطئين الذين اتبعوا أشياخا في الزهد و العبادة وقعوا في بعض ما وقع فيه النصارى من دعوى المحبة لله مع مخالفة شريعته و ترك المجاهدة في سبيله و نحو ذلك و يتمسكون في الدين الذى يتقربون به الى الله بنحو تمسك النصارى من الكلام المتشابه و الحكايات التي لا يعرف صدق قائلها و لو صدق لم يكن قائلها معصوما فيجعلون متبوعيهم شارعين لهم دينا ثم انهم يتنقصون العبودية و يدعون أن الخاصة يتعدونها كما يدعي النصارى في المسيح و يثبتون للخاصة من المشاركة في الله من جنس ما تثبته النصارى في المسيح و أمه)(٣)

و قال شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله متحدثا عن استدلال المتصوفة على محبة كل جميل بالحديث (ان الله جميل يحب الجمال الكبر بطر الحق و غمط الناس)(٤) :

---

(١)ـ الفتاوى الكبرى لشيخ الاسلام ابن تيمية ٥/ ٢٠٠

(٢)ـ نفس المرجع ٥/ ٢٠٠

(٣)ـ نفس المرجع ٥/ ٢٠١

(٤)ـ

(و هذا الحديث قد ضل قوم بما تأولوه عليه و آخرون رأوه معارضا لغيره من النصوص و لم يهتدوا للجمع

فالأولون قد يقولون كل مصنوع الرب جميل لقوله تعالى : ((الذى أحسن كل شيء خلقه)) (١) فنحب كل شيء و قد يستدلون بقول بعض الشيوخ : (المحبة نار تحرق في القلب كل ما سوى المحبوب) و المخلوقات كلها مرادة وهو ما يقوله قائلهم. فصرح باطلاق الجمال ، و أقل ما يصيب هؤلاء أنهم يتركون الغيرة لله و النهي عن المنكر و البغض في الله و الجهاد في سبيله و اقامة حدوده و هم في ذلك متناقضون اذ لا يتمكنون من الرضا بكل موجود فان المنكرات هي أمور مضرة لهم و لغيرهم و يبقى أحدهم مع طبعه و ذوقه و هواه ينكر ما يكره ذوقه دون ما لا يكره ذوقه و ينسلخون عن دين الله و ربما دخل أحدهم في الاتحاد و الحلول المطلق و منهم من يخص الحلول أو الاتحاد ببعض المخلوقات كالمسيح و علي بن أبي طالب أو غيرهم من المشايخ والملوك و المردان فيقولون بحلوله في الصور الجميلة و يعبدونها

و منهم من لا يرى ذلك لكن يتدين بحب الصور الجميلة من النساء الأجانب و المردان و غير ذلك و يرى هذا من الجمال الذى يحبه الله و يحبه هو و يلبس المحبة الطبيعية المحرمة بالمحبة الدينية و يجعل ما حرمه الله مما يقرب اليه ((واذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا و الله أمرنا بها قل ان الله لا يأمر بالفحشاء)) (٢)

---

(١) — سورة السجدة آية ٧

(٢) — الأعراف ٢٨ — الاستقامة لشيخ الاسلام ابن تيمية ١ / ٢٢٢ — ٢٢٥

المبحث الثاني : اعتقاد الصوفية بحلول الله في خلقه

وتحت هذا المبحث مطلبان :

المطلب الأول: ذكر النصوص عنهم التي تثبت قولهم بالحلول

المطلب الثاني : موقف أهل الاسلام من القائلين بالحلول

المطلب الأول ذكر النصوص التي تثبت قول الصوفية بالحلول

لقد وقع المتصوفة في انحرافات عقدية خطيرة تجاه الله عز و جل و ذلك نتيجة لاتباع أهوائهم و نبذهم لكتاب الله عز و جل و سنة رسوله محمد صلى الله عليه وسلم و زعمهم بان سلوك طريق الكتاب و السنة لمعرفة الله انما هو خاص للعوام فقط أما الخواص فينبغي أن يبحثوا عن الوصول الى معرفة الله بطريق أقصر من هذا الطريق و لذا وقع المتصوفة في هذه العقائد الالحادية الباطلة و من هذه العقائد الالحادية التي وقع فيها المتصوفة هي اعتقادهم بامكانية حلول الله في مخلوقاته و قد صرح بذلك كبار مشائخهم و كل من يقرأ في كتب المتصوفة قديما وحديثا سيجد بأن المتصوفة دائما يدندنون بهذه العقيدة و يعتبرونها هي الغاية التي يسعى أئمة التصوف للوصول اليها و يعتبرون ان الانسان اذا لم يصل الى هذه المرحلة فانه لم يصل الى معرفة الله حقيقة فعليه أن يسعى الى أن يصل الى مرحلة يحل فيه الله و حينئذ فقد تخلص من صفاته البشرية واتصف بالصفات الالهية و هذا سيتضح لنا في النصوص الآتية التي سأوردها عن أئمة التصوف الكبار .

النصوص التي تثبت قول الصوفية بالحلول

ان من أئمة التصوف الكبار الذين قالوا بالحلول و كتبوا عنه الكثير شعرا ونثرا الحلاج

واليك النصوص من أقواله التي تدل على أنه كان حلوليا

فقد نقل المنوفي عن أبي اسحاق ابراهيم بن عبد الكريم الحلواني و هو أقرب خـــدام الحلاج أنه سمع الحلاج يوما يدعو بعد أن أدى الصلاة بالدعاء التالي :

يا اله الآلهة و يا رب الأرباب و يا من لا تأخذه سنة ولا نوم رد الي نفسي لئلا يفتتن بي عبادك يا هو أنا و أنا هو لا فرق بين آنيتي وهويتك الا الحدث والقدم ثم رفع رأسه ونظر الي و ضحك في وجهي ضحكات ثم قال يا أبا اسحاق أما ترى أن ربي ضرب قدمه في حدثي حتى استهلك حدثي في قدمه فلم يبق لي صفة الا صفة القدم و نطق في تلـــك الصفة و الخلق كلهم أحداث ينطقون عن حدث ثم اذا نطقت عن القدم ينكرون علـــي و يشهدون بكفرى و يسعون الى قتلي و هم بذلك معذورون و بكل ما يفعلون مأجورون (١)

اذا نظرنا في النص السابق نجد أن الحلاج ادعى فيه بأنه لا فرق بينه وبين الله و أنه هو الله و الله هو الحلاج و يتضح لنا ذلك في قوله (يا هو أنا وأنا هو)

ثم ادعى الحلاج بأنه تجرد من صفاته البشرية الحادثة واتصف بالصفات الالهية لأنه حل فيه الله حسب زعمه و لذلك فهو يتكلم مع الناس كأنه الله و يخاطبهم كـأنه ربهم وهذا يتضح لنا في قوله (ثم قال يا أبا اسحاق أما ترى ان ربي ضرب قدمه في حدثي حتـــى استهلك حدثي في قدمه فلم يبق لي صفة الا صفة القدم و نطقي في تلك الصفة و الخلـــق كلهم أحداث ينطقون عن حدث ثم اذا نطقت عن القدم ينكرون علي ويشهدون بكفـــرى و يسعون الى قتلي)

وعلى كل حال ففي هذا النص قول الحلاج بالحلول واضح وصريح وليس فيه أى غمـوض .

ويقول الحلاج أيضا معبرا عن عقيدته الحلولية

---

(١)— جمهرة الأولياء للمنوفي ٢ / ١٧١

مزجت روحك في روحي كما تمزج الخمرة بالماء الزلال

فاذا مسك شيء مسني فاذا أنت أنا في كل حال (١)

ففي هذا النص يدعي الحلاج بأن روحه مزجت بروح الله و شبه هذا الخلط كما تختلط الخمرة بالماء و ذلك اذا اختلط الخمرة و الماء فانهما يصبحان شيئا واحدا فكذلك حلاج يدعي بأنه حل فيه الله مثل هذا الحلول و يدعي بأنه اذا مس أى شيء لله سبحانه و تعالى فقد مس الحلاج و ذلك لأنهما أصبحا شيئا واحدا ويدعي أخيرا بأن الله هو الحلاج في كل حال و هذا حلول واضح

ويقول الحلاج أيضا في صورة أوضح من ذلك و في أبيات شعرية طويلة

أنا من أهوى و من أهوى أنا ليس في المرآة شيء غيرنا

فدسها المنشد اذا أنشده نحن روحان حللنا بدنا

اثبت الشركة شركا واضحا كل من فرق فرقا بيننا

لا أنادي ولا أذكره ان ذكرى و ندائي يا أنا

يا سر سرى تدق حتى تخفى على وهم كل حي

و ظاهرا باطنا تجلى في كل شيء بكل شيء

ان اعتذارى اليك جهل و عظم شكي و فرط عني

يا جملة الكل لست غيرى فما اعتذارى اذن الي

أنا أنت بلا شك فسبحانك سبحاني

فتوحيدك توحيدى و عصيانك عصياني

أنا الحق والحق للحق حق لابس ذاته فما ثم فرق

---

(١) — ديوان الحلاج ٨٢

قد تجلت طوالع زهيرات يتشعشعن في لوامع برق

ما وحد الواحد من واحد اذ كل من وحده جاحده

توحيد من ينطق عن نعته عبارة أبطلها الواحد

توحيده اياه توحيده و نعت من ينعته لاحد (١)

اذا نظرنا في النص السابق نجد أن الحلاج صرح فيه بالحلول بكل وضوح ويتضح لنا ذلك من خلال أقوله التالية في النص السابق

أولا في قوله

(لا أناديه ولا أذكره ان ذكرى و ندائي يا أنا)

ففي هذا البيت يقول الحلاج انه لن ينادي الله سبحانه وتعالى ولا يذكره لأنه يقول ما الفائدة من ذكر الله و ندائه بعد أن حل فيه حسب زعمه و هو زعم باطل طبعا

ويظهر لنا أيضا في قوله

(و ظاهرا باطنا تجلى في كل شيء لكل شيء)

ففي هذا البيت يزعم الحلاج بأن الله ظهر في كل شيء موجود في هذا الكون و هذا حلول عام و يدعي أيضا بأنه ظهر لكل شيء موجود في هذا الكون و هو زعم باطل و لكن قصدنا نحن هنا هو الاثبات بأنه من القائلين بالحلول

و يظهر لنا أيضا في قوله :

(يا جملة الكل لست غيرى فما اعتذارى اذن اليي

أنا أنت بلا شك فسبحانك سبحاني)

---

(١) — أخبار الحلاج ج ٨٧ نقلا عن صفحة الصعوبة ١١١

اذا نظرنا في البيتين السابقين نجد أن الحلاج زعم بأن الله جملة كل شيء موجود في هذا الكون و أن الله ليس غيره و لذا لا فائدة من تقديم الاعتذار و التوبة اليه بعد أن أصبح الله سبحانه و تعالى حالا في الحلاج لأنهما أصبحا شيئا واحدا ثم يدعي بأنه الله بلا ريب و أن تسبيح الله هو تسبيحه بعينه لأنه يزعم بأنه لا فرق بينه و بين الله بعد حلوله فيه

و يقول الحلاج أيضا :

أدعوك بل أنت تدعوني فهل ... ناديت اياك أم ناجيت ايـاى

يـا كـل كلي و يا سمعي ويا بصرى ... يا جملتي و تباعيضي و أجزائـي (١)

اذا نظرنا في الأبيات السابقة نجد أن الحلاج صرح فيها بأنه حل فيه الله سبحانه و تعالى و يظهر لنا هذا في قوله :(يا كل كلي و يا سمعي ويا بصرى .. يا جملـتي و تباعيضي و أجزائي)

و النص واضح في أن الحلاج ادعى بأن الله كله و سمعه و بصره و جملته و تباعيضه و أجزاؤه و هذا هو القول بالحلول بعينه و لا يوجد وصف لحلول الله في مخلوقاته أكثر و أوضح من هذا

و يقول الحلاج :

اقتلـوني يا ثقاتي ان في قتلي حياتي ... و مماتي في حياتي و حياتي في مماتي

كفرت بدين الله و الكفر واجب لدى ... و عنـد المسلميـن قبيـح

للناس حج ولـي حج الى مسكني ... تهدى الأضاحي وأهدى مهجتي ودمي

اذا بلغ الصب الكمال من الهـوى ... و غاب عن المذكور في سطوة الذكـر

فيشهد صدقا حيث أشهده الهوى ... بأن صلاة العاشقين من الكـفر (٢)

---

(١)ـ ديوان الحلاج ٧

(٢)ـ ديوان الحلاج ٣٤

اذا نظرنا في الأبيات السابقة نجد انكار الحلاج لتوحيد الله عزوجل و عبادته في مختلف صورها حيث صرح كما هو واضح أمامنا بأنه قد كفر بدين الله بل لم يقف بالتصريح بهذا الكفر حيث قال بأن الكفر واجب عليه و ذلك لأن الكفر هو الايمان عنده و لو كان الكفر قبيح و غير مقبول عند المسلمين فهو لم يبالي بهذا و ذلك لأنه ليس منهم و خير شاهد على أنه ليس منهم الأبيات الآتية التي قالها بنفسه :

ألا أبلغ أحبائي بأني ركبت البحر و انكسر السفينة

على دين الصليب يكون موتي و لا البطحا أريد و لا المدينة(١)

اذا نظرنا في هذه الأبيات نرى بأن الحلاج صرح أن يجعل الله موته على الصليبية و أكد بأنه لا يريد البطحاء التي توجد بمكة و لا المدينة أيضا و ذلك لأن مكة و المدينة من الأماكن المقدسة عند المسلمين و هو قد تمنى أن يكون موته على دين الصليبيين النصارى

و يقول الحلاج أيضا مؤكدا بأن الله يظهر حالا في مخلوقاته :

سبحان من أظهر نا سوته سر مسني لاهوته الثاقب

حتى بدا في خلقه ظاهرا في صورة الآكل و الشارب(٢)

ففي البيتين السابقين صرح الحلاج كما نرى بأن الله يظهر في مخلوقاته في صورهم الأصلية و في طبيعتهم التي جبلوا عليها و هو الأكل و الشرب و غيرهما من الطباع التي فطر الله البشر عليها فالجميع قد حلت فيه الذات الالهية

و قال الدكتور نيكلسون مؤكدا تأثر الحلاج بالمسيحية :

(و الواقع الذى سندرك تفصيله أن كلمة : أنا الحق ، ليست شطحة جذب و انما

---

(١) — ديوان الحلاج ٨٥

(٢) — ديوان الحلاج ٣١

هي نظرية متكاملة في الالهيات و هي تؤكد ثنائية الطبيعة الالهية في اللاهـــوت و الناسوت و هما الاصطلاحان اللذان أخذهما الحلاج عن الفلسفة المسيحية عن طريق السريان اللذين استعملوهما للدلالة على طبيعة المسيح . من هنا نرى أنه كـــان امتدادا مسيحيا ضخما في الفلسفة الصوفية الاسلامية لأنه على الرغم من ايمانه بقـــدم النور المحمدى كما سنرى ، ذلك النور الذى انبثقت منه جميع أنوار النبوة الا أنه يجـد في عيسى عليه السلام المثال الكامل لفلسفة الولاية الصوفية التي تسموا على درجة النبي في الأنبياء و لأنه يجد فيه الانسان الذى وصل الى مقام القربى فحل فيه روح الله ومن هنا أراد الحلاج أن يعيشه و يحياه و يتحقق بحقيقته فالوحدة التي يدعوا اليها الحلاج اذن وحدة الشهود لا وحدة الوجود)(١)

و الانسان في نظر الحلاج هو في أصله و صفوة عنصره رباني فقد خلق الله آدم على صورته ثم أبرز من ذاته تلك الصورة من حبه الخالد حتى يرى نفسه كمن ينظر في مرآة مما يدل على أن الحلاج قال بما قال به المسيحيون بامكانية حلول الله في المخلوقات هذه التي تتواجد في هذا الكون و ان كان المسيحيون يؤمنون بحلول خاص أما الحلاج فهو يؤمن بحلول عام

و قال الدكتور عبد القادر محمود : (والحلاج في واقع مذهبه ينتمي لمذهـــب الخلاص المسيحي الذى يؤكد أنه لا سعادة الا في خلاص الروح من حجابه و هـــو الجسد ولهذا سعى لتحطيم هذا الحجاب و كل حجب أخرى من الشعائر التي تقف حاجزا بينها و بين حقيقتها المطلقة

و من هنا قال الحلاج :

---

(١)— الصوفية في الاسلام لنيكلسون ١٤٠

بيـــني و بينك أني ينازعـــني فارفـــع بفضلـــك اني من البيـــن)(١)

و قال نيكسون تعليقا على أبيات الحلاج :

أنا مـــن أهـــوى و مـــن أهوى أنـــا

(وهذا المذهب في التأله الشخصي على الشكل الخاص الذى طبعه به الحلا ج بينه و بين المذهب المسيحي الأساسي نسب واضح و لذا كان هذا المذهب عنـــد المسلمين كفرا من شر أنواع الكفر و قد قيض الله له أن يعيش دون تغيير فيه بين أتباعه الأقربين و الحلوليون و هم الذين يقولون بالتجسيد يستوى الصوفية على وجه العموم و أهل السنة في نبذهم أشد النبذ و التشنيع عليهم)(٢)

و من أقطاب الصوفية الذين قالوا بالحلول أبو يزيد البسطامي و اليك النصـــوص الدالة على هذا :

يقول البسطامي :(كنت اثنتي عشرة سنة حداد نفسي و خمس سنين كنت مرآة قلبي و سنة أنظر فيما بينهما فاذا في وسطي زنار فعملت على قطعه خمس سنين أنظر كيـف أقطعه فكشف لي فنظرت الى الخلق فرأيتهم موتى فكبرت عليهم أربع تكبيرات)

و قال أيضا :(منذ ثلاثين سنة كان الحق مرآتي فصرت اليوم مرآة نفسي لأني لست الآن من كنته و في قولي أنا و الحق انكار لتوحيد الحق لأني عدم محض فالحق تعالـى مرآة نفسه بل أنظر أن الحق مرآة نفسي لأنه هو الذى يتكلم بلساني أما أنا فقد فنيت)

و ذكر أن رجلا دق الباب على أبي يزيد فقال له : من تطلب؟ فقال : أطلب أبا يزيد

---

(١) ــ الفلسفة الصوفية في الاسلام للدكتور عبد القادر محمود ١٢٧

(٢) ــ الصوفية في الاسلام لنيكسون ١٤١

قال : سر ويحك فليس في الدار غير الله)(١)

و قد اعتبر البسطامي الى أن الاشارة من المشير شرك و أبعد الخلق من الله أكثرهم اشارة الى الله (٢)

و قال البسطامي أيضا : (رفعني الله مرة فأقامني بين يديه و قال لي : يا أبا يزيد ان خلقي يحبون أن يروك . فقلت : زيني بوحدانيتك و ألبسني أنانيتك و ارفعني الى أحديتك حتى اذا رآني خلقك قالوا رأيناك فتكون أنت ذاك و لا أكون أنا هنا)(٣)

اذا نظرنا في النصوص السابقة نجد أن البسطامي بالفعل قال بالحلول و يظهر لنا هذا في أقواله الآتية :

أولا : في قوله : (و في قولي أنا و الحق انكار لتوحيد الحق لأني عدم محض) فهنا في هذا النص اعتبر البسطامي قوله (أنا و الحق) انكار لتوحيد الله عزوجل و ذلك لأن هذا القول يفهم منه الثنائية أى أن هناك عبدا و ربا أما التوحيد الكامل في نظر الحلوليين كالبسطامي فهو أن يقول الانسان أنا فقط و ذلك لأنهم يعتقدون أن الله يحل في بعض مخلوقاته التي وصلت الى قمة معرفة الله حسب زعمهم و ان كان في الاسلام أن الانسان الذى يصل الى هذه المرحلة قد وصل الى قمة الالحاد

و يظهر لنا قول أبي يزيد أيضا بالحلول في قوله لمن أتى يطلبه و دق الباب عليه أنه قال له : (من تطلب؟ فقال : أطلب أبا يزيد. فقال له : سر ويحك فليس في الدار غير الله)

ففي هذا النص صرح أبو يزيد بأنه لا يوجد في دار أبي يزيد غير الله رغم أنه كان

---

(١)— الملحق بكتاب شطحات الصوفية للدكتور عبد الرحمن بدوى ٦٥

(٢)— تأريخ بغداد

(٣)— اللمع للطوسي ٤٦١

موجودا فيها و من هنا نقول ان أبا يزيد يعني بهذا أن الله قد حل فيه فليس هناك في داره غير الله أما شخصية أبا يزيد البشرية فقد محيت كما يزعم هو و ان كان هـذا كلام عار عن الصحه و محض افتراء قصد من وراءه تضليل عوام المسلمين و افساد عقيدتهم

و يظهر لنا أيضا قول أبي يزيد بالحلول في قوله (حتى اذا رآني خلقك قالوا رأيناك فتكون أنت ذاك و لا أكون أنا هنا) ففي هذا النص طلب أبو يزيد أن يرفعه الله الى أحديته بحيث اذا رأته المخلوقات في هذا الكون تصبح كأنها رأت الله و بالتالي هو والله سبحانه شيئا واحدا و هذا هو الحلول

و قد قال الطوسي و هو صوفي كبير و لكنه مع ذلك نطق بكلمة الحق و صرح بأن فرعون لم يقل ما قاله أبو يزيد البسطامي و اليك نص كلامه :

قال : (ان فرعون لم يقل ما قاله أبو يزيد رحمه الله لأن فرعون قال : أنا ربكم الأعلى ، و الرب يسمى به المخلوق فيقال رب بيت و رب مال و لكن أبا يزيد رحمه الله قال : سبحاني سبوح ، و سبحان اسم من أسماء الله لا يجوز أن يسمى به غير الله)(١)

و قال الدكتور عبد القادر محمود في كتابه الفلسفة الصوفية في الاسلام :

(و المهم البسطامي ما يقصد بالاتحاد الاتحاد بالله كاملا و الا انتفى معنى الاتحاد لأن هدف الشوق العارم هو أن يصير المحب و المحبوب شيئا واحدا سواء في الجوهر أو الفعل أى في الطبيعة و المشيئة و الفعل الصادر منها فتكون الاشارة الى الواحد عين الاشارة الى الآخر ثم تختفي الاشارة لانعدام المشير)(٢)

و قال الدكتور عبد الرحمن بدوى : (ان أحوال الوجد و طلب الاتحاد و السكر كلها توجد في أنواع التصوف الأخرى أما هذا التبادل في الأدوار بين العبد و الحق والاذن

---

(١) — اللمع للطوسي ٤٧٢

(٢) — الفلسفة الصوفية في الاسلام للدكتور عبد القادر محمود ٣١٥

له بالتعبير بصيغة المتكلم فهو الجديد حقا عند صوفية الاسلام

و يتبجح عبد الرحمن بدوى و لم يستح من هذا الهراء الصوفي السافل فيقول مؤيدا امكانية حلول الله في المخلوق ، قال : (و ان الشريعة اذا بالغت في التفريق بين الله و الانسان فعلى الحقيقة أن تأتي بعقيدة مضادة لما جاء به الرسول صلى الله عليه و سلم)(١)

و يعني الصوفية بالحقيقة العلوم الوهمية التي يدعي مشائخهم تلقيها عن الله كذبا و زورا

و اليك نص كلام هذا الكاتب الذى يؤيد عقيدة تخالف عقيدة الاسلام تماما حتى تكون الحجة واضحة حيث قال مفسرا نظرية الحلول عند المتصوفة :

(اذا كانت الشريعة قد جاءت بالغلو في الفارق بين الله و الانسان فلتأت الحقيقة و الطريقة بالغلو في التوحيد بين العبد و المعبود)(٢)

و يقول الدكتور عبد القادر محمود : (ان ظاهرة الشطح عند البسطامي و أمثاله لا نجد لها مجالا في الفلسفة الصوفية المسيحية و السبب أن فكرة التوسط تلعب منذ البداية دورها الخطير في التقريب بين الله و المخلوقات و التجسد هو أظهر تعبير عند هذا التوسط بحيث كان من العقائد التقليدية في المسيحية اتحاد اللاهوت بالناسوت في شخص السيد المسيح عليه السلام من هنا لم يكن للصوفي المسيحي أن يتطرق في ذاته في جانب الاتحاد لأن اتحاده دائما يجيء عن طريق وسيط هو السيد المسيح وفي الوقت نفسه حالت فكرة الوسيط دون قيام صلة مباشرة بين العبد و الرب بينما هي في الفلسفة الصوفية مباشره بين الله و العبد عن طريق الفناء لدى مدرسة البسطامي ومن

---

(١) ــ شطحات الصوفية لعبد الرحمن بدوى ١١

(٢) ــ شطحات الصوفية لعبد الرحمن بدوى ١١

تطـور في طريقـه)(١)

ثم قال الدكتور عبد القادر محمود :

(ونصل من هذا الى أن هذا النوع من التوحيد عبر الاتحاد الذى لا اشارة فيه ولا مشار ولا مشير هذا النوع من التوحيد يتلقاه الصوفي حال السكر وهو فناء الذات الخاصة في ذات الالوهية وأنه ما ثم الا الله فوجود العبد وجود الرب والعكس ومـن هنا ينسب للعبد ما نسب للرب)(٢)

ويقول الجرجاني : (والحالات التي تعبر عن الشطح بعيدة عن التفكير المنطقي لأنها تعيش بمعزل عن الشعور وهي في نظر أصحابها كما قلنا أسرار مقدسة فضـح أمرها وكشف عنها الحلاج فباح فصلب وقد طالب الشبلي بعدم البوح بالأسرار لأنـه وقد كان صديقا وتلميذا للحلاج وشاهد مصيره القاسي العنيف آثر أن يدعو الى عدم البوح طالبا للسلامة وقد صرح الشبلي بأنه جن جنونه حين جبن عن التصريح بمـا شاهد بينما عقل الحلاج بما أذاع مما كاشفه به الحق ومن هنا خلص الجنون الشبلـي وأهلك العقل الحلاج حيث قال الشبلي :(أنا والحلاج في شيء واحد خلصني جنوني وأهلكه عقله) (٣)

اذا نظرنا في هذا النص نجد أن الشبلي وهو صوفي كبير قد أقر بأن معتقده كـان مثل الحلاج تماما ولكن كتمه عن الناس خوفا من الاعدام لأنه رأى بأم عينيه مقتل الحلاج وكيف صار مصيره الى الانتقال عن هذه الدنيا نهائيا ولذا لا يستطيع الانسان أن يصدق أى صوفي بما يتظاهر به من تمسك بالشعائر الدينية لأنهم يظهرون خلاف ما يبطنـون

---

(١) ـ الفلسفة الصوفية في الاسلام للدكتور عبد القادر محمود ٣١٩

(٢) ـ نفس المرجع ٣١٩

(٣) ـ التعريفات للجرجاني

و هذه صفة قبيحة بل هي من شر الصفات التي يتصف بها الانسان لأنها صفة من صفات المنافقين التي يتميزون بها عن سائر الناس .

و من أئمة التصوف الذين قالوا بالحلول محمد عبد الجبار النفرى و النفرى هذا يعتبر من المتصوفة المبالغين و المغالين في القول بحلول الله في خلقه و النفرى يسمي أعلى درجات الفناء بكلمة "الواقفة" و يسمي الثاني بـ"الواقف" و يعتبر أن العارف اذا وصل الى أعلى درجة في الفناء انعدم كل تمايز بينه و بين الله

و لهذا نقول ان النفرى يقصد بالواقف المنقطع عن الطلب من الله لفنائه فيه حسب زعمه و مما يدل على هذا قوله الآتي :

(و اذا ذهبت الوقفة من عقله أضحى نورا كله فثناؤه على الله ثناؤه من الله على نفسه و معرفته هي عين معرفة الله الذى يرى نفسه واحدا كما كان من قبل) (١)

و يقول أيضا : (دخل الواقف كل بيت فما وسعه وشرب من كل مشرب فما روى فأفضى الي و أنا قراره و عندى موقفه) (٢)

و يقول الدكتور عبد القادر محمود في شرح هذا الكلام :

(معنى هذا أن الواقف أدرك الصفات الربانية فلم يقنع بالأسماء دون المسمى ولا بالصفات دون الموصوف و لكنه طلبه و تفكر في ذات الله فرآه بشخصه في ذاته فلا يدعو لأن الدعاء يكون من الانسان لله و ليس في الوقفة أحد و الواقف لا يدع وارثا وراءه عن الله .... لأن الواقف تجرد عن بشريته) (٣)

---

(١) — المواقف للنفرى ١٠ — ٤ ١ — د ١

(٢) — المواقف للنفرى ١٠ — ٤ ١ — ٥ ١

(٣) — الفلسفة الصوفية في الاسلام للدكتور عبد القادر محمود ٣١٣

و من أئمة التصوف الذين قالوا بالحلول عبيد الله أحرار النقشبندى حيث قال معبرا عن عقيدته الحلولية :

(فاذا تجلى الحق تعالى على قلبه " قلب السالك" بالتجلي القهرى يمحو منه الغير والسوا فلا يبقى فيه الا هو فلا جرم يسمع في هذا القلب : ((لمن الملك اليوم لله الواحد القهار)) و"سبحاني ما أعظم شأني" و " أنا الحق" و " هل في الدار غيرى")(١)

و من أقواله الدالة على أنه كان حلوليا أيضا الآتي :

(ان العارف من فنيت ذاته و صفاته في ذاته تعالى و صفاته فلم يبق له اسم ولا رسم)(٢)

اذا نظرنا في النصين السابقين نجد أن عبيد الله أحرار قد صرح بالحلول ويتضح لنا هذا جليا في النص الثاني بالذات في قوله : (ان العارف من فنيت ذاته و صفاته في ذاته تعالى و صفاته) حيث ان معنى هذا الكلام هو أن الانسان العارف حقيقة في المفهوم الصوفي هو من وصل الى مرحلة تفنى فيها ذاته و صفاته البشرية و تتحول الى صفات الهية بمعنى أنه يصل الى مرحلة يحل فيه الله و بالتالي يصبح الها و هذا هو الحلول بعينه فليس هناك تصريح بالحلول أكثر من هذا

و من القائلين بالحلول من الصوفية محمد بارسال و يدل على هذا قوله : (ان حقيقة الذكر عبارة عن تجليه سبحانه لذاته بذاته في عين العبد)(٣)

---

(١) ــ المذاهب السرمدية في مناقب النقشبندية ١٦٢

(٢) ــ الأنوار القدسية للشعراني ١٦٣

(٣) ــ الأنوار القدسية للشعراني ١٦٣

و يقصد بهذا أن الذاكر يصبح نفس المذكور و المذكور نفس الذاكر و ليس هناك قول بالحلول أكثر و أوضح من هذا حيث صرح بأن الله يتجلى بذاته في عين العبد و المعنى أن الله يحل في العبد بذاته و ما دام الله قد حل في العبد فليس هناك ذكر و ذاكر و مذكور فالكل أصبح شيئا واحدا و هذا حسب زعم المتصوفة الدجالين الذين تركوا كتاب الله وراء ظهورهم و أصبحوا يبحثون عن الهدى و الرشد خارج كتاب الله و سنة رسوله محمد صلى الله عليه وسلم فوقعوا في متاهات و اعتناق عقائد الحادية وثنية جاء الاسلام لمحاربتها فأحياها الصوفية من جديد في أوساط الأمة الاسلامية .

و من أئمة التصوف الذين قالوا بالحلول أبو الحسن الشاذلي شيخ الطريقة الشاذلية المعروفة (١)

و من الأدلة التي تثبت لنا بأنه كان حلوليا النص الآتي

حيث قال :(من أطاعني في كل شيء بهجرانه لكل شيء أطعته في كل شيء بأن أتجلى له في كل شيء حتى يراني أقرب اليه من كل شيء هذه هي طريق أولى وهي طريق السالكين ، و طريق كبرى من أطاعني في كل شيء باقباله على كل شيء لحسن ارادة مولاه

---

(١)— أبو الحسن الشاذلي هو عبد الله بن عبد الجبار الشاذلي بالشين والذال المعجمتين و شاذلة قرية في افريقيا الضرير الزاهد نزيل الاسكندرية و شيخ الطائفة الشاذلية و قد مات بصحراء عيذاب قاصدا الحج و قد وصفه كثير من الصوفية بأنه قطب الزمان و الحامل في وقته لواء أهل العيان حجة الصوفيه القطب الغوث ت ٦٥٦
الجامع . انظر ترجمته في طبقات الشعراني ٢/ ٤

في كل شيء أطمعته في كل شيء بأن أنجلي له في كل شيء حتى يراني كأني عين كل شيء) (١)

اذا نظرنا في النص السابق نجد أن الشاذلي يدندن حول القول بالحلول و كما هي عادة المتصوفة فقد حاول أن يلبس الأمر حتى لا يفهم منه القارىء بأن الشيخ يقول بالحلول لكن مع كل هذه المراوغة واللف والدوران فان قوله بالحلول واضح جدا و خاصة في قوله (بأن أنجلي له في كل شيء حتى يراني كأني عين كل شيء) فمن هذا النص نفهم بأن الرجل صرح بالفعل بالحلول حيث ان معنى هذا النص أن الله سبحانه و تعالى يظهر في كل شيء موجود في هذا الكون و هذا هو القول بالحلول بعينه و ليس هناك للتعبير عن الحلول عبارة أكثر وضوحا من هذا .

ومن أئمة التصوف الذين قالوا بالحلول لسان الدين الخطيب و اليك نص كلامه في هذا المجال

قال : المتصوفة في هذا المجال قسمان

١ــ قسم زعم أنه تلاشت رسومه و قسم تدرج في المراتب غير المكانية ولا الزمانية يبتغي القرب من الله حتى صح ان ذلك حقيقة العدم ، يعني أن خلق الله صفته فالأشياء سواء أفعاله و صفاته مع وجود الله عدم و انه تيقن وجود وجوده بادراكه و ادراكه بالله لا بذاته (٢)

ثم قال : والقسم الثاني و من زعم انه تلاشت رسومه و فنى عن وجوده ثم فنى عن فنائه و ادرك عند ذلك حقيقة ذاته و فنى من لم يكن و بقى من لم يزل (٣)

---

(١) ــ كتاب لطائف المنن لابن عطاء الله السكندرى ٨٩

(٢) ــ روضة التعريف بالحب الشريف ٢٠٢

(٣) ــ نفس المرجع ٢٠٤

اذا نظرنا في النصوص السابقة نجد بأن لسان الدين الخطيب قسم المتصوفة القائلين بالحلول الى قسمين

فالقسم الأول من المتصوفة هو الذى يزعم بأنه تتلاشى و تذهب صفاته الأصليـــــة البشرية نهائيا و بالتالي يكون مهيئا لحلول الله فيه

و أما القسم الثاني هو الذى يتقرب الى الله حتى يوقن بأنه عدم محض و أنه ما هـــو الا صفة من صفات الله خلق ليكون مظهـرا لذات الله سبحانه و تعالـى هذا هـــو مضمون الكلام الذى يدندن لسان الدين الخطيب حوله و لكن كما هو عادة المتصوفـــة فانهم يحبون المراوغة و اخفاء معتقدهم و استعمال الألغاز حتى لا يتعرضوا للنقد من قبل المسلمين و لكن مهما فعلوا فان معتقدهم و قولهم بالحلول واضح جدا لأنه ما من كتاب صوفي الا و تجد فيه الدندنة حول القول بعقيدة الحلول

المطلب الثاني : موقف أهل الاسلام من القائلين بالحلول :

بعد أن بينت ووضحت بأن المتصوفة قالوا بالفعل بحلول الله في خلقه و ذلك بايراد نصوص من بطون كتبهم و من مقالات مشائخهم الكبار و ألزمتهم بأن هذا المعتقد بالفعل قالوا به أحب أن أذكر موقف الاسلام من هذه العقيدة الالحادية التي جلبها المتصوفة من الأمم التي لا زالت تعبد الأوثان و الأصنام (١)

و اذا أردنا أن نبين موقف الاسلام من الحلول نقول باختصار ان من الأمور الضرورية التي يعتقدها أى مسلم هو أن الله سبحانه و تعالى مستوى على عرشه بائن عن خلقه ليس كمثله شيء و هو السميع البصير

اذا فالله سبحانه و تعالى لا يمكن أن يحل بحال من الأحوال في مخلوقاته بل هو الفرد الصمد الذى لم يلد و لم يولد و لم يكن له كفوا أحد و ان المتصوفة القائلين بالحلول ليس لهم أى أدلة يستندون عليها و انما قالوا هذا الكلام من مجرد أهوائهم و ان الاسلام برىء من هذه العقائد الباطلة و مما يدل على أن عقيدة الحلول ليست من الاسلام في شيء أقوال علماء الاسلام الآتية حيث وصفوا هذه العقيدة بأنها عقيدة دخيلة على الاسلام و أنها عقيدة الحادية و أن من يعتنقها ليس من الاسلام في شيء :

قال شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله :

(الحلول و الاتحاد أربعة أقسام

و اعلم أن هذه المقالات لا أعرفها لأحد من أمة قبل هؤلاء على هذا الوجه و لكن رأيت في بعض كتب الفلسفة المنقولة عن أرسطو أنه حكى عن بعض الفلاسفة قول ان الوجود واحد و رد ذلك و حسبك بمذهب لا يرضاه متكلمة الصابئين

و انما حدثت هذه المقالات بحدوث دولة التتار و انما كان الكفر الحلول العام أو

---

(١) - انظر ص ٣٠٦-٣٢٢

الاتحاد أو الحلول الخاص

و ذلك أن القسمة رباعية لأن من جعل الرب هو العبد حقيقة فاما أن يقول بحلوله فيه أو اتحاده به و على التقديرين فاما أن يجعل ذلك مختصا ببعض الخلق كالمسيح أو يجعله عاما لجميع الخلق فهذه أربعة أقسام

الأول : هو الحلول الخاص : و هو قول النسطورية من النصارى و نحوهم ممن يقول ان اللاهوت حل في الناسوت و تدرع به لحلول الماء في الاناء و هؤلاء حققوا كفر النصارى بسبب مخالطتهم للمسلمين و كان أولهم في زمن المأمون و هو قول من وافق هؤلاء النصارى من غالبية هذه الأمة كغالية الرافضة الذين يقولون انه حل بعلي بن أبي طالب و أئمة أهل بيته و غالبية النساك الذين يقولون بالحلول في الأولياء و من يعتقدون فيه الولاية أو بعضهم كالحلاج و يونس و الحاكم و غيرهم

و الثاني : هو الاتحاد الخاص: و هو قول يعقوبية النصارى و هم أخبث قولا و هم للسودان و القبط، يقولون ان اللاهوت و الناسوت اختلطا و امتزجا كاختلاط اللبن بالماء و هو قول من وافق هؤلاء من غالبية المنتسبين الى الاسلام

و الثالث : هو الحلول العام : و هو القول الذى ذكره أئمة أهل السنة و الحديث عن طائفة من الجهمية المتقدمين و هو قول غالب متعبدة الجهمية الذين يقولون ان الله بذاته في كل مكان و يتمسكون بمتشابه القرآن كقوله : ((و هو الله في السموات و في الأرض)) (١) و قوله : ((و هو معكم أينما كنتم)) (٢)

الرابع: الاتحاد العام : وهو قول هؤلاء الملاحدة الذين يزعمون أنه عين وجود

---

(١) ــ الأنعام آية ٣

(٢) ــ الحديد آية ٤

الكائنات و هؤلاء أكفر من اليهود و النصارى من وجهين :

الأول : من جهة ان أولئك قالوا ان الرب يتحد بعبده الذى قربه و اصطفاه بعد أن لم يكونا متحدين و هؤلاء يقولون ما زال الرب هو العبد و غيره من المخلوقات ليس هو غيره

و الثاني : من جهة ان أولئك خصوا ذلك بمن عظموه كالمسيح و هؤلاء جعلوا ذلك ساريا في الكلاب و الخنازير و القذر و الأوساخ و اذا كان الله تعالى قال : ((لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح بن مريم)) (١) فكيف بمن قال ان الله هو الكفار و المنافقون و الصبيان و المجانين و الأنجاس و الأنتان و كل شيء

و اذا كان الله قد رد قول اليهود و النصارى لما قالوا ((نحن أبناء الله وأحباؤه)) و قال لهم : ((فلم يعذبكم بذنوبكم بل أنتم بشر ممن خلق)) (٢) فكيف بمن يزعم أن اليهود و النصارى هم أعيان وجود الرب الخالق ليسوا غيره ولا سواه و لا يتصور أن يعذب الا نفسه ؟

و ان كل ناطق في الكون فهو عين السامع كما في قوله صلى الله عليه وسلم : (ان الله تجاوز عن أمتي عما حدثت به أنفسها) (٣) و ان الناكح عين المنكوح) (٤)

و قال شيخ الاسلام ابن تيمية أيضا :

(ان الاتحاد بين الخالق و المخلوق ممتنع لأن الخالق و المخلوق اذا اتحدا فاما أن يكونا بعد الاتحاد اثنين كما كانا قبله و هذا تعدد وليس اتحادا و اما أن

---

(١) — المائدة ١٨

(٢) — المائدة ١٨

(٣) — صحيح مسلم مع النووى ٢ / ١٤٦

(٤) — مجموعة الرسائل و المسائل لشيخ الاسلام ابن تيمية ٢٨ — ٣٠

يستحيلا الى شيء ثالث كما يتحد الماء واللبن والنار والحديد فيلزم أن يكون الخالق قد استحال وتبدلت حقيقته كسائر ما يتحد مع غيره وهذا ممتنع على الله اذ الاستحالة تقتضي عدم ما كان موجودا والله تعالى واجب الوجود بذاته وصفاته الملازمة له والتي هي كمال اذا عدمت كان ذلك نقصا يتنزه الله تعالى عنه)(١)

ويقول شيخ الاسلام ابن تيمية أيضا في معرض رده على الحلولية والاتحادية :

(وهؤلاء الحلولية والاتحادية منهم من يخصه بالصور الجميلة ويقول بمظاهر الجمال ومنهم من يقول بالاتحاد المطلق والحلول المطلق لكن هو يتخذ لنفسه من المظاهر ما يحبه فهو كما قال تعالى : ((أرأيت من اتخذ الهه هواه أفأنت تكون عليه وكيلا))(٢)

وقال تعالى : ((أرأيت من اتخذ الهه هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله أفلا تذكرون))(٣) . (٤)

وقال شيخ الاسلام ابن تيمية أيضا رحمه الله :

(وأما اتحاد ذات العبد بذات الرب بل اتحاد ذات عبد بذات عبد أو حلول حقيقة في حقيقة كحلول الماء في الوعاء فهذا باطل قطعا بل ذلك باطل في العبد مع العبد فانه لا تتحد ذاته بذاته ولا تحل ذات أحدهما في ذات الآخر وهذا هو الذي وقعت فيه الاتحادية والحلولية من النصارى وغيرهم من غالية هذه الأمة وغيرها وهو اتحاد متجدد بين ذاتين كانتا متميزتين فصارتا متحدتين أو حلول أحدهما في

---

(١) — الفتاوى الكبرى لشيخ الاسلام ابن تيمية ٢ / ٣٣٩

(٢) — الفرقان آية ٤٣

(٣) — الجاثية آية ٢٣

(٤) — كتاب الاستقامة لشيخ الاسلام ابن تيمية ٢ / ١٩٦

الأخرى فهذا بيّن البطلان

وأبطل منه قول من يقول ما زال واحدا وما ثم تعدد أصلا وانما التعدد في الحجاب فلما انكشف الأمر رأيت أني أنا وكل شيء هو الله سواء قال بالوحدة مطلقا أو بوحدة الوجود المطلق دون المعين أو بوحدة الوجود دون الأعيان الثابتة في العدم فهذا وما قبله مذاهب أهل الكفر والضلال) (١)

وقال الدكتور عبد القادر محمود متحدثا عن مذهب حلاج الحلولي ومؤكدا بأن حلاج أخذ هذا المعتقد الباطل من المسيحيين غير معتقدهم الصحيح بسبب تأثرهم بالفلسفات الوثنية التي كانت منتشرة وبمكيدة من اليهود شاءول

قال الدكتور: (والحلاج في واقع مذهبه ينتمي لمذهب الخلاص المسيحي الذى يؤكد أنه لا سعادة الا في خلاص الروح من حجابه وهو الجسد ولهذا سعى لتحطيم هذا الحجاب وكل حجب أخرى من الشعائر تقف حاجزا بينها وبين حقيقتها المطلقة(٢)

وتحدث الدكتور نيكلسون المستشرق الأوروبي أيضا عن علاقة مذهب الحلول الصوفي بالحلول المسيحي فأثبت العلاقة الوثنية بينهما فقال :

وهذا المذهب في التأله الشخصي على الشكل الخاص الذى طبعه به الحلاج بينه وبين المذهب المسيحي الأساسي نسب واضح ولذا كان هذا المذهب عند المسلمين كفرا من شر أنواع الكفر

وقد قيض الله له أن يعيش دون تغيير فيه بين أتباعه الأقربين والحلوليون وهم الذين يقولون بالتجسيد) (٣)

---

(١) — مجموع فتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية ٢ / ٤٣٥

(٢) — الفلسفة الصوفية في الاسلام للدكتور عبد القادر محمود ٣٥٥

(٣) — الصوفية في الاسلام لنيكلسون ١٤١

و قال أنور الجندى :

(والحقيقة ان القول بالاتحاد بين الخالق و المخلوق يأباه العقل الذى سلم من الشبهات و يدل دلالة واضحة على أنها باطلة لأن أى انسان تسمح له نفسه أن يدعى بأنه حل به الاله و صار مع الله وحدة واحدة ولا يمكن أن يخرج مثل هذا الادعاء الباطل من انسان له عقل سليم أو به ذرة من ايمان) (١)

---

(١) — المؤامرة على الاسلام لأنور الجندى ٢ د

والخلاصة التي نخرج بها من هذا المطلب أن القول بحلول الله فيمن اصطفاهم الله في مخلوقاته أو حلوله المطلق في كل ما في هذا الكون قول غير صحيح بل هو كذب محض أتى به المتصوفة من عند أنفسهم أو أخذوه من الوثنية القديمة وأن الاسلام برىء من عقيدة حلول الله في مخلوقاته لأنها عقيدة الحادية وقد جاء الاسلام لمحاربة الالحاد والكفر والشرك ونشر توحيد الله في هذه المعمورة بين العباد من توحيد الربوبية والألوهية وتوحيد الأسماء والصفات وأن الله مستو على عرشه بائن من خلقه ولا يمكن بأى شكل من الأشكال أن يحل في شيء من الأشياء الموجودة في هذا الكون لأنه خالقها وهي مخلوقة ولا يمكن أن يحل الخالق بالمخلوق نهائيا

وبما أن بعض غلاة المتصوفة بالفعل وقعوا في القول بحلول الله كما سبق ذكره فان الاسلام يعتبر ذلك منهم انحرافا عقديا خطيرا كفيلا باخراج صاحبه من الاسلام نهائيا وقد ذكرت ذلك عن طائفة من علماء الاسلام في هذا المطلب

الباب الثالث : انحرافاتهم في الرسول صلى الله عليه وسلم و الخضر عليه السلام

و الأولياء رحمهم الله :

و تحته ثلاثة فصول :

الفصل الأول : انحرافاتهم في الرسول صلى الله عليه وسلم

الفصل الثاني : انحرافاتهم في الخضر عليه السلام

الفصل الثالث : انحرافاتهم تجاه الأولياء

الفصل الأول : انحرافاتهم في الرسول صلى الله عليه وسلم :

و تحته ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : انحرافاتهم في مبدأ خلقه و المادة التي خلق منها :

و تحته ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : اعتقادهم بأن الرسول صلى الله عليه وسلم أول مخلوق و أنه خلق من نور

المطلب الثاني : اعتقادهم بأن الكون خلق من نور محمد صلى الله عليه وسلم

المطلب الثالث : اعتقادهم بأن الكون خلق من أجل محمد صلى الله عليه وسلم و أن جميع العلوم جزء من علمه حتى علم اللوح و القلم

المبحث الثاني : اعتقاد الصوفية بجواز التوجه الى الرسول صلى الله عليه وسلم بالدعاء و الاستغاثة و شبههم و مناقشتها و حكم التوجه الى الرسول صلى الله عليه و سلم بالدعاء و الاستغاثة :

و تحته ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : ذكر النصوص عنهم التي تدل على أنهم يتوجهون الى الرسول صلى الله عليه وسلم بالدعاء و الاستغاثة

المطلب الثاني : أهم الشبه التي يوردها الصوفية لتجويز دعاء الرسول صلى الله عليه و سلم و الاستغاثة به و مناقشتها

المطلب الثالث : حكم التوجه الى الرسول صلى الله عليه وسلم بالدعاء و الاستغاثة

المبحث الأول : انحرافهم في مبدأ خلقه و المادة التي خلق منها :

و تحته ثلاثة مطالب:

المطلب الأول : اعتقادهم بأن الرسول أول مخلوق و أنه خلق من نور

المطلب الثاني : اعتقادهم بأن الكون خلق من نور محمد صلى الله عليه وسلم

المطلب الثالث : اعتقادهم بأن الكون خلق من أجل محمد و أن جميع العلوم جزء من علمه

المبحث الأول : انحرافهم في مبدأ خلقه و المادة التي خلق منها :

تمهيـــد :

لقد انحرف المتصوفة تجاه الرسول محمد صلى الله عليه وسلم انحرافا خطيرا حتى تجاوزوا به المنزلة التي أنزله الله فيها فادعوا بأنه أول مخلوق و أنه مخلوق من نـــور و أن جميع ما في هذا الكون تفرع عنه بعد ذلك و أن جميع علوم الرسل الذين أرسلوا من قبله فاضت عليهم من علمه بل ادعوا بأن علم اللوح و القلم جزء من علمه صلى اللـــه عليه و سلم و أن الدنيا و ما فيها و الآخرة و ما فيها من جوده صلى الله عليه و سلم

المطلب الأول : اعتقادهم بأن الرسول أول مخلوق و أنه مخلوق من نور :

لقد انحرف الصوفية في الزمن الذى خلق فيه الرسول محمد صلى الله عليه و سلم و في المادة التي خلق منها فادعوا بأنه أول مخلوق و أنه مخلوق من نور و أن جميع مخلوقات الله تفرعت عنه و اليك النصوص التي تثبت هذا من بطون كتبهم

أولا: ذكر النصوص التي تثبت معتقدهم هذا :

فمن الصوفية الذين قالوا بأن محمدا أول مخلوق محيي الدين بن عربي الذى يسميه الصوفية الشيخ الأكبر و الكبريت الأحمر و يعتبرونه العلامة الذى لا يساويه أحد في معرفة الله عزوجل حسب زعمهم و الا فما أبعده عن معرفة الله

فقد قال متحدثا عن بدء العالم :

(بدء العالم و مثاله الهباء و الحقيقة المحمدية :

كان الله و لا شيء معه ثم أدرج فيه أى في هذا الحديث و هو الآن على ما عليه كان لم يرجع اليه سبحانه من ايجاده العالم صفة لم يكن عليها بل كان موصوفا لنفسه و مسمى قبل خلقه بالأسماء التي يدعوه بها خلقه فلما أراد تعالى وجود العالم و بدأه على ما علمه بعلمه بنفسه انفصل عن تلك الارادة المقدسة بضرب تجلى من تجليات التنزيه الى الحقيقة الكلية نقول انفصل عنها حقيقة تسمى الهباء هي بمنزلة طرح البناء الجص ليفتح فيها ما شاء من الأشكال و الصور و هذا هو أول موجود في العالم . . . . . ثم انه سبحانه تجلى بنوره الى ذلك الهباء و يسميه أصحاب الأفكار الهيولي الكل و العالم كله فيه القوة و الصلاحية فقبل منه كل شيء في ذلك الهباء على حسب قوته و استعداده كما تقبل زوايا البيت نور السراج و على قدر قربه من ذلك يشتد ضوءه و قبوله

قال تعالى : ((مثل نوره كمشكاة فيها مصباح)) فشبه نوره بالمصباح فلم يكن أقرب اليه تعالى قبولا في ذلك الهباء الا حقيقة محمد صلى الله عليه وسلم المسماة بالعقل فكان سيد العالم بأسره و أول ظاهر في الوجود فكان وجوده من ذلك النور الالهي و من الهباء و من الحقيقة الكلية و في الهباء وجد عينه و عين العالم من تجليه و أقرب الناس اليه علي بن أبي طالب و أسرار الأنبياء)(١)

و الشاهد في النص هو تصريح ابن عربي بأن محمدا أول من ظهر في هذا الوجود و أنه وجد من نور الله و أن هذا العالم وجد من نور الرسول محمد صلى الله عليه وسلم وهذا كذب و افتراء على الله من ابن عربي فان محمدا ليس بأول موجود ولا هو موجود من نور و بما أننا نريد أولا ايراد الأدلة من بطون كتبهم لاثبات معتقدهم هذا ثم سنتبعه بالرد عليهم و ابطال معتقدهم فلنترك الرد لحينه و لنأت بجملة من الأدلة عنهم

و من المتصوفة الذين قالوا بأن محمدا أول مخلوق عبد الكريم الجيلي و اليك نص عبارته حيث قال :

(ان العقل المنسوب الى محمد صلى الله عليه و سلم خلق الله جبريل منه في الأزل فكان محمد صلى الله عليه وسلم أبا لجبريل و أصلا لجميع العالم و سمي العقل الأول بالروح الأمين لأنه خزانة علم الله و أمينه و يسمى بهذا الاسم جبريل من تسمية الفرع باسم أصله . . . .)(٢)

---

(١) — الفتوحات المكية لابن عربي ٢ / ٢٢٦ — ٢٢٧

(٢) — الانسان الكامل ٢ / ٢٩

ثم قال : (لما خلق الله سبحانه و تعالى العالم جميعه من نور محمد صلى الله عليه وسلم كان المحل المخلوق منه اسرافيل قلب محمد صلى الله عليه وسلم) (١)

و قال أخيرا : (اعلم أن الانسان الكامل " الحقيقة المحمدية" هو الذى يستحق الأسماء الذاتية و الصفات الالهية استحقاق الأصالة و الملك بحكم المقتضى الذاتي) (٢)

فهذه النصوص التي أوردتها عن الجيلي تدل دلالة صريحة بأن المتصوفة يعتقدون بأن محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم أول موجود و أصل لجميع ما في هذا العالم من انسان و جن و حيوان و ملائكة و غيرها من مخلوقات الله و هذا طبعا معتقد باطل جاء به المتصوفة من الديانات الوثنية أما الاسلام فبرىء من هذا المعتقد الوثني فالرسول صلى الله عليه وسلم ليس أول مخلوق و لا مخلوق من نور و لا هو أصل للعالم بل هو بشر مثلنا فضله الله بالرسالة و الا فتأريخ ميلاده معروف وهو مولود من أم و أب قرشيين معروفين و على هذا فدعوى الصوفية هذه ما هي الا هراء و كذب و دجل قصدوا من ورائها افساد عقائد المسلمين

و من المتصوفة الذين قالوا بأن محمدا أصل الوجود محمد البكرى (٣) و يظهر

---

(١) ــ الانسان الكامل ٢ /

(٢) ــ الانسان الكامل ٢ / ٧٧

(٣) ــ قال عنه الشعراني : هو الامام العامل الراسخ في العلوم اللدنية و المنح المحمدية الكامل ابن الكامل سيدى محمد البكرى . . . و قد أعطاه الله التكلم على أحوال السموات و الأرض نقلا و كشفا و يقينا لا ظنا و تخمينا درى و أفتى في علم الظاهر و الباطن . قلت : وهذا مجرد زعم فقط لأن علم الغيب خاص بالله سبحانه و ليس عندنا علمان باطن و ظاهر بل العلم الذى عندنا هو العلم الظاهر الواضح ألا وهو كتاب الله و سنة رسوله محمد . الطبقات الكبرى للشعراني ١٢٣

لنا معتقده هذا في الصلاة التي ابتدعها من عند نفسه ليصلي بها المتصوفة على محمد رسول الله صلى الله عليه و سلم حيث قال :

(اللهم صل و سلم و بارك على من تشرفت به جميع الأكوان و صل و سلم و بارك على سيدنا محمد الذى أظهرت به معالم الفرقان و صل و سلم و بارك على عين الأعيان و السبب في وجود كل انسان)(١)

و الشاهد في هذا النص أن البكرى قال ان محمدا رسول الله عليه هو عين لجميع الأعيان أى هو الأصل لجميع ما في هذا الكون وهو السبب في وجود كل انسان موجود في هذه الحياة

و نحن نقول هذا معتقد باطل مخالف للمعتقد الذى جاء به محمد بن عبد الله عليه الصلاة و السلام فان محمدا صلى الله عليه وسلم ليس بأصل لجميع ما في هذا الكون بل الأشياء الموجودة في هذا الكون كل منها له أصل مستقل فالبشر أصلهم من تراب و الملائكة من نور و الجن من نار كما ذكر الله ذلك في كتابه

و بالاضافة الى ذلك فالرسول محمد صلى الله عليه وسلم لم يتجاوز منذ خلقه الله أربعة عشر قرنا و العالم كان قبله موجودا فكلام المتصوفة باطل عقلا و نقلا و تأريخا

و يقول محمد البكرى متحدثا عن الحقيقة المحمدية :

قبضة النور من قديم أرتنا ... في جميع الشئون قبضا و بسطا

و هي أصل لكل أصل تبدى ... بسطت فضلها على الكون بسطا

و هي وتر قد أظهرت عدد الشفع ... بعلم فجل حصرا و ضبطا

ولدت شكلها فأنتج شكلا ... بشريا أقام للعدل قسطا

و هو عبد قد حررته لديها ... بيديها وكم أفاد و أعطى

---

(١) — مجموع الأوراد الكبير ٢٥

هي ناسوت انسنا و الهبولا شمس سر الوجود بكرا وشمطا

كل والكل منه و عليه مبناه ما اختل شرطا (١)

فالأبيات السابقة قد قرر فيها البكري بأن محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم أصل لكل الأشياء التي ظهرت في هذا الوجود و أن حقيقة الرسول مركبة من الانسانية والالهية و أن كل شيء موجود في هذه الحياة من الرسول صلى الله عليه وسلم و أن الرسول خلق من قبضة نورانية

و هذه كلها اعتقادات باطلة مناقضة للعقيدة الصحيحة التي جاء بها الرسول صلى الله عليه وسلم

فالرسول صلى الله عليه وسلم ليس أصلا لهذا الكون و لا هو مخلوق من نور ولا هو مركب من الانسانية و الالهية بل هو بشر خالص كما قال تعالى ((قل انما أنا بشر مثلكم يوحى الي أنما الهكم اله واحد فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا)) (٢)

ومن المتصوفة الذين قالوا بأن محمدا رسول الله صلى الله عليه و سلم أصل الوجود ابن مشيش و يظهر معتقد هذا الرجل من خلال الصلاة التي اخترعها و ابتدعها من عند نفسه ليصلي بها على الرسول محمد صلى الله عليه و سلم و يصلي بها كل من انضوى تحت طريقته و يتلوها صباحا و مساءا

واليك هذه الصلاة

---

(١) — أوراد البكري ٧٤ نقلا عن التصوف لشقفة ٢٨

(٢) — الكهف آية ١١٠

(اللهم صلي على من منه انشقت الأسرار و انفلقت الأنوار و فيه ارتقت الحقائـــق و تنزلت علوم آدم فأعجز الخلائق و له تضاءلت الفهوم فلم يدرك منا سابق ولا لاحق فرياض الملكوت بزهر جماله مونقة و حياض الجبروت بفيض أنواره متدفقة ولا شيء الا وهـو به منوط اذ لولا الواسطة لذهب كما قيل الموسوط)(١)

ففي هذه الصلاة صرح ابن مشيش بأن جميع الأسرار انشقت من الرسول صلى الله عليه وسلم و أن جميع الأنوار انفلقت منه أيضا و أن رياض الملكوت بجماله مونقـة و أن أنوار الرسول تتدفق على كل ما في هذا الوجود و أن كل شيء في هذا الوجود متعلق بهذا النور و هذا معتقد باطل مخالف لما في الكتاب و السنة فالرسول صلى الله عليه و سلم ليس محلا لجميع الأسرار الالهية و لا هو نور حتى تتوزع منه الأنوار و ليست جميع الأشياء معلقة به كما يدعي ابن مشيش بل هو مخلوق كغيره فضله الله بالرسالة الخاتمة و جعله خير الخليقة كلها و مع ذلك فهو عبد من عباد الله تعالى

و لكن نعم نقول ان الرسول جاء بالنور من عند الله و هو كتاب الله و سنته صلى الله عليه و سلم .

و من المتصوفة الذين قالوا بأن محمدا أصل الوجود و أول موجود عبد المنعـــم الحلواني و يظهر لنـا ذلك في قصيدته التي سماها المستجيرة حيث قال فيها :

---

(١) — مجموع الأوراد للبكرى ص ٢٢

أنشاك نورا ساطعا قبل الورى فرد الفرد و البرية في العدم

ثم استمد جميع مخلوقاته من نورك السامي فيا عظم الكرم (١)

ففي البيتين السابقين صرح الحلواني بأن الرسول خلق من نور و أنه سبق جميع ما في هذا الكون في الخلق ثم خلق جميع ما في هذا الكون من نور الرسول محمد صلى الله عليه وسلم و هذا معتقد باطل لا أساس له من الصحة لا شرعا و لا عقلا بل هو غلو محض و اتباع للهوى فقط قصد من ورائه افساد عقائد المسلمين و نشر العقائد الوثنية في أوساطهم .

و من المتصوفة الذين قالوا بأن محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم أصل لجميع ما في هذا الكون الرفاعي و يتضح لنا معتقده هذا من خلال صلاته التي ابتدعها و اخترعها من عند نفسه ليصل بها على الرسول صلى الله عليه وسلم و اليك نص كلامه فقد قال :

(اللهم صل و سلم على نورك الأسبق و صراطك المحقق من أبرزته رحمة شاملة لوجودك و أكرمته بشهودك و اصطفيته لنبوتك و رسالتك و أرسلته بشيرا و نذيرا و داعيا اليك باذنك و سراجا منيرا نقطة مركز بهاء الدائرة الأولية و سر أسرار الألف القطبية الذى فتقت به رتق الوجود و خصصته بأشرف المقامات لمواهب الامتنان و المقام المحمود و أقسمت بحياته في كلامك المشهود لأهل الكشف و الشهود فهو سرك القديم السارى و ماء جوهر الجوهرية الجارى الذى أحييت به الموجودات من معدن و حيوان و نبات فهو قلب القلوب و روح الأرواح و علم الكلمات الطيبات القلم الأعلى و العرش المحيط

---

(١) — رسالة لأحمد عبد المنعم الحلواني ١٤ نقلا عن التصوف للشقفة ٨٥

روح جسد الكونين و برزخ البحرين و ثاني اثنين و فخر الكونين أبو القاسم سيدنا محمد ابن عبد الله بن عبد المطلب عبدك و نبيك و رسولك النبي الأمي و على آله و صحبه وسلم تسليما بقدر عظمة ذاتك في كل وقت و حين سبحان ربك رب العزة عما يصفون و سلام على المرسلين و الحمد لله رب العالمين) (١)

ففي هذه الصلاة صرح الرفاعي بأن الرسول صلى الله عليه وسلم نور الله السابق لجميع ما في هذا الكون ووصفه بأنه سر الله القديم و أن الله قد أحيا بمحمد الموجودات كلها من معادن و حيوانات و نباتات وعلى هذا يعتبر الرفاعي بأن محمدا أول الموجودات ثم أحيا الله به الموجودات الأخرى الموجودة في هذا الكون

و طبعا هذا اعتقاد فاسد و باطل مخالف لما جاء في الكتاب و السنة لأن الله عزوجل وصف رسوله في كتابه بأنه بشر مثلنا فقال تعالى : ((قل انما أنا بشر مثلكم يوحى الي انما الهكم اله واحد فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا و لا يشرك بعبادة ربه أحدا)) (٢) .

و من المتصوفة الذين قالوا بأن أصل الوجود محمد بن عبد الله عليه أفضل الصلاة و التسليم أحمد الدردير (٣) و يظهر لنا معتقده هذا من خلال صلاته التي ابتدعها

---

(١) — مجموع الأوراد و الأدعية و الاستغاثات للبكرى ص ١٦٤

(٢) — الكهف ١١٠

(٣) — هو أحمد بن محمد بن أحمد الخلوتي الظهير بالدردير أبو البركات فقيه أصولي تولى مشيخة الطريقة الخلوتية و توفي بالقاهرة و من تصانيفه تحفة الاخوان في آداب أهل العرفان في التصوف . معجم المؤلفين لكحالة ٢ / ٦٧

من عند نفسه ليصل بها على الرسول صلى الله عليه وسلم حيث قال :

(اللهم اجعل أفضل صلواتك أبدا و أنمى بركاتك سرمدا و أزكى تحياتك فضلا و عددا على أشرف الخلائق الانسانية و مجمع الحقائق الائمانية و طور التجليات الاحسانية و مهبط الأسرار الرحمانية واسطة عقد النبيين و مقدم جيش المرسلين و قائد ركب الأنبياء المكرمين و أفضل الخلق أجمعين حامل لواء العز الأعلى و مالك أزمة المجد الأسنى شاهد أسرار الأزل و شاهد أنوار السوابق الأول و ترجمان لسان القدم و منبع العلم و الحلم و الحكم سر الجود الجزئي و الكلي و انسان عين الوجود العلوى و السفلي روح جسد الكونين و عين حياة الدارين . . . .) الى أن قال :

(اللهم صلي و سلم و بارك على سيدنا محمد شجرة الأصل النورانية و لمعة القبضة الرحمانية و أفضل الخليقة الانسانية و أشرف الصور الجسمانية و معدن الأسرار الربانية و خزائن العلوم الاصطفائية صاحب القبضة الأصلية و البهجة السنية و المرتبة العلية من اندرج النبيون تحت لوائه فهم منه و اليه)(١)

فالصلاة الدردير ية نلاحظ فيها أولا وصف الرسول صلى الله عليه و سلم بأنه يعلم أسرار الأزل و أن حياة الدارين و هما الدنيا و الآخرة هما عينه و أن محمدا الأصل للشجرة النورانية و أنه خلق من قبضة النورانية و هذا قول جميع الصوفية حيث يعتقدون بأن الله تعالى قبض قبضة من نوره فقال لها كوني محمد بن عبد الله فكانت ووصفه أيضا بأنه معدن أسرار الله و خزائن لعلوم الله

و هذا اعتقاد فاسد فالرسول صلى الله عليه وسلم لا يعلم من أسرار الله تعالى الا بقدر ما علمه الله سبحانه و تعالى عن طريق الوحي و ليس محمد حياة الدارين بل

---

(١) — مجموع الأوراد للبكرى ص ١٦ — ٢١

مخلوق بشرى فضله الله بالرسالة و ليس مخلوقا من قبضة نورانية بل هو مخلوق من نطفة كما يخلق غيره من البشر قال تعالى : ((انا خلقنا الانسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعا بصيرا)) (١)

و لا يحط هذا من منزلته فهو أفضل جميع المخلوقات على الاطلاق و أمته أفضل الأمم و له خصائص يختص بها دون غيره من الأنبياء كما سنذكرها في حينها ان شاء الله ,

و يعتقد المتصوفة بأن النور المحمدى كان ينتقل من أصلاب أجداده الطاهرين الى أرحام جداته الطاهرات الى أن وصل أباه و أمه الطاهرين صلى الله عليه وسلم

و قد ذكر النبهاني القصة التالية عن كعب الأحبار حيث قال : (روى عن كعب الأحبار قال : لما أراد الجليل جل جلاله أن يخلق محمدا صلى الله عليه وسلم أمر جبريل عليه السلام أن يأتيه بالطينة البيضاء التي هي قلب الأرض و بهاء الأرض و نور الأرض ، قال : فهبط جبريل عليه السلام في ملائكة الفردوس و ملائكة الرفيع الأعلى فقبض قبضة رسول الله صلى الله عليه وسلم من موضع قبره و هي يومئذ بيضاء فعجنت بماء النسيم و جعلت كالدرة البيضاء و غمست في كل أنهار الجنة و طيف بها في السماوات و الأرض و البحار فعرفت الملائكة محمدا قبل أن تعرف آدم عليه السلام و فضله فلما خلق آدم عليه السلام سمع من تخطيط أسارير وجهه نشيشا كنشيش الطير فقال : سبحانك ما هذا ؟ قال الله عزوجل : يا آدم هذا تسبيح خاتم النبيين و سيد ولدك من المرسلين . قال : فكان نور محمد صلى الله عليه وسلم يرى في دائرة غرة آدم عليه السلام كالشمس في دوران فلكها و كالقمر في دجور ليلة ظلماء و قال الله لآدم عليه السلام : خذه — يعني النور النبوى — بعهدى

---

(١) — الانسان آية ٢

و ميثاقي على أن لا تودعه الا في الأصلاب الطاهرة و المحصنات الزاهرة . قال : نعم يا الهي و سيدى قد أخذته بعهدك على أن لا أدعه الا في المطهرين من الرجال و المحصنات من النساء . قال : و كانت الملائكة يقفون صفوفا خلفي فقال الله سبحانه و تعالى : ينظرون الى نور خاتم الأنبياء الذى أخرجه من ظهرك . قال : رب أرنيه . فأراه الله تعالى اياه عليه السلام فآمن به و صلى عليه مشيرا باصبعه)(١)

فهذه القصة التي أوردها النبهاني عن كعب الأحبار فيها عدة ملاحظات :

الملاحظة الأولى : قوله ان الله أمر جبريل أن يأتي بالطينة البيضاء ليخلق منها محمدا صلى الله عليه وسلم و هذا افتراء على الله تعالى بغير برهان و ذلك لأن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يخلق من طين و انما خلق من نطفة كما يخلق غيره من البشر و على هذا تعتبر هذه فرية منه لأنها تصطدم مع حقيقة أثبتها القرآن الكريم

الملاحظة الثانية : قوله ان الملائكة عرفت محمدا قبل أن تعرف آدم وهذه أيضا فرية ثانية لأن آدم عليه السلام خلق قبل محمد صلى الله عليه وسلم و ذلك لأن آدم جد جميع البشرية و محمد من ذرية آدم عليه السلام كسائر البشر و لا يمكن أن يولد الفرع قبل الأصل كما هو الواقع في القدر و الشرع و العقل و الفطرة

و كذلك الملائكة ما كانت تعرف البشر قبل خلق آدم عليه السلام و لذلك قالت الملائكة كما حكى الله لنا قصتهم حينما أخبرهم بخلق آدم عليه السلام :((و اذ قال ربك للملائكة اني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها و يسفك الدماء و نحن نسبح بحمدك و نقدس لك قال اني أعلم ما لا تعلمون . و علم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء ان كنتم صادقين . قالوا سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا انك أنت العليم الحكيم . قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم فلما أنبأهم

(١) ــ حجة الله على العالمين للنبهاني ص ٢١٦

بأسمائهم قال ألم أقل لكم اني أعلم غيب السماوات و الأرض و أعلم ما تبدون و ما كنتم تكتمون . و اذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس أبى و استكبر و كان من الكافرين)(١)

فلو أمعنا النظر في معاني الآيات السابقة نجد بأن الملائكة كانوا يجهلون تماما النوع البشرى و أن أول بشر عرفوه هو أبونا آدم عليه السلام و على هذا تعتبر دعوى النبهاني و ايراده القصة عن كعب الأحبار دعوى عارية عن الصحة تماما و ما ساق النبهاني هذه القصة الا لاثبات معتقده الفاسد الذى هو القول بخلق محمد قبل جميع المخلوقات و أنه خلقه الله من النور الالهي و ليعلم النبهاني و من يسير على نهجه من المتصوفة بأن العقائد لا يمكن أن تثبت بسرد قصص مكذوبة و نقل أقوال الخرافيين الذين يقولون بأولية خلق محمد قبل جميع ما في هذا الكون و انما العقائد تثبت بنصوص قرآنية و أحاديث نبوية صحيحة و لا مجال فيها لآراء الرجال و نقل القصص من بطون كتب أهل الكتاب الذين أخبرنا الله سبحانه و تعالى بأنهم حرفوا كتبهم

و من الصلوات التي ابتدعتها المتصوفة للصلاة بها على الرسول و يظهر فيها هذا المعتقد :

(اللهم صل بجميع الشئون في الظهور و البطون على من منه انشقت الأسرار الكامنة في ذاته العلية ظهورا و انفلقت الأنوار المنطوية في سماء صفاته السنية . . . و رياض الملك بزهر جماله مونقة و حياض معالم الجبروت بفيض أنوار سره الباهر متدفقة و لا شيء الا و هو به منوط و بسره السارى محوط)(٢)

---

(١)— البقرة الآيات ٣٠—٣٤

(٢)— سعادة الدين للنبهاني ٢٧٢—٢٧٣

و يقول أحد المتصوفة و الذى يسمى بمحمد نور و هو يتحدث عن حقيقة الرسول في المعتقد الصوفي :

(اعلم أن الروح الأعظم هو الروح الانساني الذى هو من أمر ربي سر عظيم و لطيفة ربانية لا يعلم كنهها الا الله و له في العالم الكبير أسماء و مظاهر و له في العالم الصغير أعني عالم الانسان أسماء و مظاهر فأسماؤه و مظاهره في العالم الكبير العقل الأول و القلم الأعلى و اللوح و الحقيقة المحمدية و الروح المحمدى أول موجود أبدعه الله تعالى و أوجده و هو الخليفة الأكبر و السر الأعظم)(١) .

و من المتصوفة الذين يقولون بأن محمداً أول مخلوق عبد العزيز الدباغ حيث قال في كتابه الابريز في معرض حديثه عن الرسول صلى الله عليه وسلم : و أنه أول ما خلق الله تعالى و سقى المخلوقات و الأنبياء و الأولياء و المؤمنين من نوره عليه الصلاة و السلام كل على قدر طاقته

و قال أيضا : و كذلك سائر المخلوقات سقيت من النور المكرم و لولا النور الكريم الذى فيها ما انتفع أحد منها بشيء

و قال أيضا : و لولا نوره صلى الله عليه وسلم الذى في ذوات الكافرين فانها سقيت به عند تصويرها في البطن و عند الخروج و عند الرضاعة لخرجت اليهم جهنم و أكلتهم أكلا و لا تخرج اليهم في الآخرة و تأكلهم حتى ينزع منهم ذلك النور الذى صلحت به ذواتهم.(٢)

---

(١) — منهاج الراغبين لمحمد نور ٤١

(٢) — الابريز لعبد العزيز الدباغ ٢٥٣

ففي هذا النص صرح عبد العزيز الدباغ بأن الرسول أول مخلوق خلقه الله و أن جميع المخلوقات سقيت من هذا النور النبوى عليه أفضل الصلاة و أتم التسليم و هـــذا كذب و افتراء و دجل منه فقط و ليس له أى دليل يستند عليه لاثبات هذه الدعوى

و من المتصوفة الذين قالوا بأن محمدا صلى الله عليه وسلم أول موجود أبو المواهب الشاذلي (١) حيث قال في شرح قول البدوى " و لمعة القبضة الرحمانية" :

(واعلم أن الرحمة رحمتان رحمة خاصة و هي التي تدارك الله بها عباده في أوقات مخصوصة و رحمة عامة و هي حقيقة محمد صلى الله عليه وسلم و بها رحم الله حقائـــق الأشياء كلها فظهر كل شيء في مرتبته في الوجود فلذلك أول ما خلق الله روح محمد صلى الله عليه وسلم فرحم به الموجودات الكونية . . . .) ثم قال : (اذ لولا أسبقيـــة وجوده ما وجد موجود ولولا نوره في ضمائر الكون الى أن برز لتهدمت دعائم الوجـــود فهو الذى وجد أولا و تبعه الوجود و صار مرتبطا به لا استغناء عنه) (٢)

ففي هذا النص أتى الشاذلي بكلمة جديدة انفرد بها دون غيره من المتصوفة الذين نقلنا عنهم النصوص قبله حيث قال ان أول مخلوق روح محمد صلى الله عليه وسلم بينمـا

---

(١) ــ هو محمد أبو المواهب الشاذلي قال عنه الشعراني : كان من الظرفاء الأجـــلاء و كانت له خلوة فوق سطحه و كان يغلب عليه السكر و كان كلامه ينشد في الموالد و الاجتماعات و المساجد على رؤوس العلماء و الصالحين فيتمايلون طربا من حلاوته . قلت : لعله يقصد بالعلماء و الصالحين الصوفية أما العالم الذى يعرف الكتاب و السنة فلا يمكن أن يطرب له . انظر الطبقات الكبرى للشعراني ٢/٦٧

(٢) ــ حجة الله على العالمين للنبهاني ص ٤٨

المتصوفة الذين ذكرناهم قبله كانوا يقولون ان أول مخلوق نور محمد صلى الله عليه وسلم

و ذكر في النص أيضا أن الله يرحم الموجودات بمحمد صلى الله عليه و سلم

و صرح أيضا بأن محمدا لو لم يكن أول موجود لما وجد أى أحد في هذا الكون و قال أيضا لو لا وجود الرسول في ضمائر كل موجود في هذا الكون لتهدم الكون وتساقط

و ذكر أيضا بأن الكون خلق بعد محمد صلى الله عليه وسلم فهو مرتبط به و لا يمكن أن يستغني عنه بأى حال من الأحوال .

و أنا أقول ان كلام الشاذلي هذا محض افتراء ودجل و الا فبأى برهان يستطيع أن يثبت هذا الكلام الذى قاله

فروح الرسول ليست أول من وجد كما يدعي هو و ليس وجود هذا الكون مرتبط بأسبقية وجود محمد بل هذا الكون أوجده الله سبحانه و تعالى قبل أن يوجد محمد صلى الله عليه وسلم بسنوات عديدة تعجز عن عدها لأن الرسول محمد صلى الله عليه و سلم تأريخ ميلاده معروف للجميع حيث ولد في القرن الميلادى السادس

و الخلاصة التي خرجت بها من خلال ايرادى لهذه النصوص من كتبهم أنفسهم هو أنني استطعت أن أثبت بأن المتصوفة يعتقدون في الرسول محمد صلى الله عليه وسلم العقيدتين التاليين و هما :

أولا : اعتقادهم بأن محمدا أول مخلوق

ثانيا : اعتقادهم بأن محمدا مخلوق من نور الله

ثانيا : الشبه التي تعلق بها المتصوفة لاثبات هذا المعتقد الفاسد :

اذا نظرنا في الشبه التي تعلق بها المتصوفة لاثبات معتقدهم الباطل هـــذا تجاه الرسول محمد صلى الله عليه وسلم فسنجدها كلها أحاديث موضوعة فقط وضعها الخرافيون عمدا لافساد عقائد المسلمين وتحويل الأمة الاسلامية الى أمة وثنية مشركة تعبد الأشخاص من دون الله والا فما الدافع للمتصوفة الى هذه المحاولات الخسيسة سوى نيتهم السيئة التي بيتوها للأمة الاسلامية وبالفعل استطاع المتصوفة بث هـــذا المعتقد الفاسد في أوساط كثير من أفراد الأمة الاسلامية حيث ان كل من يأخذ جولة في أنحاء العالم الاسلامي يجد الأمة غارقة في أوحال هذه الخرافات المنتنة التي تتزعمها الصوفية العالمية ومن ورائها الدول الاستعمارية الكبرى لادراك هذه الدول بأن الطرق الصوفية أحسن معول هدم للقضاء على عقيدة الأمة الاسلامية الصافية ولذا تجد الدول الاستعمارية الكبرى تقف دائما الى جانب هذه الطرق وتدعمها بكل ما تريد .

والأحاديث التي اعتمد عليها المتصوفة تتمثل في الأحاديث الآتية :

أولا : الحديث الموضوع الذى ينسبونه الى الرسول محمد صلى الله عليه وسلـــم ولفظه : (كنت نبيا وآدم بين الماء والطيـــن) قال الشيخ ناصر الدين الألباني عن هذا الحديث انه حديث موضوع (١)

ثانيا : من أدلتهم أيضا الحديث الموضوع التالي الذى ينسبونه الى الرسول صلى الله عليه وسلم كذبا وزورا وهذا لفظه : (كنت نبيا وآدم ولا ماء ولا طين) قال عنه ناصر الدين الألباني انه حديث موضوع (٢)

---

(١) — سلسلة الأحاديث الضعيفة للألباني رقم ٣٠٢ ، جـ ١/٣١٦ المكتب الاسلامي الطبعة الثالثة

(٢) — نفس المرجع رقم ٣٠٣ جـ ١ / ٣١٦

وقال شيخ الاسلام ابن تيمية عن هذا الحديث الأخير في رده على البكرى :

(لا أصل له لا من نقل و لا من عقل فان أحدا من المحدثين لم يذكره و معناه باطل فان آدم عليه السلام لم يكن بين الماء و الطين قط فان الطين ماء و تراب و انما كان بين الروح و الجسد)(١)

ثالثا من أدلتهم أيضا الحديث الموضوع التالي و لفظه : (كنت أول النبيين في الخلق و آخرهم في البعث) و هذا الحديث أيضا حديث موضوع ذكره ملا علي القارئ في الموضوعات الكبرى (٢)

رابعا من أدلتهم أيضا الحديث التالي الموضوع و لفظه :

عن عطاء بن السائب عن مرة الهمداني عن ابن عباس قال قلت يا رسول الله أين كنت و آدم في الجنة قال كنت في صلبه و اهبط الى الأرض و أنا في صلبه و ركبت السفينة في صلب أبي نوح و قذفت في النار في صلب أبي ابراهيم لم يلتق لي أبوان قط على سفاح (٣)

و هذا الحديث قد ذكره السيوطي في اللالئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة (٤)

و ذكر هذا الحديث أيضا أبي الحسن علي بن محمد الكناني في كتابه تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأخبار الشنيعة الموضوعة (٤)

---

(١)— الرد على البكرى لشيخ الاسلام ابن تيمية ص ٩

(٢)— انظر الأسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعة لملا علي القارئ تحقيق محمد الصباغ ص ٢٧٢— ٢٧٣ ط دار الأمانة مؤسسة الرسالة بيروت لبنان

(٣)— انظر اللالئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة للسيوطي جـ ١ / ٢٦٤ ط دار المعرفة

(٤)— انظر تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأخبار الشنيعة الموضوعة لأبي الحسن علي ابن محمد الكناني جـ١ / ٣٢١ نشر مكتبة القاهرة الطبعة الأولى

وعلى هذا فان الأحاديث التي استدل بها المتصوفة لاثبات قدم ذات النبي محمد صلى الله عليه وسلم و أنه أول مخلوق أحاديث موضوعة لا تصلح لكي تكون أدلة لاثبات أمر مستحب أو مندوب فضلا عن أن تكون أدلة يعتمد عليها لاثبات أمر عقدى ولذا أقول ما جاء المتصوفة بهذه الفرية و هي قولهم بأن محمدا أول مخلوق و أنه خلق من نور الا من عند أنفسهم

فالرسول محمد صلى الله عليه وسلم ليس أول مخلوق و لا هو مخلوق من نور كما يزعم المتصوفة بل الرسول صلى الله عليه و سلم مخلوق بشرى خلق مما يخلق منه البشر و مر بنفس الأدوار التي يمر بها البشر في بطن أمه ثم وضعته أمه كما تضع الأمهات ثم توفي عنه أبو و تربى يتيما مع أعمامه و مع هذا أقول كوننا نقول انه بشر مثلنا لا يحط هذا من مكانة الرسول صلى الله عليه و سلم بل الكل يقر بأن الرسول أفضل الخليقة على الاطلاق من انس و جن و ملائكة و له خصائص كثيرة خصه الله بها دون غيره من الرسل عليهم الصلاة و السلام

و بما أن الرسول محمد صلى الله عليه و سلم من ذرية آدم عليه السلام كغيره من البشر و آدم أصله من تراب فان أصل الرسول محمد أيضا من تراب و مما يدل على أن أصل البشر من تراب الأيات التالية :

أولا قول الله تعالى ((واذ قال ربك للملائكة اني خالق بشرا من طين فاذا سويته و نفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين فسجد الملائكة كلهم أجمعون الا ابليس استكبر و كان من الكافرين)) (١)

ومن الأدلة في هذا المجال أيضا قول الله عز وجل ((و لقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة

---

(١) — ص آية ٧١ — ٧٤

فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين)) (١)

و على هذا نقول ان أول مخلوق بشرى هو آدم عليه السلام و بما أن الرسول من ذرية آدم عليه السلام فهو بشر اذا و قد خلق مما يخلق منه البشر و هو الماء كما في قوله تعالى :((انا خلقنا الانسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعا بصيرا))(٢)

و الرسول بشر فهو مخلوق اذا من نطفة كغيره من البشر و قد أمره الله أن يقول انه بشر بقوله تعالى :((قل انما أنا بشر مثلكم يوحى الي أنما الهكم اله واحد فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا)) (٣)

و معلوم أن الرسول صلى الله عليه وسلم ولد من أبوين قرشيين معروفين في القرن السادس الميلادى و لذا أقول ان اعتقاد المتصوفة بأن الرسول صلى الله عليه وسلم أول مخلوق و أنه مخلوق من نور اعتقاد باطل يصطدم مع النصوص القرآنية و الحديثية القاطعة التي تثبت بشرية الرسول محمد صلى الله عليه وسلم

و بعد ابطال دعوى الصوفية بأن محمدا أول مخلوق و أنه خلق من نور و الرد على شبههم التي اعتمدوا عليها أستحسن اتباع ذلك بذكر الأشياء التي خلقها الله أولا إكمال الفائدة

---

(١)— المؤمنون آية ١٢—١٣—١٤

(٢)— الانسان آية ٢

(٣)— الكهف آية ١١٠

ثالثا بأول ما خلق الله:

لقد اختلف العلماء في تحديد أول شيء خلقه الله سبحانه وتعالى وذلك لاختلاف النصوص الواردة في تحديد أول مخلوق

فمنهم من قال ان أول ما خلق الله العرش

ومنهم من قال ان أول ما خلق الله القلم

ومنهم من قال ان أول ما خلق الله الماء

ولكل واحد من هؤلاء نصوصه التي يعتمد عليها

واليك الأقوال واحدا واحدا مع ذكر دليل كل قول.

أولا القائلين بأن العرش أول مخلوق

من أدلة هؤلاء الأحاديث الآتية:

الحديث الأول حديث عمران بن حصين رضي الله عنهما قال جاء نفر من بني تميم الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا بني تميم أبشروا فقالوا بشرتنا فاعطنا فتغير وجهه فجاء أهل اليمن فقال يا أهل اليمن اقبلوا البشرى اذا لم يقبلها بنو تميم فقالوا قبلنا فأخذ الرسول صلى الله عليه وسلم يحدث بدء الخلق والعرش فجاء رجل فقال يا عمران راحلتك تفلتت ليتني لم أقم (١)

وروى البخارى الحديث من طريق آخر قال: حدثنا عمر بن حصين بن غياث حدثنا أبي الأعمش حدثنا جامع بن شداد عن صفوان بن محرز أنه حدثه عن عمران بن حصين رضي الله عنهما قال: (دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم وعلقت ناقتي بالباب فأتاه ناس من بني تميم فقال أبشروا يا بني تميم قالوا بشرتنا فأعطنا (مرتين) ثم دخل

---

(١) — البخارى مع الفتح ٦/٢٨٦

عليه ناس من أهل اليمن فقال اقبلوا البشرى يا أهل اليمن ان لم يقبلها بنو تميم قالوا قبلنا يا رسول الله قالوا قد جئناك نسألك عن هذا الأمر قال كان الله ولم يكن شيء غيره و كان عرشه على الماء و كتب في الذكر كل شيء و خلق السماوات والأرض فنادى منادٍ ذهبت ناقتك يا ابن الحصين فانطلقت فاذا هي يقطع دونها السراب فوالله لوددت أني كنت تركتها)(١)

فالحديث السابق نستفيد منه الفوائد التالية :

أولا أن الله سبحانه وتعالى كان موجودا و لم يكن معه غيره

ثانيا أن العرش كان موجودا على الماء

ثالثا الحديث لم يذكر فيه أن القلم كان موجودا في ذاك الوقت و لذا يستفاد من هذا الحديث بأن العرش خلق قبل القلم

ومن الأدلة التي استدل بها القائلون بخلق العرش أولا حديث عبد الله بن عمرو ابن العاص قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :(كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات و الأرض بخمسين ألف سنة قال وكان عرشه على الماء) رواه مسلم (٢)

و هذا الحديث نستفيد منه بأن العرش خلق قبل القلم لأنه أي العرش كان موجودا على الماء وقت كتابة المقادير ولم يذكر وجود القلم

و من الأدلة التي استدل بها القائلون بأن العرش خلق قبل القلم ما ذكره الحافظ ابن حجر عن أبي حازم من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس قال :(خلق الله اللوح المحفوظ مسيره خمسمائة عام فقال للقلم قبل أن يخلق الخلق و هو على العرش اكتب

---

(١)— البخارى مع الفتح ٦/ ٢٨٦

(٢)— صحيح مسلم بشرح النووى ١٦/ ٢٠٣

فقال و ما أكتب قال علمي في خلقي الى يوم القيامة)(١)

ثم قال ابن حجر و ليس في هذا سبق خلق القلم على العرش بل فيه سبق العرش و هو كما قال ابن حجر .

أدلة القائلين بأن القلم خلق قبل العرش

الدليل الأول الحديث الذى أخرجه الترمذى في جامعه حيث قال حدثنا يحيى ابن موسى أخبرنا أبو داوود الطيالس أخبرنا عبد الواحد بن سليم قال قدمت مكة فلقيت عطاء بن أبي رباح فقلت يا أبا محمد ان ناسا عندنا يقولون في القدر فقال عطاء لقيت الوليد بن عبادة بن الصامت فقال حدثني أبي قال سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول : (ان أول ما خلق الله القلم فقال اكتب فجرى بما هو كائن الى الأبد قال الترمذى هذا حديث حسن صحيح غريب (٢)

و هذا الحديث صرح فيه الراوى بأن الرسول صلى الله عليه وسلم قال أول ما خلق الله القلم و ذلك على العكس تماما لما ذكر في الأحاديث السابقة

ومن الأدلة التي استدل بها هؤلاء الحديث الذى أخرجه البيهقي في الأسماء و الصفات من طريق الأعمش عن أبي ظبيان عن ابن عباس قال : (أول ما خلق الله القلم فقال له اكتب فقال يا رب وما أكتب قال اكتب القدر فجرى بما هو كائن من ذلك اليوم الى قيام الساعة)(٣)

فهذا الحديث أيضا ورد فيه بأن القلم خلق قبل العرش

---

(١)— فتح البارى بشرح صحيح البخارى لابن حجر ٦/ ٢٨٩

(٢)— جامع الترمذى بشرح تحفة الأحوذى المجلد الرابع ص ٢٣٢

(٣)— الأسماء والصفات للبيهقي ٣٢٨

و قال أبو العلاء الهمداني أن للعلماء قولين في أيهما خلق أولا العرش أو القلم قال و الأكثر على سبق خلق العرش و اختار ابن جرير ومن تبعه على أن القلم خلق قبل العرش (١)

و قال الطيبي في قوله صلى الله عليه وسلم (وكان عرشه على الماء) أشار بقوله (و كان عرشه على الماء) الى أن الماء و العرش كانا مبدأ هذا العالم لكونهما خلقا قبل خلق السماوات و الأرض ولم يكن تحت العرش اذ ذاك الا الماء (٢)

وسأقدم تحليلي أن للعلماء ثلاثة أقوال في هذه المسألة

فقوم قالوا ان أول مخلوق العرش

و قوم قالوا ان أول مخلوق القلم

و قوم قالوا ان أول مخلوق الماء والعرش

و قد حاول الامام ابن حجر رحمه الله أن يجمع بين هذه النصوص فقال : (ان أولية القلم بالنسبة الى ما عدى الماء و العرش أو بالنسبة الى ما منه صدر من الكتابة أى أنه قيد اكتب أول ما خلق)(٣)

و بما أن الجمع بين النصوص أفضل اذا أمكن الجمع بينهما أرى جمع ابن حجر بين هذه النصوص وجيها و لهذا أقول و الله أعلم بالصواب ان العرش و الماء خلقا قبل القلم ثم خلق القلم فكتب المقادير

و هذه النصوص مع ما فيها من اختلاف في تحديد أول ما خلق الله تثبت لنا

---

(١) — فتح الباري ٦/ ٢٨٩

(٢) — فتح الباري ٦/ ٢٨٩

(٣) — فتح الباري ٦/ ٢٨٩

بأن أول مخلوق العرش أو القلم أو الماء وليس أول مخلوق محمد بن عبد الله عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم ولا نوره لأنه ليس مخلوقا من نور وانما هو مخلوق من نطفة كسائر البشر ومع أنه بشر مثلنا فهو أفضل من خلق الله على الاطلاق

وعلى هذا تصبح دعوى الصوفية بأن أول مخلوق نور محمد دعوى كاذبة فارغة عارية عن الصحة وليس لها أى دليل تستند عليه لا عقلي ولا نقلي بل هي دعوى مبنية على اتباع الهوى والكذب على الله وعلى رسوله صلى الله عليه وسلم

المطلب الثاني : اعتقادهم بأن الكون خلق من نور محمد صلى الله عليه و سلم

ان اعتقاد المتصوفة بأن جميع ما في هذا الكون من أرض و سماء خلق من نور محمد صلى الله عليه و سلم واضح و جلي جدا و يظهر هذا المعتقد لكل من يقرأ في كتب أئمة التصوف و خاصة في الصلوات التي ابتدعتها المتصوفة من عند أنفسهم لافساد عقائد المسلمين و ابعادهم عن تلاوة كتاب الله عزوجل و ذلك لأن كثيرا من عوام المسلمين الذين انخرطوا في الطرق الصوفية أصبحوا يتلون هذه الصلوات المملوءة بالباطل تاركين تلاوة كتاب الله عزوجل

و اليك نماذج من النصوص منقولة من كتب المتصوفة أنفسهم التي تؤكد لنا و توضح بأن المتصوفة بالفعل قالوا أن الكون خلق من نور محمد صلى الله عليه وسلم

فمن مشائخ التصوف الذين قالوا بأن جميع ما في هذا الكون خلق من نور محمد صلى الله عليه وسلم عبد العزيز الدباغ

و الحقيقة أن عبد العزيز الدباغ هذا قد صرح بأن جميع ما في هذا الكون من أرض و سماء و ما فيهما و ما بينهما بل و ما فوق السموات السبع خلق من نور محمد صلى الله عليه وسلم و قد أطال و فصل ووضح هذا الرجل هذا المعتقد الصوفي الباطل بألفاظ صريحة واضحة كل الوضوح حيث ادعى بأن أول مخلوق هو النور المحمدي ثم خلق الله منه جميع ما في هذا الكون بما في ذلك القلم و الملائكة و اللوح المحفوظ و العرش و الأرواح و الجنة و البرزخ و أن جميع هذه المخلوقات الموجودة في هذا الكون سقيت من نور النبي محمد صلى الله عليه وسلم مع تفاوت نسبة السقيا فيما بينها و أن أرواح الكفار كرهت الشراب من النور المحمدي و امتنعت منه فلما رأت ما وقع

للأرواح التي شربت منه من السعادة الأبدية و الارتقاءات السرمدية ندمت و طلبت سقيا فسقيت من الظلام و أن الطفل في بطن أمه يسقى من نور النبي لتلين مفاصله و تنفتح أسماعها و أبصارها و كذلك يسقى من النور عند خروجه من بطن أمه من أجل أن يلهم الأكل و الا لما أكل من فمه و يسقى من النور أيضا عند التقامه ثدى أمه في أول وضعه و يسقى من النور المحمدى عند نفخ الروح و لولا ذلك لما دخلت فيه الروح

و اليك نص كلامه في هذا المجال حتى تتضح العقيدة الصوفية تجاه الرسول محمد صلى الله عليه وسلم حيث قال متحدثا عن معتقد الصوفية تجاه الرسول محمد صلى الله عليه وسلم :

حيث قال أحمد بن مبارك أحد تلامذة عبد العزيز الدباغ راويا عنه : (قال : وسمعته رضي الله عنه يقول في قوله : (و انفلقت الأنوار) ان أول ما خلق الله تعالى نور سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ثم خلق منه القلم و الحجب السبعين و ملائكتها ثم خلق اللوح ثم قبل كماله و انعقاده خلق العرش و الأرواح و الجنة و البرزخ

أما العرش فانه خلقه تعالى من نور و خلق ذلك النور من النور المكرم نور نبينا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم و خلقه أى العرش ياقوتة عظيمة لا يقاس قدرها و عظمها وخلق في وسط هذه الياقوتة جوهرة فصار مجموع الياقوتة و الجوهرة كبيضة بيضها هو الياقوتة و صفارها هو الجوهرة ثم ان الله تعالى أمد تلك الجوهرة و سقاها بنوره صلى الله عليه و سلم فجعل يخرق الياقوتة و يسقي الجوهرة فسقاها مرة ثم مرة ثم مرة الى أن انتهى الى سبع مرات فسالت الجوهرة باذن الله تعالى فرجعت ماءا و نزلت الى أسفل الياقوتة التي هي العرش فخلقهم من صفائه و خلق من ثقله الريح و له قوة و جهد عظيم فأمرها تعالى أن تنزل تحت الماء فسكنت تحته فحملته ثم جعلت تخدم و جعل البرد يقوى في الماء

فأراد الماء أن يرجع الى أصله و يجمد فلم تدعه الرياح بل جعلت تكسر شقوقه التي تجمد و جعلت تلك الشقوق تتعفن و يدخلها الثقل و النتون و شقوق تزيد على شقوق ثم جعلت تكبر و تتسع و ذهب الى جهات سبع و أماكن سبع فخلق الله منه الأرضين السبع و دخل الماء بينها و البحور و جعل الضباب يتصاعد من الماء لقوة جهد الريح ثم جعل يتراكم فخلق الله منه السموات السبع ثم جعلت الريح تخدم حدقة عظيمة على عادتها أولا و آخرا فجعلت النار تزيد في الهواء من قوة حرق الريح للماء و الهواء و كلما ازداد لهب النار أخذتها الملائكة و ذهبت بها الى محل جهنم اليوم فذلك أصل جهنم اليوم فالشقوق التي تكونت منها الأرضون تركوها على حالها و الضباب التي تكونت منه السموات تركوه على حاله و النار التي زندت في الهواء أخذوها و نقلوها الى محل آخر لأنهم لو تركوها لأكلت الشقوق التي فيها الأرضون السبع و الضباب الذى منه السموات السبع بل و تأكل الماء و تشربه بالكلية لقوة جهد الريح ثم ان الله تعالى خلق ملائكة الأرضين من نوره صلى الله عليه وسلم و أمرهم أن يعبدوه عليها

و أما الأرواح و الجنة الا مواضع منها فانها أيضا خلقت من نور و خلق ذلك النور من نوره صلى الله عليه وسلم

و أما البرزخ فنصفه الأعلى من نوره صلى الله عليه وسلم فخرج من هذا أن القلم و اللوح و نصف البرزخ و الحجب السبعين و جميع ملائكتها و جميع ملائكة السموات و الأرضين كلها خلقت من نوره صلى الله عليه وسلم بلا واسطة و أن العرش و الماء و الجنة و الأرواح خلقت من نور خلق من نوره صلى الله عليه وسلم ثم بعد هذا فهذه المخلوقات أيضا سقي من نوره صلى الله عليه وسلم أما القلم فانه سقي سبع مرات سقيا عظيما و هو أعظم المخلوقات بحيث أنه لو كشف نوره لجرم الأرض لتدكدك و سار رميما و كذلك الماء

فانه سقي سبع مرات و لكن ليس كسقي القلم

و أما الحجب السبعون فانها في سقي دائم

و أما العرش فانه سقي مرتين مرة في بدء خلقه و مرة عند تمام خلقه كي تستمسك ذاته و كذا الجنة فانها سقيت مرتين مرة في بدء خلقها و مرة بعد تمام خلقها لتستمسك ذاتها و أما الأنبياء عليهم الصلاة و السلام و كذا سائر المؤمنين من الأمم السابقة و من هذه الأمة فانهم سقوا ثمان مرات

الأولى في عالم الأرواح حين خلق الله نور الأرواح جملة فسقاه الثانية حين جعل يصور منه الأرواح فعند تصور كل روح سقاها بنوره صلى الله عليه وسلم

الثالثة يوم "ألست بربكم" فان كل من أجاب الله تعالى من أرواح المؤمنين والأنبياء عليهم الصلاة و السلام سقي من نوره صلى الله عليه و سلم لكن منهم من سقي كثيرا و منهم من سقي قليلا فمن هنا وقع التفاوت بين المؤمنين حتى كان منهم أولياء و غيرهم و أما أرواح الكفار فانها كرهت شرب ذلك النور و امتنعت منه فلما رأت ما وقع للأرواح التي شربت منه من السعادة الأبدية و الارتقاءات السرمدية ندمت و طلبت سقيا فسقيت من الظلام و العياذ بالله

الرابعة عند تصويره في بطن أمه و تركيب مفاصله و شق بصره فان ذاته تسقى من النور المكرم لتلين مفاصله و تنفتح أسماعها و أبصارها ولولا ذلك ما لانت مفاصلها

الخامسة عند خروجه من بطن أمه فانه يسقى من النور المكرم ليلهم الأكل من فمه و لولا ذلك ما أكل من فمه أبدا

السادسة عند التقامه ثدى أمه في أول وضعه فانه يسقي من النور الكريم أيضا

السابعة عند نفخ الروح فيه فانه لولا سقيا الذات بالنور الكريم ما دخلت فيها الروح

أبدا و مع ذلك فلا تدخل فيها الا بكلفة عظيمة و تعب يحصل للملائكة معها و لولا أمر الله تعالى لها و معرفتها به ما قدرت على ادخالها بالذات)(١)

و يقول الدباغ في مكان آخر واصفا نور الرسول صلى الله عليه وسلم :

(اعلم أن أنوار المكونات كلها من عرش و فرش و سموات و أرضين و جنات و حجب وما فوقها و ما تحتها اذا جمعت كلها وجدت بعضا من نور النبي و أن مجموع نوره لو وضع على العرش لذاب و لو وضع على الحجب السبعين التي فوق العرش لتهافتت و لو جمعت المخلوقات كلها ووضع ذلك النور العظيم عليها لتهافتت و تساقطت)(٢)

اذا أمعنا النظر في النصوص التي أوردتها عن عبد العزيز الدباغ فسنجد بأن هذا الصوفي الدجال قد صرح تصريحا واضحا بأن كل ما في هذا الكون من أرض و سماء و ما فيهما و ما بينهما خلق من نور محمد صلى الله عليه وسلم و لو سألنا عبد العزيز الدباغ عن دليله الذى يعتمد عليه لاثبات دعواه هذه فلن يجد دليلا واحدا يثبت به هذا المعتقد الفاسد الذى أتى به من عند نفسه أو أوحاه اليه الشيطان لأن شياطين الانس والجن يوحي بعضهم الى بعض و يدل على هذا قوله تعالى :((و كذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الانس و الجن يوحي بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا و لو شاء ربك ما فعلوه فذرهم و ما يفترون))(٣)

و بما أننا أبطلنا في المطلب الأول من هذا البحث كون الرسول مخلوقا من نور فهنا تسقط دعوى الدباغ في قوله ان الرسول خلق من نور و أن الكون كله خلق من نوره و ذلك لأننا أثبتنا في المطلب الأول بأن الرسول بشر مثلنا خلق كغيره من البشر من نطفة و لم يخلق من نور و لذا فلا حاجة الى التطويل و تكرار الرد مرة أخرى (٤)

---

(١) — الابريز للدباغ ٢٥٢
(٢) — الابريز للدباغ ٢٦٠
(٣) — الأنعام آية ١١٢
(٤) — انظر ص من هذا البحث

و من المتصوفة الذين قالوا بأن الكون خلق من نور محمد صلى الله عليه وسلم أحمد التيجاني (١) حيث ادعى هذا الرجل ان الله سبحانه و تعالى لما خلق نور محمد جمع فيه جميع أرواح الأنبياء و الأولياء

و اليك نص كلامه حتى تتضح الصورة جيدا

قال التيجاني : (لما خلق النور المحمدى جمع في هذا النور المحمدى جميع أرواح الأنبياء و الأولياء جمعا أحديا قبل التفصيل في الوجود العيني و ذلك في مرتبة العقل الأولى)(٢)

و هكذا ادعى التيجاني بأن جميع أرواح الأنبياء و الأولياء تم توزيعها من النور المحمدى و هي دعوى مجردة عن أى دليل تستند عليه لأن شأن الروح حتى الرسول صلى الله عليه وسلم لم يعلمه فضلا عن أن يكون مركزا لتوزيع الأرواح على غيره و قد أمر الله رسوله محمدا صلى الله عليه و سلم اذا سئل عن الروح أن يقول انها من أمر ربي و يدل على هذا قول الله عزوجل : ((و يسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي و ما أوتيتم من العلم الا قليلا)) (٣) و التيجاني ما قال هذا الكلام عن علم و معرفة وانما قصد من وراء ذلك افساد عقائد المسلمين و قلبهم الى أمة وثنية تعبد الأشخاص والأحجار من دون الله و الا فما الدافع لأحمد التيجاني أن يأتي لنا بأقوال تتناقض مع ما جاء

---

(١)— هو أحمد بن محمد بن المختار بن أحمد التيجاني شيخ الطائفة التيجانية بالمغرب احدى الطرق الصوفية المنتشرة هناك انتشارا واسعا وقد استقر بمدينة فاس الى أن توفي هو و لبعض أصحابه كتب في سيرته منها جواهر المعاني والسيرة القدسية في السيرة الأحمدية . انظر الأعلام للزركلي ١/٢٣٢

(٢)— الرماح لعمر بن سعيد التيجاني

(٣)— الاسراء آية ٨٥

في كتاب الله و سنة رسوله محمد صلى الله عليه وسلم و قد أكد الله عزوجل في كتابه بأن الرسول بشر و أكد رسوله في سنته بأنه بشر لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا

و لكن المتصوفة لا يتورعون عن الكذب فهم الأركان الأساسية للكذب على الله وعلى رسوله بعد أسيادهم الشيعة

و يظهر لنا معتقد المتصوفة بأن كل ما في هذا الكون خلق من نور محمد صلى الله عليه وسلم في الصلوات التي ابتدعوها للصلاة بها على الرسول صلى الله عليه وسلم و هي صلوات مملوءة بالباطل من أولها الى آخرها و قد فرضوها على أتباعهم فأصبحوا يتلونها ليلا و نهارا تاركين كتاب الله عزوجل

و اليك نماذج من هذه الصلوات التي صرح فيها المتصوفة بأن جميع ما في هذا الكون خلق من نور محمد صلى الله عليه وسلم

فالصلاة الأولى التي يتعبد بها المتصوفة و يتلونها صباحا و مساءا الصلاة الآتية و هي : (اللهم صل على مولانا محمد نورك اللامع و مظهر سرك الجامع الذى فتحت ظهور العالم من نور حقيقته و لولاه ما ظهرت لصورة عين من العدم الرميم)(١)

ففي هذه الصلاة نلاحظ بأن هذا الصوفي الذى اخترع و ابتدع هذه الصلاة من عند نفسه صرح فيها بأن محمد نور الله و أنه مظهر سر الله الجامع و أن الله خلق هذا العالم من نوره و أنه لولا محمد لما وجد شيء واحد مما في هذا الكون

و هذا الصوفي لو سئل عن الحجه و البرهان لاثبات هذه الدعوى لن يستطيع أن

---

(١) — أفضل الصلوات ١٦٢

يأتي بدليل من كتاب الله أو من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم لأنه ما قال هذا الكلام الا اتباعا لهواه ((و من أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله ان الله لا يهدى القوم الظالمين))(١)

و الذى يهمنا من ايراد هذا النص هو الاثبات بأن المتصوفة يقولون بأن الكون خلق من نور محمد صلى الله عليه وسلم و هذا واضح و جلي لكل من ينظر بعين فاحصة في هذه الصلاة ،

و من الصلوات التي يتعبد بها المتصوفة و يتلونها ليلا و نهارا هذه الصلاة و هي معروفة بالصلوات البكرية و هي :

(اللهم اني أسألك بنير هدايتك الأعظم و سر ارادتك المكون من نورك المطلسم مختارك منك لك قبل كل شيء و نورك المجرد بين مسالك اللقى كنزك الذى لم يحط به سواك و أشرف خلقك الذى بحكم ارادتك كونت من نوره أجرام الأفلاك و هياكل الأملاك فطافت به الصافون حول عرشك تعظيما و تكريما و أمرتنا بالصلاة و السلام عليه و زجيت به في نور ألوهيتك العظمى .... خليفتك بمحض الكرم على سائر مخلوقاتك و شيدت به قوائم عرشك المحوط بحيطتك الكبرى بحر فيضك المتلاطم بأمواج الأسرار)(٢)

فالبكرى في هذه الصلاة قد صرح بأن الرسول نور الله و أن الرسول لم يحط به أحد الا الله تعالى و أن الله كون من نور الرسول جميع الأجرام الفلكية و هياكل الملائكة و أن الله زج بالرسول في نور ألوهيته و أنه شيد به قوائم عرشه

---

(١) — القصص ٥٠

(٢) — أفضل الصلوات ص ١٣١ — ١٣٢

و هذه كلها معتقدات باطلة و فاسدة مخالفة تماما للمعتقد الذى جاءنا به رسول الله صلى الله عليه وسلم من عند ربه

فغي كتاب الله و سنة رسوله صلى الله عليه وسلم ما هو الا بشر و انه ليس مخلوقا من نور و لا العالم مخلوق من نوره و ليس للمتصوفة أى دليل يعتمدون عليه لا من كتاب ولا من سنة رسول الله لاثبات هذا المعتقد الوثني الباطل و انما جاءوا بهذا المعتقد من عند أنفسهم و هم على علم بأن هذا باطل و لكنهم بيتوا للاسلام و أهله المكيدة لاخراج المسلمين من عقيدتهم الصحيحة الصافية و القيام بنشر عقائد وثنية قديمة بينهم مثل عقائد البوذية و الهندوسية و المسيحية و اليهودية المحرفة و قد فعلوا بكثير من المسلمين ذلك

و من الصلوات التي يتلوها المتصوفة ليلا و نهارا و يتعبدون بها ،الصلاة المسماة بالصلوات الزاهرة و هي :

(اللهم صل و سلم على الجمال الأنفس و النور الأقدس و الحبيب من حيث الهوية و المراد في اللاهوتية مترجم كتاب الأزل و المتعالي بالحقيقة عن حقيقة الأثر

و المخصوص الأول و الحكمة السارية في كل موجود . . . . . روح صور الأسرار الملكوتية محمدك و أحمدك وتر العدد و لسان الأبد العرش القائم بتحمل كلمة الاستواء الذاتي فلا عارض المتجلي بسلطان تحصرك على ظلم الأغيار لمحق كل معارض النقطة التي عليها مدار حروف الموجودات بجميع الاعتبارات . . . . . لوح الأسرار و نور الأنوار و مظهر أنوار اللاهوت في ناسوت المثل القائم بكل حقيقة سريانا و تحكيما . . . .المتجلي بملابس الحقائق الفردانيه الحافظ على الأشياء قواها المعد لذرأت الكائنات بما به برزت من العدم الى الوجود بقدرتك كعبة الاختصاص الرحماني . . . . . أقنوم الوحدة

و لا أقنوم انما نورك بنورك موصـــول)(١)

ففي هذه الصلاة وصف هذا الصوفي الرسول صلى الله عليه وسلم بأوصاف عديد ة تتناقض هذه الأوصاف مع الأوصاف التي وصف بها الرسول صلى الله عليه وسلم فـــــي كتاب الله

فقد وصفه بأنه النور و أنه لسان الأبد و بأنه عرش قائم و أن الموجودات كلها تدور حوله و أنه لوح الأسرار و نور الأنوار و أنه المظهر الحقيقي لأنوار الألوهية حالة فيـه و هنا جاءت عقيدة الحلول التي أخذها المتصوفة من المسيحية و البوذية

ووصفه بأنه حافظ قوى جميع الأشياء ووصفه أيضا بأنه نور الله و هو موصول باللـــه بمعنى أن الرسول جزء من الله

و هذه كلها معتقدات باطلة أتى بها المتصوفة من الديانات الوثنية القديمة والا فالرسول صلى الله عليه وسلم ليس بنور كما يزعم المتصوفة بل هو بشر و ليس بلسان الأبد و لا هو عرش قائم و لا تدور الموجودات حوله فهو من جملة خلق الله فما العلة الـــتي تدور بها الموجودات حوله و ليس هو لوح أسرار الله بل هو رسول الله أوحى الله اليه وحيا و أمره بابلاغ هذا الوحي الى الانس و الجن و قد بلغه أتم تبليغ و ليس الرســول مظهرا من مظاهر الله كما يزعم المتصوفة لأن الرسول مخلوق و بين الخالق و المخلوق فرق بعيد لا يمكن أن يحصل بينهما حلول بأى حال من الأحوال

و ليس الرسول بحافظ قوى هذه المخلوقات بل الحافظ لهذه المخلوقات كلها هـــو الله عزوجل و حده لا شريك فالرسول مخلوق وهو بنفسه في حاجة الى حفظ الله لـــه و ليس الرسول بنور الله كما تزعم الصوفية بل هو عبد من عباد الله المقربين اليه

---

(١)— أفضل الصلوات ١٢٤

فكل المعاني التي أوردها صاحب هذه الصلاة باطلة و مناقضة لما في كتاب الله و سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم

و من المتصوفة الذين قالوا بأن كل ما في هذا الكون خلق من النور المحمدى وأنه أصل لكل موجود ابن قضيب البان الصوفي الشهير

فقد قال : (موقف الحقيقة المحمدية : أوقفني الحق على مرتبة بيان الحقيقة المحمدية و كشف لي عن حقائق الأسماء في مسمياتها العلوية ثم قال لي : انظر الى كل اسم من حيث صورته و معناه فرأيت الأسماء الالهية قامت في الأعين الثابتة " أى في المخلوقات" و قال لي هي أربابها و قال لي رب الأرباب : الاسم الأعظم و سر الحقيقة المحمدية هو سر قلبك و قطب وجودك . ثم كشف لي عن جملة التجلي الأول و مظاهر التجليات و مجمع صور المربوبات . . . ثم كشف لي عن صور العقل الأول فاذا هو شيء لا يكيف عند النظر و كليات الوجود مندرجة تحت اشراقه و رأيته قد قابل شيئا مثله في الصورة و قد اشتمل على الجزئيات فقال لي هو لوح القضاء و الدرة البيضاء و قال لي الحقيقة المحمدية هي الرحمة التي وسعت كل شيء و هي أم الكتاب و حضرة العلم الجامع و انسان العين السامع و منها كشف لي عن أسرار النور و الوجود و العلم فقال لي كل ذلك مظاهرها و كلمتها الجامعة و صحيفتها الكاملة ثم كشف لي منها عن سر العشق الأزلي و الاتحاد العيني و أراني تعلقه في الهمم الانسانية و قال لي هو انشاء الارادات و به توجه الحب و قال لي هو أصل كل موجود و عدته

ثم كشف لي عن سر عرس الحقيقة المحمدية و قال لي هو القلب الذى هو بيت عزتي و مخزن سرى و منبع نورى و مظهر سعة علمي و سرير سلطنة اسمي و قال لي قالبه الهيكل

الذى بنيته بيدى وهو مجمع البحرين و قاب قوسين و كشف لي فيه عن خزائن الرحمة و تنزلت الآيات و كيفية حلولها من غير ممازجة و سريانها في الأسماع و الأبصار بسر التجريد في قوالبها و رأيت حكم سريانها في مرآة الخيال و قيامها في مظاهرالنبوات)(١)

واذا نظرنا في هذا النص الذى أوردناه عن ابن قضيب البان نلاحظ فيه انحرافات عديدة منها وصفه للرسول بأنه سر قلبه و أنه قطب وجوده و وصف الرسول أيضا بأنه الرحمة التي وسعت كل شيء و وصفه بأنه أم الكتاب و أنه حضرة العلم الجامع و انسان العين السامع و ذكر بأنه كشف له عن أسرار النور و الوجود و العلم و ذكر بأن الله أخبره بأن كل ما في هذا الوجود ما هو الا مظاهر الحقيقة المحمدية

ثم وصف الرسول بأنه أصل الوجود و عدته ثم ذكر في النص بأن هناك عرشا يسمى عرش الحقيقة المحمدية ووصفه بأنه بيت عزة الله و مخزن سر الله و منبع نور الله و مظهر سعة علم الله

و هذه أوصاف لم يصفه الله بها في كتابه ولا ذكرها الرسول في سنته بل كلها أوصاف فيها تجاوز و غلو أتى بها المتصوفة من عند أنفسهم و الا فالرسول صلى الله عليه و سلم ليس هو أصل الموجودات بل هو خلق من خلق الله خلقه الله كغيره من البشر و فضله على الجميع بالرسالة الجامعة الخاتمة المهيمنة على جميع الرسالات السماوية التي نزلت قبلها

و قد وضح الشيخ محمود عبد الرؤوف القاسم مقصود الصوفية بالحقيقة المحمدية فقال : (و ملخص أقوالهم ان الله سبحانه و تعالى عما يصفون عندما أراد أن يجعل قسما من ذاته متعينا بشكل مخلوقات كان أول شيء فعله هو أنه قبض قبضة من نور

---

(١) — الانسان الكامل في الاسلام ١٩٥

وجهه و قال لها كوني محمدا فكان محمد هو أول التعينات و هذه القبضة من النور هي التي يطلقون عليها اسم الذات المحمدية و من هذه الذات المحمدية انبثقت السماوات و الأرض و الدنيا و الآخرة التي يسمونها فيما يسمونها (تعينات) فهي كلها تصدر عن الذات المحمدية ثم تعود اليها و هذا هو ما يسمونه الحقيقة المحمديةولننتبه الى الشبه التام بينهم و بين الهنادكة الذين يقولون ان الخلائق صدروا من وجه براهمان و من يديه و من فخذيه ثم من قدميه (حسب الطبقات الهندوكية) . (١)

و يقول الدكتور زكي مبارك : (ان الحقيقة المحمدية ترجع في أصولها الى العقائد النصرانية و على ذلك تكون نظرية الحقيقة المحمدية عند غلاة الصوفية مأخوذة من أصول نصرانية فعيسى هو ابن الله و معنى ذلك فيما افترض أنه الصلة بين الله و بين الوجود و محمد هو أول التعينات و ليس فوقه الا الذات الأحدية كما لم يكن فوق عيسى الا الأب و النصارى يتمثلون اليه حين يخاطبون عيسى فلولا عيسى لانعدم الوجود و الصوفية يتمثلون الله حين يخاطبون محمدا فلولا محمد لانعدم الوجود و عيسى هو ابن الله و لكنه يتمثل في صورة بشرية أو هو الموجد في صورة بشرية فعيسى لولاه لامتنعت الصلة بين الله و بين الوجود فانعدم الوجود و محمد حسب زعم المتصوفة :

لولاه ما كان أرض و لا أفق ولا زمان و لا خلق و لا جيل

و عيسى هو الكلمة و أتباعه من الرسل الذين بلغوا دعوته كلمات و محمد عند الصوفية هو الكلمة و جميع الأنبياء كلمات لهم خصوصية و بعض أتباع محمد لهم خصوصية)

ثم قال الدكتور زكي مبارك : (و الواقع أن الحقيقة المحمدية أسطورة من الأساطير و هي في رأينا مأخوذة من النظرية النصرانية كما أن النظرية النصرانية مأخوذة من الفلسفة اليونانية الى تقسيم القوى الى عقول و هذا في رأينا أيضا صحيح خصوصا اذا

---

(١) — حقيقة الصوفية لأول مرة في التأريخ ٢٨٠

علمنا أن ابن عربي وهو من القائلين بهذه النظرية يقول انه هضم ما درس من الفلسفة اليونانية و من أصول الديانة اليهودية و الديانة النصرانية و الديانة الاسلامية ثم أحال ذلك كله الى مزاج من الفكر الفلسفي الدقيق يعز على من رامه و يطول)(١)

فهذه المقارنة التي عقدها الدكتور زكي مبارك بين النظرية النصرانية تجاه عيسى عليه السلام و النظرية الصوفية تجاه محمد صلى الله عليه وسلم أراها مقارنة في محلها فقد استطاع أن يثبت بأن المتصوفة أخذوا هذا المعتقد الباطل من المسيحية المحرفة و التي أخذته هي بدورها من الفلسفة اليونانية

و على هذا فقول الصوفية بالحقيقة المحمدية و أنه أول مخلوق و أنه مخلوق من النور و أن جميع الكون خلق من نوره و أنه لولا لما وجد شيء من هذا الكون عقائد وثنية بحتة أتى بها المتصوفة من الديانات المحرفة كالمسيحية و الوثنيات القديمة كاليونانية و لهذا نقول للمتصوفة و من يسير على دربهم ان الاسلام برىء من هذا المعتقد الوثني و أهله

و يقول الدكتور زكي مبارك :

(ان ما ادعاه النصارى لعيسى عين ما ادعاه الصوفية لمحمد فعيسى عند النصارى رب و لكن له أب هو رب الأرباب و كذلك محمد هو عند الصوفية رب له أصل هو الذات الأحدية

و من العجيب أن نظرية التثليث لا تبدو شيئا خطرا عند الصوفية فهم يقولون بها في غير تهيب ولا اشفاق . . . . بل يذهبون في التسامح الى أبعد من ذلك فيحكمون بأن الديانات كلها حق)(٢)

---

(١) — انظر التصوف الاسلامي في الأدب و الأخلاق د . زكي مبارك ١ / ٢١٠، ٢٧٩، ٢٠١

(٢) — التصوف الاسلامي في الأدب و الأخلاق ٢٧٧

و يقول في مكان آخر بعد أن ذكر مذهب الصوفية تجاه الرسول

(لا يهمنا كما قلت أن نطمئن الى صحة تلك المذاهب وانما يهمنا أن نعرف أن الصوفية يجعلون محمدا أصل الوجود لأنه أول التعينات للذات الأحدية ومن هنا صح لهم في الرسول أن يقضوا بأنه لولاه ما كان شمس ولا قمر ولا نجم ولا أرض ولا سماء ولا جماد ولا حيوان ولا انسان ولا بحار ولا أنهار ولا جبال

و من هنا أيضا صح لهم أن يحكموا بأن جميع الأنبياء انما هم من نور ذلك الرسول كما قال البوصيري في البرد

و كل آى أتى الرسل الكرام بها فانما اتصلت من نوره بهم (١)

---

(١) ـ التصوف الاسلامي في الأدب والأخلاق ٢٧٦

المطلب الثالث : اعتقادهم بأن الكون خلق من أجل محمد و أن جميع العلوم جزء من علمه :

لقد غلا المتصوفة في الرسول صلى الله عليه وسلم غلوا شديدا حتى وصل بهم هذا الغلو الى اعتناق معتقدات باطلة تتصادم مع المعتقد الصحيح الذى جاء به محمد بن عبد الله عليه أفضل الصلاة و أتم التسليم

فمن المعتقدات الباطلة التي يعتقدها المتصوفة تجاه الرسول محمد صلى الله عليه وسلم هو قولهم بأن جميع العلوم التي أوحيت الى الرسل و أن جميع المعجزات التي صدرت منهم انما أوحيت اليهم من علم الرسول محمد صلى الله عليه وسلم

و لم يقف المتصوفة عند هذا الحد بل ادعوا بأن علم اللوح المحفوظ و علم القلم أيضا جزء من علم الرسول صلى الله عليه وسلم وواصلوا في غلوهم حتى قالوا بأن الدنيا و الآخرة من جود الرسول محمد صلى الله عليه وسلم و لم يقفوا عند هذا الحد بل قالوا ان الكون خلق من أجل محمد صلى الله عليه وسلم

و اليك النصوص من بطون كتب القوم للاثبات على أن القوم بالفعل يعتقدون هذا المعتقد :

فالبوصيرى الشاعر الصوفي المشهور و الذى يتغنى المتصوفة بأشعاره صباحا و مساءا قال مقررا عقيدة المتصوفة تجاه محمد صلى الله عليه وسلم :

و كل آى أتى الرسل الكرام بها فانما اتصلت من نوره بهم

فانه شمس فضيل هم كواكبها يظهرن أنوارها للناس في الظلم (١)

فهذا البيت عبر فيه البوصيرى عن معتقد الصوفية تجاه الرسول صلى الله عليه وسلم حيث صرح في البيت بأن جميع العلوم التي أوحيت الى الرسل و جميع المعجزات التي

---

(١) — بردة المديح للبوصيرى ص ١٤ ط مكتبة و مطبعة المشهد الحسيني

وقعت على أيديهم انما جاءتهم من نور الرسول صلى الله عليه وسلم و ذلك بناءا على معتقد الصوفية بأن الرسول مخلوق من النور و هو معتقد باطل كما سبق و المعتقد الذى بنوه عليه أيضا باطل لأنه مبني على الباطل و المبني على الباطل ليس له الا أن يكون باطلا

و لم يقف المتصوفة عند هذا الحد بل وصل بهم الغلو الى أن ادعوا بأن علم اللوح المحفوظ و القلم جزء من علم الرسول محمد صلى الله عليه وسلم و يظهر ذلك في بيت البوصيرى الآتي :

و ان من جودك الدنيا و ضرتها و من علومك علم اللوح و القلم (١)

ففي هذا البيت قد قرر البوصيرى عقيدة من معتقدات الصوفية الباطلة و هو اعتقاد المتصوفة بأن الدنيا و الآخرة و ما فيهما من جود الرسول محمد صلى الله عليه وسلم و أن علم اللوح المحفوظ و القلم الذى كتبت به ما هي الا جزء من علم الرسول محمد صلى الله عليه وسلم .

و هذا معتقد باطل و فاسد لأنه فيه رفع الرسول فوق منزلته و تجريد الله عن ملكه و ذلك اذا كانت الدنيا و الآخرة من جود الرسول صلى الله عليه وسلم فماذا بقي لله من ملك أم ستقول الصوفية ان الكون كله ملك لمحمد و ذلك على معتقدهم الفاسد بأن محمد مظهر من مظاهر الله و هو القول بوحدة الوجود

فاعتقاد المتصوفة بأن الكون كله من جود محمد كفر و الحاد في الله و اذا قالوا أيضا بأن محمدا مظهر من مظاهر الله فهو الحاد آخر أيضا

و المعتقد الصحيح هو أن الدنيا و الآخرة و ما فيهما ملك لله سبحانه و تعالى

---

(١) — بردة المديح للبوصيرى ص ٣٥

و أن الرسول مخلوق كغيره من المخلوقات فهو ملك لله أيضا و ذلك كما في قوله تعالى :

((و ان لنا للآخرة و الأولى))(١)

و يقول الله عزوجل : ((لله مافي السموات و ما في الأرض))(٢)

و يقول الله عزوجل : ((و لله ملك السموات و الأرض و ما بينهما يخلق ما يشاء والله على كل شيء قدير))(٣)

و كذلك ليس علم اللوح و القلم جزءا من علم الرسول كما يدعي المتصوفة بل علم الرسول صلى الله عليه وسلم الذى آتاه الله اياه ما هو الا جزء قليل جدا بالنسبة الى علم الله سبحانه و تعالى و ذلك كما في قوله تعالى : ((قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي و لو جئنا بمثله مددا قل انما أنا بشر مثلكم يوحى الي أنما الهكم اله واحد فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا)(٤)

فعلم الله أوسع بكثير جدا من هذا العلم الذى أوحاه الله الى رسوله محمد صلى الله عليه و سلم فدعوى الصوفية بأن علم اللوح و القلم جزء من علم الرسول دعوى باطلة خالية تماما عن الصحة و ليس لها دليل تستند عليه الا اتباع الهوى و من أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله ان الله لا يهدى القوم الظالمين .

و كيف يدعي المتصوفة بأن الدنيا و الآخرة من جود الرسول و هو قد قال في سنته انه لا يملك لنفسه و لا لأقاربه من الله نفعا و لا ضرا بل هو عبد من عباد الله اصطفاه الله بالرسالة الخاتمة و جعله خير الخليقة

---

(١)— الليل آية ١٣

(٢)— البقرة آية ٢٨٤

(٣)— المائدة آية ١٧

(٤)— الكهف آية ١١٠

و قد أمره الله أن يقول في كتابه بأنه لا يملك شيئا لنفسه من النفع و الضر و ذلك كما في قوله تعالى :((قل لا أملك لنفسي نفعا و لا ضرا الا ما شاء الله و لو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير و ما مسني السوء ان أنا الا نذير و بشير لقوم يؤمنون))(١)

و في الحديث الذى رواه أبو هريرة رضي الله عنه أخبر الرسول قريشا و أقاربه من الأعمام و العمات و حتى بناته بأنه لا يملك لهم من الله شيئا و أمرهم أن يعتقوا أنفسهم من النار بالايمان و العمل الصالح واليك نص الحديث

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : (قام رسول الله صلى الله عليه و سلم حين أنزل الله عليه ((و أنذر عشيرتك الأقربين)) قال يا معشر قريش أو كلمة نحوها اشتروا أنفسكم لا أغني عنكم من الله شيئا يا عباس بن عبد المطلب لا أغني عنك من الله شيئا يا صفية عمة رسول الله صلى الله عليه و سلم لا أغني عنك من الله شيئا ويا فاطمة بنت محمد سليني من مالي ما شئت لا أغني عنك من الله شيئا)(٢)

ففي هذا الحديث أخبر الرسول صلى الله عليه وسلم بأنه لا يملك من الله شيئا و أن كل فرد مسئول عن عمله و أنه ليس مسئولا عن أحد بل كل أحد سيجازى بعمله ان خيرا فخير و ان شرا فشر و لذا نقول ان دعوى الصوفية بأن الدنيا و الآخرة من جود الرسول دعوى باطلة لا أساس لها من الصحة بل هي دعوى مبنية على اتباع الهوى فقط .

و قال صاحب كتاب تيسير العزيز الحميد الشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبدالوهاب بعد ذكره لهذا الحديث

---

(١) — الأعراف آية ١٨٨

(٢) — الشعراء آية ٢١٥

(٣) — صحيح مسلم مع النووى ٣ / ٨٠

فاذا صرح و هو سيد المرسلين لأقاربه المؤمنين و غيرهم خصوصا سيدة نساء العالمين و عمه و عمته و آمن الانسان أنه لا يقول الا الحق ثم نظر الى ما وقع في قلوب كثير من الناس من الاعتقاد فيه و في غيره من الأنبياء و الصالحين انهم ينفعون و يضرون و يغنون من عذاب الله حتى يقول صاحب البردة :

فان من جودك الدنيا و ضرتها و من علومك علم اللوح والقلم

تبين له التوحيد و عرف غربة الدين فأين هذا القول من قول صاحب البردة السابق و البرعي و أضرابهما من المادحين له صلى الله عليه وسلم بما يتبرأ منه ليلا و نهارا وبين اختصاصه بالخالق تعالى وتقدس كما قال تعالى ((قل لا أملك لنفسي نفعا ولا ضرا الا ما شاء الله و لو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير و ما مسني السوء ان أنا الا نذير و بشير لقوم يؤمنون))(١)

و قوله تعالى :((فماذا بعد الحق الا الضلال فأنى تصرفون كذلك حقت كلمة ربك على الذين فسقوا أنهم لا يؤمنون))(٢)

تالله لقد تاهت عقول تركت كلام ربها و كلام نبيها لوساوس و ما ألقاه الشيطان في نفوسها ومن العجيب أن اللعين كاد هم مكيدة أدرك بها مأموله فأظهر لهم هذا الشرك في صورة محبته صلى الله عليه وسلم و تعظيمه و محبة الصالحين و تعظيمهم و لعمر الله ان تبرئتهم من هذا التعظيم و المحبة هو التعظيم لهم والمحبة و هو الواجب المتعين و أظهر لهم التوحيد و الاخلاص في صورة بغض النبي صلى الله عليه وسلم و بغض الصالحين و التنقص بهم و ما شعروا أنهم تنقصوا الخالق سبحانه و تعالى و بخسوه حقه و تنقصوا النبي صلى الله عليه و سلم و الصالحين بذلك

---

(١)— الأعراف آية ١٨٨

(٢)— يونس آية ٣٢— ٣٤

أما تنقصهم للخالق تعالى فلأنهم جعلوا المخلوق العاجز مثل الرب القادر في القدرة على النفع و الضر

و أما بخسهم حقه تعالى فلأن العبادة بجميع أنواعها حق لله تعالى فاذا جعلوا شيئا منها لغيره فقد بخسوه حقه

و أما تنقصهم للنبي صلى الله عليه وسلم و للصالحين فلأنهم ظنوا أنهم راضون منهم بذلك أو أمروهم به و حاشا لله أن يرضوا بذلك أو يأمروا به كما قال تعالى (١)

((و ما أرسلنا من قبلك من رسول الا نوحي اليه أنه لا اله الا أنا فاعبدون)) (٢)

و هذا النبهاني قد أورد في كتابه رحمة الله على العالمين مثبتا على أن جميع الآيات و المعجزات التي حصلت للرسل عليهم الصلاة و السلام قبل الرسول ما هي الا من الرسول واليك الأبيات :

و كلهم من رسول الله ملتمس غرفا من البحر أو رشفا من الديم

فانه شمس هم فضل كواكبها يظهرن أنوارها للناس في الظلم (٣)

و أورد أيضا الأبيات التالية عن العلوى الحسيني :

فالى المرسلين أنت رسول منك حقا غشتهم الأضواء

أنت أصل لكل أصل فكل عنك فرع و انهم آباء

ففي هذه الأبيات يقول الحسيني أن الرسول محمد صلى الله عليه وسلم أرسل الى جميع الرسل من الله و أن جميع الأضواء التي حصل عليها الرسل انما جاءتهم من الرسول محمد صلى الله عليه وسلم ، ثم قرر في البيت الثاني أن الرسول أصل لكل شيء في هذا الكون و أن الكل بالنسبة للرسول يعتبر فرعا

---

(١) — تيسير العزيز الحميد شرح كتاب التوحيد ص ٢٦١ — ٢٦٢

(٢) — الأنبياء آية ٢٦

(٣) — رحمة الله على العالمين للنبهاني ص ٥١

و هذا معتقد باطل فالرسول صلى الله عليه وسلم لم يرسل الى الرسل و ذلك لأن الرسل الذين كانوا قبله قد أرسلوا برسالات من الله الى أقوامهم و أبلغوها كما أمرهم الله تعالى و لم يقصروا شيئا تجاه تبليغ هذه الرسالة و قد أوحى الله اليهم وحيا كما أوحى الى رسوله محمد صلى الله عليه وسلم و لم يأتهم الوحي من نور الرسول كما تدعي الصوفية و الدليل القاطع للاثبات بأن الرسل أوحي اليهم كما أوحي الى رسوله محمد صلى الله عليه وسلم قوله تعالى :

((انا أوحينا اليك كما أوحينا الى نوح و النبيين من بعده و أوحينا الى ابراهيم و اسماعيل و اسحاق و يعقوب و يونس و هارون و سليمان و أتينا داوود زبورا و رسلا قد قصصناهم عليك من قبل و رسلا لم نقصصهم عليك و كلم الله موسى تكليما رسلا مبشرين و منذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل و كان الله عزيزا حكيما))(١)

و لذا نقول ان دعوى الصوفية بأن علوم الرسل جزء من علم الرسول محمد و أنهم فاضت عليهم من نوره كذب محض و دجل و افتراء و تقول على الله فقط لأنه مصادم لما جاء في كتاب الله و سنة رسوله محمد صلى الله عليه وسلم و ذلك لأن الرسول آخر من خلق من الرسل فكيف يكون أصلا لهم و هو آخر من بعث منهم فكيف تفيض عليهم العلوم منه سبحانك هذا بهتان عظيم

و هذا أحد المتصوفة يزعم أيضا بأن جميع العلوم و المعجزات التي حصل عليها الرسل انما تحصلوا عليها من نور الرسول و في هذا يقول في شرح بيت البوصيرى :

و كل آى أتى الرسل الكرام بها فانما اتصلت من نوره بهم

قال : (ان كل معجزة أتى بها كل واحد من الرسل فانما اتصلت لكل واحد منهم من نور محمد صلى الله عليه و سلم و ما أحسن قوله : (فانما اتصلت من نوره بهم) فانه

---

(١) — النساء ١٦٣ إ — ١٦٥

يعطي أن نوره لم يزل قائما به و لم ينتقص منه شيء و انما كانت آيات كل واحد منهم من نوره صلى الله عليه وسلم لأنه شمس ففضل كواكب تلك الشمس يظهرن أن تلك الكواكب أنوار تلك الشمس للناس في الظلم فالكواكب ليست مضيئة بالذات و انما هي مستمدة من الشمس فهي عند غيبة الشمس تظهر نور الشمس فكذلك الأنبياء قبل وجوده عليه الصلاة و السلام كانوا يظهرون فضله فجميع ما ظهر على أيدي الرسل عليهم الصلاة و السلام من الأنوار فانما هي من نوره الفائض و مدده الواسع من غير أن ينتقص منه شيء و أول ما ظهر ذلك في آدم عليه السلام حيث جعله الله خليفة و أمده بالاسماء من مقام جوامع الكلم التي لمحمد صلى الله عليه وسلم فظهر بعلم الاسماء كلها على الملائكة القائلين ((أتجعل فيها من يفسد فيها)) الآيات . . . . وأن نور الرسول أول ما ظهر ظهر في آدم عليه السلام و تعلم آدم الاسماء كلها من الرسول محمد صلى الله عليه وسلم) (١)

و هذا اعتقاد فاسد و باطل و مخالف لما في كتاب الله تماما فآدم عليه السلام ليتعلم علم الاسماء من نور الرسول كما تزعم الصوفية و انما علمه الله اياها و يدل على هذا قول الله تعالى : ((و علم آدم الاسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء ان كنتم صادقين قالوا لا علم لنا الا ما علمتنا انك أنت العليم الحكيم)) (٢) .

و قال عبد العزيز الدباغ : (ان أرباب الكشف و العيان يشاهدون سيد الوجود صلى الله عليه وسلم و يشاهدون ما أعطاه الله عزوجل و ما أكرمه به ربه مما لا يطيقه غيره ويشاهدون غيره من المخلوقات الأنبياء و الملائكة و غيرهم و يشاهدون ما أعطاهم الله من الكرامات و يشاهدون المادة سارية من سيد الوجود صلى الله عليه وسلم الى كل مخلوق في حيوض من نوره فائضة من نوره صلى الله عليه وسلم ممتدة الى ذوات الأنبياء و الملائكة

---

(١) — حجة الله على العالمين للنبهاني ص ١٤

(٢) — البقرة آية ٣١ — ٣٢

عليهم الصلاة و السلام و ذوات غيرهم من المخلوقات فيشاهدون عجائب ذلك الاستمداد و غرائبه قال رضي الله عنه : و لقد أخذ بعض الصالحين طرف خبزة ليأكله فنظر فيه و من النفخة التي رزقها بنو آدم قال فرأى في ذلك الخبز خيطا من نوره فتبعه بنظره فرآه متصلا بخيط نوري الذي اتصل بنوره صلى الله عليه وسلم فرأى الخيط المتصل بالنور الكريم واحدا ثم بعد أن امتد قليلا جعل يتفرع الى خيوط كل خيط متصل بنعمة من نعم تلك الذوات)(١)

و هذا النص واضح حيث ادعى فيه الدباغ أن المادة سارية من الرسول الى كل ما في هذا الكون بما فيهم الملائكة و الأنبياء و حتى الخبز و هو افتراء على الله بغير علم لا يحتاج الى مناقشة و ردود و يكفي ما سبق في الرد عليه فكلهم قد قالوا هذا الكلام و عقيدتهم واحدة مهما اختلفت طرقهم و تباعدت أزمانهم و أماكنهم

---

(١) — حجة الله على العالمين للنبهاني ٥٢

ادعاء المتصوفة بأن الكون خلق من أجل محمد صلى الله عليه وسلم :

لم يكف المتصوفة بادعائهم بأن الرسول أول مخلوق و أنه خلق من نور و أن جميع الكون خلق من نوره و أن الدنيا و الآخرة كليهما و ما فيهما و ما بينهما من جوده و أن العلوم كلها من اللوح المحفوظ و القلم و علوم الرسل كلها جزء من علمه صلى الله عليه وسلم بل ادعوا أيضا بأن هذا الكون خلق من أجل محمد صلى الله عليه وسلم مخالفين بذلك النصوص الواردة في هذا المجال و التي تحدد غاية خلق الخلق و هي عبادة الله وحده لا شريك له

أولا : ذكر النصوص التي تثبت بأن المتصوفة يعتقدون هذا المعتقد :

من النصوص التي تثبت بأن المتصوفة يقولون بأن جميع ما في هذا الكون خلق من أجل محمد صلى الله عليه و سلم قول ابن نباتة المصرى (١) و الذى قاله معبرا عن معتقده :

لولاه ما كان أرض ولا أفـــق ولا زمـان و لا خلق و لا جيـــل

و لا مناسك فيهاللهدى شهب ولا ديار بها للوحـي تنـزيـــل (٢)

فالأبيات السابقة ادعى فيها ابن نباتة المصرى بأن جميع ما في هذا الكون من أرض و سماء و ما فيهما و ما بينهما خلق من أجل محمد صلى الله عليه وسلم و لو نظرنا الى هذا المعتقد بعين فاحصة ناقدة فسنجده بأنه معتقد باطل و مخالف تمام المخالفة لما جاء في الكتاب و السنة كما سأوضحه أثناء الرد عليهم في معتقدهم هذا بعد قليل ان شاء الله (٣)

و من النصوص التي تثبت بأن المتصوفة يعتقدون بأن الكون خلق من أجل محمد قول

---

(١) — هو عبد العزيز بن عمر بن محمد بن نباتة أبي الحاج التميمي السعدى توفي ببغداد في شوال . انظر ترجمته في وفيات الأعيان لابن خلكان ١ / ٢٧٠—٢٧٢

(٢) — التصوف بين الحق و الخلق لشقفة ٧٧

(٣) أنظر ٢٨٨ — الإجابة الباب

أحد المتصوفة حيث قال معبراعن هذا المعتقد : (لولاك لولاك ما خلقت الأفلاك)(١)

فالنص السابق صرح فيه هذا الصوفي بأنه لولا محمد بن عبد الله عليه أفضل الصلاة والتسليم ما خلقت هذه الأفلاك كلها من أرض و سماء

و هو معتقد باطل بين البطلان فالله عزوجل لم يخلق الانس و الجن و الملائكة وكل شيء في هذا الكون الا لعبادته سبحانه و تعالى

ثانيا : شبههم :

ان الشبه التي وقع بسببها المتصوفة في هذا المعتقد الفاسد تتلخص فيما يأتي :

أولا : الحديث الذى أخرجه الحاكم في مستدركه عن عبد الله بن حلم الفهرى عن اسماعيل بن مسلمة عن عبد الرحمن بن زيد عن أبيه عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لما اقترف آدم الخطيئة قال : يا رب بحق محمد لم غفرت لي ؟ قال : و كيف عرفت محمدا ؟ قال : لأنك لما خلقتني بيدك و نفخت في من روحك رفعت رأسي فرأيت على قوائم العرش مكتوبا " لا اله الا الله محمد رسول الله " فعلمت أنك لم تضف الى اسمك الا أحب الخلق اليك ، قال : صدقت يا آدم ولولا محمد ما خلقتك)(٢)

ووجه الاستشهاد بهذا الحديث هو قوله : (ولولا محمد ما خلقتك) و بهذا يستدل المتصوفة فيقولون ان الكون خلق من أجل محمد صلى الله عليه وسلم

ثانيا : من الشبه التي استدل بها المتصوفة على أن الكون خلق من أجل محمد

---

(١) — انظر سلسلة الأحاديث الضعيفة و الموضوعة للألباني ٢٩٩ وهو موضوع

(٢) — مستدرك الحاكم على الصحيحين ٢ / ٦١٥ و كذلك معجم الطبراني الصغير ٢ / ٨٢—٨٣ و البيهقي في دلائل النبوة ٥ / ٤٨٩

صلى الله عليه وسلم الحديث الموضوع الآتي : (لولاه ما خلقت الأفلاك) (١)

ففي هذا الحديث الموضوع تصريح بأن الكون خلق من أجل محمد صلى الله عليه وسلم

هذه هي الشبه التي يستدل بها المتصوفة لاثبات هذا المعتقد الباطل ،

ابطال هذه الشبه :

أولا : أقوال العلماء على الحديث الأول :

قال شيخ الاسلام ابن تيمية : (ورواية الحاكم لهذا الحديث مما أنكر عليه فانه نفسه قد قال في كتابه المدخل الى معرفة الصحيح من السقيم : عبد الرحمن بن زيد بن أسلم روى عن أبيه أحاديث موضوعة لا تخفى على من تأملها من أهل الصنعة أن الحمل فيها عليه .

قلت : وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم ضعيف باتفاقهم يغلط كثيرا ضعفه أحمد بن حنبل وأبو زرعة وأبو حاتم والنسائي والدارقطني وغيرهم

وقال أبو حاتم بن حبان : كان يقلب الأخبار وهو لا يعلم حتى كثر ذلك من روايته من رفع المراسيل واسناد الموقوف فاستحق الترك

وأما تصحيح الحاكم لمثل هذا الحديث وأمثاله فهو مما أنكره عليه أئمة العلم بالحديث وقالوا ان الحاكم يصحح أحاديث وهي موضوعة مكذوبة عند أهل المعرفة بالحديث . . . . ولهذا كان أهل العلم بالحديث لا يعتمدون على مجرد تصحيح الحاكم وان كان غالب ما يصححه فهو صحيح لكن هو في الصحيحين بمنزلة الثقة الذى يكثر غلطه وان الصواب أغلب عليه وليس فيمن يصحح الحديث أضعف من تصحيحه . . . .)

ثم قال شيخ الاسلام : (وهذا الحديث المذكور في آدم يذكره طائفة من المصنفين

---

(١) — سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة للألباني ٢٩٩ رقم ٢٨٢

بغير اسناد و ما هو من جنسه مع زيادات أخر كما ذكر القاضي عياض قال : و حكى أبو محمد المكي و أبو الليث السمرقندي و غيرهم أن آدم عند معصيته قال : اللهم بحق محمد اغفر لي خطيئتي . قال : ويروى : تقبل توبتي . فقال الله له : من أين عرفت محمدا ؟ قال : رأيت في كل موضع من الجنة مكتوب : " لا اله الا الله محمد رسول الله " . قال : و يروى : " محمد عبدي و رسول " فعلمت أنه أكرم خلقك عليك . فتاب عليه و غفر له .)

قال شيخ الاسلام : (و مثل هذا لا يجوز أن تبنى عليه الشريعة و لا أن يحتج به في الدين باتفاق المسلمين فان هذا من جنس الاسرائيليات و نحوها التي لا يعلم صحتها الا بنقل ثابت عن النبي صلى الله عليه وسلم و هذه لو نقلها مثل كعب الأحبار ووهب بن منبه و أمثالهما ممن ينقل أخبار المبتدأ و قصص المتقدمين عند أهل الكتاب لم يجز أن يحتج بها في دين المسلمين باتفاق المسلمين فكيف اذا نقلها من لا ينقلها لا عن أهل الكتاب و لا عن ثقات علماء المسلمين بل انما ينقلها عمن هو عند المسلمين مجروح ضعيف لا يحتج بحديثه و اضطرب عليه اضطرابا يعرف به أنه لم يحفظ ذلك ولا ينقل ذلك ولا ما يشبه أحد من ثقات علماء المسلمين الذين يعتمد على نقلهم و انما هي من جنس ما ينقله اسحاق بن بشر و أمثاله في كتب المبتدأ و هذه لو كانت ثابتة عن الأنبياء لكانت شرعا لهم و حينئذ فكان الاحتجاج بها مبنيا على أن شرع من قبلنا هل هو شرع لنا أم لا ؟ و النزاع في ذلك مشهور لكن الذي عليه الأئمة و أكثر العلماء أنه شرع لنا ما لم يرد شرعنا بخلافه و هذا انما هو فيما ثبت أنه شرع لمن قبلنا من نقل ثابت عن نبينا محمد صلى الله عليه وسلم أو بما تواتر عنهم لا بما يروى على هذا الوجه فان هذا لا يجوز أن يحتج به في شرع أحد من المسلمين) (١) .

---

(١) — التوسل و الوسيلة لشيخ الاسلام ابن تيمية ٨٥—٨٧ باختصار

و قال الحافظ ابن عبد الهادى في رده على السبكي في الصارم المنكي متعجبا في تقليد السبكي للحاكم في تصحيح هذا الحديث: (١)

(و اني لأتعجب منه كيف قلد الحاكم في تصحيحه مع أنه حديث غير صحيح ولا ثابت بل هو حديث ضعيف الاسناد جدا و قد حكم عليه بعض الأئمة بالوضع و ليس اسناده من الحاكم الى عبد الرحمن بن زيد بصحيح بل مفتعل على عبد الرحمن كما سنبينه و لو كان صحيحا الى عبد الرخمن لكان ضعيفا غير محتج به لأن عبد الرحمن في طريقه و قد أخطأ الحاكم و تناقض تناقضا فاحشا كما عرف له ذلك في مواضع فانه قال في كتاب الضعفاء بعد أن ذكر عبد الرحمن منهم: فهؤلاء الذين قدمت ذكرهم قد ظهر عندى جرحهم لمن طالبني بهم فان الجرح لا أستحله تقليدا و الذى أختاره لطالب هذا الشأن أن لا يكتب حديث واحد من هؤلاء الذين سميتهم فالراوى لحديثهم داخل في قوله صلى الله عليه وسلم: (من حدث عني حديثا و هو يرى أنه كذب فهو أحد الكذابين) (٢)

و قال الشيخ محمد خليل هراس معلقا على هذا الحديث:

(هذا الحديث باطل و الله لم يخلق آدم ولا غيره من أجل أحد و انما خلق الكل لعبادته كما قال تعالى: ((و ما خلقت الجن و الانس الا ليعبدون)) كما لا يجوز أن يسأل الله بحق أحد من خلقه فلا حق لأحد على الله) (٣)

و قد تعقب الذهبي الحاكم في تصحيحه لهذا الحديث فقال: (قلت بل موضوع و عبد الرحمن واه) (٤)

و قال في الميزان في ترجمة عبد الله بن مسلم الفهرى: (روى خبرا باطلا فيه (يا آدم

---

(١) — الصارم المنكي في الرد على السبكي ٣٦

(٢) — سنن الترمذى مع التحفة ٧ / ٤٢٢

(٣) — الخصائص الكبرى للسيوطي في الهامش ١ / ١٧

(٤) — تلخيص المستدرك ٢ / ٦١٥

لولا محمد ما خلقتك) (١)

و قد حكم ابن حجر أيضا ببطلان هذا الحديث في لسان الميزان (٢)

و أما الحديث الثاني الذى استدل به المتصوفة و هو(لولا ك لما خلقت الأفلا ك) فقد قال عنه الشيخ الألباني :إنه حديث موضوع كما قاله الصنعاني في الأحاديث الموضوعة ص٧ و أما قول الشيخ القارى ص ٦٧—٦٨ : (ولكن معناه صحيح فقد روى الديلمي عن ابن عباس مرفوعا أتى جبريل فقال : يا محمد لولا ك لما خلقت الجنة و لولا ك ما خلقت النار . و في رواية ابن عساكر : لولا ك ما خلقت الدنيا . فأقول : يجزم بصحة معناه لا يليق الابعد ثبوت ما نقله عن الديلمي و هذا مما لم أر أحدا تعرض لبيانه و أنا و ان كنت لم أقف على سنده فاني لا أتردد في ضعفه و حسبنا في التدليل على ذلك تفرد الديلمي به و أما رواية ابن عساكر فقد أخرجها ابن الجوزى أيضا في حديث طويل عن سلمان مرفوعا و قال : انه موضوع. و أقره السيوطي في اللآلي (٢٧٢/١)(٣)

و على هذا فاستدلال المتصوفة بهذين الحديثين لا يصح لأن الحديثين كليهما موضوعان كما هو واضح أمامنا و الى جانب ذلك فان معناهما يخالف ما جاء في كتاب الله عزوجل و ذلك اذا تدبرنا في كتاب الله عزوجل فسنجد فيه الجواب الشافي الكافي وهوأن كل ما في هذا الكون من انس و جن و حيوان و كافة الموجودات خلقت لغاية واحدة ألا و هي افراد الله بالعبادة الذى لا مثيل له ولا شريك له سبحانه و تعالى كما في قوله تعالى :((لم يلد و لم يولد و لم يكن له كفوا أحد)) (٤) و قد صرح القرآن بهذا في أوضح عبارة و أجلى بيان اذ قال سبحانه :((و ما خلقت الجن و الانس الا ليعبدون

---

(١)— الميزان ٥٠٤/٢

(٢)— لسان الميزان ٣٥٩/٣—٣٦٠

(٣)— سلسلة الأحاديث الضعيفة للألباني ٢٩٩

(٤)— الاخلاص ٣—٤

ما أريد منهم من رزق و ما أريد أن يطعمون ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين)(١)

و قال تعالى :((وان من شيء الا يسبح بحمده))(٢)

و الرسول محمد صلى الله عليه وسلم بشر وهو من جملة مخلوقات الله خلقه الله لعبادته كما خلق غيره و فضله بالرسالة الخاتمة و جعله أفضل الخليقة على الاطلاق و مع ذلك فليس الكون مخلوق من أجله بل هو مخلوق من أجل عبادة الله سبحانه و تعالى

و لا حاجة للاطالة في الرد عليهم لأنهم ليس لهم دليل يعتمدون عليه لاثبات هذه العقيدة الباطلة سوى الشبه التي قد سبقت و قد بينت بطلانها و لأن مثل هذه العقيدة التي تخالف الآيات القرآنية و الأحاديث النبوية ظاهرة البطلان لكل من كان له قلب أو ألقى السمع و هو شهيد ،

و قال الشيخ خالد محمد علي الحاج بعد أن ذكر الأدلة على أن الجن و الانس خلق لعبادة الله وحده :

(نعم خلق الله الجن و الانس و كل دابة في الأرض لتدين له وحده بالولاء و الطاعة و العبودية . . . . . ثم قال : ولا ندرى كيف يزعمون أن الكون مخلوق من أجل محمد نحن نطالب دعاة الضلال و أصحاب الافك و البهتان أن يأتوا بسبب واحد يدعمون به باطلهم

نقول ان محمداً بشر ممن خلق الله و سبقه كثير من اخوانه الرسل و الأنبياء جميعا صلوات الله عليهم جميعا و قد أمرنا الله سبحانه أن لا نفرق بين أحد من رسله)(٣)

---

(١)ـ الذاريات آية ٥٦

(٢)ـ الاسراء ٤٤

(٣)ـ الكشاف الفريد عن معاول الهدم و نقائض التوحيد لخالد محمد علي الحاج ٢٤٦/٢

المبحث الثاني : اعتقاد الصوفية بجواز التوجه الى الرسول صلى الله عليه وسلم بالدعاء و الاستغاثة و شبههم و حكم التوجه الى الرسول صلى الله عليه وسلم بالدعاء والاستغاثة

وتحته ثلاثة مطالب:

المطلب الأول : ذكر النصوص عنهم التي تدل على أنهم يتوجهون الى الرسول صلى الله عليه و سلم بالدعاء و الاستغاثة

المطلب الثاني : أهم الشبه التي يوردها الصوفية لتجويز دعاء الرسول صلى الله عليه و سلم و الاستغاثة به و مناقشتها

المطلب الثالث : حكم التوجه الى الرسول صلى الله عليه وسلم بالدعاء و الاستغاثة

المبحث الثاني : اعتقاد الصوفية بجواز التوجه الى الرسول بالدعاء و الاستغاثة من دون الله و سببهم و مناقشتها و حكم التوجه الى الرسول بالدعاء و الاستغاثة

لقد غلا المتصوفة تجاه الرسول صلى الله عليه و سلم غلوا شديدا حتى وصل بهم هذا الغلو الى رفع الرسول صلى الله عليه وسلم من منزلة العبودية الى منزلة الألوهية فتوجهوا اليه بالدعاء و الاستغاثة طالبين منه غفران الذنوب و تفريج الهموم و الكروب ناسين الله عز و جل الذى قال في كتابه ((و اذا سألك عبادى عني فاني قريب أجيب دعوة الداع اذا دعان)) (١)

و قوله تعالى ((و قال ربكم ادعوني استجب لكم ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين)) (٢)

و مع أن الدعاء عبادة من أجل العبادات التي يتعبد الانسان بها ربه سبحانه و تعالى فدعوا الأنبياء و الأولياء بحجة أنهم مقربون الى الله فيكون لنا وسطاء بيننا و بين الله سبحانه و تعالى و هذه هي نفس الحجة التي كان يحتج بها عباد الأوثان و الأصنام الذين بعث اليهم الرسول محمد صلى الله عليه و سلم ((سنة الله و لن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا))

و سأقسم هذا المبحث الى ثلاثة مطالب

المطلب الأول : و سأخصصه لايراد مقالات كبار المتصوفة التي تثبت توجههم الى الرسول بالدعاء و الاستغاثة

أما المطلب الثاني فسأخصصه لذكر أهم الشبه التي يستدل بها المتصوفة لتجويز

---

(١) — البقرة آية ١٨٦
(٢) — غافر آية ٦٠

التوجه الى الرسول بالدعاء و الاستغاثة

و في المطلب الثالث : سأذكر حكم التوجه الى الرسول بالدعاء و الاستغاثة من دون الله

المطلب الأول : نماذج من مقالات الصوفية التي تثبت توجههم الى الرسول بالدعاء و الاستغاثة

ان غلو الصوفية في الرسول محمد صلى الله عليه وسلم و توجههم اليه بالدعاء و الاستغاثة من دون الله عز وجل يظهر لنا في الأناشيد التي قالها أئمة التصوف لمدح الرسول صلى الله عليه وسلم بها وكل قارئ لهذه الأناشيد يرى فيها الغلو الشديد حيث ان المتصوفة نسوا الله عز وجل و صرفوا وجوههم نحو الرسول صلى الله عليه وسلم مع أن الرسول لم يبعثه الله الا لمحاربة أمثال هذه الشركيات التي وقع فيها الصوفية

و قبل أن أذكر نصوصا عنهم تثبت وقوعهم في دعاء الرسول صلى الله عليه و سلم سأعرف الدعاء في اللغة و الاصطلاح و ذلك حتى ابين معنى الدعاء

أولا : تعريف الدعاء في اللغة و الاصطلاح :

١ــ معنى الدعاء اللغوى :

أطلقت هذه المادة دع في الكتاب و السنة و كلام العرب و أهل العلم على معان شتى و لكن تلك المعاني بينها تفاوت فمنها ما استعملت فيه كثيرا وهو المراد عند الاطلاق و منها ما استعملت فيه نادرا هذا مع ما وورد تلك المعاني و صحتها و يمكن عند التأمل ارجاع تلك المعاني الى أصل واحد تدور عليه و هو امالة الشيء

قال ابن فارس رحمه الله : (دعو الدال و العين و الحرف المعتل أصل واحد و هو أن تميل الشيء اليك بصوت وكلام فيكون منك

ثم بين رحمه الله كيف أن المعاني المتعددة ترجع الى ذلك فبين أن قولهم دعا الله فلانا يدكره أى أنزله به يرجع الى ذلك لأنه اذا فعل ذلك به أماله اليه وأن قولهم تداعت الجيطان اذا سقط واحد وآخر بعده صار كان الأول دعا الثاني و أماله الى نفسه و دواعي الدهر صروفه كأنها تميل الحوادث (١)

فمن المعاني التي يدل عليها لفظ الدعاء : الطلب و السؤال

قال الحافظ بن أبو بكر بن العربي المالكي (ت ٥٤٣) الدعاء في اللغة و الحقيقة هو الطلب)(٢)

و قال محمد بن علي الشوكاني (ت ١٢٥٠) (معنى الدعاء حقيقة و شرعا هو الطلب) (٣)

ثم ان هذا المعنى هو أكثر استعمالا من المعاني الأخرى في الكتاب و السنة و اللغة و لسان الصحابة ومن بعدهم من العلماء (٤)

و مما ورد من الآيات التي تدل على أن الدعاء من معانيه الطلب و السؤال الآيات التالية

١ — قوله تعالى ((و لما وقع عليهم الرجس قالوا يا موسى ادع لنا ربك بما عهد عندك))(٥)

---

(١) — معجم مقاييس اللغة لابن فارس ٢ / ٢٧٩ و كذلك ٢ / ٢٧٩ — ٢٨٠

(٢) — أحكام القرآن لابن العربي ٢ / ٨١٥

(٣) — فتح القدير ٤ / ٤٩٨

(٤) — فتح المجيد ص ١٨٠

(٥) — الأعراف آية ١٣٤

٢ــ و قوله عز وجل : ((و اذ قلتم يا موسى لن نصبر على طعام واحد فادع لنا ربك)) (١)

٣ــ و قوله عز وجل : ((هنالك دعا زكريا ربه قال رب هب لي من لدنك ذرية طيبة انك سميع الدعاء)) (٢)

٤ــ و قوله سبحانه : ((قل أريتكم ان أتاكم عذاب الله أو أتتكم الساعة أغير الله تدعون ان كنتم صادقين . بل اياه تدعون فيكشف ما تدعون اليه ان شاء)) (٣)

٥ــ و قوله : ((قل من ينجيكم من ظلمات البر و البحر تدعونه تضرعا و خفية)) (٤)

٦ــ وقوله : ((واذا مس الانسان الضر دعانا لجنبه أو قاعدا أو قائما)) (٥)

٧ــ و قوله : ((أمن يجيب المضطر اذا دعاه و يكشف السوء)) (٦)

٨ــ و قوله : ((قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا)) (٧)

٩ــ و قوله : ((و يدع الانسان بالشر دعاءه بالخير)) (٨)

و قد تبين من هذه الآيات أن الدعاء معناه الطلب و ليس هو مطلق الطلب بل طلب خاص و هو طلب الأدنى من الأعلى تحصيل شيء بلا غضاضة من الأعلى (٩)

و ذلك لأن صيغة الطلب و الاستدعاء تختلف بحسب الطالب و المطلوب منه فاذا كانت ممن يقدر على قهر المطلوب منه فانها تقال على وجه الأمر و اذا كانت من الفقير من كل وجه للغني من كل وجه فانها تقال على وجه السؤال بتذلل و افتقار (١٠)

---

(١)ــ البقرة آية ٦١ (٢)ــ آل عمران آية ٣٨

(٣)ــ الأنعام ٤٠ــ٤١ (٤)ــ الأنعام آية ٦٣

(٥)ــ يونس آية ١٢ (٦)ــ النمل آية ٦٢

(٧)ــ الاسراء آية ٥٦ (٨)ــ الاسراء آية ١١

(٩)ــ نزهة النواظر في علم الوجوه و النظائر لابن الجوزى ص ٢٤٤

(١٠)ــ الفتاوى ١٠/ ٢٤٦

فيسمى ما كان من الأدنى للأعلى دعاءً وما كان من أعلى لأدنى أمرا وما كان من الأقران بعضهم من بعض التماسا .

ومن المعاني التي يشتمل عليها لفظ "الدعاء": العبادة:

وهذا المعنى ورد بكثرة في استعمالات القرآن الكريم والسنة النبوية وكلام أهل العلم وممن صرح بهذا المعنى أبو اسحاق الزجاج فقد قال في قوله تعالى ((أجيب دعوة الداع اذا دعان)) (١) قال:

(معنى الدعاء لله عزوجل على ثلاثة أضرب: فضرب منها توحيده والثناء عليه كقولك: يا الله لااله الا أنت، وقوله: ربنا ولك الحمد) (٢)

وقال الزجاج أيضا عن قوله تعالى: ((ادعوا ربكم تضرعا وخفية)) في تفسير خفية:

(أى اعتقدوا عبادته في أنفسكم لأن الدعاء معناه العبادة) (٣)

وقال الامام أبو منصور محمد بن أحمد الأزهرى اللغوى المشهور ت ٣٧٠هـ فانه قد قال: (وقد يكون الدعاء عبادة ومنه قوله تعالى ((ان الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم)) (٤) أى الذين تعبدون من دون الله)

ثم قال: (وروى مثل ذلك عن سعيد بن المسيب في قوله ((لن ندعو من دونه الها)) (٥) أى لن نعبد الها من دونه)

وقال عزوجل: ((أتدعون بعلا)) الصافات (٦) أى أتعبدون ربا سوى الله

---

(١) — البقرة آية ١٨٦ (٢) — معاني القرآن واعرابه للزجاج ٢/٣٤٤

(٣) — نفس المرجع ٢/٣٤٤ (٤) — الأعراف آية ١٩٤

(٥) — الكهف آية ١٤ (٦) — الصافات آيه ١٢٥

و قال : ((فلا تدع مع الله الها آخر)) (١) أى لا تعبده (٢)

و فوق هذا كله بيان الرسول صلى الله عليه و سلم هذا المعنى بقوله : (الدعاء هو العبادة) (٣)

و من استعماله في هذا المعنى قوله تعالى : ((قل اني نهيت أن أعبد الذين تدعون من دون الله)) (٤)

و قوله : ((ان يدعون من دونه الا اناثا و ان يدعون الا شيطانا مريدا)) (٥)

و قوله سبحانه : ((و اصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم خوفا و طمعا)) (٦) .

المعنى الشرعي للدعاء و المناسبة بينه و بين اللغوى :

لقد تنوعت عبارات العلماء في تعريف الدعاء و تعددت كلماتهم و كلها تهدف الى الكشف عن حقيقة معناه الشرعي و اليك نماذج من هذه التعريفات

قال أبو سليمان الخطابي في تعريف الدعاء : (الدعاء استدعاء العبد ربه عزوجل العناية و استمداده اياه المعونة و حقيقة اظهار الافتقار اليه و التبرؤ من الحول والقوة) (٧)

و قال القاضي أبو بكر بن العربي في تعريف الدعاء : (حقيقة الدعاء مناداة الله تعالى لما يريد من جلب منفعة أو دفع مضرة من المضار و البلاء بالدعاء فهو سبب لذلك و استجلاب لرحمة المولى) (٨)

---

(١) ـ الشعراء آية ٢١٣

(٢) ـ تهذيب اللغة ٣ / ١١٩ ـ ١٢٤

(٣) ـ جامع الترمذى ٥ / ٣٧٤

(٤) ـ الأنعام ٥٦

(٥) ـ النساء آية ١١٧

(٦) ـ الكهف آية ٢٨ . انظر معاني القرآن للفراء ١ / ١٩ و غريب القرآن لابن قتيبة ٤٣ و تهذيب اللغة للأزهرى ٣ / ١١٩

(٧) ـ شأن الدعاء للخطابي ص ٤ (٨) ـ نبذة في الدعاء لليافعي ص ٢٢

و قال شيخ الاسلام ابن تيمية : (ان دعاء المسألة هو طلب ما ينفع الداعي و طلب كشف ما يضره و دفعه) (١)

و قال شيخ الاسلام محمد بن عبد الوهاب : (هو الطلب بياء النداء لأنه ينادى به القريب و البعيد و قد يستعمل في الاستغاثة أو بأحد أخواتها) (٢)

من كل ما تقدم من تعريف الدعاء في اللغة و الاصطلاح نخلص الى أن الدعاء يأتي بمعنى السؤال و الطلب و يأتي بمعنى العبادة و كلا النوعين من أنواع الدعاء يعتبران عبادة لا يجوز صرفها لغير الله و مع ذلك فان الصوفية صرفوا هذه العبادة للرسول صلى الله عليه وسلم

---

(١) — الفتاوى ١٥ / ١٠

(٢) — الرسائل الشخصية من مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب ٤

ثانيا : ذكر نماذج من مقالات الصوفية . التي تثبت توجههم الى الرسول صلى الله عليه وسلم بالدعاء و الاستغاثة :

فمن المتصوفة الذين يعتبرون وصلوا القمة في المدائح النبوية و غلو فيه غلوا مفرطا زائدا عن الحد عبد الرحيم البرعي (١)

و اذا نظرنا في القصائد التي مدح بها الرسول صلى الله عليه وسلم نرى أنه قد غلا فيها غلوا شديدا زائدا عن الحد حيث تجاوز بالرسول منزلة العبودية و رفعه الى منزلة الألوهية

و مع الأسف الشديد فان القصائد التي انشدها عبد الرحيم البرعي يتغنى بها المتصوفة ليلا و نهارا على امتداد العالم الاسلامي و قد سمعناها في بلاد شتى فما من مناسبة كبيرة أو صغيرة يجتمع فيها المتصوفة الا و يتلون فيها أمثال هذه القصائد المليئة بالشركيات

و اليك نماذج عن هذه المدائح البرعية :

فقد قال مادحا للرسول صلى الله عليه وسلم و متوجها اليه بالدعاء و الاستغاثة سائلا اياه أن يأخذ بيده و ينجيه مما هو فيه من الكرب و المصائب :

فخذ بيدى و جد بالعفو يا من ... اذا ناديته لبى سريعا

و قل عبد الرحيم غدا رفيقي ... و ما يخشى رفيقك أن يضيعا

يا سيدى يا رسول الله خذ بيدى ... في كل هول من الأهوال ألقاه

ان كان زارك قوم لم أزر معهم ... فان عبدك عاقته خطاياه

---

(١) — عبد الرحيم البرعي هو عبد الرحيم بن علي البرعي الهاجرى اليمني . انظر ترجمته في البدر الطالع للشوكاني ٢/٢١٢

والعفو أوسع عن تقصير من قعدت ... به الذنوب فلم تنهض مطاياه

يا صاحب القبر المقيم ببيشرب ... يا منتهى أملي وغاية مطلبي

يا من نرجيه لكشف عظيمة ... ولحل عقد ملتو متصعب

يا من يجود على الوجود بأنعم ... خضر تعم عموم صوب الصيب

يا غوث من في الخافقين وغيثهم ... وربيعهم في كل عام مجدب

يا رحمة الدنيا وعصمة أهلها ... وأمان كل مشرق ومغرب (١)

اذا نظرنا في هذه الأبيات التي قالها البرعي مادحا بها الرسول صلى الله عليه وسلم نرى أنه قد غلا في مدح الرسول غلوا شديدا حتى وصل به هذا الغلو الى أن يصرف عبادات لا يجوز صرفها لغير الله عزوجل حيث توجه الى الرسول بالدعاء والاستغاثة وطلب منه أن يأخذ بيده وصرح بأنه اذا نادى الرسول فانه ينفذ له مطلوبه وطلب من الرسول أن ينجيه من كل الأهوال التي تصيبه في هذه الدنيا ووصفه أيضا بأن الرسول صلى الله عليه وسلم هو الذى يجود بالنعم لكل ما في هذا الكون وأخيرا وصف الرسول بأنه مغيث كل من في الخافقين وأنه أمان لكل من في المشرق والمغرب

وهذه الأوصاف كلها لا تليق الا بالله عزوجل ولكن الغلو الزائد أوقع البرعي في هذه الشركيات التي نراها واضحة في هذه الأبيات التي أوردناها عنه وهي لا تحتاج الى الايضاح والبيان لأن التوجه الى الرسول بالدعاء والاستغاثة واضح فيها من أولها الى آخرها

وهذه أبيات أخرى عن البرعي يتوجه فيها الى الرسول بالدعاء والاستغاثة فيقول :

ماذا نعامد يا شمر النبوة من ... أضحى اليك من الأشواق في كبدى

---

(١) — ديوان عبد الرحيم البرعي ١٤

فامنع جنـاب صريع لا صريخ لـــه ... نائي المـزار غريـب الدار مبتعـــــد

حليف ودك وه الصبـر منتظـــر ... لغارة منـــك يا ركني و يـا عضـــدى

أسيـر ذنبي و زلاتـــي و لا عمل ... أرجوا النجاة بـــه ان أنـت لم تجـــد

. . . . . .

و حل عقدة كربي يـا محمـد من ... هـم على خطـرات القلـب مطـــرد

أرجوك سكرات الموت تشهـــدني ... كما يهون اذا الأنفـــاس في صعـــد

و ان نزلت ضريحا لا أنيس بـــــه ... فكن أنيس وحيد فيـــه منفـــــرد

و ارحم مؤلفها عبد الرحيم و من ... يليه من أجله و انعشه و افتقـــــد

و ان دعاك فأجبـه و احم جانبه ... من حـاسد شامت أو ظالم نكـــــد

. . . . . .

يا رسول اللـه يا ذا الفضل يـا ... بهجة في الحشـر جـاهـا و مقامـــا

عد على عبد الرحيم الملتجـــي ... بحمى عزك يـا غـــوث اليتـامـــى

و أقلني عثـرتي يـا سيـــدى ... في اكتسـاب الذنـب في خمسين عاما

. . . . . .

يا سيـدى يا رسول الله يا أملي ... يا موئلي يا ملاذى يـوم يلقانـــــي

هبني بجاهـــك ما قدمت من زلل ... جودا و رجح بفضل منك ميزانـــــي

و اسمع دعائي و اكشف ما يساورني ... من الخطوب و نفس كـل أحزانـــي

فأنت أقرب مـن ترجى عواطفـه ... عنـدى و ان بعدت دارى و أوطانـــي

اني دعوتك من نيابتي بـــرع ... وأنت أسمع من يدعوه ذو شـــأن

فامنع جنابي و أكرمني و صل نسبي ... برحمة و كرامات و غفـــــران (١)

---

(١)— ديوان عبد الرحيم البرعي ص ٢٥

اذا نظرنا في الأبيات السابقة نرى فيها الشرك واضح و صريح و أظن اذا لم تكن مثل هذه الألفاظ شركا فليس هناك شيء يسمى شركا و ذلك لأن الأبيات من أولها الى آخرها فيها التوجه الى الرسول صلى الله عليه وسلم بالدعاء و الاستغاثة و لا يمكن أن تجد فيها و لو بيتا واحدا فيه التوجه الى الله سبحانه وتعالى و ذلك لأن المتصوفة أعرضوا عن الله كلية و ولوا وجوههم نحو الرسول و الأولياء بحيث اذا رأينا أحوال المتصوفة في العالم فاننا نراهم دائما يدعون الأنبياء و الأولياء وقل أن ترى صوفيا يتوجه الى الله وحده بالدعاء و الاستغاثة .

و من المتصوفة الذين بلغوا القمة في مدح الرسول صلى الله عليه و سلم عند المتصوفة و غلوا فيه غلوا شديدا أدى بهم الى أن يخرجوا الرسول من منزلة العبودية الى منزلة الألوهية فتوجهوا اليه بأنواع من العبادات التي لا يجوز صرفها لغير الله شرف الدين أبي عبد الله محمد البوصيري (١) و هذه القصائد البوصيرية يتلوها المتصوفة العوام منهم و الخواص على حد سواء في المناسبات العامة التي يقيمونها طوال السنة و يحفظونها حفظا متقنا و يتغنون بها

و اليك نماذج من هذه المدائح فقد قال البوصيري في بردة المديح متوجها الى الرسول صلى الله عليه و سلم بالدعاء و الاستغاثة طالبا منه غفران الذنوب و معترفا له بأنه ان لم يأخذ الرسول يوم القيامة بيده فقد هلك و أنه ليس له أى شيء يلوذ به ويلتجيء و يدعوه و يستغيث به عند حلول الحوادث و الكرب و المصائب الا الرسول محمد صلى الله

---

(١) — هو الأديب البليغ و الشاعر المجيد و الصوفي المتحقق شرف الدين أبو عبد الله محمد بن سعيد بن حماد بن محسن بن عبد الله و قد تلقى علومه و معارفه على طائفة من علماء عصره كأبي حيان و هو من تلاميذ أبي العباس المرسي .
أنظر ترجمته في أبو العباس المرسي ٨٩

عليه و سلم

قال البوصيرى :

ان آت ذنبا فما عهدى بمنتقضي ... من النبي و لا حبلي بمنصرم

فان لي ذمة منه بتسميتي ... محمدا و هو أوفى الخلق بالذمم

ان لم يكن في معادى آخذ بيدى ... فضلا و الا فقل يا زلة القدم

حاشاه أن يحرم الراجي مكارمه ... أو يرجع الجار منه غير محترم (١)

و قال أيضا :

يا أكرم الخلق مالي من ألوذ به ... سواك عند حلول الحادث العمم

و لن يضيق رسول الله جاهك بي ... اذا الكريم تجلى باسم منتقم (٢)

و قال البوصيرى أيضا في القصيدة الهمزية في مدح خير البرية :

قد تمسكت من ودادك بالحبل ... الذى استمسكت به الشفعاء

و أبى الله أن يمسني السوء ... بحال ولي اليك التجاء

قد رجوناك للأمور التي ... أبردها في قلوبنا رمضاء

و أتينا اليك انضاء فقر ... حملتنا الى الغنى انضاء

و انطوت في الصدر حاجات نفسي ... ما لها عن نديدك انطواء

فأغثنا يا من هو الغوث ... و الغيث اذا أجهد الورى الأواء

و الجواد الذى به تفرج الغمة ... عنا و تكشف الحوباء

يا بني الهدى استغاثة ملهوف ... أضرت بحالة الحوباء (٣)

---

(١)— بردة المديح للبوصيرى ٣٣

(٢)— بردة المديح للبوصيرى ٣٥

(٣)— قصيدة الهمزية في مدح خير البرية للبوصيرى ٢٧— ٢٨

اذا نظرنا في الأبيات السابقة التي أوردتها عن البوصيري نرى فيها الغلو الشديد الذي أدى به الى أن يتجاوز بالرسول منزلة العبودية الى منزلة الألوهية حيث توجه اليه بالدعاء والاستغاثة ووصفه بأنه هو الذي ينجيه يوم القيامة من الهلاك وأنه ليس له غيره منجي له ويظهر هذا الغلو في الأبيات الآتية :

أولا في قوله :

ان لم يكن في معادي آخذ بيدي فضلا والا فقل يا زلة القدم

وفي قوله :

يا أكرم الخلق مالي من ألوذ به سواك عند حلول الحادث العمم

وفي قوله :

واسمع دعائي واكشف ما يساورني من الخطوب ونفس كل أحزاني

وفيك يا بن خليل الله يوم غد ألوذ من سوء زلاتي وعصياني

ففي البيت الأول صرح البوصيري بأنه ان لم يأخذ الرسول بيده وينجيه من العذاب يوم القيامة فان مصيره الهلاك لأنه ليس هناك منجي من العذاب الا الرسول صلى الله عليه وسلم ونحن نقول وأين الله يا بوصيري ؟ !!

وفي البيت الثاني صرح بأنه لا يوجد أحد يلتجيء اليه ويتعلق به غير الرسول صلى الله عليه وسلم ونحن نقول وأين الله يا بوصيري ؟ !!

وفي البيت الثالث لقد توجه البوصيري الى الرسول بالدعاء والاستغاثة وسأله أن يكشف عنه المصائب وأن يزيل عنه أحزانه التي أصابته

وفي البيت الرابع أكد البوصيري بأن ملجأه الوحيد يوم القيامة هو الرسول صلى الله عليه وسلم لكي يغفر له ذنوبه ومعاصيه التي ارتكبها

و هذه الأبيات كلها الشرك بالله عزوجل واضح فيها كل الوضوح و اذا لم تكن هذه الألفاظ و أمثالها شركا فليس هناك شرك

و من المتصوفة الذين مدحوا الرسول صلى الله عليه وسلم أحمد عبد المنعم الحلواني فقد قال في قصيدته المستجيرة مخاطبا فيها الرسول صلى الله عليه وسلم وواصفاله بأنه مفزع جميع المخلوقات في الدنيا و الآخرة و مفرج كربهم وواصفا له بأن جميع خزائن الرحمن في يده

و اليك الأبيات التي تثبت ذلك ، قال :

أنشاك نورا ساطعا قبل السورى ... فرد الفرد و البرية في العدم

ثم استمد جميع مخلوقاته ... من نورك السامي فيا عظم الكرم

فلذا اليك الخلق تفزع كلهم ... في هذه الدنيا و في اليوم الأهم

واذا دهتهم كربة فرجتها ... حتى سوى العقلاء في ذاك منتظم

جد لي فان خزائن الرحمن في ... يدك اليمنى و أنت أكرم من قسم(١)

اذا نظرنا في الأبيات السابقة نرى فيها الغلو الزائد في الرسول صلى الله عليه و سلم واضح فيها حيث ادعى فيها الحلواني بأن الرسول أول مخلوق و أنه مخلوق من نور و أن جميع المخلوقات استمدت من نوره [illegible]

أما البيت الثالث و الرابع و الخامس فان الشرك فيها واضح حيث ان عبد المنعم الحلواني زعم أن جميع الخلائق يفزعون الى الرسول يوم القيامة و في هذه الدنيا أيضا

---

(١) — رسالة لأحمد عبد المنعم الحلواني ٤ ، نقلا عن التصوف بين الحق والخلق لشقفة ٥٨

لانجائهم من المهالك و لتحقيق المطالب و هذا رفع للرسول صلى الله عليه وسلم عن منزلة العبودية الى منزلة الألوهية و الربوبية

و زعم أيضا بأن الرسول هو المفرج لجميع الكرب التي تصيب البشرية ثم سأل الرسول أن يجود له من الخزائن التي في يده لأنه حسب زعم الحلواني ان خزائن الرحمن كلها في يد الرسول صلى الله عليه و سلم و كل هذا يعتبر شركا بالله سبحانه و تعالى فان خزائن الله في يده سبحانه و تعالى و ليست في يد غيره و يدل على هذا قوله تعالى:

((وان من شيء الا عندنا خزائنه و ما ننزله الا بقدر معلوم))(١)

و من المتصوفة الذين لهم الباع الطويل في مجال مدح الرسول صلى الله عليه و سلم و غلوا فيه غلوا شديدا حتى تجاوزوا به حدود البشرية و رفعوه الى منزلة الألوهية فتوجهوا اليه بالدعاء و الاستغاثة جعفر الصادق الميرغني (٢) في ديوانه المسمى برياض المديح متوجها الى الرسول بالدعاء و الاستغاثة :

من استجار به ينجيه من كرب ... فجاه طه وسيع لا بمنحصر

رب استجرت به في كل حادثة ... و كل نائبة ما عشت من عمري

و في القيام و في حشر لينقذني ... من كل ما أخشى من سيء القدر

كم جاء ذو ترح فعاد ذا فرح ... يرعى لذى قرح قصد لذى خطر

شفاء ذى وصب نجاة ذى عطب ... غياث ذى نصب في السهل و الوعر

من راح قاصده يلقى مقاصده ... كالبحر في كرم و الغيث و المطر

يا ذا النوال و ذا الاحسان يا أملي ... يا سيدى سندى ذخرى و مدخرى

---

(١) — الحجر ٢١

(٢) — جعفر الصادق الميرغني هو أحد أبناء محمد عثمان الميرغني الختمي مؤسس الطريقة الختمية بالسودان و التي تنتشر انتشارا واسعا في السودان و أرتيريا

قد صرت في حالة حيران مكتئبـــا ببا كم ملتـج يا سيد البشـيـــــر

فلا تخيب رجائي أنت أرأف بـــــي من لـــي سواك مزيل الغم و الضرر

وأحسن ختامي اذاوافى الحمام وصل حبلي بحبـــل رجـــاء منـــك مستتـــر (١)

اذا نظرنا في هذه الأبيات نرى أن جعفر صادق الميرغني قد توجه فيها الى الرسول صلى الله عليه و سلم بالدعاء و الاستغاثة و هذا واضح و ظاهر في الأبيات ولا يحتاج الى بيان أو ايضاح .

و يقول جعفر صادق الميرغني أيضا في قصيدة أخرى مستغيثا بالرسول صلى اللـــه عليه و سلم و داعيا له من دون اللـــــه :

يا رسول اللـــه غـوثـا عجـــــلا فعظيم الخطب فينـــا نـــــــزلا

يـا رسول الله دارك سيـــــدى أبدل العســـر بيســـر حصـــلا

يا رسول الله فـرج سنـــــــدى أصلـح الشأن و ســـد الخـــللا

أنت حصـــن الله من لاذ بـــــه أمن الخـــوف و نـال الأمـــــلا

أنت ســر الله يا نـور الهـــــدى أنت غـوث الخلـــق من كـل البلا

يا رفيع القـدر يا كهف الـــــورى يا منيع الفخـــر يا غيـــث المـــلا

يا مزيل الخطـب ان خطب دهـا سيدى أنت لهـــا غث عجـــــلا

فاغثني سيـــدى الأبناء مـــــن فرجـــا للناس كـلا ارســـــــلا

أبدل الحـال بحـال حســـــن واجبر الكســـر و بلغ أمـــــلا

يا رجائي يا رجـائـــي أملـــي أحسن العقـــبى وأصلح عمـــلا

حاشا من لاذ بكـم يسعـــى لكم قاصـــدا يرجع من غير صـــــلا

---

(١)— الديوان الكبير لجعفر صادق الميرغني ٥٠— ٥١

فاكشف الغماء عني عجلا يا مغيثا يا عظيما بطلا

عبدك الموثوق ذنبا جعفر كن به في كل أمر حفلا (١)

و يقول جعفر الصادق الميرغني أيضا في قصيدة أخرى متوجها الى الرسول صلى الله عليه و سلم بالدعاء و الاستغاثة :

أمان الكون في علو و سفل نجاة الآبق العبد الذليل

رسول الله داركنا فانا بشوم الذنب في هم طويل

حبيب الله انا منك نرجو فيوضا منك تشفي للغليل

و سرا منك يسرى في فؤادى دواء الجسم و القلب العليل

و خذلانا لنا و ينا بسوء يلاقي الذل مع خزى وبيل

وليس لنا سواك يغيث فادرك بهذا الدهر من قال و قيل

فعليك جعفر قد ضاق ذرعا فعجل بالغيات الى السبيل

و أنت دواء روحي بل و روحي ملاذى ناصرى عوني كفيلي

اذا نظرنا في الأبيات السابقة التي قالها جعفر الصادق الميرغني الختمي الذى يعتبر من ذرية مؤسس الطريقة الختمية المنتشرة في السودان انتشارا واسعا و كذلك في ارتيريا نرد فيها كلها من أولها الى آخرها الشرك الصريح حيث انه أعرض عن الله كلية و توجه الى الرسول صلى الله عليه و سلم و طلب منه أمورا لا يقدر عليها الا الله سبحانه و تعالى و قطعا ان الرسول لو كان حيا و سمع مثل هذا الكلام لأمره بالتوبة و شهادة أن لااله الا الله محمد رسول الله من جديد

و مع الأسف الشديد فان مثل هذه الأبيات هي التي يتلوها المتصوفة ليل نهار في أنحاء العالم الاسلامي

---

(١) — الديوان الكبير لجعفر الصادق الميرغني ٨٨—٨٩

و يقول جعفر الصادق الميرغني في قصيدة أخرى مادحا للرسول صلى الله عليه و سلم و متوجها اليه بالدعاء و الاستغاثة :

أغثني يا حبيب الله دارك بسر منك يسرى للغوار

و وصل يغني عن زيد و عمرو و هند ثم علوى مع سعاد

رسول الله باب الله فرج و أصلح حالتي يا خير هادى

و كن لي ناصرا في كل حال بسيف قاطع كبد الأعادى

أتاك الميرغني يرجو نوالا أنله الفيض يا بحر الجواد (١)

هذه الأبيات التوجه الى الرسول بالدعاء و الاستغاثة واضح فيها و كما هو معلوم فان التوجه الى غير الله يعتبر شركا بالله سبحانه و تعالى

و من المتصوفة الذين مدحوا الرسول صلى الله عليه و سلم بقصائد كثيرة و تجاوز فيها الحد بالغلو في الرسول صلى الله عليه و سلم حتى أدى بهم هذا الغلو الى رفع الرسول الى منزلة الألوهية فتوجهوا اليه بالدعاء و الاستغاثة و وصفوه بأنه كاشف الكرب و المنقذ من المصائب و المهالك بجميع أنواعها لمن دعاه . عبد الرحمن بن عبد الله المشهور بالشيخ حاج صوفي الصومالي القادرى نسبة الى الطريقة القادرية فقد قال :

و منجي البرايا بصرفه البلا ملاذ الخلائق

امام الهدى سيد الأولياء و من فوقهم فهو غيث العلا (٢)

اذا نظرنا في البيتين السابقين نرى أن الشرك فيهما واضح كل الوضوح حيث

---

(١) — الديوان الكبير المسمى برياض المديح ٢٧

(٢) — جلاء العينين ٦٤

وصف الرسول صلى الله عليه و سلم بأنه المنجي للخلائق و ملاذهم و مغيث من في العـلا و هذه أوصاف لا تليق بالرسول صلى الله عليه وسلم لأنه بشر لا يملك نفعا ولا ضرا وانما الذى يستحق هذا هو الله سبحانه و تعالى الذى بيده كـل شيء و الذى يستطيـع أن يغيث من استغاث به و ينجي من الهلاك من لاذ به أما غيره من المخلوقات كائنـا من كـان فانه لا يملك لانفسه و لا لغيره نفعا و لا ضرا فالكل عبيد الله سبحانه وتعالى يتصرف فيهم كيف يشاء و كل تحت قبضته و تصرفه .

و من المتصوفة الذين مدحوا الرسول صلى الله عليه و سلم بقصائد كثيرة و تجاوزوا فيها الحد حتى رفعوه الى منزلة الألوهية فتوجهوا اليه بالدعاء و الاستغاثة محيي الدين ابن محمد بن جمعال المعروف بـصـوفي القادرى (نسبة الى الطريقة القادرية) فقـد قال متوجها الى الرسول بالدعاء و الاستغاثة :

رسـول اللـه مـولانـا محمـد ... أغثـني أنـت يانـور الفـؤادى

طبيـبي يا حبيـب الله دارك ... عبيـدا خائفـا واء البعـاد

ألا يـا خير خلـق الله يـامـن ... يلـوذ به الخلائـق فـي الشـداد

ألا يـا سـيد السـادات ... كـن لي ظهيـرا دائما في كـل نـاد

ألا يـا زيـن الوجود و يا مجيرى ... فجـد بالسلامة وازديـاد

و هـب منـك عـزا يـا عمـادى ... و يـا عـونـي و يـا عيـن المـراد (١)

و قال الشيخ محيي الدين الصوفي أيضا بعد أن ذكـر سلسلة مشائخه في الطريقـة القادرية مادحا للرسول صلى الله عليه وسلم و متوجها اليه بالدعاء و الاستغاثة لعفـران

---

(١) ـ تذكرة أهل اليقين في مناقب الشيخ محيي الدين ١٣٣ـ١٣٤

الذنوب و كشف الكروب :

هـو المصبـاح منبـع كـل خيـر هـو المقصود مختـار الجيـاد

هو البحـر المحيـط جميـع در هـو المحمـود في كـل الأيادى

. . . . . .

ملاذ المؤمنيـن محـل خيـر مذاكـره فشـت في كـل واد

كـريم أكـرم الكـرما جميعـا و كـاشف كـربتي كـنزى و زادى

بمـدح المصطفـى سـر عظيـم أنـاديـه و أجعلـه عمـادى

سميـع مـادحيـه و مـن يصـلي عليـه أو يسـلـم و المنـادى

يصلي دائمـا صلـوات خمـس و يمشـي في البـلاد وفي البوادى

يـحـج البيـت حـج كـل عـام و يعتمـر بـاذن اللـه هـادى

يصـوم و تعـرض الأعمـال عرضـا لأمتـه عليـه فـي الأبـادى

يـولي مـن شـاء مـن الخيـار و يعليهـم على أهل الفسـاد

بـذا ورد الدليل فـلا تمـار كـزنـديق و نـاء بالعنـاد

رسـول الله مـولانـا محمـد أغثـني أنـت يـا نور الفـؤاد (١)

اذا نظرنا في الأبيات السابقة نرى أن الشرك فيها واضح حيث ادعى هذا الصوفي بأن الرسول صلى الله عليه وسلم هو المحمود في كل النعم التي يتنعم بها العباد في هذا الكون

ثم انه وصف الرسول بأنه ملاذ المؤمنين و ملجأهم الوحيد

ثم قال ان الرسول صلى الله عليه وسلم هو الذى يكشف كربه و ينجيه من المهالك و المصائب

---

(١) — تذكرة أهل اليقين ١٢٩

و هذه كلها شركيات واضحة فان الذى يستحق الحمد في كل النعم التي يتنعم بها العباد هو الله سبحانه وتعالى لأنه هو الذى أوجدها أما الرسول فليس موجدها بل هو يحمد الله سبحانه و تعالى على نعمه التي أنعم الله بها عليه و من أكبرها نعمة الرسالة أما أن يكون الرسول هو المقصود المحمود فهذا شرك بالله سبحانه و تعالى

و كذلك كاشف الكرب هو الله وحده أما غيره فليس باستطاعتهم ذلك كما قال تعالى : ((أم من يجيب المضطر اذا دعاه و يكشف السوء و يجعلهم خلفاء الأرض أاله مع الله قليلا ما تذكرون)) (١)

أما ادعاء هذا الصوفي بأن الرسول صلى الله عليه و سلم بعد انتقاله من هذه الحياة الدنيا الى الدار الآخرة يصلي الصلوات الخمس و يسبح في كل البلاد و يحج البيت و يعتمر و يصوم و تعرض أعمال أمته عليه و يولى من يشاء فهذه كلها افتراءات و كذب صريح على الله و رسوله محمد صلى الله عليه و سلم و ليس له أى دليل يعتمد عليه لاثبات هذه الادعاءات و الصوفية يقصدون من وراء نشر مثل هذه الأكاذيب توجيه الناس الى عبادة الرسول صلى الله عليه و سلم من دون الله

و الا فالرسول صلى الله عليه و سلم قد مات كما يموت غيره من البشر و انقطع عمله بموته كما ينقطع عمل غيره قال تعالى : ((و ما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم)) (٢)

و قال تعالى : ((انك ميت وانهم ميتون ثم انكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون)) (٣)

و يقول الرسول صلى الله عليه و سلم : (اذا مات ابن آدم انقطع عمله الا من ثلاث

---

(١) — النمل آية ٦٢

(٢) — آل عمران ١٤٤

(٣) — الزمر آية ٣٠—٣١

صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له) (١)

و الرسول صلى الله عليه و سلم لم يخبرنا بأنه سيؤدى الصلوات الخمس و سيحج البيت و يعتمر و يطوف في البلاد و تعرض عليه أعمال أمته في حديث صحيح و على هذا فهذا الحديث يشمله لأنه من بني آدم و ان كان له الفضل الكبير و المكانة العظيمة التي لا يملكها غيره من هذه المخلوقات .

و من المتصوفة الذين مدحوا الرسول صلى الله عليه و سلم و غلوا فيه غلوا شديدا حتى تجاوزوا به حدود البشرية و رفعوه الى منزلة الألوهية فصرفوا له أنواعا من العبادة كالدعاء و الاستغاثة

أويس الصومالي القادرى فقد قال مادحا للرسول صلى الله عليه وسلم و متوجها اليه بالدعاء و الاستغاثة :

أغثني يا محمد باسمك محمد أنا أويس أحمد

مالي سواك شافع ليوم الناس جامع عند المكان طامع رجائي فيك أحمد

الحبيب ذخرنا عين الكمل كنزنا و نصرة ليومنا ملاذ الخلق أحمد

المهتدى بنا سبيل لارشادنا اغفر لما أصابنا مما جنينا باليد (٢)

و قال أويس الصومالي أيضا مادحا للرسول صلى الله عليه وسلم و متوجها اليه بالدعاء

يا ابن عبد الله يا علم الهدى يا نور عرش الله أنت محمد

يا من بنا غوثا و غيثا للورى يا بهجة الكونين أنت محمد

يا من به شقت البدور بأمره و الشمس قد ردت لأجل محمد

. . . . . .

---

(١) — صحيح مسلم مع النووى ١١ / ٥٤ — ٨٥

(٢) — تذكرة أهل اليقين في مناقب الشيخ محيي الدين ١٤٦

طـوبـى لمـن حج وزار قبـــة خضـر و فيها أحمـــد و محمـد (١)

و قال الشيخ أويس مادحا للرسول صلى الله عليه وسلم و مستجيرا مستغيثا به :

ألا يا رسول اللـــه فلـــبي مهيـم و نفسي بكـت في وجهك المتلمـــع

ألا يا حبيب اللـــه أنت شرابنـــا و أنت غذاؤنـا عند كـل مشـــبع

ألا يا رسول الله أنـت ملاذنـــا و أنت رجانـا عند كـل مشـــفع

أغثنا أغثنا يا حبيـــبي و كن لنـا رؤوفا رحيمـــا عند خفض و مرفـــع(٢)

اذا نظرنا في الأبيات السابقة التي أوردتها عن الشيخ أويس يتضح لنا بجلاء أنها تحتوى على دعاء الرسول و التوجه اليه بالدعاء و الاستغاثة من دون الله سبحانـــه و تعالى و هذا يعتبر شركا بالله سبحانه و تعالى لأنه فيه اخراج للرسول من درجتـــه البشرية الى درجة الألوهية و ذلك لأن الدعاء عبادة و لذا فهو لا يستحقها الا اللـــه سبحانه و تعالى الذى يجيب المضطر اذا دعاه و يكشف السوء أما غيره من مخلوقاته فـلا يستحق العبادة كائنا من كان لا ملكا مقربا و لا نبيا مرسلا

و نقل لنا النبهاني أبياتا عديدة عن كثير من الذين غلو في الرسول صلى الله عليه و سلم و تجاوزوا به حد البشرية و العبودية الى منزلة الألوهية بتوجههم اليه بالدعـــاء و الاستغاثة ووصفه بأوصاف لا تليق الا بالله سبحانه و تعالى و قد أورد النبهاني هـــذه الأبيات عن هؤلاء الغلاة لكي يدلل بها على جواز التوجه الى الرسول بالدعاء والاستغاثة و فات النبهاني أن الذى يصح أن يكون حجة هو نص من كتاب الله أو من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقط لا غير ولا يمكن كلام أحد كائنا من كان أن يكون حجة في دين الله في أى شيء كان من أمور الشريعة الاسلامية حتى في المندوبات و المستحبات فضلا عـــن

---

(١) ــ تذكرة أهل اليقين في مناقب الشيخ محيي الدين ١٤٨

(٢) ــ الجوهر النفيس في خواص الشيخ أويس ٥٨

أن يكون حجة لاثبات أمر عقدى أمرت الشريعة أن يكون لله فقط و الدعاء يعتبر من العبادات التي أمر الله أن يعبد بها فقال في كتابه : (ادعوني أستجب لكم ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين) (١)

و قال الرسول صلى الله عليه وسلم : (الدعاء هو العبادة) (٢)

و مع وجود هذه الأدلة القطعية من الكتاب و السنة أراد يوسف النبهاني الصوفي الشاذلي أن يثبت مشروعية دعاء غير الله فأورد عدة أبيات عن من ابتلوا بالغلو و مجاوزة الحد و هذه الأبيات كلها تفوح منها رائحة الشرك بل هي كلها مليئة بألفاظ صريحة تدل دلالة لفظية واضحة على الشرك بالله سبحانه و تعالى و اليك الآن نماذج من تلك الأبيات التي أوردها النبهاني عمن سبقوه من أسلافه الذين ابتلوا بتعظيم الرسول التعظيم المبتدع الذى وصل بهم الى أن يشركوه مع الله في عبادته

قال النبهاني : قال شرف الدين الأبوصيرى المتوفي سنة ٦٩٦ هـ :

يا أبا القاسم الذى ضمن أقسا ... مي عليه مدح له و ثناء

الأمان الأمان ان فؤادى ... من ذنوب أتيتهن هواء

قد تمسكت من ودادك بالحب ... ل الذى استمسكت به الشفعاء

و أبى الله أن يمسني السوء ... بحال ولى اليك التجاء

قد رجوناك للأمور التي ... أبردها في فؤادنا رمضاء

. . . . . .

فأغثنا يا من هو الغوث ... و الغيث اذا أجهد الورى الأواء

و الجواد الذى به تفرج الغمة ... عنا و تكشف الحوباء (٣)

---

(١) — غافر ٦٠

(٢) — سنن الترمذى ٥ / ٤٢٦

(٣) — شواهد الحق للنبهاني ٢٥٠

و نقل عن شمس الدين النواحي المصرى المتوفي سنة ٨٥٩ هـ الأبيات التالية :

يارســـول الالـــه انـــي غريـــب فأغثـــني يا ملجـأ الغربـــاء

يا رســـول الالـــه اني فقيـــر فأعـــني يا منجـــد الفقـــراء

يا رســـول الالـــه اني ضعيـــف فاشـــفني أنت مقصد للشـــفاء

يا رســـول الالـــه ان لم تغثـــني فالى من تـــرى يكـــون التجائي

أنـــت ذخرى وعدتـــي و مـــلاذى و غياثـــي وعمـــدتي و رجـــائي (١)

و نقل النبهاني عن الشيخ عبد العزيز بن علي الزمزمي المكي المتوفي سنة ٩٦٣ هـ أنه قـــال متوجها الى الرسول بالدعاء و الاستغاثة راجيا منه تفريج الكرب و الهمـــوم و قد افتتح الأبيات بقوله :

يـــا حبيـــب الالـــه يا أعظم الخلق اختصاصا و رفعـــة و اجتبـــاء

. . . . . .

يـــا منيع الحمـــى اليك التجـــائي من عـــنى مـــا جددت منه لجـــاء

. . . . . .

من به الملتجىء يؤول لخيـــــر و يعـــودا بتآسه نعمـــــاء

نفحـــة لمحة غياثا عيـــــــاذا عطفـــة جذبـــة جوابـــا نـــداء

ضقت ذرعـــا و ســـوح بابك رحب يســـع المقترين و الأغنيـــاء

كـــم همـــوم من الديون علتـــني أنـــا في فكـــرها صباح مســـاء

ثقلت عند حملها غيـــر أنـــي بك أرجـــوا وضعا لها أو وفـــاء

أنت في كـــل مطلب نصـــب عيـــني لا أرى لـــي الـــى سواك التجـــاء

. . . . . .

يا مرجـــى الخطـــوب أنـــت المرجـــى عند مـــا ترجى الخطـــوب الرجـــاء

عظمت كـــربـــتي فجئتك قاصـــدا قاصـــدا للعظائم العظمـــاء

و أجزنـــي على الصـــراط اذا مـــا صـــح هول الجـــواز أن لا نجـــاء

---

(١) — شواهد الحق للنبهاني ٣٥٢

يا ملاذى اذا الموازين وازت　　علي وهو لا يوازى الهباء

يا عياذا اذا تطايرت الصحف　　يمينا و يسرة ووراء

. . . . . .

يا أماني من خيفتي هدروعي　　ان روعي أغرى به العرواء

يا غياثي اذا دنا لهب الشمس　　وأذكى لعابها الرمضاء

أنت لي جنة هناك ودرع　　سابغ أتقي به الأواء (١)

و نقل النبهاني أيضا عن محمد الجمال الحلبي أنه قال متوجها الى الرسول صلى الله عليه وسلم مستغيثا به و لائذا و مستنصرا :

يا ملاذى يا منجدى يا منائي　　يا معاذى يا مقصدى يا رجائي

يا نصيرى يا عمدتي يا مجيرى　　يا خفيرى يا عدتي يا شفائي

أدرك أدرك أغث أغث يا شفيعي　　عند ربي واعطف و حبه الرضاء

أنت عوني و ملجيء و غياثي　　و جلا كربتي و أنت غنائي (٢)

و نقل النبهاني عن مصطفى البابي الحلبي أنه قال متوجها الى الرسول صلى الله عليه وسلم بالدعاء و الاستغاثة و ناصحا لكل الناس أن يتوجهوا اليه بجميع مطالبهم قال :

و ان ضقت ذرعا من تعاظم ما مضى　　فلا تنس عفوا الله فالعفو أرحب

و لذ بجانب الفاتح الخاتم الذى　　به يطمئن الخائف المترقب

اذا الخطب أبدى ناجذيه فناده　　تجد خير جار في الملمات ينتدب

و ان لدغتك الموبقات فداوها　　به فهو ترياق الخطوب المجرب

به تكشف الغمى به يدفع البلا　　به الداء يستشفى به الصدع

---

(١) — شواهد الحق للنبهاني ٣٥٣

(٢) — شواهد الحق للنبهاني ٣٥٥

اليـك رسول الله قد جـاء ضـارعا أخو عثـرة يرجـو الاقالـة مذنـب

فبابـك باب الله ما عنـه مذهـب و غالبـه من غير بابـك يحجـب

. . . . . .

أغثـني تداركني أجرنـي فانـني لقى ان تراخـى عنـه لطفك يعطب

غريق ذنـوب خانه الحول فاغتـدى بملتطم الأمـواج يطفـو و يرسـب

ذنـوب يحتل المعذب فالخوف غالب ولكني رجائي في جنابـك أغلـب(١)

و نقل عن عبد الغني النابلسي أنه قال متوجها الى الرسول بالدعاء والاستغاثة :

يا بهجـة الكون يـا طـه الرسول ومن له مقام عظيم كـلـه أدب

. . . . . .

يدعوك مسكينك العبد الذى بطشت أيد العباد به و القلب مكتئـب

فاكشف له كربـة أودت بمهجتـه يا خير من كشفت عنا به الكرب

و ما دعوناك في تفريـج شدتنـا الا لأنك فـي تفريجها سبـب(٢)

و نقل النبهاني أيضا عن عبد الله الشبراوى المصرى المتوفي سنة ١١٧٢هـ حيـن زيارته للنبي صلى الله عليه وسلم :

يا أخـا الأشـواق هذا المصطفى بث شـكواك له و انتحـب

و اكحـل الآمـاق من تربتـه ينجلي عنك جميـع النصـب

و تذلـل و تضـرع و ابتهـل و توسـع في الأمـاني و اطلب

فهو بحـر زاخـر من جـاءه طالبـا فاز بأسـنى مطلب(٣)

و نقل النبهاني عن مصطفى البكرى شيخ الطريقة الخلوتية أنه حكى عن محمد الحنفي الحكاية التالية :

---

(١) ـ شواهد الحق للنبهاني ٣٦٣

(٢) ـ شواهد الحق للنبهاني ٣٦٤

(٣) ـ شواهد الحق للنبهاني ٣٦٥

أن محمد الحنفي فرش سجادته على البحر و قال لمريده : قل يا حنفي و امشي .فمشى المريد خلفه فخطر له لم تقول يا حنفي هلا قلت يا الله ؟ فلما قالها غرق فأمسك الشيخ بيده و قال له:أنت الحنفي تعرفه فكيف بالله فاذا عرفت الله فقل يا الله (١)

و هذه القصة و أمثالها توضح لنا مدى الوقاحة التي وصل اليها المتصوفة حيث انهم ارتفع عنهم خوف الله عزوجل و أعرضوا عنه بالكلية حتى وصل بهم الأمر الى أن يقولوا ان من توجه الى الله بالدعاء و الاستغاثة فان مصيره الهلاك بخلاف من استغاث بغير الله من الأنبياء و الأولياء فان النجاة لهم حتمية و هذا يدل على مدى انحطاط المتصوفة و ايغالهم في الشرك بالله حيث جعلوه دينهم الذى يدينون به و اعتبروا توحيد الله من موارد الهلاك و الدمار كما هو واضح أمامنا في هذه القصة التي فيها الجرأة على الله و الاستهانة به و بالفعل مثل هذا الكلام لا يمكن أن يخرج من انسان فيه مثقال ذرة من ايمان و انما يمكن أن يخرج من انسان انسلخ قلبه من الايمان بالله و برسوله محمد صلى الله عليه وسلم .

و الخلاصة بعد ايرادنا تلك المقالات الشعرية عن المتصوفة و من سار على نهجهم من القبوريين التي مدحوا فيها الرسول و تجاوزوا فيها الحد حيث غلوا في الرسول ورفعوه الى منزلة الألوهية و الربوبية نستطيع أن نقول أن المتصوفة قد وقعوا في انحراف عقدى خطير جدا حيث توجهوا الى الرسول بالدعاء و الاستغاثة طالبين منه غفران

---

(١) — شواهد الحق للنبهاني ٢٤٧ و انظر كذلك في استغاثات المتصوفة بالرسول الكتب التالية : كتاب منتخب التصوف لماء العينين ٤ ،و كذلك كتاب قصيدة زاد القيامة لمحمد أبي الهدى الرفاعي ١٧ ،و كذلك الدرة الخريدة شرح الياقوتة الفريدة لمحمد فتحا ١/ ٧١— ١/ ٨٠ — ١/ ٨١ ،و كذلك شرح منحة الصفا ١١٠

الذنوب و تفريج الكروب و غير ذلك من المطالب تاركين الله عزوجل وراء ظهورهم معرضين عن دعائه سبحانه و تعالى الذى قال في كتابه : ((ادعوني أستجب لكم)) (١)

و قوله سبحانه : ((واذا سألك عبادى عني فاني قريب أجيب دعوة الداع اذا دعان)) (٢)

و بما أن الدعاء يعتبر عبادة من أجل العبادات فان صرفه للرسول على الله عليه و سلم يعتبر شركا بالله سبحانه و تعالى و ذلك لأن الرسول عبد من عباد الله ولا يستحق شيئا من حقوق الألوهية بل هو صلى الله عليه وسلم كان يعبد ربه و يصلي الليل حتى تتفطر قدماه و كان يستغفر الله كثيرا صلى الله عليه وسلم

و لأن غفران الذنوب و تفريج الكروب و الانجاء من المهالك في الدنيا و الآخرة خاص بالله سبحانه و تعالى قال تعالى : ((و من يغفر الذنوب الا الله)) (٣) و الجواب لا أحد يغفر الذنوب الا الله سبحانه و تعالى لا نبيا مرسلا و لا ملكا مقربا ولا وليا

و على هذا فالمتصوفة بتوجههم بالدعاء الى الرسول و الاستغاثة به و طلب غفران الذنوب منه يعتبرون قد وقعوا في الاشراك بالله غيره لأن الدعاء عبادة فصرفه لغير الله يعتبر شركا بالله سبحانه و تعالى

---

(١) — غافر آية ٦٠

(٢) — البقره آيه ١٨٦

(٣) — آل عمران آية ١٣٥

المطلب الثاني : أهم الشبه التي يستدل بها الصفية لتجويز التوجه الى النبي صلى الله عليه وسلم و الأولياء بالدعاء و الاستغاثة من دون الله :

ان الشبه التي يوردها الصوفية ليحتجوا بها على جواز التوجه الى النبي صلى الله عليه وسلم و الأولياء كثيرة جدا يصعب حصرها و أهم الشبه تنحصر في الأشياء التالية :

أولا : سوء فهم المتصوفة للأحاديث الواردة في التوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم و عدم تفريقهم بين التوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم و بين دعائه و الاستغاثة به من دون الله حيث اننا اذا نظرنا في كتب المتصوفة نرى أنهم دائما يوردون الأحاديث الواردة في التوسل المشروع ليحتجوا بها على جواز التوجه الى النبي صلى الله عليه و سلم بالدعاء و الاستغاثة و على جواز التوسل بذاته مع أننا اذا نظرنا في الأحاديث التي تتكلم عن توسل الصحابة بالنبي صلى الله عليه وسلم فاننا نراها لا تخرج عن شيء واحد ألا وهو التوسل بدعاء النبي صلى الله عليه وسلم حيث ان الصحابة كانوا يأتون الى النبي و يطلبون منه الدعاء فيدعو لهم الرسول و هنا لا نزاع بيننا و بين المتصوفة في هذا التوسل و لكن هذا الآن غير ممكن لأن الرسول قد مات ثم ان الاستدلال بأحاديث التوسل المشروع على جواز التوسل الممنوع ألا وهو التوسل بذات النبي يعتبر استدلالا بنص ليس نصا في محل النزاع بل هو خارج عنه ولذا فلن أناقش المتصوفة في الأحاديث التي وردت في توسلات الصحابة بدعائه في حياته لأن هذا ليس محل النزاع بيننا و بينهم و استدلالهم بهذه الأحاديث على جواز التوسل بذات النبي و جاهه و مكانته عند الله و التوجه اليه بالدعاء و الاستغاثة كما يفعل المتصوفة هذا يعتبر استدلالا باطلا لأنه ليس هناك ولو نصا واحدا من كتاب الله ولا من سنة رسول الله يجيز التوجه الى النبي

بالدعاء و الاستغاثة بل العكس كل النصوص تحذر من صرف العبادات لغير الله كائنا من كان

ثانيا : النصوص التي تثبت لنا على أن المتصوفة يخلطون بين التوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم و بين دعائه و الاستغاثة به و أنهم يرون الكل بمعنى واحد ،

فقد قال النبهاني : (و ينبغي للزائر أن يكثر من الدعاء و التضرع و الاستغاثة و التشفع و التوسل و التوجه به صلى الله عليه وسلم فجدير بمن استشفع به أن يشفعه الله تعالى فيه فان كلا من الاستغاثة و التوسل و التشفع و التوجه للنبي كما في تحقيق النصرة و مصباح الظلام و غيرهما واقع في كل حال قبل خلقه و بعده في مدة حياته في الدنيا و بعد موته في مدة البرزخ و بعد البعث في عرصات القيامة)

و استدل النبهاني في الاستشفاع به قبل خلقه بقصة آدم و في حياته بحديث الضرير (١)

مما تقدم يتضح لنا أن النبهاني لا يرى فرقا نهائيا بين التوسل بالنبي صلى الله و سلم و بين التوجه اليه بالدعاء و الاستغاثة حيا و ميتا و مما يدل على هذا قول النبهاني في مكان آخر من نفس الكتاب وهو يصف الرسول صلى الله عليه وسلم بأوصاف لا تليق الا بالله حيث قال :

(فهو الوسيلة الى نيل المعالي و اقتناص المرام و المفزع يوم الجزع و الهلع لكافة الرسل الكرام و اجعله أمامك فيما نزل بك من النوازل و أمامك فيما تجادل من القرب و المنازل فانك تظفر من المراد بأقصاه و تدرك رضا من أحاط بكل شيء علما وأحصاه)(٢)

---

(١) — الأنوار المحمدية للنبهاني ٦٠٤

(٢) — الأنوار المحمدية للنبهاني ٦٠٥

و قال النبهاني أيضا : (لقد اتفق العلماء العارفين على جواز التوسل به عليه الصلاة و السلام الى الله لقضاء الحاجات في حياته و بعد الممات و قد صار من المجربات أن من استغاث به صلى الله عليه وسلم الى الله باخلاص و صدق التجاء تقضى حاجته مهما كانت ولم يحصل التخلف لأحد الا من ضعف اليقين و حصول التردد وعدم صدق الالتجاء)(١)

و من المتصوفة الذين خلطوا بين التوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم و بين دعائه و الاستغاثة به نور الدين علي بن أحمد السمهودى المتوفي ٩١١هـ فقد قال : (اعلم أن الاستغاثة و التشفع بالنبي صلى الله عليه وسلم و بجاهه و بركه الى ربه تعالى من فعل الأنبياء و المرسلين و سير السلف الصالح واقع في كل حال قبل خلقه و بعد خلقه في حياته الدنيوية و مدة البرزخ و عرصات القيامة)(٢)

و قد استدل بنفس الأدلة التي استدل بها النبهاني

و من المتصوفة الذين خلطوا بين التوسل بالنبي صلى الله عليه و سلم و بين التوجه اليه بالدعاء و الاستغاثة سلامة العزامي

فقد قال بعد أن أورد حديث خطيئة آدم : و في هذا الحديث التوسل برسول الله صلى الله عليه و سلم قبل أن يتشرف هذا العالم بوجوده فيه و أن المدار في صفة التوسل على أن يكون للمتوسل به القدر الرفيع عند ربه و أنه لا يشترط كونه حيا في دار الدنيا و منه يعلم أن القول بأن التوسل لا يصح الا وقت حياته في دار الدنيا قول من اتبع هواه

---

(١)— رحمة الله على العالمين للنبهاني ٨١٤— ٨١٥

(٢)— وفاء الوفاء بأخبار المصطفى للسمهودى ٤ / ١٣٧١

بغير هدى من الله)(١)

واستدل العزامي أيضا على جواز التوسل بالنبي صلى الله عليه و سلم و ندائه في مغيبه في حياته و بعد مماته بحديث الضرير حيث قال بعد ايراده لحديث الأعمى: (وهو صريح في أمره صلى الله عليه و سلم لذوى الحاجات بالتوسل به و ندائه في مغيبه في حياته و بعد وفاته صلى الله عليه و سلم و قد فهم الصحابة منه ذلك)(٢)

و من المتصوفة الذين خلطوا بين التوسل بالنبي صلى الله عليه و سلم و التوجه اليه بالدعاء و الاستغاثة زيني دحلان حيث قال :

(فالتوسل و التشفع و الاستغاثة كلها بمعنى واحد و ليس لها في قلوب المؤمنين معنى الا التبرك بذكر احياء الله تعالى لما ثبت أن الله يرحم العباد بسببهم سواء كانوا أحياء أو أمواتا)(٣)

و يقول زيني دحلان : (و لا فرق في التوسل بين أن يكون بلفظ التوسل أو التشفع أو الاستغاثة أو التوجه لأن التوجه من الجاه و هو علو المنزلة و قد يتوسل بذى الجاه الى من هو أعلى منه جاها و الاستغاثة معناها طلب الغوث و المستغيث يطلب من المستغاث به أن يحصل له الغوث من غيره و ان كان أعلى منه فالتوجه و الاستغاثة به صلى الله عليه و سلم و بغيره ليس لهما معنى في قلوب المسلمين الا طلب الغوث حقيقة من الله تعالى و مجازا بالتسبب العادى من غيره و لا يقصد أحد من المسلمين غير ذلك المعنى فالمستغاث به حقيقة هو الله و أما النبي صلى الله عليه و سلم فهو واسطة

---

(١)— البراهين الساطعة للعزامي ٣٩٤

(٢)— البراهين الساطعة للعزامي ٣٩٦

(٣)— الدرر السنية في الرد على الوهابية ١٤

بينه و بين المستغيث)(١)،

المناقشة

ان التوسل بالنبي صلى الله عليه و سلم منه ما هو مشروع و منه ما هو مبتدع فالتوسل المشروع هو التوسل بالايمان بالنبي صلى الله عليه و سلم و بطاعته و محبته و كذلك التوسل بدعائه كما كان الصحابة يأتون اليه و يطلبون منه الدعاء

و أما التوسل الممنوع هو التوسل بذات النبي صلى الله عليه و سلم كما يفعل كثير من المتصوفة

و اليك التفصيل في هذا :

أما التوسل بالايمان بالنبي صلى الله عليه و سلم و بطاعته و محبته فهو من الأعمال الصالحة و الأعمال الصالحة من الوسائل المشروعة التي يتقرب بها الانسان الى ربه

يقول شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله :

(و هذا التوسل بالايمان به و طاعته فرض على كل أحد في كل حال باطنا و ظاهرا في حياة رسول الله صلى الله عليه و سلم و بعد موته في مشهده و مغيبه لا يسقط التوسل به بالايمان به و بطاعته عن أحد من الخلق في حال من الأحوال بعد قيام الحجة عليه الا بعذر من الأعذار و لا طريق الى كرامة الله و رحمته و النجاة من هوانه و عذابه الا التوسل بالايمان به و بطاعته و هو صلى الله عليه و سلم شفيع الخلائق صاحب المقام المحمود الذى يغبطه به الأولون و الآخرون فهو أعظم الشفعاء قدرا و أعلاهم جاها عند الله و قد قال تعالى عن موسى :((وكان عند الله وجيها))(٢) و قال عن المسيح :((وجيها في الدنيا و الآخرة و من المقربين))(٣) و محمد صلى

---

(١) ـ الدرر السنية في الرد على الوهابية ١٧ و انظر كذلك نحوه في كتاب سعادة الدارين في الرد على الفرقتين للسمنودى ٢٧٥

(٢) ـ الأحزاب آية ٦٩

(٣) ـ آل عمران آية ٤٥

الله عليه و سلم أعظم جاها من جميع الأنبياء و المرسلين لكن شفاعته و دعاؤه انما ينتفع بهما من شفع له الرسول صلى الله عليه و سلم و دعا له فمن دعا له الرسول و شفع له توسل الى الله بشفاعته و دعائه كما كان الصحابة يتوسلون الى الله بدعائه و شفاعته و كما يتوسل الناس يوم القيامة الى الله تبارك و تعالى بدعائه و شفاعته صلى الله عليه و على آله و سلم تسليما

و لفظ التوسل في عرف الصحابة كانوا يستعملونه في هذا المعنى و التوسل بدعائه و شفاعته ينفع مع الايمان به و أما بدون الايمان به فالكفار و المنافقون لا تغني عنهم شفاعة الشافعين في الآخرة)(١)

و مما يدل على مشروعية التوسل بدعاء النبي صلى الله عليه و سلم ما رواه شريك بن عبد الله بن أبي غر أنه سمع أنس بن مالك يذكر ان رجلا دخل يوم الجمعة من باب كان وجاه المنبر و رسول الله صلى الله عليه و سلم قائم يخطب فاستقبل رسول الله صلى الله عليه و سلم قائما فقال :يارسول الله هلكت المواشي و انقطعت السبل فادع الله يغثنا قال فرفع رسول الله صلى الله عليه و سلم يديه فقال اللهم اسقنا اللهم اسقنا قال أنس: و لا و الله ما نرى في السماء من سحاب و لا قزعة ولا شيئا و ما بيننا و بين سلع من بيت و لا دار قال فطلعت من ورائه سحابة مثل الترس فلما توسطت السماء انتشرت ثم أمطرت قال و الله ما رأينا الشمس ستا ثم دخل رجل من ذلك الباب في الجمعة المقبلة و رسول الله صلى الله عليه و سلم قائم يخطب فاستقبله قائما فقال يا رسول الله هلكت الأموال و انقطعت السبل فادع الله يمسكها قال فرفع رسول الله صلى الله عليه و سلم يديه ثم قال اللهم حوالينا و لا علينا اللهم على الآكام و الظراب و الأودية و منابت الشجر قال

---

(١) — التوسل و الوسيلة لشيخ الاسلام ابن تيمية ٥

قال فانقطعت و خرجنا نمشي في الشمس قال شريك : فسألت أنسا أهو الرجل الأول قال لا أدرى)(١)

و وجه الاستدلال بهذا الحديث هو أن هذا الصحابي الجليل جاء الى الرسول صلى الله عليه و سلم و طلب منه أن يدعو الله عز و جل من أجل انزال المطر و قد دعا الرسول صلى الله عليه و سلم ربه فاستجاب له فسقى البلاد و العباد و هذا يدل على مشروعية التوسل بدعاء النبي صلى الله عليه و سلم و ذلك بأن يأتي الانسان الى الرسول كما أتى هذا الصحابي اليه و يطلب منه الدعاء و بما أن الرسول صلى الله عليه و سلم قد مات فان هذا التوسل الآن غير ممكن و لذا فالتوسل الباقي الآن بالنبي صلى الله عليه و سلم هو التوسل الى الله بطاعته و حبه و الايمان به أما التوسل بدعائه فغير ممكن و من زعم هذا فليس له أى دليل يستند عليه الا اتباع الأهواء فقط لا غير .

وأما التوسل الممنوع هو التوسل بذات النبي صلى الله عليه و سلم و قد قال بذلك المتصوفة و غيرهم من عباد القبور كما سبق ذكره .

ثالثا : شبه الصوفية على جواز التوسل بالذوات :

و قد احتج المتصوفة لتجويز هذا التوسل بالحديثين الآتيين و هما :

أولا : حديث الضرير الذى رواه عثمان بن حنيف أن رجلا ضريرا أتى النبي صلى الله عليه و سلم فقال ادع الله أن يعافيني قال ان شئت دعوت لك و ان شئت أخرت ذلك فهو خير و في رواية و ان شئت صبرت فهو خير لك فقال ادعه فأمره أن يتوضأ فيحسن وضوءه فيصلي ركعتين و يدعوا بهذا الدعاء (اللهم اني أسألك و أتوجه اليك بنبيك محمد نبي الرحمة يا محمد اني توجهت بك الى ربي في حاجتي هذه فتقضى لي اللهم فشفعه في و شفعني فيه قال ففعل الرجل فبرأ)(٢)

---

(١)— صحيح البخارى مع الفتح ١/ ٥٠١

(٢)— جامع الترمذى مع شرح تحفة الأحوذى ١٠/ ٣٢

وقد استدل المتصوفة كالنبهاني والعزامي وزيني دحلان والعلـــوى والسمهودى (١) بهذا الحديث على جواز التوسل بذات النبي صلى الله عليـــه وسلم وبنوا على ذلك على أن التوسل به باق ولو بعد موته ولم يقفوا عند الرسول بـــل قالوا يجوز التوسل بذوات الأولياء أحياءا وأمواتا وذلك لأن النبي صلى الله عليـــه وسلم علم الأعمى أن يتوسل به في دعائه وفعل الأعمى ذلك فعاد بصيرا هذا هو وجـــه استدلال المتصوفة بهذا الحديث وباليتهم وقفوا عند الاستدلال به على جـــواز التوسل بذات النبي والصالحين وذلك حتى يهون الشر وان كان التوسل بالذوات هو الباب الذى وقع عن طريقه كثير من الأمة الاسلامية في الاشراك بالله

بل تجاوزوا ذلك فأجازوا التوجه الى الرسول وغيره من الصالحين بالدعاء والاستغاثة كما سبق ذكره في المطلب الأول من هذا المبحث

ولو نظرنا الى هذا الحديث وفهمنا معناه الفهم الصحيح سنرى أنه لا حجة فيـــه للمتصوفة وغيرهم الذين استدلوا به على جواز التوسل بذات النبي وغيره من الأوليـــاء والصالحين بل الحديث دليل على التوسل المشروع بالنبي صلى الله عليه وسلم وهـــو التوسل بدعائه وذلك لأنه لو كان التوسل بذات النبي كاف بدون التوسل بدعائه صـــلى الله عليه وسلم لما جاء ذاك الصحابي الجليل الى النبي صلى الله عليه وسلم وطلب منه الدعاء وانما لاكتفى بتوسله بذات النبي صلى الله عليه وسلم والتوجه اليه بالدعـــاء والاستغاثة كما يفعل المتصوفة هذا اليوم ولكن لما كان التوسل المشروع الى الله هـــو

---

(١) ـ انظر البراهين الساطعة للعزامي ٣١٤ ومفاهيم يجب أن تصحح للعلوى ٥٢ والدرر السنية في الرد على الوهابية لدحلان ٨ ووفاء الوفاء بأخبار المصطفى للسمهودى والأنوار المحمدية للنبهاني ٦٠٤

التوسل بدعاء النبي صلى الله عليه وسلم أتى الى الرسول صلى الله عليه وسلم و طلب منه أن يدعو الله له و على هذا فالحديث دليل عليهم لا لهم كما وهم المتصوفة و القبوريون عامـــــة

و اليك أقوال العلماء في تحليل ألفاظ هذا الحديث و الأحكام التي تستفاد منه :

فمن العلماء الذين حللوا ألفاظ هذا الحديث تحليلا دقيقا الشيخ محمد نسيـــب الرفاعي فقد قال رادا على الذين يستدلون بهذا الحديث على مشروعية التوسل بـــذات النبي صلى الله عليه وسلم :

(ان قول الأعمى : (أدع الله أن يعافيني) فيه بيان واضح جلي لقصـــد الأعمى من المجيء وهو أنه ما جاء الا من أجل أن يدعو له رسول الله صلى الله عليه وسلـــم بالشفاء من ضره و ان قوله صلى الله عليه وسلم مجيبا للأعمى : (ان شئت دعوت وان شئت صبرت وهو خير) لدليل آخر على أن الأعمى ما جاء الا من أجل الدعاء و فيه تخيير مـــن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالدعاء أو الصبر حتى اذا شاء الأعمى الدعاء دعى له وفي تخييره هذا وعد بالدعاء ان شاء

و ان اصرار الأعمى على الدعاء بقوله : (فادعه) لدليل ثالث على أن مجيئه لم يكن الا من أجل الدعاء و من اصراره يفهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا له لأنـــــه وعده بذلك اذا شاء الدعاء و قد شاء بقوله : (فادعه) على أن رسول الله صلى الله عليه و سلم أحب أن يكون للأعمى كذلك مشاركة في الدعاء و لكنه لم يترك الأعمى أن يدعو ربه بما شاء بل علمه دعاءا خاصا و أمره أن يدعو الله به بالاضافة الى دعائه صلى الله عليـــه وسلم

و ان قول الأعمى في آخر الدعاء الذى علمه اياه رسول الله صلى الله عليه وسلم : (اللهم

شفعه فيّ) لدليل رابع على الدعاء

والشفاعة من رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تسمى شفاعة ولا تكون الا بدعاء الشافع للمشفوع له فدعاء الأعمى أن يقبل الله شفاعة رسوله فيه يدل على أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد دعا له فعلا والأعمى يطلب من الله قبول دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم)(١)

ثم قال الشيخ نسيب الرفاعي : (فاذا استجمعنا هذه الأدلة على ثبوت دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم للأعمى توحي لنا أمرا هاما يدور عليه مآل الحديث ونستكشف معناه بشكل واضح وهو أن معنى (اللهم اني أسألك بنبيك) أى بدعاء نبيك ولا يفهم منه التوسل بذاته صلى الله عليه وسلم ولا كان هذا مراد الأعمى من مجيئه الى الرسول صلى الله عليه وسلم حتى وان معنى التوسل المتبادر الى أذهان الصحابة رضي الله عنهم في ذلك الوقت كان محصورا فيها في طلب الدعاء من المتوسل به وليس له المعنى المتعارف عليه عند البعض في زمننا الحاضر أى التوسل بذات المتوسل به فقد كان مثل هذا التوسل ينفر منه الصحابة لأنه من مفاهيم الجاهلية التي من أجل وجودها بعث الله رسوله الى الناس كافة)(٢)

ويقول شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله مرجحا أن الأعمى توسل بدعاء النبي صلى الله عليه وسلم ليرد اليه بصره ولم يتوسل بذاته كما يزعم الكثيرون من المتصوفة وغيرهم :

(ان دعاء الموتى والغائبين من الأنبياء والملائكة والصالحين والاستغاثة بهم والشكوى اليهم لم يفعله أحد من السلف من الصحابة والتابعين لهم باحسان ولا رخص فيه أحد من أئمة المسلمين

---

(١) — التوصل الى حقيقة التوسل المشروع والممنوع لمحمد نسيب الرفاعي ٢٢٦

(٢) — نفس المرجع ٢٣١

و حديث الأعمى هو من القسم الثاني من التوسل بدعائه فان الأعمى قد طلب من النبي صلى الله عليه وسلم أن يدعو له بأن يرد الله عليه بصره فقال له : (ان شئت صبرت و ان شئت دعوت لك) فقال : (بل ادعه) فأمره أن يتوضأ و يصلي ركعتين و يقول : (اللهم اني أسألك بنبيك نبي الرحمة يا محمد يا رسول الله اني أتوجه بك الى ربي في حاجتي هذه ليقضيها اللهم فشفعه فيّ) فهذا توسل بدعاء النبي صلى الله عليه وسلم وشفاعته و دعا له النبي صلى الله عليه وسلم و لهذا قال : (و شفعه فيّ) فسأل الله أن يقبل شفاعة رسوله فيه و هو دعاؤه

و هذا الحديث ذكره العلماء في معجزات النبي صلى الله عليه وسلم و دعائه المستجاب و ما أظهر الله ببركة دعائه من الخوارق و الابراء من العاهات فانه صلى الله عليه وسلم ببركة دعائه لهذا الأعمى أعاد الله عليه بصره)(١)

و يقول الشيخ ناصر الدين الألباني بعد أن رد على الذين يحتجون بهذا الحديث على جواز التوسل بذات النبي صلى الله عليه وسلم و غيره من الصالحين :

(اذا تبين للقارىء الكريم ما أوردناه من الوجوه الدالة على أن حديث الأعمى انما يدور حول التوسل بدعائه صلى الله عليه وسلم و أنه لا علاقة له بالتوسل بالذوات فحينئذ يتبين له أن قول الأعمى في دعائه (اللهم اني أسألك و أتوسل اليك بنبيك محمد صلى الله عليه وسلم) انما المراد به (أتوسل اليك بدعاء نبيك) أي حذف المضاف و هذا أمر معروف في اللغة كقوله تعالى : ((و اسأل القرية التي كنا فيها و العير التي أقبلنا فيها)) أي أهل القرية و أصحاب العير و نحن و مخالفونا متفقون على ذلك أو على تقدير مضاف محذوف . . . .)

---

(١) ــ التوسل و الوسيلة لشيخ الاسلام ابن تيمية ٩٢

ثم قال الشيخ الألباني : (وثمة أمر آخر جدير بالذكر وهو أنه لو حمل حديث الضرير على ظاهره وهو التوسل بالذات لكان معطلا لقوله فيما بعد (اللهم فشفعه فيّ وشفعني فيه) وهذا لا يجوز كما لا يخفى فوجب التوفيق بين هذه الجملة والتي قبلها وليس ذلك الا على ما حملناه من أن التوسل كان بالدعاء فثبت المراد وبطل الاستدلال به على التوسل بالذات المحمدية والحمد لله)(١)

والخلاصة أن حديث الضرير ليس فيه أي دليل للذين يقولون بجواز التوسل بذات النبي صلى الله عليه وسلم حيا وميتا وانما هو دليل عليهم لأنه لا يدل الا على جواز التوسل بدعاء الرسول صلى الله عليه وسلم كما كان يفعل كثير من الصحابة في حياته حيث كانوا يأتون الى النبي ويطلبون منه الدعاء ومن جملة الصحابة هذا الصحابي الجليل الذي عمي بصره فأتى الى النبي صلى الله عليه وسلم وطلب منه أن يدعو الله له فدعا له فبرىء وعلى هذا فلا حجة للمتصوفة في هذا الحديث

وبالاضافة الى ذلك فان المتصوفة يستدلون بهذا الحديث على جواز التوجه بالدعاء والاستغاثة الى النبي صلى الله عليه وسلم والأولياء كما اتضح لنا ذلك في الأناشيد الشعرية التي قالها المتصوفة والتي من أولها الى آخرها شرك صريح بالله عز وجل وتأليه الرسول صلى الله عليه وسلم

ولو نظرنا الى حديث الأعمى فاننا لا نجد فيه ولو لفظ واحد من قريب أو بعيد فيه اشارة الى جواز التوجه الى النبي صلى الله عليه وسلم رأسا بالدعاء والاستغاثة كما رأينا في الأبيات السابقة التي توجه فيها المتصوفة الى الرسول صلى الله عليه وسلم وعلى هذا فاني أقول ان حديث الأعمى بالحقيقة ليس نصا في محل النزاع وانما هو شيء

---

(١) — التوسل أنواعه وأحكامه للشيخ محمد ناصر الدين الألباني ٧٦

خارج عنه فان نزاعنا مع المتصوفة الذين يدعون الأنبياء والأولياء ليس في التوسل فحسب بنوعيه المشروع والممنوع وانما نزاعنا معهم هو في التوجه بالدعاء والاستغاثة الى الرسول والأولياء الذى يفعلوه يوميا و يسمونه توسلا بالأنبياء والأولياء مع أنه ليس كذلك بل هو دعاء واستغاثة بالرسول صلى الله عليه وسلم والأولياء وتسميته المتصوفة له بالتوسل لا يخرجه عن حقيقته وهو كونه دعاء واستغاثة بالرسول صلى الله عليه وسلم وليس توسلا به ولا بالأنبياء والأولياء وهو يعتبر من باب تسمية الشيء بغير اسمه وتسمية الشيء بغير اسمه لا يغير من حقيقة الشيء فكون الخمر اذا سماه أحد من الناس عسلا لا يغير ذلك من حقيقة الخمر بل هو باق على حقيقته الخمرية وكون المتصوفة يسمون دعاء الرسول والاستغاثة به وكذلك الأولياء بأنه توسل بهم لا يغير ذلك من الحقيقة شيئا بل هو باق على حقيقته وهو كون هذا الذى يفعله المتصوفة مع الرسول والأولياء دعاء واستغاثة بهم من دون الله وهو عين الشرك بالله تعالى .

ومن الأدلة التي يستدل بها المتصوفة (١) وغيرهم في جواز التوسل بذوات الأنبياء والصالحين ماروه أنس بن مالك رضي الله عنه أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان اذا قحطوا استسقى بالعباس بن عبد المطلب فقال اللهم انا كنا نتوسل اليك بنبينا فتسقينا وانا نتوسل اليك بعم نبينا فاسقنا قال فيسقون)(٢)

ولقد فهم المتصوفة وغيرهم من القائلين بجواز التوسل بذوات الأنبياء والصالحين الى الله من هذا الأثر بأن توسل عمر رضي الله عنه انما كان بجاه العباس رضي الله

---

(١)— استدل به زيني دحلان في الدرر السنية ١١ وكذلك خلاصة الكلام له ضمن شواهد الحق للنبهاني ١٥٧ وكذلك النبهاني في شواهد الحق ١٥٧

(٢)— البخارى مع الفتح ٢/ ٤٩٤

عنه و مكانته عند الله سبحانه و تعالى و أن توسله كان مجرد ذكر للعباس في دعائه و طلب منه لله أن يسقيهم من أجله و أما سبب عدول عمر رضي الله عنه عن التوسل بالرسول صلى الله عليه و سلم بزعمهم و توسله بدلا منه بالعباس رضي الله عنه فانما كان لبيان جواز التوسل بالمفضول مع وجود الفاضل ليس غير (١) .

المناقشة : ان فهم المتصوفة هذا فهم خاطئ و تفسيرهم للحديث بهذا التفسير السابق مردود عليهم من وجوه كثيرة

أولا : من القواعد المهمة في الشريعة الاسلامية أن النصوص الشرعية يفسر بعضها بعضا و لا يفهم شيء منها في موضوع ما بمعزل عن بقية النصوص الواردة فيه و بناء على ذلك فحديث توسل عمر السابق انما يفهم على ضوء ما ثبت من الروايات و الأحاديث الواردة في التوسل و الجميع متفق على أن في كلام عمر (كنا نتوسل اليك بنبينا و انا نتوسل اليك بعم نبينا) شيئا محذوفا لابد له من تقدير و هذا التقدير اما أن يكون كنا نتوسل بجاه نبينا و انا نتوسل بجاه عم نبينا على رأى المخالفين أو أن يكون كنا نتوسل اليك بدعاء نبينا و انا نتوسل اليك بدعاء عم نبينا على رأينا نحن و لابد من الأخذ بواحد من هذين التقديرين ليفهم الكلام بوضوح و جلاء

و اذا أردنا أن نعرف أى التقديرين أصح لابد من الرجوع الى السنة لتبين لنا طريق توسل الصحابة الكرام بالنبي محمد صلى الله عليه و سلم

فاذا نظرنا الى الصحابة الكرام هل كانوا اذا أجدبت بلادهم يقبع كل واحد منهم في بلده أو كانوا يجتمعون في بلده أو كانوا يجتمعون دون أن يكون معهم رسول الله صلى الله عليه و سلم و هو في الحياة فيدعون متوسلين بجاه محمد و ذاته قائلين : اللهم

---

(١) — شواهد الحق للنبهاني ١٥٧ و كذلك الدرر السنية في الرد على الوهابية ١٣

بنبيك محمد و حرمته عندك و مكانته لديك اسقنا الغيث مثلا أم كانوا يأتون النبي ذاته فعلا و يطلبون منه الدعاء فيحقق صلى الله عليه و سلم طلبهم و يدعو لهم و يسقون

أما الأمر الأول و هو التوسل بذات الرسول و حرمته عند الله و مكانته دون الاتيان الى الرسول صلى الله عليه وسلم و طلب الدعاء منه فلا وجود له في السنة النبوية الصحيحة البتة و لا عمله الصحابة الكرام و ما ورد في ذلك من آثار فهي كلها موضوعة وضعها المغرضون لايقاع الناس في الشرك في الدعاء

و أما الأمر الثاني وهو التوسل الى الله بطلب الدعاء من الرسول صلى الله عليه وسلم فقد ورد كثير منه في السنة النبوية و قد كان الصحابة الكرام يفعلونه حيث أتى كثير من الصحابة يطلب الدعاء من الرسول صلى الله عليه وسلم حينما أجدبت بلادهم و اليك حديثا واحدا يدل على أن الصحابة الكرام كانوا يتوسلون بدعاء النبي صلى الله عليه و سلم لا بذاته و جاهه و حرمته و مكانته عند الله

فقد روى أنس بن مالك رضي الله عنه حديثا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : (بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب يوم الجمعة اذ جاء رجل فقال : يا رسول الله قحط المطر فادع الله أن يسقينا . فدعا فمطرنا فما كدنا أن نصل الى منازلنا فما زلنا نمطر الى الجمعة المقبلة قال : فقام ذلك الرجل أو غيره فقال : يارسول الله ادع الله أن يصرفه عنا . فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم : اللهم حوالينا ولا علينا . قال : فلقد رأيت السحاب يتقطع يمينا و شمالا يمطرون و لا يمطر أهل المدينة)(١)

ووجه الاستدلال بهذا الحديث أن الصحابة الكرام رضوان الله عليهم كانوا يتوسلون الى الله بدعاء النبي صلى الله عليه وسلم لأنهم كانوا يأتون اليه و يطلبون منه الدعاء و لو كانوا يتوسلون بذاته و جاهه و مكانته عند الله لما احتاجوا الى الاتيان الى المدينة و طلب

(١) — البخاري مع الفتح ٢ / ٥٠٨

الدعاء منه بل كانوا يتوسلون الى الله وهم في أهليهم فيقولون : (اللهم بنبيك محمد و مكانته و جاهه و حرمته عندك اسقنا الغيث فيسقون) و لكن هذا لم يفعله الصحابة الكرام لأنهم يعلمون بأنه توسل غير مشروع و لذا نقول ان المحذوف في توسل عمر بالعباس هو (انا كنا نتوسل اليك بدعاء نبينا فتسقينا و انا نتوسل اليك بدعاء عم نبينا فاسقنا) و على هذا فتقدير المجيزون للتوسل الممنوع و هو قولهم ان المحذوف في توسل عمر بالعباس هو كلمة الجاه في الموضعين غير صحيح لأنهم ليس لهم دليل يستندون اليه

و الى جانب ذلك هناك قرائن كثيرة تدل على أن التوسل من عمر رضي الله عنه كان بدعاء العباس لا بذاته و لا بجاهه و لا بمكانته و هذه القرائن هي :

١ ــ عدول عمر عن التوسل بالرسول صلى الله عليه وسلم وهو أشرف خلق الله و أن التوسل به أولى من التوسل بغيره و ذلك لأن الرسول صلى الله عليه وسلم قد مات ولا يمكن طلب الدعاء منه بعد موته و لذلك عدل عمر عن التوسل به الى التوسل بالعباس بن عبد المطلب لأنه عم رسول الله صلى الله عليه وسلم فطلب منه الدعاء و لو كان عمر توجه بجاه العباس الى الله لتوسل بجاه النبي لأنه أكبر جاها عند الله من العباس بن عبد المطلب و لكن لما كان التوسل المشروع هو التوسل بدعاء الرسول صلى الله عليه وسلم عدل عن التوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم لأنه لا يمكن طلب الدعاء منه بعد موته فتوسل بدعاء العباس ابن عبد المطلب لطلب السقيا و على هذا نقول ان استدلال المجيزون للتوسل بذات الشخص و جاهه و مكانته عند الله بهذا الحديث استدلال باطل لأن الحديث ليس دليل لهم بل عليهم و لكن أوقعهم في الاستدلال به اما سوء فهمهم و اما سوء مقصدهم .

و يقول الشيخ محمود شكري الآلوسي رادا على المتصوفة الذين يستدلون بتوسل عمر بالعباس على جواز التوسل بالذوات مبينا بأن هذا الحديث دليل على عدم جواز التوسل

بالذوات وأن التوسل المشروع هو التوسل بطلب الدعاء من الرجل الصالح ان وجد قال : (بل هو أقوى الأدلة وأرجحها وأعلاها وأوثقها وأصحها وأصدقها لما ندعيه فان قول عمر : (اللهم انا كنا اذا أجدبنا توسلنا الخ) يدل دلالة ظاهرة على انقطاع ذلك الذى هو الدعاء بدليل قوله : (انا كنا) ولما كان العباس حيا طلبوه منه فلما مات فات فقصرهم له على الموجودين ولو كانوا مفضولين دليل ساطع وبرهان لامع على هذا المراد ولو كان المقصود الذوات كما يقولون لبقيت هذه التوسلات على حالها لم تتغير ولم تتبدل الى المفضولين بعد وجود الفاضلين سيما الأنبياء والمرسلين فتأمل في هذا فانه أحسن ما في الأوراق ، حقيق بأن يضرب عليه رواق الاتفاق والله يهديك السبيل فهو نعم المولى ونعم الوكيل)(١)

ويقول شيخ الاسلام ابن تيمية رادا على الذين يقولون بجواز التوسل بذات النبي وذات غيره من الأولياء وهكذا بأن هذا لم يفعله الصحابة ولا التابعون بل هو من البدع المحدثة التي ابتدعها أهل الأهواء :

(فأما التوسل بذاته في حضوره أو مغيبه أو بعد موته مثل الاقسام بذاته أو بغيره من الأنبياء أو السؤال بنفس ذواتهم لا بدعائهم فليس هذا مشهورا عند الصحابة والتابعين بل عمر بن الخطاب ومعاوية بن أبي سفيان ومن بحضرتهما من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم والتابعين لهم باحسان لما أجدبوا استسقوا وتوسلوا واستشفعوا بمن كان حيا كالعباس ويزيد بن الأسود ولم يتوسلوا ولم يستشفعوا ولم يستسقوا في هذه الحال بالنبي صلى الله عليه وسلم لا عند قبره ولا غير قبره بل عدلوا الى البدل كالعباس ويزيد بل كانوا يصلون عليه في دعائهم وقد قال عمر : (اللهم انا كنا نتوسل اليك بنبينا فتسقينا وانا نتوسل اليك بعم نبينا فاسقنا)

---

(١) ــ غاية الأماني في الرد على النبهاني ٢٨٨

فجعلوا هذا بدلا عن ذلك لما تعذر أن يتوسلوا به على الوجه المشروع الذى كانوا يفعلونه و قد كان من الممكن أن يأتوا الى قبره و يتوسلوا هناك و يقولوا في دعائهم بالجاه و نحو ذلك من الألفاظ التي تتضمن القسم بمخلوق على الله عزوجل أو السؤال به فيقولون : نسألك أو عليك بنبيك و نحو ذلك مما يفعله بعض الناس . . . .)

ثم قال شيخ الاسلام ابن تيمية : (و كذلك علم الصحابة أن التوسل به انما هو التوسل بالايمان به و طاعته و محبته و موالاته و التوسل بدعائه وشفاعته فلهذا لم يكونوا يتوسلون بذاته مجردة عن هذا و هذا فلما يفعل الصحابة رضوان الله عليهم شيئا من ذلك و لا دعوا بمثل هذه الأدعية و هم أعلم منا و أعلم بما يحب الله و رسوله و أعلم بما أمر الله به ورسوله من الأدعية و ما هو أقرب الى الاجابة منا بل توسلوا بالعباس و غيره ممن ليس مثل النبي صلى الله عليه وسلم ـ دل عدولهم عن التوسل بالأفضل الى التوسل بالمفضول أن التوسل المشروع بالأفضل لم يكن ممكنا)(١)

و قال الشيخ نعمان خير الدين الشهير بابن الآلوسي البغدادى مرجحا بأن توسل عمر بالعباس رضي الله عنهما دليل على جواز التوسل بدعاء الرجل الصالح و على منع التوسل بالذوات :

(و أما ذكروه من الاستدلال بتوسل عمر بن الخطاب بالعباس بن عبد المطلب رضي الله تعالى عنهما فالمراد بذلك أن يدعو لهم ـ يدل عليه ثبوت دعائه لهم بطلب السقيا كما جاءت به بقية الروايات و مثله استسقاء معاوية في الشام بيزيد بن الأسود فانه قال : يا يزيد ارفع يديك . فرفع يديه و دعا و دعا الناس حتى سقوا . و هذا المعنى هو الذى عناه الفقهاء في باب الاستسقاء و مرادهم التوجه الى الله تعالى بدعاء الصالحين فان

---

(١) ـ التوسل و الوسيلة لشيخ الاسلام ابن تيمية ١٢٦ ـ ١٢١

دعاءهم أرجى للاجابة و لو كان التوسل بالذوات هو المطلوب و المدلول الذى أقاموا عليه الدليل و هم بمقتضى دليلهم لا يخصون الأحياء بهذا التوسل و يستحبون التوسل بالذوات الشريفة و لو بندائهم و دعائهم و أنه على معنى أن الشفعاء يدعون لهم و قالوا لا مانع من ذلك عقلا و شرعا فانهم أحياء في قبورهم لكان التوسل بالنبي صلى الله عليه و سلم في ذلك الأمر المهم و هم عنده بالمدينة أولى) ثم أورد توسل عمر بالعباس وقال : (بل هذا الدليل الذى تمسكوا به من أقوى الأدلة و أرجحها و أظهرها على ما ندعيه من عدم الجواز فهو عليهم لا لهم عند من له أدنى فهم و انصاف)(١)

و الخلاصة أن توسل عمر بن الخطاب رضي الله عنه بالعباس رضي الله عنه دليل قاطع على أن التوسل المشروع بالنبي صلى الله عليه وسلم الى الله تعالى هو التوسل بمحبته و طاعته و الائتمان به لأن هذه الأمور من الأعمال الصالحة و الأعمال الصالحة من أهم الأشياء التي يتقرب بها الانسان الى الله سبحانه و تعالى و لأنه هو التوسل الباقي بعد موت الرسول حيث ان الصحابة كانوا يأتون الى النبي صلى الله عليه وسلم في حياته ويطلبون منه الدعاء فكان يدعو لهم و لكن لما علم الصحابة رضوان الله عليهم أن التوسل بدعاء النبي صلى الله عليه وسلم غير ممكن بعد موته توسلوا الى الله بدعاء العباس بن عبد المطلب حيث طلب منه عمر أن يدعو فدعا و لم يكن التوسل بالعباس بن عبد المطلب بجاهه كما يزعم المخالفون من المتصوفة و غيرهم و انما كان التوسل بدعائه و لو كان التوسل بالذوات و الجاه جائزا لما عدل عمر رضي الله عنه عن التوسل بجاه النبي صلى الله عليه وسلم وذاته و مكانته عند الله لأن النبي صلى الله عليه وسلم يتفوق على الجميع في هذا

---

(١)— جلاء العينين لنعمان خير الدين ٤٥٦

و لكن لما كان التوسل بذاته و جاهه و مكانته غير جائز عدل عن التوسل به الى التوسل بالعباس بن عبد المطلب .

و بهذا نخلص الى أن الأحاديث الصحيحة التي استدل بها المتصوفة على جواز التوجه الى الرسول بالدعاء و الاستغاثة و بالأنبياء و الصالحين ليس لهم أى دليل فيها بل هي ضدهم و مشائخ الصوفية لم يقعوا في هذا لعدم فهمهم لها و انما يستدلون بها لسوء مقصدهم و فساد معتقدهم من أجل أن يبرروا للناس العوام الأعمال الشركية و قد فعلوها فما من بلد اسلامي في هذا العالم الواسع إلا ما شاء الله الا و يمارس الشرك باسم التوسل رغم أن التوسل بالشخص و دعاءه و الاستغاثة به بينهما فرق كبير جدا و مع هذا فالصوفية يخلطون بينهما عن عمد و يسمون دعاء الرسول و الاستغاثة به و كذلك الأولياء بأنه توسل و هذا جهل عظيم و خطأ فادح وقع فيه المتصوفة عن عمد أو خطأ و عن علم أو جهل الله أعلم بحالهم .

و للشيخ محمود شكرى الآلوسي كلام نفيس في هذا المجال و هذا نصه :

فقد قال رحمه الله في كتابه غاية الأماني في الرد على النبهاني في معرض رده على النبهاني : (أقول و بالله التوفيق : ان الكلام على ما حواه كلامه من الكذب و الزور و البطلان يطول جدا فضلا عما اشتملت عليه عباراته من الغلط و فساد التركيب و سوء التعبير فكتابه كله ظلمات بعضها فوق بعض فلو تكلمنا على ذلك كله لطال الكلام و كلت عن رقمه الأقلام فان النبهاني هذا من أعظم الغلاة المحادين لله و رسوله و كلامه كله باطل و جهل مركب و بهت لأهل الحق و ليس فيه جملة واحدة توافق الحق أصلا فالحمد لله الذى خذل أعداء دينه و جعلهم عبرة لأوليائه و عباده المؤمنين)

ثم دخل الشيخ في التفريق بين دعاء الشخص و الاستغاثة به من دون الله و بين

التوسل به الى الله فقال :

(أما مشروعية الاستغاثة ففيها تفصيل اذ الاستغاثة بالشيء على ما ذكره بعض المحققين — طلب الاغاثة والغوث منه كما أن الاستعانة طلب الاعانة منه فاذا كان بنداء من المستغيث للمستغاث كان ذلك سؤالا منه وظاهر أن ذلك ليس توسلا به الى غيره اذ قد جرت العادة أن من توسل بأحد عند غيره أن يقول لمستغاثه : أستغيثك على هذا الأمر بفلان . فيوجه السؤال اليه ويقصر أمر شكواه عليه ولا يخاطب المستغاث به ويقول له : أرجو منك أو أريد منك وأستغيث بك . ويقول : انه وسيلتي الى ربي . وان كان كما يقول فما قدر المتوسل اليه حق قدره وقد رجا وتوكل والتجأ الى غيره كيف واستعمال العرب يأبى عنه فان من يقول : صار لي ضيق فاستغثت بصاحب القبر فحصل الفرج . يدل دلالة جلية على أنه قد طلب الغوث منه ولم يفد كلامه أنه توسل به بل انما يراد هذا المعنى اذا قال: توسلت أو استغثت اليك بفلان . فيكون حينئذ مدخول الباء متوسلا به ولا يصح ارادة هذا المعنى اذا قلت : استغثت بفلان . وتريد التوسل به سيما اذا كنت داعيه وسائله بل قولك هذا نص على أن مدخول الباء مستغاث وليس مستغاثا به والقرائن التي تكتنفه من الدعاء وقصر الرجاء والالتجاء شهود عدول ولا محيد عما شهدت به ولا عدول فهذه الاستغاثة وتوجه القلب الى المسئول بالسؤال والانابة محظورة على المسلمين لم يشرعها لأحد من أمته رسول رب العالمين وهل سمعتم أن أحدا في زمانه صلى الله عليه وسلم أو من بعده في القرون المشهود لأهلها بالنجاة والصدق — وهم أعلم منا بهذه المطالب وأحرص على نيل مثل تلك الرغائب — استغاث بمن يزيل كربته التي لا يقدر على ازالتها الا الله أم كانوا يقصرون الاستغاثة على مالك الأمور ولم يعبدوا الا اياه ولقد جرت عليهم أمور مهمة وشدائد مدلهمة في حياته

صلى الله عليه وسلم و بعد وفاته فهل سمعت عن أحد منهم أنه استغاث بالنبي صلى الله عليه وسلم أو قالوا : انا مستغيثون بك يا رسول الله . أم بلغك أنهم لاذوا بقبره الشريف و هو سيد القبور حين ضاقت منهم الصدور ؟ كلا لا يمكن لهم ذلك و ان الذى كان بعكس ما هنالك فلقد أثنى الله عليهم و رضي عنهم فقال عز من قائل :((اذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم))(١)

مبينا لنا أن هذه الاستغاثة أخص الدعاء و أجلى أحوال الالتجاء و هي من لوازم السائل المضطر الذى يضطر الى طلب الغوث من غيره فيخص نداءه لدى استغاثته بمزيد الاحسان في سره و جهره ففي استغاثته بغيره تعالى عند كربته تعطيل لتوحيد معاملته)

ثم قال :(فلا يقال لأحد حي أو ميت قريب أو بعيد : ارزقني أو أمتني أو احي ميتي أو اشفي مريضي . الى غير ذلك مما هو من الأفعال الخاصة بالواحد الأحد الفرد الصمد)

ثم قال :(و القرآن ناطق بخطر الدعاء عن كل أحد لا من الأحياء و لا من الأموات سواء كانوا أنبياء أو صالحين أو غيرهم و سواء كان الدعاء بلفظ الاستغاثة أو بغيرها فان الأمور الغير مقدورة للعباد لا تطلب الا من خالق القدر و منشيء البشر كيف و الدعاء عبادة و هي مختصة به سبحانه)(٢)

---

(١)ـ الأنفال آية ٩

(٢)ـ غاية الأماني في الرد على النبهاني ٢٥١ـ٢٥٢

و من الشبه التي يستدل بها المتصوفة على جواز دعاء غير الله و الاستغاثة به هو زعمهم بأنهم يدعون الأنبياء و الصالحين ليتوسطوا لهم الى الله

و مما يدل على هذا قول النبهاني حيث قال :

(و قد يتوسل بذى الجاه الى من هو أعلى جاها منه و الاستغاثة طلب الغوث و المستغيث يطلب من المستغاث به أن يحصل له الغوث من غيره و ان كان ذلك الغير أعلى منه فالتوجه و الاستغاثة به صلى الله عليه و سلم و بغيره ليس لها معنى في قلوب المسلمين غير ذلك ولا يقصد بهما أحد منهم سواه فمن لم ينشرح صدره لذلك فليبك على نفسه و المستغاث به في الحقيقة هو الله تعالى و النبي صلى الله عليه وسلم واسطة بينه و بين المستغيث فهو سبحانه مستغاث به و الغوث منه خلقا و ايجادا والنبي مستغاث و الغوث منه سببا و كسبا)(١)

اذا نظرنا في كلام النبهاني السابق نرى بوضوح ان العلة التي وقع بسببها المتصوفة في دعاء غير الله تعالى هي نفس العلة التي وقع بسببها دعاة غير الله عبر التأريخ ألا و هي علة الواسطة حيث اننا لو تتبعنا تأريخ الأمم سنجد بأن من أهم الأشياء التي وقعوا بسببها في الاشراك بالله هي دعوى الواسطة

و لشيخ الاسلام ابن تيمية كلام نفيس في هذا المجال نريد أن ننقل منه مقتطفات

قال رحمه الله بعد أن أثبت بأن الأنبياء و الرسل واسطة بين الله و بين الخلق في تبليغ الرسالة بكل ما تحمله هذه العبارة من العقائد و العبادات و الأحكام الشرعية بشتى أنواعها

قال رادا على الذين يزعمون بأن الأنبياء و الأولياء و الصالحين وسائط بين الله و بين خلقه في دفع المضار و جلب المنافع

---

(١) — شواهد الحق في الاستغاثة بسيد الخلق للنبهاني ٤٢٧ م

(وان أراد بالواسطة أنه لا بد من واسطة في جلب المنافع و دفع المضار مثل أن يكون واسطة في رزق العباد و نصرهم و هداهم يسألونه ذلك و يرجعون اليه فيه فهذا من أعظم الشرك الذى كفر الله به المشركين حيث اتخذوا من دون الله أولياء و شفعاء يجتلبون بهم المنافع و يدفعون بهم المضار لكن الشفاعة لمن يأذن الله له فيها حق قال الله تعالى : ((الله الذى خلق السماوات و الأرض و ما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش ما لكم من دونه من ولي و لا شفيع أفلا تتذكرون)) (١)

و قال الله تعالى : ((قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السماوات و لا في الأرض و ما لهم فيهما من شرك و ما له منهم من ظهير و لا تنفع الشفاعة عنده الا لمن أذن له)) (٢)

و قالت طائفة من السلف كان أقوام يدعون المسيح و العزير و الملائكة فبين الله لهم أن الملائكة و الأنبياء لا يملكون كشف الضر عنهم و لا تحويلا و انهم يتقربون الى الله و يرجون رحمته و يخافون عذابه قال تعالى : ((ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب و الحكم و النبوة ثم يقول للناس كونوا عبادا لي من دون الله و لكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب و بما كنتم تدرسون و لا يأمركم أن تتخذوا الملائكة و النبيين أربابا أيأمركم بالكفر بعد اذ أنتم مسلمون)) (٣)

فبين سبحانه أن اتخاذ الملائكة و النبيين أربابا كفر فمن جعل الملائكة و الأنبياء وسائط يدعوهم و يتوكل عليهم ويسألهم جلب المنافع و دفع المضار مثل أن يسألهم غفران الذنوب و هداية القلوب و تفريج الكروب و سد الفاقات فهو كافر باجماع المسلمين . . . . .

و أخيرا قال شيخ الاسلام ابن تيمية بعد أن ناقش هذه الشبهه مناقشة طويلة :

---

(١) — السجدة آية ٤

(٢) — سبأ آية ٢٢—٢٣

(٣) — آل عمران ٧٩—٨٠

(والمقصود هنا أن من أثبت وسائط بين الله و بين خلقه كالوسائط التي تكون بين الملوك والرعية فهو مشرك بل هذا دين المشركين عباد الأوثان كانوا يقولون انهـــا تماثيل الأنبياء والصالحين وانها وسائل يتقربون بها الى الله وهو من الشرك الذى أنكره الله على النصارى حيث قال :((اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح بن مريم وما أمروا الا ليعبدوا الها واحد لا اله الا هو سبحانه عمـــا يشركون))(١)

ويقول الشيخ عبد اللطيف في رده على ابن جرجيس الذى استدل على جواز دعاء غير الله والاستغاثة بـه بكونهم وسائط بين الله وبين عباده ، قـال :(فالقول بجـواز الاستغاثه بغير الله ودعاء الأنبياء والصالحين وجعلهم وسائط بين العبـد وبين الله والتقرب اليهم بالنذروالنحر والتعظيم بالحلف وما أشبهه مناقضة ومنافاة لهذه الحكمة التي هي المقصودة بخلق السماوات والأرض وانزال الكتب وارسال الرسل وفتح لباب الشرك في المحبة والخضوع والتعظيم ومشاقة ظاهرة لله ولرسوله ولكـــل نبي كريم والنفوس مجبولة على صرف ذلك المذكور من العبادات الى من أهلته لكشـف الشدائد وسد الفاقات وقضاء الحاجات من الأمور العامة التي لا يقدر عليها الا فاطر الأرض والسماوات)

ثم قال الشيخ عبد اللطيف :(الوجه الثاني أن هذا بعينه قول عباد الأنبيـــاء والصالحين من عهد قوم نوح الى أن بعث اليهم خاتم النبيين ولم يزيدوا على ما قـــال هؤلاء الغلاة فيما انتحلوه من الشرك الوخيم والقول الذميم كما حكى الله عنهم ذلك في كتابه الكريم قال تعالى :((ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون

---

(١)— التوبة آية ٣١ والموضوع مجموعة التوحيد المجلد الأول ١١٨—١٣١

هؤلاء شفعاؤنا عند الله))(١)

و قال الله تعالى :((والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى))(٢)

و قال تعالى :((فلولا نصرهم الذين اتخذوا من دون الله قربانا آلهة بل ضلوا عنهم و ذلك افكهم و ما كانوا يفترون))(٣)

فهذه النصوص المحكمة الصريحة في أن المشركين لم يقصدوا الا الجاه و الشفاعة و التوسل بمعنى جعلهم وسائط تقربهم الى الله و تقضي حوائجهم منه تعالى و قد أنكر القرآن هذا أشد الانكار وأخبر أن أهله هم أصحاب النار و ان الله تعالى حرم عليهم الجنة دار أوليائه الأبرار و جمهور هؤلاء المشركين لم يدعوا الاستقلال و لا الشركة في توحيد الربوبية بل قد أقروا و اعترفوا بأن ذلك لله وحده كما حكى سبحانه اقرارهم و اعترافهم بذلك في غير موضع من كتابه

فحاصل ما ذكر من جواز الاستغاثة و الدعاء و التعظيم بالنذر و الحلف مع نفي الاستقلال و ان الله يفعل لأجله هو عين دعوى المشركين و تعليلهم و شبههم لم يزيدوا عليه حرفا واحدا الا أنهم قالوا قربان و شفعاء و الغلاة سموا ذلك توسلا فالعلة واحدة و الحقيقة متحدة . . . . . ثم قال الشيخ عبد اللطيف بعد أن ذكر الوجه الثالث الذى أثبت فيه بأن الله سبحانه و تعالى أمر عباده بافراده بالدعاء و الاستغاثة و انزال الحاجات به دون غيره حيث أورد آيات و أحاديث كثيرة في هذا المجال وأخيرا قال :(و على القول بجعل الوسائط و الشفعاء بين العباد و بين الله تقلع أصول هذا الأصل

---

(١)— يونس آية ١٦

(٢)— الزمر آية ٤

(٣) — الأحقاف آية ٢٨

العظيم الذى هو قطب رحى الاكوان وينهدم أساسه الذى ركب عليه البنيان فأى فرح وأى نعيم وأى فاقة سدت وأى ضرورة دفعت وأى سعادة حصلت وأى أنس واطمئنان اذا كان التوجه والدعاء والاستغاثة والذبح والنذر لغير الملك الحنان المنان . . . . . فصلاح السماوات والأرض بأن يكون الله سبحانه هوالمهما دون ما سواه ومستغاثها الذى تفزع اليه وتلجأ اليه في مطالبها وحاجاتها . . . . . وان الشرع الذى جاء به محمد صلى الله عليه وسلم والسنة التي سنها في قبور الأنبياء والصالحين وعامة المؤمنين تنافي هذا القول الشنيع وتبطله وتعارضه فانه صلى الله عليه وسلم سن عند القبور ما صحت به الأحاديث النبوية وجرى عليه عمل علماء الأمة من السلام عند زيارتها والدعاء لأصحابها وسؤال الله العافية لهم من جنس ما شرعه من الصلاة على جنائزهم ونهى عن عبادة الله عند القبور والصلاة فيها واليها وخص قبور الأنبياء والصالحين بلعن من اتخذها مساجد يعبد فيها الله تعالى ويدعى وتواترت بذلك الأحاديث خرجها أصحاب الصحيحين وأهل السنن ومالك في موطئه فمنها قوله صلى الله عليه وسلم : (اللهم لا تجعل قبرى وثنا يعبد اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد) (١)

وحديث ابن مسعود : (ان من شرار الناس من تدركهم الساعة وهم أحياء والذين يتخذون القبور مساجد) (٢)

وحديث أبي هريرة رضي الله عنه : (قاتل الله اليهود اتخذوا قبور أنبيائهم

---

(١) — موطأ الامام مالك ١ / ١٧٢ وأحمد في المسند ٢ / ٢٤٦ وصححه الألباني في تحذير الساجد ٢٤ .

(٢) — مسند أحمد ١ / ٤٣٥ وصححه ابن حبان ٣٤٠ وصححه الألباني في تحذير الساجد من اتخاذ القبور مساجد ٢٦

مساجد)(١) . . . . . ثم قال الشيخ عبد اللطيف :(و من شم رائحة العلم و عرف شيئا مما جاءت به الرسل عرف أن هذا الذى قاله الغلاة من جنس عبادة الأصنام والأوثان مناقض لما دلت عليه السنة و القرآن و لا يستريب في ذلك عاقل من نوع الانسان . . . . و أن من أعرض عن الله و قصد غيره و أعد ذلك الغير لحاجته و فاقته و استغاث به و نذر له و لاذ به فقد أساء الظن بربه و أعظم الذنوب عند الله اساءة الظن به فان المسيء به الظن قد ظن به خلاف كماله المقدس فظن به ما يناقض أسماءه و صفاته و لهذا توعد سبحانه و تعالى الظانين به ظن السوء بما لم يتوعد به غيرهم كما قال تعالى :((و يعذب المنافقين و المنافقات و المشركين و المشركات الظانين بالله ظن السوء عليهم دائرة السوء و غضب الله عليهم و لعنهم و أعد لهم جهنم و ساءت مصيرا))(٢)

و قال تعالى لمن أنكر صفة من صفاته :((و ذلكم ظنكم الذى ظننتم بربكم أرداكم فأصبحتم من الخاسرين))(٣)

و قال تعالى عن خليله ابراهيم عليه الصلاة و السلام :((اذ قال لأبيه و قومه ماذا تعبدون أئفكا آلهة دون الله تريدون فما ظنكم برب العالمين))(٤)

قال الشيخ عبد اللطيف :(أى فما ظنكم أن يجازيكم اذا لقيتموه و قد عبدتم غيره وما ظننتم بأسمائه و صفاته و ربوبيته من النقص حتى أحوجكم ذلك الى عبودية غيره فلو ظننتم به ما هو أهله من أنه بكل شيء عليم و على كل شيء قدير و انه غني عن كل ما سواه فقير اليه كل من عداه وأنه قائم بالقسط على خلقه و أنه المنفرد بتدبير خلقه لا يشرك فيه غيره

---

(١) ــ مسند أحمد ٥/١٨٤ و كذلك ٥/١٨٦

(٢) ــ الفتح آية ٦

(٣) ــ فصلت آية ٢٣

(٤) ــ الصافات آية ٨٥ ــ ٨٦

والعالم بتفاصيل الأمور فلا تخفى عليه خافية من خلقه والكافي لهم وحده لا يحتاج الى معين والرحمن بذاته فلا يحتاج في رحمته الى من يستعطفه وهذا بخلاف الملوك وغيرهم من الرؤساء فانهم محتاجون الى من يعرفهم أحوال الرعية وحوائجهم من الوسطاء الذين يعينونهم على قضاء حوائجهم والى من يسترحمهم ويستعطفهم بالشفاعة فاحتاجوا الى الوسائط ضرورة لحاجتهم وعجزهم وضعفهم وقصور علمهم

فأما القادر على كل شيء الغني بذاته عن كل شيء العالم بكل شيء الرحمن الرحيم الذى وسعت رحمته كل شيء فادخال الوسائط بينه وبين خلقه تنقص بحق ربوبيته والهيته وتوحيده وظن به ظن السوء وهذا يستحيل أن يشرعه لعباده ويمتنع في العقول والفطر وقبحه مستقر في العقول السليمة فوق كل قبح)(١)

والخلاصة أن شبهة الوساطة التي يحتج بها المتصوفة لدعاء غير الله من الأنبياء والأولياء هي نفس الشبهة التي وقع بسببها أمم كثيرة في الوقوع في الاشراك بالله حيث دعوا الأنبياء والأولياء بحجة أنهم يتوسطون لهم الى الله وقد وصفهم الله تعالى بالمشركين لوقوعهم في دعاء غير الله من الأنبياء والصالحين فكل من فعل مثل فعلهم فهو مثلهم ويتناوله الحكم الذى حكم الله به على أسلافهم من عبدة القبور

ثم ان الله سبحانه وتعالى أقرب الينا من حبل الوريد كما قال تعالى :((ونحن أقرب اليه من حبل الوريد))(٢) فلا حاجة الى الوسطاء بين الله وبين عباده ولذا فقد أمر سبحانه عباده المؤمنين أن يدعوه ويطلبوا منه ما يريدونه رأسا بلا واسائط

---

(١)— منهاج التأسيس في الرد على ابن جرجيس للشيخ عبد اللطيف نقلا عن غاية الأماني ١/ ٢٦٣

(٢)— ق آية ١٦

فقال تعالى :((ادعوني استجب لكم ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين))(١)

وقال تعالى :((واذا سألك عبادى عني فاني قريب أجيب دعوة الداع اذا دعان فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون))(٢)

وعلى هذا فحجة المتصوفة بأنهم يدعون الأنبياء والأولياء لأنهم وسطاء بينهم وبين الله حجة باطلة أتوا بها من عند أنفسهم وليس لهم أى دليل يستندون عليه من الكتاب والسنة لاثبات شرعية استدلالهم بهذه الحجة بل ان دعاء الأنبياء والأولياء بهذه الحجة هو عين الشرك بالله كما سبق لنا

---

(١) — غافر آية ٦٠

(٢) — البقرة آية ١٨٦

المطلب الثالث : حكم التوجه الى الرسول بالدعاء والاستغاثة :

لقد تحدثنا في المطلب الأول من هذا المبحث عن غلو المتصوفة في الرسول صلى الله عليه و سلم و أثبتنا ذلك بايراد عبارات من أئمة التصوف أنفسهم و قد أوضحنا بأن هذا الغلو بالفعل أوقعهم في انحراف عقدى خطير حيث أدى بهم الى صرف عبادة من أجل العبادات لغير الله حيث توجهوا الى الرسول بالدعاء و الاستغاثة من دون الله سبحانه و تعالى (١)

ثم أتبعنا ذلك في المطلب الثاني بذكر أهم الشبه التي يستدل بها المتصوفة لتجويز التوجه الى الرسول بالدعاء و الاستغاثة و بينا بطلان استدلالهم بتلك الشبه التي أوردوها لكي يستدلوا بها على مشروعية دعاء غير الله من الأنبياء و الأولياء و قد أكدنا بأن النصوص الصحيحة من السنة النبوية التي أوردها المتصوفة على أنها أدلة مؤيدة لهم بأنها ضدهم (٢)

والآن في هذا المطلب نريد أن نرد على المتصوفة الذين يقولون بجواز التوجه الى الرسول بالدعاء و الاستغاثة و سيشتمل هذا الرد على الاثبات بأن الدعاء عبادة من أجل العبادات و أنه لا يجوز صرفه لغير الله كائنا من كان و كذا سأستطرق في هذا الرد على بيان حقيقة الرسول محمد صلى الله عليه و سلم و التأكيد بأنه عبد من عباد الله لا يستحق شيئا من حقوق الألوهية كالدعاء و الاستغاثة و غيرها من العبادات التي يصرفها المتصوفة له

و سأستطرق في هذا الرد أيضا الى بيان بأن التوجه الى الرسول صلى الله عليه و سلم يعتبر شركا بالله سبحانه و تعالى مع بيان خطورة الشرك .

---

(١) — انظر ص ٣٩٧ — ٤١٧

(٢) — انظر ص ٤١٩ — ٤٤٧

مكانة الدعاء في العقيدة الاسلامية :

يعتبر الدعاء في العقيدة الاسلامية عبادة من أجل العبادات التي يتعبد بها المؤمن ربه و لعظم مكانته فقد قال عنه الرسول صلى الله عليه و سلم : (الدعاء مخ العبادة)(١)

و للدعاء أقسام كثيرة ذكرها العلماء في كتبهم و لكن نظرا لطولها أريد أن أختصر على أهم الأقسام التي ذكرها المحققون لأقسام الدعاء ولأن هذين القسمين من أقسام الدعاء هما القسمان المتعلقان بهذا البحث حيث ان المتصوفة يفرقون بين دعاء العبادة و دعاء المسألة فيقولون بأنه يجوز التوجه الى الرسول بالدعاء و الاستغاثة لأن هذا دعاء مسألة و نداء و ليس دعاء عبادة

و قد قسم كثير من العلماء الدعاء الى قسمين و هما : دعاء عبادة و دعاء مسألة

ومن هؤلاء العلماء الذين قسموا الدعاء الى هذين القسمين شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله فقد قال في تفسير قول الله تعالى :(ادعوا ربكم تضرعا و خفية انه لا يحب المعتدين)(٢)

و قوله تعالى :(و لا تفسدوا في الأرض بعد اصلاحها وادعوه خوفا و طمعا ان رحمة الله قريب من المؤمنين)(٣)

قال رحمه الله : هاتان الآيتان مشتملتان على آداب نوعي الدعاء دعاء العبادة و دعاء المسألة فان الدعاء في القرآن يراد به هذا تارة و هذا تارة و يراد به مجموعهما

---

(١)— سنن الترمذي ٥/٤٢٦

(٢)— الأعراف آية ٥٥

(٣)— الأعراف آية ٥٦

وهما متلازمان فان دعاء المسألة هو طلب ما ينفع وطلب كشف ما يضره ودفعه وكل من يملك الضر والنفع فانه هو المعبود لابد أن يكون مالكا للنفع والضر ولهذا أنكر تعالى على من عبد من دونه ما لا يملك ضرا ولا نفعا وذلك كثير في القرآن الكريم لقوله تعالى :

((ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك))(١)

وقال :((ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم))(٢)

فنفي سبحانه عن هؤلاء المعبودين الضر والنفع القاصر والمتعدى فلا يملكون لأنفسهم ولا لعابديهم وهذا كثير في القرآن يبين تعالى أن المعبود لابد أن يكون مالكا للنفع الضر فهو يدعو للنفع والضر دعاء المسألة ويدعو خوفا ورجاء دعاء العبادة فعلم أن النوعين متلازمان فكل دعاء عبادة مستلزم لدعاء المسألة وكل دعاء مسألة متضمن لدعاء العبادة

وعلى هذا فقوله :((واذا سألك عبادى عني فاني قريب أجيب دعوة الداع اذا دعان))(٣) يتناول نوعي الدعاء وبكل منهما فسرت الآية قيل : أعطيه اذا سألني وقيل أثيبه اذا عبدني والقولان متلازمان وليس هذا من استعمال اللفظ المشترك في معنييه كليهما أو استعمال اللفظ في حقيقته ومجازه بل هذا استعماله في حقيقته المتضمنة للأمرين جميعا فتأمله فانه موضوع عظيم النفع وقل من يفطن له وأكثر آيات القرآن دالة على معنيين فصاعدا فهي من هذا القبيل)(٤)

مما سبق تبين لنا أن الدعاء ينقسم الى قسمين دعاء عبادة ودعاء مسألة وأن كلا النوعين من أنواع الدعاء من خصائص الله تعالى فلا يليق بأحد من المخلوقات كائنا من

---

(١) — يونس آية ١٠٦

(٢) — يونس آية ١٨

(٣) — البقرة آية ١٨٦

(٤) — مجموع فتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية ١٥/ ١٠—١١ وكذلك بدائع الفوائد لابن القيم ٢/ ٣

كان سواء كان ملكا مقربا أو نبيا مرسلا أن يصرف له أى نوع من أنواع الدعاء السابقة و هذا خلافا لما يزعمه الذين يدعون غير الله و يقولون ان الآيات القرآنية التي تنهى عن دعاء غير الله انما هو المقصود بها دعاء العبادة فقط أما دعاء المسألة فانه يجوز أن يصرف لغيره لأنه ليس عبادة و قد كذبوا فان الدعاء من أجل العبادات التي يتعبد بها الانسان المؤمن ربـــــه

قال شيخ الاسلام ابن تيميه :

(و كلا نوعي الدعاء مختصان بالله تعالى حقان له لا يصلحان لغيره بل دعاء غيره بأحد النوعين شرك و ذلك من معنى أنه الأحد الصمد فان كونه أحدا يوجب أن لا يشرك به في العبادة و الاستغاثة فلا يدعى غيره و الاسم الصمد جاء معرفا يبين أنه هو الصمد الذى يستحق أن يصمد اليه بكلا نوعي الصمد و هذان الاسمان الأحد و الصمد لم يذكرا في القرآن الا في هذه السورة ـ يعني سورة الاخلاص ـ و الله هو المقصود لذاته و لما يطلب منه فهو مقصود مدعو لنفسه كما أنه مقصود مدعو لما يسئل عنه و يطلب منه و هـــو الصمد في الأمرين لا يصلح لغيره أن يكون هو المعبود و لا أن يكون هو المتوكل عليـــه المستعان به المسئول منه)(١)

و قال الشيخ سليمان بن عبدالله بن محمد بن عبد الوهاب :

(و اعلم أن الدعاء نوعان دعاء عبادة و دعاء مسألة و يراد به في القرآن هذا تـــارة و هذا تارة و يراد به مجموعهما و هما متلازمان ..... ثم قال : الدعاء عبادة مـــن أجل العبادات بل هو أكرمها على الله فان لم يكن الاشراك فيه شركا فليس في الأرض شرك و ان كان في الأرض شرك فالشرك في الدعاء أولى أن يكون شركا من الاشراك فـي غيره من أنواع العبادات بل الاشراك في الدعاء هو أكبر شرك المشركين الذين بعـــث

---

(١)ـ بيان تلبيس الجهمية لابن تيمية ٢ / ٤٥٧ ـ ٤٥٨

الله اليهم رسول الله فانهم يدعون الأنبياء والصالحين والملائكة ويتقربون اليهم ليشفعوا لهم عند الله)(١)

وقال عبدالله القصيمي :

(وقد ورد اطلاق العبادة على دعاء الله بقوله تعالى :((وقال ربكم ادعوني أستجب لكم ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين))(٢)

وقوله صلى الله عليه وسلم :(الدعاء مخ العبادة)(٣)

والعبادة اذا ورد ذكرها في القرآن أو في السنة مطلقة كقوله :((واعبد ربك حتى يأتيك اليقين))(٤) وقوله :((واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا))(٥) و قوله :((فاعبد الله مخلصا له الدين))(٦)

فلا ريب ان العبادة اذا أطلقت كما في هذه الآيات تضمنت الدعاء وغيره من أنواع العبادات .... ولا يختلف الناس أن من دعا الله فقد قام بجزء من العبادة المأمور بها بل لا يختلفون ان الدعاء من أفضل العبادات كما جاء في الحديث (الدعاء هو العبادة)(٧) وذلك لشرفه وسمو منزلته حتى كأنه خلاصة العبادة وأطيبها ولا يختلف الناس أن الدعاء والنداء كانا من أجزاء العبادة .....وقد نص القرآن

---

(١)— تيسير العزيز الحميد شرح كتاب التوحيد ٢١٩

(٢)— غافر آية ٦٠

(٣) — سنن الترمذى ٥/٤٢٦

(٤)— الحجر آية ٩٩

(٥)— النساء آية ٣٦

(٦)— الزمر ٢

(٧)— سنن الترمذى ٥/٤٢٦

لقد رأينا في المدائح الصوفية التي أوردتها عن أئمتهم في المطلب الأول من هـذا البحث والتي غلو فيها غلوا شديدا حتى رفعوا الرسول الى منزلة الألوهية والربوبيـــة فتوجهوا اليه بالدعاء والاستغاثة وطلبوا منه أمورا لا يجوز طلبها الا من الله سبحانـه وتعالى كغفران الذنوب وتفريج الكروب واذهاب الهموم والغموم والنجاة من النار ووصفوه بأنه ملاذهم الوحيد الذى لا ملاذ لهم سواه[1] ونسوا الله عزوجل الذى قال فـي كتابه: ((واذا سألك عبادى عني فاني قريب أجيب دعوة الداع اذا دعان فليستجيبـوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون)) (٢)

ونحن نقول للمتصوفة ان الرسول صلى الله عليه وسلم ما هو الا عبد من عباد اللـه الذين خلقهم لعبادته وحده وفضله الله بالرسالة وجعله خاتم الأنبياء والمرسليـــن وفضله على العالمين وخصه بخصائص كثيرة دون اخوته من الأنبياء والمرسلين جميعـــا ولكن مع ذلك كله لا يخرجه هذا عن طور العبودية لله سبحانه وتعالى وقد وصفه الله عزوجل بالعبودية له في أكمل أحواله فقال في الاسراء: ((سبحان الذى أسرى بعبـده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الأقصا الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا انه هـو السميع البصير)) (٣)

وقال في الايحاء: ((فأوحى الى عبده ما أوحى ما كذب الفؤاد ما رأى أفتمارونه على ما يرى)) (٤)

وقال في الدعوة: ((وأنه لما قام عبد الله يدعوه كادوا يكونون عليه لبدا)) (٥)

---

(١) ـ انظر ص ٦٧٣ ـ ٦٩٤
(٢) ـ البقرة آية ١٨٦
(٣) ـ الاسراء آية ١
(٤) ـ النجم ١٠ ـ ١٢
(٥) ـ الجن آية ١٩

والسنة نصا جليا على أن الدعاء عبادة وذلك كقوله تعالى :((وقال ربكم ادعوني أستجب لكم))(١)

فان هذه الآية نص جلي على أن الدعاء عبادة وعلى أنه من أفضل أجزائها وأشرفها

أما النص من السنة على أن الدعاء عبادة فهو قوله صلى الله عليه وسلم :(الدعاء هو العبادة)(٢)

وما سبق يتضح لنا جليا بأن الدعاء يعتبر عبادة من أهم العبادات التي يتعبد بها المرء ربه وأن الذين يصرفون هذه العبادة لغير الله سبحانه وتعالى قد صرفوا جزءا من حقوق الله سبحانه وتعالى الى غيره وما دام الأمر كذلك فكل من صرف شيئا من الدعاء إلى غير الله سواء كان هذا المدعو ملكا مقربا أو نبيا مرسلا فقد وقع في الاشراك بالله سبحانه وتعالى وهذا ما سأوضحه ان شاء الله فيما يأتي

والآن بعد أن أثبتنا بأن الدعاء عبادة من أهم العبادات نريد أن نشرع في الرد على المتصوفة وسيشتمل الرد على الأمور التالية :

أولا اثبات بأن الرسول عبد من عباد الله وهذا هو الوصف الذى وصفه الله به وأنه لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا وأنه لا يقدر على تخليص أحد من النار الا أن يتغمده الله برحمته وأن الشيء الوحيد الذى ينجى الانسان بسببه هو الايمان الصادق والعمل الصالح الموافق للكتاب والسنة

وبعد هذا سأورد الآيات التي تنهى عن الاشراك بالله سبحانه وتعالى أحدا من خلقه كائنا من كان

ثم سأتبع ذلك بأقوال العلماء في حكم دعاء الرسول والاستغاثة به

---

(١)— غافر آية ٦٠

(٢)— سنن الترمذى ٥/ ٤٢٦

و قال في التحدى : ((و ان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله و ادعوا شهداءكم من دون الله ان كنتم صادقين)) (١)

اذا نظرنا في الآيات السابقة نرى أن الله سبحانه و تعالى وصف رسوله بالعبودية له حيث أضافه اليه فقال : ((الى عبده)) في الأماكن الأربعة و هو وصف عظيم في الحقيقة لا يجده الا من حقق العبودية الكاملة لله سبحانه و تعالى و لذا أقول : الرسول عبد من عباد الله لا يستحق شيئا من العبادات التي يتعبد بها الله و بما أن الدعاء عبادة و الاستغاثة أيضا فيما لا يقدر عليه الا الله عبادة فلا يجوز صرفهما للرسول صلى الله عليه وسلم لأنه لا يملك لنفسه نفعا و لا ضرا و ما دام لا يملك ذلك لنفسه فمن باب أولى لا يملك لغيره و قد أمره الله في كتابه العزيز أن يقول انه بشر لا يملك لنفسه نفعا و لا ضرا فقال تعالى : ((قل لا أملك لنفسي نفعا و لا ضرا الا ما شاء الله و لو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير و ما مسني السوء ان أنا الا بشير و نذير لقوم يؤمنون)) (٢)

ففي هذه الآية أمر الله رسوله محمد صلى الله عليه وسلم أن يصرح بأنه لا يملك نفعا و لا ضرا لنفسه فضلا عن أن يملك جر النفع و دفع الضرر عن غيره و أنه لو كان النفع و الضر بيده لما أصيب بأمور يكرهها في هذه الدنيا و لكن لما كان لا يملك ذلك فقد أصيب الرسول صلى الله عليه و سلم بأذى كثير من الكفرة في غزواته و منها الاصابات التي أصيب بها في غزوة أحد كما هو معروف في السير و لذا يعتبر توجه المتصوفة اليه بالدعاء و الاستغاثة عبث و هراء و شرك بالله عزوجل و قد نهى الله عزوجل عن الشرك بالله في كتابه العزيز ووصفه بأنه ظلم عظيم فقال تعالى حاكيا لنا وصية لقمان لابنه : ((و اذ قال لقمان لابنه و هو يعظه يا بني لا تشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم)) (٣)

---

(١) — البقرة آية ٢٣

(٢) — الأعراف ١٨٨

(٣) — لقمان ١٣

ففي هذه الآية أوصى لقمان عليه السلام لابنه بالابتعاد عن الوقوع في الشرك بالله لأنه أكبر ظلم و كيف لا يكون كذلك و هو أكبر معصية عصي بها الله عز و جل في هذا الكون و قد وصف الله سبحانه و تعالى في آية أخرى بأن من يشرك بالله مثل الانسان الذى يسقط من السماء فيصير قطعا فتتخطفه الطيور أو تذروه الرياح و تبعثره و تذهب به الى مكان سحيق و ذلك لأن الشرك ضرره خطير قال تعالى :((و من يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوى به الريح في مكان سحيق))(١)

فالشرك كما ترى في هذه الآية أمره خطير جدا و من الآيات الدالة على خطورة الشرك ان الله سبحانه و تعالى يغفر جميع الذنوب التي يرتكبها الانسان المسلم مهما كانت الا الشرك فانه سبحانه و تعالى لا يمكن أن يغفر لانسان مات مشركا و يدل على هذا قول الله تعالى :((ان الله لا يغفر أن يشرك به و يغفر ما دون ذلك لمن يشاء))(٢)

ففي هذه الآية أخبر الله سبحانه بأنه لا يغفر لمن مات مشركا وأما ما دون الشرك فانه تحت مشيئة الله سبحانه و لذا ينبغي الحذر من الوقوع في الشرك بالله و قد أمر الله رسوله ان يقول انه بشر و أن ميزته التي يتميز بها عن البشر الآخرين هو الوحي و أن الاله الذى يستحق صرف العبادات جميعها له هو الله سبحانه و تعالى لا غيره فقال تعالى:

((قل انما أنا بشر مثلكم يوحى الي أنما الهكم اله واحد فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا و لا يشرك بعبادة ربه أحدا))(٣)

و قد أمره الله في آية أخرى أيضا أن يقول انه لا يعلم ما سيفعل به هو شخصيا و لا

---

(١)— الحج آية ٣١

(٢)— النساء آية ٤٨

(٣)— الكهف آية ١١٠

يعلم ما سيفعل بأمته و انه ما هو الا متبع لما يوحى اليه من قبل الله عز و جل و الذى لا يدرى ما يفعل به و لا يدرى ما سيفعل بأمته لا يستحق أن يصرف له شيء من العبادة التي لا يستحقها الا الله سبحانه و تعالى لأن الذى يدعى لابد أن يكون عالما بالشيء قادرا على دفعه و هذا يبرأ منه الرسول صلى الله عليه و سلم كما هو أمامنا في هذه الآية الآتية قال تعالى :

((قل ما كنت بدعا من الرسل و ما أدرى ما يفعل بي و لا بكم ان أتبع الا ما يوحى الي و ما أنا الا نذير مبين))(١)

و اذا كان الرسول صلى الله عليه و سلم لا يعرف ما يفعل به في المستقبل و لا بأصحابه و هو في الحياة الدنيا قبل موته فكيف يعرف مشاكل الصوفية بعد أن مات حتى يتوجهوا اليه بالدعاء و الاستغاثة من دون الله تعالى الا اذا قال المتصوفه الشريعة ما هي الا لأهل الظاهر فقط أما أهل الحقيقة فانهم لهم شريعة أخرى غير القرآن و السنة.

و الحاصل أنه قد تبين لنا من خلال الآيات السابقة التي أوردتها و من أقوال العلماء التي ذكرتها أن الدعاء نوعان و أن كلا من النوعين مستلزم للنوع الآخر و أن كلا منهما عبادة لا يجوز صرفها لغير الله سبحانه و تعالى كائنا من كان و أن الرسول عبد من عباد الله الذين خلقهم لعبادته و اصطفاه برسالته و أن أفضل وصف وصف به هو وصفه بأنه عبد الله و ما دام الأمر كذلك فقد بينا بأن صرف الدعاء و الاستغاثة به يعتبر شركا بالله عز و جل و بينا خطورة الشرك و أنه من أكبر المعاصي التي لا يغفرها الله الا بالتوبة منها قبل الموت و أن الرسول صلى الله عليه و سلم قد تبرأ ممن يدعونه من دون الله و أخبر بأنه لا يملك شيئا من النفع و الضر فضلا عن أن يملكه لغيره و على هذا نقول ان كل من يدعو الرسول و يستغيث به محاد لله و لرسوله فهو داخل تحت هذه الآية :((ان

---

(١) — الأحقاف آية ٩

الذين يحادون الله و رسوله أولئك في الأذلين كتب الله لأغلبن أنا و رسلي ان الله قوى عزيز))(١)

و قوله تعالى :((و من يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى و يتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى و نصله جهنم و ساءت مصيرا))(٢)

أما من السنة فقد وردت أحاديث كثيرة تؤكد بأن الرسول صلى الله عليه و سلم لا يعلم ما سيفعل به في المستقبل و أنه لا يستطيع دخول الجنة الا اذا أدخله الله فيها برحمته و اليك النصوص الدالة على هذا

الحديث الأول : قال رسول الله صلى الله عليه و سلم :(والله ما أدرى و أنا رسول الله ما يفعل بي)(٣)

و الحديث الثاني : قول الرسول صلى الله عليه و سلم :(لن يدخل أحدكم الجنة بعمله قالوا حتى أنت يا رسول الله قال حتى أنا الا أن يتغمدني الله برحمة منه و فضل)(٤)

ففي هذين الحديثين صرح الرسول صلى الله عليه و سلم بأنه لا يعرف ما يفعل به و أنه لا يستطيع أن يدخل أحد بعمله الجنة الا بفضل الله حتى صلوات الله و سلامه عليه و اذا كان الرسول كذلك لا يملك لنفسه دخول الجنة الا برحمة الله فتوجه المتصوفة اليه بالدعاء و الاستغاثة يعتبر عبثا و هراء و ما أوقعهم في هذا الشرك الا حبهم للخرافة و الابتداع و الوقوع في حبائل الشرك

و مما يدل على أن الرسول لا يغني عن أحد شيئا كائنا من كان أنه لما نزل قوله

---

(١)— المجادلة آية ٢٠

(٢)— النساء آية ١١٥

(٣)— صحيح البخارى مع الفتح ٣/١١٤

(٤)— صحيح البخارى مع الفتح مع اختلاف في بعض الألفاظ ١٠/١٢٧

تعالى :((وأنذر عشيرتك الأقربين))(١) دعا الرسول صلوات الله و سلامه عليه قريشا فلما اجتمعوا قال لهم :(يا معشر قريش اشتروا أنفسكم من الله فاني لا أغني عنكم من الله شيئا يابني عبد المطلب لا أغني عنكم من الله شيئا يا عباس بن عبد المطلب لا أغني من الله شيئا يا صفية عمة رسول الله لا أغني عنك من الله شيئا يا فاطمة بنت رسول الله سليني من مالي ما شئت لا أغني عنك من الله شيئا)(٢)

ففي هذا الحديث نصح الرسول صلى الله عليه و سلم عشيرته الأقربين و دعاهم الى الايمان بالله سبحانه و تعالى الايمان الصحيح و الأعمال الصالحة من أجل أن ينقذوا أنفسهم من النار و أخبرهم بأن مجرد قرابتهم للرسول صلى الله عليه و سلم لا تنفعهم و أنه لا يستطيع أن يخلصهم من عقاب الله و هذا دليل واضح على أن الرسول صلى الله عليه و سلم لا يملك جلب نفع لأحد و لا دفع ضر عنه و أنه ما هو الا رسول فقط و أن مهمته هي تبليغ دعوة الله لهذه البشرية حتى تخرج من الظلمات الى النور أما أن يصرف له شيء من حقوق الألوهية فيتوجه اليه بالدعاء و الاستغاثة من أجل تفريج الكروب و غفران الذنوب و أن يوصف بأنه الملاذ الوحيد للخلائق فهذا ليس من شأنه بل هذا حق من حقوق الله تعالى لا يجوز صرفه لغيره

و كيف يتوجه اليه المتصوفة بالدعاء و الاستغاثة و يطلبوا منه أمور لا يجوز طلبها الا من الله و هو قد زار قبر أمه فبكى و أبكى من حوله ثم قال رسول الله صلى الله عليه و سلم (استأذنت ربي ان استغفر لأمي فلم يأذن لي و استأذنته في أن أزور قبرها فأذن لي فزوروا القبور فانها تذكر الموت)(٣)

---

(١) — الشعراء آيه ٢١٤

(٢) — صحيح مسلم مع النووى ٣ / ٨٠

(٣) — صحيح مسلم مع النووى ٧ / ٤٦

و ثبت أيضا في صحيح مسلم أن رجلا قال : (يا رسول الله أين أبي ؟ قال : في النـار . فلما قفى دعاه فقال له : ان أبي و أباك في النار)(١)

فانظر كيف أن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يستطع أن ينفع والديه و هما أقـرب الناس اليه فكيف نتصور أن الرسول صلى الله عليه وسلم يغفر ذنوب من جاءوا بعد موتـه و يفرج همومهم من أولئك المتصوفة المخرفة الذين يتوجهون اليه بالدعاء و الاستغاثـة ضاربين بتلك الآيات التي تصف الداعي لغير الله أضل انسان مثل قوله تعالى : ((و من أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له الى يوم القيامة و هم عن دعائهم غافلـون و اذا حشر الناس كانوا لهم أعداء و كانوا بعبادتهم كافرين))(٢)

و ناسين أيضا تلك الآيات التي قررت بأن كل مدعو دون الله ما هو الا عبد وأنـه لا يستطيع نصر من يدعوه سواء كان هذا المدعو ملكا أو نبيا أو حجرا أو شجرا و من هـذه الآيات قوله تعالى : ((ان الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم فادعوهم فليستجيبوا لكم ان كنتم صادقين ألهم أرجل يمشون بها أم لهم أيد يبطشون بها أم لهم أعين يبصرون بها أم لهم آذان يسمعون بها قل ادعوا شركاءكم ثم كيدون فلا تنظرون ان وليي الله الذى نزل الكتاب و هو يتولى الصالحين والذين تدعون من دونه لا يستطيعون نصركـم و لا أنفسهم ينصرون))(٣)

ففي هذه الآية أخبرنا الله سبحانه و تعالى بأن المدعوين من دون الله لا يستطيعون نصر من يدعوهم لأنهم عاجزون عن نصر أنفسهم فضلا عن أن ينصروا غيرهم و من كان عاجزا عن نصر نفسه لا ينبغي أن يتوجه اليه بالدعاء و الاستغاثة لأنه لا يملك اجابة دعاء من دعاه و لا اغاثة من استغاث به لأن هذه من خصوصية الله عزوجل فلا ينبغي أن تصـرف

---

(١)ـ صحيح مسلم مع النووى ٣ / ٧٩

(٢)ـ الأحقاف ٥

(٣)ـ الأعراف ١٩٤ـ١٩٨

لغيره و من صرفها لغيره فدعا غيره و استغاث بغيره فقد وقع في الشرك الأكبر

و هناك نص قاطع من السنة النبوية بأن الرسول صلى الله عليه وسلم قال للصحابة حينما قالوا قوموا نستغيث برسول الله : انه لا يستغاث بي و انما يستغاث بالله . و هذا نص الحديث :

روى الطبراني باسناده أنه كان في زمن النبي صلى الله عليه وسلم منافق يـــؤذى المؤمنين فقال بعضهم : قوموا بنا نستغيث برسول الله صلى الله عليه وسلم من هذا المنافق فقال النبي صلى الله عليه وسلم : (انه لا يستغاث بي و انما يستغاث بالله)(١)

و في حديث آخر حينما قال الصحابي للرسول صلى الله عليه وسلم : ما شاء الله وشئت قال : (بل ما شاء الله وحده أجعلتني لله ندا)(٢)

اذا نظرنا في الحديثين السابقين نجد أن الرسول صلى الله عليه وسلم أنكر علـــى الصحابة الذين قالوا قوموا نستغيث برسول الله صلى الله عليه وسلم و أخبرهم بأن الذى يستغاث به هو الله سبحانه و تعالى لأنه هو الذى يستطيع أن يغيث من استغاث به أما هو فلا يستغاث به لأنه عاجز عن اغاثة من استغاث به في الأمور التي لا يمكن أن يقـــدر عليها الا الله سبحانه و تعالى و هذا في حال حياته أما بعد موته فانه لا يجـــوز أن يستغاث برسول الله صلى الله عليه وسلم اطلاقا لأنه انتقل من هذه الدار الفانية الـــى الدار الباقية فكل من استغاث به بعد موته و طلب منه غفران الذنوب و تفريج الكـــرب و ازالة الهموم و الغموم فقد صرف له شيئا من العبادات التي لا يجوز صرفها لغير اللـــه سبحانه و تعالى و حينئذ يعتبر وقع في الشرك

أما في الحديث الثاني فقد أنكر الرسول صلى الله عليه وسلم الذى عطف مشيئته علـــى

---

(١) ــ مجمع الزوائد ١٠/ ١٥٩ و أخرجه أحمد في المسند ١/ ٢١٤

(٢) ــ البخارى في الأدب المفرد
و حسنه الألباني في الصحيحة ١٣٩

مشيئة الله سبحانه و تعالى فقال له مبينا له خطورة هذه الكلمة و هو قوله (ما شاء الله و شئت) : (أجعلتني لله ندا) فالرسول كما نرى في هذا الحديث اعتبر عطف مشيئة الرسول على مشيئة الله بحرف الواو اشراكا بالله سبحانه و تعالى و هذا رد كاف و مقنع في الحقيقة على المتصوفة الذين رفعوا الرسول صلى الله عليه وسلم الى منزلة الألوهية فصرفوا له أنواعا من العبادات رغم أن العبادات لا يجوز صرفها لغير الله سبحانه و تعالى لا لنبي ولا لولي و لا للملائكة و لا غيرهم من المخلوقات و لذا أقول ان توجه المتصوفة الى الرسول صلى الله عليه وسلم بالدعاء و الاستغاثة يعتبر شركا بالله سبحانه و تعالى لأنه صرف شيء من العبادات لغير الله و صرف شيء من العبادات لغير الله يعتبر عبادة لغيره و ما الشرك الا هذا بعينه و الشرك أمره خطير فيجب أن يبتعد عنه المسلم لأنه لا يمكن أن يبقى مع الشرك عمل صالح و يدل على هذا قول الله تعالى : ((ولقد أوحي اليك و الى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك و لتكونن من الخاسرين بل الله فاعبد و كن من الشاكرين)) (١)

ففي هذه الآية أخبرنا الله سبحانه و تعالى بأنه أوحى الى الرسول صلى الله عليه و سلم و الى الأنبياء من قبله بأنه لو وقعوا في الشرك بالله لأحبط أعمالهم و أبطلها فاذا كان الشرك خطورته بهذا المستوى و هو أنه يحبط أعمال الأنبياء و لما بقى لهم أى عمل صالح لوقعوا في الشرك فكيف بمن سواهم اذا وقع في الشرك فانه من باب أولى يحبط عمله و يبطل و يصبح هباء منثورا

و لذا ينبغي للمتصوفة أن يتنازلوا عن هذه الأدعية الشركية التي توجهوا بها الى الرسول صلى الله عليه و سلم و طلبوا منه غفران الذنوب و تفريج الكرب و الغموم و الأخذ باليد يوم الميعاد و يتوجهوا الى خالقهم الذى بيده ملكوت كل شيء و الذى لا يغفر

---

(١) — الزمر آية ٦٥

الذنوب سواه و لا يستطيع على اجابة المضطر سواه

قال تعالى :((ألا له الخلق و الأمر تبارك الله رب العالمين))(١)

و قال تعالى :((و من يغفر الذنوب الا الله))(٢)

و قال تعالى :((أم من يجيب المضطر اذا دعاه و يكشف السوء و يجعلهم خلفاء الأرض أاله مع الله قليلا ما تذكرون))(٣)

و الخلاصة التي نخرج بها أن الرسول صلى الله عليه و سلم بشر مثلنا و أنه ما خلق الا لعبادة الله كما خلق غيره من الانس و الجن و أنه لا يستحق شيئا من العبادة و قد سبق لنا أنه قال لا يستغاث به و انما يستغاث بالله سبحانه و تعالى و أنه لا يستطيع أن ينجي أحدا من النار حتى و لو أقرب الأقربين اليه الا اذا مات مؤمنا بالله و لذا أقول ان توجه المتصوفة الى الرسول بالدعاء و الاستغاثة يعتبر شركا بالله سبحانه و تعالى و مع أن ما قلناه كاف و مقنع لمن يريد الوصول الى الحق و الهداية الى الصراط المستقيم الذى لا اعوجاج فيه فاننا نريد أن ندعم ما قلناه بآراء العلماء في حكم التوجه الى الرسول صلى الله عليه و سلم بالدعاء و الاستغاثة و ذلك حتى لا نتهم بأننا أول من أتى بهذا الكلام و أن هذا الأمر لم يتكلم عنه أحد في العصور السابقة من علماء الأمة الاسلامية عبر عصورها المختلفة كما يدعي عباد القبور من المتصوفة و غيرهم في أرجاء العالم الاسلامي

---

(١)— الأعراف آية ٥٤

(٢)— آل عمران آية ١٣٥

(٣)— النمل آية ٦٢

أقوال العلماء في حكم التوجه الى الرسول بالدعاء و الاستغاثة :

لقد أنكر العلماء قديما و حديثا التوجه الى الرسول أو الى غيره من المخلوقات كائنا من كان بالدعاء و الاستغاثة و اعتبروا ذلك صرف شيء من أجل العبادات و أعظمها لغير الله سبحانه و تعالى و حتى يتضح لك بأن دعاء الرسول و الاستغاثة به يعتبر شركا بالله سبحانه و تعالى اليك طائفة من أقوال بعض أولئك العلماء الأجلاء :

أولا أقوال شيخ الاسلام ابن تيمية في حكم التوجه الى الرسول بالدعاء و الاستغاثة.

يعتبر شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله من أكثر العلماء الذين أوتوا مقدرة فائقة من الرد على المبتدعين بشتى أصنافهم من صوفية و جهمية و معتزلة و اشعرية و خوارج و شيعة و غيرها من الفرق الضالة

و لقد اعتبر شيخ الاسلام ابن تيمية التوجه الى الرسول بالدعاء و الاستغاثة شركا بالله عز و جل و اليك طائفة من أقواله في هذا المجال

قال شيخ الاسلام بعد أن أوردها بنصها و هي قوله تعالى : ((و أنذر به الذين يخافون أن يحشروا الى ربهم ليس لهم من دونه ولي و لا شفيع)) (١)

و قوله سبحانه : ((قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم و لا تحويلا)) (٢)

قال شيخ الاسلام قالت طائفة من السلف كان أقوام يدعون المسيح و العزير و الملائكة فبين الله أن الملائكة و الأنبياء لا يملكون كشف الضر عنهم و لا تحويلا و أنهم يتقربون الى الله و يرجون رحمته و يخافون عذابه و قال تعالى : ((ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب و الحكم و النبوة ثم يقول للناس كونوا عبادا لي من دون الله)) (٣)

---

(١) — الأنعام آية ٥١
(٢) — الاسراء آية ٥٦
(٣) — آل عمران آية ٧٩

و قوله سبحانه :((و لا يأمركم أن تتخذوا الملائكة و النبيين أربابا أيأمركم بالكفر بعد اذ أنتم مسلمون))(١)

ثم قال شيخ الاسلام(فبين سبحانه أن اتخاذ الملائكة و النبيين أربابا كفر فمن جعل الملائكة و الأنبياء وسائط يدعوهم و يتوكل عليهم و يسألهم جلب المنافع و دفع المضار مثل أن يسألهم غفران الذنوب و هداية القلوب و سد الفاقات فهو كافر باجماع المسلمين)(٢)

و قال في كتابه التوسل و الوسيلة :(فأما ما لا يقدر عليه الا الله تعالى فلا يجوز أن يطلب الا من الله سبحانه لا يطلب ذلك لا من الملائكة و لا من الأنبياء و لا من غيرهم و لا يجوز أن يقال لغير الله اغفر لي و اسقنا الغيث و انصرنا على القوم الكافرين أو اهد قلوبنا و نحو ذلك)(٣) و قال في نفس الكتاب في مكان آخر :

(و لا يجوز لأحد أن يستغيث بأحد من المشائخ الغائبين و لا الميتين مثل أن يقول يا سيدى فلانا أغثني و انصرني وادفع عني و أنا في حسبك و نحو ذلك بل كل هذا من الشرك الذى حرمه الله و رسوله و تحريمه مما يعلم بالاضطرار من دين الاسلام و هؤلاء المستغيثون بالغائبين و الميتين عند قبورهم و غير قبورهم لما كانوا من جنس عباد الأوثان صار الشيطان يضلهم و يغويهم كما يضل عباد الأصنام و يغويهم فتتصور الشياطين في صورة ذلك المستغاث به و تخاطبهم بأشياء على سبيل المكاشفة كما تخاطب الشياطين الكهان)(٤)

و قال أيضا في نفس الكتاب :

---

(١) — آل عمران آية ٨٠

(٢) — الرسالة لشيخ الاسلام ابن تيمية ضمن مجموعة التوحيد ص ١١٦

(٣) — التوسل و الوسيلة لشيخ الاسلام ابن تيمية ص ١٢٦

(٤) — التوسل و الوسيلة لشيخ الاسلام ابن تيمية ص ١٥٤

(وأما دعاء الرسول و طلب الحوائج منه و طلب شفاعته عند قبره أو بعد موته فهذا لم يفعله أحد من السلف و معلوم أنه لو كان قصد الدعاء عند القبر مشروعا لفعله الصحابة و التابعون و كذلك السؤال به فكيف بدعائه و سؤاله بعد موته .... فان هذا كله من فعل النصارى و غيرهم من المشركين و من ضلهاهم من مبتدعة هذه الأمة ليس هذا من فعل السابقين الأولين من المهاجرين و الأنصار و الذين اتبعوهم باحسان و لا مما أقر به أحد من أئمة المسلمين)(١)

و قال أيضا في نفس كتابه :

(واذا تكلمنا فيما يستحقه الله تبارك و تعالى من التوحيد بينا أن الأنبياء و غيرهم من المخلوقين لا يستحقون ما يستحقه الله تبارك و تعالى من خصائص فلا يشرك بهم و لا يتوكل عليهم و لا يستغاث بهم كما يستغاث بالله و لا يقسم على الله بهم و لا يتوسل بهم بذواتهم و انما يتوسل بالايمان بهم و بمحبتهم و طاعتهم و موالاتهم و تعزيزهم و توقيرهم و معاداة من عاداهم و طاعتهم فيما أمروا و تصديقهم فيما أخبروا وتحليل ما حللوه و تحريم ما حرموه)(٢)

و قال شيخ الاسلام في الرسالة السنية :

(ان كل من غلا في نبي أو رجل صالح و جعل فيه نوعا من الالهية مثل أن يقول يا سيدى فلان أغثني أو انصرني أو ارزقني أو أجرني و أنا في حسبك و نحو هذه الأقوال فكل هذا شرك و ضلال يستتاب صاحبه فان تاب والا قتل فان الله انما أرسل الرسل و أنزل الكتب ليعبد وحده لا يجعل معه الها آخر

و الذين يدعون مع الله آلهة أخرى مثل المسيح و الملائكة و الأصنام لم يكونوا يعتقدون

---

(١) — التوسل و الوسيلة لشيخ الاسلام ابن تيمية ص ٧٠

(٢) — نفس المرجع ص ١٢٢

أنها تخلق الخلائق أو تنزل المطر أو تنبت النبات وانما كانوا يعبدونهم أو يعبدون قبورهم أو صورهم و يقولون ((انما نعبدهم ليقربونا الى الله زلفى))

و يقولون ((هؤلاء شفعاؤنا عند الله))

فبعث الله رسله تنهى أن يدعى أحد من دونه لا دعاء عبادة ولا دعاء استغاثة . .)

ثم قال شيخ الاسلام ابن تيمية : ((وعبادة الله وحده لا شريك له هي أصل الدين و هو التوحيد الذى بعث الله به الرسل و أنزل به الكتب)) (١)

قال تعالى : ((ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت)) (٢)

و قال تعالى : ((وما أرسلنا من قبلك من رسول الا نوحي اليه أنه لا اله الا أنا فاعبدون)) (٣) .

ثانيا : اليك أقوال الامام ابن القيم رحمه الله في حكم الاستغاثة بغير الله و دعاء غيره :

فقد قال رحمه الله في كتابه " مدارج السالكين " متحدثا عن أنواع الشرك :

((و من أنواعه أى الشرك طلب الحوائج من الموتى و الاستغاثة بهم و التوجه اليهم و هذا أصل شرك العالم فان الميت قد انقطع عمله وهو لا يملك لنفسه ضرا ولا نفعا فضلا لمن استغاث به أو سأله أن يشفع الى الله و هذا من جهله بالشافع و المشفوع عنده فان الله سبحانه لا يشفع عنده أحد الا باذنه و الله سبحانه لم يجعل سؤال غيره سببا لاذنه و انما السبب لاذنه كمال التوحيد فجاء هذا الشرك بسبب يمنع الاذن و الميت محتاج الى من يدعو له كما أمرنا النبي صلى الله عليه وسلم اذا زرنا قبور المسلمين أن نترحم

---

(١) — الرسالة السنية لشيخ الاسلام ابن تيمية مؤلفات عبد العزيز الحميد ٢٢٨

(٢) — النحل ٣٦

(٣) — الأنبياء آية ٢٥

عليهم و ندعوا لهم و نسأل لهم العافية و المغفرة فعكس المشركون هذا و زاروهم زيارة العبادة و جعلوا قبورهم أوثانا تعبد فجمعوا بين الشرك بالمعبود و تغيير دينه و معاداة أهل التوحيد و نسبتهم الى التنقص بالأموات و هم قد تنقصوا الخالق سبحانه بالشرك و أولياءه الموحدين بذمهم و معاداتهم و تنقصوا من أشركوا به غاية التنقص اذ ظنوا أنهم راضون منهم بذلك و أنهم أمروهم به و هؤلاء أعداء الرسل في كل زمان و مكان و ما أكثر المستجيبين لهم و لله در خليله ابراهيم عليه الصلاة و السلام حيث قال : ((واجنبني و بني أن نعبد الأصنام رب انهن أضللن كثيرا من الناس فمن تبعني فانه مني و من عصاني فانك غفور رحيم)) (١)

و ما نجا من أشرك بهذا الشرك الأكبر الا من جرد توحيده لله و عادى المشركين في الله و تقرب بمقتهم الى الله) (٢)

و قال الامام ابن القيم في "اغاثة اللهفان" :

(و من المحال أن يكون دعاء الموتى أو الدعاء بهم أو الدعاء عندهم مشروعا و عملا صالحا و يصرف عنه أهل القرون الثلاثة المفضلة بنص رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم يرزقه الخلوف الذين يقولون ما لا يفعلون و يفعلون ما لا يؤمرون فهذه سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم في أهل القبور بضعا و عشرين سنة حتى توفاه الله تعالى و هذه سنة خلفائه الراشدين و هذه طريقة جميع الصحابة و التابعين لهم باحسان هل يمكن لبشر على وجه الأرض أن يأتي عن أحد منهم بنقل صحيح أو حسن أو ضعيف أو منقطع أنهم كانوا اذا كان لهم حاجة قصدوا القبور فدعوا عندها و تمسحوا بها فضلا أن يصلو عندها أو يسألوا الله بأصحابها أو يسألوهم حوائجهم فليوقفونا على أثر واحد أو حرف واحد في ذلك بلى يمكنهم أن يأتوا عن الخلوف التي خلفت بعدهم بكثير من ذلك و كما تأخر

(١) — ابراهيم ٣٥—٣٦

(٢) — مدارج السالكين لابن القيم ١/ ٣٤٦

الزمان و طال العهد كان ذلك أكثر حتى لقد وجد في ذلك عدة مصنفات ليس فيها عن رسول الله ولا عن خلفائه الراشدين ولا عن أصحابه حرف واحد من ذلك بلى فيها من خلاف ذلك كثير)(١)

ثالثا : قول الامام الحافظ ابن عبد الهادى في حكم الاستغاثة برسول الله صلى الله عليه وسلم و التوجه اليه بالدعاء :

قال رحمه الله : (و قوله أى قول السبكي : ان المبالغة في تعظيم الرسول صلى الله عليه وسلم واجبة ان أريد به المبالغة بحسب ما يراه كل أحد تعظيما حتى الحج الى قبره و السجود له و الطواف به و اعتقاد أنه يعلم الغيب و أنه يعطي و يمنع و يملك لمن استغاث به من دون الله الضر و النفع و أنه يقضي حوائج السائلين و يفرج كربات المكروبين و أنه يشفع فيمن يشاء و يدخل الجنة من يشاء، فدعوى المبالغة في هذا التعظيم مبالغة في الشرك و انسلاخ من جملة الدين)(٢) .

رابعا : قول عبد الله علي القصيمي في حكم التوجه الى الرسول بالدعاء و الاستغاثة

قال عبد الله علي القصيمي : (ان أعلم الناس بالاسلام و أنفذهم بصرا في الدين و أتقاهم لله و أحرصهم على العمل الصالح الذين شهدوا تنزل الوحي و نزول القرآن و عرفوا أسباب نزوله . . . . و الذين هم أعلم الناس على الاطلاق بمرامي القرآن و مقاصد السنة و روحهما و فحواهما و أعني بهؤلاء صحابة رسول الله من المهاجرين و الأنصار

فلم نجد أحدا من هؤلاء حاول يوما سؤال ميت حاجة من حاجاته لا الرسول الكريم

---

(١) — اغاثة اللهفان للامام ابن القيم ١ / ٢٠٢

(٢) — الصارم المنكي في الرد على السبكي لابن عبد الهادى ٣٥١

و لا من هو دونه لا في حالات السراء و لا في حالات الضراء و لم يحاول أن يطلب ميتا قضاء حاجة واحدة من حاجاته التي تلازمه كل وقت و التي لا تنقضي و لم يستصرخ الرسول صلى الله عليه و سلم و لا غيره بعد الموت لنازلة نزلت أو عظيمة وقعت و قد أصيب الصحابة بعد موت النبي صلى الله عليه و سلم بمصائب متنوعة دينية و دنيوية و وقعوا في أفانين من اشراك البلاء و وقعوا في نزاع في مسائل كثيرة و في حروب طاحنة مؤلمة و لكنهم مع هذا لم يحاولوا أن يفضوا النزاع أو يكشفوا ما بهم من بلاء بالرجوع الى الرسول و بالرجوع الى سؤاله و الاستغاثة به و الاستصراخ بشفاعته لهم عند الله ليكشف ما بهم و ما أصابهم . . . . فاقتصار الصحابة عند ذلك كله بعد موت النبي الكريم و قد اصطدموا بحاجات ملحة اليه و بأمور طاغية باغية يتعلق المصطدم بها بالأسباب كلها قويها و ضعيفها برهان لا يرام اضعافه و لا القدح فيه على أنهم يرون ذلك بعد الموت غير جائز و غير مشروع و على أنهم لا يختلفون في ذلك لأنه لم يأت عن أحد منهم يعبأ به أنه فعله)(١)

ثم قال القصيمي : (ان عدول الصحابة عن التوجه الى الرسول بالدعاء و الاستغاثة هو الاعتراف بأن طلب الأموات و سؤالهم و الاستغاثة بهم ليس جائزا و لا مشروعا و لا مستطاعا باتفاق الصحابة و من تبعهم باحسان و باجماع سيرتهم العملية الصامتة ثم الاعتراف بأن الاستغاثة بالموتى باطلة غير جائزة بالضرورة و بالاجماع الصامت و كل جواب غير هذا هو جواب باطل مدخول متكلف)(٢)

خامسا : قول الشيخ محمد صديق خان في حكم التوجه الى الرسول بالدعاء

---

(١) — الصراع بين الوثنية و الاسلام للشيخ عبدالله القصيمي ص ٣٠٩ — ٣١٠ بايجاز

(٢) — نفس المرجع ص ٣١٢

والاستغاثة :

قال الشيخ رحمه الله :(من استغاث بالأموات زعما منه أنهم يشفعون له في الدنيا فقد سلك سبيل اليهود والنصارى

قال : اذا قال قائل أنا أدعو الشيخ ليكون شفيعا لي فهو من جنس النصارى والمؤمن من يرجو ربه ويخافه ويدعوه مخلصا له الدين وحق شيخه أن يدعو لـــه ويترحم عليه فان أعظم قدرا هو رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه أعلم النـاس بأمره وقدره وأطوع الناس له ولم يكن يأمر أحدا منهم عند الفزع والخوف أن يقول يـا سيدى يا رسول الله ولم يكونوا يفعلون ذلك في حياته ولا بعد مماته بل كان يأمرهـم بذكر الله ودعائه والصلاة والسلام عليه صلى الله عليه وسلم)(١)

وقال رحمه الله في تفسيره فتح البيان تحت قوله تعالى :((قل لا أملك لنفســي ضرا ولا نفعا الا ما شاء الله))

قال وفي هذا أعظم وازع وأبلغ زاجر لمن صار ديدنه وهجيراه المناداة لرسول الله أو الاستعانة به عند نزول النوازل التي لا يقدر على دفعها الا الله سبحانه وتعالـــى وكذلك من صار يطلب من الرسول صلى الله عليه وسلم ما لا يقدر على تحصيله الا اللـــه سبحانه فان هذا مقام رب العالمين الذى خلق الأنبياء والصالحين وجميع المخلوقيـن ورزقهم وأحياهم ويميتهم فكيف يطلب من نبي من الأنبياء أو ملك من الملائكة أو صالـح من الصالحين ما هـــو عاجز عنه غير قادر عليه ويترك الطلب لرب الأرباب القادر علـى كل شيء الخالق الرازق المعطي المانع وحسبك بما في الآية من موعظة فان سيد ولـد آدم وخاتم الرسل يأمره الله بأن يقول لعباده ((لا أملك لنفسي ضرا ولا نفعـا)) فكيف يملكه لغيره ، وكيف يملكه غيره ممن رتبته دون رتبته ومنزلته لا تبلغ الى منزلته لنفســه

---

(١)— الدين الخالص للشيخ محمد صديق حسن خان ص ٢٦

فضلا عن أن يملك لغيره فيا عجبا لقوم يعكفون على قبور الأموات الذين قد صاروا تحت أطباق الثرى و يطلبون منهم الحوائج ما لا يقدر عليه الا الله عز وجل كيف لا يستفظنون لما وقعوا فيه من الشرك و لا ينتبهون لما حل بهم من المخالفة لمعنى (لا اله الا الله) و مدلول ((قل هو الله أحد))

و أعجب من هذا اطلاع أهل العلم على ما يقع من هؤلاء و لا ينكرون عليهم و لا يحولون بينهم و بين الرجوع الى الجاهلية الأولى الى ما هو أشد منها فان أولئك يعترفون بأن الله سبحانه هو الخالق الرازق المحي المميت الضار النافع و انما أصنامهم شفعاء لهم عند الله و مقربون لهم اليه و هؤلاء يجعلون لهم القدرة على الضر و النفع و ينادونهم تارة على الاستقلال و تارة مع ذى الجلال و كفاك من شر سماعه و الله ناصر دينه و مظهر شريعته من أوضار الشرك و أدناس الكفر و لقد توسل الشيطان أخزاه الله بهذه الذريعة الى ما تقر عينه و ينثلج به صدره من كفر كثير من هذه الأمة المباركة و هم يحسبون أنهم يحسنون صنعا و انا لله و انا اليه راجعون)(١)

سادسا : أقوال الشيخ رشيد رضا في حكم التوجه الى الرسول بالدعاء والاستغاثة :

قال رحمه الله تحت تفسير قوله تعالى ((قل لا أملك لنفسي نفعا ولا ضرا الا ما شاء الله)) الآية :

(هذه الآية من أعظم أصول الدين و قواعد عقائده ببيانها لحقيقة الرسالة و الفصل بينها و بين الربوبية و الألوهية و هدمها لقواعد الشرك و مباني الوثنية من أساسها . . . و الناس قد فتنوا منذ قوم نوح بمن اصطفاهم الله ووفقهم لطاعته وولايته من الأنبياء و من دون الأنبياء من الصالحين فجعلوهم شركاء لله تعالى فيما يرجوه عباده من نفع يسوقه

---

(١) — انظر فتح البيان للنواب صديق حسن خان ٤ / ٢٢٥

اليهم و ما يخشونه من شر يمسهم فيدعونه ليكشفه عنهم و صاروا يدعونهم كما يدعونه لذلك اما استقلالا و اما اشراكا اذ منهم من يظن أنه تعالى قد أعطاهم القدرة على التصرف في خلقه بما هو فوق الأسباب التي منحها الله تعالى لسائر الناس فصاروا يستقلون بالنفع والضر منحا و منعا و ايجابا و سلبا ومنهم من يعتقد أن التصرف الغيبي الأعلى الذى هو فوق الأسباب الكسبية الممنوحة للبشر خاص بربهم لا يقدر عليه غيره و لكنهم يظنون مع هذا أن هؤلاء الأنبياء و الأولياء عند الله تعالى كوزراء الملوك و حجابهم و بطانتهم و بين من لم يصل الى رتبتهم فالملك المستبد بسلطانه يعطي هذا و يعفو عن ذنب هذا بوساطة هؤلاء الوزراء و الحجاب المقربين عنده و كذلك رب العالمين يعطي و يمنع و يغفر و يرحم و ينتقم بوساطة أنبيائه و أوليائه بزعمهم فهم شفعاء للناس عنده تعالى يقربونهم اليه زلفى كما حكاه التنزيل عن المشركين في قوله تعالى :((ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى))

ثم قال الشيخ محمد رضا (و في مثل هذا التشبيه الوثني و تمثيل تصرف الرب العظيم الغني عن عباده بتصرف الملوك المستبدين الجاهليين الذين يحتاجون الى وزرائهم و بطانتهم في حمله على ما ينبغي له فيهم قال الله تعالى :((فلا تضربوا لله الأمثال))

و بين في هذه الآية و أمثالها أن رسل الله تعالى و هم صفوة خلقه لا يشاركون الله تعالى في شيء من ملكه بل هو المتصرف في هذا الكون كله و أن الرسالة التي اختصهم الله تعالى بها لا يدخل في معناها اقدارهم على النفع و الضر بسلطان فوق الأسباب المسخرة لسائر البشر

و ذلك أن مدار العبودية على توجه العباد الى المعبود فيما يرجون من نفع ويخافون من ضر فاستعمل اللفظان في التنزيل في بيان أن الرب المستحق للعبادة هو من يملك

الضر و النفع غير خاضع و لا مقيد بالأسباب العادية كقوله تعالى : ((قل أتعبدون من دون الله ما لا يملك لكم ضرا و لا نفعا)) (١)

و قوله في عجل بني اسرائيل : ((أفلا يرون أ لا يرجع اليهم قولا و لا يملك لهم ضرا و لا نفعا)) (٢) و غير ذلك من الآيات)

ثم قال الشيخ : (فلما كان ملك الضر و النفع بهذا الاطلاق خاصا برب العباد و خالقهم و كان طلب النفع أو كشف الضر عبادة لا يجوز أن يوجه الى غيره من عباده مهما فضله تعالى عظيما عليهم أمر الله رسوله أن يصرح بالبلاغ عنه أنه لا يملك لنفسه ولا لغيره نفعا و لا ضرا و قد تكرر هذا الأمر له في القرآن مبالغة في تقريره و توكيده فقال تعالى : ((قل لا أملك لنفسي نفعا و لا ضرا الا ما شاء الله)) (٣)

و قوله : ((قل اني لا أملك لكم ضرا و لا رشدا)) (٤)

و هذه الآية أبلغ و أشمل في معناها بما فيها من ايجاز و احتباك يحذف ما يقابل الضر و الرشد المذكورين و هما ضدهما بدلالتهما عليهما و التقدير : لا أملك لكم ضرا و لا نفعا و لا رشدا و لا غواية) (٥)

سابعا : أقوال الامام الشوكاني في حكم التوجه الى الرسول صلى الله عليه وسلم بالدعاء و الاستغاثة :

قال رحمه الله : (و لا شك أن من اعتقد في ميت من الأموات أو حي من الأحياء أنه يضره أو ينفعه اما استقلالا أو مع الله تعالى أو ناداه أو توجه اليه أو استغاث به في أمر

---

(١) — المائدة ٧٦ (٢) — طه ٨٩

(٣) — الأعراف ١٨٨ (٤) — الجن ٢١

(٥) — تفسير المنار للشيخ رشيد رضا ٩/٥٠٧ — ٥١٠ بايجاز

من الأمور التي لا يقدر عليها المخلوق فلا يخلص التوحيد لله و لا افراده بالعبادة اذ الدعاء بطلب وصول الخير اليه و دفع الضر عنه هو نوع من أنواع العبادة ولا فرق بين أن يكون هذا المدعو من دون الله أو معه حجرا أو شجرا أو ملكا أو شيطانا كما كان يفعل ذلك الجاهلية و بين أن يكون انسانا من الأحياء أو الأموات كما يفعله الآن كثير من المسلمين و كل عالم يعلم هذا و يقربه فالعلة واحدة و عبادة غير الله تعالى و تشريك غيره معه يكون للحيوان كما يكون للجماد و للحي كما يكون للميت فمن زعم أن ثم فرقا بين من اعتقد في وثن من الأوثان أنه يضر أو ينفع أو يقدر على أمر لا يقدر عليه الا الله تعالى فقد غلط غلطا بينا و أقر على نفسه بجهل كبير فان الشرك هو دعاء غير الأشياء التي تختص به أو اعتقاد القدرة لغيره فيما لا يقدر عليه سواه أو التقرب الى غيره بشيء مما لا يتقرب به الا اليه و مجرد تسمية المشركين لما جعلوه شريكا بالصنم و الوثن و الاله لغير الله زيادة على التسمية بالولي و القبر و المشهد كما يفعله كثير من المسلمين بل الحكم واحد اذا حصل لمن يعتقد في الولي و القبر ما كان يحصل لمن كان يعتقد في الصنم و الوثن اذ ليس الشرك هو مجرد اطلاق بعض الأسماء على بعض المسميات بل الشرك هو أن يفعل لغير الله شيئا يختص به سبحانه سواء أطلق على ذلك الغير ما كان تطلقه عليه الجاهلية أو أطلق عليه اسما آخر فلا اعتبار بالاسم فقط و من لم يعرف هذا فهو جاهل لا يستحق أن يخاطب بما يخاطب به أهل العلم و قد علم كل عالم أن عبادة الكفار للأصنام لم تكن الا بتعظيمها و اعتقاد أنها تضر و تنفع و الاستغاثة بها عند الحاجة و التقرب لها في بعض الحالات بجزء من أموالهم وهذا كله قد وقع من المعتقدين في القبور فانهم قد عظموها الى حد لا يكون الا لله سبحانه بل ربما يترك العاصي منهم فعل المعصية اذا كان في مشهد من يعتقده أو قريبا منه مخافة تعجيل العقوبة من ذلك الميت و ربما لا يتركها

اذا كان في حرم الله أو في مسجد من المساجد أو قريبا من ذلك وربما حلف بعض غلاتهم بالله كاذبا ولم يحلف بالميت الذى يعتقده

وأما اعتقادهم أنها تضر وتنفع فلولا اشتمال ضمائرهم على هذا الاعتقاد لم يدع أحد منهم ميتا أو حيا عند استجلابه لنفع أو استدفاعه لضر قائلا : يا فلان افعل لي كذا وكذا وعلى الله وعليك وأنا بالله وبك .)(١)

وقال أيضا في رسالته" شرح الصدور بتحريم رفع القبور" : (لقد أمر الله رسوله صلى الله عليه وسلم أن ((قل لا أملك لنفسي ضرا ولا نفعا)) فانظر كيف قال سيد البشر وصفوة خلقه في أنه لا يملك لنفسه ضرا ولا نفعا وكذلك قال في الحديث : (يا فاطمة بنت محمد لا أغني عنك من الله شيئا) الحديث . فاذا كان هذا قول رسول الله في نفسه وفي أخص قرابته به وأحبهم اليه فما ظنك بسائر الأموات الذين لم يكونوا أنبياء معصومين ولا رسلا مرسلين بل غاية ما عند أحدهم أنه فرد من أفراد هذه الأمة المحمدية)(٢)

---

(١) — السدر النضيد في اخلاص كلمة التوحيد للشوكاني ص ٣٣

(٢) — شرح الصدور بتحريم رفع القبور للشوكاني ضمن مجموعة الرسائل المنيرية ص ٧١

الفصل الثاني : انحرافاتهم في الخضر عليه السلام :

وتحته مبحثان :

المبحث الأول : اعتقادهم بأن الخضر ولي وليس نبي وأن الولي أفضل من النبي ومناقشتهم

المبحث الثاني : اعتقادهم بأن الخضر حي يرزق الى يوم القيامة :

وتحته مطلبان :

المطلب الأول : ذكر النصوص عنهم التي تدل على أنهم يعتقدون بأن الخضر حي يرزق

المطلب الثاني : بيان بطلان هذا المعتقد وأن الصحيح وفاته

==========

المبحث الأول :اعتقادهم بأن الخضر ولي وليس بنبي و أن الولي أفضل من النبي

المبحث الثاني : اعتقادهم بأن الخضر حي يرزق الى يوم القيامة

==========

لقد انحرف المتصوفة في اعتقادهم تجاه الخضر عليه السلام حيث انهم يعتقدون بأن الخضر عليه السلام ولي من أولياء اللهتعالى و ليس بنبي و بنوا على ذلك على أن الولي يجوز له الخروج عن الشريعة كما خرج الخضر عليه السلام عن شريعة موسى حسب زعمهم الباطل و أنه يمكن للولي أن يصل الى مرضاة الله سبحانه و تعالى بدون اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم

و الى جانب ذلك يعتقد المتصوفة أيضا تجاه الخضر عليه السلام الى أنه حي يرزق الى الآن و يدعون أنهم يلتقون به و يتلقون عنه علمهم اللدني الذى هو خاص بالأولياء فقط و لا يمكن أن يعرفه غيرهم كائنا من كان حتى الأنبياء

المبحث الأول : اعتقاد الصوفية و غيرهم بأن الخضر ولي وليس بنبي و أنه يجوز الخروج

عن الشريعة للولي كما خرج الخضر عن شريعة موسى عليه السلام :

ان اعتقاد المتصوفة بأن الخضر عليه السلام ولي و ليس بنبي واضح جدا و ليس يخفى على أحد و ذلك لأنهم يبنون على هذا الاعتقاد القول ان الولي أعلم من النبي و أنه يمكن أن يصل الولي الى مرضاة الله و محبته بدون متابعة النبي

و كذلك اعتقاد المتصوفة بأنه يجوز الخروج عن الشريعة للولي كما خرج الخضر عن شريعة موسى عليه السلام واضح أيضا

و مما يدل على أن المتصوفة يعتقدون بأن الخضر ولي و ليس بنبي قول محي الدين ابن عربي حيث قال في الفتوحات المكية : (اعلم أيها الولي الحميم أيدك الله أن هذا الوتد هو خضر صاحب موسى عليه السلام أطال الله عمره الى الآن و قد رأينا من رآه واتفق لنا في شأنه أمر عجيب و ذلك أن شيخنا أبا العباس العريبي رحمه الله تعالى جرت بيني و بينه مسألة في حق شخص كان قد بشر بظهوره رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لي : هو فلان بن فلان و سمى لي شخصا أعرفه باسمه و ما رأيته و لكن رأيت ابن عمته فربما توقفت فيه و لم آخذ بالقبول أعني قول شيخي العريبي فيه لكوني على بصيرة في أمره و لا شك أن الشيخ رجع سهمه عليه فتأذى في باطنه و لم أشعر بذلك فاني كنت في بداية أمري في الطريق)(١)

و الذي يهمنا من ايراد هذه الحكاية عن ابن عربي هو أنه قال عن الخضر أنه وتد من الأوتاد و هذا الوصف يصف به المتصوفة من يصفونهم بالأولياء

---

(١) — الفتوحات المكية لابن عربي ٢ / ١٨٠

و بالاضافة الى كلام ابن عربي فانك لو سألت أي صوفي عن الخضر عليه السلام سيجيبك بأن الخضر ولي من أولياء الله و ليس بنبي و هم يقولون بهذا لأنهم بنوا عليه عقائد فاسدة كما ستتضح لنا الآن في هذا الفصل ان شاء الله أثناء دراستنا لمعتقد الصوفية تجاه الخضر

و نحن نرد على هذا فنقول ان النصوص تدل على أن الخضر عليه السلام نبي من أنبياء الله و ليس بولي فقط كما يزعم المتصوفة و من سار على نهجهم من بعض العلماء الذين يقولون بأن الخضر ولي و ليس بنبي

قال الفخر الرازى في معرض حديثه عن الخضر عليه السلام و هل هو نبي أو ولي:

و الاكثرون ان ذلك العبد كان نبيا و استدلوا عليه بوجوه

الحجة الأولى : أنه تعالى قال :((آتيناه رحمة من عندنا))(١) و الرحمة هي النبوة بدليل قوله تعالى :((أهم يقسمون رحمة ربك))(٢)

و قوله :((و ما كنت ترجو أن يلقى اليك الكتاب الا رحمة من ربك))(٣)

و المراد من هذه الرحمة النبوة

الحجة الثانية: قوله تعالى : ((و علمناه من لدنا علما)) و هذا يقتضي أنه تعالى علمه بلا واسطة تعليم معلم و لإرشاد مرشد و كل من علمه الله لا بواسطة البشر وجب أن يكون نبيا يعلم الأمور بالوحي من الله

الحجة الثالثة: ان موسى عليه السلام قال ((هل اتبعك على أن تعلمني مما علمت رشدا))(٤) و النبي لا يتبع النبي في التعليم

---

(١) — الكهف آية ٦٥

(٢) — الزخرف آية ٣٢

(٣) — القصص آية ٨٦

(٤) — الكهف آية ٦٦

الحجة الرابعة: ان ذلك العبد أظهر الترفع على موسى حيث قال: ((و كيف تصبر على ما لم تحط به خبرا))(١)

و أما موسى فانه أظهر التواضع حيث قال: ((لا أعصي لك أمرا))(٢)

و كل ذلك يدل على أن ذلك العالم كان فوق موسى و من لا يكون نبيا لا يكون فوق النبي

الحجة الخامسة: احتج الأصم على نبوته بقوله في أثناء القصة: ((و ما فعلته عن أمري)) و معناه فعلته بوحي الله و هو يدل على النبوة

الحجة السادسة: ما روى أن موسى عليه السلام لما وصل اليه قال: السلام عليك. فقال: و عليك السلام يا نبي بني اسرائيل. فقال موسى عليه السلام: من عرفك هذا؟ قال: الذي بعثك الي.

قالوا و هذا يدل على أنه عرف ذلك بالوحي و الوحي لا يكون الا مع النبوة (٣)

قلت و هذه الحجج أراها حجج قوية لاثبات بأن الخضر عليه السلام نبي و ليس ولي فقط كما يدعي المتصوفة و من سار على طريقتهم.

و استدل الشيخ محمد الأمين على نبوة الخضر بقوله تعالى: ((و ما فعلته عن أمري)) فقال: ((و من أظهر الأدلة في أن الرحمة و العلم الذين امتن الله بهما على عبده الخضر عن طريق النبوة و الوحي قوله تعالى: ((و ما فعلته عن أمري)) أي و انما فعلته عن أمر الله جل جلاله و أمر الله انما يتحقق عن طريق الوحي اذ لا طريق تعرف بها أوامر الله و نواهيه الا الوحي من الله جل و علا و لا سيما قتل النفس البريئة في ظاهر الأمر و تعييب سفن الناس بخرقها لأن العدوان على سفن الناس و أموالهم لا يصح الا عن طريق الوحي من الله تعالى و قد حصر تعالى طريق الانذار في الوحي في قوله تعالى: ((قل انما أنذركم بالوحي))(٤) و انما صيغة حصر فان قيل قد يكون ذلك عن طريق الالهام

---

(١) — الكهف آية ٦٨ (٢) — الكهف آية ٦٦

(٣) — التفسير الكبير للامام الفخر الرازي ٢٢ / ١٤٨ (٤) — الأنبياء آية ٤٥

فالجواب أن المقرر في الأصول أن الالهام من الأولياء لا يجوز الاستدلال به على شيء لعدم العصمة وعدم الدليل على الاستدلال به بل ولوجود الدليل على عدم الاستدلال به

وما يزعمه بعض المتصوفة من جواز العمل بالالهام في حق الملهم دون غيره ومايزعمه بعض الجبرية أيضا من الاحتجاج بالالهام في حق الملهم و غيره جاعلين الالهام كالوحي المسموع مستدلين بظاهر قوله تعالى : ((فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام)) (١) و بخبر (اتقوا فراسة المؤمن فانه ينظر بنور الله)(٢) كله باطل لا يعول عليه لعدم اعتضاده بدليل وغير المعصوم لا ثقة بخواطره لأنه لا يأمن من دسيسة الشيطان وقد ضمنت الهداية في اتباع الشرع ولم تضمن في اتباع الخواطر والالهامات، والالهام في الاصطلاح ايقاع شيء في القلب يثلج له الصدر من غير استدلال بوحي ولا نظر في حجة عقلية يختص الله به من يشاء من خلقه ، أما ما يلهمه الأنبياء مما يلقيه الله في قلوبهم فليس كالهام غيرهم لأنهم معصومون بخلاف غيرهم

وبالجملة فلا يخفى على من له الملم بمعرفة دين الاسلام أنه لا طريق تعرف بها أوامر الله و نواهيه و ما يتقرب اليه به من فعل و ترك الا عن طريق الوحي فمن ادعى أنه غني عنه في الوصول الى ما يرضي ربه عن الرسل و ما جاءوا به ولو في مسألة واحدة فلا شك في زندقته

والآيات والأحاديث الدالة على هذا لا تحصى قال الله تعالى : ((وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا)) (٣) ولم يقل حتى نلقي الهاما في القلوب. . . .وبذلك تعلم أن ما يدعيه كثير من الجهلة المدعين للتصوف من أن لهم ولأشياخهم طريقة باطنة توافق الحق عند الله تعالى ولو كانت مخالفة لظاهر الشرع كمخالفة ما فعله الخضر

---

(١) — الأنعام آية ١٢٥ (٢) — مسند الشهاب ١/٣٨٧ وقال عنه المحقق : ضعيف.

(٣) — الاسراء آية ١٥

لظاهر العلم الذى عند موسى زندقة و ذريعة الى الانحلال بالكلية من دين الاسلام بدعوى أن الحق في أمور باطنه تخالف ظاهره)(١)

و مما يدل على أن الخضر عليه السلام نبي من أنبياء الله وليس وليا فحسب قوله لموسى عليه السلام : (يا موسى اني على علم من علم الله علمنيه الله لا تعلمه و أنت على علم من علم الله علمكه الله لا أعلمه) و قوله لموسى أيضا ما نقص علمي و علمك من علم الله الا مثل ما نقص هذا العصفور بمنقاره من البحر)(٢)

و يقول الشيخ عبد الرحمن عبد الخالق : (ولا شك أن ما فعله الخضر فعله عن وحي حقيقي من الله و ليس عن مجرد خيال أو الهام لأن قتل النفس لا يجوز بمجرد الظن و لذلك قال الخضر : و ما فعلته عن أمرى . . . .فلم يفعل الا عن أمر الله الصادق ووحيه القطعي و مثل هذا الأمر و الوحي القطعي قد انقطع بوفاة النبي صلى الله عليه وسلم فلا وحي بعده و من ادعى شيئا من ذلك فقد كفر لأنه بذلك خالف القرآن الذى يقول الله فيه : ((ما كان محمد أبا أحد من رجالكم و لكن رسول الله و خاتم النبيين و كان الله بكل شيء عليما))(٣) .

و الخلاصة من خلال الأدلة القرآنية و الحديثية التي ذكرناها و أقوال العلماء يتضح لنا أن الراجح من الأقوال هو القول بأن الخضر عليه السلام نبي من أنبياء الله و ليس وليا فقط كما يزعم المتصوفة و من سار على نهجهم و بهذا يبطل دعوى الصوفية بأن الولي أعلم من النبي بناءا على قصة الخضر مع موسى حيث يدعون أن الأولياء يعلمون علم الحقيقة الذى لا يعلمه الأنبياء و يستدلون بهذه القصة .

---

(١)— أضواء البيان ٤ / ١٧٣—١٧٤

(٢)— صحيح البخارى مع الفتح قصة موسى و الخضر ٦ / ٤٣٢

(٣)— الأحزاب آية ٤٠ ، و الموضوع انظر له الفكر الصوفي لعبد الرحمن عبد الخالق ١٣٢

استنتاج المتصوفة من قصة الخضر و موسى على أنه يجوز للولي أن يخرج عن الشريعة و أنه يستطيع أن يصل الى مرضاة الله من غير طريق النبي :

بناء على اعتقاد المتصوفة نحو الخضر عليه السلام من أنه ولي من أولياء الله و ليس بنبي فقد قالوا ان الأولياء يجوز لهم الخروج عن الأحكام الشرعية التي جاء بها الرسول من عند الله عزوجل كما خرج الخضر عن شريعة موسى عليه السلام في الظاهر

و قد ذكر احتجاجهم هذا شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله حيث قال : (و أما احتجاجهم بقصة موسى و الخضر فيحتجون بها على وجهين :

أحدهما : أن يقولوا أن الخضر كان مشاهدا الارادة الربانية الشاملة و المشيئة الالهية العامة و هي الحقيقة الكونية فلذلك سقط عنه الملام فيما خالف فيه الأمر و النهي الشرعي و هو من عظيم الجهل و الضلال بل من أعظم النفاق و الكفر فان مضمون هذا الكلام أن من آمن بالقدر وشهد أن الله رب كل شيء لم يكن عليه أمر و لا نهي و هذا كفر بجميع كتب الله ورسله و ما جاءوا به من الأمر و النهي . . . . و هؤلاء هم القدرية الشركية الذين يحتجون بالقدر على دفع الأمر و النهي هم من شر القدرية الذين هم مجوس هذه الأمة الذين روى فيهم (ان مرضوا فلا تعودوهم و ان ماتوا فلا تشهدوهم) لأن هؤلاء يقرون بالأمر و النهي و الثواب و العقاب لكن أنكروا عموم الارادة و القدرة و الخلق و ربما أنكروا سابق العلم

و أما القدرية الشركية فانهم ينكرون الأمر و النهي و الثواب و العقاب لكن و ان لم ينكروا عموم الارادة و القدرة و الخلق فانهم ينكرون الأمر و النهي و الوعد و الوعيد ويكفرون بجميع الرسل و الكتب فان الله انما أرسل الرسل مبشرين من أطاعهم بالثواب و منذرين من عصاهم بالعقاب

وأيضا فان موسى عليه السلام كان مؤمنا بالقدر عالما به بل أتباعه من بني اسرائيل كانوا أيضا مؤمنين بالقدر فهل يظن من له أدنى عقل أن موسى طلب أن يتعلم من الخضر الايمان بالقدر وأن ذلك يدفع الملام مع أن موسى أعلم بالقدر من الخضر بل عموم أصحاب موسى يعلمون ذلك

وأيضا فلو كان هذا هو السر في قصة الخضر لبين ذلك لموسى وقال : اني كنت شاهدا للارادة والقدر وليس الأمر كذلك بل بين له أسبابا شرعية تبيح له ما فعل

وأما الوجه الثاني : فان من هؤلاء من يظن أن من الأولياء من يسوغ له الخروج عن الشريعة النبوية كما ساغ للخضر الخروج عن متابعة موسى وانه قد يكون للولي في المكاشفة والمخاطبة ما يستغني به عن متابعة الرسول في عموم أحواله أو بعضها وكثير منهم يفضل الولي في زعمه اما مطلقا واما من بعض الوجوه على النبي زاعمين أن في قصة الخضر حجة لهم وكل هذه مقالات من أعظم الجهالات والضلالات بل من أعظم أنواع النفاق والالحاد والكفر فانه قد علم بالاضطرار من دين الاسلام أن رسالة محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم لجميع الناس عربهم وعجمهم وملوكهم وزهادهم وعلمائهم وعامتهم وأنها باقيـــة دائمة الى يوم القيامة بل عامة الثقلين الجن والانس وأنه ليس لأحد من الخلائق الخروج من متابعته وطاعته وملازمة ما يشرعه لأمته من الدين وما سنه لهم من فعل المأمورات وترك المحظورات بل لو كان الأنبياء المتقدمون قبله أحياء لوجب عليهم متابعته وطاعته . . .

ومما يبين الغلط الذي وقع لهم في الاحتجاج بقصة موسى والخضر على مخالفة الشريعة أن موسى عليه السلام لم يكن مبعوثا الى الخضر ولا أوجب الله على الخضر متابعته وطاعته بل قد ثبت في الصحيح أن الخضر قال له : (يا موسى اني على علم من علم الله علمنيه الله لا تعلمه وأنت على علم من علم الله علمكه الله لا أعلمه) وذلك أن دعوة موسى كانت

خاصة و قد ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال فيما فضله الله به على الأنبياء قال : (كان النبي يبعث الى قومه خاصة و بعثت الى الناس عامة) (١) فدعوة محمد صلى الله عليه وسلم شاملة لجميع العباد و ليس لأحد الخروج عن متابعته و طاعته و لا استغناء عن رسالته كما ساغ للخضر الخروج عن متابعة موسى و طاعته مستغنيا عنه بما علمه الله و ليس لأحد ممن أدرك الاسلام أن يقول لمحمد : اني على علم من علم الله علمنيه لا تعلمه ، و من سوغ هذا أو اعتقد أن أحدا من الخلق الزهاد و العباد أو غيرهم له الخروج عن دعوة محمد صلى الله عليه وسلم و متابعته فهو كافر باتفاق المسلمين . . . . و قصة الخضر ليس فيها خروج عن الشريعة و لهذا لما بين الخضر لموسى الأسباب التي فعل لأجلها ما فعل وافقه موسى و لم يختلفا حينئذ و لو كان ما فعله الخضر مخالفا لشريعة موسى لما وافقه) (٢)

و قال شيخ الاسلام ابن تيمية في مكان آخر رادا على المتصوفة الذين يحتجون بقصة الخضر مع موسى على أن الأولياء يسوغ لهم الخروج عن الشريعة كما خرج الخضر عن شريعة موسى و فعل أمورا محرمة في شريعة موسى ، قال :

(و مثل احتجاج بعضهم بقصة الخضر و موسى عليه السلام على أن من الأولياء من يستغني عن محمد صلى الله عليه وسلم كما استغنى الخضر و مثل قول بعضهم ان خاتم الأولياء له طريق الى الله يستغني به عن خاتم الأنبياء و أمثال هذه الأمور التي كثرت في كثير من المنتسبين الى الزهد و الفقر و التصوف و الكلام و التفلسف و كفر هؤلاء قد يكون من جنس كفر اليهود و النصارى و قد يكون أعظم و قد يكون أخف بحسب أحوالهم) (٣)

---

(١) — صحيح البخارى مع الفتح ١ / ٤٣٦

(٢) — مجموع فتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية ١١ / ٤٢٠ — ٤٢٦ باختصار

(٣) — نفس المرجع ٢٤ / ٣٣٩

و قال الامام ابن القيم مستنكرا على احتجاج المتصوفة بقصه الخضر مع موسى على جواز خروج الأولياء عن الشريعة الاسلامية

قال : (فمن ادعى انه مع محمد صلى الله عليه و سلم كخضر مع موسى أو جوز ذلك لأحد من الأمة فليجدد اسلامه وليتشهد شهادة الحق فانه بذلك مفارق لدين الاسلام بالكلية فضلا عن أن يكون من خاصة أولياء الله و انما هو من أولياء الشيطان و خلفائه و نوابه و هذا الموضع مقطع و مفرق بين زنادقة القوم و بين أهل الاستقامة منهم فحرك تره) (١)

و قال القرطبي رحمه الله في تفسيره ما نصه نقلا عن شيخ الاسلام : (ذهب قوم من زنادقة الباطنية الى سلوك طريق لا تلزم منه هذه الأحكام الشرعية فقالوا هذه الأحكام الشرعية العامة انما يحكم بها على الأنبياء و العامة و أما الأولياء و أهل الخصوص فلا يحتاجون الى تلك النصوص بل انما يرادفهم ما يقع في قلوبهم

و يحكم عليهم بما يغلب من خواطرهم و قالوا لصفاء قلوبهم عن الأفكار و خلوها عن الأغيار فتتجلى لهم العلوم الالهية و الحقائق الربانية فيقفون على أسرار الكائنات و يعلمون أحكام الجزئيات فيستغنون بها عن أحكام الشرائع الكليات كما اتفق للخضر فانه استغنى بما تجلى له من العلوم عما كان عند موسى من تلك الفهوم

و هذا القول زندقة و كفر يقتل قائله و لا يستتاب لأنه انكار ما علم من الشرائع فان الله تعالى قد أجرى سنته و نفذ كلمته بأن أحكامه لا تعلم الا بواسطة رسله السفراء بينه و بين خلقه و هم المبلغون عنه رسالته و كلامه المبينون شرائعه و أحكامه اختارهم الله لذلك و خصهم . . . . . و على الجملة فقد حصل العلم القطعي و اليقين الضروري و اجتماع السلف و الخلف على أن لا طريق لمعرفة أحكام الله تعالى التي هي راجعة الى

---

(١) — مدارج السالكين لابن القيم ٢ / ٧٤٦

أمره و نهيه و لا يعرف شيء منها الا من جهة الرسل فمن قال ان هناك طريقا آخر يعرف بها أمره و نهيه غير الرسل حيث يستغني عن الرسل فهو كافر يقتل و لا يستتاب و لا يحتاج معه الى سؤال و جواب ثم هو قول باثبات أنبياء بعد نبينا صلى الله عليه و سلم الذى قد جعله الله خاتم أنبيائه و رسله فلا نبي بعده و لا رسول و بيان ذلك ان من قال يأخذ عن قلبه و أن ما يقع فيه حكم الله تعالى و أنه يعمل بمقتضاه و أنه لا يحتاج مع ذلك الى كتاب و لا سنة فقد أثبت لنفسه خاصة النبوة فان هذا كفر ما قاله صلى الله عليه و سلم : (ان روح القدس نفث في روعي) .)(١)

و يقول الشيخ عبدالرحمن عبدالخالق :ان وجود الخضر عليه السلام على دين و شريعة غير شريعة موسى كان أمرا سائغا و سنة من سنن الله قبل بعثة محمد صلى الله عليه و سلم لأن النبي كان يبعث الى قومه خاصة و لذلك كان موسى رسولا الى بني اسرائيل فقط و لم يكن رسولا للعالمين و لذلك لما سلم موسى عليه السلام على الخضر قال الخضر واني بأرضك السلام . قال له موسى أنا موسى . قال الخضر موسى بني ارسرائيل قال نعم . . . أى أنت مبعوث الى بني اسرائيل و منهم

و لذلك لم تكن شريعة موسى لازمة للخضر و لجميع الناس في زمانه و أما بعد بعثة محمد صلى الله عليه و سلم فانه لا يجوز شرعا أن يكون هناك من هو خارج عن شريعته لأن الرسول صلى الله عليه و سلم رسول العالمين لا يسع الخضر و لا غيره أن يتخلف عن الايمان به و اتباعه و لذلك لا وجود بتاتا للخضر أو أمثاله بعد بعثة الرسول محمد صلى الله عليه و سلم)(٢)

و الخلاصة أن احتجاج المتصوفة بقصة الخضر مع موسى عليه السلام بجواز خروج الأولياء

---

(١) — تفسير القرطبي ١١ / ٤٠

(٢) — الفكر الصوفي لعبد الرحمن عبدالخالق ١٣٢

على الشريعة الاسلامية و اقدامهم على فعل شيء محرم في الشريعة الاسلامية كما خرج الخضر في الظاهر على شريعة موسى مع أنه بعد أن شرح الخضر لموسى سبب اقدامه على قتل الغلام و خرق السفينة و رفع الجدار لم ينكر عليه موسى و انما أقره عليها لأنها غير مخالفة للشريعة و لكن الله سبحانه و تعالى أعلم الخضر أمرا لم يعلمه لموسى عليه السلام رغم أنهما كليهما نبيان من أنبياء الله فلما علم موسى حقيقة الأمر لم ينكر على خضر فعله هذا

ثم ان الخضر لم يكن من قوم موسى و لذا فهو غير ملزم باتباع شريعة موسى لأن موسى كان مبعوثا الى بني اسرائيل فقط لا غير و الخضر لم يكن من بني اسرائيل و على هذا نقول ليس للمتصوفة أى حجة تكون دليلا لهم للخروج و التمرد على الأحكام الشرعية بحجة أنهم أولياء الله و ذلك للأمور الآتية

١ــ أولا من المعلوم ضرورة أن الرسول مبعوث الى جميع ما في هذا الكون من انس و جن و ليس لأحد كائنا من كان أن يدعي بأن الرسول لم يبعث اليه و على هذا فلا يجوز لأحد الخروج عن هذه الشريعة احتجاجا بقصة الخضر و من اعتبر نفسه أنه مع الرسول صلى الله عليه و سلم كالخضر مع موسى فقد ادعى لنفسه النبوة لأن الخضر كان نبيا أعلمه الله بتلك الأشياء التي أقدم عليها و من زعم هذا الزعم فقد كفر يجب أن يستتاب فان تاب و الا قطع عنقه

٢ــ ثانيا أن الوحي قد انقطع بعد الرسول صلى الله عليه و سلم نهائيا و ليس هناك أى طريق للتلقي عن الله سبحانه و تعالى فكيف يدعي المتصوفة امكانية الوصول الى مرضاة الله من غير الطريق المشروع ألا و هو اتباع الرسول صلى الله عليه و سلم

من الانحرافات التي وقع فيها المتصوفة تجاه الخضر هو زعمهم بأنه حي يرزق الى الآن و الادعاء بأنهم يلتقون به دائما و يتلقون منه أذكارهم التي يتلونها ليلا و نهارا

يقول "احمد بن ادريس الشاذلي : (اجتمعت بالنبي صلى الله عليه و سلم اجتماعا صوريا و معه الخضر عليه السلام فأمر النبي صلى الله عليه و سلم الخضر أن يلقنني ذكار الطريقة الشاذلية فلقنني اياها بحضرته و يستطرد قائلا ثم قال صلى الله عليه و سلم للخضر عليه السلام يا خضر لقنه ما كان جامعا لسائر الأذكار و الصلوات و الاستغفار)(١)

فالحكاية السابقة التي أوردتها عن أحمد بن ادريس الشاذلي تدل على ان الصوفية يعتقدون بأن الخضر حي و أنهم يتلقون منه أذكارهم

و مما يدل على أن المتصوفة يعتقدون بحياة الخضر الى الآن و التقاؤهم به في مناسبات عديدة قول محي الدين بن عربي :

(اعلم أيدك الله أيها الولي الحميم ان هذا الوتد هو خضر صاحب موسى عليه السلام أطال الله عمره الى الآن و قد رأينا من رآه و اتفق لنا في شأنه أمر عجيب و ذلك أن شيخنا أبا العباس العريبي رحمه الله تعالى جرت بيني و بينه مسألة في حق شخص كان قد بشر بظهوره رسول الله صلى الله عليه و سلم فقال لي هو فلان بن فلان و سمى لي شخصا أعرفه باسمه و ما رأيته و لكن رأيت ابن عمته فربما توقفت منه و لم آخذ بالقبول

---

(١) — مفاتيح كنوز السماوات و الأرض لصالح محمد الجعفري ٨ نقلا عن الفكر الصوفي لعبد الرحمن عبد الخالق ١٣٩

أعني قول الشيخ العربي فيه لكوني على بصيرة في أمره و لا شك أن الشيخ رجع سهمه عليه فتأذى في باطنه و لم أشعر بذلك فاني كنت في بداية الطريق

فانصرفت عنه الى منزلي فنمت في الطريق فلقيني شخص لا أعرفه فسلم علي ابتداء سلام محب مشفق و قال لي يا محمد صدق الشيخ أبا العباس فيما ذكره لك عن فلان و سمى لنا الشخص الذي ذكره أبو العباس العربي فقلت نعم و علمت ما أراد و رجعت من حيني الى الشيخ لأعرفه بما جرى فعندما دخلت عليه قال لي يا أبا عبدالله احتاج معك اذا ذكرت لك مسألة يقف خاطرك عن قبولها الى الخضر يتعرض اليك يقول لك صدق فلانا فيما ذكره لك

و من أين يتفق لك هذا في كل مسألة تسمعها مني فتتوقف فقلت ان باب التوبة مفتوح فقال و قبول التوبة واقع فعلمت ان ذلك الرجل كان الخضر و لا شك اني استفهمت الشيخ عنه أهو هو قال نعم هو الخضر)(١)

ففي هذه الحكاية التي أوردتها عن ابن عربي الصوفي الكبير زعم بأنه التقى بالخضر وادعى أنه حي و دعا الله أن يطيل في عمر الخضر

و قال في مكان آخر و هو يحكي لقاءه بالخضر عليه السلام :

(ثم اتفق لي مرة أخرى اني كنت بمرسى تونس بالحفرة في مركب في البحر فأخذني وجع في بطني و أهل المركب قد ناموا فقمت الى جانب السفينة و تطلعت الى البحر فرأيت شخصا على بعد في ضوء القمر و كانت ليلة البدر و هو يأتي على وجه الماء حتى وصل الى فوقف معي و رفع قدمه الواحدة و اعتمد على الآخرة فكانت كذلك ثم تكلم معي بكلام كان عنده ثم سلم و انصرف يطلب المنارة محرسا على شاطئ البحر على تل بيننا و بينه مسافة تزيد على ميلين فقطع تلك المسافة في خطوتين أو ثلاثة فسمعت صوته و هو على ظهر

---

(١) — الفتوحات المكية لابن عربي ٣ / ١٨٠

المنارة يسبح الله تعالى و ربما مشى الى شيخنا جراح بن خميس الكناني و كان من سادات القوم مرابطا بمرسى عيدون و كنت جئت عنده بالأمس من ليلتي تلك فلما جئت المدينة لقيت رجلا صالحا فقال لي كيف كانت ليلتك البارحة في المركب مع الخضر ما قال لك و ما قلت له فلما كان بعد ذلك التأريخ خرجت الى السياحة بساحل البحر المحيط و معي رجل ينكر خرق العادة للصالحين فدخلت مسجدا خرابا منقطعا لأصلي فيه أنا و صاحبي صلاة الظهر فاذا بجماعة من السائحين المنقطعين دخلوا علينا يريدون ما نريد من الصلاة في ذلك المسجد و فيهم ذلك الرجل الذى كلمني على البحر الذى قيل لي انه الخضر و فيهم رجل كبير القدر أكبر منه منزلة و كان بيني و بين ذلك الرجل اجتماع قبل ذلك و مودة فقمت فسلمت عليه فسلم علي و خرج بي و تقدم بنا يصلي فلما فرغنا من الصلاة خرج الامام و خرجت خلفه و هو يريد باب المسجد و كان الباب في الجانب الغربي يشرف على البحر المحيط بموضع يسمى بكة فقمت أتحدث معه على باب المسجد و اذا بذلك الرجل الذى قلت انه الخضر قد أخذ حصيرا فان في محراب المسجد فبسطه في الهواء على قدر علو سبعة أذرع من الأرض و وقف على الحصر في الهواء يتنقل فقلت لصاحبي أما تنظر الى هذا و ما فعل فقال لي سر اليه و اسأله فتركت صاحبي واقفا و جئت اليه فلما فرغ من صلاته سلمت عليه)(١)

و نكتفي بهاتين الحكايتين لاثبات بأن المتصوفة يعتقدون بأن الخضر حي يرزق و يدعون بأنهم يلتقون به و يتلقون عنه أذكارهم ففيهما الكفاية و لأن هذا أمر معلوم و معروف لدى الأوساط الصوفية حيث يعتقدون كلهم حتى العوام منهم بأن الخضر حي و أنه يتلقى منه المتصوفة أذكارهم و لا يمكن أن ينكر لك هذا نهائيا

---

(١) — الفتوحات المكية لابن عربي ٣ / ١٨٢ و انظر عقود الجواهر لفوزى علي ٧ و كذلك التشرف الى رجال التصوف لأبي يعقوب ٣١

يقول الشيخ عبدالرحمن عبدالخالق حاكيا عن مزاعم الصوفية فيه :

(باختصار لقد تحول الخضر الى قصة خرافية كبيرة أشبه بقصة ما يسمونه بالسوبر مان الذى يطير في كل مكان و يلتقي بالأصدقاء و الخلان في كل البلدان و يشرع للناس ما شاء من عبادات و قربان و يلقن الأذكار و ينشيء الطرق الصوفية و يمد الأولياء و الأقطاب و يولي من يشاء و يعزل من يشاء و ما عليك اذا أردت لقاء الخضر الا أن تذكر مجموعة من الأذكار فيأتيك الخضر في الحال و يبشرك بما تشاء من البشارات و يجعلك وليا من الأولياء و يعطيك علوما لدنية لم يعلمها الرسل أنفسهم و لا خطرت لهم على بال)(١)

---

(١)— الفكر الصوفي لعبدالرحمن عبدالخالق ١٣٤

المطلب الثاني : بيان بطلان معتقد الصوفية بحياة الخضر و التلقي عنه :

لقد بينا في المطلب الأول من هذا المبحث بأن الصوفية يعتقدون أن الخضر حي يرزق الى الآن و الى أن يرث الله الأرض و من عليها و ادعاؤهم تلقي أذكارهم عنه(١)

و في هذا المطلب نريد أن نبين بطلان هذا المعتقد و مخالفته للمعتقد الصحيح الواجب بالنسبة لحياة الخضر و موته

فنقول ان الصحيح من أقوال العلماء هو أن الخضر عليه السلام ليس بحي الى الآن و انما هو قد مات كما مات غيره و هذا هو الذى تؤيده الأدلة الصحيحة بخلاف القائلين بحياة الخضر عليه السلام فان الأدلة لا تؤيدهم نهائيا و ما أوردوه من أدلة فهي أدلة ضعيفة لا تصلح أن يعتمد عليها لاثبات مثل هذا الأمر العقدى

فمن العلماء الذين قالوا بموت الخضر عليه السلام و عدم تعميره الى الآن أو في زمن الرسول صلى الله عليه و سلم الامام المفسر الكبير أبو حيان حيث قال رحمه الله :

(و الجمهور على أن الخضر قد مات و ممن ذهب الى موت الخضر و عدم تعميره الشيخ شرف الدين أبو عبدالله محمد بن الفضل المرسي فقد قال : أما خضر موسى بن عمران فليس بحي لأنه لو كان حي للزمه المجيء الى النبي صلى الله عليه وسلم و الايمان به و اتباعه و قد روى عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : (لو كان موسى و عيسى حيين لم يسعهما الا اتباعي)·)(٢)

و من العلماء الذين قالوا بموت الخضر و عدم تعميره القاضي أبو يعلى فقد قال :

(و كيف يعقل وجود الخضر و لا يصلي مع الرسول صلى الله عليه و سلم الجمعة

---

(١)— انظر ص ٤٩١ ـ ٤٩٤

(٢)— البحر المحيط لأبي حيان ١٤٧/٦

و الجماعة و لا يشهد معه الجهاد مع قوله عليه الصلاة و السلام : (و الذى نفسي بيده لو كان موسى حيا ما وسعه الا أن يتبعني) (١)

و قوله تعالى : (و اذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب و حكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم)) (٢)

و ثبوت ان عيسى عليه السلام اذا نزل الى الأرض يصلي خلف امام هذه الأمة و لا يتقدم عليه في مبدأ الأمر و ما أبعد فهم من يثبت وجود الخضر عليه السلام و ينسى ما في اثباته من الاعراض عن هذه الشريعة . . . . . ثم قال بعد أن ذكر وجوها من الأدلة العقلية على عدم حياة الخضر :

الخامس أن القول بحياة الخضر قول على الله بغير علم و هو حرام بنص القرآن

أما المقدمة الثانية فظاهرة و الأولى فلأن حياته لو كانت ثابتة لدل عليها القرآن أو السنة أو الاجماع فهذا كتاب الله فأين حياة الخضر و هذه سنة رسول الله فأين فيها ما يدل على ذلك بوجه و هؤلاء علماء الأمة فمتى أجمعوا على حياته

السادس أن غاية ما يتمسك به في حياته حكايات منقولة يخبر الرجل بعضها أنه رأى الخضر فيالله تعالى العجب فهل للخضر علامة يعرفه بها من رآه و كثير من زاعمي رؤيته يغتر بقوله أنا الخضر و معلوم أنه لا يجوز تصديق قائل ذلك بلا برهان من الله فمن أين للرائي أن المخبر له صادق و لا يكذب

السابع أن الخضر فارق موسى بن عمران كليم الرحمن و لم يصاحبه و قال : (هذا فراق بيني و بينك)) فكيف يرضى لنفسه بمفارقة مثل موسى عليه السلام ثم يجتمع بجهلة العباد الخارجين عن الشريعة الذين لا يحضرون جمعة و لا جماعة و لا مجلس علم و كل

---

(١) — مسند أحمد مع اختلاف في بعض الألفاظ ٣ / ٣٣٨ ط دار الفكر العربي

(٢) — آل عمران آية ٨١

منهم يقول قال لي الخضر أوصاني الخضر فيا عجبا له يفارق الكليم موسى و يدور على صحبته مغفل لا يصحبه الا شيطان رجيم سبحانك هذا بهتان عظيم

الثامن أن الأمة مجمعة على أن الذى يقول أنا الخضر لو قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كذا و كذا لم يلتفت الى قوله و لم يحتج به في الدين و لا مخلص القائل بحياته عن ذلك الا أن يقول انه لم يأت الى الرسول و لا بايعه أو يقول انه لم يرسل اليه و في هذا من الكفر ما فيه

التاسع أنه لو كان حيا لكان جهاده الكفار و رباطه في سبيل الله و مقامه في الصف ساعة و حضوره الجمعة و الجماعة و ارشاد جهلة الأمة أفضل بكثير من سياحته بين الوحوش في القفار و الفلوات الى غير ذلك)(١)

و رغم أن الآلوسي من الذين يقولون بحياة الخضر عليه السلام الا أنه أكد بأن الأدلة الصحيحة تؤيد القائلين بموت الخضر و هذا نص كلامه فقد قال :

(ثم اعلم بعد كل حساب ان الأخبار الصحيحة النبوية و المقدمات الراجحة العقلية تساعد القائلين بوفاته عليه السلام أى مساعدة و تعاضدهم على دعواهم أى معاضدة و لا مقتضى للعدول عن ظواهر تلك الأخبار الا مراعاة ظواهر الحكايات المروية و الله أعلم بصحتها عن بعض الصالحين الأخبار و حسن الظن ببعض الصوفية فانهم قالوا بوجوده الى آخر الزمان على وجه لا يقبل التأويل السابق .

و قول الآلوسي هذا دليل قاطع على أن الحق مع العلماء الذين يقولون بموت الخضر و عدم تعميره حيث ان الآلوسي من القائلين بحياة الخضر تقليدا لمشائخه الصوفية حيث انه متأثر بهم جدا و يلاحظ هذا كل من يقرأ في تفسيره روح المعاني

---

(١)— تفسير روح المعاني للآلوسي ١٥/ ٣٢٠— ٣٢١

و مع هذا فانه أقر بأن الأدلة تؤيد القائلين بموته و يكفي هذا و الحمدلله فالحق هو ما شهد به الخصوم

و من العلماء الذين قالوا بموت الخضر و عدم تعميره ابراهيم الحربي حيث قال حين سئل عن بقاء الخضر الى الآن :(من أحال على غائب لم ينتصف منه و ما القى هذا بين الناس الا الشيطان) (١)

و من العلماء الذين قالوا بموت الخضر و عدم تعميره الى الآن الشيخ محمد الأمين الشنقيطي مستدلا بحديث جابر بن عبدالله عن النبي صلى الله عليه و سلم أنه قال قبل موته بشهر أو نحو ذلك :(ما من نفس منفوسة اليوم تأتي عليها مائة سنة و هي حية يومئذ)(٢)

قال الشيخ الأمين بعد ذكره لهذا الحديث :(فهذا الذى رواه جابر فيه تصريح النبي صلى الله عليه وسلم بأنه لا تبقى نفس منفوسة

قال ابن عباس رضي الله عنهما ما بعث الله نبيا الا أخذ عليه الميثاق لئن بعث محمد و هو حي ليؤمنن به و لينصرنه و أمره أن يأخذ على أمته الميثاق لئن بعث محمد صلى الله عليه و سلم و هم أحياء ليؤمنن به و ينصرونه

فالخضر ان كان نبيا أو وليا فقد دخل في هذا الميثاق فلو كان حيا في زمن رسول الله لكان أشرف أحواله أن يكون بين يديه يؤمن بما أنزل الله عليه و ينصره أن يصله أحد من الأعداء اليه لأنه ان كان وليا فالصديق أفضل منه و ان كان نبيا فموسى أفضل منه (٣)

---

(١)— تفسير روح المعاني للآلوسي ١٥/ ٣٢٠

(٢)— صحيح مسلم مع شرح النووى ١٦/ ٩٠

(٣)— تأريخ ابن كثير البداية و النهاية ١/ ٣٣٤

و من العلماء الذين صرحوا بموت الخضر عليه السلام و أنه ليس بحي شيخ الاسلام ابن تيمية فقد قال رحمه الله :(و الصواب الذى عليه المحققون أنه ميت و أنه لم يدرك الاسلام و لو كان موجودا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم لوجب عليه أن يؤمن به و يجاهد معه كما أوجب الله ذلك عليه و على غيره و لكان يكون في مكة و المدينة و لكان يكون حضوره مع الصحابة للجهاد معهم و اعانتهم على الدين أولى به من حضوره عند قوم كفار ليرقع لهم سفينتهم و لم يكن مختفيا عن خير أمة أخرجت للناس و هو قد كان بين يدى المشركين و لم يحتجب عنهم ثم ليس للمسلمين به و أمثاله حاجة لا في دينهم ولا في دنياهم فان دينهم أخذوه عن الرسول النبي الأمي صلى الله عليه وسلم الذى علمهم الكتاب والحكمة . . . . . واذا كان الخضر حيا دائما فكيف لم يذكر النبي ذلك قط ولا أخبر به أمته ولا خلفاؤه الراشدون ، و قول القائل انه نقيبا لأولياء فيقال له : من ولاه النقابة و أفضل الأولياء أصحاب محمد و ليس فيهم الخضر و عامة ما يحكى في هذا الباب من الحكايات بعضها كذب و بعضها مبني على ظن رجل : مثل شخص رأى رجلا ظن أنه الخضر و قال انه الخضر كما أن الرافضة ترى شخصا تظن أنه الامام المنتظر المعصوم أو تدعي ذلك . وروى عن الامام أحمد بن حنبل أنه قال و قد ذكر له الخضر : من أحالك على غائب فما أنصفك و ما ألقى هذا على ألسنة الناس الا الشيطان)(١)

و من العلماء الذين قالوا بموت الخضر و عدم بقائه الى الآن الامام البخارى حيث أنه لما سئل عن حياة الخضر أنكر ذلك و استدل على عدم حياته و تعميره بالحديث(فان على رأس مائة سنة منها لا يبقى على وجه الأرض ممن هو عليها أحد) (٢)

---

(١) — مجموع فتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية ٢٧ / ١٠٠ — ١٠٢ باختصار

(٢) — صحيح البخارى مع الفتح ١ / ٢٥٥

و هذا الحديث هو عمدة من تمسك بأن الخضر قد مات و أنه ليس بباق في هـــذه الدنيـــا

و من العلماء الذين قالوا بموت الخضر و عدم تعميره الى الآن أبو الحسن بن المنادى حيث قال رحمه الله : (بحثت عن تعمير الخضر و هل هو باق أم لا فاذا أكثر المغفليـن مفترون بأنه باق) (١)

هذا و قد ضعف العلماء الأدلة التي استدل بها القائلون بحياة الخضر من المتصوفة و غيرهم و اليك نماذج من أقوالهم :

فمن العلماء الذين ذهبوا الى تضعيف الأدلة التي استدل بها القائلون بحيـــاة الخضر أبو الحسن بن المنادى حيث قال بعد أن نفى حياة الخضر و تعميره : (والأحاديث المرفوعة في ذلك واهية و السند الى أهل الكتاب ساقط لعدم ثقتهم و خبر مسيلمة بـــن مصقلة كالخرقة و خبر رياح كالريح قال و ما عدا ذلك كله من الأخبار واهية الصدور والأعجاز لا يخلو حالها من أحد أمرين :

اما أن تكون أدخلت على الثقات استغفالا أو يكون بعضهم تعمد

و قد قال تعالى : ((و ما جعلنا لبشر من قبلك الخلد أفان مت فهم الخالدون))(٢)

و من العلماء الذين قالوا بضعف الأدلة التي استدل بها القائلون بحياة الخضـــر و تعميره أبو الخطاب بن دحيه و قد قال في هذا : (جميع ما ورد في حياة الخضر لا يصح

---

(١) ـ الزهر النضر في نبأ الخضر ضمن الرسائل المنيرية ٢٠٦

(٢) ـ الأنبياء ٣٤ و الموضوع انظره الزهر النضر في نبأ الخضر ضمن الرسائل المنيرية ٢٠٦/٢

منها شيء باتفاق أهل النقل وانما يذكر ذلك من روى الخبر ولا يذكر علته اما لكونه لا يعرفها واما لوضوحها عند أهل الحديث)

ثم قال : (وأما ما جاء عن المشايخ فهو مما يتعجب منه كيف يجوز للعاقل أن يلقى شخصا لا يعرفه فيقول له :أنا فلان . فيصدقه)

ثم قال : (وأما حديث التعزية الذى رواه أبو عمر بن عبد البر فهو موضوع رواه عبد الله بن المحرز عن يزيد بن الأصم عن علي رضي الله عنه وابن محرز متروك وهو الذى قال ابن المبارك في حقه كما أخرجه مسلم في مقدمة صحيحه : لما رأيته كنت بعرة أحب الي منه . فغضل رؤية النجاسة على رؤيته)(١)

ومن العلماء الذين ضعفوا أدلة القائلين بحياة الخضر الامام ابن كثير رحمه الله حيث قال بعد أن ساق الأحاديث والحكايات التي استدل بها القائلون بحياته :

(وهذه الحكايات والروايات هي عمدة من ذهب الى حياته اليوم وكل من الأحاديث المرفوعة ضعيفة جدا لا تقوم بمثلها حجة في الدين والحكايات لا يخلو أكثرها من ضعف في الاسناد وقصاراها أنها صحيحة الى من ليس بمعصوم من صحابي أو غيره لأنه يجوز عليه الخطأ والله أعلم . . . .) الى أن قال : (وقد تصدى الشيخ أبو الفرج ابن الجوزى رحمه الله في كتابه "عجالة المنتظر في شرح حالة الخضر" للأحاديث الواردة في ذلك من المرفوعات فبين أنها موضوعات ومن الآثار عن الصحابة والتابعين فمن بعدهم فبين ضعف أسانيدها ببيان أحوالها وجهالة رجالها وقد أجاد في ذلك وأحسن الانتقاد)(٢).

---

(١) — الزهر النضر في نبأ الخضر ٢/٢٠٣

(٢) — البداية والنهاية لابن كثير ١/٣٣٤

و قد ناقش الامام ابن حجر رحمه الله الأحاديث التي استدل بها القائلون بحيـــاة الخضر فحكم على جميعها بالضعف و معلوم أن الامام ابن حجر يعتبر حجة في علـــوم الحديث فهو بحر لا ساحل له في هذا المجال ، و اليك عبارة ابن حجر في آخر كتابه الزهر النضر في نبأ الخضر بعد أن ناقش الأحاديث الواردة في هذا المجال و في مقدمتهـــا حديث تعزية الخضر للصحابة بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم و حديث أنس الـذى يتضمن أن الرسول أرسله الى الخضر ليدعو للرسول و غير ذلك من الأحاديث التي وردت في حياة الخضر

قال ابن حجر : (و الذى تميل اليه النفس من حيث الأدلة القوية خلاف ما يعتقـــده العوام من استمرار حياته لكن ربما عرضت من جهة كثرة الناقلين للأخبار الدالة علـــى استمراره فيقال هب أن أسانيدها واهية اذ كل طريق منها لا يسلم من سبب يقتضـــي تضعيفها فاذا يُضْمَ في المجموع فانه على هذه الصورة قد يلتحق بالتواتر المعنوى الذى مثلوا له بجود حاتم فمن هنا مع احتمال للتأويل في أدلة القائلين بعدم بقائه كآية (وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد)) و لحديث (رأس مائة سنة) و غير ذلك مما تقدم بيانه .

و أقوى الأدلة على عدم بقائه عدم مجيئه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم و انفراده بالتعمير من بين أهل الأعصار المتقدمة بغير دليل شرعي و الذى لا يتوقف فيه الجـــزم بنبوتـــه) (١) .

و الخلاصة ان الراجح من الأقوال هو قول الذين يقولون بموت الخضر و عدم تعميره الى زمن الرسول صلى الله عليه وسلم و الى الآن و ذلك لقوة أدلتهم التي سبق ذكرهـــا من آيات قرآنية و أحاديث نبوية

---

(١) — الزهر النضر في نبأ الخضر ٢ / ٢٣٤

وأما القائلون بحياة الخضر و تعميره فليس لهم أدلة صحيحة يعتمدون عليها و انما كل ما يعتمدون عليه من أدلة لا يخلو من أحد أمرين :

اما أحاديث ضعيفة و موضوعة التي حكم عليها العلماء بالاجماع بالضعف و اما حكايات مشائخ التصوف و أمثالهم الذين يزعمون بأنهم التقوا بالخضر

و الأحاديث الضعيفة و الموضوعة و الحكايات المكذوبة لا تصلح أن تكون أدلة يعتمد عليها لاثبات مثل هذا الأمر و على هذا فالقول بحياة الخضر و تعميره يعتبر باطلا وكذبا و افتراءا على الله و على رسوله و ذلك لأنه لم يرد في كتاب الله تعالى ولا في سنة رسوله صلى الله عليه وسلم ما يدل على تعمير الخضر نهائيا

و بناء على هذا فحكايات الصوفية التي يزعمون فيها التقاءهم بالخضر و تلقي الأذكار عنه تعتبر كذبا و افتراء محضا على الله و على رسوله صلى الله عليه وسلم لأن الخضر قد مات كما يموت غيره فكيف يمكن أن يلتقي بهم و يوزع عليهم الأذكار

و على فرض حياته و ان كان هذا مرجوحا فانه لا يصح للخضر أن يقوم بتوزيع الأذكار على الناس بل يجب عليه هو أيضا أن يلتزم بالأذكار الواردة في الكتاب و السنة و يتبع الرسول صلى الله عليه وسلم في كل شئون حياته أما أن يبتدع أذكارا جديدة على هذه الأمة فهذا يعتبر افسادا في الأرض و محادة لله ولرسوله

و أخيرا أختتم هذا المبحث المتعلق بالخضر عليه السلام بنقل كلام نفيس للامام ابن كثير رحمه الله ختم به موضوع الخضر في كتاب البداية و النهاية فقال :

(ثم ما الحامل له — أي الخضر عليه السلام — على هذا الاختفاء و ظهوره أعظم لأجره و أعلى في مرتبته و أظهر لمعجزته ثم لو كان باقيا بعده لكان تبليغه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الأحاديث النبوية و الآيات القرآنية و انكاره لما وقع من الأحاديث

المكذوبة و الروايات المقلوبة و الآراء البدعية و الأهواء العصبية و قتاله مع المسلمين في غزواتهم و شهوده جمعهم و جماعاتهم و نفعه اياهم و دفعه الضرر عنهم ممن سواهم و تسديده العلماء و الحكام و تقريره الأدلة و الأحكام أفضل ما يقال عنه من كونه في الأمصار و جوبه الفيافي و الأقطار و اجتماعه بعباد لا يعرف أحوال كثير منهم و جعله لهم كالنقيب المترجم عنهم و هذا الذى ذكرناه لا يتوقف أحد فيه بعد التفهيم و الله يهدى من يشاء الى صراط مستقيم)(١)

ونثني قول الامام ابن كثير بقول الشيخ بكر بن عبدالله أبو زيد فقد قال حفظه الله و أطال في عمره بعد أن ناقش موضوع الخضر عليه السلام من جميع جوانبه :

(اذا اتضح ذلك فاعلم أن القول بولاية الخضر و القول بأنه ما زال حيا قد جر هذان القولان من البلايا و المحن و الدعاوى الكاذبة و التلبيس على العامة بل و على الخاصة ما لا يصدقه عقل ولا يقبله دين من دعوى فضل الولاية و الأولياء على النبوة و الأنبياء و ان فلانا لقي الخضر عليه السلام و استلهمه كذا و كذا و القول بولايته و حياته أبد الدهر هما معتمد الصوفية في جعل الشريعة لها ظاهر و باطن و أن علماء الباطن ينكرون على علماء الظاهر ولا عكس و به قالوا بحجة الالهام و أن الولي أفضل و أعلم من النبي و الدعوى الواسعة للقاء الخضر و الأخذ عنه فمنهم من لقي الخضر يصلي على المذهب الحنفي وآخرون رأوه يصلي على المذهب الشافعي)(٢)

---

(١)ـ البداية و النهاية لابن كثير ١ / ٣٢٦

(٢)ـ التحذير من مختصرات الصابوني لبكر أبو زيد ٦٥

الفصل الثالث : انحرافاتهم تجاه الأولياء :

وتحته أربعة مباحث :

المبحث الأول : ادعاء الصوفية التلقي عن الله والعروج اليه وتفضيل الولاية على النبوة :

وتحته مطلبان :

المطلب الأول : ذكر النصوص عنهم التي تثبت بأنهم يزعمون التلقي عن الله والعروج اليه وأن الولاية أفضل من النبوة

المطلب الثاني : بيان بطلان هذا الادعاء وأنه لا وحي بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم يتلقاه أحد عن الله كائنا من كان

المبحث الثاني : اعتقادهم بأن هناك مجموعة من الأولياء لهم ألقاب خاصة بهم يتصرفون في هذا الكون ويتحكمون فيه :

وتحته مطلبان :

المطلب الأول : مراتب الأولياء ووظائفهم عندهم وذكر نماذج من النصوص عنهم تثبت بأنهم يعتقدون أن للأولياء تصرفا في هذا الكون

المطلب الثاني : موقف أهل الاسلام من هذه المراتب ومن يدعي التصرف لغير الله

المبحث الثالث : اعتقادهم بأن الأولياء يعلمون الغيب :

وتحته مطلبان :

المطلب الأول : ذكر النصوص عنهم التي تثبت بأنهم يعتقدون بأن الأولياء يعلمون الغيب

المطلب الثاني : بيان أن علم الغيب خاص بالله تعالى وحكم من يدعي علم الغيب

المبحث الرابع: توجه الصوفية الى الأولياء بالدعاء والاستغاثة:

وتحته مطلبان:

المطلب الأول: ذكر النصوص عنهم التي تثبت بأنهم يتوجهون الى الأولياء بالدعاء والاستغاثة

المطلب الثاني: حكم دعاء غير الله تعالى

المبحث الأول : تعريف الولي في اللغة والاصطلاح مع بيان المفهوم الصحيح لولاية الله بايجاز

وادعاء الصوفية التلقي عن الله والعروج اليه وتفضيل الولاية على النبوة :

وتحته ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : تعريف الولي في اللغة والاصطلاح مع بيان المفهوم الصحيح للولاية بايجاز

المطلب الثاني : ذكر النصوص عنهم التي تثبت بأن الصوفية يزعمون التلقي عن الله والعروج اليه وأن الولاية أفضل من النبوة

المطلب الثالث : بيان بطلان هذا الادعاء وأنه لا وحي بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم يتلقاه أحد عن الله كائنا من كان

==========

تمهيد

لقد انحرف الصوفية في باب الولاية انحرافات خطيرة جدا و هذه الانحرافات تتمثل في الأمور الآتية و هي :

أولا زعم الصوفية أنهم يتلقون علومهم عن الله مشافهة و أنهم يعرجون الى السماوات العلى و يتكلمون مع الرب سبحانه و تعالى و ادعوا أيضا بأن النبوة مستمرة غير منقطعة وان الولاية أفضل من النبوة لأن النبوة قد انقطعت بينما الولاية لم تنقطع و على هذا فالوحي الـــى الولي عن الله مستمر بل ادعى بعض غلاتهم بأن الأنبياء يوحى اليهم بواسطة الملك بينما الأولياء يأخذون علومهم عن الله بلا واسطة و أنهم يأخذون من المعدن الذى يأخذ منه جبريل عليه السلام

و ادعى الصوفية أيضا بأن الأولياء لهم المقدرة الكاملة للتصرف في هذا الكون و أن هذا الكون تسيره مجموعة ممن يسمونهم أولياء و أنه لا يمكن أن يقع شيء في هذا الكون الا عن طريق أهل التصريف من دجاجلة الصوفية

و ادعوا أيضا بأن الأولياء يعلمون كل الغيوب و أنهم لا يخفى عليهم أمر من الأمور في هذا الكون مهما كان بعيدا أو دقيقا

و ادعوا أيضا بأن الأولياء يستطيعون أن يغيثوا كل من استغاث بهم في حياتهـــم و بعد مماتهم و لذا ترى الصوفية في العالم الاسلامي يلهجون بدعاء الأولياء و ندائهـــم من دون الله سبحانه و تعالى .

و سأقسم هذا الفصل الى ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : سأبين فيه بأن المتصوفه ادعوا التلقي عن الله و العروج اليه وأن الولاية

أفضل من النبوة مع تعريف الولي و بيان المفهوم الصحيح لولاية الله بايجاز

و أما المبحث الثاني فسأبين فيه بأن الصوفية وضعوا مراتب و ألقابا للأولياء من عند أنفسهم و زعموا بأن الكون تسيره هذه المجموعة من البشر

و أما المبحث الثالث فسأبين فيه بأن الصوفية يجوزون التوجه الى الأولياء بالدعاء و الاستغاثة

المطلب الأول : تعريف الولي مع ذكر المفهوم الصحيح لولاية الله بايجاز

تعريف الولي :

الولي في اللغة : القرب و الدنو و المطر بعد المطر و الولي الاسم منه المحب و الصديق و النصير و الولاية الامارة و السلطان و المولى المعتق و المعتق و الصاحب و القريب و الولي و الرب و الناصر و المحب (١)

و يقول الامام الشوكاني في تعريف الولاية : و الولاية ضد العداوة و أصل الولاية المحبة و التقرب كما ذكره أهل اللغة و أصل العداوة البغض و البعد (٢)

و أما تعريف الولي في الاصطلاح : فقد عرفه شيخ الاسلام ابن تيمية فقال : (و قد قيل ان الولي سمي وليا من موالاته للطاعات أى متابعته لها و يقابل الولي العدو على أساس من القرب و البعد) (٣)

و قال الامام الشوكاني في تفسيره : (و المراد بأولياء الله خلقه المؤمنين كأنهم قربوا من الله سبحانه بطاعته و اجتناب معصيته و قد فسر سبحانه هؤلاء الأولياء بقوله : ((الذين آمنوا و كانوا يتقون)) (٤) أى يؤمنون بما يجب الايمان به و يتقون ما يجب عليهم اتقاؤه من معاصي الله سبحانه) (٥)

و قال الدكتور ابراهيم هلال : (و هذا المعنى الذى يدور بين الحب و القرب هو الذى أراده القرآن الكريم من كلمة ولي و مشتقاتها في كل موضع أتى بها فيه سواء فيجناب

---

(١) — أنظر المعجم الوسيط ٢ / ١٠٥٨

(٢) — قطر الولي في حد شرح حديث الولي للشوكاني ٧٠

(٣) . الفرقان بين أولياء الرحمن و أولياء الشيطان ٦

(٤) — يونس ٦٢

(٥) — فتح القدير ٢ / ٤٥٧

أولياء الله أو في جانب أولياء أعداء الله و أعداء الشيطان)(١)

و قد بين الله سبحانه و تعالى في كتابه و سنة رسوله صلى الله عليه و سلم أن لله أولياء من الناس و للشيطان أولياء ففرق بين أولياء الرحمن و أولياء الشيطان فقد قال تعالى :((ألا ان أولياء الله لا خوف عليهم و لا هم يحزنون الذين آمنوا و كانوا يتقون لهم البشرى في الحياة الدنيا و في الآخرة لا تبديل لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم))(٢)

و قال تعالى :((الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور و الذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور الى الظلمات أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون))(٣)

و قال تعالى : ((يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود و النصارى أولياء بعضهم أولياء بعض و من يتولهم منكم فانه منهم ان الله لا يهدى القوم الظالمين))(٤)

و ذكر أولياء الشيطان فقال تعالى :((فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم انه ليس له سلطان على الذين آمنوا و على ربهم يتوكلون انما سلطانه على الذين يتولونه و الذين هم به مشركون))(٥)

و قال تعالى :((الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله و الذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت فقاتلوا أولياء الشيطان ان كيد الشيطان كان ضعيفا))(٦)

و قال تعالى :((انما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه فلا تخافوهم و خافون ان كنتم

---

(١)— ولاية الله و الطريق اليها لابراهيم هلال ٧١

(٢)— يونس آية ٦٢—٦٤

(٣)— البقرة آية ٢٥٧

(٤)— المائدة آية ٥١

(٥)— النحل آية ٩٨—١٠٠

(٦)— النساء آية ٧٦

مؤمنيـــن))(١)

و على هذا فالتقسيم الصحيح للناس في هذه الحياة الدنيا هو أنهم ينقسمون الـــى قسمين لا ثالث لهما و هو أن أى أحد من الانس أو الجن في هذه الحياة اما أن يكـــون وليا لله و اما أن يكون عدوا لله و ليست الولاية محصورة في أشخاص معينين كما يزعم الصوفية ذلك بل ما نعتقده هو أن أى مسلم يؤمن بالله و برسوله و ينفذ أوامر الله و يجتنب نواهيه فهو ولي من أولياء الله سبحانه و تعالى

ثم ان من شرط ولاية الله سبحانه و تعالى هو أن يؤمن الانسان بالله و برسوله و أن يتبع الرسول في الظاهر و الباطن و كل من يدعي محبة الله و ولايته بدون متابعة الرسول صلى الله عليه و سلم فهو كاذب مفتر دجال و ليس من أولياء الله بل هو من أولياء الشيطان قال تعالى : ((قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله))(٢)

قال الحسن البصرى رحمه الله : (ادعى قوم أنهم يحبون الله فأنزل الله هذه الآيـــة محنة لهم و قد بين الله فيها أن من اتبع الرسول فان الله يحبه و من ادعى محبة الله و لم يتبع الرسول صلى الله عليه و سلم فليس من أولياء الله و ان كان كثير من الناس يظنون فـــي أنفسهم أوغيرهم أنهم من أولياء الله و لا يكونون من أولياء الله

فاليهود و النصارى يدعون أنهم أولياء الله و أنه لا يدخل الجنة الا من كان معهـــم بل يدعون أنهم أبناؤه و أحباؤه

و كان مشركوا العرب يدعون أنهم أهل الله لسكناهم مكة و مجاورتهم البيت و كانـــوا يستكبرون على غيرهم)(٣)

---

(١)— آل عمران آيه ١٧٥

(٢)— آل عمران آيه ٣١

(٣)— الفرقان بين أولياء الرحمن و أولياء الشيطان ٩

ولكن الصوفية خصوا الولاية الله سبحانه و تعالى أعداد معينة في حدود الأربعين أو الثلاثمائة أو غيرها من الأعداد التي يذكرها المتصوفة لمن يطلقون عليهم أنهم أولياؤ الله و أصبحوا يصفونهم بأوصاف لا تليق الا بالله سبحانه و تعالى حيث ادعوا بأن الأولياء يعلمون الغيب و يتصرفون في الكون تصرفا مطلقا و يدعون و يستغاث بهم من دون الله و هذه كلها معتقدات فاسدة دخيلة على الاسلام جلبها المتصوفة من الطوائف الوثنية الضالة التي تعبد البشر من دون الله و هذا ما سنبينه ان شاء الله في هذا الفصل في المباحث الآتية(١)

(١) أنظر ص ٥١٤

المطلب الثاني : ذكر النصوص التي تثبت بأن الصوفية يزعمون التلقي عن الله و العروج اليه و أن الولاية أفضل من النبوة :

لقد صرح كبار الصوفية بأنهم بالفعل يتلقون علومهم عن الله و بما أن المتصوفة الذين قالوا بهذا كثيرون فسأكتفي ان شاء الله بذكر أقوال مشائخهم لأن المقصود هو ايراد أدلة عنهم لاثبات بأنهم بالفعل يعتقدون هذا المعتقد و اليك الآن نصوص من بطون كتبهم و من أفواه مشائخهم

فمن مشائخ الصوفية الكبار الذين قالوا انهم يتلقون علومهم عن الله محي الدين بن عربي و قد بالغ هذا الرجل في هذا الادعاء و تكلم عن كيفية وحي الله الى الأولياء و وضح و فصل في هذا الوحي المزعوم

و اليك نماذج من كلامه

فقد قال في الفتوحات المكية مبينا كيفية تصنيف العارفين لكتبهم و أنهم كيف يضعون مواضع تحت باب لا يشملها عنوان الباب و علل أن سبب ذلك هو أن العارفين قلوبهم عاكفة على الحضرة الالهية تتلقى منه العلوم و اليك نص كلامه قال :

(اعلم أن العارفين رضي الله تعالى عنهم لا يتقيدون في تصانيفهم بالكلام فيما بوبوا عليه فقط ذلك لأن قلوبهم عاكفة على باب الحضرة الالهية مراقبة لما يبرز لهم منها فمهما برز لهم كلام بادروا لالقائه على حسب ما حد لهم فقد يلقون الشيء الى ما ليس في جنسه امتثالا لأمر ربهم و هو تعالى يعلم حكمة ذلك انتهى فهذه النقول تدل على أن كلام الكمل لا يقبل الخطأ من حيث هو و الله أعلم (١) :

---

(١)— اليواقيت و الجواهر في عقيدة الأكابر للشعراني ٢ / ٢٤— ٢٥

فاذا نظرنا في النص السابق لنجد ادعاء التلقي عن الله واضح فيه و يتضح لنا هذا في الكلمات الآتية من النص (اعلم أن العارفين رضي الله عنهم لا يتقيدون في تصانيفهم بالكلام فيما بوبوا عليه فقط ذلك لأن قلوبهم عاكفة على باب الحضرة الالهية مراقبة لما يبرز لهم منها الى قوله امتثالا لأمر ربهم)

و معنى هذا الكلام أن الصوفية يتلقون علومهم عن الله و أنهم يضعون العلوم التي يتلقونها حسب ما حد لهم و أنهم يمتثلون هذا الأمر و لا يخالفونه و تعليق الشعراني على كلام ابن عربي في آخر النص يدل دلالة واضحة على القول بعصمة الأولياء و ليس هذا بغريب لأن من ادعى التلقي عن الله فمن السهل جدا أن يدعي العصمة لأن التلقي عن الله هو ادعاء بنزول الوحي الى الأولياء و ما دام يعتقد الشعراني بهذا مصدقا كلام شيخه الضال فليس هذا بغريب عليه لأن العصمة صفة من صفات الرسل عليهم السلام و لذا ادعى الشعراني هذه الدعوة و هي ليست بأكبر من الصفة التي وصف بها ابن عربي الأولياء حيث وصفهم بأنهم يتلقون عن الله علومهم و ألحق الشعراني الصفة الثانية و هي القول بعصمة الأولياء و كلا الصفتين من صفة رسل الله الذين أوحى الله اليهم

و هذا نص آخر عن ابن عربي يثبت بأنه يقول بتلقي الأولياء علومهم عن الله و قد أجاب حينما سئل عن الالهام هل خبر الهي ؟

قال : (نعم انه خبر الهي اذ هو أخبار من الله تعالى للعبد على يد ملك مغيب عن الملهم . . . . ثم قال الشعراني فان قلت فهل يكون الهام بلا واسطة أحد ؟ فالجواب نعم قد يلهم العبد من الوجه الخاص الذى بين كل انسان و بين ربه عز و جل فلا يعلم به ملك الالهام لكن علم هذا الوجه يتسارع الناس الى انكاره و منه انكار موسى على الخضر عليهما الصلاة و السلام و عذر موسى في انكاره ان الأنبياء ما تعودوا أخذ أحكام

شرعهم الا عن ملك لا يعرف شرعا من غير هذا الطريق فعلم أن الرسول و النبي يشهدان الملك و يريانه رؤية بصر عندما يوحى اليهما و غير الرسول يحس بأثره و لا يراه فيلهمه الله تعالى بواسطة ما شاء أن يلهمه أو يعطيه من الوحي الخاص بارتفاع الوسائط و هو أجل الالقاء و أشرفه اذا حصل الحفظ لصاحبه و يجتمع في هذا الرسول و الولي)(١)

اذا نظرنا في النص السابق نجد أن ابن عربي صرح بأن الأولياء يحسون بانزال الملك المرسل بالوحي و لا يرون أثره و أن الوحي ينزل على الولي بدون واسطة ملك و أن هذه الطريقة في الالقاء هي أشرف طريقة و يشترك في هذه الطريقة الرسول والولي و وجه دلالة النص على المتصوفة يقولون بتلقي علومهم من الله واضحة جدا حيث صرح ابن عربي بأن الوحي يلقى في الولي كما يلقى في النبي و هنا بجانب ادعاء التلقي ادعى ابن عربي التسوية بين النبي و الولي في طريقة تلقي الوحي عن الله

و قد أجاب ابن عربي حينما سئل عن الصورة التي يتنزل بها الوحي على قلوب الأولياء فقال :(صورته أن الحق تعالى اذا أراد أن يوحي الى ولي من أوليائه بأمر ما تجلى الى قلب ذلك الولي في صورة ذلك الأمر فيفهم من ذلك الولي التجلي و بمجرد مشاهدته ما يريد الحق تعالى أن يعلم ذلك الولي به من تفهيم معاني كلامه أو كلام نبيه صلى الله عليه و سلم في به باليد الالهية كما يليق بجلاله تعالى . . . . . ثم ان من الأولياء من يشعر بذلك و منهم من لا يشعر بل يقول وجدت كذا و كذا في خاطري و لا يعلم من أتاه به و لكن من عرفه فهو أتم لحفظه حينئذ من الشيطان)(٢)

و الشاهد من ايراد هذا النص واضح و هو أن ابن عربي صرح بأن الله تعالى يوحي الى الأولياء و معنى هذا أن الأولياء يوحى اليهم و يتلقون علومهم عن الله حسب زعمه

---

(١)— اليواقيت و الجواهر في عقيدة الأكابر للشعراني ٢/ ٨٤

(٢)— نفس المرجع ٢/ ٨٤

و لا ندرى أى علم الذى يبحث عنه المتصوفة تاركين علوم الكتاب و السنة النبوية المطهرة الا أن يكونوا يبحثون عن علوم شيطانية يضلون بها عن الطريق السوى

و قد صرح ابن عربي بأن الوحي الذى ينزل على الأولياء ينزل مكتوبا كما نزلت التوراة على موسى مكتوبة و أن ميزة هذه الورقة المكتوب فيها الوحي الصوفي تقرأ من جهتين و اليك نص كلامه : قال ابن عربي متكلما عن الوحي الصوفي :(و قد يكون ذلك في كتابة و يقع هذا كثيرا للأولياء و به كان يوحى لأبي عبدالله قضيب البان و غيره كبقية بن مخلد رضي الله عنه لكنه كان أضعف الجماعة في ذلك فكان لا يجده الا بعد القيام من النوم مكتوبا في ورقة انتهى و العلامة على أن الكتابة وحي قال ابن عربي انها تقرأ من كل ناحية على السواء لا تتغير كما قلبت الورقة انقلبت الكتابة لا نقلابها

ثم قال الدجال ابن عربي : و قد رأيت ورقة نزلت على فقير في المطاف بعتقه من النار على هذه الصفة فلما رآها الناس علموا أنها ليست من كتابة المخلوقين فان وجدت تلك العلامة فتلك الورقة من الله عز و جل

ثم قال أيضا : و كذلك وقع للفقيرة من تلامذتنا أنها رأت في المنام أن الحق تعالى أعطاها ورقة فانطبقت كفها حين استيقظت فلم يقدر أحد على فتحها فألهمني الله تعالى اني قلت لها انو بقلبك انه اذا فتح الله كفك أن تبتلعيها فنويت و قربت يدها الى فمها فدخلت الورقة في فيها قهرا عليها فقال الولي بم عرفت ذلك فقلت ألهمت ان الله تعالى لم يرد منها أن يطلع عليها أحد و قد أطلعني الله على الفرق بين كتابة الله تعالى في اللوح المحفوظ و غيره وبين كتابة المخلوقين و هو علم عجيب رأيناه و شاهدناه)(١)

و الشاهد في النص واضح حيث ان ابن عربي قال ان الوحي الذى ينزل على الأولياء ينزل عليهم مكتوبا من اللوح المحفوظ و أن ابن عربي شاهد هذا العلم بنفسه و رأى منه

---

(١)— اليواقيت و الجواهر للشعراني ٢/ ٨٣—٨٤

الكبير الكثير فكيف لا و هو الشيخ الأكبر و الكبريت الأحمر كما يصفه المتصوفة بهذا و الذى يهمنا نحن هنا هو الاثبات بأن المتصوفة يقولون بتنزل الوحي عليهم من الله و هذا واضح في النص و لا يهمنا بعد ذلك كون وحيهم يتنزل مكتوبا أو غير مكتوب لأننا نعتقد اعتقادا جازما بأنه وحي شيطاني لا رباني لأن الله سبحانه و تعالى قد أخبر في كتابه العزيز بأنه قد ختم باب النبوة و انزال الوحي برسالة محمد بن عبدالله عليه أفضل الصلاة و السلام

و يقول ابن عربي متحدثا عن كتابه فصوص الحكم و أنه أعطاه له الرسول صلى الله عليه وسلم و أمره بأن يخرج به الى الناس و أنه فعل ما أمره به الرسول صلى الله عليه وسلم و هذا نص كلامه :

(أما بعد فاني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في مبشرة رأيتها في العشر آخر من المحرم سنة سبع و عشرين و ستمائة بمحروسة دمشق و بيده صلى الله عليه وسلم كتاب فقال لي هذا كتاب فصوص الحكم خذه و اخرج به الى الناس ينتفعون به فقلت السمع و الطاعة لله و لرسوله و أولي الأمر منا كما أمر .... ثم قال فحققت الأمنية وأخلصت النية و جردت القصد و الهمة الى ابراز هذا الكتاب كما حده لي الرسول صلى الله عليه و سلم من غير زيادة و لا نقصان)(١)

و قال في مكان آخر من نص الكتاب : (فاقتصرت على ما ذكرته من هذه الحكم في هذا الكتاب على حد ما ثبت في أصل الكتاب فامتثلت ما رسم لي و وقفت عند ما حد لي و لو رمت زيادة على ذلك ما استطعت فان الحضرة تمنع من ذلك)(٢)

و قال أيضا في نص الكتاب في فص حكمة علوية في كلمة موسوية :(و أنا ان شاء الله أسرد منها في هذا الباب على قدر ما يقع به الأمر الالهي في خاطري فكان هذا أول ما شوفهت به من هذا الباب).

---

(١) — فصوص الحكم لابن عربي ٤٧

(٢) — فصوص الحكم لابن عربي ٥٨

والشاهد في هذه النصوص السابقة أن الرجل أولا ادعى بأن هذا الكتاب أمره الرسول صلى الله عليه وسلم أن يخرج به الى الناس لكي ينتفعوا به ونحن نقول ان هذا كذب محض وافتراء على الرسول صلى الله عليه وسلم وذلك لأن الرسول صلى الله عليه وسلم لا يمكن بأى حال من الأحوال أن يأمر ابن عربي ويوصيه بايصال هذا الكتاب الى الناس وذلك لأمور

الأمر الأول : ان الرسول صلى الله عليه وسلم قد بلغ رسالة ربه وهو حي ولم يترك مما أمره الله بتبليغه شيئا حتى يوصي به ابن عربي الدجال

الأمر الثاني : ان هذا الكتاب من أوله الى آخره مملوء بالدعوة الى الكفر والشرك والالحاد والرسول صلى الله عليه وسلم ما جاء الا للدعوة الى توحيد الله ومحاربة ما يدعو اليه ابن عربي في كتابه الذى زعم أنه أوصاه به رسول الله صلى الله عليه وسلم

وبنظرة بسيطة الى ما يحويه هذا الكتاب نستطيع أن نعرف بأن هذا الكتاب بالفعل أوحاه اليه الشيطان وأمره أن يخرج به الى الناس واليك نماذج من العلم الذى يحتويه هذا الكتاب حتى تحكم عليه بنفسك لأنه ليس من رأى كمن سمع

النموذج الأول :

لقد زعم ابن عربي بأن قوم نوح أجابوا رسولهم نوحا عليه السلام ولم يرفضوا دعوته بل أجابوه اجابة حقيقية وأن نوحا مكر بهم فمكروا به وان تمسكهم بآلهتهم انما هو تمسك بحق أراد نوح أن يزيحهم عنه واليك عبارته الوقحة التي تدل دلالة واضحة على هذا حيث قال :

(علم العلماء بالله ما أشار اليه نوح عليه السلام في حق قومه من الثناء عليهم بلسان الذم وعلم انهم انما لم يجيبوا دعوته لما فيها من الفرقان والأمر فرآن لا فرقان ومن

أقيم في القرآن لا يصغي الى الفرقان وإن كان فيه .... ثم قال : دعاهم ليغفر لهم لا ليكشف لهم و فهموا ذلك منه صلى الله عليه وسلم لذلك ((جعلوا أصابعهم في آذانهم و استغشوا ثيابهم))(١)

و هذه كلها صورة الستر التي دعاهم اليها فأجابوا دعوته بالفعل لا بلبيك

ثم قال في معنى قوله تعالى :((يرسل السماء عليكم مدرارا))(٢)

و هي المعارف العقلية في المعاني الاصطلاحية و النظر الاعتبارى

و قال في تفسير قوله تعالى :((و يمددكم بأموال))(٣) أى بما يميل بكم اليه فاذا مال بكم اليه رأيتم صورتكم فيه فمن تخيل منكم أنه رآه فما عرف و من عرف منكم أنه رأى نفسه فهو العارف

ثم قال في معنى قوله تعالى :((و مكروا مكرا كبارا)) لأن الدعوة الى الله تعالى مكر بالمدعو أدعو الى الله فهذا عين المكر فأجابوه مكرا كما دعاهم)(٤)

اذا نظرنا في تفسيرات ابن عربي السابقة للآيات القرآنية نجدها تفسيرات باطنية بحتة بعيدة كل البعد عن المعاني التي تدل عليها الآيات فنحن كما نعلم علم اليقين أن قوم نوح أكثرهم رفض دعوة التوحيد التي كان يدعوهم اليها نوح عليه السلام و أنه بذل أقصى جهده في دعوتهم و لكن مع ذلك لم يؤمن له بدعوته الا القليل كما أخبرنا الله بذلك في كتابه فقال :((قال رب اني دعوت قومي ليلا و نهارا فلم يزدهم دعائي الا فرارا و اني كلما دعوتهم لتغفر لهم جعلوا أصابعهم في آذانهم و استغشوا ثيابهم و أصروا و استكبروا استكبارا ثم اني دعوتهم جهارا ثم اني أعلنت لهم و أسررت لهم اسرارا

---

(١)— نوح آيه ٧

(٢)— نوح آية ١٢

(٣)— نوح آيه ١٢

(٤)— فصوص الحكم لابن عربي ٧١—٧٢

فقلت استغفروا ربكم انه كان غفارا))(١)

كما نرى في هذه الآيات السابقة أن نوحا عليه السلام دعا قومه ليلا و نهارا و استعمل معهم جميع الأساليب من أجل أن يقبلوا دعوته لكنهم مع ذلك لم يقبل هذه الدعوة الا القليل منهم كما قال تعالى :((حتى اذا جاء أمرنا و فار التنور قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين و أهلك الا من سبق عليه القول و من آمن و ما آمن معه الا قليل))(٢)

ففي هذه الآية أخبرنا الله سبحانه و تعالى أن نوحا عليه السلام لم يؤمن له من قومه الا القليل أما الأكثر فقد رفض الدعوة و هلكوا و هم كفار كما أخبرنا الله عنهم في سورة هود عليه السلام فقول ابن عربي بايمان قوم نوح جميعا فيه مخالفة صريحة للآيات التي نصت على أن قوم نوح لم يؤمن منهم الا القليل أما الأكثر فقد رفضوا الدعوة و وقفوا ضدها و دعا عليهم نوح عليه السلام كما أخبرنا الله تعالى بذلك فقال :((وقال نوح رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا انك ان تذرهم يضلوا عبادك و لا يلدوا الا فاجرا كفارا))(٣)

و قد اعتبر ابن عربي دعوة نوح قومه الى افراد الله بالعبادة مكرا بهم و بين نوع هذا المكر الذى اتخذه نوح عليه السلام ضد قومه فقال :

(فقالوا في مكرهم لا تذرن آلهتكم و لا تذرن ودا و لا سواعا و لا يغوث و يعوق و نسرا) فانهم اذا تركوهم جهلوا من الحق على قدر ما تركوا من هؤلاء فان للحق في كل معبود وجها يعرفه من يعرفه و يجهله من يجهله فما عبد غير الله في كل معبود)(٤)

و لم يكتف ابن عربي بتصحيح موقف قوم نوح الضالين المكذبين بل عمد الى جميع

---

(١)— نوح آية ١٠

(٢)— هود آية ٤٠

(٣)— نوح آية ٢٧

(٤)— فصوص الحكم لابن عربي ٧٢

الكفار فجعلهم مؤمنين موحدين عارفين واصلين وعمد الى المسلمين فجعلهم مؤمنين بجزء من الحق فقط كافرين بأجزاء أخرى ولم ينكر ابن عربي فرعون اللعين الذى لم تعرف الأرض قبله أكفر منه ولا أظلم فجعله من المؤمنين الموحدين الفائزين بالجنة حيث قال :

(ولما كان فرعون في منصب التحكم صاحب الوقت وأنه الخليفه بالسيف وان جار في العرف الناموسي لذلك قال ((أنا ربكم الأعلى)) أى وان كان الكل أربابا بنسبة ما فأنا ربكم الأعلى بما أعطيته في الظاهر من التحكم فيكم ولما علمت السحره صدقه في مقاله لم ينكروا بل أقروا له بذلك فقالوا ((اقض ما أنت قاض انما تقضي هذه الحياة الدنيا))(١) ((فاقض ما أنت قاض)) فالدولة لك فصح قوله ((أنا ربكم الأعلى)) (٢)

وصحح ابن عربي أيضا موقف السامرى وصناعته للعجل الذى فتن به بنوا اسرائيل فعبدوه مع الله وخطأ هارون عليه الصلاة والسلام واتهمه بأنه لا يعرف الحق ولذا أنكر على بني اسرائيل عبادة العجل وزعم أيضا أن موسى عرف الحق وأنكر على السامرى أن يحصر الاله في شيء واحد فقط لأن الله في نظر ابن عربي ومن سار على نهجه من المتصوفة الضالة عين كل شيء ولذا لكل انسان له أن يعبد ما شاء مما في هذا الكون لأن الكل ما هي الا مظاهر ومجالى لله سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا

واليك نص كلامه فقد قال في معنى قوله تعالى : ((اني خشيت أن تقول فرقت بين بني اسرائيل))(٣) فتجعلني سببا في تفريقهم فان عبادة العجل فرقت بينهم فكان منهم من عبده اتباعا للسامرى وتقليدا له ومنهم من توقف عن عبادته حتى يرجع اليهم موسى فيسألونه عن ذلك فخشى هارون أن ينسب ذلك الفرقان بينهم اليه فكان موسى أعلم بالأمر من هارون لأنه علم ما عبده أصحاب العجل لعلمه أن الله قضى أن لا يعبد

---

(١) — طه آية ٧٢

(٢) — فصوص الحكم

(٣) — طه آية ٩٤

الا اياه و ما حكم الله بشيء الا وقع فكان عتب موسى أخاه هارون لما وقع الأمر في انكساره وعدم اتساعه فان العارف من يرى الحق في كل شيء بل يراه عين كل شيء)(١)

ثم قال ابن عربي بعد هذا :

(و العارف المكمل من رأى كل معبود مجلى للحق يعبد فيه و لذلك سموه كلهم الهها مع اسمه الخاص بحجر أو شجر أو حيوان أو انسان أو كوكب أو ملك)(٢)

اذا نظرنا في النصوص السابقة نجد أن ابن عربي أولا صرح بايمان قوم نوح جميعا و أنهم أجابوا دعوته ثم قال أيضا بأن عبادة العجل الذى جعله السامرى ليس فيه أى خطأ لأنه مظهر من مظاهر الله و أن فرعون في ادعائه الربوبية كان مصيبا لأن كل ما في هذا الكون ما هو الا مظهر من مظاهر الله و أن كل العابدين في هذا الكون ما هم الا عباد لله سبحانه لأن الكل في هذا الكون ما هو الا مظهر من مظاهر الله فاذا عبدت أى شيء فقد عبدت الله و أن الخطأ هو أن تعبد الها واحدا و هذا كله كفر بواح و لذا نقول ان هذا الكتاب بالفعل ألقاه الشيطان الى ابن عربي و أمره بأن يخرج به الى الناس و قد فعل فخرج به الى الناس و أفسد به عقائد كثيرين من الأمة الاسلامية

و قد أنب محي الدين بن عربي الغزالي و انتقده في تفريقه بين النبي و الولي في طريقة التلقي عن الله حيث قال الغزالي :

(ان الفرق بين تنزل الوحي على قلب الأنبياء و تنزله على قلوب الأولياء نزول الملك فان الولي يلهم و لا ينزل عليه ملك قط و النبي لابد له في الوحي من نزول الملك به)(٣)

---

(١)— فصوص الحكم لابن عربي ١ / ١٦١

(٢)— فصوص الحكم لابن عربي ١ / ١٦٥

(٣)— اليواقيت و الجواهر في عقيدة الأكابر للشعراني ٢ / ٨٥

قال محيي الدين ابن عربي معللا سبب تفريق الغزالي بين النبي و الولي في طريقة التلقي عن الله :

(و سبب غلط الغزالي و غيره في منع تنزل الملك على الولي عدم الذوق و ظنهم أنهم قد عموا بسلوكهم جميع المقامات فلما ظنوا ذلك بأنفسهم و لم يروا ملك الالهام نزل عليهم أنكروه و قالوا ذلك خاص بالأنبياء فذوقهم صحيح و حكمهم باطل مع أن هؤلاء الذين منعوا قائلون بأن زيادة الثقة مقبولة و أهل الله كلهم ثقات قال و لو أن أبا حامد و غيره اجتمعوا في زمانهم بكامل من أهل الله و أخبرهم بتنزل الملك على الولي لقبلوا ذلك ولم ينكروه .قال وقد نزل علينا ملك فلله الحمد)(١)

و الشاهد في النص واضح و يتلخص لنا فيما يلي :

أولا : أن الغزالي و الذى يلقبه المتصوفة بحجة الاسلام من القائلين بنزول الوحي على الأولياء

ثانيا : صرح ابن عربي بأن طريقة انزال الوحي على الأولياء هي نفس الطريقة التي ينزل بها على الأنبياء و أنه لا فرق بينهم و أن من ينكر تنزل الملك بالوحي على الأولياء انما ينكره لعدم ذوقه

ثالثا : أخبرنا ابن عربي بأنه نزل عليه بالفعل ملك بالوحي و هذه حجج قاطعة لالزام المتصوفة بأنهم يعتقدون تلقي علومهم عن الله مباشرة

و لعل الشيخ الأكبر و الكبريت الأحمر لم يقف على قول الغزالي الآتي و الذى صرح فيه بأن الأولياء يشاهدون الملائكة و لذا انتقده و اتهمه بعدم الذوق

و هذا هو النص الذى قال فيه الغزالي ان الأولياء يشاهدون الملائكة :

---

(١) ـ اليواقيت و الجواهر في عقيدة الأكابر للشعراني ٢ / ٨٥ و نحوه في الابريز للدباغ ١٥١

(و من أول الطريق تبتدئ المكاشفات و المشاهدات حتى انهم في يقظتهم يشاهدون الملائكة و أرواح الأنبياء و يسمعون منهم أصواتا و يقتبسون منهم فوائد ثم يترقى الحال من مشاهدة الصور و الأمثال الى درجات يضيق عنها نطاق النطق) (١)

اذا نظرنا في هذا النص نجد أن الغزالي بالفعل صرح بأن الأولياء يرون الملائكة و يتلقون منهم فوائد و لذا ليس هناك فرق بين محي الدين بن عربي و الغزالي في الطريقة التي يتلقى بها الأولياء الوحي المزعوم .

و زعم محي الدين بن عربي أيضا بأن الولاية أفضل من النبوة و ان النبوة تتجدد و لا تنقطع و أن علم الولي أكثر و أعظم من علم النبي لأن الولي يعلم علم الشريعة و الحقيقة بخلاف النبي فانه لا يعلم الا علم الحقيقة فقط و كذلك من الأمور التي يتفوق بها الولي على النبي أن النبي يأخذ الوحي بواسطة الملك بينما الولي يأخذ الوحي من المكان الذى يأخذ منه الملك رأسا

و اليك نص كلامه قال :

(ان الولاية هي المحيطة العامة و هي الدائرة الكبرى فمن حكمها ان يتولى الله من شاء من عباده بنبوة و هي من أحكام الولاية و قد يتولاه بالرسالة من هي من أحكام الولاية أيضا فكل رسول لابد أن يكون نبيا و كل نبي لابد أن يكون وليا فكل رسول لابد أن يكون وليا فالرسالة بخصوص مقام في الولاية و الرسالة في الملائكة دنيا و أخرى لأنهم سفراء الحق لبعضهم و الرسالة في البشر لا تكون الا في الدنيا و ينقطع حكمها في الآخرة و كذلك تنقطع في الآخرة بعد دخول الجنة والنار بنبوة التشريع لا النبوة العامة و أصل الرسالة في الأسماء الالهية و حقيقة الرسالة ابلاغ كلام من متكلم الى سامع فهي حال لا مقام و لا بقاء لها بعد انقضاء التبليغ و هي تتجدد

---

(١) — المنقذ من الضلال للغزالي ٦٨

بخلاف الولاية فانها لا تنقطع أبدا و لا تحد لا بالزمان و لا بالمكان و لها الانبـــاء العام و الله لم يقسم بنبي و لا رسول و يقسم بالولي و اتصف بهذا الاسم فقال : ((اللـه ولي الذين آمنوا)) و قال : ((و هو الولي الحميد)) و هذا الاسم باق جار علـى عباد الله دنيا و أخرى فلم يبق اسم يختص به العبد دون الحق بانقطاع النبـــوة و الرسالة الا أن الله لطف بعباده فأبقى لهم النبوة العامة التي لا تشريع فيها . . . . . و أبقى لهم الوراثة في التشريع فقال العلماء ورثة الأنبياء . . فاذا رأيت النبي يتكلـم بكلام خارج عن التشريع ممن هو حيث ولي و عارف و لهذا مقامه من حيث هو عالم أتـــم و أكمل من حيث هو رسول و ذو تشريع و شرع) (١)

و قال ابن عربي أيضا :

(ان الولي يعلم علمين بخلاف النبي فانه لا يعلم الا علما واحدا فقط

و ان الولي يعلم علمين علم الشريعة و علم الحقيقة أى الظاهر و الباطن و التنزيـل و التأويل حيث أن الرسول من حيث هو رسول ليس له علم الا بالظاهر و التنزيل و الشريعة فاذا رأيت النبي يتكم بكلام خارج عن التشريع فمن حيث هو ولي عارف و لهذا مقامـــه من حيث هو عارف أتم و أكمل من حيث هو رسول أو ذو تشريع و شرع) (٢)

و يزعم ابن عربي أيضا بأن النبي و الرسول يستمدان العلم و المعرفة من الملك الذى يبلغه الوحي الالهي بواسطته و لا يمكنه الأخذ من الله مباشرة بخلاف الولي فانـــه يستمد المعرفة من حيث يأخذها الملك الذى يؤدى بدوره الى الأنبياء و الرســـل فمرجع الرسول و النبي المشرع الى الولاية و العلم) (٣)

---

(١) — فصوص الحكم لابن عربي ١ / ١٣٥ و كذلك الفتوحات المكية ٢ / ٢٥٧

(٢) — فصوص الحكم ١ / ١٣٥

و في عبارة أصرح مما سبق زعم ابن عربي بأن الرسول لا يأخذ الوحي الا من مشكاة خاتم الأولياء و زعم بأنه هو نفسه خاتم الأولياء و اليك نص عبارته حتى تتضح الصورة جيدا

فقد قال محي الدين بن عربي بعد أن تحدث عن وحدة الوجود و كيف أن ما في هذا الكون مرايا لله سبحانه و تعالى و أن الناس بالنسبة لهذا العلم درجات فقال :

(فمنا من جهل في علمه فقال : (و العجز عن درك الادراك ادراك و منا من علم فلم يقل مثل هذا و هو أعلى القول بل أعطاه العلم السكوت ما أعطاه العجز و هذا هو أعلى عالم بالله و ليس هذا العلم الا لخاتم الرسل و خاتم الأولياء و ما يراه أحد من الأنبياء و الرسل الا من مشكاة الرسول الخاتم و لا يراه أحد من الأولياء الا من مشكاة الولي الخاتم حتى ان الرسل لا يرونه متى رأوه الا من مشكاة خاتم الأولياء فان الرسالة و النبوة أعني نبوة التشريع و رسالته تنقطعان و الولاية لا تنقطع أبدا فالمرسلون من كونهم أولياء لا يرون ما ذكرناه الا من مشكاة خاتم الأولياء فكيف من دونهم من الأولياء و ان كان خاتم الأولياء تابعا في الحكم لنا جاء به خاتم الرسل من التشريع فذلك لا يقدح في مقامه و لا يناقض ما ذهبنا اليه فانه من وجه يكون أنزل كما أنه من وجه يكون أعلى . . . . لما مثل النبي صلى الله عليه و سلم النبوة بالحائط من اللبن و قد كمل سوى موضع لبنة فكان صلى الله عليه و سلم تلك اللبنة غير أنه صلى الله عليه و سلم لا يراها كما قال لبنة واحدة وأما خاتم الأولياء فلا بد له من هذه الرؤيا فيرى ما مثله به رسول الله صلى الله عليه و سلم و يرى في الحائط موضع لبنتين و اللبن من ذهب و فضة فيرى اللبنتين اللتين تنقص الحائط عنهما و تكمل بهما لبنة ذهب و لبنة فضة فلا بد أن يرى نفسه تنطبع في موضع تينك اللبنتين فيكون خاتم الأولياء تينك اللبنتين فيكمل الحائط و السبب الموجب لكونه رآها لبنتين أنه تابع لشرع خاتم الرسل في الظاهر و هو موضع اللبنة الفضة و هو ظاهر و ما يتبعه فيه من الأحكام كما هو أخذ عن الله

في السر ما هو بالصورة الظاهره متبع فيه لأنه يرى الأمر على ما هو عليه فلابد أن يراه هكذا و هو موضع اللبنة الذهبية في الباطن فانه أخذ من المعدن الذى يأخذ منه الملك الذى يوحى به الى الرسول فان فهمت ما أشرت به فقد حصل لك العلم النافع بكل شيء فكل نبي من لدن آدم الى آخر نبي ما فهم من أحد يأخذ الا من مشكاة خاتم النبيين و ان تأخر وجود طينته فانه بحقيقته موجود و هو قوله صلى الله عليه و سلم: (كنت نبيا و آدم بين الماء و الطين) و غيره من الأنبياء ما كان نبيا الا حين بعث و كذلك خاتم الأولياء كان وليا و آدم بين الماء و الطين و غيره من الأولياء ما كان وليا الا بعد تحصيله شرائط الولاية من الأخلاق الالهية و الاتصاف بها من كون الله تعالى تسمى بالولي الحميد فخاتم الرسل من حيث ولايته نسبته مع الخاتم للولاية نسبة الأنبياء و الرسل معه فان الولي الرسول النبي و خاتم الأولياء الولي الوارث الآخذ عن الأصل المشاهد للمراتب)(١)

و قد ادعى ابن عربي بأنه خاتم الأولياء و ذلك حتى يحوز هذا المنصب العظيم الذى ادعاه ألا و هو ان الأنبياء يأخذون من مشكاة خاتم الأولياء حيث قال في فتوحاته المكية :

أنا ختم الولاية دون شك
لورثي الهاشمي مع المسيح
كما أني أبو بكر عتيق
أجاهد كل ذى جسم و روح
بأرواح مثقفة طوال
و ترجمة بقرآن فصيح

---

(١)— فصوص الحكم لابن عربي ٦٢—٦٣—٦٤

أشد على كيبة كل عقل

تنازعني على الوحي الصريح

لي الورع الذى يسمو

على الأحوال بالبناء الصحيح

و ساعدني عليه رجال صدق

من الورعين من أهل الفتوح

يسوا لون الوجود و كل ندب

و يششون سلطنة المبيح (١)

و الشاهد في النصوص السابقة هو أن ابن عربي ادعى بأنه يتلقى الوحي من الله و أنه يأخذه بدون واسطة من المعدن الذى يأخذ منه الملك الذى يرسله الله الى الأنبياء ليبلغهم الوحي و أنه خاتم الأولياء و كان وليا قبل خلق آدم و في هذا ظاهر تفضيل وحي الأولياء على وحي الأنبياء و تفضيل الولاية على الرسالة و هذه كلها عقائد مناقضة للعقيدة الاسلامية الصحيحة .

و يقول ابن عربي أيضا مقررا استمرار النبوة و عدم انقطاعها :

(و يجمع النبوة كلها أم الكتاب و مفتاحها بسم الله الرحمن الرحيم فالنبوة سارية الى يوم القيامة في الخلق . . . . فانه يستحيل أن ينقطع خبر الله و أخباره من العالم اذ لو انقطع لم يبق للعالم غذاء يتغذى به في بقاء وجوده) (٢)

و يقول أيضا في مكان آخر : (و يتضمن هذا الباب المسائل التي لا يعلمها الا الأكابر من عباد الله الذين هم في زمانهم بمنزلة الأنبياء في زمان النبوة و هي النبوة العامة فان النبوة التي انقطعت بوجود رسول الله صلى الله عليه و سلم انما هي نبوة

---

(١) — الفتوحات المكية لابن عربي ٤ / ٧١ الباب الثالث و الأربعون

(٢) — نفس المرجع ٢ / ٩٠

التشريع لا مقامها فلا شرع يكون ناسخا لشرعه صلى الله عليه و سلم و لا يزيد في حكمه شرعا آخر و هذا معنى قوله صلى الله عليه و سلم ان الرسالة و النبوة انقطعت فلا رسول بعدى و لا نبي أى لا نبي بعدى لكون شرع يكون مخالف لشرعي بل اذا كان يكون تحت حكم شريعتي فهذا هو الذى انقطع و سد بابه لا مقام النبوة)(١)

و الذى يهمنا من ايراد هذا النص هو قول ابن عربي باستمرارية النبوة و عدم انقطاعها و هذه عقيدة مخالفة لما جاءت به النصوص القرآنية و النبوية من أن باب النبوة قد أغلق تماما فلا نبي و لا رسول بعد النبي محمد صلى الله عليه و سلم .

و قد قسم ابن عربي العلم الى ثلاثة أقسام و هي علم العقل و علم الأحوال و علوم الأسرار فقال :

(العلم ينقسم الى ثلاثة أقسام علم العقل و قال في تعريف هذا العلم هو كل علم يحصل لك ضرورة أو عقيب نظر في دليل

و العلم الثاني علم الأحوال و لا سبيل اليها الا بالذوق فلا يقدر عاقل على أن يحدها و لا يقيم على معرفتها دليل البتة كالعلم بحلاوة العسل و مرارة الصبر و لذة الجماع و العشق و الوجد و الشوق و ما شاكل هذا النوع من العلوم فهذه علوم من المحال أن يعلمها أحد الا بأن يتصف بها و يذوقها و شبهها من جنسها في أهل الذوق .....

و العلم الثالث علوم الأسرار و هو العلم الذى فوق طور العقل و هو علم نفث روح القدس في الروع يختص به النبى و الولي و هو نوعان نوع منه يدرك بالعقل كالعلم الأول من هذه الأقسام لكن هذا العلم به لم يحصل له عن نظر و لكن مرتبة هذا العلم أعطت هذا و النوع الآخر على ضربين ضرب منه يلحق بالعلم الثاني لكن حاله أشرف و الضرب الآخر هو من قبيل علوم أخبار و هي العلوم التي يدخلها الصدق و الكذب بذاتها الا أن يكون المخبر به أن يعلم الاخبار قد ثبت صدقه عند المخبر و ثبتت عصمته فيما يخبر به

---

(١) — الفتوحات المكية لابن عربي ٣/٢

و يقوله كاخبار الأنبياء صلوات الله عليهم عن الله كاخبارهم بالجنة و ما فيها و هذا الصنف الثالث هو علم الأسرار العالم به يعلم العلوم كلها و يستغرقها و ليس صاحب تلك العلوم الأخرى كذلك فلا علم أشرف من هذا العلم المحيط الحاوى على جميع المعلومات)(١)

و من المتصوفة الذين زعموا تلقي علومهم عن الله و عروجهم اليه و مكالمتهم مع الله أبويزيد البسطامي الذى يعتبر من المشائخ الكبار في الأساط الصوفية و من الذين لهم القدم الراسخ في تأسيس عقائد الصوفية المنحرفة

فقد ادعى أبو يزيد بأنه أخذ علمه عن الحي الذى لا يموت و معلوم طبعا الحي الذى لا يموت هو الله سبحانه و تعالى لأنه هو المستحق الحقيقي لهذا الوصف أما غيره من المخلوقات فالكل فان و تهكم أبو يزيد بعلماء الاسلام الاجلاء الفضلاء الذين يهتمون بعلوم كتاب الله الذى أنزله على رسوله محمد صلى الله عليه و سلم و بسنة المصطفى صلى الله عليه و سلم

و هذا نص كلامه فقد قال : (أخذتم علمكم ميتا عن ميت و نحن أخذنا علمنا عن الحي الذى لا يموت)(٢)

و يعني أبو يزيد بهذا الكلام أهل السنة و الجماعة الذين يتمسكون بتعاليم الكتاب و السنة و لا يقبلون غيرهما من العلوم الخرافية التي يدعي المتصوفة أنهم تلقوها عن الله و كلام أبي يزيد هذا فيه تهكم و استهزاء و استخفاف واضح بالصحابة الذين نقلوا الينا هذا العلم و بجميع علماء الأمة الاسلامية عبر تأريخها الطويل و نحن نقول يا أبا يزيد و من هو على طريقتك من المتصوفة نقول لكم ليس لكم أى علوم تتلقونها عن الله

---

(١)— الفتوحات المكية لابن عربي ١٣٩/١

(٢)— الجواهر و الدرر للشعراني بهامش الابريز للدباغ ٢٨٦ و كذلك الفتوحات المكية لابن عربي ١٣٩/١

وانما من الممكن أن يوحي اليكم الشيطان الوحي من عنده فيضلكم كما هو واضح في علومكم التي تزعمون أنكم تلقيتموها عن الله فكلها تدعوا الى الضلال والكفر والشرك والبدع والخرافات وكل العلوم التي تحتوى عليها متناقضة مع ما في الكتاب والسنة ولو كانت من الله على فرض التنزل معكم لما تناقضت معهما مع العلم بأننا نؤمن ايمانا جازما بأنه لا وحي ولا علم يتلقى عن الله بعد الرسول محمد صلى الله عليه وسلم لأن هذا الباب قد أغلق تماما فمن ادعى التلقي عن الله فهو ضال مضل كذاب أفاك.

وادعى أبو يزيد البسطامي أيضا أنه عرج به الى السماوات وتكلم مع الرب سبحانه وتعالى مشافهة وأنه أراه الله السبع الأرضين وما فيها والسماوات السبع وما فيها وأنه رأى الجنان وعرش الرحمن وهذا نص كلامه فقد قال :

(أدخلني في الفلك الأسفل فدورني في الملكوت السفلى فأراني الأضين وما تحتها الى الثرى ثم أدخلني في الفلك العلوى فطوف بي في السماوات وأراني ما فيها من الجنان الى العرش ثم أوقفني بين يديه فقال لي سلني أى شيء رأيت حتى أهبه فقلت يا سيدى ما رأيت شيئا استحسنته فأسألك اياه فقال أنت عبدى حقا تعبدني لأجلي صدقا لأفعلن بك)(١)

اذا نظرنا في النص السابق نجد أن أبا يزيد زعم بأنه تبادل الحديث مع الرب مشافهة حيث عرج به الى السماوات العلى فرأى الجنان ومع ذلك لم يجد شيئا يعجبه فلم يسأل الله شيئا وذلك لأن الجنة لا تساوى مع مشائخ الصوفية الدجاجلة شيئا لأنهم حسب زعمهم لا يعبدون الله حبا للدخول في الجنة ولا النجاة من النار وانما يعبدونه متجردين عن الرغبة والرهبة وهذه عبادة مخالفة لما شرعه الله

---

(١) — قوت القلوب لأبي طالب المكي ٢ / ٧٠ وكذلك غيث المواهب العلية للرندى

فان الله سبحانه قال في وصف أنبيائه : ((انهم كانوا يسارعون في الخيرات و يدعوننا رغبا و رهبا و كانوا لنا خاشعين)) (١)

و الذى يهمنا من ايراد هذا النص هو زعم أبو يزيد التكلم مع الله مشافهة و هذا هو معنى التلقي عن الله

و هذا نص آخر عن أبي يزيد يزعم فيه بأن الله رفعه و أوقفه بين يديه و قال لـــه ان خلقه يحبون أن يروك ثم أبو يزيد طلب أن يحل فيه الله بحيث اذا رآه الخلق يصبحون كأنهم رأوا الله حقيقة و هذا نص كلامه قال :

(رفعني مرة فأقامني بين يديه و قال لي ياأبا يزيد ان خلقي يحبون أن يروك فقلت زيني بوحدانيتك و ألبسني أنانيتك و ارفعني الى أحديتك حتى اذا رآني خلقك قالوا رأيناك فتكون أنت ذاك و لا أكون أنا هنا) (٢)

و الشاهد من ايراد النص واضح ألا و هو زعم أبو يزيد التكلم مع الله و تبادل الحديث معه كما هو واضح جلي في النص

و يزعم أبو يزيد البسطامي أيضا بأنه خاض بحرا من العلم لم يستطع الأنبيـــــاء أن يخوضوه و انما وقفوا بساحله لأن علمهم محدود أما علم أبو يزيد و أمثاله فغـــزيـــر جدا و كثير لا يساوى علم الأنبياء بالنسبة له شيئا و هذا نص كلامه قال :

(خضنا بحرا وقف الأنبياء بساحله) (٣)

و زعم أيضا بأنه أوتي ما لم يؤتاه النبيون من العلم و هذا نص كلامه فقد قال :

(معاشر الأنبياء أوتيتم اللقب و أوتينا مالم تؤتوه) (٤)

---

(١) — الأنبياء ٩٠

(٢) — اللمع للطوسي ٤٦١

(٣) — الابريز للدباغ ٢٧٦ و كذلك جمهرة الأولياء للمنوفي ١ / ٢٦٦

(٤) — الانسان الكامل للجيلي ١ / ١٢٤ و كذلك الجواهر و الدرر للشعراني بهامش الابريز للدباغ ٢٨٦

و قال البسطامي أيضا : (تالله ان لوائي أعظم من لواء محمد صلى الله عليه و سلم لوائي من نور تحته الجان و الجن و الانس كلهم من النبيين)(١)

ففي النصوص السابقة تفضيل البسطامي نفسه على جميع الأنبياء و الرسل في العلم واضح و كذلك صرح بأن لواءه أعظم من لواء الرسول صلى الله عليه و سلم و هذا كلام خطير جدا لا يمكن أن يخرج من انسان فيه ذرة من الايمان فضلا عن أن يطلع من انسان يعتبره المتصوفة من كبار أولياء الله و تنزه الله أن يكون أولياءه هكذا

و من كبار الصوفية الذين زعموا التلقي عن الله و العروج اليه عبد الكريم الجيلي فقد قال هذا الرجل واصفا كتابه الانسان الكامل في معرفة الأوائل و الأواخر :

(و كنت قد أسست الكتاب على الكشف الصريح و ايدت مسائله بالخبر الصحيح . . . . . و سميته بالانسان الكامل في معرفة الأواخر و الأوائل . . . . ثم قال الجيلي مفتريا على الله فأمرني الحق الآن بابرازه بين تصريحه و ألغازه و وعدني بعموم الانتفاع فقلت طوعا للأمر المطاع و ابتدأت في تأليفه متكلا على الحق في تعريفه فها أنا ذا أكرع من دنه القديم بكأس الاسم العليم في قوابل أهل الايمان و التسليم خمرة مرضعة من الحى الكريم مسكرة الموجود بالقديم)(١)

اذا نظرنا في النص السابق نجد أن عبد الكريم الجيلي زعم بأن الله أمره باظهار هذا الكتاب بكل ما يحمله من عبارات صريحة واضحة الدلالة على المقصود و عبارات هي ألفاز يصعب فهمها في الوهلة الأولى و أن الله وعده بأن هذا الكتاب سينتفع به الكثير و هذه عبارات تدل على أنه تلقى العلم الموجود في هذا الكتاب من الله سبحانه و تعالى و هذا حسب زعمه و الا فنحن نعتقد اعتقادا جازما بأنه لم يتلقى هذا العلم

---

(١) — الانسان الكامل لعبد الكريم الجيلي ٦

عن الله وانما من الممكن أن يكون تلقاه عن الشيطان بل بالتأكيد وحي شيطاني لأن هذا الكتاب من أوله الى آخره لا يحتوى الا على الكفر والالحاد والشرك يلاحظ ذلك بوضوح كل من يقرأ في هذا الكتاب

واليك نماذج من هذا الكتاب الذى يزعم الجيلي بأن الله أمره بابرازه ووعده بعموم الانتفاع به حتى تحكم بنفسك بأن هذا الوحي وحي شيطاني وليس وحيا رحمانيا

فقد قال متحدثا عن نفسه :

لي الملك في الدارين لم أر فيهما ... سواى فأرجو فضله أو فأخشاه

ولا قبل من قبلي فالحق شأنه ... ولا بعد من بعدى فأسبق معناه

وقد حزت أنواع الكمال وانني ... جمال جلال الكل ما أنا الا هو

فمهما ترى من معدن ونباته ... وحيوانه مع أنه وسجاياه

ومهما ترى من عنصر مطيعة ... ومن هباء للأصل طيب هيولاه

ومهما ترى من أبحر وقفاره ... ومن شجر أو شاهق طال أعلاه

ومهما ترى من صورة معنوية ... ومن شهد للعين طال محياه

.....

فانما ذلك الكل والكل مشهدى ... أنا المتجلي في حقيقته لا هو (١)

اذا نظرنا في الأبيات السابقة نجد أن عبدالكريم الجيلي ادعى بأن ملك الكون في الدنيا والآخرة له وحده وأنه لم يرى غيره شيئا حتى يخشاه وهذا انكار لوجود الله وتنصيب نفسه ربا للكون ثم ادعى بأنه استكمل كل صفات الكمال وأنه ما هو الا الله وهذا كفر بواح والحاد سافر لا بعده الحاد ولذا أقول ان هذا الكتاب ألقاه اليه الشيطان ليضله ثم ليضل به عبدالكريم البشرية وقد فعل كما أمره ابليس عليه لعنة الله

---

(١) — الانسان الكامل لعبدالكريم الجيلي ١/ ٣١

وهذا نموذج آخر من كتابه الذى زعم انه تلقاه عن الله فقد قال :

الباب الملغي ستين في الانسان الكامل وأنه محمد وأنه مقابل للحق والخلق حيث قال : (اعلم حفظك الله ان الانسان الكامل هو القطب الذى تدور عليه أفلاك الوجود من أوله الى آخره وهو واحد منذ كان الوجود الى أبد الآبدين ثم له تنوع في ملابس ويظهر في كائن فيسمى به باعتبار لباس ولا يسمى به باعتبار لباس آخر فاسمه الأصلي الذى هو له محمد وكنيته أبوالقاسم ووصفه عبدالله ولقبه شمس الدين ثم له باعتبار ملابس أخرى أسام وله في كل زمان اسم ما يليق بلباسه في ذلك الزمان فقد اجتمعت به صلى الله عليه وسلم وهو في صورة شيخي الشيخ شرف الدين اسماعيل الجبرتي ولست أعلم أنه النبي وكنت أنه الشيخ وهذا من جملة مشاهد شاهدته فيها بزبيد سنة ست وتسعين وسبعمائة وسر هذا الأمر تمكنه صلى الله عليه وسلم من التصور بكل صورة فالأديب اذا رآه في الصورة المحمدية التي كان عليها في حياته فانه يسميه باسمه واذا رآه في صورة ما من الصور وعلم أنه محمد فلا يسميه الا باسم تلك الصورة ثم لا يوقع ذلك الاسم الا على الحقيقة المحمدية ألا تراه صلى الله عليه وسلم لما ظهر في صورة الشبلي رضي الله عنه قال الشبلي لتلميذه أشهد أني رسول الله وكان التلميذ صاحب كشف فعرفه فقال أشهد أنك رسول الله وهذا أمر غير منكور وهو كما يرى النائم فلان في صورة فلان وأقل مراتب الكشف أن يسوغ به في اليقظة ما يسوغ به في النوم ولكن بين النوم والكشف فرق وهو أن الصورة التي يرى فيها محمد في النوم لا يوقع اسمها في اليقظة على الحقيقة المحمدية لأن عالم المثال يقع التعبير فيه فيعبر عن الحقيقة المحمدية الى حقيقة تلك الصورة في اليقظة بخلاف الكشف فانه اذا كشف لك على الحقيقة المحمدية أنها متجلية في صورة من صور الآدميين

فيلزمك ايقاع اسم تلك الصورة على الحقيقة المحمدية و يجب عليك أن تتأدب مع صاحب تلك الصورة تأدبك مع محمد صلى الله عليه و سلم لما أعطاك الكشف ان محمد متصور بتلك الصورة فلا يجوز لك بعد شهود محمد فيها أن تعاملها بما كنت تعاملها من قبل .... وان رسول الله صلى الله عليه و سلم له من التمكن في التصور بكل صورة حتى يتجلى في هذه الصورة و قد جرت سنته صلى الله عليه و سلم انه لا يزال يتصور في كل زمان بصورة أكملها ليعلى شأنهم و يقيم ميلانهم فهم خلفاؤه في الظاهر و هو في الباطن حقيقتهم)(١)

اذا نظرنا في هذا النص نجد أن عبدالكريم الجيلي صرح بأن هذا الوجود كله يدور حول قطب واحد و هو الرسول صلى الله عليه و سلم و أن الرسول يتشكل بأشكال عديدة سواء كان في ملابسه أو أسمائه و يظهر أيضا في الكنائس التي يتعبد فيها النصارى و صرح أيضا بأنه اجتمع بالرسول صلى الله عليه و سلم و هو متصور بصورة شيخه شرف الدين و أن الرسول له القدرة الكاملة على أن يتشكل بأى صورة في هذا الكون و هذه عقيدة التناسخ التي يعتقدها الوثنيون من اليهود و ليست من الاسلام في شيء والنص كله من أوله الى آخره يدور حول عقيدة التناسخ و أن الرسول هو القطب الذى يدير هذا الكون بكل ما فيه و هذه كما نرى عقائد باطلة فالقول بقدرة بشر على التشكل بأى صورة يريدها لم نجده في كتاب الله و لا سنة رسول الله صلى الله عليه و سلم اذا هي عقيدة دخيلة ينكرها الاسلام و يرفضها رفضا قاطعا و كذلك القول بأن هذا الكون كله يسيره الرسول ليس من الاسلام في شيء فمسير الكون كله هو الله سبحانه و تعالى وحده لا شريك و ليس لأى بشر كائنا من كان الشركة مع الله

---

(١) — الانسان الكامل لعبدالكريم الجيلي ٢/ ٧٤

في تسيير أمور هذا الكون و من اعتقد ذلك الاعتقاد فقد أشرك مع الله و عليه التوبة و كما نرى فهذا الكتاب لا يحتوى الا على عقائد و ثنية فقط و لذا فهو من وحي الشيطان لا من و حي الرحمن

و هذا نص آخر عن الجيلي يزعم فيه ان المتصوفة يعرج بهم و يكلمهم الرب سبحانه فقد قال :(و من المكلمين من يذهب به الحق من عالم الأجسام الى عالم الأرواح و هؤلاء أعلى مراتب فمنهم من يخاطب في قلبه و منهم من يصعد بروحه الى سماء الدنيا و منهم الى الثانية و الثالثة كل على حسب ما قسم له و منهم من يصعد به الى سدرة المنتهى فيكلمه الله هناك و كل من المكلمين على قدر دخوله في الحقائق تكون مخاطبات الحق له لأنه سبحانه و تعالى لا يضع الأشياء الا في مواضعها و منهم من يضرب له عند تكليمه اياه نور له سرادق من الأنوار و منهم من ينصب له منبرا من نور و منهم من يرى نورا في باطنه فيسمع الخطاب من تلك الجهة النورية و قد يرى النور كثير و أكثر و مستديرا و متطاولا و منهم من يرى صورة روحانية تناجيه كل ذلك لا يسمى خطابا الا أن أعلمه الله أنه هو المتكلم و هذا لا يحتاج فيه الى دليل بل هو على سبيل الوهلة فان خاصة كلام الله لا تخفى و أن يعلم أن كل ما سمعه كلام الله فلا يحتاج هناك الى دليل و لا بيان بل بمجرد سماع الخطيب يعلم العبد أنه كلام الله و من صعد به الى سدرة المنتهى من قيل له حبيبي أنيتك هي هويتي و أنت عين هو و ما هو الا أنا حبيبي بساطتك تركيبي و كثرتك واحدتي بل تركيبك بساطتي و جهلك درايتي أنا المراد بك أنا لك لا لي أنت المراد بي أنت لي لا لك حبيبي أنت نقطة عليها دائرة الوجود فكيف أنت العابد و المعبود أنت النور أنت الظهورات الحسن و الزين الكمين للانسان و الانسان للعين)(١)

---

(١)— الانسان الكامل للجيلي ١ / ٦٥—٦٦

اذا نظرنا في النص السابق نجد أن الجيلي زعم بأن الأولياء يعرجون الى الله مع التفاوت فيما بينهم في درجات العروج المزعوم و أن الله سبحانه يكلمهم و يخاطبهم مع التفاوت أيضا في درجات هذه المكالمة المزعومة فهذا يشتمل على شاهدين للمبحث الشاهد الأول قول الجيلي بعروج الأولياء الى الله و الشاهد الثاني تكلم الرب معهم و هذا هو التلقي عن الله ليس غير ذلك

و من الصوفية الذين زعموا أن الأولياء يتلقون علومهم عن الله عبد العزيز الدباغ .

لقد زعم عبد العزيز الدباغ بأن الأولياء ينزل عليهم الوحي من الله و يتلقون علوما منه سبحانه و تعالى و أنه ليس هناك أى فرق بين وحي الأولياء و الأنبياء في طريقة التلقي بل طريقة تلقي الولي الوحي هي نفس الطريقة التي يتلقى بها النبي الوحي عن الله و اليك نصوص من كلامه

قال الدباغ: (و أما ما ذكروه في الفرق بين النبي و الولي من نزول الملك و عدمه فليس بصحيح لأن المفتوح عليه سواء كان وليا أو نبيا لابد أن يشاهد الملائكة بذواتهم على ما هم عليه و يخاطبهم و يخاطبونه و كل من قال ان الولي لا يشاهد هذا الملك و لا يكلمه فذلك دليل على أنه غير مفتوح عليه)(١)

و قال عبد العزيز الدباغ أيضا : (و ينزل الملك على الولي بالأمر و النهي)(٢)

و زعم عبد العزيز الدباغ أيضا أن المفتوح عليه يسمع كلام الله فقال :

(وكلام الحق سبحانه يسمعه المفتوح عليه اذا رحمه الله عز وجل سماعا خارقا للعادة فيسمعه من غير حرف و لا صوت و لا ادراك لكيفية و لا يختص بجهة دون جهة بل يسمعه

---

(١)— الابريز لعبد العزيز الدباغ ١٤٢

(٢)— الابريز للدباغ ١٤٣

من سائر الجهات بل و من سائر جواهر ذاته و كما لا يخص السماع له جهة دون أخرى كذلك لا يخص جارحة دون أخرى يعني أنه يسمعه بجميع جواهره و سائر أجزاء ذاتـــه فلا جزء و لا جوهر و لا سن و لا ضرس و لا شعرة منه الا و هو يسمع به حتى تكون ذاتـه بأسرها كأذن سامعة ثم ذكر اختلاف أهل الفتح في قدر السماع)(١)

اذا نظرنا في النصوص السابقة نجد أن عبد العزيز الدباغ صرح بأنه لا فرق بيـــن النبي و الولي في طريقة تلقي الوحي عن الله و أن من يقول بالتفريق بينهن فانه قاصـر في الفتح وأن الملك ينزل على الولي بالأمر و النهي و أن الأولياء يسمعون كلام اللـــه بجميع جوارحهم و ليس مثل الأنبياء الذين يسمعون كلام الله بالآذان فقط و كل هـذه عقائد ضالة باطلة و أكاذيب و افتراءات و دجل من هذا الصوفي الخرافي الضال و ليس له أى دليل يعتمد عليه لاثبات هذا المعتقد

و من الصوفية الذين زعموا أن الولي يشارك النبي في كثير من الأمور وأنه يتعلـــم العلم من غير طريق الكسب لسان الدين الخطيب و هذا نص كلامه فقال متحدثـــا عن هذا الموضوع :

(الولاية أن يتولى الله الواصل الى حضرة قدسه بكثير مما تولى به النبي من حفظ و توفيق و تمكين واستخلاف و تصريف

فالولي يساوى النبي في أمور منها العلم من غير طريق العلم الكسبي و الفعل بمجرد الهمة فيما لم تجر به العادة أن يفعل الا بالجوارح و الجسوم مما لا قدرة عليه لعالـــم الجســـوم

ويفعل بالهمة في عالم الخيال و في الحس فانه يسمع و يرى ما لا يرى و لا يسمع و هو

---

(١)— كتاب الابريز للدباغ ١٤٧

بين الناس

و يفارق الولي النبي في المخاطبة الالهية و المعارج فانهما يجتمعان في الأصول و هي المقامات الا أن النبي يعرج بالنور الأصلي و الولي يعرج بما يفيض من ذلك النور الأصلي و ان جمعهما مقام اختلفا بالوحدة في كل مقام من فناء و بقاء و جمع و فرق و الولي يأخذ المواهب بواسطة روحانية نبيه و من مقامه يشهد الا ما كان من الأولياء المحمديين فانه لما كان نبيهم صلوات الله وسلامه عليه جامعا لمقامات الأنبياء أورثهم الله تعالى مقامات الأنبياء و أوصل اليهم أنوارهم من نور نبيهم الوارث و بوساطته فانه هوالذى أعطى جميع الأنبياء و الرسل مقاماتهم في عالم الأرواح ثم شاركت الأولياء الأنبياء في الأخذ عنه فقد يرث ولي من أولياء الله آدم أو اسحاق أو ادريس أو اسماعيل أو يوسف أو موسى أو عيسى لكن لا يتوصل الى نوره ولا حاله الا من محمد صلى الله عليه وسلم الا القطب وحده فانه على قلب محمد صلى الله عليه وسلم و لمثل هذا المقام الكريم فليعمل العاملون) (١)

اذا نظرنا في النص السابق نجد أن لسان الدين زعم أن الولي يشارك النبي في أمور منها أن الولي يتعلم من غير أن يسلك الطريق الذى يسلكه الناس للتعلم بل يهبه الله العلم كما يهب النبي أى أنه يتعلم عن طريق الوحي من الله و أنه يسمع ويرى مالا يراه الناس ولا يسمعه بمعنى أنه يعلم الغيوب و أنه يعرج الى الله هذا في الولي الذى لم يصل الى مرحلة القطبية أما الولي الذى يصل الى مرحلة القطبية فانه على قلب محمد صلى الله عليه وسلم و مساويا له في كل الأمور

---

(١) — روضة التعريف بالحب الشريف للسان الدين الخطيب ٥١٩

و من الصوفية الذين قالوا ان الولي يتساوى في جميع الأمور مع النبي ابن عجيبة الحسني حيث قال بوضوح تام من غير لف ولا دوران : (ما قيل في النبي يقال في الولي)(١)

و عبارة ابن عجيبة هذه و ان كانت مختصرة جدا الا أنها تحمل معاني كثيرة وخطيرة في نفس الوقت و ذلك أن هذه العبارة القصيرة تعني أن الولي كالنبي تماما و كنا نعرف أن من خصائص النبي أن الله يوحي اليه و أنه معصوم عن الخطأ فيجب أن يقبل قوله من غير مناقشة ولا تردد و أنه يجب أن يطاع و أنه المشرع و كذلك الولي و هذا دليل واضح على أن المتصوفة يزعمون بأن الأولياء يتلقون عن الله علومهم و أنه لا فرق بينهم و بين الأنبياء

و من الصوفية الذين زعموا التكلم مع الله و التصرف في الكون ابراهيم الدسوقي وهذا نص كلامه

قال : (أنا كل ولي في الأرض خلعته بيدي ألبس منهم من شئت أنا في السماء شاهدت ربي و على الكرسي خاطبته أنا بيدي أبواب النار أغلقتها و بيدي جنة الفردوس فتحتها من زارني أسكنته جنة الفردوس)(٢)

اذا نظرنا في النص السابق نرى بوضوح أن الدسوقي زعم بأنه تكلم مع الله و أنه رآه بأم عينيه و خاطب الله سبحانه و تعالى وهو على الكرسي و أنه بيده اغلاق النار و فتح الجنة وقد فعل و أن من سجل له زيارة واحدة أسكنه في جنة الفردوس و هذا حسب

---

(١) ــ الفتوحات الالهية لابن عجيبة الحسني ٢٦٤

(٢) ــ الطبقات الكبرى للشعراني ١ / ١٨١

زعمه و الا فليس عنده أى مقدرة لفعل شيء واحد مما تقدم و نحن أوردنا النص هـذا للاستشهاد به على زعم المتصوفة التكلم مع الله و التلقي عنه و هذا واضح في النص و كما نرى فالنص يحتوى على عقائد باطلة كثيرة ولا نريد أن نتعرض هنا للرد على هذه المعتقدات لأن المقصود هنا هو اثبات الحجة و قد ثبتت

و من الصوفية الذين زعموا أن الله كلمهم أحمد الرفاعي فقد أورد صاحب كتاب " قلادة الجواهر": (أن السيد ابراهيم الأعزب قال : كنت جالسا في الغرفة مع السيد أحمد الرفاعي رضي الله تعالى عنه و رأسه على ركبتيه فرفع رأسه وضحك بأعلى صوته فضحكت أنا أيضا ثم ألححت عليه ليخبرني عن سبب ضحكه فقال : أى ابراهيم ناداني العزيز سبحانه أني أريد أن أخسف الأرض و أرمي السماء على الأرض. فلما سمعت هذا النداء تعجبت و قلت : الهي من ذا الذى يعارضك في ملكك وارادتك . قال سيدى ابراهيم : فأخذته الرعدة ووقع على الأرض و بقي في ذلك الحال زمنا طويلا)(١)

و الشاهد من ايراد النص واضح حيث زعم أحمد الرفاعي أن الله ناداه و كلمه و أنه تبادل الحديث معه كما هو واضح أمامنا في النص

و من الصوفية الذين زعموا أن الله تكلم معهم أبو الحسن الشاذلي فقد ذكر عبد الحليم محمود شيخ الأزهر السابق نقلا عن أبي الحسن الشاذلي كيفية نزوله من جبل زغوان و مغادرة خلوته :

(قيل لي : يا علي اهبط الى الناس ينتفعوا بك . فقلت: يا رب أقلني من الناس فلا

---

(١)ـ قلادة الجواهر في ذكر الرفاعي و أتباعه الأكابر ١٨٠ و انظر كذلك البرهان المؤيد للسيد أحمد الرفاعي ٨٠

طاقة لي بمخالطتهم

فقيل لي : انزل فقد أصبناك السلامة و دفعنا عنك الملامة . فقلت : تكفني الـــس الناس آكل من دريهماتهم . فقيل لي : أنفق يا علي و أنا الملي ان شئت من الجيـــب و ان شئت من الغيب

و نزل الشاذلي رضي الله عنه من على الجبل ليغادر شاذلة و يستقبل مرحلة جديدة فقد انتهت المرحلة الأولى التي رسمها له شيخه

و ذكر عنه عبد الحليم محمود أن الشاذلي قال : يا رب لم سميتني بالشاذلي ولست بشاذلي ؟ فقيل لي : يا علي ما سميتك بالشاذلي و انما أنت الشاذلي بتشديد الـــذال المعجمة يعني المفرد لخدمتي و محبتي)(١)

اذا نظرنا في النص السابق نجد أن عبد الحليم أورد عن الشاذلي أنه كلمه اللـــه و هذا يظهر لنا في سياق القصة حيث أن تبادل الحديث بين الله و أبي الحسن ظاهـــر فيها و هذا حسب زعمه و الا فهو كذب محض لا أساس له من الصحة و مع الأسف الشديـــد أورد هذا الكلام عن الشاذلي شيخ كان يتولى ادارة جامعة اسلامية عالمية فيا أسفا علـــى هذه الجامعة التي يتولى شئونها أمثال هذا الذى لا يميز بين الباطل و الحق بـــل ينقل كل ما هب و دب على وجه الأرض

و من الصوفيـــة الذين زعموا أن الأولياء يسمعون كلام الله السهروردى و هذا نـــص كلامه فقد قال متحدثا عن وصف الأولياء : (و يسمعون كلام الله فاذا تحقق الصوفي بهذا الوصف صار وقته سرمدا و شهوده مؤيدا و سماعه متواليا متجددا يسمع كـلام اللـــه

(١) ـ المدرسة الشاذلية الحديثة و امامها أبو الحسن الشاذلي ٣٤ ـ ٣٥ و انظر كذلك نحوه في تاج العروس الحاوى لتهذيب النفوس للسكندرى ١٨

تعالـى)(١)

و من المتصوفة الذين زعموا العروج الى الله حتى سمعوا صرير الأقلام صالح بانقا السوداني

فقد قال انه أثناء سياحته باحثا عن شيخ صوفي يتربى على يديه و يأخذ الطريقة مر بعدة مشائخ و كل من مر بهم من هؤلاء المشائخ أكرموه فقال : ان هؤلاء الذين أكرموني كلهم لا يصلحون لأتربى على أيديهم . فواصل طريقه حتى وصل الى رجل اسمه أبو بكر و هو شيخ كبير مجتمعين عنده الناس على كرامة فقال لواحد منهم : في لحم؟ قال له : نعم . قال : في ملاح ؟ قال : نعم . قال لي : يا فقير شيل ها الفضلة ملحها بالماء و كل . فقلت هذا الذى لم يكرمني هو شيخي ثم قال له : يا فقير املاء هذه الابريق من البحر . فلما جيت عند البحر امتلأت بنفسها و جاءتني من غير أن أملأها فجئت الى الشيخ فوجدته شابا فتوضأ و صلى ثم طال حتى وصل رأسه عرش الخلوة ثم عاد على حاله شيخنا فقلت في نفسي هذا شيخي فقال : أنا مان شيخك امتراد خل خلوة في باعوضة فان شيخك يجيبك فيها فانه يكون لك شأن عظيم ابقى بعدها على ذريتنا عشرة . . . . ثم قال : (ثم قدمت على بعوضة فاختليت فيها للذكر و العبادة فجاءني رسول الله صلى الله عليه وسلم و معه علي و قيل أبو بكر فلقنني الذكر ثم قال : يا كوفي أنا في الخلوة راقد رأيت نجمة كبيرة في السماء تعلقت بها روحي و خرجت من جسمي فطارت فخرقت السماوات السبع فسمعت صرير الأقلام فلو كان يا كوفي بعد محمد نبي لقلت تنبأت ثم رجعت فوقعت في جزيرة من جزاير المالح فجاءني رجل لابس كسايين من صوف فلقنني اسمين و مشى معي خطوتين)(٢)

---

(١)— عوارف المعارف للسهروردى ٢٧

(٢)— طبقات ود ضيف الله الجعلي ١٣٣—١٣٤

والذى يهمنا في النص هو أن صالح بانقا طاف بالبلاد باحثا عن شيخ يتبرك على يديه وأثناء سياحته مر بعدد كبير من المشائخ ولكن كلهم كانوا يكرمونه ويضيفونه بالضيافة الاسلامية المطلوبة فتجاوزهم جميعا لأنه كان يبحث عن شيخ يهينه حتى يتبرك على يديه فلما وجد من يهينه قال هذا هو الشيخ الذى يصلح لتربيتى ثم قال له هذا الشيخ اذهب الى احدى القرى فهناك شيخك وبالفعل جاءه شيخه وعرج حتى فرق السماوات السبع وسمع صرير الأقلام وهكذا المتصوفة يزعمون العروج الى الله وذلك حتى لا يتركوا صفة يختص بها رسول الله صلى الله عليه وسلم دونهم

ومن الصوفية: الذين ادعوا العروج الى السماوات وتبادل الحديث مع الله دفع الله بن محمد الكاهلي (١)

وقد ذكر ود ضيف الله الجعلي أن دفع الله لما دنا من الوفاة مرض مرضا شديدا وغاب فيه أياما ثم أفاق والناس قاعدين الاناث والذكور منتظرين الافاقة أو الموت فلما أفاق قيل له ما رأيت قال عرج بروحي الى السماء فقيل لي أخير عليك ترجع الدنيا وتمكث فيها أربعين سنة تدرس القرآن والعلم أو أحسن اليك لقاء ربك فقال له حمد ولد عبد الجليل والحاج عوض الكريم ما الذى اخترت قال اخترت لقاء ربي فضجوا الناس بالبكاء والنياح وقال لخالاته واخواته وجملة أرحامه أبشرن يا هنونا بيات أنا جبلكن يوم القيامة قال شيخي بدوى ولد أبو دليق أبشرن يا كاهليات أنا جبلكن يوم القيامة وأوصى فقال يقعد في المسجد عبد الرافع مجازاتا

---

(١) — دفع الله بن محمد الكاهلي الهزلي وأمه رية بنت موسى بن هنونة ولد بالحطفاية وسمته أمه دفع الله تبركا بالشيخ دفع الله العركي لأنه شيخ أبيها طبقات ود ضيف الله الجعلي ٢١١

لشيخنا الفقيه حمد)(١)

و من الصوفية الذين زعموا بأن الأولياء يتلقون علوما خاصة بهم عن الله سبحانه و تعالى ابن سبعين (٢)

و من الصوفية الذين زعموا بأن الأولياء يتلقون علوما عن الله محمد القنوى الصوفي حيث قال في معنى قوله تعالى : ((و لا يسرقن)) أى لا يسرقون معارف أحد من أهل السلوك و لا يتكلمون بأسرار الأكابر من الكمل التي ما بلغ علمهم لها و لا شاهدوها كشفا و شهودا بل لابد من القناعة بما هو حاصل لهم من العلوم اللدنية و المعارف الالهية التي كشفت لهم أثناء سلوكهم بالمجاهدات النفسية و التوجهات القلبية و أميض على قلوبهم من أشعة نورانية روحانية شيخهم)(٣)

و من الصوفية الذين ادعوا بأن الأولياء يتلقون علوما عن الله و يطلعون على الغيب عبد المجيد بن محمد الخاني النقشبندى فقد قال و هو يتحدث عن أحد رجالات النقشبندية الكبار سيدنا الشيخ يعقوب الجرخي قدس الله سره العزيز قال عنه عالم العلماء و ولي العلماء ظهر في العالم بعلمين .... أحيا الحقيقة بالشريعة و الشريعة بالحقيقة و سلك في طريق القوم أقوم طريقة و ورث علوم الغيوب كما ورث النبوة يعقوب (٤)

---

(١)— طبقات ود ضيف الله الجعلي ٢١١

(٢)— أنظار بد المعارف لابن سبعين ٢٧\

(٣)— السيوف الحداد في أعناق أهل الزندقة للبكرى ١٥٠

(٤)— الحدائق الوردية في حقائق أجلاء النقشبندية ١٥٤

و من الصوفية الذين زعموا بأن الأولياء لهم علوما خاصة بهم يتلقونها عن الله أبو العباس المرسي (١) فقد قال و هو يتحدث عن الصوفية :

(علوم هذه الطائفة علوم تحقيق و علوم التحقيق لا تحملها عقول عموم الخلق و الفقيه من انفقأ الحجاب عن عيني قلبه)(٢)

و من الصوفية الذين زعموا بأن الأولياء يتلقون علوما عن الله خاصة بهم أحمد بن مخلوف الشابي (٣) الصوفي فقد قال :(وعلم التجليات موقوف على الأذواق فمن لا ذوق له لا علم له)(٤)

و من الصوفية الذين زعموا بأن الأولياء في طريق سيرهم الى الله تفيض عليهم علوما من الله أبو حامد الغزالي فقد قال و هو يتحدث عن المقامات التي يقطعها الصوفي الذى يسير الى الله :

---

(١)— هو أحمد أبو العباس المرسي و كان يقال انه لم يرث غيره علم الشيخ أبو الحسن الشاذلي و هو من أجل من أخذ عنه الطريقة / جمهرة الأولياء للمنوفي ٢/ ٢٣١

(٢)— أبو العباس المرسي ٨٢

(٣)— هو عبدالله بن مسعود الشابي العارف بالله شيخ الطريق و امام الحقيقة و الشابي نسبة الى بلدته شابة بالساحل التونسي التي ولد بها و نشأ و هو من قبيلة هذيل . أنظر مقدمة الكتاب المنقول منه النص ٢١

(٤)— كتاب العارف بالله أحمد بن مخلوف الشابي مؤسس الطريقة الشابية ١٦٤

(و فرقة أخرى جاوزت هؤلاء و لم تلتفت الى ما يفيض عليها من الأنوار في الطريق و لا الى ما تيسر لهم من العطايا الجزيلة و لم يلتفتوا اليها و لا عرجوا عليها بل جدوا في السير فلما قاربوا الوصول ظنوا أنهم وصلوا فوقفوا ولم يتعدوا ذلك فغلطوا فان لله سبحانه سبعين حجابا من نور و ظلمة لا يصل السالك الى حجاب من تلك الحجب الا و يظن أنه قد وصل) (١)

و يدعي المتصوفة بأن علماء الظاهر و هم الذين يعلمون الكتاب و السنة جاهلون بالله لا يعرفونه حق معرفته لأنهم يجهلون علم الحقيقة الذى يدعي المتصوفة بأنهم يتلقونه عن الله

و الى جانب زعم التلقي عن الله ادعى المتصوفة أيضا بأن الأولياء يلتقون بالرسول صلى الله عليه و سلم باستمرار و يتلقون توجيهات و يصححون عنده الأحاديث و اليك نماذج من أقوال المتصوفة الدالة على ذلك

فقد قال الشعراني و هو يتحدث عن الأولياء و منها شدة قربهم من رسول الله صلى الله عليه و سلم كل وقت فلا يحجب عنهم في ليل أو نهار و حتى ان بعضهم صحح عدة أحاديث قال بعض الحفاظ بضعفها من طريق النقل الظاهر فتقوت بذلك عنده قال : (و قد أدركت جماعة ممن لهم هذا المقام منهم سيدى على الخواص و سيدى على

وقال محمد الصبان و هو يقرر التقاء الأولياء بالرسول صلى الله عليه وسلم و أخذ الأحكام منه و تصحيح الأحاديث عليه :

(و حرم بعض المحققين القياس على جميع أهل الله لكون رسول الله صلى الله عليه

---

(١) — الكشف و التبيين في غرور الخلق أجمعين للغزالي ١٣٢

— مشارق الأنوار ٦٧

و سلم مشهودا لهم فاذا شكوا في صحة حديث أو حكم رجعوا اليه في ذلك فأخبرهم بالأمر الحق يقظة و مشافهة و صاحب هذا المشهد لا يحتاج الى تقليد أحد من الأئمة غير رسول الله صلى الله عليه و سلم)(١)

و كما هو واضح أمامنا فقد زعم الشعراني و الصبان بأن الأولياء يلتقون بالرسول باستمرار و يتلقون منه علوما و يصححون عليه أحاديث و هو مجرد ادعاء فقط لا أساس له من الصحة و هذه القاعدة وضعها المتصوفة لهدم الشريعة الاسلامية حيث ان دعوى التلقي عن رسول الله و تصحيح الأحاديث عليه قاعدة خطيرة جدا لو سلم بها لكفت لتدمير الأمة الاسلامية في العقيدة و العبادة و السلوك. و ذلك لأنه من السهل جدا أن يأتي أى صوفي بحديث من عند نفسه و يدعي أنه صححه على الرسول صلى الله عليه وسلم

و الخلاصة التي أخرج بها من هذا المطلب تتلخص في الأمور التالية :

الأمر الأول : زعم المتصوفة أنهم يتلقون العلوم عن الله سبحانه و تعالى و ادعوا بأن الكتب التي ألفوها انما هي من الالقاء الرباني عليهم و ليست تأليفا من عند أنفسهم .

الأمر الثاني : زعم المتصوفة أنه لا فرق بين وحي الأنبياء و وحي الأولياء في طريقة الالقاء فكما أن الملك ينزل بالوحي الى الأنبياء فكذلك ينزل على الأولياء بنفس الطريقة و زعموا أيضا استمرارية النبوة و عدم انقطاعها .

الأمر الثالث : لقد غلا بعض المتصوفة غلوا شديدا في الأولياء فأدى بهم ذلك الى تفضيل الولاية على النبوة و زعموا أن الأولياء يتلقون الوحي مباشرة عن الله بدون واسطة ملك الوحي بل قال بعضهم ان الأنبياء يأخذون من خاتم الأولياء و كذلك زعموا بأنهم يلتقون بالرسول و يصححون عليه الأحاديث و هذه كلها عقائد فاسدة كما نرى كل منها

---

(١) — هامش مشارق الأنوار لمحمد الصبان ١٣٧

كافيـة لهدم الاسلام لو آمن بهـا المسلمون ولكن والحمد للـه لم يعتنق هذه العقائد الباطلة الا من انخرط تحت لواء الطرق الصوفية الضالة والآن سأبين موقف الاسلام من هذه العقائد في المطلب الثاني من هذا المبحث فالى هناك (١)

---

(١) — انظر ص ٥٥٢ — ٥٦٩

المطلب الثاني : بيان بطلان هذا الادعاء و أنه لا وحي يتلقى بعد رسول الله صلى الله عليه و سلم :

تتميز العقيدة الاسلامية من بين العقائد السماوية الأخرى بمميزات فريدة تهيئها للبقاء و الثبات و مغالبة التحريف و التشويه على مدار الزمن و اختلاف الأحوال و ذلك التمييز هو حفظ الله عز و جل للأصل الذى تستقي منه تلك العقيدة كما قال تعالى : ((انا نحن نزلنا الذكر و انا له لحافظون)) (١)

و لهذا بقيت تلك العقيدة سليمة منيعة لم يصل اليها كيد الكائدين و لم يضرها تحريف المبطلين و من هنا فان المسلم في أى زمان و مكان يستطيع أن يستدل على عقيدته بهذا الكتاب و هو آمن من أنه لا يوجد خلل به أو خطأ فيه و يبقى بعد ذلك اختلاف الأفهام و تباين الادراكات البشرية مما يغتفر الخطأ فيه مع بذل الجهد و اخلاص النية مالم يعارض نصا ثابتا أو اجماعا من الأمة على خلافه

و عقيدة ختم النبوة هي احدى العقائد التي قررها كتاب الله عز و جل و بينها رسوله محمد صلى الله عليه و سلم في كل موطن يتطلب ذلك و أجمع عليها الصحابة رضي الله عنهم و علماء الأمة الاسلامية من صدر الاسلام الى اليوم

و في هذا المطلب سأورد الأدلة النقلية من الكتاب و السنة التي تدل على أن النبوة قد ختمت و أن الدين قد كمل و أنه لا يمكن أن يتلقى أحد علوما عن الله مهما كانت مكانته بعد رسول الله محمد صلى الله عليه و سلم لأن طريق التلقي عن الله طريق واحد فقط و هو طريق النبوة و لا نبوة بعد محمد بن عبد الله عليه أفضل الصلاة و السلام و كل من زعم أنه يتلقى عن الله فقد ادعى انه نبي رضي أم كره لأن المهم ليس المسمى و انما المهم المضمون .

---

(١) — الحجر ٩

أولا الأدلة من القرآن الكريم على ختم النبوة و كمال الدين :

لقد وردت الأدلة في القرآن الكريم على عقيدة ختم النبوة بصور عديدة منها ما يلي :

أولا التصريح بالختم

قال تعالى : ((ما كان محمد أبا أحد من رجالكم و لكن رسول الله و خاتم النبيين و كان الله بكل شيء عليما)) (١)

ففي هذه الآية الكريمة التصريح بخاتمية صلى الله عليه و سلم للأنبياء قبله فلا نبي بعده و لا رسول و هذا هو ما فهمه المفسرون لكتاب الله سبحانه و تعالى من صدر الاسلام الى اليوم

يقول الامام أبو جعفر الطبرى رحمه الله في تفسير هذه الآية :

(يقول تعالى ذكره ما كان أيها الناس محمد أبا زيد بن حارثة و لا أبا أحد من رجالكم الذين لم يلده محمد فيحرم عليه نكاح زوجته بعد فراقه اياها و لكنه رسول الله و خاتم النبيين الذى ختم النبوة فطبع عليها فلا تفتح لأحد بعده الى قيام الساعة و كان الله بكل شيء من أعمالكم و مقالكم و غير ذلك ذا علم لا يخفى عليه شيء)

ثم ذكر عن قتادة في قوله : ((و خاتم النبيين)) أنه قال : (أى آخرهم) (٢)

و يقول الحسين بن مسعود الفراء البغوى رحمه الله في قوله تعالى : ((و خاتم النبيين)) ختم الله به النبوة و يروى عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال يريد — أى الله تعالى — لو لم أختم به النبيين لجعلت له ابنا يكون بعده نبيا (٣)

و يقول محمود بن عمران الزمخشرى رحمه الله : ((وخاتم النبيين)) يعني أنه لو كان له ولد بالغ فبلغ مبلغ الرجال لكان نبيا و لم يكن هو خاتم النبيين (٤)

---

(١) — سورة الأحزاب ٤٠

(٢) — جامع البيان عن تأويل القرآن ١٢/٢١

(٣) — معالم التنزيل ٥٣٣/٤

(٤) — الكشاف للزمخشرى ٣/ ٢٦٤

و يقول الفضل بن الحسن الطرسي :((و خاتم النبيين)) أى و آخر النبيين ختمت النبوة به فشريعته باقية الى يوم الدين و هذه فضيلة له صلوات الله عليه و آله اختص بهـا من بين المرسلين (١)

و يقول عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزى :((وخاتم النبيين)) و من قرأ (خاتم) بكسر التاء فمعناه و ختم النبيين و من فتحها فالمعنى آخر النبيين (٢)

و يقول الفخر الرازى رحمه الله :((وخاتم النبيين)) و ذلك لأن النبي الـذى يكون بعده نبي ان ترك شيئا من النصيحة و البيان يستدركه من يأتي بعده و أما مـن لا نبي بعده يكون أشفق على أمته و أهدى لهم و أجدى اذ هو كوالد الولد ليس لـه غيره من أحد . قوله :((و كان الله بكل شيء عليما)) يعني علمه بكل شيء دخل فيه ان لا نبي بعده فعلم ان من الحكمة اكمال شرع محمد صلى الله عليه و سلم بتزوجـه بزوجة دعيه تكميلا للشرع (٣)

و يقول ناصر الدين البيضاوى رحمه الله :((و خاتم النبيين)) و آخرهم الذى ختمهم أو ختموا به على قراءة عاصم بالفتح (٤)

و يقول أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي رحمه الله :((وخاتم النبيين)) قال ابن عطية هذه الألفاظ عند جماعة علماء الأمة خلفا و سلفا متلقاة بالقبول على العموم التام مقتضية نصا انه لا نبي بعده صلى الله عليه و سلم (٥)

---

(١)ـ مجمع البيان في تفسير القرآن ٢٢/١٤٨

(٢)ـ زاد المسير لابن الجوزى ٦/٣٦٣

(٣)ـ التفسير الكبير للفخر الرازى ٢٥/٢١٤

(٤)ـ أنوار التنزيل و أسرار التأويل للبيضاوى ٢/٢٤٧

(٥)ـ الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٤/١٩٦

و يقول النسفي رحمه الله : (بفتح التاء عاصم بمعنى الطابع أى آخرهم يعني لا ينبأ أحد بعـــــــده)(١)

و معني قوله عاصم أى قراءة عاصم

و يقول الحسين بن محمد القمي النيسابوري : ((وكان الله بكل شيء عليما)) و مـن جملة معلوماته أنه لا نبي بعده (٢)

و يقول علاء الدين علي بن محمد بن ابراهيم المعروف بالخازن : (ختم الله به النبوة فلا نبوة بعده)(٣)

و يقول أبو عبدالله محمد بن يوسف بن حيان : (و قرأ الجمهور و خاتم بكسر التـــاء بمعنى أنه ختمهم أى جاء آخرهم) و قال : (و روى عنه عليه السلام ألفاظ تقتضي نصا أنه لا نبي بعده صلى الله عليه و سلم و المعنى أنه لا ينبأ أحد بعده)(٤)

و يقول أبو الفداء اسماعيل بن كثير رحمه الله : (فهذه الآية نص في أنه لا نبي بعده و اذا كان لا نبي بعده فلا رسول بالطريقة الأولى و الأخرى لأن مقام الرسالة أخص مـن مقام النبوة فان كل رسول نبي و لا ينعكس و بذلك وردت الأحاديث المتواترة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من حديث جماعة من الصحابة رضي الله عنهم)(٥)

و يقول جلال الدين محمد بن أحمد المحلى و جلال الدين عبدالرحمن بن أبـي بكر السيوطي : ((وكان الله بكل شيء عليما)) منه بأنه لا نبي بعده (٦)

---

(١)— تفسير النسفي ٣/ ٢٣٤

(٢)— تفسير غرائب القرآن و رغائب الفرقان ٢٢ /١٥

(٣)— كتاب التأويل في معاني التنزيل ٣/ ٦١١

(٤)— البحر المحيط لأبي حيان ٧/ ٢٣٦

(٥)— تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٣/ ٤٩٣

(٦)— تفسير القرآن العظيم المعروف بالجلالين ٣/ ١١٠

و ذكر السيوطي رحمه الله أثر عن الحسن أخرجه عبد بن حميد أنه قال في (و خاتم النبيين) ختم الله النبيين بمحمد صلى الله عليه و سلم و كان آخر من بعث)(١)

و يقول الخطيب الشربيني :(أى آخرهم الذى ختم لأن رسالته عامة و معها اعجاز القرآن فلا حاجة مع ذلك الى استنباء و لا ارسال ثم قال . . . و الحاصل انه لا يأتي بعده نبي مطلقا بشرع جديد و لا يتجدد بعده مطلقا استنباء و هذه مثبتة لكونه خاتما على أبلغ وجه و أعظمه و ذلك انها في سياق الانكار بأن يكون بينه و بين أحد من رجالهم بنبوة حقيقية أو مجازية و لو كانت بعده لأحد لم يكن ذلك الا لولده و لأن فائدة اثبات النبي تهيم شيء لم يأت به من قبله و قد حصل به صلى الله عليه و سلم التمام فلم يبق بعد ذلك مرام ـ بعثت لأتمم مكارم الأخلاق ـ (٢)

و يقول أبو السعود محمد العمادى الحنفي رحمه الله :((و خاتم النبيين)) انما كان آخرهم الذين ختموا به (٣)

و يقول محمد جمال الدين القاسمي في كلام له عن الآية :(فتمت الرسالات برسالته الى الناس أجمعين و ظهر مصداق ذلك بخيبة من ادعى النبوة بعده الى أن يرث الله الأرض و من عليها)(٤)

هذه هي أقوال المفسرين رحمهم الله في معنى قوله تعالى :((و خاتم النبيين))

---

(١)ـ الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي ٥/ ٢٠٤

(٢)ـ السراج المنير ٣/ ٢٣٨

(٣)ـ تفسير أبي السعود ٤/ ٤٢١

(٤)ـ محاسن التأويل لجمال الدين القاسمي ١٣/ ٤٨٢٤

و كلهم أجمعوا كما رأينا على أن معنى الآية الدالة عليه هو أن النبي صلى الله عليه و سلم آخر الأنبياء و المرسلين و خاتمهم فيه ختمت النبوة و الرسالة فلا يمكن لأحد بعده كائنا من كان أن يزعم أنه يتلقى عن الله أو قد زعم أنه يوحى اليه و بالتالي يعتبر قد كفر بعقيدة ختم النبوة و وقع في انحراف خطير يهوى به في المهالك و الدمار ان لم يتراجع عنه .

ثانيا : تصريحه صلى الله عليه و سلم بأنه مبعوث الى كافة الناس

لقد أمر الله عز و جل رسوله الكريم صلى الله عليه و سلم في كتابه العزيز بأن يقول للناس انه مبعوث اليهم كافة يقول الله عز و جل : ((قل يا أيها الناس اني رسول الله اليكم جميعا)) (١)

فهذه الآية الكريمة تدل على عموم رسالته صلى الله عليه و سلم الى الناس جميعا بمختلف لغاتهم و أجناسهم و ألوانهم و هذه هي احدى الخصائص التي انفرد بها صلى الله عليه و سلم عن الأنبياء قبله اذ كان النبي قبله يبعث الى قومه خاصة ثم يبقى غيرهم محتاجا الى من يبلغه أمر الله عز و جل و لئلا يتوهم هذا في رسولنا عليه الصلاة و السلام بين الله سبحانه و تعالى عموم رسالته الى الناس جميعا

و اليك أقوال المفسرين في تفسير هذه الآية

يقول أبو جعفر الطبرى رحمه الله :

(قل يا محمد للناس كلهم اني رسول الله اليكم جميعا لا الى بعضكم دون بعض كما كان من قبلى من الرسل مرسلا الى بعض الناس دون بعض فمن كان منهم أرسل كذلك فان رسالته ليست الى بعضكم دون بعض و لكنها الى جميعكم (٢)

---

(١) — الأعراف آية ١٥٨

(٢) — تفسير الطبرى ٩ / ٥٩

و يقول ابن كثير رحمه الله تعالى في تفسير هذه الآية :(يقول تعالى لنبيه و رسوله محمد صلى الله عليه و سلم قل يا محمد يا أيها الناس و هذا خطاب للأحمر و الأسود و العربي و العجمي :((اني رسول الله اليكم جميعا)) أي جميعكم و هذا من شرفه و عظمه صلى الله عليه و سلم انه خاتم النبيين و مبعوث الى الناس كافة) ثم ساق الآيات و الأحاديث الدالة على ذلك و قال بعدها :

(و الآيات في هذا كثيرة كما أن الأحاديث في هذا كثيرة من أن تحصى و هو معلوم من دين الاسلام ضرورة أنه صلوات الله و سلامه عليه رسول الله الى الناس كافة)(١)

و قد وردت آيات أخرى كثيرة تقرر هذا المعنى مثل قوله تعالى :((و ما أرسلناك الا كافة للناس))(٢)

و قوله تعالى :((و أرسلناك للناس رسولا))(٣)

و قوله تعالى :((و ما أرسلناك الا رحمة للعالمين))(٤)

و بما أن هذه الرسالة عامة و تخاطب جميع الناس بدون تخصيص أو تقييد فهي اذن تشمل من كان في عهده صلى الله عليه و سلم و من سيأتي بعده و بذلك العموم يتضح انها خاتمة الرسالات و آخرها اذ لا تحتاج البشرية الى دين جديد ما دام هذا الدين قد خاطبهم جميعا و وسعهم جميعا

و في ذلك يقول الزمخشري رحمه الله عن تفسير قوله تعالى :((و ما أرسلناك الا كافة للناس)) الا رسالة عامة لهم محيطة بهم لأنهم اذا شملتهم فقد كفتهم أن يخرج منها أحد منهم)(٥)

---

(١)— تفسير ابن كثير ٢/ ٢٥٤

(٢)— سورة سبأ آية ٢٨

(٣)— سورة النساء آية ٧٩

(٤)— سورة الأنبياء آية ١٠٧

(٥)— الكشاف للزمخشري ٢/ ٧

و من هنا نقول ان دعوى المتصوفة تلقي علومهم عن الله مباشرة دعوى باطلة لاأساس لها من الصحة لانها ليس لها دليل تعتمد عليه لأن الرسول محمد صلى الله عليه و سلم بعث الى كافة الناس و ليس هناك أحد من البشر يتلقى علوما خاصة به و لخاصة كما يزعم المتصوفة الأفاكين و بهذا بطلت دعوى المتصوفة التلقي عن الله لأن الباب الوحيد الذى يتكلم عن طريقه المخلوق قد أغلق ألا و هو باب النبوة و الى جانب ذلك فالرسالة المحمدية عامة لجميع البشر

ثالثا : من الآيات التي تدل على أن باب النبوة و التلقي عن الله قد أغلق كمال هذا الدين و تمامه و عدم الحاجة الى الاكمال .

لقد أخبرنا الله عز وجل في كتابه الكريم بأنه قد أكمل لنا ديننا و أتم علينا نعمته و رضي لنا دينه الاسلامي

قال تعالى : ((اليوم أكملت لكم دينكم و أتممت عليكم نعمتي و رضيت لكم الاسلام دينا)) (١)

في هذه الآية يمن الله سبحانه و تعالى على عباده المؤمنين بأنه قد أكمل هذا الدين فلا يحتاج الى رسول آخر يستدرك عليه شيئا أو يزيد عليه شيئا و يذكر سبحانه و تعالى أنها نعمة أنعم بها علينا باكمال الدين . . . ثم رضي لنا هذا الدين الكامل دينا نتعبد به

يقول الامام ابن كثير رحمه الله تعالى تحت هذه الآية : (هذه أكبر نعم الله تعالى على هذه الأمة حيث أكمل تعالى لهم دينهم فلا يحتاجون الى دين غيره و لا الى نبي غير نبيهم صلوات الله و سلامه عليه و لهذا جعله الله تعالى خاتم الأنبياء

---

(١) — سورة المائدة آية ٣

و بعثه الى الانس و الجن فلا حلال الا ما أحله و لا حرام الا ما حرمه و لا دين الا ما شرعه و كل شيء أخبر به فهو حق و صدق (١)

و قد أخرج الطبرى رحمه الله عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال : (أكملت لكم دينكم و هو الاسلام قال أخبر الله نبيه صلى الله عليهم و المؤمنين انه قد اكمل لهم الايمان فلا يحتاجون الى زيادة أبدا و قد أتمه الله عز ذكره فلا ينقصه أبدا و قد رضيه الله فلا يسخطه أبدا)(٢)

و يقول سيد قطب رحمه الله عن هذه الآية : (اليوم أكملت لكم دينكم و أتممت عليكم نعمتي و رضيت لكم الاسلام دينا) يقول : (فأعلن لهم اكمال العقيدة و اكمال الشريعة معا فهذا هو الدين و لم يعد للمؤمن أن يتصور ان بهذا الدين — بمعناه هذا — نقصا يستدعي الاكمال و لا قصور يستدعي الاضافة و لا محلية أو زمانية تستدعي التطوير أو التحوير و الا فما هو بمؤمن و ما هو بمقر بصدق الله و ما هو بمرتضي ما ارتضاه الله للمؤمنين)(٣)

هذه بعض أقوال المفسرين في هذه الآية الكريمة و كلها تؤكد لنا ان معنى الآية هو أن الأمة لم تعد تحتاج الى نبي أو الى من يزعم التلقي عن الله علوما خاصة به و لخاصة يكمل لها دينها أو يتم عليها نعمة ربها لأن الله سبحانه و تعالى قد أكمل هذا الدين على يد رسول الله صلى الله عليه و سلم ثم رضيه له و لأمته دينا يعبدون الله به الى يوم القيامة فمن زعم أن هناك لهداية البشر علما غير كتاب الله و سنة رسوله محمد صلى الله عليه و سلم فقد افترى على الله افتراء عظيما ذلك لأن الدين

---

(١) — تفسير ابن كثير ٢/ ١٢

(٢) — تفسير الطبرى ٦/ ٥١

(٣) — في ظلال القرآن لسيد قطب ٢/ ٨٤٣

قد كمل كما هو واضح في هذه الآية الكريمة لذا فدعوى الصوفية تلقي العلوم عن الله مباشرة محض افتراء فقط لا أساس له من الصحة و بقولهم هذا يعتبرون مناهضون لمدعي النبوة

رابعا : من الآيات التي تدل على ختم النبوة و عدم الحاجة الى من يزعم التلقي عن الله أو يدعي النبوة صراحة تعهد سبحانه و تعالى بحفظ هذا القرآن الكريم

لقد تعهد الله سبحانه و تعالى في كتابه العزيز بحفظ هذا الدين و ذلك بحفظ الأصل الذى يستقي منه هذا الدين ألا و هو كتاب الله عز و جل و ذلك حتى يبقى هذا الدين على صورته النقية لتتم به الحجة محفوظ و لئلا يكون هناك شك فيه و من الآيات التي تدل على أن الله تعهد بحفظ هذا الكتاب قوله عز و جل : ((انا نحن نزلنا الذكر و انا له لحافظون))(١)

يقول الامام الطبرى رحمه الله في تفسير هذه الآية :(و انا للقرآن لحافظون من أن يزاد فيه باطل ما ليس منه أو ينقص منه ما هو منه من أحكامه و حدوده و فرائضه)(٢)

و يقول الزمخشرى رحمه الله تعالى في تفسير هذه الآية :(و هو حافظ له في كل وقت من كل زيادة و نقصان و تحريف و تبديل بخلاف الكتب المتقدمة فانه لم يتول حفظها و انما استحفظها الربانيين و الأحبار فاختلفوا فيما بينهم بغيا فكان التحريف و لم يكل الى غيره حفظه)(٣)

و صدق الله العظيم و ها نحن الآن نرى القرآن الكريم بين أيدينا محفوظا يضيء الطريق لكل من أراد الوصول الى مرضاة الله سبحانه و تعالى غضا طريا كما أنزل لم يزاد فيه باطل و لم ينقص منه كما قال الله سبحانه في كتابه :((لا يأتيه الباطل من بين يديه و لا من خلفه تنزيل من حكيم حميد))(٤)

---

(١)— الحجر آية ٩

(٢)— تفسير الطبرى ١٤/ ٦

(٣)— الكشاف للزمخشرى ٢/ ٣٨٦

(٤)— فصلت آية ٤٢

و هكذا فلا رسول بعد الرسول محمد يزعم التلقي عن الله من أجل هداية البشر لأن هذا القرآن محفوظ وفيه الهداية و النور لمن أراد أن يهتدى الى الصرط المستقيم أما المدعون تلقي العلوم عن الله فهم كذبة دجاجلة متجرؤون على الله و على رسوله لأنهم بقولهم هذا يكذبون الله و رسوله و هذا معتقد خبيث لا يقدم عليه الا من فرغ قلبه من الايمان بالله و رسوله و الا فكيف يجرء الانسان على أن يزعم أنه يتلقى علوما عن الله مباشرة مع قول الله عز وجل :

((ما كان محمد أبا أحد من رجالكم و لكن رسول الله و خاتم النبيين))(١)

و بهذا نكتفي بالنسبة للأدلة القرآنية الدالة على أن النبوة قد ختمت بالرسول محمد صلى الله عليه و سلم و بختم النبوة قد أغلق باب زعم التلقي عن الله و على هذا يصبح المدعون لتلقي العلوم عن الله كذبة فجرة فسقة دجاجلة ينبغي أن يتوبوا الى الله و يرجعوا عن هذه العقيدة الباطلة لأن القول ببقاء الباب مفتوحا لتلقي العلوم عن الله يساوى القول بعدم ختم النبوة و هذا يفتح الباب لكل دجال أفاك تسول له نفسه إدعاء التلقي عن الله

---

(١) — الأحزاب آية ٤٠

ثانيا : الأدلة من السنة على ختم واغلاق باب التلقي عن الله بعد الرسول محمد صلى الله عليه و سلم

ان المتبع لأحاديث رسول الله صلى الله عليه و سلم سيرى أنها قد أكدت بأن النبوة قد ختمت وان الوحي قد انقطع بعد الرسول محمد صلى الله عليه و سلم بعبارات مختلفة و متنوعة يصل بعضها الى حد التواتر و هي في جملتها متواترة تواترا قطعيا بحيث لا يبقى مجال للشك أو التردد في كون رسول الله صلى الله عليه وسلم خاتم الأنبياء لا نبي بعده و لا شرع بعد شرعه

و قد قال بهذا التواتر كثير من العلماء منهم ما يلي :

فمن العلماء الذين قالوا بتواتر الأخبار عن رسول الله بأنه خاتم الأنبياء عبد القاهر ابن طاهر البغدادى رحمه الله فقد قال : (و قد تواترت الأخبار عنه صلى الله عليه وسلم بقوله : (لا نبي بعدى) .) (١)

و منهم ابن حزم رحمه الله فقد قال : (و قد صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بنقل الكواف التي نقلت نبوته و كتابه أنه أخبر أنه لا نبي بعده) (٢)

و منهم الامام ابن كثير رحمه الله فقد قال في تفسيره : (و قد أخبر الله تعالى في كتابه ورسوله صلى الله عليه وسلم في السنة المتواترة عنه أنه لا نبي بعده ليعلموا أن كل من ادعى هذا المقام بعده فهو كذاب أفاك دجال ضال مضل) (٣)

و منهم السيوطي رحمه الله فقد قال : ان حديث (أعطيت خمسا لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلي) متواتر و كذلك حديث (أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى

---

(١) — أصول الدين للبغدادى ١٦٣

(٢) — الفصل في الملل و الأهواء و النحل لابن حزم ١ / ٧٧

(٣) — تفسير ابن كثير ٣ / ٤٩٤

غير أنه لا نبي بعدى) أنه متواتر(١)

و قد وردت الأحاديث المؤكدة لختم النبوة و انغلاق باب التلقي عن الله سبحانه و تعالى نهائيا بصور شتى و ألفاظ متعددة بحيث لا يبقى هناك شك الى أن باب التلقي عن الله قد أغلق نهائيا

فمن هذه الأحاديث التي تؤكد لنا بأن النبوة قد انقطعت و أنه ليس هناك نبي بعد الرسول محمد صلى الله عليه وسلم :

ما رواه ابن عباس رضي الله عنهما قال : كشف رسول الله صلى الله عليه وسلم الستار و الناس صفوف خلف أبي بكر رضي الله عنه فقال : أيها الناس انه لم يبق من مبشرات النبوة الا الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو ترى له (٢)

و عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ليس يبقى بعدى من النبوة الا المبشرات . قالوا : و ما المبشرات يا رسول الله ؟ قال : الرؤيا الصالحة يراها الرجل الصالح أو ترى له جزء من ستة و أربعين جزءا من النبوة (٣)

و عن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (لا يبقى بعدى من النبوة شيء الا المبشرات . قالوا : يا رسول الله و ما المبشرات؟ قال : الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو ترى له) رواه البزار (٤)

و عن أبي الطفيل رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لا نبوة بعدى الا المبشرات) قال : (قيل : و ما المبشرات يا رسول الله ؟ قال الرؤيا الحسنة أو قال الرؤيا الصالحة) رواه الطبراني (٥)

---

(١) — الأزهار المتناثرة في الأحاديث المتواترة للسيوطي ٣٦

(٢) — سنن النسائي ٢ / ١٨٦

(٣) — موطأ مالك مع شرح الزرقاني ٤ / ٣٥٣

(٤) — مجمع الزوائد ٧ / ١٧٢

(٥) — مجمع الزوائد ٧ / ١٧٣ و قال : رجاله ثقات .

وعن أم كرز الكعبية رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (ذهبت النبوة و بقيت المبشرات) رواه الدارمي (١) والحميدى (٢)

و من الأدلة لختم النبوة الحديث الذى رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (ان مثلي و مثل الأنبياء قبلي كمثل رجل بنى بيتا فأحسنه و أجمله الا موضع لبنة من زاوية فجعل الناس يطوفون به و يتعجبون له و يقولون هلا وضعت اللبنة. قال: فأنا اللبنة و أنا خاتم النبيين) رواه البخارى (٣)

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: (مثلي و مثل الأنبياء كرجل بنى دارا فأتمها و أكملها الا موضع اللبنة. ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: فأنا موضع اللبنة جئت فختمت الأنبياء) (٤) رواه مسلم

وعن أبي سعيد الخدرى رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: (مثلي و مثل النبيين من قبلي كمثل رجل بنى دارا فأتمها الا لبنة واحدة فجئت أنا فأتممت تلك اللبنة) رواه أحمد (٥)

اذا نظرنا في الأحاديث السابقة نجد أنها تتناول قضية الختم من طريق التمثيل و التشبيه الذى هو أقرب الأساليب الى الفهم حيث شبه النبي صلى الله عليه و سلم النبوة ببيت لبناته هم أنبياء الله عز و جل الذين اختارهم قبل نبينا محمد عليه أفضل الصلاة و السلام و أن البيت قد بني و جمل و كمل و لم يبق فيه الا موضع لبنة واحدة و لا يزال البيت بدونها ناقصا فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فكمل ذلك البناء و سد

---

(١) — سنن الدارمي ٢/ ١٢٣

(٢) — مسند الحميدى ١/ ١٦٧

(٣) — صحيح البخارى مع الفتح ٦/ ٥٥٩

(٤) — صحيح مسلم مع النووى ١٥/ ٥٢

(٥) — مسند أحمد ٣/ ٩

ذلك المكان ولم يبق ثمة موضع آخر للبنة أخرى تجيء بعد كما زعم ابن عربي ومن سار على نهجه من المتصوفة وبذلك يكون بناء النبوة قد كمل وتم بعد مجيء رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى قد ختم به ذلك البناء فكان بذلك آخر الأنبياء وبذلك تقرر عقيدة ختم النبوة في نفوس هذه الأمة ولا يبقى هناك مجال للكذب والادعاء بأن أحدا ما يزعم أنه يتلقى العلم عن الله بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم والا يصبح كاذبا مفتريا على الله

يقول ابن حجر رحمه الله :(وفي الحديث ضرب الأمثال للتقريب للأفهام وفضل النبي صلى الله عليه وسلم على سائر النبيين وأن الله ختم به المرسلين وأكمل به شرائع الدين)(١)

ومن الصور التي أكد بها صلى الله عليه وسلم بأنه خاتم الأنبياء وأن الوحي قد انقطع بعده اخباره بعموم رسالته

لقد أخبر الرسول صلى الله عليه وسلم بأن رسالته عامة لجميع البشر على اختلاف أجناسهم ولغاتهم وألوانهم وأوطانهم

فمن الأحاديث الدالة على عموم رسالته عن جابر بن عبدالله رضي الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال :(أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلي : نصرت بالرعب مسيرة شهر وجعلت لي الأرض مسجدا وطهورا فايما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي وأعطيت الشفاعة وكان النبي يبعث الى قومه خاصة وبعثت الى الناس عامة) رواه البخارى (٢) والنسائي (٣) والدارمي (٤)

وعن أبي ذر الغفارى رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

---

(١)— فتح الباري ٦/ ٥٥٩

(٢)— صحيح البخارى مع الفتح ١/ ٤٣٦ ومشكاة المصابيح ٣/ ١٦٠١

(٣) سنن النسائي ١/ ٢٢٢ مع اختلاف في الترتيب

(٤)— سنن الدارمي ١/ ٢٠٩

(أوتيت خمسا لم يؤتهن نبي قبلي : نصرت بالرعب فيرعب مني العدو عن مسيرة شهر و جعلت لي الأرض مسجدا و طهورا و أحلت لي الغنائم و لم تحل لأحد كان قبلي وبعثت الى الأحمر و الأسود)(١)

و عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (أعطيت الليلة خمسا ما أعطيهن أحد قبلي : أما أنا فأرسلت الى الناس كلهم . . .)(٢)

اذا نظرنا في الأحاديث السابقة نجدها كلها تدل دلالة صريحة وواضحة تدل على عموم بعثه صلى الله عليه وسلم الى الناس كافة من غير استثناء أو تقييد بزمن دون زمن مما يؤكد أن المراد بذلك العموم هو عموم مكاني بحيث لا يخرج عنه مكان في الأرض كلهـــا و عموم زماني كذلك بحيث يمتد منذ وجوده صلى الله عليه و سلم الى قيام الساعة و هـــذه الأحاديث نوع آخر من الأدلة النبوية التي تؤكد على أن النبوة قد ختمت و بختم النبوة فقد انقطع الوحي و التلقي عن الله و بذلك يصبح كل من يزعم ذلك مفتريا على الله .

أقوال علماء الأمة الاسلامية رحمهم الله في ختم النبوة و انقطاع الوحي بعد رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم :

لقد أجمع علماء الأمة الاسلامية على القول بختم النبوة برسول الله محمد صلى اللـــه عليه وسلم و بختم النبوة فقد انقطع الوحي و التلقي عن الله و لم يبق بين أيدينا شيئا نهتدي عن طريقه الى الطريق القويم الا كتاب الله و سنة رسوله محمد صلى الله عليه وسلم

فمن العلماء الذين أكدوا اجماع المسلمين على القول بختم النبوة برسول الله صلى الله عليه وسلم البغدادي رحمه الله فقد قال : (أجمع المسلمون و أهل الكتاب على أن أول من أرسل من الناس آدم عليه السلام و أولهم آدم و آخرهم عند المسلمين محمد صلى الله

---

(١) — مسند أبي داود الطيالسي ٢/١٢٢

(٢) — مجمع الزوائد للهيثمي ١٠/٣٦٧

عليه وسلم)(١)

و قال أيضا : (كذلك كل من أقر بنبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم أقر بأنه خاتم الأنبياء و الرسل و أقر بتأييد شريعته و منع من نسخها)(٢)

و من العلماء الذين ذكروا الاجماع على القول بأن الرسول محمد صلى الله عليه وسلم خاتم الأنبياء و أن الوحي قد انقطع بعده القاضي عياض فقد قال رحمه الله : (أخبر صلى الله عليه وسلم أنه خاتم النبيين لا نبي بعده و أخبر عن الله تعالى أنه خاتم النبيين و أنه أرسل كافة للناس و أجمعت الأمة على حمل هذا الكلام على ظاهره و أن مفهومه المراد منه دون تأويل و لا تخصيص)(٣) .

و من العلماء الذين أكدوا ختم النبوة و انقطاع الوحي بعد رسول الله صلى الله عليه و سلم شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله فقد قال : (و لما كان محمد صلى الله عليه وسلم رسولا الى جميع الثقلين جنهم و انسهم عربهم و عجمهم و هو خاتم الأنبياء لا نبي بعده كان من نعم الله على عباده و من تمام حجته على خلقه)(٤)

و يقول ابن خلدون رحمه الله و هو يتحدث عن معاني الختم : (و يطلق على النهاية و التمام و منه الأمر اذا بلغت آخره و ختمت القرآن و منه خاتم النبيين و خاتم الأمر)(٥)

---

(١) ــ أصول الدين للبغدادي ١٥٩ و الفرق بين الفرق ٣٣٢ .

(٢) ــ أصول الدين ١٦٢

(٣) ــ الشفاء ٢ / ٢٧٠

(٤) ــ الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لشيخ الاسلام ابن تيمية ٤ / ٦٣

(٥) ــ المقدمة لابن خلدون ٢٦٤

و يقول زين العابدين بن نجيم : (اذا لم يعرف المسلم أن محمد آخر الأنبيـــاء فليس بمسلم لأنه من الضروريات)(١)

و يقول القسطلاني : (ان الوحي منقطع بموته صلى الله عليه وسلم)(٢)

و يقول سعد الدين التفتازاني : (قد دلت النصوص و انعقد الاجماع أنه مبعـوث الى الناس كافة بل الى الثقلين لا الى العرب خاصة و أنه خاتم النبيين لا نبي بعده ولا نسخ لشريعته)(٣)

و يقول اسماعيل حقي في تفسيره روح البيان عن قوله تعالى : ((و خاتم النبيين)) : (و كان آخرهم الذى ختموا به)(٤)

---

(١)ـ الأشباه و النظائر ١٣٨

(٢)ـ ارشاد السارى ١٠/١٢٨

(٣)ـ شرح المقاصد ٢/١٩١

(٤)ـ روح البيان ٣/١٢٢

المبحث الثاني : اعتقادهم بأن هناك مجموعة من الأولياء لهم ألقاب خاصة بهم يتصرفون في هذا الكون و يتحكمون فيه :

و تحته مطلبان

المطلب الأول : مراتب الأولياء و وظائفهم عندهم و ذكر نماذج من النصوص عنهم تثبت بأنهم يعتقدون أن للأولياء تصرفا في هذا الكون

المطلب الثاني : موقف أهل الاسلام من هذه المراتب و ممن يدعي التصرف لغير الله

المطلب الأول : مراتب الأولياء و وظائفهم و ذكر نماذج من النصوص عنهم تثبت بأنهم

يعتقدون بأن للأولياء تصرفا في هذا الكون :

لقد اخترع الصوفية و ابتدعوا من عند أنفسهم مراتبا و ألقابا من عند أنفسهم لمن يصفونهم بأنهم أولياء الله بقطع النظر عن الشخص الذى يصفونه بهذا الوصف و هل هو مستحق لهذا الوصف العظيم و هو وصف ولي الله أو غير مستحق ذلك لأن اطلاق هذا اللفظ على شخص بعينه فيه شهادة له و تأكيد بأنه من المرضي عنهم دنيا و أخرى و هذا فيه جرأة عظيمة على الله و لو لاحظنا غالب من يعتبرهم المتصوفة بأنهم أولياء الله نجد بأنهم أصحاب دجل و كهانة و شعوذة و بدع و خرافات و يظهر هذا لكل من يقرأ في كتبهم و يلاحظ سلوكهم

و من جملة البدع التي ابتدعها المتصوفة هي احداث ألقاب لمن يطلقون عليهم أولياء الله فقد ذكر الصوفية ألقابا لأولياء الله لم ترد في الكتاب و لا في السنة و انما أتوا بها من عند أنفسهم و اليك هذه المراتب و الألقاب و الوظائف التي ذكرها الصوفية في كتبهم .

أولا : مراتب الأولياء عند الصوفية

فمن الصوفية : الذين ذكروا هذه المراتب و الألقاب و الوظائف محي الدين بن عربي و الذى يصفه الصوفية : بأنه الشيخ الأكبر و الكبريت الأحمر فقد قال متحدثا عن مراتب الأولياء عند الصوفية :

(فمنهم الأقطاب و منهم الأئمة و منهم الأوتاد و منهم الأبدال و منهم النقباء و منهم النجباء و منهم الرجيبيون ومنهم الأفراد و ما فيهم طائفة الا قد رأيت منهم و عاشرتهم

ببلاد المغرب و ببلاد الحجاز و الشرق)(١)

و من الصوفية الذين ذكروا هذه المراتب لأولياء الصوفية لسان الدين الخطيب فقد قال متحدثا عن هذه المراتب :

(خواص الله في أرضه و رحمة الله في بلاده على عباده : الأبدال و الأقطاب و الأوتاد و العرفاء و النجباء و النقباء و سيدهم الغوث)(٢)

و كما نلاحظ فقد ذكر لسان الدين نفس المراتب التي ذكرها محي الدين ابن عربي و زاد عليها لقبين و مرتبتين و هما العرفاء و الغوث و ليس هذا بغريب عند المتصوفة لأنهم يتكلمون بأهوائهم و من يتكلم بهواه فالاختلاف ليس بغريب عليه

و من الهوفية الذين ذكروا هذه المراتب و الألقاب للأولياء عند المتصوفة الهجويرى حيث قال متحدثا عن هذه المراتب و الألقاب :

(هم أهل الحل و العقد و قادة حضرة الحق جل جلاله فثلاثمائة يدعون الأخيار و أربعون آخرون يسمون الأبدال و سبعة آخرون يقال لهم الأبرار و أربعون يسمون الأوتاد و ثلاثة آخرون يقال لهم النقباء و واحد يسمى القطب و الغوث و هؤلاء جميعا يعرفون الآخر و يحتاجون في الأمور لأذن بعضهم البعض)(٣)

اذا نظرنا في النص السابق نرى بوضوح أن الهجويرى ذكر ألقابا و مراتب لم يذكرها محي الدين بن عربي و لسان الدين الخطيب فقد أتى بلقبي الأخيار و الأبرار و هذان لقبان انفرد بهما عمن سبق ذكره و لا عجب في ذلك فكل الألقاب أتى بها المتصوفة من

---

(١)— الفتوحات المكية لابن عربي ٣/ ٢٤٤

(٢)— روضة التعريف بالحب الشريف ٤٣٢

(٣)— كشف المحجوب للهجويرى ٤٤٧— ٤٤٨

عند أنفسهم و من يتبع هواه يقول ما يريد لأنه ليس له عاصم يعصمه من القول على الله بغير علم

هذه هي المراتب التي ذكر الصوفية في كتبهم لأولياء الله سبحانه و تعالى و هذه المراتب و الألقاب التي ذكرها الصوفية اذا عرضناها على كتاب الله و سنة رسوله محمد صلى الله عليه و سلم نجد أنها لم ترد فيها نهائيا و بما أن المقصود هنا في هذا المطلب اقامة الحجة على أن الصوفية بالفعل ابتدعوا مراتب و ألقابا لأولياء الله من عند أنفسهم و قد أثبتنا هذا فالنترك الرد لحينه لأنه سيأتي في المطلب الثاني من هذا المبحث ان شاء الله تعالى (١)

ثانيا : معاني هذه الألفاظ و وظيفة أصحاب كل مرتبة عند الصوفية :

لقد وضح مشائخ الصوفية معاني هذه الألفاظ و وظيفة صاحب كل مرتبة توضيحا شافيا لا غموض فيه

و النبدأ بمعنى كلمة القطب أو الأقطاب و وظائفهم عند الصوفية :

القطب

لقد تكلم كثير من مشائخ الصوفية عن معنى القطب عندهم و من جملة المشائخ الذين تكلموا عن القطب و الأقطاب محي الدين بن عربي فقد قال متحدثا عن الأقطاب :

(الأقطاب جمع قطب و هو عبارة عن الواحد الذى هو موضع نظر الله في العالم و يقال الغوث و هو على قلب اسرافيل) (٢)

و قد تحدث ابن عربي أيضا عن أسماء القطب و أوصافه فقال : (ان اسم القطب

---

(١) انظر ٦٢١ - ٦٣٤

(٢) — الفتوحات المكية لابن عربي ٣ / ٢٤٤

في كل زمان عبدالله و عبدالجامع المنعوت بالتخلق و التحقق بمعاني جميع الأسماء الالهية بحكم الخلافة و هو مرآة الحق تعالى و مجلى النعوت المقدسة و محل المظاهر الالهية و صاحب الوقت و عين الزمان و صاحب علم سر القدر و له علم دهر الدهور و من شأنه أن يكون الغالب عليه الخفاء لأنه محفوظ في خزائن الغيرة ملتحف بأردية الصون لا يعتريه شبهة في دينه قط و لا يخطر له خاطر يناقض مقامه كثير النكاح و رغب محب للنساء يوفي الطبيعة حقها على الحد المشروع له)(١)

و قد أكد محي الدين بن عربي ان الأقطاب لم يخلو منهم زمان منذ أن خلق الله البشرية و اليك نص كلامه فقد قال :

(ان الأقطاب لا يخلو عصر منهم و جملة الأقطاب المكلين من الأمم السالفة من عهد آدم عليه السلام الى محمد صلى الله عليه و سلم خمسة و عشرون قطبا أشهدنيهم الحق تعالى في مشهد قدس في حضرة برزخية و أنا بمدينة قرطبة و هم : الغرق و مداوى الكلوم و البكاء و المرتفع و الماضي و الماحق و العاقب و المنحور و سجر الماء و عنصر الحياة و الشريد و الصائغ و المراجع و الطيار و السالم و الخليفة و المقسوم و الحي و الراقي و الواسع و البحر و المنصف و الهادى و الأصلح و الباقي فهؤلاء هم الأقطاب الذين سموا لنا من آدم الى محمد و أما القطب الواحد المدد لجميع الأنبياء و الرسل و الأقطاب من حيث النشيء الانساني الى يوم القيامة فهو روح محمد صلى الله عليه و سلم)(٢)

و قد زعم ابن عربي ان لكل اقليم أو قرية قطبا صغيرا ينوب عن القطب الكبير فقال :

(و اعلم ان لكل بلد أو قرية أو اقليم قطبا غير الغوث به يحفظ الله تعالى تلك الجهة سواء أكان أهلها مؤمنين أو كفارا و كذلك القول في الزهاد و العباد و المتوكلين و غيرهم

---

(١)— اليواقيت و الجواهر في عقيدة الأكابر ٢ / ٧٦

(٢)— نفس المرجع ٢ / ٨٢

لا بد لكل صنف منهم من قطب يكون مدارهم عليه

و قال ابن عربي أيضا : (قد اجتمعت بقطب المتوكلين فرأيت مقام المتوكل يدور عليه دوران الرحى حين تدور على قطبها و هو عبد الله بن الاستاذ ببلاد الأندلس صحبته زمانا طويلا و كذلك اجتمعت بقطب الزمان سنة ثلاث و تسعين و خمسمائة بمدينة فاس و كان أشل اليد فتكلمت على مقام القطبية في مجلس كان فيه فأشار على ان استره عن الحاضرين ففعلت)(١)

و قد تحدث التيجاني عن حقيقة القطبانية في المفهوم الصوفي فقال : (ان حقيقة القطبانية هي الخلافة العظمى عن الحق مطلقا في جميع الوجود جملة و تفصيلا حيثما كان الرب الها كان هو خليفة في تصريف الحكم و تنفيذه في كل من له عليه ألوهية لله تعالى فلا يصل الى الخلق شيء كائنا ما كان من الحق الا بحكم القطب ثم قيامه في الوجود بروحانيته في كل ذرة من ذرات الوجود فترى الكون أشباحا لا حركة و انما هو الروح القائم فيها جملة و تفصيلا ثم تصرفه في مراتب الأولياء فلا تكون مرتبة في الوجود للعارفين و الأولياء خارجة عن ذوقه فهو المتصرف في جميعها و المدد لأربابها به يرحم الوجود و به يبقى الوجود في بقاء الوجود رحمة لكل العباد و جودة في الوجود حياة لروحه الكلية و تنفس نفسه يمد الله به العلوية و السفلية ذاته مرآة مجردة يشهد فيها كل قاصد مقصده)(٢)

اذا نظرنا في النص السابق نجد أن المتصوفة يعتبرون القطب هو المتصرف الوحيد في هذا الكون لأنه نائب عن الله

---

(١)— اليواقيت و الجواهر في عقيدة الأكابر ٢ / ٨٣

(٢)— جواهر المعاني ٢ / ٨٠

و يدعي محي الدين بن عربي بأنه اجتمع بالأقطاب الذين كانوا في الأمم السابقة في البرزخ فيقول تحت عنوان :

أقطاب الأمم السابقين

و أما أقطاب الأمم المكلفين في غير هذه الأمة ممن تقدمنا بالزمان فجماعة ذكرت لي أسماؤهم باللسان العربي لما أشهدتهم و رأيتهم في حضرة برزخية و أنا بمدينة قرطبة في مشهد قدس ثم ذكر أسماءهم (١)

مدة حكم القطب :

يعتقد الصوفية بأن للقطب ليست له مدة معينة لحكمه و أنه يمكث حسب المدة التي قدرها الله له و في هذا يقول محي الدين بن عربي :

(ليس للقطب مدة معينة فقد يمكث القطب في قطبيته سنة أو أكثر أو أقل الى يوم الى ساعة فانها مقام ثقيل لتحمل صاحبها أعباء الممالك الأرضية كلها ملوكها و رعاياها

و قال ابن عربي أيضا : (ان كل قطب يمكث في العالم الذى هو فيه على حسب ما قدر الله عز وجل ثم تنسخ دعوته بدعوة أخرى كما تنسخ الشرائع بالشرائع و أعني بالدعوة ما لذلك القطب من الحكم و التأثير في العالم

فمن الأقطاب من يمكث في قطبيته الثلاث و الثلاثين سنة و أربعة أشهر و منهم من يمكث فيها ثلاث سنين و منهم و منهم كما يؤيد ذلك مدة خلافة أبي بكر و عمر و عثمان و علي فانهم كانوا أقطابا بلا شك)(٢)

العلامة التي يتميز بها القطب عن غيره من البشر

لقد ذكر الشيخ أبو الحسن الشاذلي أن للقطب خمسة عشر علامة و هي :

---

(١)— الفتوحات المكية لابن عربي ٣ / ٢٤٧

(٢)— اليواقيت و الجواهر في عقيدة الأكابر ٢ / ٨٣

(أن يمد بمدد العصمة و الرحمة و الخلافة و النيابة و مدد حملة العرش العظيم و يكشف له عن حقيقة الذات و احاطة الصفات و يكرم بكرامة الحلم و الفضل بين الموجودين و انفصال الأول عن الأول وما انفصل عنه الى منتهاه و ما ثبت فيه حكم ما قبل و ما بعد و حكم من لا قبل له و لا بعد و علم الاحاطة بكل علم و معلوم ما بدا من السر الأول الى منتهاه ثم يعود اليه)(١)

كما نرى في النص السابق فقد وصف أبو الحسن الشاذلي القطب بأوصاف لا تليق الا بالله عز و جل و على هذا يعتبر المتصوفة القطب مساويا لله سبحانه و تعالى في علمه و صفاته و تصرفه في هذا الكون و هذا غلو شديد يؤدى بمن يعتقده الى الخروج كلية عن الاسلام لأن من يعتقد بأن القطب يتصف بهذه الأوصاف المذكورة في النص السابق فقد اتخذه رباو الها مع الله و هذا شرك عظيم

و بالجملة اذا نظرنا في النصوص السابقة كلها نخرج بنتيجة واحدة و هي أن المتصوفة يعتقدون بأن كل هذا الكون و تصريفه بيد القطب و كأنه الوزير النائب عن الله فلا يكون شيء في هذا الكون الا عن طريق القطب الصوفي المزعوم و الذى لا وجود له في الحقيقة و انما وجوده في خيال المتصوفة فقط و ليس له أصل لا في الكتاب و لا في السنة

و بهذا نكتفي في مجال القطب و ننتقل الى المرتبة الثانية من المراتب التي وضعها الصوفية للأولياء و هي مرتبة البدلية

المرتبة الثانية البدل أو البدلاء

يعتقد المتصوفة أن هناك رجالا سبعة يقال لهم الأبدال يحفظون هذه الأقاليم

---

(١) — أبو الحسن الشاذلي

السبعة أى القارات التي يعيش فيها هذا العالم و أن كل بدل مكلف باقليم واحد يحفظه من كل سوء و يحميه

و اليك نصوص من بطون كتبهم :

فقد قال محي الدين بن عربي متحدثا عن الأبدال :

(أما الأبدال فهم سبعة رجال من سافر منهم من موضع ترك على صورته جسدا أى شبحا يحيى بحياته و يظهر بأعمال أصله

و قال أيضا في مكان آخر : (اعلم ان ثم رجالا سبعة يقال لهم الأبدال يحفظ الله بهم الأقاليم السبعة لكل بدل اقليم و اليهم تنظر روحانيات السماوات السبع و لكل شخص منهم قوة منبعثة من روحانيات الأنبياء الكائنين في هذه السماوات و هم ابراهيم الخليل يليه موسى يليه هارون يتلوه ادريس يتلوه يوسف يتلوه عيسى يتلوه آدم سلام الله عليهم أجمعين) (١)

و قال ابن عربي أيضا متحدثا عن الأبدال :

(وهذه الجملة أى السبعة هم الأبدال و قالوا سموا أبدالا لكونهم اذا مات واحد منهم كان الآخر بدله

و قيل سموا بذلك لأنهم أعطوا من المقدرة و القوة أن يتركوا بدلهم حيث يريدون لآخر يقوم في نفوسهم على علم منهم فان لم يكن على علم منهم فليس من أصحاب هذا المقام فقد يكون من صلحاء الأمة و قد يكون من الأفراد) (٢)

و قال صاحب كتاب معجم مصطلحات الصوفية في وصف الابدال :

(هم سبعة رجال فمن سافر منهم عن موضعه و ترك جسدا على صورته حيا بحياته ظاهرا بأعمال أصله بحيث لا يعرف أحد أنه فقد فذلك هو البدل لا غير و هو في

---

(١) - الفتوحات المكية لابن عربي ٢ / ٣٧٦

(٢) - الفتوحات المكية لابن عربي ٢ / ٤٠٠

تلبسه بالأجساد و الصور على صورته على قلب ابراهيم عليه السلام)(١)

و قال أبو عثمان القسيرى :البدلاء أربعون و الأمناء سبعة و الخلفاء من الأئمة ثلاثة و الواحد هو القطب فالقطب عارف بهم جميعا و مشرف عليهم و لم يعرفه أحد و لا يتشرف عليه و هو امام الأولياء فالثلاثة الذين هم الخلفاء من الأئمة يعرفون السبعة و يعرفون الأربعين و هم البدلاء و الأربعون يعرفون سائر الأولياء من الأئمة و لا يعرفهم من الأولياء أحد فاذا نقص واحد من الأربعين ابدل مكانه من الأولياء)(٢) ,

المرتبة الثالثة مرتبة الوتد أو الأوتاد :

يعتقد الصوفية بأن هناك مرتبة للأولياء تسمى الأوتاد و يعتقد المتصوفة بأن هؤلاء الأوتاد يحفظون هذا الكون الذى نعيش فيه

قال صاحب معجم مصطلحات الصوفية عن الأوتاد :

(الأوتاد هن أربعة رجال منازلهم على منازل الجهات الأربع من العالم شرق و غرب و شمال و جنوب مع كل واحد منهم مقام تلك الجهة و يحفظ الله بهم تلك الجهات لكونهم مجال نظره تعالى و الولي يتنور بصورهم فيكم الناس في الباطن و الظاهر و يخبرهم)(٣)

و قد تحدث محي الدين بن عربي عن الأوتاد فقال :

(و أما حديث الأوتاد الذين يتعلق معرفتهم بهذا الباب فاعلم أن الأوتاد الذين يحفظ الله بهم للعالم أربعة لا خامس لهم و هم أخص من الأبدال و الامام أخص منهم و القطب هو أخص الجماعة

ثم قال في وصف الأوتاد : (و اعلم ان هؤلاء يحوون على علوم جمة كثيرة فالذى

---

(١)— معجم مصطلحات الصوفية ٩٢

(٢)— معجم مصطلحات الصوفية للدكتور عبد المنعم الحفني ٩٢

(٣)— نفس المرجع ٢٤

لا بد لهم من العلم به و به يكونون أوتادا فما زاد من العلوم فمنهم من له خمسة عشر علما و منهم من له و لا بد ثمانية عشر علما و منهم من له واحد و عشرون علما و منهم من له أربعة و عشرون علما

و لكل وجهة وتد يشفع يوم القيامة فيمن دخل عليه ابليس من جهته)(١)

المرتبة الرابعة : من المراتب التي ابتدعها المتصوفة للأولياء مرتبة الأفراد

و قد تكلم محي الدين بن عربي عن الأفراد و أطال الحديث عنهم فقال : (أما الأفراد فهم الخارجون عن دائرة القطب و هم الذين على بينة من ربهم و هم في هذه الأمة بمنزلة الأنبياء في الأمم الخالية

و قال في وصفهم أيضا :

الأفراد لهم الأولوية في الأمور

فالانكار ليس من شأنهم فان لهم الأولية في الأمور فهم ينكر عليهم و لا ينكرون قال الجنيد : لا يبلغ أحد درج الحقيقة حتى يشهد فيه ألف صديق بأنه زنديق و ذلك لأنهم يعلمون من الله ما لا يعلمه غيرهم ثم قال : الأفراد هم أصحاب العلم الباطن(٢)

و كما نلاحظ في النص السابق أصحاب هذه المرتبة من مراتب الأولياء لا يخضعون لحكم القطب بل هم خارجون عنه و أن من صفاتهم لا ينكرون المنكر و أنه لا يبلغ أحد هذه الدرجة حتى ينكر عليه الصديقون أفعاله لأنه مخالف لأحكام الشريعة و هو يفعل ذلك لأنه عنده علم الحقيقة الذى لا يعلمه الا من وصل هذه الدرجة ألا و هي درجة الانحلال الكلي و رمي الشريعة جانبا و العمل حسب ما يأمرهم به علمهم الباطن الذى تلقوه عن ابليس قائد هم الكبير الى مخالفة أمر الله و عصيانه و العمل على اضلال عباده

---

(١)— الفتوحات المكية لابن عربي ٢ / ٤٠١
(٢)— الفتوحات المكية لابن عربي ٣ / ٢٤٤

المرتبة الخامسة : من المراتب التي ابتدعها المتصوفة للأولياء مرتبة النقباء

و لقد عرف النقباء صاحب كتاب معجم مصطلحات الصوفية فقال : (أما النقباء فهم الذين استخرجوا خبايا النفوس و أشرفوا على الضمائر لتحققهم بالعبودية) (١)

اذا النقباء هم الذين يعرفون ما في الضمائر و معنى ذلك هم الذين يعلمون الغيب .

المرتبة السادسة : من المراتب التي وضعها الصوفية مرتبة النجباء

و قد عرفهم صاحب كتاب معجم مصطلحات الصوفية بما يلي فقال :

(أما النجباء فهم أربعون شخصا مشغولون بحمل أثقال الخلق فلا يتصرفون في حق أنفسهم بل في حق غيرهم) (٢)

المرتبة السابعة : من المراتب التي وضعها الصوفية و ابتدعوها من عند أنفسهم

مرتبة الأئمة

و قد تحدث محي الدين بن عربي عن هذا عند المتصوفة فقال : (أما الأئمة فهما اماما أحدهما عن يمين القطب و نظره في عالم الملكوت و اسمه عبد الرب و الآخر عن يساره و نظره في عالم الملك و اسمه عبد الملك و هو الذى يخلف القطب اذا درج) (٣)

إذا نظرنا في النص السابق نرى بوضوح أن المتصوفة يقصدون بلفظ الأئمة الاماميين اللذين يجلسان عن يمين القطب و يساره و هذا حسب زعمهم و الا فلا وجود أصلا للقطب المزعوم فضلا عن أن يكون له اماما يجلسان بجنبيه

---

(١) — معجم مصطلحات الصوفية لحقي ٢٥٨

(٢) — معجم مصطلحات الصوفية لحقي ٢٥٥ و كذلك الفتوحات المكية

(٣) — الفتوحات المكية لابن عربي ٢٤٤/٣

و هناك درجة أخرى من الدرجات التي وضعها المتصوفة لمن يسمونهم أولياء الله و هي مرتبة المجاذيب

و قد تحدث صاحب كتاب عوارف المعارف على هذه المرتبة فقال :

المجذوب المجرد : و هو الذى يبادئه الحق بآيات اليقين و يرفع عن قلبه شيئا من الحجاب و لا يؤاخذ في طريق السلوك و المعاملة و هذا لا يؤهل المشيخة

و هناك درجة السالك المتدارك و هو الذى كانت بدايته المجاهدة و المكابدة و المعاملة بالاخلاص و الوفاء بالشروط ثم اخرج من وهج المكابدة الى روح الحال فوجد العسل بعد العلقم . و تروح بنسمات الفضل و برز من مضيق المكابدة الى متسع المساهلة و أونس بنفحات القرب و فتح له باب المشاهدة فوجد دواءه و فاض وعاؤه و صدرت منه كلمات الحكمة و مالت اليه القلوب و توالى عليه فتوح الغيب و مثل هذا يؤهل للمشيخة

و هناك المجذوب المتدارك بالسلوك و هو الذى يبادئه الحق بأنوار الكشوف و أنوار اليقين و يرفع عن قلبه الحجب و يستنير بأنوار المشاهدة و ينشرح و ينفسح قلبه و يتجافى عن دار الغرور و ينيب الى دار الخلود و يرتوى من بحر الجلال و يتخلص من الأغلال و الأعلال و يقول معلنا : (لا أعبد ربا لم أره ثم يفيض من باطنه على ظاهره و تجرى عليه صورة المجاهدة و المعاملة من غير عناء و مكابدة بل بلذاذة و هناء و يصير قالبه بصفة قلبه لامتلاء قلبه بحب ربه و يلين جلده كما لأن قلبه و علامة لين جلده اجابة قالبه للعمل كاجابة قلبه . . . و يصح أن يقول : لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا فعند ذلك يطلق من وثائق الحال و يكون مسيطرا على الحال . . . و تصير عبادته مشاكلة لعبادة

الملائكة و هذا هو الشيخ المطلق و العارف المحقق و المحبوب المعتق نظره دواء و كلامه شفاء)(١)

و الخلاصة التي توصلنا اليها من خلال كلامنا عن مراتب الصوفية التي وضعوها للأولياء هو أن الصوفية كونوا ملكة بشرية وهمية و زعموا أن هذه الملكة هي التي تسير هذا الكون بكامله فلا يقع في هذا الكون أمر من الأمور الا عن طريق هذه الملكة المزعومة وأن هذه الملكة لها التصرف المطلق في هذا الكون فهي التي تحفظه من المهالك و عن طريقها يرزق كل ما في هذا الكون و هذا واضح جدا في النصوص السابقة التي أوردتها عن أئمة التصوف و بهذا نصل الى نتيجة واحدة و هي أن المتصوفة يعتقدون بأن هناك بشر شركاء لله في تدبير هذا الكون و تسييره و الحقيقة فيما أعلم هذا شرك انفرد به المتصوفة من بين الفرق و الطوائف بل و أصحاب الأديان المختلفة و ذلك لأنه حتى الكفار الذين بعث اليهم الرسول محمد صلى الله عليه و سلم لم يكونوا يقولون ان الآلهة التي كانوا يعبدونها من دون الله لها المشاركة مع الله في التصرف في هذا الكون و انما كانوا يقولون انها وسائط فقط و لذا نقول فاق المتصوفة المشركون الأوائل في الشرك بالله و سأزيد هذا الموضوع توضيحا فيما يلي بايراد حكايات عن أئمة التصوف تثبت لنا أن المتصوفة يعتقدون بأن مشائخهم لهم التصرف الكامل في هذا الكون

---

(١) — عوارف المعارف للسهروردي الملحق بكتاب الاحياء ٧٥

ثانيا : ذكر نماذج من نصوص من بطون كتب الصوفية التي ألفها أئمة جهابذة عندهم

تثبت لنا أن الصوفية بالفعل يعتقدون أن الأولياء يتصرفون في الكون

لقد بينا فيما سبق في الفقرة الأولى مراتب الأولياء ووظائفهم عند الصوفية وأثبتنا بايراد نصوص من بطون كتبهم بأنهم يعتقدون أن هذا الكون يسيره مجموعة من البشر أطلق عليهم المتصوفة الألقاب التي ذكرناها وأنه لا يقع في هذا الكون أى أمر الا عن طريق هؤلاء الأولياء المزعومين(١) والآن في هذه الفقرة نريد أن نبين و نوضح أكثر بايراد حكايات من بطون كتبهم لكي نثبت و نؤكد و نوضح أكثر اعتقاد المتصوفة التصرف المطلق للأولياء في هذا الكون و حتى نقطع الحجة على كل متنطع صوفي تسول له نفسه أن يقول ان هذا لم يقله المتصوفة وانما هو مفترى عليهم والآن أشرع في سرد جملة لبعض من تلك الحكايات :

يقول يوسف النبهاني في معرض حكاياته لكرامات الأولياء أن عبد الله بن علوى بن الأستاذ الأعظم من كراماته أن رجلا أنشد أبياتا تتعلق بالبعث و الحساب فتواجد صاحب و خر مغشيا عليه فلما أفاق قال للرجل أعد الأبيات فقال الرجل بشرط أن تضمن لي الجنة فقال ليس ذلك الي و لكن اطلب ما شئت من المال فقال الرجل ما أريد الا الجنة وان حصل لنا شيء ما كرهنا فدعا له بالجنة فحسنت حالة الرجل و انتقل الى رحمة الله و شيعه السيد عبد المذكور و حضر دفنه و جلس عند قبره ساعة فتغير وجهه ثم ضحك و استبشر فسئل عن ذلك فقال ان الرجل لما سأله الملكان عن ربه قال شيخي عبد الله بن علوى فتعجبت لذلك فسألاه أيضا فأجاب بذلك فقال مرحبا بك و بشيخك عبد الله يا علوى قال بعضهم هكذا ينبغي أن يكون الشيخ يحفظ مريده حتى بعد موته (٢)

---

(٢) — جامع كرامات الأولياء للنبهاني ٢/٢٤٤—٢٤٥

(١) — انظر ص ٥٨٤—٦١٠

والشاهد في النص أن المتصوفة يعتقدون أن معرفة شيخ الطريقة من الطرق الصوفية تغني عن معرفة الله ورسوله وأنه كفيل لكي ينجي مريده من عذاب النار ويدخله الجنة وأن شيخ أي طريقة صوفية يستطيع أن يحفظ مريده حيا وميتا وعلى هذا فلا حاجة للتعب والسهر في تلاوة كتاب الله ومعرفة معانيه ولا في دراسة سنة رسوله محمد صلى الله عليه وسلم وهذه دعوى صريحة للقضاء على الدين الاسلامي كله وتحويل البشرية الى عبادة البشر الذين يطلق عليهم المتصوفة أنهم أولياء

وقال النبهاني أيضا : ومنهم الشيخ عبد الله أحد أصحاب سيدي عمر النبيتي كتب لي أنه رآني بحضرة رسول الله وهو يقول للامام علي بن أبي طالب ألبس عبد الوهاب الشعراني طاقيتي هذه وقل له يتصرف في الكون فما دونه مانع (١)

والشاهد في النص كما هو واضح ولا يحتاج الى شرح وايضاح هو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال للشعراني : تصرف في هذا الكون وأنه ليس هناك أي مانع يمنعه من التصرف فيه ومعنى ذلك أن المتصوفة يعتقدون أن الأولياء يتصرفون في هذا الكون وهذا شرك بالله تعالى لم يصل اليه المشركون الأوائل الذين بعث اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم

وقال النبهاني أيضا : قال عبد الله اليافعي الغوث (٢) : روى عن بعض الكبار أنه طلب منه بعض الناس أن يدعو له الله تعالى أن يرزقه ولدا ذكرا فقال ان أحببت ذلك فسلم للفقراء مائة دينار فسلم اليه ذلك ثم جاء بعد ذلك بمدة وقال له يا سيدي وعدتني بولد ذكر وما وضعت امرأتي الا أنثى فقال له الشيخ الدنانير التي سلمتها ناقصة فقال يا سيدي ما هي ناقصة الا شيئا يسيرا فقال له الشيخ ونحن أيضا ما

---

(١) — جامع كرامات الأولياء للنبهاني ٢ / ٢٧٥

(٢) — هو عفيف الدين بن عبد الله اليافعي اليمني وهو يعتبر من كبار مشائخ الصوفية توفي ٧٦٨هـ . انظر مقدمة كتاب

أنقصناك الا شيئا يسيرا فان أحببت أن نوفي لك فاوف لنا فقال نعم يا سيدى ثم ذهب وعاد اليه بتوفية ذلك النقصان فقال له الشيخ اذهب فقد أوفيناك كما أوفيت فرجع الى منزله فوجد غلاما بقدرة الله تعالى واكراما لأوليائه عزوجل (١)

والشاهد في النص أن المتصوفة يعتقدون أن الأولياء لهم التصرف مع الله في هذا الكون وأنهم باستطاعتهم أن يعطوا الأولاد حسب الطلب بل ويستطيعون تغيير الأنثى الى ذكر كما فعل هذا الولي الذى أورد عنه هذه الحكاية وتركها هكذا بلا تعليق ومعنى ذلك أنهم يؤمنون ويدينون ويعتقدون في الأولياء أن لهم القدرة على التصرف في هذا الكون وهذا مخالفة صريحة لما جاء في كتاب الله حيث أخبرنا الله سبحانه وتعالى بأنه هو وحده المعطي للأولاد ذكورا واناثا وانه يجعل البعض عقيما لحكمة يعلمها الله سبحانه وتعالى ويتضح لنا هذا في قوله سبحانه : ((يهب لمن يشاء اناثا ويهب لمن يشاء الذكور أو يزوجهم ذكرانا واناثا ويجعل من يشاء عقيما انه عليم قدير))(٢)

ومن هنا نقول ان الاعتقاد بأن أحدا ما من المخلوقات كائنا من كان باستطاعته اعطاء الأولاد يعتبر شركا صريحا بالله سبحانه وتعالى وذلك لأن العقائد الضرورية المعلومة لدى جميع المسلمين الذين سلموا من خرافات الصوفية وتاهاتهم أن التصرف في هذا الكون هو لله وحده لا شريك له ولا يشركه في هذا لا نبي مرسل ولا ملك مقرب ولا جني ولا ولي من أولياء الله الحقيقين فضلا عن أن يشركه فيه دجاجلة المتصوفة

وقال : أيضا ومن جملة القصص المشهورة أن الفقيه اسماعيل الحضرمي رضي الله عنه انه قال يوما لخادمه وهو في سفر يقول للشمس تقف حتى يصل الى منزله وكان

---

(١) — نشر المحاسن للغالية ٢٢

(٢) — سورة الشورى آية ٤٩

في مكان بعيد و قد قرب غروبها فقال لها الخادم قال لك الفقيه اسماعيل قفي له فوقفت حتى بلغ مكانه ثم قال للخادم ما تطلق ذلك المحبوس فأمرها الخادم بالغروب فغربت و أظلم الليل في الحال)(١)

ثم ذكر بأن بعض المتصوفة قال : (لا يكون الشيخ شيخا حتى يمحو خطيئة تلميذه من اللوح المحفوظ و قال آخر منهم منكرا لهذا القول المذكور لو كان شيخا ما غفل عن تلميذه حتى وقع في الخطيئة)(٢)

و الشاهد من النصين السابقين واضح جدا حيث أن الولي الأول أوقف الشمس عن السير ثم أطلق سراحها و لم يوقفها بنفسه بل أمر تلميذه أن يقول لها ان الشيخ يأمرك أن تقفي فوقفت و هذا اعتقاد تصرف لغير الله في هذا الكون أما النص الثاني فالشاهد فيه أن المتصوفة يعتقدون بأن الأولياء لهم التصرف الكامل حتى انهم يستطيعون أن يمحو الخطايا و الذنوب التي وقع فيها أتباعهم من اللوح المحفوظ و رأى أحد المتصوفة أن وقوع المريد في الذنب يعتبر نقصا في شيخه و ذلك لأنه لو كان شيخا حقيقة لما وقع مريده في الخطيئة و معنى ذلك أن الولي يحفظ مريده من الوقوع في المعاصي و يعصمه و هذه عقائد فاسدة و ذلك لأن فيها دعوى بأن البشر لهم حق التصرف في هذا الكون

و قال النبهاني : عبيد أحد أصحاب الشيخ حسين أي كان له خوارق مدهشة و منها أنه كان يأمر السحاب أن يمطر فيمطر لوقته و كل من تعرض له بسوء قتله في الحال دخل مرة الجعفرية فتبعه نحو خمسين طفلا يضحكون عليه فقال يا عزرائيل ان لم تقبض أرواحهم لأعزلنك من ديوان الملائكة فأصبحوا موتى أجمعين و قال له بعض القضاة اسكت

---

(١)— نشر المحاسن للغالية ٣٣

(٢)— نشر المحاسن للغالية ٦٨

فقال له اسكت أنت فخرس وعمى وصم وسافر في سفينة فوحلت ولم يمكن تقويمها فقال اربطوها بخيط في بيضي ففعلوا فجرها حتى خلصها من الوحل)(١)

وقال أيضا زين العابدين بن عبد الرؤوف المناوى من أكابر الأولياء وأعيان الأصفياء . . . . . حدث الحمصاني وهو أحد المشايخ العارفين قال رأيت طعيمة الصعيدى المصرى وهو من أكابر الأولياء في علم الأرواح وامامه انسان كالنور أو نور كالانسان قلت ما هذا قال زين العابدين المناوى وقد وكل بأهل البرزخ)(٢)

وقال أيضا عبد الرحمن بن أحمد الجامي : ومن كراماته أنه جلس في زمن الربيع على شاطيء نهر ملان واذا بقنفذة ميتة قد أقبلت على وجه الماء فأخذها مولانا الجامي ومسح بيده ظهرها فظهر أثر الحياة فيها ثم لما توجهنا جهة المدينة أقبلت تسعى خلفنا)(٣)

والشاهد في النصوص السابقة واضحة جدا فقد زعم النبهاني في النص الأول أن ذلك الولي الصوفي كان يأمر بنزول المطر فتمطر وأنه كان يقتل فورا كل من يتعرض له بسوء حالا وأنه أمر ملك الموت أن يقتل أربعون طفلا ضحكوا عليه فقبض أرواحهم

أما في النص الثاني فقد زعم فيه النبهاني أن زين العابدين موكل بأهل البرزخ

وأما النص الثالث فقد زعم فيه النبهاني أن الجامي الولي الصوفي أحيا الميت

وهذه كلها نخرج منها بنتيجة واحدة وهي أن المتصوفة يعتقدون بأن الأولياء لهم التصرف المطلق في هذا الكون وذلك لأن هذه الأمور التي أوردها النبهاني لا تكون الا لله سبحانه وتعالى أما غيره من المخلوقات فليس هذا من اختصاصاتهم ومن ادعى

---

(١)— جامع كرامات الأولياء للنبهاني ٢ / ٢٨٦

(٢)— جامع كرامات الأولياء للنبهاني ٢ / ٨٤

(٣)— جامع كرامات الأولياء للنبهاني ٢ / ٢٥٤

أن المخلوق له التصرف مع الله في هذا الكون فقد وقع في الشرك الذى لا يغفر لصاحبه الا اذا تاب منـــــه

و قال الشعراني و هو يتحدث عن الأولياء و مقدرتهم على التصرف عند المتصوفة :

و منهم سيدنا و مولانا شمس الدين الحنفي رضي الله عنه كان رضي الله عنه من أجلاء مشائخ مصر و سادات العارفين صاحب الكرامات الظاهرة و الأفعال الفاخرة و الأحـوال الخارقة و المقامات السنية . . . . . و كان رضي الله عنه يأمر من يراه من أصحابه عنـده شهامة نفس بالشحاتة من الأسواق و غيرها . . . . و كان سيدى بن علي بن وفا رضي الله عنه يوما في وليمة فاستأذن عليه الشيخ محمد الحنفي فقام له و أجلسه فدار الكـــلام بينهما فقال سيدى علي ما تقول في رجل رحى الوجود بيده يديرها كيف شاء فقـــال له سيدى محمد رضي الله عنه فما تقول فيمن يضع يضع يده عليها فيمنعها أن تدور فقال له سيدى علي و الله كنا نتركها لك و نذهب عنها فقال محمد رضي الله عنه لجماعـــة سيدى علي ودعوا صاحبكم فانه ينتقل قريبا الى الله تعالى فكان الأمر كما قال و كـــان يتطور في بعض الأوقات حتى يملأ الخلوة بجميع أركانها ثم يصغر قليلا قليلا حتى يعـود الى حالته المعهودة . . . . و مرضت زوجته فاشرفت على الموت فكانت تقول يا سيدى أحمد يا بدوى خاطرك معي فرأت سيدى أحمد رضي الله عنه في المنام و هو ضارب لثاميـــن . . . . و قال لها كم تناديني و تستغيثي وأنت لا تعلمي أنك في حماية رجل مـــن الكبار المتمكنين و نحن لا يخيب من دعانا و هو في موضع أحد من الرجال قولي يا سيدى محمد يا حنفي يعافيك الله تعالى فقالت ذلك فأصبحت كأن لم يكن بها مرض .

و دخلت على الشيخ يوما امرأة أمير فوجدت حوله نساء الخاص تكبسه فأنكرت بقلبهـا عليه فلحظها الشيخ بعينه و قال لها انظرى فنظـــرت فوجـــدت وجوههـــــن

عظـــــامـــــا)(١)

و الشاهد في النص واضح حيث ان كلا الزعيمين الصوفيين ادعيا أنهما يتصرفان في هذا الكون حيث ادعى أحدهما أن رحى هذا الوجود بيده يدورها كيف شـــاء و ادعى الآخر أنه باستطاعته بوضع يده فقط على كل الموجودات في هذا الكون أن يوقفه عن الحركة و الدوران

و معنى هذا أن المتصوفة يزعمون بأن الأولياء لهم التصرف الكامل في هذا الكون بكل ما تحمله هذه الكلمة من معان

و هناك شواهد كثيرة في النص منها زعم أحمد الرفاعي أنه لا يخيب من دعاه و ان امرأة دعت محمد الحنفي فبرئت في الحال و ان امرأة دخلت عليه فوجدت عنده نســـاء فأنكرت هذا الفعل بقلبها فقط فأنكرت عليه فعرف الشيخ منها هذا الانكار و أمرهـــــا بالنظر الى تلك النسوة فرأت وجوههن عظاما لا لحم فيها و هذه كلها فيها ادعاءات على أن الأولياء لهم التصرف في هذا الكون و ما داموا كذلك فلا ينكر عليهم أيضا مهما وقعوا في منكرات من الأعمال و الا فقد عرض نفسه للخطورة كل من يريد أن ينكر عليهـــم ،

و قال الشعراني و هو يتحدث عن الأولياء عند المتصوفة :

و منهم الشيخ مدين بن أحمد الاشموني .... كان من أكابر العارفين و انتهـت اليه تربية المريدين في مصر و قراها و تفرعت عنه السلسلة المتعلقة بطريقة أبي القاســـم الجنيد رضي الله عنه و جاءته رضي الله عنه امرأة فقالت هذه ثلاثون دينارا أو تضمن الجنة فقال لها الشيخ رضي الله عنه مباسطا لها ما يكفي فقالت لا أملك غيرها فضمـن لها على الله دخول الجنة فماتت فبلغ ورثتها ذلك فجاءوا يطلبون دينارا من الشيخ و قالوا

---

(١)— الطبقات الكبرى للشعراني ٢/٨٨ و ما بعدهـــا و كذلك جامع كرامات الأولياء للنبهاني ١/٢٦١

هذا الضمان لا يصح فجاءتهم في المنام و قالت اشكروا لي فضل الشيخ فاني دخلت الجنة فرجعوا عن الشيخ)(١)

و الشاهد في النص واضح حيث انه ضمن لها الجنة و أدخلها فيها و هذا فيه ادعاء على أن الأولياء لهم التصرف في الدنيا و الآخرة و نحن نقول لا يستطيع أحدا أن يدخل الجنة بعمله الصالح الا أن يتغمده الله برحمته فضلا عن أن يدخل الجنة عن طريق شيخ دجال و قد قال الرسول صلى الله عليه و سلم و هو أفضل الخليقة على الاطلاق لا يدخلن أحدكم بعمله الجنة فقالوا و لا أنت يا رسول الله قال و لا أنا الا أن يتغمدني الله برحمته (٢)

فاذا لم يضمن الرسول الجنة لنفسه فكيف بغيره دعوى ادخال الجنة و ضمانها لأحد من الخلق

و قال الشعراني أيضا :

(و منهم الشيخ الخضرى رضي الله عنه المدفون بناحية نها بالغربية و ضريحه يلوح من البعد من كذا و كذا بلدا .... و كان يقول لا يكمل الرجل حتى يكون مقامه تحت العرش على الدوام و كان يقول الأرض التي بين يدى كالاناء الذى آكل منه و أجساد الخلق كالقوارير أرى ما في بواطنهم توفي رضي الله عنه سنة سبع و تسعين و ثمانمائة رضي الله عنه)(٣)

و الشاهد في النص السابق واضح حيث ادعى الرجل بأن الرجل لا يكون كاملا حتى يكون مقره الدائم تحت عرش الله و أن هذه الأرض التي نعيش فيها هي بين يديه كالاناء

---

(١)— الطبقات الكبرى للشعراني ٢/ ١٠١ و جامع النبهاني ٢/ ٤٣٦

(٢)— سبق تخريجه انظر ص ٤٥٩

(٣)— الطبقات الكبرى للشعراني ٢/ ١٠٦

وأنه يرى ويشاهد كل ما في ضمائر الخلق فلا تخفى عليه خافية وهذه الأمور التي ادعاها لا تليق الا بالله وبما أن الصوفية قالوا ان الأولياء لهم المقدرة على التصرف في هذا الكون فلا مانع لديهم أن يصفونهم بهذه الأوصاف لأنهم يعتقدون ان الأولياء شركاء لله في التصرف في هذا الكون .

وحكى أبو طالب المكي وأبو حامد الغزالي وغيرهما

ان أبا تراب النخشبي كان معجبا ببعض المريدين فكان يدينه ويقوم بمهالحه والمريد مشغول بعبادته ومواجدته فقال أبو تراب يوما لو رأيت أبا يزيد فقال اني عنه مشغول فلما أكثر عليه أبو تراب من قوله لو رأيت أبا يزيد هاج وجد المريد فقال ويحك ما أصنع بأبي يزيد قد رأيت الله تعالى فأغناني عن أبي يزيد قال أبو تراب فهاج طبعي ولم أملك نفسي فقلت ويلك تعتز بالله عز وجل لو رأيت أبا يزيد مرة واحدة كان أنفع لك من ان ترى الله سبعين مرة فبهت الفتى من قوله وأنكره فقال وكيف ذلك قال له ويلك أما ترى الله تعالى عندك فيظهر لك على مقدارك وترى أبا يزيد عند الله قد ظهر له على مقداره فعرف ما قلت (١)

فالنص السابق يحتوى على عقائد كثيرة باطلة منها ادعاء الصوفي أنه رأى الله في الدنيا وهذا لم يكن للأنبياء فكيف حصل لهذا الصوفي المخرف ثم تفضيل أبو تراب رؤية أبا يزيد على رؤية الله واعتباره الاعتزاز برؤية الله غرورا وأخيرا النص فيه القول بعقيدة الحلول وهذه كلها عقائد باطلة بعيدة عن الاسلام كل البعد

وحكى أبو القاسم القشيرى ان شقيقا البلخي وأبا تراب النخشبي قدما على أبي يزيد البسطامي فقدمت السفرة وشاب يخدم أبا يزيد فقالا له كل معنا يا فتى فقال أنا صائم

---

(١) — قوت القلوب لأبي طالب المكي ٢ / ١٣٩ والاحياء ٤ / ٣٠٥

فقال أبو تراب كل ولك أجر صوم شهر فأبى فقال له شقيق كل ولك أجر صوم سنة فأبى فقال أبو يزيد دعو من سقط من عين الله فأخذ ذلك الشاب في السرقة بعد سنة فقطعت يده)(١)

و الشاهد في النص هو أن المتصوفة يعتقدون أن الأولياء يستطيعون اعطاء الأجور بأضعاف مضاعفة لكل من أطاع أوامرهم و لو كان ما يأمرون به تلاميذهم مخالفالشرع الله و ان كل من خالف أوامرهم فالخاتمة السيئة حتمية لا مفر منها كما حصل لهذا الخادم المسكين الذى خالف أوامر شيخه و أطاع ربه و نحن نقول لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق فالواجب على المسلم أن يطيع الله و رسوله و لا يطيع أحدا غيرهما الا اذا أمره بمعروف أما اذا أمره بمنكر كما حصل لهذا التلميذ فعليه أن يعصيه كائنا من كان فليس عندنا نحن المسلمين الطاعة المطلقة الا لله و لرسوله أما الآخرين من المخلوقات فلا طاعة لهم الا اذا دعوا الى طاعة الله و رسوله

و كذلك نقول ان توزيع الأجور ليس بيد أحد غير الله سبحانه و تعالى فهو الذى يثيب عباده على أعمالهم الصالحة التي عملوها في الدنيا خالصة له سبحانه أما غيره من المخلوقات فلا يملك لنفسه نفعا و لا ضرا فضلا عن أن يملك لغيره و يوزع الأجور .

و قال السيد ابراهيم الأعزب قدس سره حضرت في بعض الأيام عند السيد أحمد الرفاعي قال أى فقراء الشيخ عثمان السالم أبادى قدس سره يصعد كل يوم عند غروب الشمس الى ديوان الربوبية و ينظر ديوان ذريته فما يجد من سيئة يمحها و يكتب عوضها بلا معارضة قال السيد ابراهيم الأعزب فأخذتني الغيرة من ذلك فالتفت الى السيد أحمد الرفاعي و قال أى ابراهيم لا يكون الرجل ممكنا في سائر أحواله حتى يعرض عليه عند غروب الشمس جميع أعمال أصحابه و أتباعه و تلامذته بالقرب و البعد فيمحو منها ما

---

(١)— الرسالة القشيرية لأبي القاسم القشيرى ٢ / ١٣٥

يشاء و يثبت فيها ما يشاء بكرم الله و لطفه أى ابراهيم لا يكون الشيخ شيخا كاملا في سائر أموره و أحواله و أقواله و أفعاله و لا يصح له الجلوس في المحدَّة حتى يحضر عند تلميذه في أربع مواضع عند خروج روحه من جسده و عند مسألة منكر و نكير له و عند جوازه على الصراط و الميزان)(١)

و الشاهد في النص واضح حيث ادعى تلامذة عثمان السالم بأن شيخهم يصعد الى الديوان الذى تكتب فيه الحسنات و السيئات فينظر فيه و يمحو منه الذنوب التي وقعت فيه ذريته و يسجل بدلها حسنات في سجلاتهم

و هناك شاهد ثاني في النص و هو أن أحمد الرفاعي ادعى أن الانسان لا يبلغ المشيخة الحقيقية الا اذا عرضت عليه أعمال مريديه يوميا عند غروب الشمس فيمحو منها ما يشاء و يثبت منها ما يشاء

و هناك شاهد آخر و هو أن أحمد الرفاعي زعم بأن الشيخ لا يكون شيخا حقيقة الا اذا استطاع أن يحضر مريده في أربع أحوال و هي عند خروج روحه من جسده و عند مسألة منكر و نكير له و عند جوازه على الصراط المستقيم

و هذه كلها أشياء لا تليق الا بالله سبحانه و تعالى كما نرى و قد ادعاها المتصوفة لأنفسهم فهل هم شركاء لله في التصرف في هذا الكون ؟!؟

فغفران الذنوب لا يستطيع عليه أحد الا الله سبحانه و تعالى و يدل على هذا قول الله عزوجل : ((و من يغفر الذنوب الا الله))(٢)

و كذلك المحو و الاثبات لا يكون لأحد الا لله و يدل على هذا قول الله عزوجل : ((يمح الله ما يشاء و يثبت و عنده أم الكتاب))(٣)

---

(١) ــ قلادة الجواهر ١٩٣

(٢) ــ آل عمران ١٣٦

(٣) ــ الرعد آية ٣٩

ثم ان حضور الشيخ في الصور المذكورة لا يغني شيئا عنه و مع ذلك فهذه الدعوى كاذبة لا أساس لها من الصحة فالشيخ بشر كغيره لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا و المتصوفة لم يقصدوا من سرد هذه القصص المكذوبة سوى دعوة الناس الى عبادة البشر و ترك عبادة الله سبحانه و تعالى و قد فعلوها فأوقعوا كثير من الأمة الاسلامية في أعمال شركية

و هذا أحمد التيجاني مؤسس الطريقة التيجانية يجيب على احدى الرسائل التي أرسلها اليه أحد مريديه فيقول : (و أما ما طلبت من الضمان في المعرفة بالله من كونها صافية من اللبس ممزوجة حقيقتها بالشريعة فان أمرها لا يكون الا كذلك لا غير . . . . . و أنا لك ضامن أن لا تسلب ما دمت في محبتنا و كل ما دونه من دخول الجنة بلا حساب الى ما وراءه و ما قبله و سامحتك فيما لا تعلمه مما مقتضاه سوء الأدب و أما السورة فتداومها ١١٠٠٠ مرة كل يوم أو كل ليلة مختليا وحدك وقت ذكرها فقط وبدؤها أن تقرأ الفاتحة مرة و صلاة الفاتح لما أغلق مرة و تهدى ثوابها لأهل النوبة في ذلك اليوم من الأولياء و الأحياء ثم تقوم و تقف مستقبلا و تنادى : ح دستور يا أهل النوبة جبهتي تحت نعالكم ثم تقرأ الفاتحة مرة و تهدى ثوابها لروح الشيخ عبد القادر والشيخ أحمد الرفاعي و جميع الأولياء الغائبين و الحاضرين ثم تقرأ الفاتحة مرة و تهدى ثوابها لروح سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ثم تسأل المدد)(١)

و الشاهد في النص واضح حيث ان أحمد التيجاني زعم بأن مريده الذى أرسل اليه الرسالة لا يسلب منه الايمان ما دام في محبة التيجاني و ضمن له دخول الجنة بلا حساب و ضمن له كل شيء ما قبل دخول الجنة و ما بعد دخولها و هذا يدل دلالة واضحة و صريحة على أن مشائخ المتصوفة يزعمون بأن لهم المقدرة في التصرف في الدنيا

---

(١) — كشف الحجاب ٨٥—٨٦

والآخرة و كذبوا و الله لا يستطيعون أن يضمنوا الجنة لأنفسهم فضلا عن أن يضمونها لأتباعهم و لكن الهوى و الكذب و الدجل و الافتراء على الله و عدم الخوف منه سبحانه لأنهم لم يقدروه حق قدره فتجرؤوا على هذا الادعاء الخالي من الصحة

و يقول محمد بهاء الدين البيطار(١) :

فان الكامل في وقته مظهر هذه الاسماء الثلاثة التي هي الله الرحمن الرحيم بل مظهر أسماء الله على الكمال القائم بحقيقة الجمال و الجلال قيل لبعضهم كيف أصبحت؟ فقال : أصبحت أحي و أميت و أنا على كل شيء قدير

و يقول أيضا في مكان آخر . . . . . و كان هذا مقام أبي السعود تلميذ الغوث الجيلاني فانه قيل له : هل أعطاك الله التصرف في العالم؟ فقال : نعم منذ خمس عشرة سنة و تركه للحق تعالى تظرفا قال الشيخ الأكبر و نحن تركناه أدبا و معرفة (٢)

اذا نظرنا في النصين السابقين نجد أن محمد بهاء الدين البيطار زعم في النص الأول بأن العارف في وقته يجوز أن يطلق عليه الله و الرحمن و الرحيم لأنه مظهر من مظاهر الله أى قد حل فيه الله و لذا فلا حرج أن يقال له أنت الله أو أنت الرحيم أو أنت الرحمن لأنه قد أصبح الها و لذا صح لبعضهم أن يدعي بأنه أصبح يحيي و يميت و هو على كل شيء قدير

ثم زاد الأمر وضوحا في النص الثاني حيث زعم البيطار أن هذا المقام مقام أبي السعود تلميذ عبد القادر الجيلاني حيث زعم بأن أبا سعود أعطاه التصرف في الكون و تركه تظرفا مع الله حتى لا يشاركه في تصريف أمور الكون مع قدرة أبي السعود على التصرف

---

(١)— هو محمد بهاء الدين البيطار الشامي الميداني خادم الطريقة الرشيدية الأحمدية و من كتبه النفحات الأقدسية في الصلوات الأحمدية الدردرية انظر غلاف كتاب النفحات الأقدسية و لم أجد له ترجمة في كتب التراجم

(٢)— النفحات الأقدسية ٦—٧

في الكون حسب زعم المتصوفة

و نحن نقول انه لا يستطيع أحد التصرف في هذا الكون بل المتصرف الوحيد في هذا الكون هو الله سبحانه و تعالى و كل من زعم أن أحدا من المخلوقات شريك لله في التصرف في هذا الكون فقد افترى على الله الكذب

و يقول أحمد التيجاني : (ليس لأحد من الأولياء أن يدخل كافة أصحابه الجنة بغير حساب ولا عقاب الا أنا وحدى و لو بلغوا ما بلغوا من الذنوب و عملوا ما عملوا من المعاصي و أما سائر سادتنا الأولياء رضي الله عنهم فيدخلون الجنة أصحابهم بعد الحساب و المناقشة)(١)

النص السابق زعم فيه التيجاني بأنه يستطيع أن يدخل أصحابه الجنة بغير حساب ولا عقاب و زعم أيضا بأنه هو المنفرد بهذا أما غيره من الأولياء فلا يستطيعون أن يدخلوا أتباعهم الجنة الا بعد الحساب

و معنى هذا أن الأولياء لهم التصرف الكامل في الدنيا و الآخرة و هذا معتقد فاسد و شرك بالله عزوجل لأن دخول الجنة بيد الله سبحانه و تعالى و ليس بيد أحد من خلقه و زعم التيجاني هذا ما هو الا كذب و افتراء على الله فهو لا يضمن دخول الجنة لنفسه فضلا عن أن يملكه لغيره وهو يعلم ذلك و لكنه قال هذا الكلام تضليلا للعوام حتى يتبعوه في كل ما يقوله من ضلالات و خرافات و أباطيل و أوهام التي يتفوه بها .

و قال أبو طالب المكي :

و فوقها (أى فوق مقامات ذكرها قبل هذا الكلام) ما لا يصلح رسمه في كتاب من مكاشفات الصديقين و مشاهدات العارفين منها أنه أعطاهم (كن) باطلاعه اياهم على الاسم ، فزهدوا في كون كن لأجل كان توكلا عليه و حياء أن يعارضوه في قدرته

(١) — كشف الحجاب ٣٧٣—٣٧٤

و يرغبوا عن تقديره أو يضاهوه في تكوينه)(١)

و الشاهد في النص السابق أن أبا طالب المكي زعم أن الله سبحانه و تعالى أعطى للأولياء القدرة على التصرف بحيث اذا قال أحدهم للشيء كن لكان و لكنهم تنازلوا عنه حياء من الله و لئلا يشابهوه في تكوينه للأشياء بكلمة كن فقط و نحن نقول لا يمكن أن يصل الانسان الى هذه المرحلة مهما كان لأن التصرف في الكون بكلمة كن لله وحده سبحانه لا يشاركه فيه أحد من خلقه.

و هذا أحد المتصوفة و اسمه أحمد زروق يزعم بأن هذا الكون كله تحت قبضته و لذا فهو يولي من يشاء و يعزل من يشاء و يعلي مقام من شاء و يخفض مقام من شاء و يعطي الأرواح لمن أراد و يقبضها عمن أراد الى آخر ما ادعاه من دعاوى باطلة كلها لا تليق الا بالله سبحانه و تعالى و لكنه تجرأ على ادعائها لفراغ قلبه من الايمان بالله و هذا نص كلامه :

قال :

و ملكت أرض الغرب طرا باسرها ... و كل بلاد الشرق في طي قبضتي

فملكتها بعض من كان عارفا ... و خلفني فيها بأحسن سيرة

فارفع قدرا ثم اخفض منصبا ... بأرفع مقدار و أرفع همة

و اعزل قوما ثم ولي سواهم ... و أعلى مقام البعض فوق المنصة

و ابسط أرواحا و أقبض أنفسا ... و أحيي قلوبا بعد موت القطيعة

و اجبر مكسورا و اشهر خاملا ... و ارفع موضوعا يا رفيع عمتي

و اقهر جبارا و اد حر ظالما ... و انصر مظلوما بسلطان سطوتي

فان كنت في كرب و ضيق و شدة ... فنادا يا زروق آتي بسرعة

---

(١)— قوت القلوب لأبي طالب المكي ٢/ ٩

فكـــم كربـــة تجلى اذا ذكـــر اسمنا وكم كربـــة تجلـــى يا فراد صحبـــتي (١)

اذا نظرنا في النص السابق نرى بوضوح أن الرجل ادعى أمور لا تليق الا بالله سبحانه وتعالى حيث ادعى بأنه يرفع قدر من يشاء ويخفض ويعزل قوما ويولي آخرين وأنـــه يبسط أرواح من يريد ويقبض نفوس من يشاء من الخلق ثم دعى أخيرا الناس الى التوجـــه اليه بالدعاء والاستغاثة اذا أصيبوا بأي مكروه وأكد ذلك بأنه فرج عن كثيرين كربهم لما توجهوا اليه وهذا كذب وافتراء فقط فانه لا يملك لنفسه النفع والضر فضلا عن أن يملكه لغيره ولكن الذى يهمنا من ايراد النص هو الاثبات بأن المتصوفة يدعون بأن لهم القدرة على التصرف في هذا الكون وادعاء التصرف في هذا الكون مع الله يعتبر شركا بالله تعالى لم يقل به المشركون الأوائل فينبغي على المتصوفة أن يتراجعوا عنه .

ويقول أحمد الرفاعي الغوث :

لي همـــة بعضهـــا تعلـــو على الهـــمم ولي هـــوى قبـــل خلق اللوح والقلـــم

أنا الرفاعي طبولـــــي في السماء ضربت والأرض في قبضـــــتي والأولياء خدمي

كل المشـــائخ يأتوا باب زاويـــــــتي وفوق هاماتهـــم حاز العلا علمـــــي

ولي لـــواء على الكونين منتشـــــــر وكـــل أهل العلا ما أنكروا همـــــي

فالجأ باعتـــابك عزى زالتمـــــس مـــددى وطـــف ببابي وقـــف مستطرا نعمي (٢)

اذا نظرنا في النص السابق نرى بوضوح أن الرفاعي ادعى بأن الأرض كلها تحـــت قبضته وأن كل الأولياء ما هم الا خدمه فقط وكلهم يأتون الى زاويته حاملين فوق رؤوسهم العلم الرفاعي وأن لواءه معروف منتشر في الكونين أى في الدنيا والآخرة ثم دعا أخيرا الناس الى عبادته وطلب المدد منه وأن يقفوا ببابه طالبين نزول النعـــم

---

(١) — النفحة العلية في أوراد الشاذلية ٢٧

(٢) — قلادة الجواهر ٢٣٣ وانظر كذلك في ادعاء الرفاعيين بأن أحمد الرفاعـــي يتصرف في الوجود كتاب لباب المعاني الملخص من شفاء قلوب المؤمنين ٣٠

عليهم منه كالمطر

و هكذا فالنص من أوله الى آخره شرك بالله عز وجل حيث زعم الرفاعي أن الكونيين في قبضته و تحت تصرفه ونحن نقول للرفاعي و لجميع المتصوفة الدجاجلة اذا كانت الأرض و من فيها و كذلك الآخرة تحت تصرفكم فماذا أبقيتم لله يا دجاجلة يا وقحين يا من فرغت قلوبكم من الايمان الصحيح فما قدرتم الله حق قدره فزعمتم أنكم شركاء لله في تصريف أمور هذا الكون و نحن نقول سبحانك هذا بهتان عظيم

و يقول عبدالعزيز الدباغ فيما يرويه عن تلميذه :

(و سمعته رضي الله عنه يقول ان أهل الديوان اذا اجتمعوا فيه اتفقوا على ما يكون من ذلك الوقت الى مثله من الغد فهم رضي الله عنهم يتكلمون في قضاء الله عز و جل في اليوم المستقبل و الليلة التي تليه قال رضي الله عنه ولهم التصرف في العوالم كلها السفلية و العلوية و حتى في الحجب السبعين و حتى في عالم (الرقا) بالراء وتشديد القاف و هو ما فوق الحجب السبعين فهم الذين يتصرفون فيه و في أهله و في خواطرهم و ما تهمس به ضمائرهم فلا يهمس في خاطر واحد منهم شيء الا باذن أهل التصرف رضى الله عنهم أجمعين و اذا كان هذا في عالم الرقا الذى هو فوق الحجب السبعين التي هي فوق العرش فما ظنك بغيره من العوالم)(١)

اذا نظرنا في النص السابق نرى بوضوح أن عبدالعزيز الدباغ زعم فيه بأن أهل الديوان من الأولياء المزعومين حينما يجتمعون يبحثون في الأمور التي ستقع في اليوم التالي و الليلة التالية و أنهم يتكلمون في قضاء الله و قدره و أن لهم التصرف الكامل في العوالم السفلية و العلوية أى في الأرض و السماء

---

(١) — الابريز للدباغ ١٨٩

وعلى هذا يعتقد المتصوفة بأن الأولياء لهم التصرف الكامل في هذا الكون و معنى ذلك ان الأولياء شركاء لله سبحانه و تعالى في ملكه

و يقول أحمد البريلوى أحمد رضا مؤسس الطريقة البريلوية : (ان الشيخ عبدالقادر متصرف في العالم و مأذون و مختار و هو المدبر لأمور العالم)(١)

و النص واضح و لا يحتاج الى شرح حيث صرح فيه البريلوى بأن الشيخ عبدالقادر متصرف في الكون

و ذكر الشعراني أيضا أن شيخه محمد الشناوى قال : ان شخصا أنكر حضور مولده أى مولد البدوى فسلب الايمان فلم يكن فيه شعرة تحن الى دين فقال نعم فرد عليه ثواب ايمانه

ثم قال : و ماذا تنكر علينا قال اختلاط الرجال و النساء فقال له سيدى أحمد ذلك واقع في الطواف و لم يمنع منه أحد ثم قال وعزة ربي ما عصى أحد في مولدى الا و تاب و حسنت توبته و اذا كنت أرعى الوحوش و السمك في البحار و أحميهم من بعضهم بعضا أفيعجزني عز وجل عن حماية من يحضر مولدى (٢)

و الشاهد في النص هو سلب البدوى الايمان ممن أنكر عليه حضور مولده ثم رده عليه بعد الاقرار بحضور المولد ثم زعم البدوى بأنه هو الذى يرعى الوحوش و الأسماك و يحميهم من بعضهم البعض و اذا كنت كذلك فاني باستطاعتي أن أحمي كل من يحضر مولدى من الوقوع في المعصية و اذا وقع فيها فتوبته حتمية لا محالة و لذا فلا حاجة الى الانكار على الأولياء اذا ارتكبوا منكرا لأنهم ليسوا كغيرهم من البشر فهم يحل لهم ما يحرم على غيرهم و ذلك حسب المعتقد الصوفي الباطل

---

(١) — حدائق بخشش للبريلوى ٢٦ نقلا عن البريلوية للشيخ احسان الهي ١١

(٢) — الطبقات الكبرى للشعراني ١ / ١٨٧

و ذكر الشعراني عن عبد العزيز الدريني أنه كان يزور سيدى عليا الطليحي كثيرا فذبح له سيدى علي يوما فرخا فأكله و قال لسيدى علي لابد أن أكافئك فاستضافه يوما فذبح لسيدى علي فرخة فتشوشت امرأته عليها فلما حضرت قال لها سيدى علي هش فقامت الفرخة تجرى و قال يكفينا المرق و لا تشوش (١)

و ذكر الشعراني أيضا عن شيخه ابراهيم المتبولي انه رأى شخصا من تلاميذه كثير العبادة و الأعمال الصالحة و الناس منكبون على اعتقاده فقال يا ولدى مالي أرال كثير العبادة ناقص الدرجة لعل والدك غير راض عنك فقال نعم فقال تعرف قبرى فقال نعم فقال اذهب بنا الى ناحية قبره لعله يرضى قال الشيخ يوسف الكردى فوالله لقد رأيت والده خرج من القبر ينفض التراب عن رأسه حين ناداه الشيخ فلما استوى قائما قال الشيخ الفقراء جاءوا شافعين تطيب خاطرك على ولدك هنا فقال أشهدكم اني قد رضيت عنه فقال ارجع مكانك فرجع (٢)

و ذكر عنه أيضا أنه كان سما ناقما على الولاة فاذا تشوش من أمير أو وزير مات لوقته أو في ليلته

و تعرض جماعة من الظلمة الى حماية غيطه و أراد الوزير و كان يسمى قاع التاجر ان يحدث عليهم مظلمة و قال كان شيخنا ينفخني فقال يا ولدى ما أنا أنفخ و انما أفوق سهمي فلا يرد فدخل الوزير بيت الخلاء فانتظروه ليخرج فلم يخرج فدخلوا عليه فوجدوا لحيته و وجهه في حلق الخلاء و هو ملطخ بالعذرة و هو ميت فرجع غالب الولاة عن معارضته في أمر من الأمور (٣)

---

(١) — الطبقات الكبرى للشعراني ١ / ٢٠٢

(٢) — الطبقات الكبرى للشعراني ٢ / ٨٥

(٣) — الطبقات الكبرى للشعراني ٢ / ٨٧

و ذكر الشعراني عن الشيخ حسين أبو علي قال عنه : كان هذا الشيخ رضي الله عنه من كل العارفين و أصحاب الدوائر الكبرى و كان كثير التطورات تدخل عليه بعض الأوقات فتجده جنديا ثم تدخل عليه فتجده سبعا ثم تدخل عليه فتجده فيلا ثم تدخل عليه فتجده صبيا و هكذا و مكث نحو أربعين سنة في خلوة مسدود بابها ليس لها غير طاقة يدخل منها الهواء و كان يقبض من الأرض و يناول الناس الذهب و الفضة

و ذكر أيضا أن المجرمين قتلوه و رموه ثم أصبح حيا و وجدوه جالسا في الكرسي و هو على أحسن صورة (١)

اذا نظرنا في النصوص السابقة نرى بوضوح أن الشعراني زعم في النص الأول أن الشيخ علي ذبح له عبد العزيز الدريني دجاجة و كانت امرأته لم ترض بذبحها فطبخت و حضرت بين يديه ليأكلها فأحيا الدجاجة بكلمة واحدة فقط و كما نعلم احياء الموتى من خصائص الله سبحانه و تعالى و لكن الشعراني كما نرى أورد هذه القصة و سكت عليها

و أما في النص الثاني فقد زعم فيه أن شيخه ابراهيم المتبولي نادى والد أحد تلاميذه بعد أن مات و دفن فأسرع والد التلميذ لاجابته و قام من قبره و نفد عنه القبر و عفا عن ابنه ثم رجع الى قبره

و أما النص الثالث فقد زعم فيه أنه كان سما قاتلاً لكل من خالف أمره و كان يقتل في الحال لكل من غضب عليه و ان أحدا الوزراء خالف أمره فدخل الحمام فمات فيه و وجدوا جسمه ملظخا بالعذرة و لذا رجع غالب الولاة عن مخالفته خوفا من الموت السريع الفورى

و أما النص الرابع فذكر فيه أن الشيخ حسين أبو علي كانت له المقدرة على التشكل بأى شكل أراده فيتحول جندى الى فيل الى طفل و أن التراب كان ينقلب في يده ذهبا

---

(١) — الطبقات الكبرى للشعراني ٢ / ٨٧

و فضة فيناوله الناس و أنه قتل ثم أحيا نفسه في الصباح الباكر

و الخلاصة من هذه النصوص أن المتصوفة يعتقدون بأن الأولياء لهم المقدرة على التصرف في الكون حيث زعم الشعراني في هذه النصوص بأن بعضهم أحيا الأموات و أن بعضهم أمات من خالفه حالا و أن بعضهم كان يتشكل بأشكال مختلفة و المعلوم بالضرورة من العقيدة الاسلامية أن التصرف في الكون و احياء الأموات و اماتة الأحياء من خصائص الله سبحانه و تعالى و لا يستطيع أى أحد من المخلوقات كائنا من كان أن يتصرف في هذا الكون و اذا زعم أحد مثل هذا فقد ادعى بأنه شريك لله في ملكه

و قال الشعراني أيضا و هو يتحدث عن شمس الدين الحنفي (١) ..... وكان له الباع الطويل في التصريف النافذ و اليد البيضاء في أحكام الولاية و القدم الراسخ في درجات النهاية و الطود السامي في الثبات و التمكين و هو أحد من ملك أسراره و قهر أحواله و غلب على أمره و هو أحد أركان هذا الطريق و صدور أوتادها و أكابر أئمتها و أعيان علمائها علما وعملا و زهدا و تحقيقا و مهابة و هو أحد من أظهره الله تعالى في الوجود و صرفه في الكون و مكنه في الأحوال و انطقه بالمغيبات و خرق له العوائد و قلب له الأعيان و أظهر على يديه العجائب و اجرى على لسانه الفوائد و نصبه قدوة للطالبين حتى تتلمذ له جماعة من أهل الطريقة و انتمى اليه خلق من الصلحاء و الأولياء و اعترفوا بفضله و أقروا بمكانته و قصد بالزيارات من سائر الأقطار و حل مشكلات أحوال القوم (٢)

---

(١) — هو شمس الدين أبو عبدالله محمد بن الحسن الحنفي الشاذلي كان من أركان الطريقة الشاذلية علما و عملا و مالا تتلمذ له جماعة من أهل الطريقة و اعترفوا بعلمه و علو مقامه الذى لم يكن مفهوما للعامة و ان كان معروفا لدى الخاصة / جمهرة الأولياء للمنوفي ٢ / ١٥٦

(٢) — الطبقات الكبرى للشعراني

وذكر الشعراني عن يوسف العجمي انه اذا خرج من الخلوة يخرج وعيناه تتوقد كأنها قطعة جمر فكل من وقع نظره عليه انقلبت ذهبا خالصا ولقد وقع بصره يوما على كلب فانقادت اليه جميع الكلاب فأرسل خلف الكلب وقال اخسأ فرجعت علي الكلاب لقضه حتى هرب منها

ووقع له مرة أخرى أنه خرج من خلوة الأربعين فوقع بصره على كلب فانقادت اليه جميع الكلاب وصار الناس يهرعون اليه في قضاء حوائجهم فلما مرض ذلك الكلب اجتمع حوله الكلاب يبكون ويظهرون الحزن عليه فلما مات أظهروا البكاء عليه والعويل والهم بعض الناس فدفنوه فكانت الكلاب تزور قبره حتى ماتوا فهذه نظرة الى كلب فعلت ما فعلت فكيف لو وقعت على انسان (١) ؟!!!

والنص واضح ولا يحتاج الى شرح وبيان ولكن لا ندرى ماذا يقصد الشعراني من ايراد مثل هذه القصة المكذوبة أساسا ولعله يريد أن يدعو الناس الى عبادة الكلاب بعد أن دعاهم الى عبادة البشر

وقال الشعراني أيضا سمعت سيدى محمد بن عنان رضى الله عنه يقول الشيخ علي الخواص البرلس أعطي التصرف في ثلاثة أباع مصر وقراها

وسمعت مرة أخرى يقول لا يقدر أحد من أرباب الأحوال أن يدخل مصر الا باذن الشيخ علي الخواص وكان رضي الله عنه يعرف أصحابه التوبة في سائر أقطار الأرض ويعرف من تولى منهم ساعة ولايته ومن عزل ساعة عزله ولم أرى هذا القدم لأحد غيره من مشائخ مصر الى وقتي هذا وكان له اطلاع عظيم على قلوب الفقراء فكان يقول فلان اليوم زاد فتحه كذا وكذا دقيقة وفلان نقص اليوم كذا وكذا وفلان فتح عليه بفتوح يدوم الى آخر عمره (٢)

---

(١) — الطبقات الكبرى للشعراني ٢/ ٦٦

(٢) — الطبقات الكبرى للشعراني ٢/ ١٥٠

و ذكر الشعراني أيضا أن سيده محمد عنان اذا جاءه أهل الحوائج الشديدة كشخص رسم السلطان بشنقه أو مسكه الوالي بزغل أو حرام أو نحو ذلك يرسل صاحب الحاجة للشيخ و يقول نحن ما معنا تصريف في هذا البلد فتقضى الحاجة (١)

اذا نظرنا في النصوص السابقة نرى بوضوح أن الشعراني زعم فيها بأن الأوليـــاء لهم التصرف مع الله في هذا الكون

و قال المناوى (٢) و هو يتحدث عن امتيازات الأولياء دون غيرهم من البشر :

(النوع الأول احياء الموتى و هو أعلاها فمن ذلك ان أبا عبيد اليسرى غزا و معـه دابة فماتت فسأل الله أن يحييها فقامت تنفض أذنيها وأن مفرجا الدماميني أحضر له فراخ مشوية فقال طيرى باذن الله تعالى فطارت و وضع الكيلاني يده على عظـــم دجاجة أكلها و قال لها قومي باذن الله فقامت

و مات لأبي يوسف الدهماني ولد فجزع عليه فقال له الشيخ قم باذن الله فقام و عاش طويلا و سقط من سطح الغاروقي طفل فمات فدعا الله فأحياه (٣)

---

(١)ـ الطبقات الكبرى للشعراني ٢/ ١٥١

(٢)ـ هو عبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين حضر دروس الأستاذ محمد البكرى في التفسير و التصوف و أخذ التصوف عن جمع و تلقن الذكر من قطب زمانه الشيخ عبد الوهاب الشعرانـــي ثم أخذ الطريقة الخلـوتية عن الشيخ محمد المناخلي و الطريقة الشاذلية عن الشيخ منصور الفيطي و الطريقة النقشبندية عـــن مسعود الطاشكندى و غيرهم و توفي ٤/ ١١/ ١٠٢٢ه انظر ترجمته في خلاصة الأثـــر للمجـــــي ٢/ ٤١٣

(٣)ـ الكواكب الدرية للمناوى ١١

و قال أحمد التيجاني و هو يتحدث عن الولي في المفهوم الصوفي :

(انه خليفة الله يملكه الله كلمة التكوين حتى قال للشيء كن فيكون من حينه)(١) .

و هذا ابراهيم الدسوقي يزعم ان اغلاق النار و فتح الجنة بيده و اليك نص عبارته قال : (أنا بيدى أبواب النار أغلقها و بيدى جنة الفردوس فتحتها من زارني أسكنته جنة الفردوس و ما كان ولي متصلا بالله الا و هو يناجي ربه كما كان موسى يناجي ربه)(٢).

وذكر ود ضيف الله الجعلي السوداني ان فاطمة بنت عبيد مرضت مرضا شديدا أشرفت فيه على الموت و جاءه الفقيه النور و قال له يا سيدى الشيخ حسن أحيا الميت و الحسن يريدك نسأل الله لها أن يحييها قد نذر لك بفرخة و أنه تغل للفقيه النور في ماء الركوة و أدخله في فمها فمجته لأنها في حالة السياق ففي آخر الليل خاطبت النور بصوت هادىء و قالت أنا طيبة فاني رأيت الشيخ خوجلي و أقف عند الصندوق فوكزني بعصاة و قال لي قومي ثم ان النور قام في ليلة و ركب و سار الى توتي فوجد الفقيه أحمد بن الشيخ امام المسجد و قال له البشارة بنت عبيد طيبة و قال له أحمد الفقيه ساد الخلوت عليه الى الآن و قال أنا عيان كنا أنا و ملك الموت نتنازع في روح بنت عبيد فتركها لي (٣)

و ذكر عنه أيضا بأنه أحيا عفيشة ولد أبكر غرق في بحر الخشاب فمكث في البحر ثلاثة أيام و قض نحبه و قالوا له صل على حوارك فقال أنا ما حسن الأول عند سيدى أنا حوارى غرقان له ثلاثة أيام ما أخبره فلما رآه قال له قم فقام فتطالت روحه و تزوج بعد ذلك و ولد له ولد أسماه أبكر قال سوار الخليفة أنا شفت أبكر المولود بعد موت أبيه

---

(١)— جواهر المعاني لعلي حرازم ٢/ ٨

(٢)— الطبقات الكبرى للشعراني ١/ ١٨١

(٣)— طبقات ود ضيف الله الجعلي ١٩٨

و ذكر عنه أيضا بأنه أحيا ولد المرقوبين رجالا مراقيب عنده خرجوا معه للقنص عندهم فرد ولد لقيوه ميت جاءه شافه قال لهم ما مات قم فقام و تمالت فيه الروح (١)

و ذكر عنه أيضا بأنه جاءه رجل غرباوى مسافر للحج و أودعه فرخة و قال وصلها الى الفتاة و بعد وقت بسيط أرسلت له الفتاة تخبره بموت الفرخة و طلب الكفن لها ثم قدم صاحبها من الحج فطلب جاريته و أرسل الشيخ الى الفتاة و قال لها فرخة الفقيـــر هاتوها فقالت له الفتاة ماتت و أنت جئت كفنتها و دفنتها فقال الشيخ ما ماتت امشـوا أوتوبها فنبشوهـــا فوجدوهـــا حية و أعطوها لصاحبها (٢) .

و ذكر الشعراني عن الشيخ أبو مدين

أن بعض الفقراء شاوره في السفر الى بلاده ليقطع علائقه و يجيء الشيخ بالكلية فـاذن له فباع ذلك الفقير بقرته و بعض أمتعته و جعل ثمنها في صرة و وضعها في رأسه فلما جاء في المركب نفض الراجع عمامته فوقعت الصرة في بحر النيل أيام زيارته فلما دخـل الشيخ حكى له ما وقع فرفع سيدى مدين رضي الله عنه طرف السجادة و أخرج تلـك الصرة تقطر ماء (٣)

و قال عبد العزيز الدباغ حاكيا عن شيخه أن عبدالله البرناوى أحد شيوخه الذيـن تلقى عنهم العلوم الصوفية أنه كان شديد الاتباع في ظاهره و باطنه لشريعة النـــبي و كان يتولى التصرف في جميع من يزور الصالحين الموتى فهو ينظر في حوائجهم و يقضي ما قضى الله منهـــا (٤)

---

(١)— طبقات ود ضيف الله الجعلي السوداني ١٤٣

(٢)— طبقات ود ضيف الله الجعلي السوداني ١٤٤

(٣) الطبقات الكبرى للشعراني ٢/ ١٥٦

(٤) — الابريز للدباغ ٢٤٢

و قال الشيخ حسين أحد القادريين الصوماليين و هو يتحدث عن تصرف الأولياء في هذا الكون :

(كانت الأرض كرة فأمر الله تعالى رجالا منهم أنا و الشيخ محي الدين العلـــي دحيها فدحوناها بقدرته تعالى)(١)

و قال الشيخ علي بن مؤمن الصومالي القادرى جاءني مرة الشيخ محمد حسن بركات و معه جمـاعة و نزلوا به و أضفتهم فقال لي أتعرف شيخك الشيخ محي الدين العلـي فقلت له فقال لم فقلت هو أعظم من أن أعرفه و أقول انه انسان أو جن أو ملـــك فقال صدقت هل أعلمك فقلت نعم فقال كنا ألف ألف و مائتي ألف نقيبا فأمرنا الله تعالى أن نكسح مواضع البحار و نأتي بماء في جرة من البحر المسجور و نصب في المواضع الـتي كسحناها ففعلنا ذلك و كانت الجرة مفتوحة الطرفين و أمسكت الماء بقدرة الله تعالـــى و أعلمنا أنه لا يخلق خلقا لا يعيش بلا ماء و بقي من هؤلاء النقباء الآن أربعة أنـــا و شيخك الشيخ محي الدين و الشيخ أبو حسين و الشيخ نور كبير و لا نرفع من الدنيا بل نغيب من مكان الى مكان ما بقي القرآن و نتبعه وقت رفعه (٢)

اذا نظرنا في النصوص السابقة نرى بوضوح أن دعوى التصرف للأولياء في الكـون واضحة فيها و بما أن النصوص واضحة فلا تحتاج الى شرح و لا الى بيان فكما سبـــق ادعى المتصوفة أن الأولياء يحيون و يميتون و يرزقون و يسلبون الالبـاب عن خالفهـم و غير ذلك من الحكايات الكثيرة التي أوردها المتصوفة عن مشائخهـــــم

---

(١)— تذكرة أهل اليقين في مناقب الشيخ محي الدين ١٣

(٢)— نفس المرجع ١٤

و الخلاصة التي نخرج بها بعد أن أوردنا هذه النصوص الكثيرة من بطون كتب المتصوفة و من أفواه مشائخهم هي أن المتصوفة يعتقدون بأن الأولياء لهم التصرف الكامل في هذا الكون فهم الذين يديرونه و يحفظونه و يرزقون من فيه و يحيون و يميتون بل و لهم التصرف الكامل في الآخرة حيث أنهم يدخلون الجنة من اتبعهم بل ان مفاتيح أبواب النار و الجنة بأيديهم و هذه حقائق أثبتناها و الحمد لله بايراد نصوص من بطون كتبهم و لا يستطيعون أن ينكروا بأنهم يعتقدون أن الأولياء شركاء لله سبحانه في التصرف في هذا الكون و الآن بعد أن أثبتنا عليهم معتقدهم الباطل هذا نريد أن نبين موقف الاسلام من معتقداتهم الباطلة هذه تجاه من يسمونهم أولياء الله و ها أنا أشرع فيه الآن (١)

---

(١) — انظر ص ٦١٣ — ٦٣١

المطلب الثاني : موقف أهل الاسلام من هذه المراتب و ممن يدعي التصرف لغير الله في هذا الكون .

لقد بينا في المطلب الأول المراتب التي وضعها الصوفية لمن يطلقون عليهم أولياء الله و وضحنا بنصوص من بطون كتبهم بأنهم يعتقدون أن هذا الكون تسيره مجموعة من البشر أطلقوا عليها الأولياء و على رأس هذه المجموعة القطب الذى يعتبر الزعيم الأكبر المسيطر على هذا الكون بحيث لا يقع في هذا الكون من خير أو شر الا عن طريقه (١)

ثم أتبعت ذلك بايراد نصوص و حكايات أوردها الصوفية عن مشائخهم و كلها تثبت و تؤكد لنا أن المتصوفة يعتقدون بأن الأولياء لهم التصرف الكامل في هذا الكون و أنهم ينفذون كل ما يريدون بكلمة كن و يحيون و يميتون و غير ذلك من الأمور التي ذكرها المتصوفة على أن الأولياء لهم القدرة عليها رغم أنها أمور لا تليق الا بالله سبحانه و تعالى(٢)

والآن نريد في هذا المطلب أن نبين موقف الاسلام من هذه المراتب التي ابتدعها الصوفية و ممن يدعي التصرف لغير الله في هذا الكون

و اذا أردنا أن نعرف موقف الاسلام من هذه المراتب فاننا نجده بأنه يرفض هذه المراتب رفضا قاطعا و ذلك لأنها من بدعة الصوفية و ليس لهم أى دليل يستندون عليه لا من كتاب الله و لا من سنة رسول الله صلى الله عليه و سلم و انما أتوا بها من عند أنفسهم و بما أننا نحن أهل السنة و الجماعة نعتقد أن الاسلام هو ما جاء في كتاب الله و في سنة رسوله محمد صلى الله عليه و سلم نعتبر هذه المراتب بدعية و ما دامت هي بدعية فهي مرفوضة عندنا قطعا

---

(١) — انظر ص ٥٧١ — ٥٧٣ (٢) — انظر ص ٥٨٤ — ٦١٠

وكما وضح لنا في المطلب الأول من هذا المبحث لم يقف الصوفيه في ابتداع هذه المراتب و الألقاب لمن يسمونهم الأولياء بل زعموا بأن هؤلاء الأولياء الذين تطلق عليهم هذه الألقاب هم الذين يسيرون هذا الكون و هذا اعتقاد فاسد و باطل و شرك بالله عز و جل في التصرف لأن الشرك أنواع و هذا من شرك التصريف

و من هنا نقول ان هذه المراتب و الوظائف المزعومة نرفضها رفضا قاطعا و على المتصوفة أن يتنازلوا عنها ان أرادوا النجاة لأنفسهم

و خير من ناقش الصوفية في هذه المراتب و الوظائف شيخ الاسلام بن تيمية في كتابه مجموع فتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية في عدة أماكن من هذا الكتاب حيث أجاب رحمه الله تعالى على سؤال وجه اليه عن مراتب الصوفية هذه و الوظائف التي نسبوها الى الأولياء

فقال : (أما الأسماء الدائرة على ألسنة كثير من النساك و العامة مثل الغوث الذى بمكة و الأوتاد الأربعة و الأقطاب السبعة و الأبدال الأربعين و النجباء الثلاثمائة فهذه أسماء ليست موجودة في كتاب الله تعالى و لا هي أيضا مأثورة عن النبي صلى الله عليه و سلم بأسناد صحيح و لا ضعيف يحمل عليه ألفاظ الأبدال فقد روى فيهم حديث شامي منقطع الاسناد عن علي بن أبي طالب عنه مرفوعا الى النبي صلى الله عليه و سلم انه قال : ان منهم يعني أهل الشام الأبدال الأربعين رجلا كلما مات رجل أبدل الله تعالى مكانه رجلا و لا توجد هذه الأسماء في كلام السلف كما هي على هذا الترتيب و المعاني عن المشائخ المقبولين عند الأئمة قبولا عاما و انما توجد على هذه الصورة عند بعض المتوسطين من المشائخ و قد قالها اما آثرا لها عن غيره أو ذاكرا .....

ثم قال شيخ الاسلام فالكتب المنزلة من السماء و الاشارة من العلم المأثور عن خاتم الأنبياء

يميز الله بها الحق من الباطل و يحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه و بذلك يتبين ان هذه الأسماء على هذا العدد و الترتيب و الطبقات ليست حقا في كل زمان بل يجب القطع بأن هذا على عمومه و اطلاقه باطل فان المؤمنين يقلون تارة و يكثرون أخرى وينتقلون في الأمكنة و ليس من شرط أولياء الله أهل الايمان و التقوى و من يدخل فيهم من السابقين المقربين لزوم مكان واحد في جميع الأزمنة و ليس من شرط أولياء الله أهل الايمان و التقوى و من يدخل فيهم من السابقين المقربين تعيين العدد

و قد بعث الله رسوله بالحق و آمن معه بمكة نفر قليل كانوا أقل من سبعة ثم أقل من أربعين ثم أقل من سبعين ثم أقل من ثلاثمائة فيعلم أنه لم يكن فيهم هذه الأعداد و من الممتنع أن يكون ذلك في الكفار ثم هاجر هو و أصحابه الى المدينة و كانت هي دار الهجرة و السنة و النصرة و مستقر النبوة و موضع خلافة النبوة و بها انعقدت بيعة الخلفاء الراشدين أبي بكر و عمر و عثمان و علي رضوان الله تعالى عليهم أجمعين وان كان قد خرج منها بعد أن بويع فيها و من الممتنع أنه قد كان بمكة في زمنهم من يكون أفضل منهم

نعم ان الاسلام انتشر في مشارق الأرض و مغاربها و كان في المؤمنين في كل وقت من أولياء الله المتقين بل من الصديقين السابقين المقربين عدد لا يحصي عدده الا رب العالمين لا يحصرون بثلاثمائة و لا بثلاثة آلاف و لما انقضت القرون الثلاثة الفاضلة كان في القرون الخالية من أولياء الله المتقين بل من السابقين المقربين من لا يعرف عدده و ليسوا بمحصورين بعدد ولا محدودين بأمد و كل من جعل لهم عددا محصورا فهو من المبطلين عمدا أو خطأ فنسأله من كان القطب و الثلاثة الى سبعمائة في زمن آدم و نوح و ابراهيم و قبل محمد عليهم الصلاة و السلام في الفترة حين كان عامة الناس كفرة

قال الله تعالى : ((ان ابراهيم كان أمة قانتا لله حنيفا ولم يك من المشركين)) (١)

أى كان مؤمنا موحدا وحده و كان الناس كفارا جميعا

و في صحيح البخارى أنه قال لسارة : (ليس على الأرض اليوم مؤمن غيرى وغيرك) (٢)

و قال الله تعالى : ((هو الذى بعث في الأميين رسولا منهم يتلوا عليهم آياته و يزكيهم و يعلمهم الكتاب و الحكمة و ان كانوا من قبل لفي ضلال مبين)) (٣)

و ان زعموا أنهم كانوا بعد رسولنا عليه السلام نسألهم في أى زمان كانوا و من أول هؤلاء و بأية آية و بأى حديث مشهور في الكتب الستة و بأى اجماع متواتر من القرون الثلاثة تثبت وجود هؤلاء بهذه الأعداد حتى نعتقده لأن العقائد لا تعتقد الا من هذه الأدلة الثلاثة و من البرهان العقلي ((قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين)) (٤) فان لم يأتوا بهذه الأدلة الأربعة الشرعية فهم الكذابون بلا ريب فلا نعتقد أكاذيبهم . . .

ثم قال شيخ الاسلام ابن تيمية : فأما لفظ الغوث و الغياث فلا يستحقه الا الله فهو غياث المستغيثين فلا يجوز لأحد الاستغاثة بغيره لا بملك مقرب و لا نبي مرسل و من زعم أن أهل الأرض يرفعون حوائجهم التي يطلبون بها كشف الضر عنهم و نزول الرحمة الى الثلاثمائة و الثلاثمائة الى السبعين و السبعون الى الأربعين و الأربعون الى السبعة و السبعة الى الأربعة و الأربعة الى الغوث فهو كاذب ضال مشرك فقد كان المشركون كما أخبر الله تعالى عنهم بقوله : ((و اذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون الا اياه فلما نجاكم الى البر أعرضتم و كان الانسان كفورا)) (٥)

---

(١) — النحل آية ١٢٠

(٢) — صحيح البخارى مع الفتح ٦ / ٣٨٨

(٣) — الجمعة آية ٢

(٤) — النمل آية ٦٤

(٥) — الاسراء آية ٦٧

وقال سبحانه :((أمن يجيب المضطر اذا دعاه و يكشف السوء و يجعلكم خلفاء الأرض أاله مع الله قليلا ما تذكرون))(١)

فكيف المؤمنون يرفعون اليه حوائجهم بعده بوسائط من الحجاب و هو القائل تعالى ((و اذا سألك عبادى عني فاني قريب أجيب دعوة الداع اذا دعان فليستجيبوا لي و ليؤمنوا بي لعلهم يرشدون))(٢)

و قال ابراهيم عليه السلام داعيا لأهل مكة :((ربنا اني أسكنت من ذريتي بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوى اليهم و ارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون ربنا انك تعلم ما نخفي و ما نعلن و ما يخفى على الله من شيء في الأرض و لا في السماء الحمد لله الذى وهب لي على الكبر اسماعيل و اسحاق ان ربي لسميع الدعاء))(٣)

و قال النبي صلى الله عليه و سلم لأصحابه لما رفعوا أصواتهم بالذكر :(أيها الناس اربعوا على أنفسكم فانكم لا تدعون أصم و لا غائب و انما تدعون سميعا قريبا ان الذى تدعونه أقرب الى أحدكم من عنق راحلته)(٤)

و قد علم المسلمون كلهم انه لم يكن عامة المسلمين و لا مشائخهم المعروفون يرفعون الى الله حوائجهم لا ظاهرا و لا باطنا بهذه الوسائط و الحجاب فتعالى الله عن تشبيهه بالمخلوقين من الملوك فسائر ما يقوله الظالمون علوا كبيرا و هذا من جنس دعوى الرافضة انه لابد في كل زمان من امام معصوم يكون حجة الله على المكلفين لا يتم الايمان الا به ثم مع هذا يقولون انه كان صبيا دخل السرداب من أكثر من أربعمائة و أربعين سنة و لا يعرف له عين و لا أثر و لا يدرى له حس و لا خبر

---

(١)- النمل آية ٦٢

(٢)- البقرة آية ١٨٦

(٣)- ابراهيم آيات ٣٧-٣٨-٣٩

(٤)- صحيح البخارى مع الفتح ١١/ ٥٠٠

و هؤلاء الذين يدعون هذه المراتب فيهم مضاهاة للرافضة من بعض الوجوه بل هذا الترتيب و الاعداد تشبه من بعض الوجوه ترتيب الاسماعيلية و النصيرية و نحوهم في السابق و التالي و الناطق و الأساس و الجسد و غير ذلك من الترتيب الذى ما أنزل الله به من سلطان (١)

و قال شيخ الاسلام ابن تيمية أيضا : (و كذلك من فسر الأربعين الأبدال بأن الناس انما ينصرون و يرزقون بهم فذلك باطل بل النصر و الرزق يحصل بأسباب من أكدها دعاء المؤمنين و صلاتهم و اخلاصهم و لا تقيد ذلك لا بأربعين و لا بأقل و لا بأكثر كما جاء في الحديث المعروف ان سعد بن أبي وقاص قال يا رسول الله الرجل يكون حامية القوم ايسهم له مثل ما يسهم لأضعفهم فقال يا سعد و هل تنصرون و ترزقون الا بضعفائكم بدعائهم و صلاتهم و اخلاصهم)(٢)

و قال شيخ الاسلام ابن تيمية أيضا :(و ليس في أولياء الله المتقين و لا عباد الله المخلصين الصالحين و لا أنبيائه المرسلين من كان غائب الجسد دائما عن أنظار الناس بل هذا من جنس القائلين ان عليا في السحاب و محمد بن الحنيفة في جبال رضوى و أن محمد بن الحسن بسرداب سامرى و ان الحاكم بجبل مصر و ان الأبدال الأربعين رجال الغيب بجبل لبنان فكل هذا و نحوه من قول أهل الافك و البهتان (٣)

و قال ابن خلدون عن هؤلاء المتصوفة الذين ابتدعوا هذه المراتب و الوظائف للأولياء : (ان هؤلاء المتأخرين من المتصوفة المتكلمين في الكشف و فيما وراء الحس توغلوا في ذلك فذهب الكثير منهم الى الحلول و الوحدة كما أشرنا اليه و ملأوا الصحف

---

(١) — مجموع فتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية ١١ / ٤٣٣ — ٤٣٩

(٢) — نفس المرجع ١١ / ٤٤٢

(٣) — نفس المرجع ١١ / ٤٤٣

منه مثل الهروى في كتاب المقامات له وغيره وتبعهم ابن عربي وابن سبعين وتلميذهما ابن العفيف وابن الفارض والنجم الاسرائيلي في قصائدهم وكان سلفهم مخالطين للاسماعيلية المتأخرين من الرافضة الدائنين أيضا بالحلول والالهية الأئمة مذهبا لم يعرف لأولهم فاشرب كل واحد من الفريقين مذهب الآخر واختلط كلامهم وتشابهت عقائدهم وظهر في كلام المتصوفة القول بالقطب ومعناه رأس العارفين يزعمون أنه لا يمكن أن يساويه أحد في مقامه في المعرفة حتي يقبضه الله ثم يورث مقامه لآخر من أهل العرفان وقد أشار الى ذلك ابن سينا في كتاب الاشارات في فصول التصوف منها فقال : (جل جناب الحق ان يكون شرعه لكل وارد أو يطلع عليه الا واحد بعد الواحد)وهذا كلام لا تقوم عليه حجة عقلية ولا دليل شرعي وانما هو من أنواع الخطابة وهو بعينه ما تقوله الرافضة ودانوا به ثم قالوا بترتيب وجود الأبدال بعد هذا القطب كما قاله الشيعة في النقباء (١)

وقال أحمد أمين المصرى : (ان الصوفية اتصلت بالتشيع اتصالا وثيقا وأخذت فيما أخذت عنه فكرة المهدى وصاغتها صياغة جديدة وسمته قطبا وكونت مملكة من الأرواح على نمط مملكة الأشباح وعلى هذه المملكة الروحية القطب وهو نظير الامام أو المهدى في التشيع والقطب هو الذى يدبر الأمر في كل عصر وهو عماد السماء ولولاه لوقعت على الأرض ويلي القطب النجباء)(٢)

ومما سبق يتبين لنا أن القول بهذه المراتب التي وضعها المتصوفة ما هي الا بدعة قلد فيها المتصوفة للشيعة وليست من الاسلام في شيء وأن قول المتصوفة بأن هذا الكون يسيره هؤلاء المجموعة الذين أطلقوا عليهم هذه المراتب والأسماء

---

(١) — مقدمة ابن خلدون الفصل الحادى عشر في علم التصوف ٤٧٣

(٢) — ضحى الاسلام لأحمد أمين ٢٤٥

محض افتراء و كذب و بهتان لا أساس له من الصحة و ذلك لأن هذا الكون ملك للـــه سبحانه و تعالى من سماوات و أرضين و لذا فهو المسير له سبحانه و المتصرف فيه لا يشركه في هذا لا ملك مقرب و لا نبي مرسل و لا ولي صالح عابد لله فضلا عن أن يشركه فيه دجاجلة المتصوفة و كهانهم

يقول الشيخ حسين بن مهدى النعيمي في معرض رده على المتصوفة الذين يزعمون أن الأولياء لهم القدرة على التصرف في هذا الكون و يقضون حوائج من توجه اليهم :

(و بالجملة فاختصاصه تعالى بكونه القوى القادر القاهر يدبر الأمر وحده و غير ذلك من أسمائه و صفاته أمر ظاهر منكشف و حذار من الاستدراك عليه بقولك : الا من جعله الله قاهرا مدبرا للأمر كما تجاسر خواص عباد الموتى فانه زيادة مضادة للمعاني المقصودة بتلك الأسماء و الصفات

و ان زعمت ان أول ذلك الاستدراك و عقد القلب عليه يمانع المضادة المذكورة فقل لي هل أتاك بـــه عن الله من سلطان صحيح بل هل هو موافق للفطرة السليمة و العقل الصحيح و بماذا تجيب السريع الحساب بعد نزولك دار الملامة فاياك و الهوى في مزالق التقليد الأعمى و بتالفه المهلكة بنسبة خصائص الفقير العاجز الى القوى الغني الحميد فما أشنعها من فرية و تعطيل و ما أقبحه من جهل بما للعلي الجليل

هذا الله العزيز الحكيم يقول : (خلق السماوات بغير عمد ترونها و ألقى في الأرض رواسي أن تميد بكم و بث فيها من كل دابة و أنزلنا من السماء ماء فأنبتنا فيها من كـل زوج كريم هذا خلق الله فأروني ماذا خلق الذين من دونه بل الظالمون في ضـلال مبيـــــن) (١)

و يقول الله عز وجل : ((الله الذى خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم هل من شركائكم

---

(١) — لقمان آية ١٠ — ١١

من يفعل ذلكم من شيء سبحانه و تعالى عما يشركون))(١)

و يقول سبحانه و تعالى :((هو الأول و الآخر و الظاهر و الباطن و هو بكل شيء عليم))(٢)

ثم قال الشيخ : و كذلك اخراج شيء من مقتضيات أسماء ربنا سبحانه و تعالى و صفاته عن محله لآيات ((ما قدروا الله حق قدره ان الله لقوى عزيز))(٣)

و نسبة ما للقوى القادر الى الضعيف العاجز من ربوبية أو الهية و معبودية أو مقتضاتهما ، حسب أو مثلا و ما في معناهما أقبح شرك بالله و تنديد

يقول الله تعالى :((ثم اللذين كفروا بربهم يعدلون))(٤)

و يقول سبحانه :((و من الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله و الذين آمنوا أشد حبا لله))(٥)

ثم قال الشيخ : و لكنا لا نعلم أن الله سبحانه و تعالى جعل شرك القوم و تنديدهم هو ذهابهم الى اتخاذ الند و الشبيه له صفات ربوبيته من حكمته و علمه و قدرته و قوته و صفة الخلق و الرزق و الاحياء و الاماتة و غيرها فأضافوها الى أندادهم و جعلوها مثلا له في ذلك متصفة بتلك النعوت أو ان المسألة لها كانت شركا بأولئك الالهة لأن التصرف و التصريف استقلالا أو نيابة أو لأن لها بالتعبد لها و الاستشفاع بها أثر مقطوعا بحصوله ونيله كما ترى عليه اليوم بعض عباد القبور أو عاقبهم فيما يصفون لها بل غاية ذلك فيما قص الله علينا — ان شفاعتهن لترتجى

---

(١)— الروم ٤٠

(٢)— الحديد آية ٣

(٣)— الحج آية ٧٥

(٤)— الأنعام آية ١

(٥)— البقرة آية ١٦٥

وحاصل الأول أن القصد الأول و هو الحاصل بالتوجه و المسألة اذ هما عينه — واقع لا ما وراءه من نية أنها هي المحصلة لما سألوه لتأهلها و صحة انبعاثه عن تأثيرها فلا نعلمه

و لكن القوم عمدوا الى ما تقتضيه تلك الصفات العلى و تستتبعه و تنادى به أن يكون من الآثار و التعلقات المعمولة بحسب ما ينبغي و يتجه لتلك الصفات فنقلوه عن هذه الجهة و قطعوه منها الى غيرها و صرفوه لذلك الغير كدعاء الأوثان و التأله لأحد من الأغيار ثان و حكم بسوى ما رسمه منزل القرآن و سوق الهدايا الى مالم يأذن به و القربان و التعلق في نفع أو دفع بعبد ميت أو مكان أو زمان على النحو الذى سمعت فيما مر لك أيها الانسان

و شائع شرك الوثنية و عامته هو فيما يعلم كل عاقل من هذا القبيل و لقد تتبعنا في كتاب الله من فصول تراكيبه و أصول أساليبه فلم نجده تعالى حكى عن المشركين ان عقيدتهم في آلهتهم و شركائهم التي عبدوها من دونه أنها تخلق و ترزق و تحيي و تميت و تنزل من السماء ماء و تخرج الحي من الميت و تخرج الميت من الحي

بل اذا ضاق عليهم الأمر و اشتد بهم الكرب فزعوا الى الله وحده فاذا سئلوا عن حقيقة دينهم هل هو شرك في الربوبية دانوا و أذعنوا للرب وحده بالاختصاص بكل ذلك و الانفراد و هذا واضح لمن ألقى السمع للقرآن فيما حكى عنهم بقوله : ((قل لمن الأرض و من فيها ان كنتم تعلمون سيقولون لله قل أفلا تذكرون قل من رب السماوات السبع و رب العرش العظيم سيقولون لله قل أفلا تتقون قل من بيده ملكوت كل شيء و هو يجير و لا يجار عليه ان كنتم تعلمون سيقولون لله قل فأنى تسحرون)) (١)

---

(١) — المؤمنون آيات ٨٤ — ٨٥ — ٨٦ — ٨٧

ثم قال : فتأمل ذلك و تصفحه بفكر صاف و نظر ثاقب و عقل سليم و تدبر صحيح سيما من بيده كل شيء و هو يجير و لا يجار عليه

و اعتبر عقائد عباد الموتى و صرفهم التدبير الالهي بالملاحظة لما لم يقع ليقع و النسبة لما وقع اليها قال تعالى : ((يا أيها الناس اذكروا نعمة الله عليكم هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء و الأرض لا اله الا هو فأنى تؤفكون)) (١)

وقال تعالى : ((الله الذى خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء سبحانه و تعالى عما يشركون)) (٢)

و قال تعالى : ((و اذا مس الناس ضر دعوا ربهم منيبين اليه ثم اذا أذاقهم منه رحمة اذا فريق منهم بربهم يشركون)) (٣)

و قال تعالى : ((قل من رب السماوات و الأرض قل الله قل أفتخذتم من دونه أولياء لا يملكون لأنفسهم نفعا و لا ضرا قل هل يستوى الأعمى و البصير أم هل تستوى الظلمات و النور أم جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم قل الله خالق كل شيء و هو الواحد القهار)) (٤)

ثم قال رحمه الله : (تأمل دين عباد القبور اليوم خصوصا الغالين منهم اذا مسهم الضر أنابوا اليه ويروون قاتلهم الله (اذا دهمتكم الأمور فعليكم بأصحاب القبور) ثم يذوقون الرحمة من الله مع كفرهم هذا فيقولون كرامة الشيخ و برهانه و اذا أخفق سعيهم يقولون هو غائب أو ساخط

---

(١) — الروم آية ٣٣

(٢) — الروم آية ٤٠

(٣) — الرعد آية ١٦

(٤) — الرعد آية ١٦

وهذه قضية واقعة فاشية في الكثير أو الأكثر وان السالم من حماها نزر لا يكاد يذكر والاستفهام في قوله تعالى : ((هل من خالق غير الله)) وقوله : ((هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء)) وقوله : ((من رب السماوات والأرض)) يؤتى بمثله للتقرير على المخاطب بما يعلمه وهو أمر ثابت عنده

ومن المعلوم أن خالق الحب والنوى وبارئ النسيم عندهم هو الله العلي العظيم فانظر هداني الله وإياك بعين الاعتبار وتأمل بقلب — شهيد قول الله تعالى : ((ضرب لكم مثلا من أنفسكم هل لكم مما ملكت أيمانكم من شركاء فيما رزقناكم فأنتم فيه سواء تخافونهم كخيفتكم أنفسكم)) (١)

وقوله : ((قل من يرزقكم من السماء والأرض أم من يملك السمع والأبصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يدبر الأمر فسيقولون الله فقل أفلا تتقون فذلكم الله ربكم الحق فماذا بعد الحق الا الضلال فأنى تصرفون)) (٢)

وقوله : ((كذلك حقت كلمة ربك على الذين فسقوا أنهم لا يؤمنون)) (٣)

وقوله : ((قل هل من شركائكم من يبدأ الخلق ثم يعيده قل الله يبدأ الخلق ثم يعيده فأنى تؤفكون)) (٤)

((قل هل من شركائكم من يهدي الى الحق قل الله يهدي للحق أفمن يهدي الى الحق أحق أن يتبع أم من لا يهدي الا أن يهدى فما لكم كيف تحكمون)) (٥)

---

(١) — الروم آية ٢٨

(٢) — يونس آية ٣١—٣٢

(٣) — يونس آية ٣٣

(٤) — يونس آية ٣٤

(٥) — يونس آية ٣٥

و قوله تعالى :((ياأيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا و لو اجتمعوا له و ان يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه ضعف الطالب و المطلوب ما قدروا الله حق قدره ان الله لقوى عزيز))(١)

و قوله تعالى :((و الذين يدعون من دونه لا يخلقون شيئا و هم يخلقون أموات غير أحياء و ما يشعرون أيان يبعثون الهكم اله واحد فالذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة و هم مستكبرون))(٢) . . . .

ثم قال بعد أن ذكر هذه الآيات :(و اعلم ان ذكرنا لهذه الآيات الكريمة عظة لمن يقول : انني من المسلمين و ايقاظا له ان كان ممن عمه داء عباد القبور فيتفقد نفسه و يحذر من كيد عدوه و يعرف لماذا قص الله من أنباء من سبق و نعى أفعالهم و جعلها آيات تتلى و بثها في العالمين و كررها في كتابه الحكيم المبين ليعلم أن الشيطان الذى أضل السابقين و أوقعهم في الشرك الوبيل لم يسالمه ولم تضع أوزاره بين أمة محمد صلى الله عليه وسلم و ان أمة محمد لم تغير سنن الله فيها ولا طبائع البشرية المعرضة للغفلة و النسيان و الجهل و الكفر و الفسوق و العصيان فمن علم ذلك أخذ حذره دائما و كان على بصيرة من أمره فلم يقدم على عمل الا على هدى من كتاب ربه و نور من سنة نبيه صلى الله عليه وسلم تسليما كثيرا

فلينظر العبد : أى شيء هو في هذه المقامات و هل دب فيه غائلة هذا من داء الأمم و هو لا يشعر) (٣)

و يقول الشيخ محمد رشيد رضا في تفسير قوله تعالى ((ألا له الخلق و الأمر تبارك الله رب العالمين))(٤) :

---

(١) — الحج آية ٧٣

(٢) — النحل ٢٠ — ٢٢

(٣) — معارج الألباب في مناهج الحق و الصواب لحسين بن مهدى النعيمي ٢٠٠ — ٢٠٥ باختصار

(٤) — الأعراف آية ٥٤

ألا أداة يفتتح بها القول الذى يهتم بشأنه لأجل تنبيه المخاطب لمضونه و حمله على تأمله و الخلق في أصل اللغة التقدير و انما يكون في شيء يقع فيه و استعمل بمعنى الايجاد بقدر أى ألا ان لله الخلق فهو الخالق المالك لذوات المخلوقات و له فيها الأمر و هو التشريع و التكوين و التصرف و التدبير فهو المالك و الملك لا شريك له في ملكه ولا في ملكه (١)

و قال الشيخ محمد رشيد رضا أيضا تحت قوله تعالى ((قل لا أقول لكم عندى خزائن الله و لا أعلم الغيب)) الآية :

بدأ بنفي القدرة على التصرف فيما ليس من شأن البشر التصرف فيه لعدم تسخير الله تعالى اياه لهم باقدارهم على أسبابه و ثنى بنفي علم الغيب الخاص بالله تعالى فقال : ((ولا أعلم الغيب)) أى لا أقول لكم اني أعلم الغيب وهو ما حجب الله علمه عن الناس بعدم تمكينهم من أسباب العلم به ككونه مما لا تدركه مشاعرهم الظاهرة و الباطنة لأنها لم تخلق مستعدة لادراكه ولا لطرق الاستدلال عليه أو لأنها مستعدة له بالقوة غير متمكنة من أسبابه بالفعل كعالم الآخرة فالغيب من جنس المعلومات كخزائن الله من جنس المقدورات يراد بهما ما اختص بالله تعالى فلم يمكن عباده من علمه و التصرف فيه أى لم يعطهم القوى و لم يسخر لهم الأسباب الموصلة الى ذلك . . . .

ثم قال بعد كلام طويل : (فعلم مما قررناه أن الرسل عليهم الصلاة و السلام لم يعطوا علم الغيب بحيث يكون ادراكه من علومهم الكسبية كما أنهم لم يعطوا قوة التصرف في خزائن ملك الله وهي ما لم يمكن البشر من اسبابه فيكون من أعمالهم الكسبية ولا أعطاهم اياه أيضا على سبيل الخصوصية كما أظهرهم على بعض الغيب الذى هو موضع الرسالة و نفس

---

(١) — تفسير المنار لمحمد رشيد رضا ٨/ ٤٥٤

ادعاء الرسول لكل من الأمرين يتضمن التبرؤ من ادعاء الالهية أو ادعاء شيء من صفات الاله وهو أولى و يستلزم الأول لأن كلا منهما خاص بالاله الذى هو على كل شيء قدير و بكل شيء عليم و قدرته و علمه صفتان ذاتيتان له و يتضمن بيان جهل المشركين بحقيقة الالهية و حقيقة الرسالة اذ كانوا يقترحون على الرسول من الأعمال مالا يقدر عليه الا من له التصرف فيما وراء الأسباب و من الأخبار بما يكون في مستقبل الزمان ما لا يعلمه الا من كان علم الغيب صفة له كسائر الصفات . . . .

و اذا كان الله تعالى لم يؤت الرسل ما لم يؤت غيرهم من أسباب التصرف في المخلوقات و من علم الغيب و كان كل من التصرف بالقدرة الذاتية و علم الغيب خاص به عزوجل يستحيل أن يشاركه فيه غيره فمن أين جاءت دعوى التصرف في الكون و علم الغيب لمن هم دون الرسل منزلة و كرامة عند الله تعالى من المشائخ المعروفين و غير المعروفين حتى صاروا يدعون من دون الله تعالى لما عز نيله بالأسباب و السنن الالهية

و قد قال المفسرون أن نفي النبي صلى الله عليه وسلم لهذين عن نفسه هو عبارة عن نفي ادعاء الالهية و بيان لكون ما اقترحوه عليه مما لا يقدر عليه غير الله تعالى فضلال المشركين في فهم الرسالة و جعلهم اياها شعبة من الربوبية لا يزال منتشرا في أذهان الناس حتى بعض المؤمنين باسم القرآن المتبركين بجلد مصحفه وورقه و بالتغني به في المآتم و غيرها الجاهلين بما أنزل لبيانه من توحيد الله تعالى و شئون ربوبيته و ألوهيته و من حقيقة الرسالة ووظيفة الرسل و من معنى الجزاء على العقائد و الأعمال دع ما دون هذه الأصول الثلاثة من أمور الدين اذ نرى بعض هؤلاء المعدودين في عرفهم و عرف الناس من أتباع القرآن يدعون التصرف في خزائن الله و علم الغيب لمن دون الرسل)(١)

---

(١) — تفسير المنار لمحمد رشيد رضا ٧ / ٤٢٢ — ٤٢٥ باختصار

و قال الشيخ صنع الله الحلبي الحنفي في كتابه الذى ألفه في الرد على من ادعى أن للأولياء تصرف في الحياة و بعد الممات في سبيل الكرامة : (هذا و انه قد ظهر الآن فيما بين المسلمين جماعات يدعون أن للأولياء تصرفات في حياتهم و بعد الممات ويستغاث بهم في الشدائد و البليات و بهممهم تكشف المهمات فيأتون قبورهم و ينادونهم في قضاء الحاجات مستدلين على أن ذلك منهم كرامات و قالوا منهم أبدال و نقباء و أوتاد و نجباء و سبعون و سبعة و أربعون و أربعة و القطب هو الغوث للناس و عليه المدار بلا التباس و جوزوا لهم الذبائح و النذر و أثبتوا لهم فيها الأجور قال و هذا الكلام فيه تفريط و افراط بل فيه الهلاك الأبدى و العذاب السرمدى لما فيه من روائح الشرك المحقق و مصادمة الكتاب العزيز المصدق و مخالفة لعقائد الأئمة و ما اجتمعت علي الأمة و في التنزيل : ((و من يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى و يتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى و نصله جهنم و ساءت مصيرا)) (١) الى أن قال : الفصل الأول فيما انتحلوه من الافك الوخيم و الشرك العظيم . . . . . الى أن قال : فأما قولهم ان للأولياء تصرفات في حياتهم و بعد الممات فيرده قوله تعالى : ((أإله مع الله)) (٢) و قوله : ((ألا له الخلق و الأمر تبارك الله رب العالمين)) (٣) و قوله : ((لله ملك السموات و الأرض)) (٤) و نحوه من الآيات الدالة على أنه المتفرد بالخلق و التدبير و التصرف و التقدير ولا شيء لغيره في شيء ما بوجه من الوجوه فالكل تحت ملكه و قهره تصرفا و ملكا و احياء و اماتة و خلقا و تمدح الرب سبحانه بانفراده في ملكه بآيات من كتابه كقوله : ((هل من خالق غير الله)) (٥)

---

(١) ـ النساء آية ١١٥
(٢) ـ النمل آية ٦١
(٣) ـ الأعراف آية ٥٤
(٤) ـ المائدة آية ١٢١
(٥) ـ فاطر آية ٤

و قوله : ((و الذين تدعون من دونه مايملكون من قطمير)) (١)

و ذكر آيات في هذا المعنى ثم قال : فقوله في الآيات كلها ((من دونه)) أى من غيره فانه عام يدخل فيه من اعتقدته من ولي و شيطان تستمده فان من لم يقدر على نصرة نفسه كيف يمد غيره الى أن قال : فكيف يتصور لغيره من يمكن أن يتصرف ان هذا من السفاهة لقول وخيم و شرك عظيم الى أن قال : (و أما القول بالتصرف بعد الممات فهو أشنع و أبدع من القول بالتصرف في الحياة ثم ذكر الآيات التي تدل على أن كل بني آدم و غيرهم من المخلوقات ميتون و ذكر الحديث الذى يدل على أن ابن آدم اذا مات انقطع عمله الا من احدى ثلاث المستثنية في الحديث و هي الصدقة الجارية و الولد الصالح الذى يدعو لوالديه و العلم النافع

ثم قال : فجميع ذلك و ماهو نحوه دال على انقطاع الحس و الحركة من الميت وأن أرواحهم ممسكة و أن أعمالهم منقطعة عن زيادة و نقصان فدل ذلك أن ليس للميت تصرفا في ذاته فضلا عن غيره بحركة و أن روحه محبوسة مرهونة بعملها من خير و شر فاذا عجز عن حركة نفسه فكيف يتصرف في غيره فالله سبحانه يخبر أن الأرواح عنده و هؤلاء الملحدون يقولون ان الأرواح مطلقة متصرفة قل أأنتم أعلم أم الله

ثم قال : و أما اعتقادهم أن هذه التصرفات لهم من الكرامات فهو من المغالطة لأن الكرامة شيء من عند الله يكرم بها أولياءه لا قصد لهم فيها ولا تحدى ولا قدرة ولا علم كما في قصة مريم بنت عمران و أسيد بن حضير و أبي مسلم الخولاني

ثم قال : و أما قولهم : فيستغاث بهم في الشدائد . فهذا أقبح مما قبله و أبدع لمصادمته قوله جل ذكره : ((أمن يجيب المضطر اذا دعاه و يكشف السوء و يجعلكم

---

(١) — فاطر آية ١٤

خلفاء الأرض أإله مع الله) (١)

و قوله : ((قل من ينجيكم من ظلمات البر و البحر))

و ذكر آيات في هذا المعنى ثم قال : فانه جل ذكره قرر أنه الكاشف للضر لا غيره وأنه المتعين لكشف الشدائد و الكرب و أنه المتفرد باجابة المضطرين و أنه المستغاث لذلك كله و أنه القادر على دفع الضر و القادر على ايصال الخير فهو المنفرد بذلك فاذا تعين هو جل ذكره خرج غيره من ملك و نبي وولي) (٢)

و قال الشيخ السيد محمد صديق حسن وهو يتحدث عن الأشياء التي يختص الله بها سبحانه و تعالى دون غيره من المخلوقات و أن أحدا اذا صرفها لغيره يصبح قد وقع في الشرك

قال : الشيء الثاني أن التصرف في العالم بمحض الارادة أى من دون أسباب عادية كصرفه تعالى بلفظ كن و القضاء بكل شيء و الاحياء و الاماتة و توسعة الرزق و تقتيره و الصحة و المرض و الفتح و الهزيمة و الاقبال و الادبار و انجاح المرام و قضاء الحوائج و دفع البليات و الاعانة في المشكلات و الاغاثة عند حلول الآفات و في أوقات المكروهات كل ذلك شأن الله تعالى ليس هذا الشأن لأحد من الأولياء و الأنبياء و المشائخ و الشهداء و الجن و الشياطين و الملائكة

فمن أثبت مثل هذا التصرف لأحد غير الله و يطلب منه المرادات و ينذر على هذا التوقع و يوجب على نفسه النذور لهم و يدعوهم عند المصائب و المصاعب فهو مشرك بالله الذى لا اله الا هو ولا حكم الا له وحده لا شريك له

---

(١) — النمل آية ٦٣

(٢) — تيسير العزيز الحميد شرح كتاب التوحيد ٢٣٢

و يقال لهذا الاشراك في التصرف أى اثبات التصرف لغير الله كاثباته لله تعالى سواء اعتقد أن قدرة هذا التصرف حصلت له بنفسه أو أعطاه الله اياها فالشرك ثابت على كل حال (١)

و قال الشيخ أبو بكر الجزائرى تحت عنوان " شرك الربوبية و مظاهره في الأمة الاسلامية" . . . . و هنا بيان مقتضب لتلك المظاهر الشركية في بعض أفراد الأمة الاسلامية نذكرها تحذيرا منها و تعليما بأن عقيدة المؤمنين الحقة خلو من كل مظاهر الشرك و آثاره لابتنائها على هدى الكتاب و السنة كتاب الله و سنة رسوله صلى الله عليه وسلم:

١ــ اعتقاد كثير من عوام المسلمين و أشباههم أن هناك في الكون أقطابا و أبدالا من الأولياء و الصالحين لهم قدر من التصرف معين في حياة الناس فهم يولون و يعزلون و يعطون و يمنعون و يضرون و ينفعون كما شاع بين عوام المسلمين أن لهؤلاء الأقطاب و الأبدال ديوانا يطلق عليه ديوان الصالحين منه تصدر القرارات و المراسيم بربح فلان و بحاجة و خيبة فلان و خسرانه و من هنا تعلقت قلوب كثير من الناس بالصالحين و هتفت بهم الألسنة و استغيث بهم و دعوا عند الشدائد و نودوا للخلاص من المحن وهو مظهر واضح للشرك في الربوبية لما فيه من اعتقاد التصرف و التدبير في الكون لغير الله تعالى أو له و لغيره معه سبحانه و تعالى

٢ــ اعتقاد كثير من المنتسبين الى العلم أن لأرواح الأولياء و الصالحين تصرفا بعد موتهم و شاع هذا الاعتقاد الكاذب الباطل و رسخ في نفوس كثير من المسلمين حتى أصبحت الأضرحة و المشاهد و القبور ملاذا لكل خائف و مستشفى لكل مريض فمن أصابه كرب أو نزل

---

(١)ــ الدين الخالص لمحمد صديق حسن ١/ ٣٠٤ــ٣٠٥

به ضيم أو حلت به نكبة فزع الى تلك الأضرحة و المشاهد و القبور وأناخ بساحتها و تعلق بأهداب أصحابها راجيا منها تفريج كربه و قضاء حاجته ..... و هذا من خصائص الربوبية اذ هو من التدبير للخلق الذى اختص به الرب تبارك و تعالى .....

ثم قال :

٤ — تقديس المشايخ من رجال التصوف و الطرقيين و المشعوذين و طاعتهم في غير طاعة الله فقال و طاعة رسوله بل فيما هو مكروه لله و رسوله صلى الله عليه و سلم و قبول ما يشرعون لهم من البدع و ما يسنون لهم من سنن الباطل و اتباعهم في ترك الهدى و معاداتها و معاداة أهلها و الداعين اليها و الاستجابة المطلقة لهم بحيث يمكنونهم من نفوسهم فيتسلطون عليها و من أرواحهم فيهيمنون عليها فاعتقدوا فيهم أنهم يعلمون سرهم و نجواهم و أنهم يكاشفونهم في كل أحوالهم و يطلعون منهم على كل مخبآت نفوسهم فذلوا لهم و هانوا و ضعفوا أمامهم و استكانوا لهم حتى مكنوهم من أنفسهم و أموالهم وأعراضهم

فهل هذا الخضوع و الذل و الطاعة المطلقة و التسليم التام لهم لا يعد شركا في ربوبية الله تعالى و هل أولئك الرجال الذين استعبدوهم لا يعدون أربابا و آلهة لهم)(١)

و الخلاصة التي نخرج بها من هذا المطلب بعد أن أوردنا أدلة عديدة من كتاب الله عز و جل تدل على تفرد الله سبحانه و تعالى بخلق هذا الكون و تصريفه و أنه لا يشركه فيه أحد من خلقه كائنا من كان و ذكرنا نبذة من أقوال العلماء قديما و حديثا يتبين لنا بوضوح و صراحة لا غموض فيها أن موقف الاسلام من المراتب التي ابتدعها المتصوفة للأولياء و الوظائف التي ادعوها بأنهم أهل لها هو الرفض التام

---

(١) — عقيدة المؤمن للشيخ أبو بكر الجزائرى ٧٥

و ذلك لأنها تتصادم مع العقيدة الاسلامية و التي تؤكد بأن هذا الكون المتصرف الوحيد فيه هو الله سبحانه و تعالى و أنه لا يشركه فيه لا ملك مقرب و لا نبي مرسل و لا ولي محبوب عند الله و ذلك لأن التصرف في هذا الكون من شأن الربوبية خاص به سبحانه و تعالى و كما رأينا في أقوال العلماء التي مرت آنفا يعتبر الاعتقاد بأن في هذا الكون أحد من الخلق له التصرف التام في هذا الكون شركا بالله عز وجل و يدخل في هذا الحكم أولئك المتصوفة الذين يعتقدون أن هذا الكون تسيره مجموعة من الأولياء كما سبق لنا في المطلب الأول من هذا المبحث حيث أوردنا نصوصا كثيرة تثبت بأن المتصوفة يعتقون هذا و الذى نرجوه من المتصوفة هو أن يتراجعوا عن هذه المعتقدات الوثنية و يرجعوا الى عقيدة التوحيد الصافية التي جاء بها محمد بن عبدالله عليه أفضل الصلاة و التسليم اذا أردوا النجاة و الفوز في الدنيا و الآخرة و ذلك لأن أى مدعو من دون الله لا يستطيع أن يقدم أى عون لمن يتوجه اليه بالدعاء و الاستغاثة و مما يدل على هذا الآيات التالية :

أولا : قوله تعالى : ((قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله فلا يملكون كشف الضر عنكم و لا تحويلا))(١)

ثانيا : قوله تعالى : ((قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السماوات و لا في الأرض و ما لهم فيهما من شرك و ما له منهم من ظهير))(٢)

ثالثا : قوله تعالى : ((ذلكم الله ربكم له الملك و الذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير ان تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم و لو سمعوا ما استجابوا لكم و يوم القيامة يكفرون بشرككم و لا ينبئك مثل خبير))(٣)

---

(١) — الاسراء آية ٥٦

(٢) — سبأ آية ٢٢

(٣) — فاطر آية ١٣ — ١٤

المبحث الثالث : اعتقادهم بأن الأولياء يعلمون الغيب :

وتحته مطلبان :

المطلب الأول : ذكر النصوص عنهم تثبت بأنهم يعتقدون بأن الأولياء يعلمون الغيب

المطلب الثاني : بيان أن علم الغيب خاص بالله تعالى وحكم من يدعي علم الغيب

المطلب الأول : ذكر النصوص التي تثبت بأن الصوفية يعتقدون بأن الأولياء يعلمون الغيب :

لقد ادعى الصوفية بأن الأولياء يعلمون الغيب كله وأنه لا يغيب عنهم شيء حتى انهم ليعلمون ما في اللوح المحفوظ فضلا عن الأشياء الموجودة في هذا الكون معنا بل انهم يعلمون العوالم كلها على ما هي عليه بكل ما فيها من فروق من المبدأ الى المعاد وأنهم يعلمون كل شيء كيف كان وكيف هو كائن وكيف يكون ويعلمون ما لم يكن لو لم يكن يعلمون كل ذلك علما أصليا حكميا كشفيا ذوقيا وأنه لا يخفى عليهم شيء في الأرض ولا في السماء وهذا ما سيتضح لنا ان شاء الله الآن حينما نسرد النصوص التي تثبت بأن المتصوفة بالفعل رفعوا الأولياء الى منزلة الاله في معرفة الغيب وأن الانسان حينما يقرأ هذه النصوص التي سأوردها عنهم سيقتنع بأن المتصوفة بالفعل يعتقدون في الأولياء ما لا يجوز اعتقاده الا في الله سبحانه وتعالى لأنه هو الذي يعلم الغيب وحده وها أنا اشرع في ذكر النصوص التي تثبت بأن المتصوفة يعتقدون أن الأولياء يعلمون الغيب كله ولا يخفى عليهم شيء .

من الصوفية الذين زعموا أن الأولياء يعلمون الغيب عبدالكريم الجيلي فقد زعم بأنه رأى العوالم العلوية والسفلية بعد أن كشف الله له الحجب وأنه شاهد الملائكة جميعا وتبادل الحديث معهم والرسل والأنبياء واليك نص كلامه في هذا المجال قال : وفي هذا المشهد اجتماع الأنبياء والأولياء بعضهم ببعض أقمت فيه بزبيد بشهر ربيع الأول سنة ثمانمائة من الهجرة النبوية فرأيت جميع الرسل والأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين والأولياء والملائكة العالين والمقربين وملائكة التسخير ورأيت روحانية الموجودات جميعها وكشفت عن حقائق الأمور على ما هي عليه

من الأزل الى الأبد و تحققت بعلوم الألوهية لا يسع الكون أن نذكرها فيه

ثم زعم بأنه رأى نوحا عليه السلام في السماء الثانية جالسا على سرير خلق من نور الكبرياء بين أهل المجد و الثناء فسلم عليه و تمثل بين يديه فرد علي السلام و رحب بي و قام .... الى أن قال و روحانية الملك الحاكم على جميع ملائكة هذه السماء عجائب من آيات الرحمن و غرائب من أسرار الأكوان لا يسعنا اذاعتها في أهل هذا الزمان

ثم واصل الجيلي افتراءاته فادعى بأنه رأى في السماء الثالثة يوسف عليه السلام وأنه دار بينهما حديث و أنه كان يعلم تلك العلوم التي أخبره بها يوسف قبل أن يتغـــوه بهـــا

حيث قال : اجتمعت في هذه السماء مع يوسف عليه السلا فرأيته على سرير من الأسرار كاشفا عن رمز الأنـــوار عالما بحقيقة ما انعقدت عليه أكلة الأحبـــا متحققا بأمر المعاني مجاوزا عن قيد المـــاء و الأواني فسلمت عليـــه تحيـــة وافد اليه فأجاب و حيا ثم رحب بي ثم زعم الجيلي أن السماء الرابعة هـــي قلب الشمس و أن فيها ادريس و أن أكبر الأنبياء في دائرة هذا الفلك المكين مثل عيسى و سليمان و داوود و ادريس و جرجيس ..... و غيرهم

و هنا كما نرى ذكر الجيلي اسم نبي لم نجد له ذكر في القرآن و لا في السنة فمن أين علـــم ذلك ؟ !!

ثم واصل الجيلي وصفه للسماوات و ماتحتويها فقال في وصف السماء الخامسة :

(هي سماء الكوكب المسمى بهرام و حاكم هذه السماء هو الملك المسمى عزرائيل و هو روحانية المريخ صاحب الانتقام و التوبيخ

و ذكر الجيلي أيضا أنه رأى في السماء السادسة موسى عليه السلام و دار بينهما حديثا طويلا

ثم قال انه رأى في السماء السابعة ابراهيم عليه السلام قائما في هذه السماء وله منصة يجلس عليها على يمين العرش من فوق الكرسي وهو يتلو آية ((الحمد لله الذى وهب لي على الكبر اسماعيل واسحاق ان ربي لسميع الدعاء . . . . .) الى أن قال انه صعد الى سدرة المنتهى وأنه رأى هناك الملائكة وأنها على هيئات مختلفة وأمامهم سبعة ثم ثلاثة ثم ملك مقدم يسمى عبدالله وأنهم أخبروه أنهم لم يسجدوا لآدم (١)

ثم بدأ عبدالكريم الجيلي في وصف الأراضي السبعة فقال :

(أما الطبقة الأولى من الأرض فأول ما خلقها الله تعالى كانت أشد بياضا من اللبن وأطيب رائحة من المسك فاغبرت لما أهبط آدم عليها بعد أن عصى الله تعالى وهذه الأرض تسمى أرض النفوس . . . . . دورة كرة هذه الأرض مسيرة ألف عام ومائة عام وستة وستون عاما ومائتا يوم وأربعون يوما . . . . . ثم سلك الاسكندر الجانب الجنوبي وهو الظلمات حتى بلغ يأجوج ومأجوج وهم في الجانب الجنوبي من الأرض لم تطلع الشمس على أرضهم أبدا ثم سلك الجانب الشمالي حتى بلغ محلا منه لم تغرب الشمس فيه وهذه الأرض بيضاء على ما خلقها الله تعالى عليه هي مسكن رجال الغيب وملكها الخضر عليه السلام وهي قريبة من أرض بلغار وبلغار بلدة في العجم لا تجب فيها صلاة العشاء أيام الشتاء لأن شفق الفجر يطلع قبل غروب شفق المغرب فيها . . . . وهذه الأرض أشرف الأراضي وأرفعها قدرا لأنها محل النبيين والمرسلين والأولياء والصالحين)(٢)

ثم تطرق الجيلي لذكر المعجزات التي وهبها الله لداوود وسليمان عليهما السلام وصرح بأن هذه المعجزات ليست مقصورة عليهما بل الأقطاب والأفراد من الأولياء

---

(١) — الانسان الكامل لعبد الكريم الجيلي ٦٧ ٢١

(٢) — نفس المرجع ٢ / ٦٧—١١٢

يشاركونهم فيها بل و يزيدون عليها و هذا نص كلامه :

و هذا الأمر الذى جعله الله لداوود و سليمان عليهما السلام غير محصور فيها و لا مقصور عليهما و الا فكل واحد من الأفراد و الأقطاب له التصرف في جميع المملكة الوجودية و يعلم كل واحد منهم ما اختلج في الليل و النهار فضلا عن لغة الطيور و قد قال الشبلي رحمه الله : (لو دبت نملة سوداء على صخرة صماء في ليلة ظلماء و لم أسمعها لقلت اني مخدوع أو مكور بي) و قال غيره (لا أقول و لم أشعر بها لأنها لا تدب الا بقوتي و أنا محركها فكيف أقول لا أشعر بها و أنا محركها)(١)

اذا نظرنا في النصوص السابقة نجد أن عبد الكريم الجيلي صرح بأن الأولياء يعلمون الغيوب بشتى أصنافها فليس هناك من حاجة تخفى على الأولياء كبرت أو صغرت و هذا طبعا حسب زعمه و الا فالغيب علمه خاص بالله عز وجل لا يشركه فيه أحد من خلقه

و قال عبدالكريم الجيلي في مكان آخر من كتابه الانسان الكامل في معرض حديثه عن الأولياء :(فاذا كشف الحجاب و فتح لهم الباب علم العوالم بأجمعها على ما هي عليه من تفاريعها من المبدأ الى المعاد و علم كل شيء كيف كان و كيف هو كائن و كيف يكون و علم ما لم يكن و لم لا يكون ما لم يكن و لو كان ما لم يكن كيف كان يكون كل ذلك علما أصليا حكميا كشفيا ذوقيا من ذاته لسريانه في المعلومات علما اجماليا تفصيلا كليا جزئيا مفصلا في اجماله و منهم من تجلى الله عليه بصفة السميع فيسمع نطق الجمادات و النباتات و الحيوانات و كلام الملائكة و اختلاف اللغات و كان البعيد عنه كالقريب)(٢)

---

(١)— الانسان الكامل لعبد الكريم الجيلي ١/١٢٢

(٢)— نفس المرجع ١/٦٣—٦٤

و هكذا كما رأينا في النصوص السابقة التي أوردتها عن عبدالكريم الجيلي نرى بوضوح كامل بأنه ادعى أن الأولياء يعلمون علم الغيب و أنه بهذا القول فقد زعم بأن الأولياء يشاركون الله في هذه الخاصية التي أخبرنا بأنها خاصة به و أنه لا يعلم الغيب الا هو

و من الصوفية الذين زعموا بأن الأولياء يعلمون الغيب عبدالعزيز الدباغ فقد زعم هذا الرجل بأن الأولياء يعلمون الغيب و أنه هو بنفسه من الأولياء الكبار الذين يعلمون الغيب و لا يخفى عليهم منه شيء

فقد قال أحمد المبارك تلميذه :(و سمعته رضي الله عنه يقول مرة أخرى السماوات و الأرضون بالنسبة الي كالموزونة في فلاة من الأرض يصدر هذا الكلام منه رضي الله عنه و ما أشبهه اذا شهدنا منه زيادة بل هو في زيادة دائما رضي الله عنه و قد كنت معه ذات يوم خارج باب الفتوح فجعل يذكر لي أكابر الصالحين مع كونه أميا فقلت فمن أين تعرفهم فقال رضي الله عنه أهل الفتح الكبير مسكن أرواحهم قبة البرزخ فمن رأيناه فيها علمنا أنه من الأكابر ثم جرى بيننا ذكر الشيخ سيدى ابراهيم الدسوقي فقلت هو من الأكابر فجعلت أذكر مناقبه و الغرائب التي نقلت من كراماته فقال رضي الله عنه : لو عاش سيدى ابراهيم الدسوقي رضي الله عنه من زمنه الى زمننا ما أدرك من المقامات و لا ترقى مثل ما ترقى أخوك عبدالعزيز يعني نفسه من أمس الى اليوم و الله ما قاله أخوك افتخارا و انما تعريفا و تحدثا معكم بنعمة الله)(١)

و قال عبدالعزيز الدباغ في معرض حديثه عن بعض الأشياء التي يشاهدها المفتوح عليه و هو الولي

---

(١)— الابريز للدباغ ١٦٨

أما في المقام الأول فانه يكاشف فيه بأمور منها :

أفعال العباد في خلواتهم و منها مشاهدة الأرضين السبع و السماوات السبع و منها مشاهدة النار التي في الأرض الخامسة و غير ذلك مما في الأرض و السماء و من الأشياء التي يشاهدونها اشتباك الأرضين بعضها ببعض و كيف تخرج من أرض الى أرض أخرى و ما تمتاز به عن أرض أخرى و المخلوقات التي في كل أرض و منها مشاهدة اشتباك الأفلاك بعضها ببعض و ما نسبتها من السماوات و كيف وضع النجوم التي فيها و منها مشاهدة الشياطين و كيف توالدها و منها مشاهدة الجن و أين يسكنون

و منها مشاهدة سير الشمس و القمر و النجوم .... ثم قال : و أما ما يشاهده في المقام الثاني فانه يكاشف بالأنوار الباقية كما كوشف في المقام الأول بالأمور الظلمانية الفانية فيشاهد في هذا المقام الملائكة و الحفظة و الديوان و الأولياء الذين يعمرونه

و أما المقام الثالث فانه يشاهد فيه أسرار القدر في تلك الأنوار المتقدمة

و أما المقام الرابع فانه يشاهد فيه النور الذى ينبسط عليه الفعل و ينحل فيه كانحلال السم في الماء فالفعل كالسم و النور كالماء .....

و في المقام الخامس يشاهد انعزال الفعل عن ذلك النور فيرى النور نورا و الفعل فعلا و المفتوح عليه لا يغيب عليه ما في الأرحام فضلا عن غيره)(١)

و قد بالغ عبد العزيز الدباغ في اثبات علم الغيب للأولياء فزعم أن الأولياء يعلمون كل الغيوب بما في ذلك الأمور التي ذكرها الله في كتابه و أخبرنا بأنها من الغيوب التي لا يطلع عليها غيره و التي هي في سورة لقمان في قوله تعالى :((ان الله عنده علم الساعة و ينزل الغيث و يعلم ما في الأرحام و ما تدرى نفس ماذا تكسب غدا و ما تدرى

---

(١)— الابريز للدباغ ١٥١ و ما بعدها

نفس بأى أرض تمـــوت ان الله عليـــم خبير))(١)

حيث ذكر تلميذه ابن المبارك أنه قال : قلت للشيخ عبد العزيز الدباغ رضي اللـه عنه ان علماء الظاهر من المحدثين و غيرهم اختلفوا في النبي صلى الله عليه و سلـــم هل كان يعلم الخمس المذكورات في قوله تعالى : ((ان الله عنده علم الساعة و ينـزل الغيث و يعلم ما في الأرحام و ما تدرى نفس ماذا تكسب غدا و ما تدرى نفس بأى أرض تموت ان الله عليم خبير))(٢)

فقال رضي الله عنه و عن سادتنا العلماء

كيف يخفى أمر الخمس عليه و الواحد من أهل التصرف من أمته الشريفة لا يمكنـــه التصرف الا بمعرفه هذه الخمس (٣)

و قال عبد العزيز الدباغ أيضا : ان الجنين اذا سقط من بطن أمه يراه العارف فـي تلك الحالة الى آخر عمره (٤)

و قال أحمد بن المبارك تلميذ عبد العزيز الدباغ : سمعت الشيخ عبد العزيز الدباغ رضي الله عنه يقول في ذات كل ملك خمسة رؤوس لكل رأس يمين و شمال و فوق سبعة فله فوق تسعة أفواه مجموع ذلك ثلاثة و ستون فما في كل رأس فاذا ضربت عـــدد الرؤس الخمسة في عدد الأفواه السابقة كان الخارج ثلاثمائة فم و خمسة عشر فمـــا و الفم يكون فيه ثلاثة السن و قد يكون فيه خمسة ألسن و قد يكون فيه سبعة ألسن فـاذا كان فيه ثلاثة فالخارج من ضربها في عدد الأفواه تسعمائة و خمسة و أربعون لسانـــا و ان كان فيه خمسة كان الخارج ألف لسان و خمسمائة لسانا و خمسة و سبعون لسانا و ان كانت سبعة كان الخارج ألفي لسان و مائتي لسان و خمسة ألسن و اذا تكلـــم

---

(١)— لقمان آية ٣٤
(٢)— لقمان آية ٣٤
(٣)— الابريز للدباغ ٢٧٤
(٤)— الابريز للدباغ ٣ د ١

الملك بكلمة خرج صوته بها من هذه الألسن كلها فسبحان الملك الخلاق العظيم (١)

اذا نظرنا في النصوص المتقدمة نرى بوضوح أن عبدالعزيز الدباغ ادعى بأن الأولياء لديهم المقدرة على علم كل الغيوب حتى تلك الأشياء التي أخبرنا الله بها في كتابه بأنها خاصة به سبحانه وتعالى ولهذا فقد صرح الدباغ بأن الأولياء شركاء لله في معرفة علم الغيب الذى ذكر الله في كتابه بأنه من خصائصه سبحانه

وقد ذكرت نماذج من الحكايات التي أوردها عنه تلميذه بأنه اطلع على أمور كثيرة عن طريق الكشف ومنها ذكره للأوصاف السابقة التي وصف بها الملائكة وهي أوصاف أتى بها من عند نفسه متبعا هواه فقط والا ليس له دليل لا من كتاب الله ولا من سنة رسول الله لاثبات هذه الأوصاف للملائكة الكرام ولكنه اتباع للهوى فقط ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله

وقد ذكر تلميذ عبدالعزيز الدباغ بأنه سمع شيخه وهو يتحدث في مراتب الأولياء: (وسمعته رضي الله عنه يقول: ليس كل من يحضر الديوان من الأولياء يقدر على النظر في اللوح المحفوظ بل منهم من يقدر على النظر فيه ومنهم من يتوجه اليه ببصيرته ويعرف ما فيه ومنهم من لا يتوجه اليه لعلمه بأنه ليس من أهل النظر اليه قال رضي الله عنه كالهلال فان رؤية الناس اليه مخالفة)(١)

وأظن بعد هذه النماذج التي ذكرتها عنه قد ثبت لنا بالتأكيد بأن الرجل من المتصوفة الكبار الذين زعموا علم الغيب لأنفسهم وزعموا أن الأولياء يعلمون الغيب.

ومن الصوفية الذين زعموا أن الأولياء يعلمون الغيب أحمد الرفاعي فقد قال متحدثا عن الدرجات التي يمر بها الانسان حتى يصل الى مرحلة الغوثية والتي اذا

---

(١)— الابريز للدباغ ١٦٦

وصلها الانسان يصبح الغيب عنده كالمشاهدة فلا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء وهذا نص كلامه :

(ان العبد ما يزال يرتقي من سماء الى سماء حتي يصل الى محل الغوث ثم ترتفع صفته الى أن تصير صفة من صفات الحق فيطلعه على غيبه حتى لا تنبت شجرة ولا تخضر ورقة الا بنظره ويتكلم هناك عن الله بكلام لا تسعه عقول الخلائق .... وكان يقول إن القلب إذا تجلى من حب الدنيا وشهوتها صار كالبلور وأخبر صاحبه بما مضى وبما هو آت من أحوال الناس)(١)

اذا نظرنا في النص السابق نجد أن الرفاعي صرح بأن الولي اذا وصل الى مرحلة الغوثية يطلعه الله على الغيب فلا يخفى عليه شيء وهذا شرك للولي في خاصة اختص الله بها من بين مخلوقاته وأخبرنا في كتابه بأنه لا يعلم الغيب أحد الا هو سبحانه وتعالى

ومن الصفية الذين زعموا بأن الأولياء يعلمون الغيب عبد الوهاب الشعراني وهاك نماذج من كلامه

فقد قال الشعراني في معرض حديثه عن شيخه واستاذه علي الخواص (٢) البرلس

---

(١) — قلادة الجواهر في ذكر الرفاعي وأتباعه الأكابر ١٤٨

(٢) — قال عنه الشعراني : ومنهم شيخي واستاذي علي الخواص البرلس رضي الله تعالى عنه كان رضي الله عنه أميا لا يكتب ولا يقرأ وكان رضي الله عنه يتكلم على معاني القرآن العظيم والسنة المشرفة كلاما نفيسا يحترفيه العلماء ١١١ وكان محل كشفه اللوح المحفوظ عن المحو والاثبات .... وسمعت سيدي محمد بن عنان يقول الشيخ علي البرلس أعطي التصريف في ثلاثة أرباع مصر . قلت وهذا كله كذب وافتراء وغلو زائد / أنظر الطبقات ٢ / ١٥٠

كان رضي الله عنه أميا لا يكتب ولا يقرأ وكان رضي الله عنه يتكلم على معاني القرآن العظيم والسنة المشرفة كلاما نفيسا يحتار فيه العلماء وكان محل كشفه اللوح المحفوظ عن المحو والاثبات فكان اذا قال قولا لا بد وأن يقع على الصفة التي قال وكنت أرسل له الناس يشاورونه عن أحوالهم فما كان قط يحوجهم الى كلام بل كان يخبر الشخص بواقعته التي أتى لأجلها قبل أن يتكلم فيتحير الشخص (١)

اذا نظرنا في النص السابق نجد أن الشعراني وصف شيخه بأنه كان يتكلم في تفسير القرآن والسنة بكلام يتحير العلماء تجاهه مع أنه أمي لم يقرأ ولم يكتب فمن أين اذا هذا العلم الغزير ولعله من اللوح المحفوظ بل انه من اللوح المحفوظ لأنه زعم بأن شيخه كان محل كشفه اللوح المحفوظ واذا كان شيخه كذلك فقد زعم الشعراني بأن شيخه شريكا لله في خاصة اختص الله بها ، و كما هو واضح أمامنا في النص الذى نقلناه عن الشعراني فقد ذكر بأن شيخه كان يعلم مافي ضمائر الناس قبل أن يتحدثوا بما يريدون ونحن نقول هذا لا يمكن أن يكون الا لله و أن الشعراني ليس بصادق في هذا الكلام ولكن الغلو ومجاوزة الحدود في مقام الأولياء المزعومين دفعه الى الكذب لهم

و قد ذكر الشعراني عن شيخه علي الخواص أنه قال : (لا يكمل ايمان عبد حتى يصير الغيب عنده كالشهادة في عدم الريب ويسرى منه الاطمئنان في نفس العالم كله فيأمنوه على القطع على أنفسهم و أموالهم و أهليهم) (٢)

و قال الشعراني عن ابراهيم العريان (٣) أنه كان اذا دخل بلد سلم على أهلها كبارا و صغارا بأسمائهم حتى كأنه تربى بينهم وكان رضي الله عنه يطلع على المنبر ويخطب عريانا فيقول السلطان ودمياط باب اللوق بين القصرين وجامع طولون الحمد لله رب العالمين فيحصل للناس بسط عظيم . . . . وكان يخرج الريح بحضرة الأكابر ثم يقول هذه ضرطة فلان و يحلف على ذلك فيخجل ذلك الكبير منه (٤)

---

(١) ــ الطبقات الكبرى للشعراني ٢ / ١٥٠

(٢) ــ الطبقات الكبرى للشعراني ٢ / ١٥٦

(٣) ــ انظر ترجمته في طبقات الشعراني فقد وصفه بأوصاف لا تليق بانسان عادى فضلا عمن يزعم بأنه ولي ٢ / ١٤٢

(٤) ــ الطبقات الكبرى للشعراني ٢ / ١٤٢

اذا نظرنا في النص السابق نجد أن الشعراني وصف شيخه العريان الذى كان يخطب عريانا أمام الناس وهذا طبعا حرام فان ستر العورة من الأشياء التي أوجبها الاسلام ولا ندرى كيف وصف الشعراني شيخه هذا بالولي وهو منحط الى هذا المستوى والشعراني أورد هذه الحكاية عنه حتى يثبت بأن الأولياء يعلمون الغيب وهذا يظهر بوضوح في زعمه بأن شيخه اذا دخل قرية يسلم على أهلها بأسمائهم لأنه يعلم الغيب وعلم الغيب وصف خاص بالله سبحانه فلا ندرى كيف تجرأ الشعراني أن يصرح بأن الأولياء يعلمون الغيب والله عزوجل يقول في كتابه : (عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا) (١)

و من الصوفية الذين يزعمون بأن الأولياء يعلمون الغيب علي حرازم بن العربي برادة فقد قال واصفا شيخه التيجاني : . . . . و من كماله رضي الله عنه ونفوذ بصيرته الربانية و فراسته النورانية التي ظهر مقتضاها في معرفة أحوال الأصحاب و في غيرها من اظهار مضمرات و أخبار بمغيبات وعلم بعواقب الحاجات وما يترتب عليها من المصالح و الآفات وغير ذلك من الأمور الواقعات (٢)

و قال في "رماح حزب الرحيم" : (و ينبغي على المريد أن يعتقد في شيخه أنه يرى أحواله كلها كما يرى الأشياء في الزجاجة) (٣)

و قال في "بغية المستفيد" : (و أما مكاشفته رضي الله عنه بمعنى اخباره بالأمر قبل وقوعه فيقع وفق ما أخبر به فلا يكاد ينحصر ما حدث به الثقات عنه رضي الله عنه ومن اخباره بالغيب عن طريق كشفه رضي الله عنه اخباره بأمور لم تقع الا بعد وفاته اما بالتصريح أو التلويح)(٤)

اذا نظرنا في النصوص السابقة نرى بوضوح أن علي حرازم قد وصف شيخه بأنه كان يعلم ما في ضمائر الناس وكان يخبر بالمغيبات و يعلم عواقب الأمور التي تصير عليها في النهاية و أنه كان يخبر بالأمر قبل وقوعه و أنه ينبغي على كل مريد أن يعتقد أن شيخه مطلع عليه أينما كان وهذه أمور غيبية لا يمكن أن يعلم بها أى مخلوق مهما كان لا ملك مقرب ولا نبي مرسل ولا ولي لأن علم الغيب خاص بالله عزوجل وكما نرى علي حرازم فقد اعتقد في شيخه بأنه يعلم الغيب و بذا يصبح بأنه أشرك شيخه في خاصية اختص الله بها من بين مخلوقاته جميعا

---

(١) — الجن آية ٢٦

(٢) — جواهر المعاني ١ / ٥٣

(٣) — رماح حزب الرحيم ١ / ٢٥

(٤) — بغية المستفيد ٢٤٦ — ٢٤٧

و من الصوفية الذين زعموا بأن الأولياء يعلمون الغيب ابراهيم الدسوقي حيث ادعى هذا الرجل بأن الأولياء يعلمون كل الغيوب و اليك نص كلامه فقد قال :

(ان للأولياء الاطلاع على ما هو مكتوب على أوراق الشجر و الماء و الهواء و ما في البر و البحر و ما هو مكتوب على صفحة قبة خيمة السماء و ما في حياة الانس و الجان مما يقع لهم في الدنيا و الآخرة) (١)

و من الصوفية الذين زعموا بأن الأولياء يعلمون الغيب أبو الحسن الشاذلي فقد ادعى هذا الرجل بأن الانسان قد يصل الى مرحلة يكشف له فيها كل شيء موجود في هذا الكون بل قد يصل الى مشاهدة حياة كل شيء و محي هذه الأشياء بمعنى أنه قد يصل الى مرحلة يرى فيها الله و اليك نص كلامه فقد قال : (من عبد الله باسمه الحي و استغرق فيه ليلا و نهارا شاهد حياة كل شيء و كوشف بسر الملك و الملكوت

و من عبد الله باسمه الأحد المحي و أكرمنه و لاحد لأكره شاهد حياة كل شيء و محييه

و من ذكر بهم جميعا صعدت روحه الى الملأ الأعلى و صعدت روحه الى العرش ليكتب عند الله من الكاملين الصديقين) (٢)

و من الصوفية الذين زعموا أن الأولياء يعلمون الغيب لسان الدين الخطيب فقد ادعى هذا الرجل بأن الانسان من الممكن أن يصل الى مرحلة يرى فيها كل الغيبيات المحجوبات و اليك نص كلامه قال :

(النفوس عند صفائها تتشبه بالملأ الأعلى و تنتقش فيها أمثلة الكائنات المتعشقة فيه

---

(١) — جمهرة الأولياء للمنوفي ٢٤٢

(٢) — أبو الحسن الشاذلي للدكتور عبد الحليم محمود ٦١٤

بنوع ما و تشاهد المحجوبات و تؤثر في العوالم السفلية)(١)

و من الصوفية الذين زعموا بأن الأولياء يعلمون الغيب ابن عجيبة الحسني فقد زعم هذا الرجل بأن الله سبحانه و تعالى قد قسم الخلق الى قسمين قسم و هم العـــوام و القسم الآخر الخواص الذين يكشف الله لهم المغيبات و اليك نص كلامه فقد قال :

(ان الحق سبحانه قسم الخلق قسمين و فرقهم فرقتين : قسم اختصهم بمحبتـــه و جعلهم من أهل ولايته ففتح لهم الباب و كشف لهم الحجاب فأشهدهم أسرار ذاتـــه و لم يحجبهم عنه بآثار قدرته)(٢)

و من الصوفية الذين زعموا بأن الأولياء يعلمون الغيب أبو القاسم القشيرى فقـــد ادعى بأن الانسان و هو يترقى في درجات السلوك التي وضعها الصوفية لمريدهم قـــد يصل الى مرحلة يصبح لا يخفى عليه شيء من هذا الكون فقد قال و هو يتحدث في بيان درجات السلوك :

ثم من خلال هذه الأحوال قبل وصوله الى هذا المقام الذى هو نهاية كان يرى جملة الكون يضيء بنور كان له حتى لم يخف من الكون عليه شيء و كان يرى جميع الكون مـــن السماء و الأرض و رؤية عيان و لكنه بقلبه و كان لا يرى في هذا الوقت بعين لأنه شـــيء و لكن لم يكن هذه رؤية علم بل لو تحرك في الكون ذرة أو نملة (٣)

اذا نظرنا في النص السابق نجد أن القشيرى ادعى بأن الانسان قد يصل الـــى مرحلة يرى فيها كل شيء في هذا الكون حتى حركات الذرة و النملة الصغيرة بمعنى أنـــه لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء و هذا وصف لا يليق الا بالله فما أجـــرأ المتصوفة على الله و تعديهم على حقوقه ووصف أوليائهم المزعومين بها

---

(١) — روضة التعريف بالحب الشريف ٤٦٢

(٢) — ايقاظ الهمم في شرح الحكم لابن عجيبة الحسني ٧٧

(٣) — رسالة ترتيب السلوك للقشيرى من مجموعة الرسائل القشيرية ٢ / ٧٣٥

و يقول الشعراني : و أما سيدى علي الخواص فسمعته يقول :(لا يكمل الرجل عندنا حتى يعلم حركات مريده في انتقاله في الأصلاب و هو نطفة من يوم (ألست بربكم) الى استقراره في الجنة أو في النار)(١)

و هنا كما نرى في هذا النص فقد ساوى هذا الرجل بين علم الله و علم الأولياء فماذا بقى لله سبحانك هذا بهتان عظيم .

و هذا أحمد الرفاعي يزعم بأن الله اطلعه على سبعة مدائن و كل سكانها لا يذكرون الله و هم ليسوا من الجن و لا من الانس و أن الله يأمر الملائكة بأخذ ذنوب أمة محمد و قذفها على تلك المدن السبعة و كل من يصاب منهم بذنب من الذنوب التي ارتكبها فرد من أفراد أمة محمد صلى الله عليه و سلم يصبح من أهل الجنة

و اليك نص كلامه فقد قال ابراهيم الأعزب : كنت قائما في بعض الليالى في موضع هناك للسيد أحمد الرفاعي رضي الله عنه فأيقظني و قال أى ابراهيم ألا أخبرك أظهرني الله سبحانه في هذه الساعة على سبعة مدائن كل مدينة منها بقدر هذه الدنيا سبع مرات و هي مملوءة من الخلق ليسو من الجن و لا من الانس و ما فيهم من يذكر الله تعالى و كل ليلة عند غروب الشمس يأمر الله تعالى الملائكة فيأخذون ذنوب أمة محمد صلى الله عليه و سلم و ينفضوها على تلك المدائن السبعة و كل من أصاب منهم ذنبا فهو من أهل الجنة (٢)

و هذا أبو العباس أحمد بن أبي الخير الصياد يدعي بأنه يعرف الجنة قصرا قصرا و رأى الشمس في العجلة يجرها ملكان و هذا نص كلامه :

فقد ذكر عنه صاحب كتاب المحاسن الغاليه أنه قال :(و الله اني لأعرف الجنة قصرا قصرا و أعرف النار حانوتا حانوتا و أعرف أصحابها في الدنيا واحدا واحدا

---

(١)— الكبريت الأحمر ٢/٣

(٢)— قلادة الجواهر ١٩٣

و ذكر عنه أنه قال أيضا : كشف لي عن الشمس فرأيت ملكين عظيمين يجرانها على العجلة في الفلك من المشرق الى المغرب و من المغرب الى المشرق (١)

و هذا علي بن أحمد بن خضر المطوعي المشهور بين الناس بحشيش الحمصاني قال عنه النبهاني : أحد أكابر الأولياء العارفين و أخبر بأنه اطلع على بحر الظلمات أى المحيط الأطلسي و أن به بلدا لا تبصر أهلها الا في الظلمة و أنه رأى خلف جبل قاف أرضا تتحرك بنفسها تسمى الرجراج ليس بها ساكن و أنه رأى ارم ذات العماد و أنه اجتمع بالخضر عليه السلام فوجده يظهر في صور مختلفة و بالقطب فوجده يلبس كل يوم لباسا غير لون الآخر (٢)

قيل لأبي يزيد دخلت ارم ذات العماد فقال دخلت ألف مدينة لله في ملكه أدناها ذات العماد ثم عدد المدن و ذكرها فقال البيته و تاويل و تاريعي و جابلق و جابرس و مسك (٣)

و قال البريلوى أحمد رضا مؤسس الطريقة البريلوية احدى الطرق الصوفية بالقارة الهندية ناقلا عن أمثاله من المتصوفة :

(ان النبي لا يخفى عليه شيء من الخمس المذكورة في الآية الشريفة و كيف يخفى عليه ذلك و الأقطاب السبعة من أمته الشريفة يعلمونها و هم دون الغوث فكيف بسيد الأولين و الآخرين الذى هو سبب كل شيء و منه كل شيء

ثم قال : و كيف يخفى أمر الخمس عليه و الواحد من أهل التصرف من أمته الشريفة لا يمكنه التصرف الا بمعرفة هذه الخمس فاسمعوا هذا يا منكرين و لا تكونوا لأولياء الله مكذبين فان تكذيبهم خراب للدين و سينتقم الله من الجاحدين و أعاذنا الله بعباده

---

(١) — نشر المحاسن الغالية ٧٦

(٢) — جامع كرامات الأولياء للنبهاني ٢ / ٣٧٩

(٣) — قوت القلوب لأبي طالب المكي ٢ / ٧

العارفيـــن)(١)

و قال البريلوى أيضـا : (الكامل قلبه مرآة الوجود العلوى و السفلي كله علـى التفصيل)

و قال أيضا : (ليس الرجل من يقيده العرش وماحواه من الأفلاك والجنة و النار وانما الرجل من نفذ بصره الى خارج هذا الوجود كله)(٢)

و نقل الكلاباذى عن أبي عبد الله الأنطاكي (٣) أنه قال : (اذا جالستـم أهل الصدق فجالسوهم بالصدق فانهم جواسيس القلوب يدخلون في أسراركـــم و يخرجون من همكم)(٤)

و قال محمد محيي الدين الأحمدى الشناوى حفيد الشعراني الصوفي و هـو يتحدث عن مناقب جده الشعراني :

(و كان رضي الله عنه يشهد بقلبه تطور أعماله ثم تصعد الى أماكنها من السماوات و الأفلاك و معرفة الأملاك الذين شاركهم في العمل من حملة العرش و ملائكة الستور و الملائكة الذين نصفهم نار و نصفهم ثلج و ذلك لأن أعماله الموافقة لأعمالهـــم تصعـد مع أعمالهـم الى حضرة الله تعالى و معلـوم أن أهل كـل حرفـــة يعرفون)(٥)

---

(١)ـ خالص الاعتقاد للبريلوى ٥٣ـ٥٤ نقلا عن البريلوية لاحسان ٩٢ـ٩٥

(٢)ـ نفس المرجع

(٣)ـ هو أحمد بن عاصم الأنطاكي من أقران بشر بن الحارث والسرى السقطي والحارث المحاسبي وكان أبو سليمان الدراني يسميه جاسوس القلب لحدة فراسته انظر الرسالة للقشيرى

(٤)ـ التعرف لمذهب أهل التصوف للكلاباذى ٣٣

(٥)ـ كتاب المناقب الكبرى لمحمد محيي الدين الأحمدى الشناوى ١٠٨

وقال عبدالله بن محمد المشرى العلوى التيجاني قال لشيخنا التيجاني : ان القطب منذ وقت جلوسه على كرسي القطبانية لا تقع بينه و بين رسول الله حجابية أصلا و حيثما جال رسول الله من حضرة الغيب و من حضرة الشهادة الا و عين قطب الأقطاب متمكنة من النظر اليه لا يحجب عنه في كل لحظة من اللحظات (١)

و يقول محمد المهدى السراقي و هو يتحدث عن علم الأولياء ناقلا عن أحد المتصوفة قال بعض العارفين : أرباب القلوب و المشاهدات قد أنطق الله في حقهم كل ذرة في الأرض و السماوات بقدرته التي أنطق بها كل شيء حتى سمعوا تقديسها و تسبيحها و شهادتها على نفسها بالعجز بلسان الواقع الذى هو ليس بعربي و لا أعجمي و ليس فيه حرف و صوت و لا يسمعه أحد الا بالسمع العقلي الملكوتي دون السمع الظاهر الحس الناسوتي و هذا النطق الذى بكل ذرة من الأرض و السماوات مع أرباب القلوب انما هو مناجاة السر و ذلك مما لا ينحصر و لا يتناهى فانها كلمات تستمد من بحر كلام الله (٢)

و يقول أحمد عزالدين عبدالله خلف و هو يتحدث عن الدسوقي و يقرر بأنه من الذين فتح اللهلهم الغيوب

يقول عنه : صاحب المحاضرات القدسية و المعراج الأعلى في المعارف و المنهاج الأسنى في الحقائق ..... و الباع الطويل في التصريف النافذ و الكشف الخارق عن حقائق الآيات و الفتح المضاعف في معنى المشاهدات و هو أحد من أظهره الله تعالى الى الوجود و أبرزه رحمة للخلق و صرفه في العالم و مكنه في أحكام الولاية و قلب له الأعيان و أنطقه بالمغيبات (٣)

---

(١)— انذار و افاده الى بائع دينه بالشهادة لعبدالله بن محمد المشرى ٧٧

(٢)— جامع السعادات لمحمد مهدى السراقي ١٢٦/١

(٣)— السيد ابراهيم الدسوقي لأحمد عزالدين ٩٢

و يقول محمد بن يحي التادفي الحلبي القادرى و هو يتحدث عن مناقب أحد القادريين : و منهم الشيخ القدوة حياة بن قيس الحراني رضى الله عنه كان من أجلاء المشائخ و عظماء العارفين ... صاحب الفتح السني و الكشف الجلبي .... و هو أحد من أظهره الله تعالى الى الخلق و صرفه في الوجود و قلب له الأعيان و خرق له العوائد و أنطقه بالمغيبات و هو أحد أركان هذا الشأن و هو أحد الأربعة المتصرفين في قبورهم تصرف الأحياء (١)

و نقلوا عن عبدالقادر الجيلاني أنه قال :

واعلم نبت الأرض كم من نباتة واعلم رمل الأرض كم هو رملة

واعلم علم الله أحصى حروفه واعلم موج البحر كم هو موجة

.....

أنا الواحد الفرد الكبير بذاته أنا الواصف الموصوف علم الطريقة

ملكت بلاد الله شرقا و مغربا وان شئت أفنيت الأنام بلحظة

و قالوا يا هذا تركت صلاتك ولم يعلموا أني أصلي في مكة

مريدى تمسك بي و كن بي واثق فأحميك في الدنيا و يوم القيامة (٢)

و يقول أبو عثمان : العارف تضيء له أنوار العلم فيبصر به عجائب الغيب (٣)

---

(١)— قلائد الجواهر في مناقب عبدالقادر لمحمد يحى التادفي ١١٥

(٢) فتوح الغيب للجيلاني

(٣)— سراج الطالبين ٢١٠

المطلب الثاني : بيان أن علم الغيب خاص بالله تعالى و حكم من يدعي علم الغيب :

مما سبق في المطلب الأول تبين لنا أن الصوفية بالفعل يدعون ان الأولياء يعلمون الغيب كله و أنهم لا يخفى عليهم شيء في السماوات و الأرض (١)

و اذا عرضنا هذا المعتقد على الكتاب و السنة سنجد بأنه يتصادم مع ما فيهما و ذلك لأن الله سبحانه و تعالى قد قرر في كتابه بأن علم الغيب خاص به و أنه لا يشركه فيه أحد لا ملك مقرب ولا نبي مرسل ولا جني و لذا فكل من يدعي علم الغيب فهو مفتر على الله

و النصوص التي تدل على اختصاص الله بعلم الغيب من الكتاب و السنة كثيرة جدا و سأذكر منها نماذج فقط للرد على هؤلاء المتصوفة الذين يدعون علم الغيب و سأذكر أولا النصوص القرآنية ثم سأتبع ذلك بذكر النصوص النبوية .

أولا : النصوص القرآنية التي تدل على اختصاص علم الغيب بالله سبحانه و تعالى و نفيه عن غيره كائنا من كان :

لقد أخبرنا الله سبحانه و تعالى في كتابه العزيز بأن مفاتيح الغيب عنده وحده سبحانه و تعالى و أنه لا يعلمها غيره من الخلق سواء كانوا ملائكة أو أنبياء أو جنا و أخبرنا بأن علم ما في هذا البر و البحر من الموجودات و أن كل ورقة تسقط و أن كل حبة في ظلمات الأرض و أن كل رطب و يابس علمه خاص بالله سبحانه و تعالى و أنه لا يحصل شيء في هذا الكون الا ما كان مسجلا في اللوح المحفوظ و أنه العالم بكل ما يقترفه الانسان من الأعمال الصالحة و الطالحة و هذه هي الآية التي تدل على أن مفاتيح الغيب خاص به سبحانه و تعالى

قال تعالى : ((و عنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو و يعلم ما في البر و البحر و ما تسقط من ورقة الا يعلمها و لا حبة في ظلمات الأرض و لا رطب ولا يابس الا في كتاب

(١) — انظر ص ٦٣٤ — ٦٥١

مبين وهو الذى يتوفاكم بالليل و يعلم ما جرحتم بالنهار ثم يبعثكم فيه ليقضى أجل مسمى ثم اليه مرجعكم ثم ينبئكم بما كنتم تعملون)) (١)

قال الامام ابن كثير في تفسير هذه الآيات : (قوله : ((و ما تسقط من ورقة الا يعلمها)) أى و يعلم الحركات حتى من الجمادات فما ظنك بالحيوانات ولا سيما المكلفون منهم من جنهم و انسهم كما قال تعالى : ((يعلم خائنة الأعين و ما تخفي الصدور))

و قال ابن عباس: ((ما تسقط من ورقة الا يعلمها)) قال : ما من شجرة في بر ولا بحر الا و ملك موكل بها يكتب ما يسقط منها

و قال عبد الله بن الحارث في معنى هذه الآية و هي قوله تعالى : ((وما تسقط من ورقة الا يعلمها)) قال : ما في الأرض من شجرة ولا مغرز ابرة الا و عليها ملك موكل يأتي الله بعلمها رطوبتها اذا رطبت و يبوستها اذا يبست

و قال ابن عباس أيضا : خلق الله النون و هي الدواة و خلق الألواح فكتب فيها أمر الدنيا حتى ينقضي ما كان من خلق مخلوق أو رزق حلال أو حرام أو عمل بر أو فجور و قرأ هذه الآية : ((و ما تسقط من ورقة الا يعلمها)) آخر الآية) (٢)

و قال الامام الشوكاني في معنى قوله تعالى : ((وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو)) : (المفاتيح جمع مفتح بالفتح و هو المخزن : أى عنده مخازن الغيب جعل للأمور الغيبية مخازن تخزن فيها على طريق الاستعارة أو جمع مفتح بكسر الميم و هو المفتاح جعل للأمور الغيبية مفاتح يتوصل بها الى ما في المخازن منها على طريق الاستعارة أيضا

---

(١) — الأنعام ٥٩ — ٦٠

(٢) — تفسير ابن كثير ٢ / ١٢٧

والمعنى ان الله عنده خاصة مخازن الغيب ، أو المفاتح التي يتوصل بهـــا الى المخازن

وقوله :((لا يعلمها الا هو)) جملة مؤكدة لمضمون الجملة الأولى وأنه لاعلم لأحد من خلقه بشيء من الأمور الغيبية التي استأثر الله بعلمها . . . . وفي هذه الآية الشريفة ما يدفع أباطيل الكهان و الرمليين وغيرهم من المدعين ما ليس من شأنهم ولا يدخل تحت قدرتهم ولا يحيط به علمهم ولقد ابتلي الاسلام وأهله بقوم سوء من هذه الأجناس الضالة و الأنواع المخذولة

ثم قال وقوله :((ويعلم ما في البر والبحر)) خصهما بالذكر لأنهما من أعظم مخلوقات الله أى يعلم ما فيهما من حيوان وجماد علما مفصلا لا يخفى عليه منه شيء أو خصهما بالذكر لكونهما أكثر ما يشاهد الناس ويتطلعون لعلم ما فيهما (١)

وأخرج أحمد والبخارى وغيرهما عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : مفاتح الغيب خمس لا يعلمها الا الله ، لا يعلم ما في غد الا الله ولا يعلم ما تغيض الأرحام الا الله ولا يعلم متى يأتي المطر الا الله ولا تدرى نفس بأى أرض تموت الا الله ولا يعلم أحد متى تقوم الساعة الا الله (٢)

وقال الشيخ محمد رشيد رضا في معرض حديثه تحت هذه الآية :

فان قيل ما حكمة تخصيص هذه الأشياء بالذكر قلنا ان المعلوم أو ما يتعلق بـــه العلم اما موجود واما معدوم والموجود اما حاضر مشهود واما غائب في حكم المفقود وليس في الوجود شيء غائب عن الله تعالى فعلمه تعالى بالأشياء اما علم غيب وهـــو علمه بالمعدوم واما علم شهادة وهو علمه بالموجود وأما أهل العلم من الخلق فمـــن الموجودات ما هو حاضر مشهود لديهم ومنها ما هو حاضر غير مشهود لأنه لم يخلـــق

---

(١)— فتح القدير للشوكاني ٢/١٢٣

(٢)— البخارى مع الفتح ٨/٣٧٥

لهم آلة للعلم به كعالم الجن و الملائكة مع الانس ومنها ما هو غائب عن شهودهم و هم مستعدين لادراكه لو حضر فكل ما خلقوا غير مستعدين لادراكه دائما أو في بعض الأحوال فهو ان غاب عنهم غيب اضافي و قد بين الله تعالى لنا في هذه الآية ان خزائن علم الغيب كلها عنده و عنده مفاتيحها و أسبابها الموصلة اليها و ان عنده من علم الشهادة ما ليس عند غيره و ذكر على سبيل المثل علمه بكل ما في البر و البحر من ظاهر و خفي ثم خص بالذكر ثلاثة أشياء مما في البر احاطة علمه بكل ورقة تسقط من نبتة و كل حبة تسقط في ظلمات الأرض و كل رطب و يابس (١)

و قال الشيخ محمد رشيد رضا أيضا قوله تعالى :((و عنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو)) يدل على كونه تعالى منزها عن الضد و الند و تقريره أن قوله :((وعنده مفاتح الغيب)) يفيد الحصر أى عنده لا عند غيره و لو حصل موجودا آخر واجب الوجود لكان مفاتح الغيب حاصلة أيضا عند ذلك الآخر و حينئذ يبطل الحصر (٢)

و قال الامام الأمين الشنقيطي في معنى قوله تعالى :((و عنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو)) الآية بين تعالى المراد بمفاتح الغيب بقوله :((ان الله عنده علم الساعة و ينزل الغيث و يعلم ما في الأرحام و ما تدرى نفس ماذا تكسب غدا و ما تدرى نفس بأى أرض تموت ان الله عليم خبير))(٣)

و من كل ما سبق من أقوال المفسرين نستنتج ان كلهم صرحوا بأن علم الغيب خاص بالله سبحانه و تعالى و أنه لا يشركه فيه أحد من خلقه كائنا من كان

---

(١)— تفسير القرآن الحكيم لمحمد رشيد رضا ٤/٤٥٨

(٢)— تفسير القرآن الحكيم لمحمد رشيد رضا ٤/٤٦١

(٣)— أضواء البيان للشنقيطي ٢/١٧٤

و من الآيات التي تدل على أن علم الغيب خاص بالله سبحانه و تعالى و أنه لا يشركه فيه أحد من خلقه قوله تعالى :((قل لا يعلم من في السماوات و الأرض الغيب الا الله و ما يشعرون أيان يبعثون)) (١)

و يستوى في هذا الملائكة و الأنبياء و الرسل و الأولياء الحقيقيون أو الأولياء المزعومون فانه لا يعلم أحد الغيب الا الله سبحانه و تعالى جلت قدرته

فمن الآيات التي تدل على أن الملائكة لا يعلمون الغيب قوله تعالى :((و اذ قال ربك للملائكة اني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها و يسفك الدماء و نحن نسبح بحمدك و نقدس لك قال اني أعلم ما لا تعلمون و علم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء ان كنتم صادقين قالوا سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا انك أنت العليم الحكيم قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم اني أعلم غيب السماوات والأرض و أعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون))(٢)

فاذا نظرنا في هذه الآية نخرج بنتيجة أن الملائكة لا يعلمون الغيب و ذلك لأنهم لو كانوا يعلمون الغيب لما عجزوا عن معرفة الأسماء التي علمها الله لآدم عليه السلام في حين أن مسمياتها كانت معروضة عليهم و لهذا لم يجد الملائكة المخرج من هذا الطلب الذى وجهه الله اليهم سوى أن يسلموا بأنهم لا يعلمون من الأشياء الا ما علمهم الله اياه فقالوا :((سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا انك أنت العليم الحكيم)) و رد الله عليهم بقوله :((ألم أقل لكم اني أعلم غيب السماوات و الأرض و أعلم ما تبدون و ما كنتم تكتمون))

---

(١)— النمل آية ٦٥

(٢)— البقرة آية ٣٠—٣٣

و كذلك الرسل و هم أشرف خلق الله لا يعلمون الغيب الا ما أوحاه الله اليهم سبحانه و تعالى

قال الامام الذهبي رحمه الله في تفسير قوله تعالى :((عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا الا من ارتضى من رسول فانه يسلك من بين يديه و من خلفه رصدا ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربهم و أحاط بما لديهم و أحصى كل شيء عددا))(١)

قال ابن الجوزي ((عالم الغيب)) هو الله عز وجل لا شريك له في ملكه ((فلا يظهر)) أي يطلع على غيبه الذي لا يعلمه أحد من الناس ((الا من ارتضى من رسول)) لأن الدليل على صدق الرسل اخبارهم بالغيب ..... و المعنى أن من ارتضاه للرسالة اطلعه على ما شاء من الغيب و في هذا الدليل على من زعم أن النجوم تدل على الغيب فهو كافر و الله أعلم (٢)

و من الآيات التي تدل على أن الأنبياء لا يعلمون الغيب قوله تعالى :((و اذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس أبى و استكبر و كان من الكافرين و قلنا يا آدم اسكن أنت و زوجك الجنة و كلا منها رغدا حيث شئتما و لا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين فأزلهما الشيطان عنها فأخرجهما مما كانا فيه و قلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو و لكم في الأرض مستقر و متاع الى حين فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه انه هو التواب الرحيم قلنا اهبطوا منها جميعا فاما يأتينكم مني هدى فمن تبع هداى فلا خوف عليهم و لا هم يحزنون))(٣)

---

(١)— الجن آية ٢٦—٢٧

(٢)— الكبائر للذهبي ٢٧٤

(٣)— البقرة آية ٣٤— ٣٨

و وجه الاستدلال بالآية أن آدم عليه السلام لو كان يعلم الغيب هل كان يأكل من الشجرة التي حرمها الله عليه في حين أن خروجه من الجنة مترتب على أكله منها حتما الجواب لا و لكنه لما جهل الغيب أكل منها فكان سببا لخروجه منها و اذا كان آدم عليه السلام و هو نبي من أنبياء الله لا يعلم الغيب فمن باب أولى و اجلة المتصوفة لا يمكنهم أن يعلموا الغيب

و من الآيات التي تدل على أن الأنبياء لا يعلمون الغيب قوله تعالى : ((و لقد جاءت رسلنا ابراهيم بالبشرى قالوا سلاما قال سلام فما لبث أن جاء بعجل حنيذ فلما رأى أيديهم لا تصل اليه نكرهم و أوجس منهم خيفة قالوا لا تخف انا أرسلنا الى قوم لوط))(١)

فالرسل المذكورون في هذه الآية هم من الملائكة و قد جاءوا الى ابراهيم عليه السلام بصورة بشر فظنهم ضيوف من البشر مثله فذبح لهم العجل و قدمه اليهم و لكنهم لم يأكلوا منه شيء لأنهم ملائكة و الملائكة لا تأكل و لا تشرب فلما قبضوا أيديهم عن الأكل خاف منهم ابراهيم عليه السلام فأخبروه بأنهم مرسلون الى قوم لوط لقلب الأرض بهم و هذا يدل دلالة قاطعة على أن علم الغيب خاص بالله تعالى و أنه لا يعلمه أحد مهما كانت منزلته عند الله لأنه لو كان ابراهيم يعلم الغيب لما ذبح العجل لضيافة الملائكة لأنه نبي من أنبياء الله و يعلم أن الملائكة لا يأكلون و لا يشربون و لذا أقول ان ادعاء المتصوفة بأن الأولياء يعلمون الغيب ادعاء باطل و افك و افتراء على الله .

و من الآيات التي تدل على أن الأنبياء لا يعلمون الغيب قول الله تعالى عن لوط عليه السلام : ((و لما جاءت رسلنا لوطا سيء بهم و ضاق بهم ذرعا و قال هذا يوم

---

(١)— هود آية ٦٩—٧٠

عصيب و جاءه قومه يهرعون اليـــه و من قبل كانوا يعملون السيئات قال يا قوم هؤلاء بناتي هن أطهر لكم فاتقوا الله و لا تخزون في ضيفي أليس منكم رجل رشيد قالـــوا لقد علمت ما لنا في بناتك من حق و انك لتعلم ما نريد قال لو أن لي بكم قوة أو آوي الى ركن شديد قالوا يا لوط انـــا رسل ربك لن يصلوا اليك فاسر بأهلك بقطع من الليل و لا يلتفت منكم أحد الا امرأتك انه مصيبها ما أصابهم ان موعدهـــم الصبح أليس الصبـــح بقريب))(١)

فلو كان لوط عليه السلام يعلم الغيب لما وقف ذلك الموقف العصيب مستميتا فـــي الدفاع عن أضيافه ضد رغبة قومه الآثمة في حين أنهم ملائكة أرسلهم الله لاهلاك أولئك القوم و اذا كان لوط عليه السلام و هو نبي من أنبياء الله يجهل علم الغيب فمن بـاب أولى أن يجهل علم الغيب أولياء و مشائخ المتصوفة لأنهم أدنى من الأنبياء بمراتب كثيرة و لذا أقول ان دعوى الصوفية ان الأولياء تنكشف لهم الغيب دعوى لا دليل عليها و انما هي محض افتراء قالوها اتباعا لأهوائهم فقط و الا فأدلـــة الكتـــاب و السنة كلهـــا ضدهـــم .

و من الآيات التي تدل على أن الأنبياء لا يعلمون الغيب قول الله عز و جل عن يعقوب عليه السلام حين ضاع منه إبناه يوسف و أخيه :((قال بل سولت لكم أنفسكـــم أمرا فصبر جميل عسى الله أن يأتيني بهم جميعا انه هو العليم الحكيم و تولى عنهم و قال يا أسفا على يوسف و ابيضت عيناه من الحزن فهو كظيم قالوا تالله تفتؤا تذكـــر يوسف حتى تكون حرضا أو تكون من الهالكين قال انما أشكوا بثي و حزني الى اللـــه و أعلم من الله ما لا تعلمون يا بني اذهبوا فتحسسوا من يوسف و أخيه و لا تيأسوا مـــن روح الله انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرين))(٢)

---

(١)— هـــود آية ٧٧—٨١

(٢)— يوســـف آية ٨٣—٨٧

فلو كان يعقوب عليه السلام يعلم الغيب لعلم بمكان يوسف في هذا الوقت الطويل الذى عاشه حزينا عليه ثم تبعه أخاه بنيامين ولكنه لما كان علم الغيب خاص بالله سبحانه وتعالى لم يعلم بمكانهما حتى ذهب اخوة يوسف فاكتشفوا مكانه في مصر والقصة معلومة وهي طويلة تحتاج الى صفحات والذى يهمنا منها هو أن يعقوب عليه السلام لم يعلم بمكان يوسف في هذه المدة الطويلة التي غاب عنه فيها واذا كان يعقوب عليه السلام وهو نبي من أنبياء الله يجهل الغيب فمن باب أولى دجاجلة الصوفية أن يجهلوا الغيب.

ومن الآيات التي تدل على أن الأنبياء لا يعلمون الغيب قول الله عزوجل: ((فلما قضى موسى الأجل وسار بأهله آنس من جانب الطور نارا قال لأهله امكثوا اني آنست نارا لعلي آتيكم منها بخبر أو جذوة من النار لعلكم تصطلون فلما آتاها نودى من شاطئ الوادى الأيمن في البقعة المباركة من الشجرة أن يا موسى اني أنا الله رب العالمين وأن ألق عصاك فلما رآها كأنها جان ولى مدبرا ولم يعقب يا موسى أقبل ولا تخف انك من الآمنين))(١)

قصة موسى مع شعيب عليهما السلام معروفة حيث ان موسى كان راعيا عند شعيب فلما قضى موسى الأجل الذى حدداه سار بأهله مسافرا بهم الى بلده مصر فأبصر من جانب الجبل نارا تتقد فقال لأهله انتظروا فقد أبصرت نارا لعلي آتيكم منها بخبر عن الطريق الذى أضللناه أو آتيكم بقطعة من الحطب فيها النار تستدفئون بها من البرد .. فلما وصل عليه السلام النار ناداه الله تعالى من جانب الوادى الذى هو عن يمين موسى في ذلك المكان المبارك عند الشجرة بأنني أنا الله رب العالمين اطرح عصاك التي تحملها فألقاها فلما رآها تتحرك كأنها جان من الحيات ولى هاربا منها ولم يرجع على عقبه

---

(١) — القصص ٢٩ — ٣١

فنودى أقبل و لا تخف من الذى تهرب منه فانك في أمان من أن يضرك

فلو كان موسى عليه السلام يعلم الغيب لما فزع و فر من عصاه في حين أنها ستعود عصا كما كانت و لكن لما كان علم الغيب خاص بالله تعالى لم يعلمه موسى عليه السلام واذا كان موسى عليه السلام لم يعلم الغيب و هو نبي من أنبياء الله فمن باب أولى أن يجهله دجاجلة الصوفية و هم أبعد ما يكونون عن اتباع الكتاب و السنة .

و من الآيات التي تدل على أن الأنبياء لا يعلمون الغيب قول الله تعالى عن داوود عليه السلام : ((و هل أتاك نبأ الخصم اذ تسوروا المحراب اذ دخلوا على داوود ففزع منهم قالوا لا تخف خصمان بغى بعضنا على بعض فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط و اهدنا الى سواء الصراط ان هذا أخي له تسع و تسعون نعجة ولي نعجة واحدة فقال أكفلنيها وعزني في الخطاب قال لقد ظلمك بسؤال نعجتك الى نعاجه و ان كثيرا من الخلطاء ليبغي بعضهم على بعض الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات و قليل ما هم و ظن داوود أنما فتناه فاستغفر ربه و خر راكعا و أناب فغفرنا له ذلك و ان له عندنا لزلفى و حسن مآب))(١)

فلو كان داوود عليه السلام يعلم الغيب لما جلس للقضاء بين الخصمين في حين انهما أرسلا فتنة له و لكنه لما كان يجهل الغيب حكم بينهما و قد تاب و أناب الى الله فغفر الله له كما هو واضح بين في الآيات

و اذا كان داوود عليه السلام و هو نبي من أنبياء الله يجهل الغيب فمن باب أولى أن يجهله شيوخ المتصوفة لأنهم أدنى من الأنبياء مهما علت درجتهم فادعاؤهم الاطلاع على علم الغيب كذب و افتراء محض

---

(١) — ص ٢١ — ٢٥

و من الآيات التي تدل على أن الأنبياء لا يعلمون الغيب قول الله تعالى عن سليمان عليه السلام :((و تفقد الطير فقال مالي لا أرى الهدهد أم كان من الغائبين لأعذبنه عذابا شديدا أو لأذبحنه أو ليأتيني بسلطان مبين فمكث غير بعيد فقال أحطت بما لم تحط به و جئتك من سبأ بنبأ يقين اني وجدت امرأة تملكهم و أوتيت من كل شيء و لها عرش عظيم وجدتها و قومها يسجدون للشمس من دون الله و زين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل فهم لا يهتدون ألا يسجدوا لله الذى يخرج الخبء في السموات و الأرض و يعلم ما تخفون و ما تعلنون الله لا اله الا هو رب العرش العظيم))(١)

سليمان عليه السلام آتاه الله ملكا لم يؤته أحد بعده و قد جمع جنوده من جميع الأجناس في مسير لهم و تفقد عليه السلام أنواع الطير فقال ما الذى جعلني لا أرى الهدهد أخطأه بصرى فلم أره و قد حضر أم هو غائب لم يحضر فلما أخبر أنه غائب أقسم ليعذبن الهدهد عذابا شديدا أو ليقتلنه ان لم يأته بحجة واضحة تبين لسامعها صحتها فمكث سليمان عليه السلام وقتا قصيرا حتى جاءه الهدهد فسأله عليه السلام عن تخلفه و غيبته فقال : أحطت بعلم لم تحط به أنت و جئتك من سبأ بخبر يقين لقد وجدت امرأة تملك سبأ و قد أوتيت كل شيء في الدنيا من العتاد و الآلة و لها عرش عظيم من ذهب قوائمه من الجوهر و اللؤلؤ ووجدت هذه المرأة و قومها يعبدون الشمس فيسجدون لها و حسن لهم ابليس عبادتهم هذه فمنعهم بذلك أن يتبعوا دين الله الحق فهم لا يهتدون له ولا يسلكونه . . . . زين لهم الشيطان أعمالهم لئلا يسجدوا لله الذى يخرج المخبوء في السماوات و الأرض من الغيث و النبات و يعلم السر من أمور خلقه و العلانية فهو وحده الذى لا معبود سواه ولا تصلح العبادة الا له سبحانه و تعالى

---

(١) — النمل ٢٠ — ٢٦

والمقصود من ايراد هذه القصة أن سليمان عليه السلام لم يعلم بمكان الهدهد التي اتجه اليها مع أنه نبي من أنبياء الله حتى جاء الهدهد وأخبره بهذه المملكة العظيمة التي كانت غائبة عن سليمان عليه السلام واذا كان الأنبياء يجهلون الغيب فمن باب أولى أن يجهله غيرهم .

وهناك آيات كثيرة تدل على أن علم الغيب خاص بالله تعالى وتنفيه عما سواه من المخلوقات من هذه الآيات قول الله تعالى : ((قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب الا الله وما يشعرون أيان يبعثون))(١)

فاذا نظرنا في هذه الآية نجدها صريحة في حصر علم الغيب في الله وحده ونفيه عما سواه يقول الامام القرطبي المفسر الكبير رحمه الله تعالى تحت هذه الآية : (فانه لا يجوز أن ينفي الله سبحانه وتعالى شيئا عن الخلق ويثبته لنفسه ثم يكون له في ذلك شريك ألا تسمع قوله تعالى : ((قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب الا الله)) و قول الله تعالى : ((لا يجليها لوقتها الا هو)) وقوله : ((كل شيء هالك الا وجهه))(٢) فكان هذا كله مما استأثر الله بعلمه لا يشركه فيه غيره

ومن الآيات التي تدل على أن علم الغيب محصور في الله قول الله تعالى : ((فقل انما الغيب لله فانتظروا اني معكم من المنتظرين))(٤)

اذا نظرنا في هذه الآية نجد بوضوح وصراحة قد بينت بأن علم الغيب خاص بالله سبحانه وتعالى ومحصور فيه لا يشركه فيه أحد من خلقه مهما كانت درجته وذلك لأن (انما) من أدوات الحصر

---

(١) — النمل ٦٥

(٢) — الأعراف ١٨٧

(٣) — القصص ٨٨

(٤) — يونس ٢٠

و من الآيات التي تدل على أن علم الغيب خاص بالله تعالى قول الله سبحانه و تعالى :((و لله غيب السماوات و الأرض و اليه يرجع الأمر كله فاعبده و توكل عليه و ما ربك بغافل عما تعملون))(١)

و في هذه الآية أيضا نرى أن علم الغيب حصره الله سبحانه و تعالى في نفسه و ذلك لأن تقديم الجار و المجرور من أدوات الحصر و لذا أقول أن من ادعى علم شيء من علم الغيب فقد ادعى بأنه قد شارك الله في خاصيه خص الله بها نفسه .

و من الآيات التي تدل على أن علم الغيب خاص بالله تعالى قوله سبحانه :

((و لله غيب السماوات و الأرض و ما أمر الساعة الا كلمح البصر أو هو أقرب ان الله على كل شيء قدير))(٢) .

و من الآيات التي تدل على أن علم الغيب خاص بالله سبحانه و تعالى قوله تعالى :

((قل الله أعلم بما لبثوا له غيب السماوات و الأرض أبصر به و أسمع ما لهم من دونه من ولي و لا يشرك في حكمه أحدا))(٣)

و قال تعالى :((ان الله عالم غيب السماوات و الأرض انه عليم بذات الصدور))(٤)

و قال تعالى :((و ما كان الله ليطلعكم على الغيب))(٥)

و بالجملة فكل هذه الآيات التي تقدم ذكرها تدل دلالة واضحة وصريحة على اختصاص الله بعلم الغيب وحده دون من سواه فلا يعلم الغيب ملك مقرب و لا نبي مرسل فكيف بمن سواهما

---

(١)- هود آية ١٢٣

(٢)- النحل آية ٧٧

(٣)- الكهف آية ٢٦

(٤)- فاطر آية ٣٨

(٥)- آل عمران آية ١٧٩

كما وردت آيات أخرى كثيرة تنفي عن الرسول محمد صلى الله عليه و سلم علم الغيب مع أنه أفضل الخليقة على الاطلاق و معلوم أنه اذا كان الرسول و هو أحب خلق الله اليه لم يعلمه الغيب فغيره من باب أولى أن يجهل علم الغيب و من هذه الآيات قول الله تعالى :((قل لا أقول لكم عندى خزائن الله و لا أعلم الغيب و لا أقول لكم انى ملك ان أتبع الا ما يوحى الي قل هل يستوى الأعمى و البصير أفلا تتفكرون))(١)

قال الشيخ محمد رشيد رضا تحت هذه الآية: (و اذا كان الله تعالى لم يؤت الرسل ما لم يؤت غيرهم من أسباب التصرف في المخلوقات و من علم الغيب و كان كل من التصرف بالقدرة الذاتية و علم الغيب خاصا به عز وجل يستحيل أن يشاركه غيره فيه فمن أين جاءت دعوى التصرف في الكون و علم الغيب لمن هم دون الرسل منزلة وكرامة عند الله تعالى من المشائخ المعروفين و غير المعروفين)(٢)

و قال تعالى حكاية عن عيسى عليه السلام :((تعلم ما في نفسي و لا أعلم ما في نفسك انك أنت علام الغيوب))(٣)

ففي هذه الآية قد حكى الله لنا على أن عيسى عليه السلام أسند علم الغيب الى الله وحده و تبرأ هو من علم الغيب و اذا كان عيسى عليه السلام كذلك و هو من الرسل الكرام فغيره من باب أولى أن ينتفي عنه علم الغيب

هذا ما يتعلق بما جاء في القرآن من الآيات التي تدل دلالة واضحة على أن علم الغيب خاص بالله تعالى ،

---

(١)— الأنعام آية ٥٠

(٢)— تفسير المنار لمحمد رشيد رضا ٧/ ٤٢٥

(٣)— المائدة آية ١١٦

ثانيا : الأدلة من السنة على أن علم الغيب خاص بالله تعالى

لقد وردت في السنة النبوية أحاديث كثيرة تدل على أن علم الغيب خاص بالله سبحانه وتعالى وأنه لم يعلم الغيب للرسول محمد صلى الله عليه وسلم وهو أحب خلق الله اليه فضلا عن غيره

من هذه الأحاديث ما روته عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت : (من حدثك ان محمدا رأى ربه فقد كذب وهو يقول : ((لا تدركه الأبصار)) ومن حدثك أنه يعلم الغيب فقد كذب وهو يقول : ((لا يعلم الغيب الا الله)) .) (١)

فاذا كان محمد بن عبدالله سيد ولد آدم لا يعلم الغيب فلا شك أن غيره من باب أولى كائنا من كان لا يعلم الغيب

ومنها حديث ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

(مفاتيح الغيب خمس لا يعلمها الا الله لا يعلم ما تغيض الأرحام الا الله ولا يعلم ما في غد الا الله ولا يعلم متى يأتي المطر أحد الا الله ولا تدرى نفس بأى أرض تموت الا الله ولا يعلم متى تقوم الساعة الا الله) (٢)

قال الشيخ أبو محمد بن أبي جمرة : استعار للغيب مفاتيح بما نطق به الكتاب العزيز ((وعنده مفاتح الغيب)) وليقرب الأمر على السامع لأن أمور الغيب لا يحصيها الا عالمها وأقرب الأشياء الى الاطلاع على ما غاب الأبواب والمفاتيح أيسر الأشياء لفتح الباب فاذا كان أيسر الأشياء لا يعرف موضعها فما فوقها أحرى لا يعرف (٣)

وعن اياس بن سلمة قال : حدثني أبي أنه كان مع النبي صلى الله عليه وسلم اذ جاءه رجل بفرس له يقودها عقوق ومعه مهرة له يبيعها فقال من أنت قال أنا نبي الله قال ومانبي الله قال رسول الله قال الرجل متى تقوم الساعة فقال صلى الله عليه

---

(١) — صحيح البخارى مع الفتح ١٣/ ٣٦١ (٢) — البخارى مع الفتح ١٣/ ٣٦١

(٣) — فتح البارى ١٣/ ٣٦٥

و سلم. غيب و لا يعلم الغيب الا الله قال متى تمطر السماء فقال صلى الله عليه و سلم غيب و لا يعلم الغيب الا الله

قال الرجل ما في بطن فرسي هذا فقال صلى الله عليه و سلم غيب و لا يعلم الغيب الا الله

قال أرني سيفك فاعطاه النبي صلى الله عليه و سلم سيفه فهزه الرجل ثم رده اليه فقال صلى الله عليه و سلم أما انك لم تكن تستطيع الذى أردت يقول اياس و كان الرجل قال اذهب اليه فاسأله عن هذه الخصال ثم اضرب عنقه (١)

و روى الحارث بن عمرو بن حارثة بن محارب بن حفصة رجل من أهل البادية جاء الى النبي صلى الله عليه و سلم فسأله عن الساعة و وقتها و قال: ان أرضنا أجدبت فمتى ينزل الغيث و تركت امرأتي حبلى فماذا تلد و قد علمت أين ولدت فبأى أرض أموت

فأنزل الله تعالى: ((ان الله عنده علم الساعة و ينزل الغيث و يعلم ما في الأرحام و ما تدرى نفس ماذا تكسب غدا و ما تدرى نفس بأى أرض تموت ان الله عليم خبير))(٢)

و روى خالد بن ذكوان عن الربيع بنت معوذ بن عفراء رضي الله عنها قالت: جاء النبي صلى الله عليه و سلم يدخل حين بنى على فجلس على فراش كمجلسك فجعلت جويرات لنا يضربن بالدف و يندبن من قتل من آبائي يوم بدر اذ قالت احداهن: و فينا نبي يعلم ما في غد فقال صلى الله عليه و سلم: دعي هذه و قولي بالذى كنت تقولين (٣)

فاذا نظرنا في الحديث السابق نرى أن الرسول صلى الله عليه و سلم حرص على تصحيح العقيدة الاسلامية في مسألة الغيب و لو أغنية من الأغنيات مما كانت الجارية

---

(١) — أسباب النزول للنيسابورى ١٩٨

(٢) — نفس المرجع السابق ١٩٩ و الآية من سورة لقمان ٣٤

(٣) — البخارى مع الفتح ٢٠٢/٩

تنسب اليه صلى الله عليه و سلم شيئا من علم الغيب حتى أمرها من فوره بأن تترك هـذا القول :(فلا يعلم مافي غد الا الله) و طلب منها أن تعود الى ما كانت تتغنى بـه من ذكر أوصاف البطولة و الفداء فما بالنا نرى الناس في هذه الأيام يتساهلون في هذه المسألة الخطيرة و ينسبون علم الغيب لكل من هب و دب من أولياء و كهنة و سحـرة و منجمون و يزعم المتصوفة أن الله قد كشف عن شيوخهم الحجاب فأشركوهم بهذا الزعـم في خاصية هي لله تعالى وحده و كما سبق لنا فقد أسس المتصوفة عقيدتهم تجاه الأولياء على الادعاء بأنهم يعلمون الغيب معرضين عن الأدلة الشرعية و التي مصدرهـا كتاب الله و سنة رسوله محمد صلى الله عليه و سلم

و عن طريق هذا الادعاء و الزعم الباطل شككوا الناس في مصادر الشرع الصحيحـة ألا و هو كتاب الله و سنة رسوله و شرعوا لهم شرائع أخرى زاعمين بأنهم يطلعون علـى الغيب و يتلقون علوما عن الله خاصة بهم دون غيرهم من الأمة الاسلامية .

موقف علماء الاسلام ممن يدعي علم الغيب

لقد وقف علماء الاسلام الأجلاء الذين فهموا كتاب الله عز وجل و سنة رسوله محمد صلى الله عليه و سلم فهما صحيحا موقفا مشرفا من كل من يدعي علم الغيب و شنعـوا عليهم ادعاءهم هذا بل حكموا عليهم بالكفر و الضلال

و من هؤلاء العلماء الذين شنعوا على كل من يدعي علم الغيب الامام أبو حيـان المفسر المشهور رحمه الله حيث قال مشنعا على المتصوفة الذين يدعون علم الغيب مـع جهالتهم بالأحكام الشرعية تحت قوله تعالى :((وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هـو))(١)

---

(١) ـ الأنعام ٥٩

قال : ولقد يظهر من هؤلاء المنتسبة الى الصوفية أشياء من ادعاء علم المغيبات والاطلاع على علم عواقب أتباعهم وأنهم معهم في الجنة مقطوع لهم ولاتباعهم بها يخبرون بذلك على رؤوس المنابر ولا ينكر ذلك أحد هذا مع خلوهم عن العلوم يوهمون أنهم يعلمون الغيب وفي صحيح مسلم عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت : (ومن زعم أن محمدا يخبر بما يكون في غد فقد أعظم على الله الفرية)(١)

والله تعالى يقول : (قل لا يعلم من في السماوات والأرض الغيب الا الله)(٢)

وقد كثرت هذه الدعاوى والخرافات في ديار مصر وقام بها ناس صبيان العقول يسمون بالشيوخ عجزوا عن مدارك العقل والنقل وأعياهم طلاب العلوم

فارتموا يدعون أمرا عظيما ... لم يكن للخليل ولا الكليم

بينما المرء منهم في انسفال ... أبصر اللوح ما به من رقوم

فجنى العلم منه غضا طريا ... ودرى ما يكون قبل الهجوم

ان عقلي لفي عقال اذا ما ... أنا صدقت بافتراء عظيم (٣)

وقال الامام القرطبي رحمه الله في تكفير من ادعى شيئا من علم الغيب : (قال علماؤنا أضاف سبحانه علم الغيب الى نفسه في غير ما آية من كتابه الا من اصطفى من عباده (رسله) فمن قال انه ينزل الغيث غدا وجزم به فهو كافر أخبر عنه بامارة ادعاها أم لا وكذلك من قال انه يعلم ما في الرحم فهو كافر فان لم يجزم وقال ان النوء ينزل الله به الماء عادة وانه سبب الماء على ما قدره وسبق في علمه لم يكفر الا أنه يستحب له ألا يتكلم به فان فيه تشبيها بكلمة أهل الكفر جهلا بلطف حكمته لأنه

---

(١) — صحيح مسلم مع النووي ٢/ ٨

(٢) — النمل آية ٦٥

(٣) — البحر المحيط لأبي حيان

ينزل متي شاء مرة بنوء كذا و مرة دون النوء

قال الله تعالى :أصبح من عبادى مؤمن بي و كافر (١)

قال و أما من ادعى الكسب في مستقبل العمر فهو كافر أو أخبر عن الكوائن المجملة أو المفصلة في أن تكون قبل أن تكون فلا ريبة في كفره أيضا (٢)

و قال القرطبي أيضا في حكم اتخاذ المنجمين و الذهاب اليهم و أن من فعل ذلك فقد ارتكب من كبائر الذنوب قال علماؤنا و قد انقلبت الأحوال في هذه الأزمان باتيان المنجمين و الكهان لا سيما بالديار المصرية فقد شاع في رؤسائهم و أتباعهم و أمرائهم اتخاذ المنجمين بل انخدع كثير من المنتسبين للفقه و الدين فجاؤا الى هؤلاء الكهنة و العرافين فبهرجوا عليهم بالمحال و استخرجوا منهم الأموال فحصلوا من أموالهم على السراب و الآل و من أديانهم على الفساد و الضلال و كل ذلك من الكبائر لقوله عليه السلام : (لم تقبل له صلاة أربعين يوما) (٣) فكيف بمن اتخذهم و أنفق عليهم معتمدا على أقوالهم (٤)

و الخلاصة التي نخرج بها هو أن علم الغيب خاص بالله سبحانه و تعالى لا يشركه فيه أحد و ذلك لما ذكرناه من نصوص قرآنية من كتاب الله تعالى و نصوص نبوية من سنة رسوله محمد صلى الله عليه و سلم و أقوال العلماء و أن من يدعي الاطلاع على المغيبات التي لا يمكن أن يطلع عليها غير الله سبحانه و تعالى فقد كفر كما قال علماؤنا الأجلاء فيما سبق و من هنا نقول ان المتصوفة الذين ادعوا علم الغيب قد وقعوا في انحراف عقدى خطير فيجب عليهم ان كانوا أحياء أن يتوبوا من هذا المعتقد الفاسد

---

(١) — أى في الحديث القدسي الذى رواه البخارى مع الفتح ٢ / ٣٣٢

(٢) — تفسير القرطبي ٢ / ٢

(٣) — مسند أحمد ٤ / ٦٨

(٤) — تفسير القرطبي ٢ / ٣

و يرجعوا الى المعتقد الصحيح و الذى هو ان الغيب علمه خاص بالله سبحانه و تعالى أما ما سواه من المخلوقات فليس لديهم القدرة على الاطلاع على علم الغيب و قد أثبت ذلك فيما سبق بايراد نصوص قرآنية و أحاديث نبوية على أن الأنبياء و الملائكة و هم أفضل المخلوقات لم يعلموا الغيب ففيرهم من باب أولى أن لا يكون مؤهلا للاطلاع على الغيوب و الله أعلم بالصواب و اليه المرجع و المآب

المبحث الرابع : توجه الصوفيه الى الأولياء بالدعاء والاستغاثة :

وتحته مطلبان :

المطلب الأول : ذكر النصوص عنهم التي تثبت بأنهم يتوجهون الى الأولياء بالدعاء والاستغاثة

المطلب الثاني : حكم الاسلام في دعاء غير الله

المطلب الأول : ذكر النصوص التي تثبت بأنهم يتوجهون الى شيوخهم بالدعاء والاستغاثة

لقد بينا في المبحث السابق بأن الصوفية يعتقدون أن الأولياء يعلمون الغيب وذلك بايراد نصوص من بطون كتبهم ومن أفواه مشائخهم الذين يعتبرونهم أئمة في الأوساط الصوفية ثم اتبعنا ذلك بالرد عليهم وابطال مزاعمهم وأثبتنا بأن الغيب خاص بالله سبحانه وتعالى لا يشركه فيه لا ملك مقرب ولا نبي مرسل ولا ولي محبوب عند الله لأن علم الغيب من الخصائص التي اختص الله بها دون غيره من المخلوقات (١)

واعتقاد المتصوفة في الأولياء بأنهم يتصرفون في الكون ويعلمون الغيب أدى بهم هذا الاعتقاد الفاسد الى اعتقاد النفع والضر في الأولياء فتوجهوا اليهم بالدعاء والاستغاثة طالبين منهم تفريج الكرب والنجاة من النار والدخول الى الجنة وهذا ما نريد أن نبينه الآن في هذا المبحث ان شاء الله وسأبدأ أولا بذكر النصوص التي تثبت توجههم الى شيوخهم بالدعاء والاستغاثة ثم سأتبعه في المطلب الثاني ببيان حكم الاسلام في دعاء غير الله

وها أنا أشرع فأقول :

لقد اشترط الصوفية على المريد الذى يريد أن يصل الى مرتبة الولاية الصوفية أن يعلق قلبه دائما بشيخه قائما وقاعدا وحتى ذاكرا ويتوجه اليه بالدعاء والاستغاثة في كل ما يريده

واليك النصوص التي تثبت على أنهم يشترطون هذا

قال محمد أبو الهدى الصياد الرفاعي :

(ان من ضاق حاله لمهمة أو لحاجة أو عسر عليه مقصد أو كان عليه دين أو كان في سجن أو بغى عليه ظالم فليتوضأ ويصلي ركعتين ويصلي على النبي صلى الله عليه وسلم

---

(١) — انظر ص ٦٣٤ — ٦٧٢

مائة مرة و يكون ذلك العمل في بيت خال و يقرأ الفاتحة اللبنى و يتوجه قائما للشرق لير البصره لفلاة أم عبيدة محل مرقد الغوث الحسيني سيد السيد أحمد الرفاعى و ينادى بالاعتقاد و الانكسار

يا وسيلة الطالبين يا كعبة الطائفين يا غوث الخلق يا باب الحق يا أشجع الفوارس يا أبا المدد .... يا مصد الطلاب يا معجزة الرسول يا سر الله يا درة الغيب يا سيف القدرة يا نائب النبي الجليل يا خليفة ابراهيم الخليل يا مبرد النار يا مبدل السموم .... يا موصل كل أعرج يا قطب الأقطاب المتصرفين يا مظهر حضرة القدس في كل مكان و أمان يا صاحب الآيات الباهرة يا كنز العنايات يا صاحب التصرف في الحياة و الممات .... أغثني توجه لجدك خير الأنام و قوموا بقضاء حاجتي .... أدركني يا أحمد الأولياء رضي الله عنك أغثني (١)

ففي النص السابق أمر الصيادى كل من أصيب بأمر يكرهه و يريد أن يرفع عنه بالتوجه الى قبر أحمد الرفاعي و يدعوه و يستغيث به طالبا منه الاغاثة و تفريج ما به و لا حاجة الى تجديد أماكن الشاهد في النص لأن كله شواهد واضحة و هذا شرك صراح يسقل حامله عن الاسلام لأنه فيه القول بجواز صرف عبادة لغير الله .

و يقول عبد المجيد محمد الخاني النقشبندى :

اعلم أيها الأخ المؤمن أن الرابطة عبارة عن ربط القلب بالشيخ الكامل و حفظ صورته بالخيال و لو عند غيبته أو بعد وفاته و لها صور أهونها أن يتصور المريد صورة شيخه الكامل بين عينيه ثم يتوجه الى روحانيته في تلك الصورة و لا يزال متوجها اليها بكليته حتى يحصل له الغيبة أو أثر الجذب ..... و هكذا يداوم على الرابطة حتى يفنى عن ذاته و صفاته في صورة الشيخ .... فتربيه روحانية الشيخ بعد ذلك الى أن

---

(١) — قلادة الجواهر ٢٣٧

توصله الى الله تعالى ولو كان أحدهما في المشرق والآخر في المغرب فما لرابطة يستفيض الأحياء من الأموات المتصرفين (١)

ففي هذا النص أمر عبد المجيد أن يربط الانسان الصوفي قلبه بشيخه دائما وأبدا ويتوجه اليه بكل حواسه اذا أراد أن تقضى له حوائجه لأن الأولياء لهم التصرف في هذا الكون أحياءا و أمواتا فيجب على كل صوفي التوجه الى أهل التصرف كما أراد شيئا من الأشياء و نحن نقول وأين الله أيها الصوفي الوقح الذى قال في كتابه : ((و اذا سألك عبادى عني فاني قريب أجيب دعوة الداع اذا دعان))(٢)

و هكذا المتصوفة أصبحوا دعاة الى الوثنية و الشرك فأوقعوا ملايين من الأمة الاسلامية في الشركيات حيث أمروهم بالتوجه الى الأولياء أحياءا و أمواتا .

و يقول ابن عجيبه الحسني متحدثا عن آداب المريد مع شيخه :

(للقوم في لقاء المشائخ آداب منها أنهم اذا قربوا المنزل رفعوا أصواتهم بالهيللة و الذكر فلا يزالون كذلك حتى يصلوا الى الزاوية ومنها تقبيل يد الشيخ ثم رجله ان جرت بذلك عادة الفقراء فهو من أحسن التعظيم ..... و منها جلوسهم بين يديه على نعت السكينة و الوقار خافضين أصواتهم ناكسين رؤوسهم غاضين أبصارهم فلا يكلمونه حتى يبدأهم بالسلام)(٣)

فان تعذر عليه (أى على المريد) الوصول الى الشيخ و قد عرض له مرض أو أمر فليشخص شيخه بين عينيه بصفته و هيئته و يشكو له فانه يبرأ باذن الله وان كان مع حماعة و استحيا فليشتك اليه في قلبه (٤)

---

(١) — السعادة الأبدية ٢٢—٢٣

(٢) — البقرة ١٨٦

(٣) — الفتوحات الالهية لابن عجيبة ٣٠٨

(٤) — الفتوحات الالهية لابن عجيبة ٣٣٩

ففي النص السابق أمر ابن عجيبة المريد اذا لم يستطع الوصول الى شيخه لسبب من الأسباب أن يتوجه اليه بقلبه و يشكو اليه حاله حتى يفرج ما به من مصائب و هذه دعوة صريحة الى التوجه الى غير الله بالدعاء و الاستغاثة لتفريج الكرب و النص كما هو أمامنا واضح جدا و لا يحتاج الى شرح أو تحديد الشاهد منه

و يقول سراج الدين الرفاعي الصيادى و يشاركه أبو الهدى الصيادى متحدثا عن آداب المريد مع شيخه :

(و من آداب المريد اللازمة : أولا حفظ قلب شيخه و مراعاته في الغيبة و الحضور و التواضع له و لذريته و أقاربه و ثبوت القدم على خدمته و أوامره كليها و جزئيها و ربط القلب به و استحضار شخصه في قلبه في جميع المهمات و استمداد همته و الفناء فيه و أن يكون ملازما له لا يفترق عنه طرفة عين و لا ينكر عليه ما ظهر منه من صفة عيب فلربما يظهر من الشيخ ما لا يعلمه المريد كما وقع لبعضهم أنه دخل على شيخه فرأى عنده امرأة جميلة يلاعبها و يعانقها و يجامعها فخرج منكرا على شيخه فأخذ منه حالا جميع ما استفاده من شيخه و مع ذلك أن المرأة امرأة الشيخ و زوجته)(١)

ففي النص السابق أمر الرفاعي للمريد أن يراعي شيخه سواء كان حاضرا أو غائبا و يحذر من الوقوع فيما يكرهه الشيخ لأن المتصوفة يعتقدون أن الشيخ يعلم كل ما يجرى في هذا الكون ثم أمره أيضا أن يستحضر أمامه دائما شخصية شيخه اذا أراد أن تقضى له مهامته و يطلبه من شيخه و حذره أيضا من انكار المنكر على شيخه حتى لا يسلب ما استفاده من شيخه و ذلك لأن المتصوفة يعتقدون أن مشائخهم أعلى و أعظم من أن ينكر عليهم و هذا سأتعرض له ان شاء الله حينما نتكلم في الآثار التي نتجت عن الفكر الصوفي في العالم الاسلامي (٢)

---

(١) — قلادة الجواهر للصيادى ٢٧٨ و كذلك تنبيه الاخوان لأحمد سكيرج

(٢) انظر ٩٦٤ — ١٠١

و نحن نقول ان الشيخ بشر لا يعلم الغيب و لا يملك لنفسه نفعا و لا ضرا ولـــذا لا يستحق هذه الأمور التي أمر الصيادى المريد أن يقوم بها نحو شيخه

و ذلك لأن المطلوب من المؤمن بالله و برسوله حقا هو أن يراقب الله في السر و العلن لأنه هو الذى يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور و أن يتوجه الى الله سبحانه و تعالى في كل ما يطلبه من دفع شر أو جلب خير

و لذا أقول ان دعوى الصيادى هذه هي دعوة و ثنية لأنه حث الناس على عبادة الشيـــــــوخ ،

و يقول يوسف العجمي : و من شأن المريد اذا ذكر الله تعالى أو فعل عبادة مـن العبادات أن يستحضر نظر شيخه اليه ليتأدب و يضم شتات قلبه (١)

و لا ندرى ماذا يريد العجمي من هذا الكلام أيريد أن ينوى شيخه مع الله فـــي أى عبادة من العبادات أم لا ؟ ! !

و الا فما الداعي أن ينوى شيخه و نظره اليه . . . و هل الشيخ يعلم الغيب ؟ ! !

و يقول علي بن عثمان خليفة الشيخ أحمد الرفاعي حاثا أتباعه بالتوجه اليه في كـل ما يريدون تحقيقه في هذه الدنيا

(يا سادة من كان له منكم حاجة فليلزمني بها و من شكى الى سلطانه أو شيطانـه أو زوجته أو دابته أو أرضه ان كانت لا تنبت أو نخلة لا تثمر أو دابة لا تحمل فليلزمني بها فاني مجيب له (٢)

ففي النص السابق أمر الرفاعي أتباعه أن يتوجهوا اليه و يدعونه في كل ما يريدون و أكد لهم بأنه سيجيبهم و ينفذ لهم كل ما يطلبون و هذه دعوة صريحـــة الـــى الشرك باللـــــه سبحانه و تعالى

---

(١) — الأنوار القدسية ٢ / ٦٨ و نحوه في تنبيه الاخوان على أن الطريقة التيجانيـــة لا يلقنها الا من له اذن صحيح لأحمد سكيرج كما في كتاب صلوات الاخوة في آداب المريد

(٢) — روضة الناظرين ٨٤

و يذكر الصيادى قصة قوم في بيروت يستغيثون بالبدوى و هو في قبره في مصر و يسألونه بحق النبي صلى الله عليه و سلم أن ينجيهم من قبضة الافرنج و الصليبيين يقول الصيادى : (و ذكر أن جماعة من أهل بيروت أسرهم الافرنج فألهمهم الله أن يقولوا يا سيدى أحمد يا بدوى ان الناس يقولون اذا تأتي بالأسرى الى بلادهم و قد سألناك بالنبي صلى الله عليه و سلم أن ترد نا الى بلادنا فمكنهم البدوى من الهروب من الافرنج)(١)

فهذه القصة فيها دعوة صريحة الى التوجه الى الشيوخ بالدعاء و الاستغاثة و الزعم بأنهم يغيثون من استغاث بهم و لم يورد هذه القصة الا لتشجيع الناس لكي يقدم على عبادة البشر و يتركوا عبادة الله

و روى النبهاني عن عامر العراقي أنه أتى الشيخ ابراهيم الأعزب مودعا فقال له ابراهيم : اذا وقعت بشدة فنادى باسمي قال عامر : ففي صحراء خراسان أخذتنا خيالة (قطاع الطرق) فذكرت قول الشيخ و كان بجانبي رفقة فاستحييت من ذكر اسمه بلساني لأنهم لا يفهمون مثل ذلك فاختلج في صدرى الاستغاثة به فلم ينم ذلك حتى رأيته على جبل يومئ بعصا اليهم فجاءوا بجميع أموالنا (٢)

ففي هذا النص ذكر النبهاني بأن هذا الصوفي توجه الى شيخه الصوفي بالدعاء والاستغاثة فاغاثه كما زعم هو و ان كنا نحن نعتقد اعتقادا جازما بأنه لم يغثه لأنه ليس باستطاعته أن يغيث نفسه بعد أن مات و دخل تحت الثرى فضلا عن أن يغيث غيره و الذى يهمنا من النص هو أن هذا الرجل توجه اليه بالدعاء و الاستغاثة

---

(١)— قلادة الجواهر ٤٠٢

(٢)— جامع كرامات الأولياء للنبهاني ١/ ٣٦٤

وذكر محمد أبو الهدى الصيادى الرفاعي أنه لما مات الشيخ عبدالله البلتاجي زاره يوسف العجمي فضاعت حمارته في الطريق فجاء الى قبر البلتاجي وقال له : (يا عبدالله رد علي حمارتي والا لم أعد أزورك فطلع الشيخ عبدالله من القبر وأتاه بالحمارة من البرية وقال يا يوسف اذا جئت لزيارتنا مرة أخرى فقيد حمارتك بقيد من حديد) (١)

والشاهد في النص أن هذا الرجل الصوفي توجه الى شيخه بالدعاء والاستغاثة طالبا منه رد حمارته التي ضاعت منه وأنه بالفعل ردها اليه كما زعم هو .

ورأى أحد مريدى الشيخ عزالدين الصيادى أن ينقطع عن مجلسه وتعذر له باعذار عديدة وفي احدى الليالي رأى القيامة قد قامت وأنهم جاءوا به الى جهنم فلما قذفوه في النار صاح (يا شيخي) فمد شيخه عزالدين الصيادى يده واجتذبه قبل أن يصل وقد لفح النار ثيابه فاستيقظ مذعورا مرعوبا وقام لوقته ذاهبا الى شيخه المذكور فلما دخل عليه أكب على رجليه معتذرا قال له شيخه عزالدين : (لفح اللهب كما مس ثيابك جبتنا وصانك الله من النار)

قال المريد: لقد رأيت أثر لفح اللهب في ثيابي وفي جبة أكمام سيدى حيث صارت دخانا) (٢)

وهكذا يتضح لنا في النص السابق أن هذا الصوفي زعم بأن أحد المريدين استغاث بشيخه لكي ينجيه من جهنم وبالفعل استجاب له ونجاه كما زعم هو والذى يهمنا من النص هو استغاثة هذا الرجل بشيخه عزالدين الصيادى تاركا وراءه الله سبحانه وتعالى الذى يجيب المضطر اذا دعاه والذى هو بامكانه أن يغيث من استغاث به أما هؤلاء المتصوفة الذين يزعمون هذه المزاعم فهم كربة فجرة لا يملكون لأنفسهم دفع الضر

---

(١) — قلادة الجواهر ٤١٣

(٢) — ارشاد المسلمين ١٠٢ وكذلك خزانة الامداد في تأريخ بني صياد ٢٩ — ٣٠

و لا جلب النفع فضلا عن أن يملكوه لغيرهم .

أما الآن فاليك جملة من النصوص الشعرية التي قالها المتصوفة متوجهين الى مشائخهم طالبين منهم الاغاثة و تفريج الكرب

فقد قال محمد أبو الهدى الصيادى الرفاعي متوجها الى شيخه الرفاعي بالدعاء و الاستغاثة :

يا رفاعي وقعت في أعتابك فتدارك عبدا يلوذ ببابك

يا رفاعي يا غوث كل البرايا لا تضيع طفلا جميلا الرجا بك

أنت غوث الوجود مفتاح كنز ال وجود والخير رصح من ميزابك

أنت حصن الملهوف و الباذل ال معروف و العاجزون من أحزابك

. . . . . .

و أنا عبدك الذى باعتقاد علقت راحتاه في ثوابك

فتحرك بهمة و أغثني و تذكر تشرفي بانتسابك

رضي الله عنك أدرك فاني يا رفاعي وقعت في أعتابك (١)

و هكذا كما نرى في هذا النص فقد وصف الصيادى لشيخه الرفاعي بأنه غوث البرايا و غوث كل هذا الوجود بكل ما فيه و وصفه بأنه حصن لكل ملهوف أصيب بكارثة و ملجأ له ثم طلب منه في الأخير أن يغيثه و ذكر له بأنه قد وقع في اعتابه طالبا الاغاثة و فرج ما به من كروب و هذه كلها أمور لا تكون الا لله سبحانه و تعالى فهو غيث البرايا و الوجود بأكمله و هو الذى يغيث من استغاث به أما غيره من المخلوقات فلا يصح أن يوصف بهذه الأوصاف التي وصف الصيادى شيخه الرفاعي بها فان هذا دعاء و الدعاء عبادة لا يجوز صرفه لغيره سبحانه و من صرفه لغير الله فقد وقع في الشرك

---

(١) ـ الكنز المطلسم للصيادى ٦١ ـ ٦٢

و المهم هذا النص كله من أوله الى آخره شرك جلي

و يقول محمد أبو الهدى الصيادى الرفاعي أيضا موجها الناس و داعيا لهم الى التوجه بالدعاء و الاستغاثة بالرفاعي :

لذ بباب الجليل الرفاعي ... ولك الأمن مسلم الدواعي

و تملل برحبه فمحاه ... حرم الوصل قاطع الانقطاع

فهو في العارفين كعبة بيت ال ... وصل محراب جامع الانتفاع

و ملاذى و ملجأى و عصيرى ... و مغيثى و منقذى من ضياع

فعليه الرضا من الله ما صل مصل ... و طاف بالبيت ساعي (١)

و يقول الصيادى أيضا واصفا شيخه الرفاعي :

يلاذ به ان جار في الدهر حادث ... و يحمى بعلياه اذا الزمن اعتدى (٢)

و يقول الصيادى أيضا مستغيثا بشيخه الرفاعي :

به أحتمي ان سامني عذر غادر ... و دوما اليه في الصعاب التجائيه

و من كرب أستغيث باسمه ... فذا مأمني من كل عاد و عادية

و مالي سواه في الأنام وسيلة ... و لا منجد أيام تسطو أعاديه

و مالي اليه اذا جئت خائفا ... و قمت أؤدى في القيام حسابيه (٣)

اذا نظرنا في النصوص السابقة نجدها كلها من أولها الى آخرها شرك بواح واضح لا غموض فيه

فقد أمر الصيادى من أراد تحقيق مأرب من المآرب أن يلوذ بالرفاعي و يتملل

---

(١) — ديوان الفيض المددى ١٢٠ — ١٢١

(٢) — تنوير ابصار ١٠

(٣) — الكنز المطلسم ٨٤ — ٨٥

يحمي الرفاعي ثم صرح الصيادى بأن الرفاعي هو ملاذه الوحيد و ملجأه و نصيره ومغيثه و منقذه من الضياع و هذه كلها أوصاف لا تليق الا بالله و من زعم أن هذا يجـــوز وصف مخلوق به فقد وقع في الشرك الأكبر

ثم وصف الصيادى شيخه الرفاعي بأنه الملاذ اذا حدث أى حادث في هذا الكـون و أنه الحمى الوحيد الذى يحتمي به اذا خاف الانسان أن يصاب بأى مكروه في هـذا الزمـــن و هذا أيضا لا يكون الا لله فانه هو الملاذ الوحيد لكل من أراد النجـاة فـــي هـــذا الكـــــون

ثم صرح الصيادى بأنه يحتمى بالرفاعي من غدر كل غادر في هذه الدنيا و أنـــه دائما في كل الصعاب لا يلتجيء الا اليه لأنه ملجأه الوحيد الذى ليس له ملجأ سـواه و أنه يستغيث به باسم الرفاعي اذا أصيب بأى كرب من الكروب في هذه الدنيا لأنـه مأمنه الوحيد الذى يحتمي به و يطلب منه النجدة و النصرة

و هكذا الصيادى نسي خالقه الذى قال في كتابه :((ادعوني أستجب لكـــم ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين))(١)

و الذى قال أيضا :((و اذا سألك عبادى عني فاني قريب أجيب دعوة الـــداع اذا دعان))(٢)

و الذى يقول أيضا :((أم من يجيب المضطر اذا دعاه و يكشف السوء و يجعلكـــم خلفاء الأرض))(٣)

فتوجه الصيادى الى شيخه الرفاعي بتلك الأدعية التي سبق ذكرها و التي هـــي كلهـــا شركيات كما نراها أمام أعيننا فانا لله و انا اليه راجعون

---

(١)— غافـــر آية ٦٠

(٢)— البقـــرة آية ١٨٦

(٣)— النمـــل آية ٦٢

و يقول محمد نور أفندى متوجها الى الرفاعي بالدعاء و الاستغاثة :

يا ابـن الرفاعـي الرفيـع مقامـه ... يا سيـد الأقطـاب و السـادات

شرفـت قيمـان العراق جميعهـا ... فغـدت بقبـرك مهبـط البركـات

كـم نظـرة وجهتهـا لمضيـع ... فجمعـت الأمـر منه بعد شتـات

و لكـم صرفـت القلب نحـو عويجـز ... فـرفعت رتبتـه الى الغايـات

يا من يؤمل كل يـوم ملمـة ... يا مـن يؤم حمـاه للفضحـات

يا صاحب العلمين يا بحـر النـدى ... يا عمـدتي أبدا و حصـن نجاتـي

ادعوك غوثا يا ابن بنت محمـد ... يا سيـدى يا عالـي الدرجـات

لا تقطعـن رجاى لذنب مسـني ... و أقـل دائما بفضلك عثـراتـي (١)

اذا نظرنا في هذا النص نرى بوضوح أن النص من أوله الى آخره شرك صريح حيث وصف محمد نور أفندى شيخه الرفاعي بأنه هو الأمل الوحيد عند حصول أى ملمة و ان حماه هو الذى يأمه كل من أصيب بفضائح في هذه الدنيا حتي يسترها عليه و أنـه عمدته و حصنه الوحيد و أخيرا طلب منه الاغاثة و اقالة عثراته التي قد تقع منه

و هذه أوصاف لا يجوز أن يوصف بها غير الله سبحانه و تعالى و من صرفها لغير الله كما فعل هذا الصوفي فقد وقع في الشـرك الأكبـر

و يقول عبد القادر أفندى الكاتب الثاني للسلطان عبد الحميد في مدح الرفاعي :

شيخ الورى بـن أبـي رفاعـة أحمـد ... الجـم المناقب من سلالـة أحمـد

غوث الخليقـة و الغياث المرتجـى ... بعـد النبي لخطبهـا المتلـدد

قصـد الغوث شيخ الكل أحمـد ... و ان الغوث شيخ الكـل يقصـد

أبو العلميـن مولانا الرفاعـي ... امـام القـوم و الشهـم المجـد

---

(١) ـ الكنـز المطلسم ٨٠ـ٨١.

فيا للـــه من غوث جليـــــل متي ناديتـــه في الحال يوجـــــد

تداركني أبا العليا بلطـــــف فانـــي من نوالـــك صرت أحســـــد

وادرك مسرعا واردد حســـودى وجـــرد سيفك العضب المهنـــــد

وكيف لا تجيـــر أبـــا همـــوم يؤمـــل منـــك أن يحمـــى و ينجـــد

وأنت الغوث يا شيخ البرايـــــا وبابـــك دائمـــا للخير مرصـــــد

ملاذ الكل في الدنيـــا حمـــــاه ولا أحـــد من الأعتـــاب يطـــرد (١)

اذا نظرنا في الأبيات السابقة نجد أن الغلو فيها واضح حيث وصف هذا الصوفي للرفاعي بأنه غوث كل الخليقة وأنه الغياث المرتجى وأنه قد قصد الغوث الرفاعـــي وكل الناس يقصدونه لتفريج ما بهم من الكرب ثم وصف الرفاعي بأنه متى ناداه أى انسان يأتيه حالا ويقضي له قرضه ثم طلب من الرفاعي أن يتداركه بلطفه وهو مسرع ثم قـال وأنت الغوث يا شيخ البرايا وأنه بابه يقصده كل من يريد الحصول على الخير وأنـه المنجد الوحيد وملاذا لكل من في هذه الدنيا وحماه ولا يطرد أحد من أعتاب قبره

ولا عجب في هذا فان الصوفية يعتقدون بأن الاستغاثة بالأنبياء والأوليـــاء جائزة مطلقا بلا قيد ولا شرط أحياءا وأمواتا كما قال الشهاب الرملي : ان الاستغاثة بالأولياء والانبياء والعلماء والصالحين جائزة فان لهم اغاثة بعد موتهم كحياتهم (٢)

ويقول أحد المتصوفة في السيد البدوى وداعيا كل من أصيب بمصيبة وأراد أن تنفرج عنه بالتوجه الى السيد البدوى : (٣)

يا من رمـــاه الدهـــر بالازعـــاج نادِ بعـــزم يـــا أبـــا فيـــــراج

فهذه الأزمان من الحوادث ان أتـــت وهـــو الملاذ لنا وعون الراجـــي

---

(١) —

(٢) — مشارق الأنوار في نور أهل الاعتبار لحسن العدوى ٦٧

(٣) — السيد البدوى بين الحقيقة والخرافة ٢٨٠

وهو المراد اذا الخطوب تراكمت وهو المجيب لدعوة المحتاج

وهو الطبيب لنا ومرهم طبه يبرى ضعيف الحال دون علاج (١)

وقال فيه أحد المتصوفة أيضا :

وهو المجيب لسائل يتوسل اذ باسمه عند المخاوف يهتف

وهو الملاذ اذا الخطوب تراكمت وهو المعاذ في الشدائد يعرف

وهو الذى في الكرب يكشف غمه وهو الذى للسوء عنا يصرف

وهو الذى تلقى السعادة عنده وهو الذى يحنو عليك ويعطف

وهو الذى عن اعتابه كل المخاوف والمتاعب يكشف (٢)

ويقول فيه آخر :

اني أتيتك راجيا ومؤملا أنقذ مريدك من الأشرار

وانظر علي بنظرة علوية أنجو بها من عصبة الفجار

أنا والذين معي فانك عارف والله مطلع على الأسرار (٣)

وقال الآخر متوجها الى السيد البدوى أيضا بالدعاء والاستغاثة :

أتيت محاك العرب استطر الندى وبذل اياد حالهن مضارع

وحاشا وكلا أن أخيب وان لي فؤاد بقصد الغير ما هو قانع

نحوتك أرجو منك سالف عادتي فجد لي وأسعفني بما أنا طامع

أغيرك ينحوه المؤمل أو سوى رحابك أهل تثني اليد المطامع(٤)

---

(١) — السيد البدوى بين الحقيقة والخرافة ٢٨١

(٢) — السيد البدوى بين الحقيقة والخرافة ٢٨١

(٣) — متابعة الاسرار ومطالعة الأنوار

(٤) — السيد البدوى بين الحقيقة والخرافة ٢٨١—٣٢٠

وقال فيه آخر :

و مـــا أبغـــي يا أبا الفتيـــان فـــي ... خطب هاج القلـــب مـــن حسراتـــه

من لـــي سواك أرومه فـــي كشفـــه ... أو أرتجـــي ان ضقت مـــن و ثباتـــه

عـــار عليك اذا أردت خويد مـــــا ... قصـــر الفؤاد عليـــك في حاجاته(١)

اذا نظرنا في النصوص السابقة نجد أن هؤلاء المتصوفة قد غلو في السيد البدوى غلوا شديدا حتى رفعوه الى منزلة الألوهية فصرفوا له أنواعا عديدة مـــن العبادات التي لا يجوز صرفها لغير الله حيث توجهوا اليه بالدعاء و الاستغاثة و هذا يعتبر شركا بالله سبحانه و تعالى

وقال عبدالرحمن حسنين الشريف مستغيثا بمشائخه المتصوفة و واصفا لهم بأنهم أصحاب التصريف في هذا الكون و مجيبو كل من دعاهم و طالبا منهم الاغاثة لنفســه و هذا نص كلامه فقد قال :

ألا يا سادتـــي أنتـــم رجـــال ... هلموا و انظروا قد ضـــاق حالـــي

هم السـادات أرباب العطـايـا ... ملـــوك العالمين على التوالـــي

هـــم الخلفاء للتصريـف دومـــا ... بذى الدنيـــا لهم همم عـــوالـــي

و في الأخرى مريـــدهـــم بعـــز ... ينـال الخيـر مع رتب الكمـــال

اذا قـال تابعهـــم أغيثـــوا ... عبيـــدكـم أتوه بكـــل حـــال

أبـا العلمين يا درعـــي و حصـــني ... أغثـــني انه ضـــاق حـــالـــي

دسوقي يـا أبـا العينيـــن أدرك ... معـــنى لائذا مـــن سوء حـالـــي

أهـل أجـــنح لغيركـم و أنتـــم ... طول الأرض بـــل أنتـــم رجـالـــي

---

(١) ـ السيد البدوى بين الحقيقة و الخرافة ٣١٩

و هـــل يخفـاكـم حالـــي فحاشا بان يرضيكـــم ذلـي و آلـــي (١)

اذا نظرنا في الأبيات السابقة نرى بوضوح أن الشرك فيها بالله سبحانه و تعالى واضح حيث وصف فيها الأولياء بأنهم أهل التصرف في هذا الكون وهم أرباب العطايا و أن كل من توجه اليهم و صار مريدا لهم يكون عزيزا باستمرار و أن أي أحد من أتباعهم يستغيثوا به يغيثونه ثم توجه الى شيخه قائلا له أنت درعي و حصني و طالبا منه أن يغيثه اذا ضاق حاله ثم صرح في الأخير بأنه لا يمكن أن يلتفت الى غيرهم و هم الذين بأيديهم مقاليد الأمور في هذا الكون ثم أكد بأنهم لا يخفى عليهم شيء من حاله فهم يعلمون كل ما يكون في هذا الكون لأنهم أهل التصريف و كيف يتمكون من التصرف المطلق في هذا الكون و هم لا يعلمون حال من غاب عنهم من مريديهم اذا فالنص كله من أوله الى آخره يحتوى على شرك بواح

و هذا أحد المنتسبين الى الطريقة القادرية و اسمه الشيخ عبدالمجيد بن الشيخ محمد بن الشيخ صوفي الملقب بالشيخ عطا يقول مادحا للشيخ عبدالقادر الجيلاني و مستغيثا به من دون الله :

تحيات الاله على ابن موسى أبي الفقراء امام الأولياء

ألوذ بشيخ كل الأولياء أبي الفقراء امام الأتقياء

بمدح قطب محي الدين غوثي و غوثي لا يخيب به رجائي

تيقظ يا أخي لزيارة الغو ث بدر الدين سر الأصفياء

طلائع غوثه عمت جميع الورى يشفى بها كل الوباء

قفا كم قطب الله قفوا اقتداء منل لا قفوا لا بلاء

كريم القوم كيلاني بن موسى كثير الخير كعبة أتقياء

---

(١) — الرسالة الخيرية لخيرالدين الشريف الخلوتي ١٧٠—١٧١ نقلا عن مصرع الشرك و الخرافة ٤٦٨

لئـــام النـــاس بالانكـار و لـــوا من الجيلانـــي وجـــه الكبريـــاء

ننادى باســـمـــه في كل حـــــال و في وقتي شـــد و الـــرخـــــاء (١)

و قال الشيخ أويس القادرى الصومالي متوجها الى مشائخه المتصوفة و مستغيثا بهم لتفريج الكرب و طالبا منهم المدد :

قال :

علونا علونـــا مذ سلكنـــا طريقكـــم و لا نرتقي المقـــام الا بذكركـــم

فجودوا لنـــا الامداد و الفضل و العطايا علينـــا تفضلـــوا بحسن حمـــاكم

أيا جملة الأحباب أنتم صبابـــــــة لقلـــب الجريح في حمايـا بحبكـــم

اذا مـــا جلى العشاق بالجذبة لسنـــا تميل بهـــا الأعناق في شأن شأنكـــم

و كونـــوا لنا عونا و حفظـــا مؤبـــدا سلونـــا من الرحمـــن حفظـــا لدينكم

فعيشـــوا أويس الوالـــه ذاقيـــــم و لو كان في الخطأ يرجو لقاءكـــم (٢)

اذا نظرنا في النصين الأول و الثاني السابقين نجد فيهما الغلو الشديد حيث قال صاحب النص الأول بأنه يلوذ بعبد القادر الجيلاني و يلتجيء اليه ليكشف عنه ما به من كرب و وصفه بأن غوثه عم جميع الورى ثم قال انه ينادى باسم الشيخ عبد القادر الجيلاني في كل حال سواء كان في وقت الشدة أو وقت الرخاء و بهذا فقد فاق في شركه المشركين الذين بعث اليهم الرسول صلى الله عليه و سلم حيث ان أولئك المشركين كانوا يشركون بالله في وقت الرخاء فقط أما في وقت الشدة فكانوا يخلصون الدعاء لله سبحانه و تعالى كما قال تعالى في كتابه ((فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم الى البر اذا هم يشركون))

---

(١) — حلاء العينين ٥٦

(٢) — الجوهر النفيس في خواص الشيخ أويـــس ٥٢

أما النثر الثاني فقد صرح أويس القادرى فيه بأنه ارتفع مقامه وعلا منذ سلك طريق المتصوفة وأنه لا يمكن أن يرتقي أى مقام الا بذكر مشائخه المتصوفة ثم توجه اليهم طالبا منهم المدد والفضل والعطايا ثم طلب منهم أن يكونوا لهم عونا وأن يحفظوهم دائما وأبدا

ثم طلب منهم طلبا خاصا لنفسه أن يغيثوه وينقذوه مما يصيبه من المكاره والنكبات والمصائب في هذه الدنيا

وهذه كلها شركيات بالله سبحانه وتعالى التي بعث الله الرسول لمحاربتها واخراج الناس من ظلمات الشرك والخرافة الى نور التوحيد الخالص

وقال أحد المادحين لأويس القادرى :

ذكرنا الصالحين اذا ألمت بنا كروب يضيق بها ضميرى

بأهل الفضل من قطب وغوث

نلوذ بهم كجيلاني وليث

ونرجوا فيضهم بهمي كغيث

رضا الله عن شيخي وغوثي أويس الفاضل الفرد الكبير

زيارته لنا ندباً كيد نروم بها نجاة من سعير

. . . . . .

ملاذ عمدتي جاهي وعوني به أرجو من الرحمن صوني

من الآفات بل وقضاء ديني

غياثي ملجأى هو نور عيني امام سيد سندى نصيرى

. . . . . .

لنا منه الأساتذة الهداة كغوث سيدى علوى الكبير

لنـــا الأقطـاب أعـلام ستـــون وأوتـــاد وأمجـــاد سيـــوف

علـى الأعـــدا لهـم سـر منيـــف

مئـــون لنـــا حصـر ألـــــوف كشيخي الزيلعـــي القطـب الوقـور

مـلاذ ى يـا مـــرادى يا نفيـــس

و مسندنـــا وعمـدتنـــا الأنيـــس

مليـــح أنت يـــا شيخي أويـــس و مـــادح أحمـــد الهادى النذير

بنشـــر مديحـيكم و النظـــم أهجـــو

على أعدائكـــم غـــوثي و ألجـــو

بكـم لأ نـــال أمـالي وأنجـــــو (١)

اذا نظرنا في النص السابق نرى بوضوح أن هذا المادح لأويس القادري قد توجه اليه بالدعاء و الاستغاثة من دون الله حيث وصفه بأنه ملجأه و مغيثه و ملاذه و مـراده و عمدته و جاهه ثم ذكر بأن من أصحاب هذه الطريقة القادرية الأقطاب و الأوتاد و قـد علمنا فيما سبق أن الأقطاب و الأوتاد هم الذين يسيرون أمر هذا الكون حسب المعتقد الصوفي المنحرف

و نحن نقول باختصار ان المغيث و الملاذ و الملجأ الحقيقي هو الله سبحانه و تعالى أما سواه من المخلوقات فانهم لا يستطيعون أن ينقذوا أنفسهم فضلا عن أن ينقذوا غيرهم و هذه أدعية شركية تؤدى بصاحبها الى الانسلاخ كلية من الاسلام لو قالها و هو عالـم بأنها شرك بالله و أى شرك أعظم من هذا ؟!!

و قال صاحب كتاب الجوهر النفيس مادحا للشيخ أويس القادرى ومتوجها

---

(١) — الجوهر النفيس فى خواص الشيخ أويس ١٩٧ — ٢٠١

اليه بالدعاء و الاستغاثة :

مـدد هيـا غوثنـا النفيـس و نفحـة منـك يا أنيـــــس

أنـت امـــام لنـا رئيـــس

مـدد مـدد شيخنا أويـس مـدد غـوثنـا أويـــــس

أنـت غياث الورى ظهيـــــر

و شمـس دين كـذا شهيـــــر

طريـــق غوث الورى الجيلاني عبـد لقادرنـــا أويـــس

لأمرك الأمـــر أطـاعـــت و لقلـــوب الأعـادى راعـــت

أخبـــاركـــم و بحسن ذاعـــت

شهرتكم فـي الأنـام شاعـــت أنـت الشفا شيخنا أويـــس

من كـل داء و مـن ملاهـــى

و مـن كـروب و مـن ملاهـــي

بكم نلـوذ اذا اتسمـــت بنـا الكروب و كـذا وهمـــت

كـل الأعادى بنـــا وعمـــت (١)

اذا نظرنا في النص السابق نجد كله يدور حول الاستغاثة بالشيوخ و دعائهم من دون الله و كما نعلم فالدعاء عبادة و صرف العبادة لغير الله شرك بواح

و قال أحد المادحين لأويس القادرى و متوجها اليه بالدعاء و الاستغاثة :

مـدد يـا صاحـب العـاطـر أويس القـادرى شـاهـــر

أبث اليـــك حاجاتـــي فأسعدنـــي أبا شـاعـــر

بهـــى الوجـــه بابـــك مـــن يقـف يومـا يعد ظـافـــر

تقـــى أنـت توجـــني بتـاج الأوليـاء فـاخـر

---

(١) - الجوهر النفيس في خواص الشيخ أويس ١٩٠

ثبتـــني يـا ملاني فـــي محبتكـــم أيـا ذاكـــر

زيارتـــه عظيـــم يـــــا فـــــتى كالغـوث قم بـادر

سعيد مـــــن زاره أو رأى فـــي النـوم يـا سامر

ظهير كـن لنـا و لمـــــن غـــدى لضريحكـــم زائـــر

فقاتلـــــه شقـــــــي ليس يفلـــح دائمـــا خاسر

قريـــب فـــي ضريحـــه ثـــم حـي يسمـــع الزائر

كشيخه عبـــد قـــادرنـــــا ل مرتبتـــة مـــن الفاطـــر

لئيمـــا لا يكـــون وصيكـــم يـــا صاحـب العـــاطـــر

منـاى ملجـــاى مـــــأوى الفـــريب مبيـد للكـافـر

. . . . . .

يقينـــا مـــن أتـــا لجنـــا بكـــم ينجـــو مـــن الضائر (١)

و قال أحد القادرية مادحا للشيخ أويس القادرى و مقرا له بأنه غياث جميع من هذا الورى :

حي شـافـع غيـاث الـــورى معيـــن منجي كـاشـــف الكروب

و قد ذكر القادرية للشيخ أويس القادرى الصومالي عدة أسماء و ادعوا بأن من قرئت عليه هذه الأسماء يبرأ في حينه (٢)

كمـا نرى في البيت السابق ادعى فيه هذا القادرى الصوفي بأن غياث جميع ما فـي هذا الكون هو شيخه أويس القادرى و هذا شرك جلي واضح لكل منصف كفيل باخـــراج الانسان من الاسلام و الانسلاخ منه اذا قاله وهو يعرف أنه شرك

---

(١) — الجوهر النفيس في خواص الشيخ أويس ٢١٢

(٢) — انظر الجوهر النفيس في خواص الشيخ أويس ١٥

و قال الشيخ علي بن محمد زويله الصومالي القادرى في مدحه شيخه محي الدين العلي و مستغيثا به من دون الله :

فلاح لمن في جوفه حب شيخنا ... ل ممجد يحتوى على بلوغ المسرة

قريب لمن ناداه باسمه قاهر ... معادى مريديه مصيب بمحنة

له العز والتصريف في الكون و العلا ... له الخارقات كالتراب بكثرة

مربي و مرشدى ملاذى به مؤمن ... ميازيب علم الله محي الطريقة

مهين ذليل لائذ في حماكمو ... على سل له الاله رفع البلية

نلوذ بمحي الدين نور البصائر ... من الضر والأذى و ضيق المعيشة

هو الغوث للأنام و الليث للعدى ... هو الغار للمريد عند الأزمة

لا بغي بمدحه بلوغ المطالب ... بدينا و أخرى رب جد لي بسرعة

يمينا بأن الله ينجي جميع من ... يلوذ بمحي الدين مع حسن نية(١)

اذا نظرنا في النص السابق نرى بوضوح أن علي بن محمد بن زويلة قد ادعى بأن شيخه محي الدين العلي له التصرف في السماوات و الأرض و أنه ملاذه الوحيد و ادعى بأنه يلوذ به اذا أصيب بضر أو أذى أو أصيب بضيق معيشي و وصفه بأنه هو الغوث لهذا الأنام كله و هذا شرك جلي واضح الذى بعث الرسل و أنزلت الكتب من أجل محاربته .

و قال السيد جعفر الصادق (٢) مادحا لمحمد الطيب الحسن أحد أفراد الطريقة الختمية المشهورة متوجها اليه بالدعاء و الاستغاثة

---

(١)— تذكرة أهل اليقين في مناقب الشيخ محي الدين ٨٦

(٢)— هو السيد جعفر الصادق بن محمد عثمان الميرغني السوداني حفيد محمد عثمان الميرغني مؤسس الطريقة الختمية و التي انتشرت انتشارا واسعا في السودان و أرتيريا

أنت الغياث اذا نـــاداك ذو كـــرب أنت العيـــاذ ملاذ الخائف الحزن

أنت الصفوح عن الزلات يا أملـــــي كجـدك المصطفـى المعهود بالمنـن

أنت الرحيـم وقـاك الله كـــــل ردى و دمـت تهدى الورى ما دمـت في الزمن

عين العناية يا سـر الرعـــايـــة يا نور الهداية هادى واضح السنـن

قطب الطريقة غوث السـالكين أغـــث مـن جاءكم قاصدا يا كامل الفطـن

يا ضنو مجد أخا فضل حليف نـــدى يا روح روحـي و روح الجسم و البدن

أنبذ كلام وشاة عمهـــم عمـــه باءوا بخزى النا و الهم و الحزن (١)

فالفقر السابق وصف فيه هذا الصوفي شيخه بأنه الغياث لكل من أصيب بكربـــة و ناداه و أنه العياذ و الملاذ لكل خائف ثم وصفه بأنه غوث لكل من سلك طريـــق المتصوفة و طلب منه أن يغيث كل من جاءه قاصدا له و هكذا فقد نسي الله نهائيـــا و أله الشيخ و صرف له أنواعا من العبادات لا يجوز صرفها لغير الله .

والخلاصة التي نخرج بها من هذا المطلب بعد ايرادنا لنصوص عديدة من كتـب عديدة من كتب المتصوفة و من مشائخ عديدين أن المتصوفة بالفعل نسوا الله عز وجـــل نهائيا و صرفوا الدعاء و الاستغاثة لمشائخهم و هذا أمر لا يجوز في الاسلام لأن الدعاء و الاستغاثة عبادة و العبادة لا يجوز صرفها لغير الله

و في المطلب الآتي سنذكر حكم الاسلام في دعاء غير الله و به سيتقرر حكم صرف الدعاء لغير الله و ذلك بايراد أدلة من الكتاب و السنة و أقوال العلماء قديما و حديثـــا ان شـــاء اللـــه تعـالـــى .

---

(١)— الديوان الكبر لجعفر الصادق الميرغني ٧٣ و انظر كذلك كتاب الزيـــارات لمحمود العدوى ٢٩ و كذلك سفينة اللجوء ٤١

المطلب الثاني : حكم دعاء غير الله في الاسلام :

اذا أردنا أن نعرف حكم الاسلام في دعاء غير الله فلابد وأن نرجع الى كتاب الله عز وجل وسنة رسوله محمد صلى الله عليه وسلم ونقرأ فيهما بتدبر حتى نعرف حكم الاسلام في دعاء غير الله

واذا رجعنا اليهما فسنجد بأنهما دلا دلالة واضحة على أن دعاء غير الله شرك والى جانب ذلك فقد صرح كثير من أئمة العلم في عصور مختلفة بأن دعاء غير الله شرك وكفر وسأبدأ أولا بذكر الأدلة من القرآن الكريم التي تدل على أن دعاء غير الله شرك ثم ساتبع ذلك بنصوص من السنة النبوية ثم سأتبعه بأقوال العلماء وذلك حتى نقطع الحجة على أولئك الصوفية القبوريين الذين يتوجهون بالدعاء والاستغاثة الى مشائخهم في السراء والضراء معرضين عن الله سبحانه وتعالى

أولا : الأدلة من القرآن الكريم التي تدل على أن دعاء غير الله شرك

لقد تنوعت دلالة القرآن الكريم على كفر من دعا غير الله تعالى وجاءت بأساليب شتى وطرق متنوعة واليك نماذج من هذه الأساليب

أولا : توجد في القرآن الكريم آيات تدل على أن الدعاء عبادة وهذا يدل على أن من صرفه لغير الله تعالى قد أشرك بالله تعالى معه غيره وكفر لأن من صرف شيئا من العبادات لغير الله تعالى فقد أشرك والله سبحانه وتعالى

قد أمر عباده أن يخلصوا له العبادة ونهاهم عن أن يشركوا به في كثير من الآيات القرآنية ومن هذه الآيات قوله تعالى :((وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء))(١) ومنها قوله تعالى :((قل اني أمرت أن أعبد الله مخلصا

---

(١) — سورة البينة آية ٥

لـه الدين وأمرت لأن أكون أول المسلمين قل اني أخاف ان عصيت ربي عذاب يـوم عظيم قل اللـه أعبد مخلصا له ديني))(١)

ومنها قوله تعالى :((واعبدوا الله ولا تشركوا بـه شيئا وبالوالدين احسانا))(٢)

ومنها قوله تعالى :((فمـن كان يرجوا لقـاء ربـه فليعمل عملا صالحـا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا))(٣)

فالآيات المتقدمة كلها تحث على اخلاص العبادة لله سبحانه وتعالى وحده لا شريك وتنهى عن أن يشرك فيها معه غيره وما دام الأمر كذلك فيجب أن يفرد الله سبحانـه بالدعاء أيضا لأنه عبادة وصرف العبادة لغيره سبحانه شرك جلي والشرك بالله يعتبر ظلما عظيما كما قال تعالى حكاية عن لقمان :((واذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يابني لا تشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم))(٤)

ومن أمثلة الآيات التي تدل على أن الدعاء عبادة قوله تعالى :((وقال ربكـم ادعوني أستجب لكم ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين))(٥)

ومنها قوله تعالى :((ومن أضل ممن يدعوا من دون الله من لا يستجيب له الـى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون واذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين))(٦) ومنها قوله تعالى :((وأعتزلكم وما تدعون من دون الله وأدعـو ربي عسى ألا أكون بدعاء ربي شقيا فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله))(٧)

---

(١)— الـزمـر آية ١١— ١٢— ١٣— ١٤

(٢)— النسـاء آية ٣٦

(٣)— الكهـف آيـة ١١٠

(٤)— لقمـان آية ١٣

(٥)— غـافـر آية ٦٠

(٦)— الأحقـاف آية ٥— ٦

(٧)— مـريـم آية ٤٨

والقصد من ايرادها في هذا المطلب هو الاثبات بأن الدعاء عبادة من أجل العبادات التي لا يجوز صرفها لغير الله سبحانه و تعالى .

ثانيا هناك آيات قرآنية كثيرة وصفت صرف الدعاء لغير الله شركا أو كفرا و وصفت الذين يدعون غير الله بأنهم مشركين أو كفرة

من هذه الآيات قوله تعالى :((ان تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم و لو سمعوا ما استجابوا لكم و يوم القيامة يكفرون بشرككم و لا ينبئك مثل خبير))(١)

و منها قوله تعالى :((قل أرأيتكم ان أتاكم عذاب الله أو أتتكم الساعة أغير الله تدعون ان كنتم صادقين بل اياه تدعون فيكشف ما تدعون اليه ان شاء و تنسون ما تشركون))(٢)

و منها قوله تعالى :((قل انما أدعو ربي و لا أشرك به أحدا))(٣)

و منها قوله تعالى :((و من يدع مع الله الها آخر لا برهان له به فانما حسابه عند ربه انه لا يفلح الكافرون))(٤)

قال الشيخ سليمان بن عبدالله في هذه الآية رحمه الله :(والآية نص في أن دعاء غير الله و الاستغاثة به شرك أكبر)(٥)

و منها قوله تعالى :((قالوا أينما كنتم تدعون من دون الله قالوا ضلوا عنا و شهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين))(٦)

---

(١)— فاطر آية ١٤

(٢)— الأنعام آية ٤٠—٤١

(٣)— الجن آية ٢٠

(٤)— المؤمنون آية ١١٧

(٥)— تيسير العزيز الحميد

(٦)— الأعراف آية ٣٧

ومنها قوله تعالى :((ذلكم بأنه اذا دعي الله وحده كفرتم وان يشرك به تؤمنوا فالحكم لله العلي الكبير))(١)

فقد بينت هذه الآية أن الذي يكره اخلاص الدعاء لله تعالى ويفرح ويستبشر اذا دعي أصحاب القبور كافر مشرك

فهذه الآيات التي سبق ذكرها آنفا تدل دلالة صريحة على أن من دعا غير الله تعالى مشرك كافر

ثالثا هناك آيات في القرآن الكريم تدل على أن دعاء الله وحده في الشدة اخلاص وتوحيد وأن دعاء غير الله في الرخاء شرك وكفر واتخاذ أنداد لله تعالى فمن هذه الآيات قوله تعالى :((فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم الى البر اذا هم يشركون ليكفروا بما آتيناهم وليتمتعوا فسوف يعلمون))(٢)

ومنها قوله تعالى :((وما بكم من نعمة فمن الله ثم اذا مسكم الضر فاليه تجأرون ثم اذا كشف الضر عنكم اذا فريق منكم بربهم يشركون ليكفروا بما آتيناهم فتمتعوا فسوف تعلمون))(٣)

ومنها قوله تعالى :((واذا مس الانسان ضر دعا ربه منيبا اليه ثم اذا خوله نعمة منه نسي ما كان يدعو اليه من قبل وجعل لله أندادا ليضل عن سبيله قل تمتع بكفرك قليلا انك من أصحاب النار))(٤)

---

(١)— غافر آية ١٢

(٢)— العنكبوت آية ٦٥—٦٦

(٣)— النحل آية ٥٣—٥٥

(٤)— الزمر آية ٨

و منها قوله سبحانه وتعالى :((قل أرأيتكم ان أتاكم عذاب الله أو أتتكم الساعة أغير الله تدعون ان كنتم صادقين بل اياه تدعون فيكشف ما تدعون اليه ان شاء و تنسون ما تشركـــون))(١)

رابعا هناك آيات كثيرة في القرآن الكريم وصفت من دعا غير الله بأنه ظالم و ضال ، و الظلم و الضلال كثيرا ما يطلقان على الكفر كما في حديث ابن مسعود مرفوعا (أينـــا لم يظلم نفسه .... و فيه ألم تسمع قول لقمان ان الشرك لظلم عظيم)(٢)

و قد ذكر الشاطبي استعمالات الضلال في القرآن الكريم ثم خرج بنتيجة الى أن الضلال في غالب الأمر انما يستعمل في موضوع يزل صاحبه لشبهة تعرض أو تقليد مـــن عرضت له الشبهة فيتخذ ذلك الزلل شرعا و دينا يدين به مع وجود واضحة الطريـــق الحق و محض الصواب (٣)

فمن الآيات التي تدل على أن الشرك ظلم عظيم قوله تعالى حكاية عن لقمان :

((يا بني لا تشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم))(٤)

فلقمان عليه السلام بدأ وصاياه لابنه بتحذيره من الشرك لأنه المهلك الذى لا نجـاة لأحد الا اذا تخلى عنه و تاب و أناب الى الله .

و من الآيات التي تدل على أن الشرك ضلال بعيد قوله تعالى :((و من يشـــرك بالله فقد ضل ضلالا بعيدا))(٥)

و منها قوله تعالى :((فمن كفر بعد ذلك منكم فقد ضل سواء السبيل))(٦)

---

(١)ـ الأنعـــام آية ٤٠ـ٤١

(٢)ـ البخـــارى مع الفتح ١/٨٧

(٣)ـ الاعتصـــام للشاطبي ١/١٣١

(٤)ـ لقمـــان آية ١٣

(٥)ـ النســـاء آية ١١٦

(٦)ـ المـــائـــدة آية ١٢

و من الآيات التي تدل على أن من يدعوا غيرالله ظالم قوله تعالى :((ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك و لا يضرك فان فعلت فانك اذا من الظالمين))(١)

و من الآيات التي تدل على أن من يدعو غيرالله ضال قوله تعالى :((يدعوا من دون الله مالا يضره و لا ينفعه ذلك هو الضلال البعيد))(٢)

و منها قوله تعالى :((له دعوة الحق و الذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء الا كباسط كفيه الى الماء ليبلغ فاه و ما هو ببالغه و ما دعاء الكافرين الا في ضلال))(٣)

ثانيا : الأدلة من السنة المشرفة على أن دعاء غير الله شرك

لقد رويت أحاديث كثيرة عن النبي صلى الله عليه و سلم تدل على أن الدعاء عبادة من هذه الأحاديث

قول النبي صلى الله عليه و سلم :(الدعاء هو العبادة)(٤)

اذا نظرنا في الحديث السابق نرى بوضوح أن الرسول صرح فيه بأن الدعاء عبادة و ما دام كذلك فصرفه لغير الله شرك

و هناك أحاديث كثيرة تدل على وجوب افراد الله بالدعاء و السؤال و الاستعانة من هذه الأحاديث حديث ابن عباس في وصية النبي صلى الله عليه و سلم له :(اذا سألت فاسأل الله و اذا استعنت فاستعن بالله)(٥)

---

(١)— يونس آية ١٠٦

(٢)— الحج آية ١٢

(٣)— الرعد آية ١٤

(٤)— سنن الترمذي ٥/٤٢٦

(٥)— سنن الترمذي مع تحفة الأحوذي ٧/٢١٦ و بن السني في عمل اليوم و الليلة ٢٠٢ و بن عاصم في السنة ١/١٣٨

و هناك أحاديث تدل على أن من دعا غير الله تعالى يدخل النار دخول الخلود و هذا يدل على أن دعاء غير الله كفرا بالله و شركا به

من هذه الأحاديث حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال قال النبي صلى الله عليه و سلم كلمة و قلت أخرى ، قال النبي صلى الله عليه و سلم : من مات و هو يدعوا من دون الله ندا دخل النار و قلت أنا من مات و هو لا يدعو الله ندا دخل الجنة (١)

فالأحاديث المتقدمة كلها تدل بمجموعها على أن دعاء غير الله يعتبر شركا بالله سبحانه و تعالى و كتاب الله عز و جل و سنة رسوله محمد صلى الله عليه و سلم فيهما الكفاية لمن أراد الهدى الا أنني أريد أن أذكر جملة من أقوال العلماء قديما و حديثا التي صرحوا فيها بأن دعاء غير الله يعتبر شركا

ثالثا : أقوال العلماء في حكم دعاء غير الله

أريد في هذه الفقرة أن أذكر نبذة من أقوال العلماء و ذلك من أجل اقناع بعض الناس الذين لا يذعنون للقرآن و السنة مهما ذكرت لهم من أدلة الا اذا قلت لهم ان العالم الفلاني قال كذا و كذا و لكي أؤكد على أن من اعتبر دعاء غير الله شركا ليس المتأخرون فقط و الذين يسمونهم بالوهابية بل هذا الحكم هو حكم الله و حكم رسوله و هو مذهب أهل السنة و الجماعة على مدار التأريخ الاسلامي الطويل و الى أن يرث الله الأرض و من عليها

فمن العلماء الذين استنكروا دعاء غير الله و اعتبروه شركا بالله سبحانه و تعالى

---

(١) — صحيح البخاري مع الفتح ٨/١٧٦

الشيخ الامام صنع الله بن صنع الله الحلبي الحنفي (١)

فقد قال رحمه الله :(هذا وانه قد ظهر الآن فيما بين المسلمين جماعات يدعون ان للأولياء تصرفات في حياتهم وبعد مماتهم ويستغاث بهم في الشديد والبليات وبهم تكشف المهمات فيأتون قبورهم وينادونهم في قضاء الحاجات .... الى أن قال : وهذا كلام فيه تفريط وافراط بل فيه الهلاك الأبدى والعذاب السرمدى لما فيه من روائح الشرك المحقق ومصادمة الكتاب العزيز المصدق ومخالفة لعقائد الأئمة وما اجتمعت عليه الأمة)(٢)

ومن العلماء الذين استنكروا التوجه بالدعاء الى غير الله واعتبروه شركا بالله أحمد ابن عبدالرحيم بن وجيه الدين المعروف بشاه ولى الله الدهلوى العمرى الحنفي فقد قال بعد أن ذكر تعريف الشرك ومظاهره وقوالبه ومظانه عند المشركين وذكر منها السجود قال :(ومنها أنهم كانوا يستعينون بغير الله في حوائجهم من شفاء المريض وغناء الفقير وينذرون لهم ويتوقعون انجاح مقاصدهم بتلك النذور ويتلون أسماءهم رجاء بركتها فأوجب الله تعالى عليهم أن يقولوا في صلواتهم :((اياك نعبد واياك نستعين))(٣) وقال تعالى :((فلا تدعوا مع الله أحدا))(٤)

وقال أيضا : كل من ذهب الى بلدة أجير أو قبر سالار ومسعود أو ما ضاهاها لأجل حاجة يطلبها فانه أثم اثما أكبر من القتل والزنا وليس مثله الا مثل من كان

---

(١) — هو صنع الله بن صنع الله الحلبي الأصل المكي سكنا الحنفي واعظ فقيه محدث له من المؤلفات أرجوزة في الحديث و" سيف الله على من كذب على أولياء الله" ت ١١٢٠ معجم المؤلفين ٥/٢٤

(٢) — القول الفصل ٤٨/٤٩ وحكم الله الواحد الصمد ١٣

(٣) — الفاتحة آية ٥

(٤) — الجن آية ١٨

يعبد المصنوعات أو مثل من كان يعبد اللات و العزى)(١)

و قال أيضا : و اعلم أن طلب الحوائج من الموتى عالما بأنه سببا لانجاحها كفـــر يجب الاحتراز عنـــه تحرمه هذه الكلمة و الناس اليوم فيها منهمكون (٢)

و من العلماء الذين استنكروا دعاء الأموات و طلب الحاجات منهم الشيخ محمد ابن اسماعيل بن عبدالغني الدهلوى الشهير فقد وصف نداء الأموات في رسالة التوحيد أو تقوية الايمان له بأنه شرك بالله عز وجل (٣)

و من العلماء الذين صرحوا بأن دعاء غير الله شركا الشيخ عبدالعزيز بن ولي اللـه الدهلوى فقد قال : (قد أفرط الناس من هذه الأمة في باب الاستعانة بالأرواح الطيبة فما يفعله الجهلة و العوام و ما يعتقدون لها من استقلال في كل عمل فهو من غير شـك شرك جلي)(٤)

و من العلماء الذين استنكروا دعاء غير الله و اعتبروه شركا بالله أبو عبدالكريم محمد سلطان بن أبي عبدالله محمد المعصومي فقد قال بعد أن ضرب عدة أمثلـــة لاستغاثات المتصوفة بالأولياء :

(اعلموا أيها المسلمون — وفقني الله و اياكم لما فيه رضاه و يا أيها الحنفيون هداني الله تعالى و اياكم الى الصراط المستقيم أن هذه الكلمات كلها شرك و كفر وضلال فـــي الدين الاسلامي و الشرع المحمدى و المذهب الحنفي بل المذاهب الأربعة اجماعـــا و قائلها مشرك لا تصح صلاته و لا صيامه و لا حجه و لا امامته الا اذا تاب و آمن و أعلـن توبته كما أشهر شركـــه)(٥)

---

(١)— البصائر ٢٧٣

(٢)— البصائـر ٢٧٣ نقلا عن الخير الكثير للدهلوى ١٠٥

(٣)— تقوية الايمان لمحمد بن اسماعيل الدهلوى ص ٦٥—٦٧

(٤)— مجموع فتاوى عبدالعزيز ١٢١ نقلا عن هامش رسالة التوحيد ٦٧

(٥)— حكم الله الواحد الصمد ٤—٧

و من العلماء الذين استنكروا دعاء غير الله و اعتبروه شركا بالله أحمد بن علي بن عبدالقادر المعروف بالشافعي المقريزى فقد قال رحمه الله :

(وشرك الأمم كله نوعان شرك في الالهية و شرك في الربوبية فالشرك في الالهية والعبادة هو الغالب على أهل الشرك و هو شرك عباد الأصنام وعباد الملائكة وعباد الجن وعباد المشائخ والصالحين الأحياء والأموات الذين قالوا ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى و يشفعوا لنا عنده و ينالنا بسبب قربهم من الله و كرامته لهم قرب و كرامة)(١)

ومن العلماء الذين استنكروا دعاء غير الله و اعتبروه شركا بالله و كفرا عبدالرحمن ابن اسماعيل بن ابراهيم المقدسي الشافعي المشهور بأبي شامة

فقد ذكر ما وقع من جهال العوام من انتمائهم الى طريقة الفقر و التصوف و اعتقادهم في المشائخ المتصوفة الضالين المضلين ثم قال : (و بهذه الطرق و أمثالها كان مبادئ ظهور الكفر من عبادة الأصنام و غيرها)

ثم ذكر ما تفعله العامة من تعليق الخيطان و العمد و ايقاد السراج على المواضع يزعم أنه رأى في المنام أحدا ممن اشتهر بالصلاح و الولاية الى أن يصل بهم الحال الى تعظيم تلك الأماكن و رجا الشفاء و قضاء الحوائج منها بالنذر و هي ما بين عيون و شجر و حائط و فجر (٢)

و من العلماء الذين استنكروا دعاء غير الله و اعتبروه شركا بالله الشيخ أبو الوفاء بن عقيل الحنبلي رحمه الله (٣)

---

(١)— تحريد التوحيد للمقريزى ١٤

(٢)— الباعث على انكار البدع و الحوادث لأبي شامة ٢٣

(٣)— أنظر تلبيس ابليس لابن الجوزى ٤٠٢ و كذلك مفيد المستفيد ٣٠١

و من العلماء الذين استنكروا دعاء غير الله و اعتبروه شركا بالله سبحانه و تعالى شيخ الاسلام أحمد بن تيمية رحمه الله فقد قال : (فكل من غلا في نبي أو رجل صالح و جعل فيه نوعا من الالهية مثل أن يدعوه من دون الله مثل أن يقول يا سيدى فلان أغثني أو أجرني أو أنت حسبي أو أنا في حسبك فكل هذا شرك و ضلال يستتاب صاحبه فان تاب و الا قتل)(١)

و من العلماء الذين استنكروا دعاء غير الله و اعتبروه شركا بالله الامام ابن القيم رحمه الله فقد قال في معرض حديثه عن أنواع الشرك :

(و من أنواعه طلب الحوائج من الموتى و الاستغاثة بهم و التوجه اليهم و هذا أصل شرك العالم فان الميت قد انقطع عمله و هو لا يملك لنفسه ضرا و لا نفعا فضلا عمن استغاث به و سأله قضاء حاجته أو سأله أن يشفع له الى الله فيها . . . . و الميت محتاج الى من يدعو له و يترحم عليه و يستغفر له كما أوصانا النبي صلى الله عليه و سلم اذا زرنا قبور المسلمين أن نترحم عليهم و نسأل لهم العافية و المغفرة فعكس المشركون هذا و زاروهم زيارة العبادة و استقضاء الحوائج و الاستغاثة بهم و جعلوا قبورهم أوثانا تعبد و سموا قصدها حجا و اتخذوا عند الوقفة و حلق الرأس فجمعوا بين الشرك بالمعبود الحق و تغيير دينه و معاداة أهل التوحيد و نسبة أهله الى التنقص للأموات و هم قد تنقصوا الخالق بالشرك و أولياءه الموحدين له الذين لم يشركوا به شيئا بذمهم و عيبهم و معاداتهم و تنقصوا من أشركوا به غاية التنقص اذا ظنوا أنهم راضون منهم بهذا و أنهم أمروهم به و أنهم يوالونهم عليه و هؤلاء هم أعداء الرسل و التوحيد في كل زمان ومكان و ما أكثر المستجيبين لهم)(٢)

---

(١)— الوصية الكبرى الى الشيخ المدد ضمن الفتاوى ٣ / ٣٩٥ و عنه الشيخ محمد بن عبدالوهاب في الرسائل الشخصية ١٧٧

(٢)— مدارج السالكين لابن القيم ١ / ٣٤٦—٣٤٧

و ذكر رحمه الله تعالى زيارة القبور الزيارة الشرعية للدعاء لهم و الترحم عليهم و الاستغفار ثم قال : (فأبى المشركون الا دعاء الميت و الاشراك به و الاقسام على الله به و سؤاله الحوائج و الاستغاثة به و التوجه بعكس هديه صلى الله عليه و سلم فانه توحيد و احسان الى الميت و هدى هؤلاء شرك و اساءة الى نفوسهم و الى الميت و هم ثلاثة أقسام : اما أن يدعو الميت أو يدعو به أو عنده و يرون الدعاء عنده أوجب و أولى من الدعاء في المساجد و من تأمل هدى رسول الله صلى الله عليه و سلم و أصحابه تبين له الفرق بين الأمرين و بالله التوفيق)(١)

و من العلماء الذين استنكروا دعاء غير الله و اعتبروه شركا بالله الامام الحافظ بن عبدالهادى رحمه الله فقد قال ما ملخصه : ان المبالغة في تعظيم الرسول صلى الله عليه و سلم بالحج الى قبره و السجود له و الطواف به و اعتقاد أنه يعلم الغيب و أنه يعطي و يمنع و يملك لمن استغاث به من دون الله الضر و النفع و أنه يقضي حوائج السائلين و يفرج كربات المكروبين و أنه يشفع فيمن يشاء و يدخل الجنة من يشاء فهذه المبالغة مبالغة في الشرك و انسلاخ من ذمة الدين (٢)

و اذا كان هذا الحكم فيمن اعتقد في الرسول هذا المعتقد فمن باب أولى من اعتقد النفع و الضر في غير الرسول و توجه اليه بالدعاء و الاستغاثة كما يفعله المتصوفة مع أوليائهم

و من العلماء الذين اعتبروا دعاء غير الله شركا الحافظ بن رجب رحمه الله تعالى فقد قال : (ان قول العبد لا اله الا الله يقتضي أن لا اله غير الله و الاله هو الذى يطاع فلا يعصى هيبة له و اجلالا و محبة و خوفا و رجاء و توكلا عليه و سؤالا منه و دعاء

---

(١)— زاد المعاد في هدى خير العباد لابن القيم ١/٥٢٧

(٢)— الصارم المنكي في الرد على السبكي ٣٥١

لـــــه ولا يصلح ذلك كله الا لله عز وجل فمن أشرك مخلوقا في شيء من هذه الأمور التي هي من خصائص الالهية كان ذلك قدحا في اخلاصه في قوله لا اله الا الله ونقصا في توحيده وكان فيه من عبودية المخلوق بحسب ما فيه من ذلك وهذا كله من فـــروع الشـــرك)(١)

ومن العلماء الذين اعتبروا دعاء غير الله شركا الشيخ محمد بن اسماعيل الأميـــــر الصنعاني فقد قال رحمه الله :(ان من اعتقد في شجر أو حجر أو قبر أو ملك أو جني أو حي أو ميت أنه ينفع أو يضر أو أنه يقرب الى الله أو يشفع عنده في حاجة من حوائج الدنيا بمجرد التشفع به والتوســـل به الى الرب ..... فانه قد أشرك مـــع الله غيره واعتقد ما لا يحل اعتقاده كما اعتقده المشركون في الأوثان فضلا عمن ينـــذر بماله وولده لميت أو حي أو يطلب من ذلك الميت ما لا يطلب الا من الله تعالى مـــن الحاجات من عافية مريضة أو قدوم غائبة أو نيله لأى مطلب من المطالب فان هذا هـــو الشرك بعينه الذى كان ويكون عليه عباد الأصنام)(٢)

وقال أيضا في مكان آخر من نفس الكتاب :(ومن نادى الله ليلا ونهارا وســـرا وجهارا وخوفا وطمعا ثم نادى معه غيره فقد أشرك في العبادة فان الدعاء مـــن العبادة)(٣)

ومن العلماء الذين استنكروا دعاء غير الله واعتبروه شركا بالله تعالى الشيخ حسين ابن مهدى النعمي فقد قال رحمه الله بعد كلام طويل له في موضوع الدعاء :

(فحينئذ علمت ان شاء الله تعالى بالبرهان الصحيح واليقين الذى لا يخالطـــه أدنى ريبة ولا يشابه أو يتصور عليه وهم أو يتطفل عليه شك أن دعاء المخلوق وقصده

---

(١)— كلمة الاخلاص وتحقيق معناها للحافظ بن رجب الحنبلي ٢٣—٢٤

(٢)— تطهير الاعتقاد للصنعاني ١٦—٢٠

(٣)— تطهير الاعتقاد للصنعاني ٢٦

بذلك من متفاحش الظلم و متبالغ الشرك و منازعة في خاص حق الله و خضوع و تذلل بخالص عبادته لسواه اذ روح كونه عبد الله تعالى هو هذا المقام و هذا التكليف و التصور بهذه الحالة)(١)

فقد صرح النعمي رحمه الله في النثر السابق بأن دعاء غير الله تعالى من أبلغ الشرك و أفحش الظلم اذ هو وضع للعبادة التي هي من خصائص الله في غير محلها الذى هو المخلوق

و من العلماء الذين استنكروا دعاء غير الله و اعتبروه شركا بالله الامام محمد بن علي بن محمد الشوكاني فقد قال رحمه الله :

(ان من اعتقد في ميت من الأموات أو حي من الأحياء أنه يضره أو ينفعه امّا استقلالا أو مع الله تعالى أو ناداه أو توجه اليه أو استغاث به في أمر من الأمور التي لا يقدر عليها المخلوق لم يخلص التوحيد لله و لا أفرده بالعبادة اذ الدعاء بطلب وصول الخير اليه و دفع الضر عنه هو نوع من أنواع العبادة و ان الشرك هو دعاء غير الله تعالى أو اعتقاد القدرة لغيره فيما لا يقدر عليه سواه أو التقرب الى غيره بشيء مما لا يتقرب به الا اليه)(٢)

و من العلماء الذين استنكروا دعاء غير الله و اعتبروه شركا بالله الشيخ محمد صديق خان القنوجي البخارى فقد قال رحمه الله :

(فمن استغاث بغيره — أى الله — في الشدائد و دعا غيره فيها فقد كفر)(٣)

---

(١)— معارج الألباب في مناهج الحق و الصواب للنعمي ١١٣

(٢)— الدر النضيد للشوكاني ٣٣

(٣)— الدين الخالص لمحمد صديق خان ١/١٨٣

وقال أيضا رحمه الله : (فالدعاء هو التوحيد فمن دعا غير الله فقد أشرك ودعاء غيره سبحانه شرك لا شك فيه)(١)

ومن العلماء الذين استنكروا دعاء غير الله واعتبروه شركا بالله الشيخ محمد ابن عبدالوهاب الداعية البارز الذى قام بالدعوة الى الله على ضوء الكتاب والسنة ووجه من قبل المتصوفة القبوريين بالمحاربة والمعارضة ولكنه قد صمد أمامهم مستعينا بالله سبحانه وتعالى حتى أظهر الله هذه الدعوة السلفية وعم بنفعها أرجاء العالم بحيث ما من بلد في هذا العالم قرب أو بعد الا وتجد من يعتقد المعتقد الصحيح المعتمد على الكتاب والسنة وهذا بفضل هذه الدعوة السلفية المباركة بعد الله سبحانه وتعالى وقد تكلم الشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمه الله عن توحيد الألوهية باسهاب ويلاحظ ذلك كل من يقرأ في كتبه رحمه الله تعالى فمثلا كتابه المسمى بكتاب التوحيد من أوله الى آخره كله دعوة الى افراد الله بالعبادة من دعاء وتوكل وذبح ونذر وغيرها من العبادات والنهي عن صرفها لغيره كائنا من كان

واليك مقتطفات من أقواله رحمه الله التي تدل على استنكاره لدعاء غير الله واعتبار من يفعل ذلك مشركا .

فقد قال رحمه الله : (اعلم أن من نواقض الاسلام عشرة) فذكر الناقض الأول ثم قال : (الثاني من جعل بينه وبين الله وسائط يدعوهم ويسألهم الشفاعة ويتوكل عليهم كفر اجماعا)(٢)

وعقد في كتاب التوحيد بابا بعنوان : (باب من الشرك أن يستغيث بغير الله أو يدعو غيره) وذكر في مسائل هذا الباب المسألة الثالثة : أن هذا هو الشرك

---

(١)— الدين الخالص لمحمد صديق خان ١/٢٢٢

(٢)— مؤلفات الشيخ القسم الأول العقائد ٣٨٥

الأكبـــــــر)(١)

وأيضا : (وأما النذر له ـأى القبر ـ ودعاؤه والخضوع له فهو من الشـــــرك الأكبـــــــر)(٢)

وقال أيضا رحمه الله : (فمن عبدالله ليلا ونهارا ثم دعا نبيا أو وليا عند قبره فقد اتخذ الهين اثنين ولم يشهد أن لا اله الا الله لأن الاله هو المدعو)(٣)

ومن العلماء الذين استنكروا دعاء غير الله واعتبروه شركا بالله الشيخ سليمان ابـن عبدالله حيث قال رحمه الله بعد أن ذكر الآيات والأحاديث وأقوال العلمـــاء في هذا الموضوع : وقد تبين بما ذكر . . . . أن دعاء الميت والغائب والحاضر فيما لا يقدر عليه الا الله والاستغاثة بغير الله في كشف الضر أو تحويله هو الشـرك الأكبر بل هو أكبر أنواع الشرك لأن الدعاء مخ العبادة ولأن من خصائص الالوهيـــة افراد الله بسؤال ذلك اذ معنى الاله هو الذى يعبد لأجل هذه الأمور ولأن الداعي انما يدعو الهه عند انقطاع أمله مما سواه وذلك خلاصة التوحيد وهـــــو انقطاع الأمل مما سوى الله فمن صرف شيئا من ذلك لغير الله فقد ساوى بينه وبيـن الله وذلك هـو الشـــرك (٤)

ومن العلماء الذين استنكروا دعاء غير الله واعتبروه شركا بالله الشيخ عبدالرحمن بـــن حسن آل الشيخ فقد قال رحمه الله بعد أن ذكر الأدلة التي تثبت بأن الدعاء عبادة : (فاذا عرفت بصحيح المنقول وصريح المعقول ان الدعاء عبادة وأن مدلولـه السؤال والطلب ، فمن صرف من هذه العبادات شيئا لغير الله فقد أشرك مع اللـــه

---

(١)ـ كتاب التوحيد للشيخ محمد بن عبدالوهاب ٥٠ـ٥١

(٢)ـ القسم الثالث الفتاوى ٧٠

(٣)ـ الرسائل الشخصية ١٦٦

(٤)ـ تيسير العزيز الحميـــد ٢٤٣

غيره في عبادته كائنا ما كان لعموم النهي عن دعوة غير الله في القرآن كله من أوله الى آخره فمن ادعى انه يصرف منه شيء لأحد سوى الله فقد صادم الكتاب والسنة وخالف ما اجتمعت دعوة الرسل من أولهم الى آخرهم فيما دعوا اليه أممهم بقولهم : ((أن اعبدوا الله ما لكم من اله غيره)) .)(١)

ونكتفي بهذا في ذكر أقوال العلماء الذين استنكروا دعاء غير الله واعتبروه شركا بالله ودعوا الى محاربته مع وجود غيرهم من العلماء الذين استنكروا دعاء غير الله و اعتبروه شركا بالله وتركناهم خشية الاطالة وما كنا نطول بسرد هذه الأقوال الكثيرة عن العلماء لولا وجود طائفة من الناس لا يمكن أن تقتنع بالأدلة القرآنية والنبوية الا اذا ذكرت لها أقوال العلماء ، وذلك لأن حكم الله وحكم رسوله كان واضحا في المسألة حيث اعتبر دعاء غير الله شركا محضا يجب الابتعاد عنه والى جانب ذلك أكثرت من أقوال العلماء حتى نقطع الحجة بأن القائلين أن دعاء غير الله ليسوا من يسمونهم الوهابية فقط كما يزعم القبوريون وانما هو قول الله وقول رسوله وقول علماء أهل السنة والجماعة قديما وحديثا وبهذا تنقطع مزاعم المتصوفة الدجالين الذين يضللون عوام المسلمين ويدعونهم الى عدم حضور جلسات العلماء الذين يدعون الى التوحيد الخالص الذى جاء به محمد بن عبد الله عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم من ربه ،

والخلاصة التي نخرج بها من هذا المطلب بعد أن ذكرت الآيات القرآنية التي أكدت أن دعاء غير الله شرك محض وأتبعت ذلك بذكر نصوص نبوية تؤكد كلها أن الدعاء عبادة وصرفه لغير الله يعتبر شركا بالله سبحانه ثم أتبعت ذلك بمجموعة من أقوال العلماء الأجلاء قديما وحديثا والذين أكدوا كلهم كفر من استغاث بغير الله تعالى فيما لا

---

(١) — القول الفصل ٣٤

يقدر عليه الا الله و ناداه من بعيد و كذلك من ادعى معرفة الغيب أو صدق من ادعاه أو من ذبح لغير الله أو حلف بغير الله أو غير ذلك و هذا دليل واضح على أن الحكم بكفر من دعا غير الله تعالى لم ينفرد به مذهب معين بل هو قول جميع العلماء الذين يتمسكون بالكتاب و السنة عبر القرون الطويلة التي مرت بها الأمة الاسلامية الى يومنا هذا

و لكن ينبغي أن نعلم بأن هذا الحكم بالكفر الذى سبق الكلام عليه مقيد بما هو معلوم عند أهل العلم من بلوغ الدعوة و اقامة الحجة و ممن قيد الحكم بالتكفير بهذا القيد شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله

من ذلك قوله رحمه الله في هذه المسألة التي نحن بصددها و هي حكم دعاء غير الله تعالى ما ملخصه : اننا نعلم بالضرورة أن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يشرع لأمته دعاء الأموات كما لم يشرع السجود لميت ولا لغيره بل نعلم أنه نهى عن ذلك و أن ذلك من الشرك الذى حرمه الله تعالى ورسوله لكن لغلبة الجهل و قلة العلم بآثار الرسالة في كثير من المتأخرين لم يكن تكفيرهم بذلك حتى يتبين لهم ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم مما يخالفه (١)

و قال أيضا في الحكم العام في هذه المسألة : (و حقيقة الأمر في ذلك أن القول قد يكون كفرا فيطلق القول بتكفير صاحبه فيقال من قال كذا فهو كافر لكن الشخص المعين الذى قاله لا يحكم بكفره حتى تقوم عليه الحجة التي يكفر تاركها و هذا كما في نصوص الوعيد . . . . فان الشخص المعين لا يشهد عليه بالوعيد فلا يشهد على معين من أهل القبلة بالنار لجواز ألا يلحقه الوعيد لفوات شرط أو ثبوت مانع فقد لا يكون التحريم بلغه . . . و هذه الأقوال التي يكفر قائلها قد يكون الرجل لم تبلغه النصوص الموجبة لمعرفة

---

(١) — الرد على البكرى لشيخ الاسلام ابن تيمية ٣٧٦

الحق و قد تكون بلغته و لم تثبت عنده أو لم يتمكن من فهمها و قد يكون عرضت له شبهات يعذره الله تعالى بها) (١)

و من العلماء الذين اشترطوا بلوغ الحجة للتكفير شيخ الاسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله فقد بين أن الجاهل الذى لم تبلغه الحجة لا يكفر لا سيما الذى لم يقصر ولم يكن يعيش في بيئة انتشر التوحيد و علماؤه فيها (٢)

فقد قال رحمه الله رسالته التي أرسلها الى الشريف : (و اذا كنا لا نكفر من عبد الصنم الذى على قبر عبد القادر و الصنم الذى على قبر أحمد البدوى و أمثالهما لأجل جهلهم و عدم من ينبههم) (٣)

---

(١) — المسائل المادينية ٦٥ — ٧٠ و نحوه في نقض المنطق له ٤٥ — ٤٦

(٢) — انظر مؤلفات الشيخ القسم الثالث المشتمل على السيرة و الفتاوى القسم الخاص بالفتاوى ٣٧

(٣) — انظر الرسالة التي أرسلها الامام الى الشريف ص ١١ وكذلك صيانة الانسان ٤١٦ و الدرر السنية ١ / ٥٢ والرد على البكرى ٢٥٨ والاستقامة ١ / ١٦٣ — ١٦٦

الباب الرابع: انحرافاتهم في مفهوم الزهد والجهاد والقضاء والقدر والتوكل والجنة والنـــــار

و تحته ثلاثة فصول

الفصل الأول : انحرافهم في مفهوم الزهد

الفصل الثاني : انحرافهم في مفهوم الجهاد

الفصل الثالث : انحرافهم في مفهوم القضاء والقدر والتوكل والجنة والنار

الفصل الأول : انحرافهم في مفهوم الزهد

وتحته مبحثان

المبحث الأول : تعريف الزهد و مراتبه و الفهم الصحيح له

المبحث الثاني : انحراف الصوفية في مفهوم الزهد

و تحته مطلبان

المطلب الأول : تعريف الصوفية للزهد

المطلب الثاني : عبارات أئمة التصوف التي تدل على أنهم يفهمون الزهد بأنه ترك الدنيا بالكلية و تعذيب النفس بشتى أنواع التعذيب من الجوع و العرى و السهر و الفقـــــر .

الفصل الأول : انحرافهم في مفهوم الزهد :

لقد انحرف الصوفية في مفهوم الزهد انحرافا خطيرا كما انحرفوا في غيره فادعوا بأن الزهد هو ترك الدنيا بالكلية و الهروب عنها و ذلك بترك العمل نهائيا في هذه الدنيا و تعذيب الجسد بأنواع العذاب من التجويع و العرى و غيرها و الهروب عن الناس و الدخول في الخلوات المظلمة بقصد تربية النفس لكي تصل الى ولاية الله و ترك الزواج و وصفه بأنه من أهم العقبات المانعة من وصول المريد الى ولاية الله المزعومة

و قبل أن أخوض في بيان انحرافات المتصوفة في هذا الباب أحب إن أعرف الزهد في اللغة و الاصطلاح و أذكر مراتبه و الفهم الصحيح له بايجاز و ذلك حتى يتضح لنا انحراف المتصوفة في مفهوم الزهد لأن الأشياء تتبين بضدها ،

المبحث الأول : تعريف الزهد و مراتبه و الفهم الصحيح له ،

أولا تعريف الزهد

الزهد في اللغة : زهد فيه و عنه زهدا و زهادة أعرض عنه و تركه لاحتقاره أولتحرجه منه أو لقلته و زهد في الشيء رغب عنه ويقال زهد في الدنيا ترك حلالها مخافة حسابه و ترك حرامها مخافة عقابه

و تزهد صار زاهدا و تعبد

و الزاهد هو العابد ، جمعه زهد و زهاد و الزهادة خلاف الرغبة فيه و الرضا باليسير مما يتعين حله و ترك الزائد على ذلك لله تعالى و كذا الزهد بمعنى الزهادة (١)

---

(١) — أنظر القاموس ١/ ٣٠٨ و أساس البلاغة ١٩٧ و النهاية لابن الأثير

أما تعريف الزهد في الاصطلاح :

قال الامام ابن القيم في تعريف الزهد :

الزهد عبارة عن انصراف الرغبة عن الشيء الى ما هو خير منه و شرط المرغوب عنه أن يكون مرغوبا بوجه من الوجوه فمن رغب عن شيء ليس مرغوبا فيه و لا مطلوبا في نفسه لم يسم زاهدا كمن ترك التراب لا يسمى زاهدا و أنه ليس الزهد ترك المال و بذله على سبيل السخاء و القوة و استمالة القلوب فحسب بل الزهد أن يترك الدنيا للعلم بحقارتها بالنسبة الى نفاسة الآخرة (١)

أقسام الزهد و مراتبه

قال الامام ابن القيم : الزهد أربعة أقسام و هي :

١ــ زهد في الحرام و هو فرض عين

٢ــ زهد في الشبهات و هو بحسب مراتب الشبهة فان قويت التحق بالواجب و ان ضعفت كان مستحبا

٣ــ و زهد في الفضول و زهد فيما لا يعني من الكلام و النظر و السؤال و اللقاء و غيره و زهد في الناس و زهد في النفس بحيث تهون عليه نفسه في الله

٤ــ و زهد جامع لذلك كله و هو الزهد فيما سوى الله و في كل ما يشغلك عنه و أفضل الزهد اخفاء الزهد و أصعبه الزهد في الحظوظ (٢)

و قال في طريق الهجرتين : يقسمه باعتبار حكمه أيضا ما نلخصه في الآتي :

الزهد أربعة أقسام :

١ــ أحدها فرض على كل مسلم و هو الزهد في الحرام

---

(١) ــ أنظر مختصر منهاج القاصدين ٣٠٨

(٢) ــ الفوائد لابن القيم ٢١٥

٢ــ والثاني زهد مستحب وهو على درجات في الاستحباب بحسب المزهود فيه وهو الزهد في المكروه وفضول المباحات والتغنن في الشهوات المباحة

٣ــ الثالث زهد الداخلين في هذا الشأن وهم المشمرون في السير الى الله وهو نوعان

احداهما الزهد في الدنيا جملة وليس المراد تخليها من اليد ولا اخراجها وقعوده صفرا وانما المراد اخراجها من قلبه بالكلية فلا يلتفت اليها ولا يدعها تساكن قلبه وان كانت في يده فليس الزهد أن تترك الدنيا من يدك وهي في قلبك وانما الزهد أن تتركها من قلبك وهي في يدك وهذا كحال الخلفاء الراشدين وعمر بن عبد العزيز الذى يضرب بزهده المثل مع أن خزائن الأموال تحت يده بل كحال سيد ولد آدم صلى الله عليه وسلم حين فتح الله عليه من الدنيا ما فتح ولا يزيده ذلك الا زهدا فيها

والذى يصحح هذا الزهد ثلاثة أشياء وهي :

أحدها علم العبد أنها ظل زائل وخيال زائر وأنها كما قال تعالى فيها :

((اعلموا انما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد كمثل غيث أعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يكون حطاما وفي الآخرة عذاب شديد ومغفرة من الله ورضوان وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور))(١)

وقال تعالى :((انما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض مما يأكل الناس والأنعام حتى اذا أخذت الأرض زخرفها وازينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلا أو نهارا فجعلناها حصيدا كأن لم تغن بالأمس

---

(١)ــ الحديد آية ٢٠

كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون))(١)

و قال تعالى :((و اضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض فأصبح هشيما تذروه الرياح و كان الله على كل شيء مقتدرا المال والبنون زينة الحياة الدنيا و الباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا و خير أملا))(٢)

قال ابن القيم : و سماها سبحانه متاع الغرور و نهى عن الاغترار بها و أخبرنا عن سوء عاقبة المغترين و حذرنا من مثل مصارعهم و ذم من رضي بها و اطمأن اليها

و قال النبي صلى الله عليه و سلم :

(مالي و للدنيا انما أنا كراكب قال في ظل شجرة ثم راح و تركها)(٣)

ثم قال الامام ابن القيم : فما اغتر بها و لا سكن اليها الا ذو همة دنية و عقل حقير و قدر خسيس .

الثاني:علمه أن وراءها دارأعظم منها قدرا و أجل خطرا و هي دار البقاء و ان نسبتها اليها كما قال النبي صلى الله عليه و سلم :(ما الدنيا في الآخرة الا كما يجعل أحدكم اصبعه في اليم فلينظر بم يرجع)(٤)

فالزهد فيها بمنزلة رجل في يده درهم زغل قيل له اطرحه فلك عوضه مائة ألف دينار مثلا فالقاه من يده رجاء ذلك العوض

فالزهد فيها لكمال الرغبة فيما هو أعظم منها زهد فيها

الثالث : معرفته أن زهده فيها لا يمنعه شيئا كتب له منها و ان حرصه عليها لا يجلب

---

(١)— يونس آية ٢٤

(٢)— الكهف آية ٤٥—٤٦

(٣)— سنن الترمذي مع التحفة ٧/ ٤٨

(٤)— نفس المرجع ٢ /١٣٧٧

له ما لم يقص له منها فمتى تيقن ذلك و صار له به علم يقين هان عليه الزهد فيها فانه متى تيقن ذلك وثلج له صدره و علم أن مضمونه فيها سيأتيه بقي حرصه وتعبه وكده ضائعا والعاقل لا يرضى لنفسه بذلك فهذه الأمور الثلاثة تسهل على العبد الزهد فيها وتثبت قدمه في مقامه و الله الموفق لمن يشاء (١)

و من كل ما تقدم من التعريفات اللغوية و الاصطلاحية للزهد و توضيح ابن القيم لمفهوم الزهد الصحيح في هذه الدنيا يظهر لنا أن الزهد هو ايثار الحياة الأخروية الأبدية الباقية على الحياة الدنيا الدنيئة الفانية و باتصاف الانسان بهذا الوصف يقدر أن يعيش في هذه الدنيا آخذا منها نصيبه بقدر زاد الراكب فيتقلل في ملذاتها ولا يغتر بمفاتنها و يتوكل على الله و يخافه و يرجوه لينال أجره عند الله

و كما ظهر لنا من خلال ما تقدم أن الزهد لا يكون الا في الشيء الموجود مع القدرة و التمكين من الحصول عليه وذلك لأن الفقير الذي ليس بيده مال لا يمكن أن يطلق عليه زاهد في المال ومتقلل فيه لأنه لا يملك شيئا منه و كذلك العاجز عن العمل أو المحروم للقيام بالأسباب التي يمكن للانسان أن يحصل على رزقه اذا قام بها لا يقال فيه زاهد بل الذي يستحق أن يوصف بأنه زاهد هو الرجل الذي يقوم بالأعمال و يجمع المال من حله ثم ينفقه في سبيل الخير فيتصدق على الفقراء و المساكين و ينفقه في الجهاد في سبيل الله و يبني منه المساجد و المعاهد و كل الأمور التي تستفيد منها الأمة الاسلامية أما القعيد عن العمل الذي ينتظر صدقات الناس عليه فليس هذا بزاهد حقيقة بل هو مختلس عبء على الأمة الاسلامية فان الزهد ليس معناه ترك الكسب و الاكتساب ولا ترك الأسباب وعدم الأخذ بها و فرار الانسان من القيام بمسؤوليته الفردية والجماعية لأن الاسلام يعتني بالحياة الدنيوية اعتناءا مناسبا لابقاء المصلحة الفردية و الجماعية فيحث الاسلام المسلم على الأخذ بنصيبه من الدنيا قال تعالى : ((و ابتغ فيما أتاك الله الدار الآخرة و لا تنس نصيبك من الدنيا و أحسن كما أحسن الله اليك و لا تبغ الفساد في الأرض ان الله لا يحب المفسدين)) (٢)

و قال النبي صلى الله عليه وسلم : (ان الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده حسنا) (٣)

فالتصور الاسلامي الصحيح للحياة الدنيا عبارة عن أنها مزرعة لآخرة ومطية لها وأن مثل بقاء الانسان فيها مثل راكب قال في ظل شجرة ثم راح وتركها كما في الحديث

وان دار البقاء دار الآخرة نسبة هذه الدنيا الفانية اليها كما قال صلى الله عليه وسلم : (ما الدنيا في الآخرة الا كما يجعل أحدكم اصبعه في اليم فلينظر بم يرجع) (٤)

---

(١) ــ انظر طريق الهجرتين لابن القيم ٢ د ٢

(٢) ــ القصص آية ٧٧

(٣) ــ كتاب الزهد للامام وكيع ٢ / ٤٤٧ باب الأثر الحسن وحسنه الألباني في صحيح الجامع الصغير ١ / ١٣١

(٤) ــ شعب الايمان للامام البيهقي ٢ / ٣ / ٣٦٦

فالعاقل لا محيد له عن أن يؤثر الحياة الأخروية على الحياة الدنيا فلا يسلك سبيل الافراط في تناول الدنيا ولا التفريط في حقوق الناس كما يفعل المتصوفة حيث يتركون عائلاتهم يموتون جوعا أو يعيشون حياة بائسة محزنة ثم يسمون هذا زهدا وهو في الحقيقة ليس هذا بزهد وانما هو عجز وكسل وفهم سيء للزهد الحقيقي

وبعد غرس هذه العقيدة في أذهان الناس يسمح الاسلام للانسان أن يخوض معترك الحياة ويصول فيها ويجول فيؤدي ما وجبت عليه من حقوق الله تعالى وحقوق الآدميين من عبادة وصلاة وصوم وزكاة وحج ومن تجارة وصناعة ونكاح وعشرة وغير ذلك مما أحل الله ممارسته في هذه الحياة الدنيا

وكان الناس على هذا الفهم الصحيح من الدين في هذا الجانب في عهد النبوة فكانوا يعالجون قضاياهم من دون افراط ولا تفريط وبمزيد من الحيوية والنشاط وبالعمل الدائب المتواصل في جميع ميادين الحياة لما كانوا يرجون وراءه من حسن العاقبة ورضوان الله تبارك وتعالى فهم كانوا فرسان نهار ورهبان ليل تراهم في المسجد وفي مجالس العلم وفي ميادين التجارة والصناعة والجهاد ومع أولادهم ونسائهم وكانت الآيات والأحاديث الواردة في ذم الدنيا والنهي عن الخوض فيها والتشاغل بها تتلى وتقرأ وكانوا يفهمونها ويستضيئون بها لأن المقصود بها هو الحث على الزهد في الدنيا والزجر عن التشاغل بها الى حد يفضي الى اهمال الآخرة والتواني في طلبها لينالوا عند الله أحسن درجة على ما عملوا في هذه الحياة الدنيا وكان زهد الصحابة والتابعين على هذا النمط نابعا من العقيدة الصحيحة

وقد بقي على هذه العقيدة الصحيحة الطيبة والسلوك الطيب كل المسلمين الى أواخر عهد الخلفاء الراشدين ثم حدثت فتن متنوعة سياسية وعقدية أدت الى ظهور

فرق مبتدعة في الاسلام واختل نظام السياسة وبدأ نشأت ظهور الغلو عند البعض مع بقائهم على خير كثير من الدين الصحيح لقرب عهد بعصر النبوة والصحابة الكرام

ولما انقرض أصحاب القرون الثلاثة الموصوفة بالخيرية ظهر في ولاة الأمور كثير من الأعاجم الذين حاولوا الاطاحة الخلافة الإسلامية بدوافع من الحقد والعصبية على العرب والاسلام والشعوبية والالحاد والزندقة واعادتهم مجدهم السابق ثم عربت الكتب الأعجمية فحدثت هناك ثلاثة أشياء الرأى والكلام والتصوف

والذى يهمنا هنا هو التصوف الذى بدأ يشق طريقه وأتي بمفاهيم باطلة للزهد تتصادم مع ما جاء في الكتاب والسنة فدعوا الى حرمان النفس من حظوظها نهائيا ودعوا الى ترك العمل والقعود في الخلوات المظلمة ودعوا الى ترك النكاح نهائيا ووصفوه بأوصاف منفرة وكل هذ أتوا به من الفلسفات الوثنية القديمة كالبوذية التي تدعو الى تعذيب الجسد بشتى أنواع العذاب وكالمسيحية التي تحرم الزواج على القساوس والمريدين لهم والا فالاسلام برئ من هذه الأفكار الدنيئة التى تؤدى الى تدمير المجتمع وتحويله الى مجتمع هش فقير لا يستطيع أن يقوم بواجبه في هذه الحياة

والخلاصة أن المفهوم الصحيح للزهد هو ايثار الحياة الأخروية على الحياة الدنيوية وليس معنى الزهد في الدنيا ترك العمل والقعود في البيت وتجويع النفس والعيال وتركهم يعيشون حياة بائسة نكدة كما يفعل المتصوفة الشحاتة وذلك لأن من الواجب على الانسان على الأقل عليه أن يؤمن معيشته ومعيشة من تجب عليه نفقته وذلك لما جاء في الحديث عن سعد بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (خير الرزق ما يكفي وخير الذكر الخفي)(١) ثم ان حصول الانسان على المال بالعمل

---

(١) — الزهد للامام أحمد ٢٥ وفي المسند ١/١٧٢

والجهد يؤجر فيه اذا جمعه من حلال وأنفقه في الحلال كما في الحديث الذى رواه الامام علي رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (ان في الجنة لغرفا يرى باطنها من ظاهرها وظاهرها من باطنها فقال أعرابي لمن هي يارسول الله قال لمن أطال الكلام وأطعم الطعام وأدام الصيام وصلى لله عز وجل والنـــاس نيـــام (١)

وهكذا فالانفاق للمال في سبيل الله للفقراء والمساكين مما رغب الله ووعد عليـــه الثواب الجزيل ومن لم يكن له مال سيفوته حتما هذا الأجر لأنه فاقد للمال وفاقـــد الشيء لا يعطيه كمـــا هو المشهور في المثل ويؤيده الواقع

---

(١) — الزهد للامام أحمد ٣٧ ومجمع الزوائد ١٠/ ٤٢٠ مع اختلاف في اللفـــظ

المبحث الثاني : انحراف الصوفية في مفهوم الزهد .

المطلب الأول : تعريفات الصوفية للزهد

لقد انحرف الصوفيه في مفهوم الزهد انحرافا خطيرا حيث صرحوا بأن الزهد هو الابتعاد عن الدنيا بالكلية وعدم الاهتمام بها و دعوا الناس الى تعذيب أنفسهم بالجوع والعرى و بكل الشدائد و مدحوا الفقر و دعوا اليه بل فضلوا سؤال الناس على القيام بالعمل و الاتيان بالرزق الحلال وأن الانسان لا يمكن أن يصل الى درجة الولاية لله الا اذا قام بهذه الطقوس الصوفية المبتدعة التي تدعوا الى تعطيل الانسان عن وظائفه التي خلقه الله لها .

و يظهر انحراف الصوفية في الزهد في تعريفاتهم الآتية :

قال أبو عثمان : الزهد أن تترك الدنيا ثم لا تبالي بمن أخذها (١)

و قال أبو علي الدقاق : الزهد أن تترك الدنيا كما هي لا تقول ابني رباطا أو أعمر مسجدا (٢)

و قال ابن خفيف : علامة الزهد وجود الراحة في الخروج عن الملك

و قال أيضا : الزهد سلو القلب عن الأسباب و نفض الأيدى من الأملاك (٣)

---

(١) ـ الرسالة للقشيرى ١ / ٣٢٦

(٢) ـ الرسالة للقشيرى ١ / ٣٢٦

(٣) ـ الرسالة للقشيرى ١ / ٣٢٧

و قال الجنيد : الزهد هو خلو اليد من الملك و القلب من التتبع (١)

و قال أبو حفص : الزهد لا يكون الا في الحلال و لا حلال في الدنيا فلا زهد (٢)

و سئل الشبلي عن الزهد فقال : لا زهد في الحقيقة لأنه اما أن يزهد فيما ليس له فليس ذلك بزهد أو يزهد فيما هو له فكيف زهد فيه و هو معه و عنده

و قال السرى : الزهد ترك حظوظ النفس من جميع ما في الدنيا ، و يجمع هذه الحظوظ المالية و الجاهية و حب المنزلة عند الناس و حب المحمدة و الثناء (٣)

اذا نظرنا في هذه التعريفات التي أوردتها عن أئمة التصوف نرى بوضوح ان مفهوم الزهد عند المتصوفة هو ترك الدنيا و الاعراض عنها بالكلية بحيث لا يهتم الانسان بشئون دنياه و لو بقدر ما يسد به رمقه و أن الزهد الحقيقي عندهم هو ترك القيام بالأسباب نهائيا و اخلاء الأيدي من كل ما يملكه الانسان حتى يصبح فقيرا

بل ادعى بعضهم كما هو واضح في التعريفات السابقة أمامنا بأنه لا يوجد أى زهد و ذلك لأنه لا يوجد شيئا حلالا في هذه الدنيا و ذلك حسب زعمه و هذا مناقض للقرآن الكريم لأن الله عز وجل أمرنا أن نأكل من الطيبات فقال سبحانه : ((يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم و اشكروا لله ان كنتم اياه تعبدون))

و ادعى المتصوفة أيضا أن الزهد غير متصور عنده و ذلك لأنه اذا زهد فيما ليس عنده لا يسمى زاهدا لأنه يفقده و فاقد الشيء لا يعطيه و اذا زهد في الشيء الذى عنده لا يسمى زاهدا أيضا لأنه لا يمكن للانسان أن يسمى زاهدا في الفكر الصوفي المنحرف الا اذا تجرد من كل أملاكه و أصبح مرميا في الشوارع فقيرا يتكفف الناس و

---

(١) — الرسالة للقشيرى ١ / ٣٢٨

(٢) — الرسالة ١ / ١٢٩

(٣) — العوارف ٢٣٣

يسألهم و هذا فهم خاطيء للزهد المشروع الذى ذكرناه في المبحث الأول من هذا الفصل حيث أثبتنا هناك بأن الزهد المشروع هو ايثار الحياة الأخروية على الحيـــاة الدنيوية و كسب المال بالطرق المشروعة و انفاقه فيما شرعه الله و عدم قبضه عن الواجبات التي ينبغي أن يصرف فيها و أثبتنا أيضا بأن القيام بالأسباب لا ينافي الزهد لأن من لم يقم بالأسباب من أين سيحصل على المال الحلال الذى يسد به رمقه فضلا عن أن يزهد فيه و على هذا نقول ان المفهوم الصوفي للزهد مفهوم غريب على الاسلام مستورد من الوثنيات القديمة التي تدعوا الى تخلي الانسان عن أملاكه و تعذيب نفسه بشـــتى أنواع التعذيب من أجل الوصول الى ولاية الله كما يفعل البوذية عباد الأوثان فـــي الهند و غيرها

المطلب الثاني : عبارات أئمة التصوف التي تدل على أن الصوفية يفهمون الزهد بأنه

ترك الدنيا بالكلية و تعذيب النفس بشتى أنواع التعذيب من الجوع و العرى و السهر و الفقر :

لقد ادعى الصوفية بأنه لا يمكن أن يتحقق الزهد و يصل الانسان الى مرتبة ولاية الله الا اذا تجرد الانسان عن الملكية نهائيا حتى يصبح فقيرا لا مال له و حتى يعذب نفسه بشتى أصناف العذاب في هذه الحياة الدنيا و يحرمها من كل أنواع الطيبات التي أحلها الله لعباده مخالفين بذلك الأدلة الشرعية و كذلك العقلية و اليك نماذج من هذه النصوص

يقول ابراهيم بن أدهم و هو يتحدث عن العقبات التي يجب أن يحققها و يمر بها كل مريد صوفي اذا أراد الوصول الى ولاية الله حقيقة :

(لن ينال الرجال درجة الصالحين حتى يجوز ست عقبات و هي :

أولها : أن يغلق باب النعمة و يفتح باب الشدة

و الثاني : أن يغلق باب العز و يفتح باب الذل

و الثالث : أن يغلق باب الراحة و يفتح باب الجهد

و الرابع : أن يغلق باب النوم و يفتح باب السهر

و الخامس : أن يغلق باب الغنى و يفتح باب الفقر

و السادس : أن يغلق باب الأمل و يفتح باب الاستعداد للموت)(١)

---

(١) ـ الرسالة القشيرية ١/ ٢٩٢

و يقول عبدالقادر الجيلاني في وصف المريد الزاهد :

(المريد المتصوف مكابد لنفسه و هواه و شيطانه و خلق ربه و دنياه و أخراه متعبد لربه عز وجل بمفارقة الجهات الستة و الأشياء و ترك العمل لها موافقتها و القبول منها و تصفية باطنه من الميل و الاشتغال بها فيخالف شيطانه و يترك دنياه و يفارق أقرانه و سائر خلق ربه بحكمه عز وجل لطلب أخراه ثم يجاهد نفسه و هواه بأمر الله عز وجل فيفارق أخراه و ما أعد عز وجل لأوليائه فيها من جنة لرغبته في مولاه فيخرج من الأكوان فيصفى من الأحداث و يتجوهر لرب الأنام فتنقطع منه العلائق و الأسباب و الأهل و الأولاد فتنسد عنه الجهات و تنفتح في وجهه جبهة الجبهات و باب الأبواب و هو من الرضا بقضاء رب الأنام و رب الأرباب . . . . . ثم يفتح تجاه هذا الباب باب يسمى باب القربة الى المليك الديان ثم يرفع منه الى مجالس الأنس ثم يجلس على كرسي التوحيد ثم يرفع عنه الحجب و يدخل دار الفردانية و يكشف عنه الجلال و العظمة فاذا وقع بصره على الجلال و العظمة بقي بلا هو فانيا عن نفسه و صفاته عن حوله و قوته و حركته و ارادته و مناه و دنياه و أخراه كاناء بلور مملوء ماءا صافيا تتبين فيه الأشباح فلا يحكم عليه غير القدر و لا يوجده غير الأمر فهو فان عنه و عن حظه جود لمولاه و أمره لا يطلب خلوة لأن الخلوة للموجود فهو كالطفل لا يأكل حتى يطعم و لا يلبس حتى يلبس)(١)

اذا نظرنا في النصين السابقين نرى بوضوح بأن ابراهيم بن أدهم دعا لكل من يريد أن يصل الى مرتبة ولاية الله عز وجل أن يمسك نفسه بالشدة و يذلها و يتعبها و يسهرها و يفقرها و أن يغلق عليها باب الأمل نهائيا حتى تيأس من كل ما في هذه

---

(١) — الغنية للشيخ عبدالقادر الجيلاني ٢ / ١٧٨ — ١٧٩

الدنيا من النعم التي أحلها الله لعباده و أمرهم بالأكل منها و لو نظرنا الى هذه الرياضات سنجدها رياضات بوذية بحتة فان البوذا هم الذين يعذبون أجسادهم أما الاسلام فلم يأمر بتعذيب الأنفس و اذلالها و افقارها بل بالعكس أمر الاسلام بالاهتمام بهذا الجسد و الاعتناء به حتى يكون جسدا صحيحا معافى و يقوم بوظائفه على أكمل وجه في هذه الحياة و قد بين الله و سوله الأمور التي اذا فعلها الانسان يكون وليا لله و حبيبا له فلا حاجة الى هذه الرياضات المبتدعة التي ما أنزل الله بها من سلطان.

و كذلك اذا نظرنا في النص الثاني نجد أن الشيخ عبدالقادر الجيلاني وصف المريد الزاهد بأنه هو الذى يترك الدنيا بالكلية و يبتعد عن أقرانه الذين يعايشونه بل كل المخلوقات لأجل طلب الآخرة و ياليته توقف هنا بل ادعى بأن المريد يترقى في هذا الزهد حتي يصل الى مرحلة يزهد فيها في كل ما أعده الله لعباده الصالحين في الدار الآخرة من الجنة و النعيم الذى أعده الله فيها و ان المريد الزاهد حقيقة هو الذى يقطع علائقه بالبشر نهائيا و يترك القيام بالأسباب فلا يقوم بأى عمل يحصل من ورائه على رزقه الذى كتبه الله له و ينقطع عن أهله و أولاده فلا يلقي لهم بالا و هذه كلها مفاهيم خاطئة للزهد و مضادة لما أمر الله به و رسوله صلى الله عليه وسلم و سنبين ذلك في حينه حينما نقوم بالرد عليهم و ذلك باثبات أن الاسلام رغب في العمل و أمر بمواصلة الأرحام و بالقيام بحقوق الزوجية و الأولاد و دعى الى مراعاة كل الحقوق التي كفلها الاسلام لكل مخلوق في هذه الحياة و اعطاء كل ذى حق حقه [١]

و من النصوص التي تدل على أن المتصوفة يدعون الى التجرد الكامل عن الأملاك و تجويع النفس و عريها قول السرى السقطي حيث قال :(لا يكن معك شيء تعطي منه أحدا) (١)

---

(١) — العوارف ٩٢ واللمع ٢٦٢ و الرسالة للقشيرى ١/ ٨٢

و معنى ذلك أنه لا يجوز لمن يريد الوصول الى ولاية الله ابقاء أى شيء في يده من أملاكه و هذا مفهوم خاطيء

و يقول داود الطائي : (صم عن الدنيا و اجعل فطرك الموت و فر عن الناس كفرارك من السبـــــع)(١)

و هذه أمور لم يدع اليها الاسلام لأن الاسلام أباح الأكل من الحلال في هذه الدنيا و لم يدع الانسان أن يجعل فطره الموت و لم يدع أيضا بالفرار من الناس و الهروب منهم و اعتزالهم و الابتعاد عنهم كلية بل أمر الاسلام بمخالطة الناس و دعوتهم الى الهدى حتى يسلموا ان كانوا غير مسلمين و حتى يفهموا أمور دينهم فهما صحيحا ان كانـــوا مسلمين فالدعوة الى الانعزال عن الناس كما يقول به هؤلاء المتصوفة ليس من الاسلام .

و يقول الجنيد : أحب للمريد أن لا يشغل قلبه بالتكسب و الا تغير حاله

و قال أيضا : ما أخذنا التصوف عن القيل و القال لكن عن الجوع و ترك الدنيـــا و قطع المألوفات و المستحسنات (٢)

يتضح لنا من النصين السابقين بأن الجنيد نصح للمريد الذى يريد أن يصل الـى ولاية الله أن يبتعد عن القيام بأى عمل يحصل من ورائه على رزقه الذى قسمه اللـــه و حذره بأنه اذا فعل ذلك سيؤدى الى تغير حاله الى حالة غير مرضية و ذلك لأن المتصوفة يعتقدون بأن القيام بالعمل في هذه الدنيا يدل على نقصان ايمان المـــرء و توكله على الله و هذا فهم خاطيء منهم فان الرسول و الصحابة كانوا متوكلين علـــى الله و لم نجد لأحد منهم الدعوة الى ترك العمل بل الرسول دعا الى العمل والصحابة كانوا فرسان بالنهار رهبان بالليل و هذا الذى يدعو اليه المتصوفة لا يسمى توكـــلا

---

(١)ـ الرسالة ١/ ٩٥

(٢)ـ الرسالة للقشيرى ١/ ١٣٣

على الله و انما هو توا كل فقط

و قد دعا المتصوفة الى الفقر و مدحوه في كتبهم و من أقوالهم التي تدل على هذا :

قال ابن عجيبة : الفقر أساس التصوف و به قوامه (١)

و روى عن ابن رويم أنه قال : مبني التصوف على الفقر

و قال الجنيد حين سئل عن الزهد : الزهد هو تخل الأيدى من الأملاك وتخلي القلوب من الطمع (٢)

و قال رويم بن أحمد الصوفي حين سئل عن الزهد ما هو ؟ قال هو ترك حظوظ النفس من جميع ما في الدنيا (٣)

و ذكر الشعراني عن ابن عربي أنه قال : من أراد فهم المعاني الغامضة من كلام الله عز وجل و كلام الرسول و أوليائه فليزهد في الدنيا حتى يصير ينقبض خاطره من دخولها و يفرح لزوالها (٤)

و يقول ابراهيم المتبولي : كل فقير لا يحصل له جوع و لا عرى فهو من أبناء الدنيا(٥)

و ذكر الصوفي عماد الدين الأموى في كتابه حياة القلوب : أن رجلا دخل على بعض الصوفية يتكلم في الزهد وعنده قميص معلق وعليه آخر فقال يا شيخ أما تستحي أن تتكلم في الزهد ولك قميصان (٦)

---

(١)— ايقاظ الهمم في شرح الحكم لابن عربي ٢١٣ ط٣ مصطفى البابي الحلبي ١٤٠٢هـ

(٢)— اللمع للطوسي ٧٢

(٣)— اللمع للطوسي ٧٣

(٤)— اليواقيت و الجواهر للشعراني ١/ ٢٦

(٥)— الأخلاق المتبولية للشعراني ٢/ ٩٤

(٦)— حياة القلوب بهامش قوت القلوب ٢/ ١٢٢

وزجر السرى السقطي رجلا كان يملك عشرة دراهم وقال أنت تقعد مع الفقراء ومعك عشرة دراهم (١)

وذكر الكلاباذى عن أحمد بن السمين أنه قال : كنت أمشي في طريق الى مكة فاذا أنا برجل يصيح أغثني يا رجل الله الله قلت مالك مالك خذ مني هذه الدراهم فاني ما أقدر أن أذكر الله وهي معي فأخذته منه فصاح لبيك اللهم لبيك وكانت أربعة عشر درهما (٢)

وقال سهل بن عبدالله التسترى :

(اجتمع الخير كله في هذه الأربع الخصال وبها صار الأبدال أبدالا وهي : اخماص البطون والصمت والخلوة والسهر (٣)

وقال يحيى بن معاذ : الدنيا كالعروس ومن يطلبها ماشطتها والزاهد فيها يسخم وجهها وينتف شعرها ويخرق ثوبها والعارف مشتغل بالله لا يلتفت اليها والزهد يقتضي معانقة الفقر واختياره (٤)

وينقل الهجويرى عن أبي بكر الشبلي ان واحدا من علماء الظاهر سأله على سبيل التجربة عن الزكاة قائلا ما الذى يجب أن يعطى من الزكاة ؟ قال حين يكون البخل موجودا ويحصل المال فيجب أن يعطى خمسة دراهم عن كل مائتي درهم ونصف دينار عن كل عشرين دينارا هذا في مذهبك أما في مذهبي فيجب أن لا تملك شيئا حتى تتخلص من مشغلة الزكاة (٥)

---

(١) — طبقات الأولياء لابن الملقن

(٢) — التعرف للكلاباذى ١٨٥

(٣) — غيث المواهب العلية للرندى ٩٢—٩٣

(٤) — اللمع للطوسي ٧٣

(٥) — كشف المحجوب للهجويرى ٢ / ٥٥٨

و يقول الهجويرى : (السكون الى مألوفات الطبع يقطع صاحبها عن بلوغ درجات الحقائق) (١)

و يقول أحمد الرفاعي : (أكره للفقراء دخول الحمام و أحب لجميع أصحابي الجوع و العرى والفقر و الذل و المسكنة و أفرح لهم اذا نزل بهم ذلك) (٢)

و يقول أبو الحسن محمد بن أحمد الفارسي :

(من أركان التصوف ترك الاكتساب و تحريم الادخار) (٣)

وذكر عن أبي يزيد البسطامي أنه سئل بأى شيء نلقى هذه المعرفة فقال :

(ببطن جائع و بدن عار) (٤)

و يقول الكلاباذى في وصف الصوفية : (انهم قوم تركوا الدنيا فخرجوا عن الأوطان وهجروا الأخدان وساحوا في البلاد وأجاعوا الأكباد وأعروا الأجساد) (٥)

من كل ما تقدم من النصوص التي أوردتها عن هؤلاء المجموعة الذين يعتبرون أئمة في التصوف يتضح لنا جليا بأن الصوفية يعتقدون بأن الزهد الحقيقي هو ترك الاكتساب و عدم الادخار و تعذيب النفس بشتى أنواع التعذيب من جوع و عرى و غيرها حتى تصل الى ولاية الله حسب زعمهم

بيان بطلان هذا المفهوم الصوفي للزهد :

اذا عرضنا مفهوم الصوفية هذا للزهد على الكتاب و السنة سنجده بأنه يخالف تمام المخالفة مبادىء الاسلام الحنيف الذى دعا الى العمل وأباح ادخار الشيء اللازم للقوت ونهى عن تعذيب النفس وتكليفها ما لا تطيقه وأمر باللباس الجميل الساتر ونهى عن العرى

---

(١) ـ كشف المحجوب للهجويرى ٢ / ٥٦١
(٢) ـ الأنوار القدسية للشعراني ١ / ١٣٢
(٣) ـ التعرف لمذهب أهل التصوف ١٠٨
(٤) ـ الرسالة للقشيرى ١ / ٨٨
(٥) ـ التعرف لمذهب أهل التصوف ٢٩

ولذا نقول ان هذه الطريقة التي اعتبرها المتصوفة طريقة موصلة الى الله سبحانه وتعالى ألا وهي طريقة حرمان النفس مما أحل الله وتعذيبها بالتجويع حتى تضعف عن القيام بواجباتها الدينية والدنيوية ليست طريقة مشروعة بل هي طريقة مخالفة للمنهج الذى جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم من عندالله وذلك لأن الله سبحانه وتعالى لم يأمرنا بترك الأكل وتجويع النفس بل الله سبحانه وتعالى أمرنا أن نأكل مما أحله الله لنا من الطيبات في هذه الحياة الدنيا فقال سبحانه :

((يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا لله ان كنتم اياه تعبدون))(١)

وقال سبحانه :((وكلوا واشربوا ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين))(٢)

وفي حديث الثلاثة الذين أتوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وسألوا عن عباداته فرأوها قليلة وأرادوا أن يقوموا بعبادات أكثر من هذا حيث قال أحدهم : لا أتزوج النساء وقال الآخر لا أنام الليل وقال الآخر أصوم ولا أفطر والرسول صلى الله عليه وسلم خطب بهذه القضية في المسجد ونهاهم عن هذا العمل وقال في آخر الحديث فمن رغب عن سنتي فليس مني واليك نص الحديث

فقد روى أنس بن مالك رضي الله عنه أنه جاء ثلاثة رهط الى بيوت أزواج النبي صلى الله عليه وسلم يسألون عن عبادة النبي صلى الله عليه وسلم فلما أخبروا كأنهم تقالوها فقالوا : وأين نحن من النبي صلى الله عليه وسلم ؟ قد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر . قال أحدهم : أما أنا فأنا أصلى الليل أبدا وقال الآخر : أنا أصوم الدهر ولا أفطر وقال آخر : أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدا فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : أنتم الذين قلتم كذا وكذا ؟ أما والله اني لأخشاكم لله

---

(١)— البقرة آية ١٢٧ (٢)— الأعراف ٣١

و أتقاكم له لكني أصوم و أفطر و أصلي و أرقد و أتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني)(١)

فاذا تعذيب النفس و حرمانها من ما أحله الله من النوم و الزواج و الافطار بعد الصيام أو حرمانها من الأكل و تعذيبها بالجوع ليس من سنة المصطفى صلى الله عليه و سلم و اذا لم يكن من سنته فليس عملا مشروعا و مادام لم يكن مشروعا فلن يوصل الى ولاية الله و محبته و مرضاته كما يزعم المتصوفة بل سيوصلهم الى الضلال المبين و قد حصل لهم فان كل من ينظر الى المتصوفة عبر القرون يرى بوضوح بأن القوم وقعوا في ضلالات خطيرة بسبب بعدهم عن الكتاب و السنة و حبهم للبدع

قال الامام ابن الجوزى رحمه الله في معرض رده على المتصوفة الذين قنعوا عن أكل اللحوم بحجة الزهد :

قال :(و الامتناع عن أكل اللحم انما هو من مذهب البراهمة الذين لا يرون ذبح الحيوان و ليس من الاسلام في شيء و ان الله سبحانه وتعالى أعلم بمصالح الأبدان فأباح اللحم لتقويتها فأكل اللحم يقوى القوة و تركه يضعفها و يسيء الخلق

و قد كان الرسول صلى الله عليه و سلم يأكل اللحم و يحب الذراع من الشاة و يأكل الدجاج و يحب الحلوى و يستعذب الماء البارد (٢)

و كان الحسن البصرى يشتر كل يوم لحما و على هذا كان السلف (٣)

هذا الى أن منع النفس شهواتها على الاطلاق ضار بالبدن فان البدن محتاج في قوامه الى مختلف الأنواع من الأغذية و قد ركب في الطبع الميل الى ما تميل اليه النفس و تحتاجه فاذا مالت النفس الى ما يصلها فمنعت فقد قوبلت حكمة البارى

---

(١)— صحيح البخارى مع الفتح ٩ / ١٠٤

(٢)— تلبيس ابليس لابن الجوزى ٢١٢

(٣)— تلبيس ابيلس لابن الجوزى ٢١٢

سبحانه و تعالى بردها فكان هذا مخالفا للشرع و العقل)) (١)

ثم ان الله سبحانه و تعالى أخبرنا بأن هذه النعم هي للمؤمنين في هذه الدنيا و غيرهم يشاركهم فيها و أما يوم القيامة فهذه النعم خاصة بالمؤمنين لا يشاركهم فيها فاجر و لا كافر و لا منافق و لا مشرك و يدل على هذا قول الله سبحانه و تعالى : ((قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده و الطيبات من الرزق قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون)) (٢)

و كذلك التعرى ليس من الاسلام في شيء بل الاسلام أمر بستر العورة و بلبس الملابس الجيدة النظيفة يقول الله سبحانه و تعالى : ((يابني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد و كلوا و اشربوا و لا تسرفوا انه لا يحب المسرفين)) (٣)

و قد امتن الله علينا سبحانه و تعالى في كتابه العزيز بأن أنعم الله علينا بالملابس التي نستر بها أجسادنا فقال سبحانه : ((و جعل لكم سرابيل تقيكم الحر و سرابيل تقيكم بأسكم كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون)) (٤)

و لذا أقول ان تعذيب النفس بالتجويع بحرمانها مما أحله الله و تعريتها من الملابس ليست من الطرق المشروعة الموصلة الى ولاية الله سبحانه و تعالى و انما هي طريقة ورثها المتصوفة من ديانات البوذيين و الهنادكة الوثنيين الذين يعذبون أنفسهم بشتى أنواع الرياضات الشاقة و لذا أقول ان سلوك هذا الطريق لا يمكن أن يكون مقربا الى الله عز وجل و موصلا الى ولايته و محبته و انما هو طريق مبعد عن الله

---

(١) — تلبيس ابليس لابن الجوزى ٢١٣

(٢) — الأعراف آية ٣٢

(٣) — الأعراف آية ٣١

(٤) — النحل آية ٨١

و يدخل الانسان الذى يسلكه في وساوس و أوهام شيطانية يتخيلها المسكين أنهـــا فتوحات رحمانية فيظن أنه قد وصل الى ولاية الله فيتيه في أودية الضلال المبين كما حصل لهؤلاء المتصوفة الذين سلكوا هذا الطريق حيث أعرضوا عن كتاب اللـــــه و سنة رسوله و صار دينهم الذى يدينون به المنامات و الأحلام و قال فلان و قال خضر و كلها متاهات و خرافات ابليسية لا أساس لها من الصحة

و أما اعتقاد المتصوفة بأن الزهد الحقيقي هو ترك الكسب و الادخار و تبديد المال أو التخلي عنه نهائيا فهذا اعتقاد فاسد يتناقض مع النصوص القرآنية و الحديثية الـتي تأمر بالعمل و ادخار ما يكفي الانسان لمعاشه و المحافظة على المال مع اخراج الحق منـــــه .

فمن الآيات التي دلت على الحث على العمل لكسب الرزق قول الله سبحانه و تعالى:

((فامشوا في مناكبها و كلوا من رزقه و اليه النشور))(١)

و قوله تعالى :((فاذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض و ابتغوا من فضل اللـــه و اذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون))(٢)

و قوله سبحانه :((و قل اعملوا فسيرى الله عملكم و رسوله و المؤمنون و سترددون الى عالم الغيب والشهادة))(٣)

فهذه الآيات كلها فيها حث على العمل و التفاني فيه لكسب الرزق الحلال و ذلك لكي ينفقه الانسان في الأمور الواجبة عليه و يتصدق بما زاد على حوائجه على الفقـــراء و المساكين و في كل سبل الخير التي أمر الله بالانفاق و بذل المال فيها

---

(١)— الملـــــك آية ١٥

(٢)— الجمعـــــة آية ١٠

(٣)— التـــوبـــة آية ١٠٥

و هناك أحاديث كثيرة تحث على العمل لأجل كسب الرزق الحلال

و قد أخبرنا الرسول صلى الله عليه و سلم بأن خير الطعام هو الطعام الذى يأكله الانسان من عمل يده فقال :(ما أكل أحد طعاما خيرا من أن يأكل من عمل يده وان نبي الله داوود عليه السلام كان يأكل من عمل يده)(١)

و من هنا نقول ان الدعوة الى ترك العمل و القعود في الخوانق و الزوايا و الأربطة ليس من الزهد المشروع و انما هو زهد مبتدع مستورد من الأمم التي تعبد الأوثـــان كالبوذية و غيرها اخترعه المتصوفة لكي يأكلوا أموال الناس بالباطل

و أما دعوى المتصوفة بأن الانسان لا يمكن أن يكون زاهدا الا اذا تجرد عن جميع ما يملك فليس هذا بصحيح بل ان الزهد الحقيقي هو أن يكون الدنيا في يد الانسان فيعمل و يكد ليكسب الرزق الحلال ثم ينفق ما كسبه في الوجوه المشروعة و أول واجب عليه هو الانفاق على نفسه و أهله ثم ينفق في وجوه الخير ان كان لديه مال فائض عن حوائجه الضرورية أما دعوة الناس الى التجرد الكلي عن أموالهم و تركهم فقراء عالة يتكففون الناس فهذا ليس من الاسلام في شيء و مما يدل على هذا ما رواه عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال : حث رسول الله صلى الله عليه و سلم على الصدقة فجئت بنصف مالي فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم و ما أبقيت لأهلك فقلت مثله فلم يذكر عليه رسول الله صلى الله عليه و سلم)(٢)

---

(١)— البخارى مع الفتح ٤/ ٣٠٣

(٢)— تلبيس ابليس لابن الجوزى ١٨٢

و لذا أقول ان ادخار الانسان لعياله ما يكفيهم لنفقتهم ليس مما نهى عنه الاسلام بل هو أمر مشروع و جائز بل واجب

و مما يدل على هذا حديث جابر بن عبدالله قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه و سلم اذا جاءه رجل بمثل البيضة من ذهب فقال يا رسول الله أصبت هذه من معدن فخذها فهي صدقة ما أملك غيرها فأعرض عنه رسول الله صلى الله عليه و سلم ثم أتاه من قبل ركنه الايسر فأعرض عنه رسول الله صلى الله عليه و سلم ثم أتاه من خلفه فأخذها رسول الله صلى الله عليه و سلم فحذفه بها فلو أصابته لأعصته أو لعقرته فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم يأتي أحدكم بما يملك فيقول هذه صدقة ثم يقعد يتكفف الناس خير الصدقة ما كان عن ظهر غنى (١)

و من هذا الحديث نفهم بأن الانسان ليس له أن يتصدق بجميع ما يملك حتى يصبح فقير ثم يتعرض لسؤال الناس بل عليه أن يبقي من ماله ما يعف به نفسه و عياله و كل من تجب عليه نفقته فان من الأشياء التي أكد عليها الاسلام اعطاء كل ذى حق حقه

و كذلك الاكثار من المال الحلال ليس منهيا عنه بل هو أمر مباح و جائز و مما يدل على هذا أن الرسول صلى الله عليه و سلم دعا لأنس بن مالك بأن يكثر الله ماله و ولده و يبارك له فيه فقال صلى الله عليه و سلم : (اللهم أكثر ماله و ولده و بارك له فيما أعطيته)(٢)

و من هذا الحديث نفهم بأن الاكثار من المال الحلال ليس من الأشياء المنهي عنها بل هو أمر مشروع لأنه لو كان من الأمور المذمومة العائقة عن الوصول الى ولاية الله و مرضاته لما دعا الرسول صلى الله عليه و سلم لأنس ليكثر الله ماله

---

(١) — سنن أبي داوود ٢٢٢/٨

(٢) — صحيح مسلم مع النووى ٣٩/١٦

و روى عبدالله بن كعب بن مالك قال : سمعت كعب بن مالك يحدث حديث توبته قال فقلت يا رسول الله ان من توبتي أن أنخلع من مالى صدقة الى الله عز وجل و الى رسوله صلى الله عليه و سلم فقال أمسك بعض مالك فهو خير لك (١)

قال الامام ابن الجوزى رحمه الله بعد أن ذكر جملة من الأحاديث التي تدل على أن التجرد من المال كلية ليس مما أمر به الاسلام و أن الانسان له أن يمسك ما يكفيه و عياله و يدخره قال :

((فهذه أحاديث مخرجة في الصحاح و هي على خلاف ما تعتقده المتصوفة من أن اكثار المال حجاب و عقوبة و أن حبسه ينافي التوكل ..... ثم قال رحمه الله : وان قصد اعفاف نفسه و عائلته و ادخر لحوادث الزمان و قصد التوسعة على الاخوان و اغناء الفقراء و فعل المصالح أثيب على قصده و كان جمعه بهذه النية أفضل من كثير من الطاعات و قد كان نيات خلق كثير من الصحابة رضي الله عنهم أجمعين في جمع المال سليمة لحسن مقاصدهم لجمعه فحرصوا عليه و سألوا زيادته .... و أبلغ من هذا أن يعقوب عليه السلام لما قال له بنوه : ((و نزداد كيل بعير)) (٢)

مال الى هذا و أرسل ابنه بنيامين معهم و أن شعيبا طمع في الزيادة ما يناله فقال : ((فان أتممت عشرا فمن عندك)) (٣) و أن أيوب عليه السلام لما عوفي نثر عليه رجل جراد من ذهب فأخذ يحثو في ثوبه و يستكثر منه فقيل له أن شبعت قال يارب من يشبع من فضلك و هذا أمر مركوز في الطباع فاذا قصد به الخير كان خيرا محضا (٤)

---

(١) — صحيح مسلم مع النووى ٩٦/١٧

(٢) — سورة يوسف آية ٦٥

(٣) — القصص آية ٢٧

(٤) — تلبيس ابليس لابن الجوزى ١٧٩

و قال ابن الجوزى أيضا في مكان آخر من كتابه :

(كان ابليس يلبس على أوائل الصوفية لصدقهم في الزهد فيريهم عيب المال و يخوفهم من شره فيتجردون من الأموال و يجلسون على بساط الفقر و كانت مقاصدهم حسنة صالحة و أفعالهم في ذلك خطأ لقلة العلم فأما الآن فقد كفى ابليس هذه المؤنة فان أحدهم ان كان له مال أنفقه تبذيرا و ضياعا . . . . و هذا الفعل لا أعلم صاحبه انما كان يرجع الى كفاية قد ادخرها لنفسه و ان كانت له ضاعة يستغني بها عن الناس أو كان المال عن شبهة فتصدق به فأما اذا أخرج المال الحلال كله ثم احتاج الى ما في أيدى الناس و أفقر عياله فهو اما أن يتعرض لمنن الاخوان أو لصدقاتهم أو أن يأخذ من أرباب الظلم و الشبهات فهذا هو الفعل المذموم المنهي عنه و لست أتعجب من المتزهدين الذين فعلوا هذا مع قلة علمهم و انما العجب من أقوام لهم عقل و علم كيف حثوا على هذا و أمروا به مع مصادمته للعقل و الشرع

و قد ذكر الحارث المحاسبي في هذا كلاما طويلا و شيده أبو حامد الغزالي و نصره و الحارث عندى أعذر من أبي حامد لأن أبا حامد كان أفقه غير أن دخوله في التصوف أوجب عليه نصرة ما دخل فيه ثم نقل ابن الجوزى كلاما طويلا للحارث المحاسبي و قال في خاتمته : فهذا كلام الحارث المحاسبي ذكره أبو حامد فمن راغب أحوال الأنبياء و الأولياء و أقوالهم لم يشك في أن فقد المال أفضل من وجوده و ان صرف الى الخيرات اذا أقل ما فيه اشتغالهم باصلاحه عن ذكر الله عز وجل فينبغي للمريد أن يخرج من ماله حتى لا يبقى الا قدر ضرورته فمن بقي له درهم يلتفت اليه قلبه فهو محجوب عن الله عز وجل قال الامام ابن الجوزى : و هذا كله بخلاف الشرع و العقل و سوء فهم للمراد بالمال)(١)

---

(١) — تلبيس ابليس لابن الجوزى ١٧٦

و قد أمر الله بحفظ المال و نهى عن تضييعه و اسرافه و تبذيره و عظم قدره لأن المال هو قوام الآدمي و ما جعل قواما للآدمي و به منوطة حياته في هذه الدنيا لأن الانسان اذا لم يعمل و يحصل على رزقه من حلال فمن أين سيحصل ما يسد به رمقه و لقد نهى الله عز وجل عن وضع الأموال في يد السفهاء خشية أن يبددوها في أمور تافهة فقال سبحانه و تعالى :((و لا تؤتوا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قياما و ارزقوهم فيها و اكسوهم و قولوا لهم قولا معروفا))

و نهى الله سبحانه و تعالى عن تسليم المال لغير رشيد لأنه لا يحسن التصرف فيها فيضيعها قال سبحانه :((فان آنستم منهم رشدا فادفعوا اليهم أموالهم و لا تأكلوها اسرافا و بدارا أن يكبروا))(١)

و قد نهى الرسول صلى الله عليه و سلم عن اضاعة المال في الحديث الذى رواه عنه المغيرة بن شعبة رضي الله عنه مرفوعا ان رسول الله صلى الله عليه و سلم قال : ان الله حرم عليكم عقوق الأمهات و وأد البنات و منع و هات و كره لكم قيل و قال و كثرة السؤال و اضاعة المال)(٢)

و قال الرسول صلى الله عليه و سلم لسعد : انك ان تدع ورثتك أغنياء خير لك من أن تدعهم عالة يتكففون الناس (٣)

ثم ان الفقر ليس محبوبا في نفسه بحيث يسعى الانسان ليكون فقيرا بعد أن يبدد ماله و يبقى منه خالي اليد فهذا أمر مخالف لسنة المصطفى صلى الله عليه و سلم و ذلك لأن الرسول صلى الله عليه و سلم تعوذ من الفقر في الحديث الذى روته عائشة رضي الله

---

(١)— النساء آية ٦

(٢)— صحيح البخارى مع الفتح ٥/٦٨

(٣)— مسند أحمد ١/١٧٣

عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه و سلم يدعو بهؤلاء الدعوات : اللهم فانـــي أعوذ بك من فتنة النار و عذاب النار و فتنة القبر و عذاب القبر و من شر فتنة الغنى و من شر فتنة الفقر) الحديث (١)

و عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : (تعوذوا بالله من الفقر و القلة و الذلة و أن تظلم أو تظلم) (٢)

و لكن اذا أصيب الانسان بالفقر فعليه أن يصبر مع بذل الجهد للحصول على لقمة العيش التي يسد بها رمقه و يغني به نفسه عن مذلة السؤال

و من هنا نقول ان الله سبحانه وتعالى قد عظم قدر المال و أمر بحفظه و نهى عن تضييعه فيما لا يرضى الله عز وجل و أن جمع المال و ادخاره لو كان محذورا أو مذموما أو مانعا من الوصول الى ولاية الله كما يزعم المتصوفة لما أمر الله بحفظه عن الضيـــاع ،

و قال الشيخ محمد فهر شقفة رادا على المتصوفة الذين يدعون الى ترك العمـــل و تبديد الأموال و القعود و الجلوس في الأربطة :

(و الدعوة الى البطالة و الكسل و ترك العمل و تبديد المال دعوة خطيرة فـــي المجتمع فيها تعطيل لاعمار الأرض و مخالفة لروح الاسلام فاذا كان الاسلام يتميز فـــي شيء عن الديانة النصرانية سوى العقائد فانه يتميز في تنظيم أمور الدنيا و علاقات الناس و غالبها ينشأ عن الكسب و طلب الرزق و الاسلام دين العمل المنتج و النشاط الدائـم و لم يكن في يوم من الأيام دين بطالة أو كسل و تطفل و رحم الله أبا بكر خرج صبـاح توليه الخلافة ليكسب قوته بعمل يده

---

(١) — صحيح مسلـــم مع النـــووى ١٧ / ٢٨

(٢) — سنـــن ابن ماجـــه ٢ / ١٢٦٣

و الدعوة لترك العمل دعوة الى الفقر و لا يوجد شيء أشد على النفس و المجتمع من الفقر و كان رسول الله صلى الله عليه و سلم يستعيذ من الفقر

و الدعوة لترك العمل دعوة للتخلف و الضعف فان المال و الرزق من أهم أسباب القوة و المنعة و العز و قد حث الاسلام على العمل و رفع شأن العامل و بارك في كسبه قال تعالى :((ليأكلوا من ثمره و ما عملته أيديهم أفلا يشكرون))(١)

و نكتفي بهذا في الرد على المتصوفة الذين زعموا أن الزهد يقتضي عدم القيام بأى عمل يحصل الانسان من ورائه على معيشته الضرورية و أنه لا يجوز لأى أحد أن يدخر شيئا من ماله اذا أراد أن يدخل في زمرة الزهاد بل عليه أن يتجرد من جميع ماله و قد بينا بأن هذا مفهوم باطل و غريب ليس من الاسلام في شيء بل هو مخالف للعقل و الفطرة التي فطر الله الناس عليها لأنه من الأشياء المعلومة ضروريا في هذه الحياة الدنيا أنه لا يمكن أن يعيش أى انسان مهما كان بدون القوت الضرورى الذى يقيم به صلبه على الأقل و لو تجرد الانسان من جميع ماله كما يدعوا المتصوفة الى ذلك فمن أين سيجد الانسان هذا القوت الضرورى ؟ و أظن الاجابة على ذلك ليس أمامه للحصول على رزقه الا التعرض للشحاتة و السؤال و الوقوف أمام أبواب الناس من أجل الحصول على لقمة العيش و بالفعل لقد وقع المتصوفة في هذا و هذا ما سنبينه في الآتي

وقوع المتصوفة في الشحاتة و سؤال الناس بسبب سوء فهمهم للزهد .

لقد وقع المتصوفة في الشحاتة و سؤال الناس فوقفوا أمام بيوت الناس و تسكعوا في الشوارع من أجل الحصول على عيشهم الضرورى و ما أوقعهم في هذا الا سوء فهمهم

---

(١) — يس ٣٥ و الموضوع منقول من كتاب محمد فهر شقفة ١١٤

للزهد في الاسلام حيث ان الاسلام دعا الى العمل و السعي في الأرض للحصول على الرزق الحلال بطرق شرعية فخالفوا ذلك و دعوا الى تعطيل القيام بأى سبب في هذه الدنيا و حرموا الادخار و دعوا الى تجرد الانسان من جميع ماله حتى يدخل في زمرة الزاهدين ثم وقعوا بعد ذلك في حيرة فلم يجدوا طريقا يحصلون على رزقهم عن طريقه الا القيام بالشحاتة و سؤال الناس في الشوارع و البيوت و لم يقف المتصوفة بسؤال الناس فقط مع ما فيه من نهي نبوى عنه و انما دعوا أتباعهم الى هذه الحرفة لما فيها من الحصول على الرزق بدون كد و مدحوا السؤال و الحصول على الرزق عن طريق الشحاتة و التذلل و الخشوع أمام الناس من أجل أن يعطوهم ما يأكلونه و هذا ما سأوضحه فيما يلي ان شاء الله بايراد عبارات تدل على هذا عن أئمتهم الضلال، النصوص التي تدل على أن المتصوفة قاموا بالسؤال و مدحوه .

لقد مدح أقطاب الصوفية و مشائخهم الكبار و قاموا به بأنفسهم و طبقوه في واقع حياتهم و دعوا المريدين لهم الى ممارسة هذه المهنة لأنها هي المهنة التي يمكن أن يقع الانسان في الذل و الهوان أمام الناس و لذا دائما ترى الصوفية يحرضون أتباعهم للتعرض للفاقات و المصائب المالية ثم يحثونهم على سؤال الناس

يقول أبو عبد الله محمد بن ابراهيم بن عباد النفرى الرندى تحت عنوان :

ورود الفاقات أعياد المريدين : . . . . . قال في معرض حديثه عن أحوال المريدين و منهم من مسرته و فرحه بفقدان حظوظه و اعواز أمانيه و أغراضه و هذا هو حال الخاصة من المريدين لأن مدار أمرهم انما هو على مراعاة قلوبهم و تصفية أسرارهم من كدورات الأغيار و الآثار و لا يتأتى لهم ذلك الا بوجدانهم لما يقهرهم من ضرورات الفاقات و أنواع الحاجات و الضرورات فتراهم يؤثرون الفقر على الغنى و الشدة على الرخاء

والذل علـــى العز والمرض على الصحة (١)

وقال أيضا : فواجب أن يكون ورود الفاقات اعبـــاد المريدين فاذا فقدوا ذلك بمواتات الأسباب استشعروا بذلك وجود الحجاب وبعدهم عن محل الاقتراب (٢)

وقال ابراهيم المرابط الحسيني في وصف الصوفية :

بقو بشهـــود الحق من بعد ما فنـــوا عن الكون فاستجلوا ضياء المواهـــب

يداووون أمراض النفـــوس بحطهـــا على ضد ما تهـــوى ذات المصائـــب

ثم قال الأمير عبدالقادر الجزائرى بعد ذكره هذه الأبيات :

(ولذا كان من شرط المريد الفقر بعد الغناء والخفاء بعد الظهور ومراعاة الحق على كل حال وتطهير النفس من الأعراض والأمراض والأحوال)(٣)

وقال الرندى : ورود الفاقات يحصل بها للمريد مزيد كثير من صفاء القلب وطهارة السريرة وقد لا يحصل له ذلك بالصوم والصلاة لأن الصوم والصلاة قد يكون له فيهمـا شهوة وهوى وما كان سبيله هذا لا يؤمن عليه من دخول الآفات فلايفيده تخلية ولا تزكية بخلاف ورود الفاقات فانها مباينة للهوى والشهوة على كل حال (٤)

وقال أبو الحسن الشاذلي : وتصحيح العبودية بملازمة الفقر والعجز والضعف والذل وأضدادها أوصاف الربوبية فمالك ولها فلازم أوصافك وتعلق بأوصافه (٥)

---

(١)ـ غيث المواهب العلية للرندى ٣١

(٢)ـ غيث المواهب العلية للرندى ٣٢

(٣)ـ التصوف للأمير عبدالقادر الحسيني ٣٩

(٤)ـ غيث المواهب العلية للرندى ٣٣

(٥)ـ غيث المواهب العلية للرندى ٣٤

اذا نظرنا في النصوص السابقة كلها نجد أن المتصوفة كلهم دعوا المريدين الى التعرض لجميع المصائب في هذه الدنيا من الفقر و الذل و الهوان أمام جميع البشر في هذه الحياة و أكدوا لهم بأن هذا الطريق هو أفضل طريق لتزكية النفس و تطهيرها بل فضله بعضهم على الصلاة و الصوم كما هو واضح أمامنا و نحن نقول ان هذا افتراء محض فالله سبحانه و تعالى قد أخبرنا بأن العزة لله و لرسوله و للمؤمنين دائما فقال سبحانه :((و لله العزة و لرسوله و للمؤمنين و لكن المنافقين لا يفقهون))(١)

فدعوة المتصوفة للمريدين التعرض لجميع المصائب دعوة باطلة قصدوا من ورائها القضاء على عدد كبير من شباب الأمة الاسلامية عن العمل و جعلهم فقراء يتكففون الناس من أجل الحصول على لقمة العيش و هذا أمر خطير جدا و دعوة خبيثة انتشر بسببها الفقر و التسول في العالم الاسلامي من قبل الشباب الذين قضت الطرق الصوفية على شخصياتهم و عطلت طاقاتهم بسبب اعتناقهم للفكر الصوفي المنحرف الذى يدعوا الى البطالة و البعد عن القيام بأى عمل و لم يكتفوا بهذا بل دعوا أيضا الى القيام بالسؤال و الشحاذة في الطرقات و البيوتات و جعلوه أفضل من الكسب لأنه يسبب الذل و المهانة للمريد فيترقى الى أعلى المقامات .

عبارات المتصوفة و حكاياتهم التي تثبت ان المتصوفة مدحوا السؤال و الشحاذة و طبقوه في واقع حياتهم .

لقد ذكرنا فيما سبق آنفا بأن المتصوفة دعوا المريدين الى التعرض للمصائب و الفاقات بجميع أنواعها ثم دعوهم بعد ذلك الى القيام بسؤال الناس و شحاذتهم في الطرقات و البيوت و هذا ما نريد اثباته هنا

---

(١) — المنافقون آية ٧

يقول أبو بكر النباتي (١):

(أفتى الصوفية بوجوب السؤال على الفقير في بدايته اذا كان واجبا باعتبار بداية السالك و لا عبرة ما اذا كان المريد غنيا أو فقيرا بل عليه أن يسأل لأن هذا السؤال المقصود منه هو تربية الأرواح (٢)

اذا نظرنا في هذا النص نرى بوضوح أن الصوفية يعتبرون سؤال الناس هو الطريق الذى عن طريقه تتم تربية الأرواح و لذا أوجبوها على المريدين كما هو واضح أمامنا و هذا افتراء و كذب فسؤال الناس و التكفف لهم لا يجوز الا عند الاضطرار فقط كالميتة أما أن يكون واجبا أو يكون من الطرق التي يتم عن طريقها تربية الأرواح كما يزعم المتصوفة فليس هذا بصحيح

و يقول عبد القادر الفاسى دفين أبي عجارة من رأس الحنان بأرض فاس . . . فاذا قذف الحق فيها نور وجوده و كشف عنها حجاب الأكوان المانعة من شهوده يشهده حينئذ من هذه حاله من غير كيف في جميع صور وجوده حتى اذا احتاج الى شيء فانه يطلبه منه و يسأله من خزائن جوده اذ ليس معه فيه سواه فيمد يده عند الحاجة الى أى صورة و يتكفف له في عينها في كل وقت من أوقات زمانها و يأكل من خزائن الجود و يكون أكله لذلك من أجل ما يؤكل و سؤاله عند الوصف المذكور من أفضل الأعمال لاقترانه بمشاهدته تعالى و الأخذ منه و الافتقار اليه و اقترانه بوصف الذل الذى هو

---

(١) — هو أبو بكر بن محمد بن عبدالله النباتي الفاسي الرباطي متصوف و توفي في رباط الفتح أقام مدة بفاس فتصوف و علت شهرته في التصوف أكثر من ستين كتابا منها رسائله المسماة "مدارج السلوك" و "الغيث المسجم في شرح الحكم الفطائية" و "الفتوحات القدسية في شرح القصيدة النقشبندية" / أنظر الأعلام للزركلي ٢/٤٥

(٢) — مدارج السلوك ٦

غاية المطلوب من العبد و لا عليه ان لم تزحزحه شهوته و تكدره غفلته فيما يدخل في يده (١)

اذا نظرنا في النص السابق نرى بوضوح أن الفاسي بما أنه يعتقد أن جميع ما في هذا الكون مظاهر و مجالى لله سبحانه و تعالى فالحصول على الرزق عن طريق تكفف أى أحد من البشر في هذه الحياة هو أفضل رزق لأن المتكفف للبشر انما هو متكفف لله سبحانه و تعالى و طلب الرزق من الله و الحصول عليه منه مباشرة هو أفضل رزق و هذه حيلة خبيثة لأكل أموال الناس بالباطل و الا فليس ما في هذا الكون مظاهر و مجالى لله كما يزعم المتصوفة بل الله سبحانه و تعالى مباين لخلقه في ذاته و صفاته و أفعاله و قد بينا ذلك في باب انحراف المتصوفة في مفهوم التوحيد فانظره هناك (٢)

و الذى يهمنا من ايراد هذا النص هنا هو الاثبات بأن المتصوفة يرون الحصول على الرزق عن طريق سؤال الناس هو أفضل طريق

و قال صاحب مدارج السلوك و هو يمدح السؤال و يفضله على الكسب :

(و الخلائق كلهم يتكفون و لا رزاقهم يتعرضون الا أن العامة يتعرضون لها بما تيسر لهم من الأسباب و يتكفونه سبحانه بعوض منهم في زعمهم لرؤيتهم نفوسهم و ملكيتها لما يجمعونه من المعوضات فيأخذون و يدفعون بطريق العوض فيأخذون من نفوسهم و يدفعون بنفوسهم في ظلمة نفوسهم يعمهون بخلاف من جعلوا شعارهم التكفف من غير عوض فانهم يأخذون من الحق اذ لا ملك لهم معه يعوضونه اياه فهم يأخذون من خالص عطائه و فيض جوده و امتنانه فيكون من سؤاله للناس اذن من شيخ مربي و تكفه على هذه الحالة و نفسه مطمئنة بها طعامه حلال و لقمته طيبة لا شوب فيها توكل أحل من

---

(١)— مدارج السلوك ٦

(٢) انظر ٦ — ٧٥٦ — ٧٥٨

غيرها ان وعلى هذا جرى عمل بعض الأشياخ رضي الله عنهم في قديم الزمان وعليه أشياخ هذه الطائفة الزروقية رضي الله عنهم وفي السؤال أسرار أخرى لا تنكر يعرفها الذائقون لها فان لله في كل حالة من الأسرار مالا يصفه واصف ولا يحده عارف ومن أراد تحقيق ما هنالك فليجرب فان الحقائق تظهر في التجريب (١)

وفي هذا النص رائحة عقيدة القول بوحدة الوجود واضحة جدا لأنه اعتبر سؤال الناس والأخذ منهم الأخذ من الله وذلك بناءا على عقيدتهم التي تقول ان كل ما في هذا الكون ما هو الا مظاهر ومجالى لله سبحانه وتعالى وقد رأينا في هذا النص أيضا تفضيله الحصول على الرزق عن طريق العمل للحصول عليه عن طريق السؤال وهذا مخالف للنصوص الشرعية

وقال أيضا : ومن شروط السؤال للمنقطع أربعة : .

١ــ عدم التشوف للأسباب

٢ــ عدم الادخار

٣ــ عدم رؤية الخلق في العطاء والمنع

٤ــ ولا يأخذ الا ما وافق العلم الظاهر فأما ما دامت بقايا الأسباب في النفس فالأسباب أولى (٢)

فالنص واضح في أنه يدعو الى ترك الأسباب وعدم الادخار ثم الاتجاه الى طريق آخر للحصول على الرزق هو سؤال الناس وذلك بعد أن يتخلى عن القيام بأى عمل يحصل عن طريقه على رزقه وهذا أمر مخالف للشرع كما سيتضح لنا أثناء الرد عليهم

---

(١)ــ مدارج السلوك ٧

(٢)ــ مدارج السلوك ٧

و حكى الرندى عن بعض المتصوفة أنه قال :

(صدق الفقير أخذه الصدقة ممن يعطيه لا ممن تقبل اليه على يده فالحق تعالى هو المعطي على الحقيقة لأنه جعلها لهم فان قبلها من الحق فهو الصادق في فقره لعلو همته و من قبلها من الوسائط فهو المتوسم بالفقر مع رداءة همته)(١)

من النصوص السابقة نخرج بخلاصة و هي أن المتصوفة يفضلون الحصول على الرزق عن طريق السؤال و التكفف للناس على الحصول عليه عن طريق الكد و الكدح و هذا مبدأ خطير جدا لو طبقته الأمة الاسلامية لانهار اقتصادها و أصبحت كلا على غيرها و هو لو طبق كفيل بتدمير الأمة و القضاء عليها .

حكايات عن المتصوفة أنفسهم على أنهم بالفعل سألوا الناس

اذا أردنا أن نذكر كل الحكايات التي ذكرها المتصوفة في كتبهم و التي تدل دلالة واضحة على أنهم بالفعل قاموا بالتسول و سؤال الناس في الشوارع بغية حصولهم على الرزق بعد أن دعوا الى الابتعاد عن العمل لكسب الرزق يصعب علينا ذكرها كلها و لذا سأذكر بعض الحكايات التي أثبت بها على أن المتصوفة بالفعل مارسوا التسول و التكفف لأموال الناس في الشوارع و البيوت و أصبحوا عبئا على الأمة الاسلامية عبر التأريخ و اليك نماذج من هذه الحكايات

فقد ذكر السهروردى بأن أحد المتصوفة قال : جعت ذات يوم و كان حالي أن لا أسأل فدخلت بعض المحال ببغداد مجتازا متعرضا لعل الله يفتح لى على يد بعض عباده شيئا فلم يقدر فنمت جائعا فأتى آت في منامي فقال لي اذهب الى موضع كذا و عين

---

(١)— غيث المواهب العلية للرندى ٣٤

الموضع فشم خرقة زرقاء فيها تقطيعات أخرجها في مصالحك (١)

اذا نظرنا في النص السابق نرى بوضوح أن هذا الصوفي دخل بغداد رجاء الحصول على رزقه بالتسول في شوارع بغداد وذلك بعد أن حرم الحصول على الرزق عن طريق الكد والكدح

وروى السهروردي أن عبد الله بن عوف المسعودي كان له ثلاثمائة وستون صديقا يكون عند كل واحد يوما وآخر كان له ثلاثون صديقا يكون عند كل واحد يوما وآخر كان له سبعة اخوان يكون كل يوم من الأسبوع عند واحد (٢)

ورأى بعضهم النوري يسأل الناس قال: فاستعظمت ذلك منه واستغظمته فأتيت الجنيد وأخبرته فقال لي لا يعظم هذا فان النوري لم يسأل الناس الا ليعطيهم سؤلهم في الآخرة فيؤجرون من حيث لا يضره (٣)

وروى أبي سعيد الخراز انه كان يمد يده عند الفاقة ويقول : ثم شيء

ونقل عن أبي جعفر الحداد وكان أستاذا للجنيد أنه كان يخرج بين العشائين ويسأل من باب أو بابين

ونقل عن ابراهيم بن أدهم أنه كان يسأل كل ثلاثة أيام عند فطوره (٤)

ويعتقد المتصوفة ان لله سبحانه وتعالى أبوابا من طريق الحكمة وأبوابا من طريق القدرة فان فتح بابا من طريق الحكمة والا فيفتح بابا من طريق القدرة ويأتيه الشيء بخرق العادة كما كان يأتي مريم عليها السلام : ((كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا قال يا مريم أنى لك هذا قالت هو من عند الله ان الله

---

(١) ــ عوارف المعارف للسهروردي ٩٨

(٢) ــ عوارف المعارف للسهروردي ١٠٢

(٣) ــ عوارف المعارف للسهروردي ١٠٢

(٤) ــ عوارف المعارف للسهروردي ١٠٢

يرزق من يشاء بغير حساب))(١)

و قيل لأبي يزيد ما نراك تشتغل بالكسب فمن أين معاشك فقال : مولاى يرزق الكلب و الخنزير تراه لا يرزق أبـــا يزيد (٢)

وفي هذه النماذج التي ذكرتها عن أئمة التصوف فهي واضحة الدلالة على أن المتصوفة بالفعل مارسوا حرفة التسول و التكفف و السؤال لأموال الناس بعد أن عطلـــوا أتباعهم عن ممارسة أى عمل بحجة أن هذا مناف للزهد الحقيقي في هذه الدنيا و هـــذا فهم خاطيء للزهد الاسلامي المشروع الذى بيناه في المبحث الأول من هذا الفصـل اذ بينا هناك بأن الزهد الحقيقي في هذه الدنيا هو أن يكد الانسان في هذه الحياة الدنيا من أجل الحصول على الرزق الحلال ثم ينفقه في الوجوه المشروعة و أن الزاهد هو الذى يقدم أمور دينه على دنياه و لا يكن همه جمع حطام الدنيا فقط أما أن يتجـرد الانسان من جميع ماله و يحرم الكسب على نفسه ثم ينتظر ما يقدم له من الناس فهـــذا أمر مخالف لمبادىء ديننا الحنيف الذى حث على الكسب و حذر من سؤال النـــاس الا للضـــــرورة

قال الامام ابن الجوزى و هو يتحدث عن المتصوفة الذين فهموا الزهد فهما خاطئـا و دعوا الى التجرد عن كل ما يملكون :

قال : و قد بينا انه كان من أوائل الصوفية يخرجون من أموالهم زهدا فيها و ذكرنـا أنهم قصدوا الخير بذلك الا أنهم غلطوا في هذا الفعل فأما متأخروهم فقد مالوا الـى الدنيا و جمع المال من أى وجه كان ايثارا للراحة و حبا للشهوات فمنهم من يقدر علـى الكسب و لا يعمل و يجلس في الرباط أو المسجد و يعتمدون على صدقات الناس و قلبـه

---

(١) ــ عوارف المعارف ١٠٣

(٢) ــ عوارف المعارف ١٠٣

معلق بطرق الباب و معلوم ان الصدقة لا تحل لغني و لا لذى مرة (أى القدرة) سوى و لا يسألون بمن بعث اليهم فربما بعث الظالم و الماكس فلم يردوه و قد وضعوا في ذلك بينهم كلمات منها تسمية ذلك بالفتوح و منها أن رزقنا لابد أن يصل الينا و منها أنه من الله فلا يرد عليه و لا نشكر سواه و هذا كله خلاف الشريعة و جهل بها و عكس ما كان السلف الصالح عليه فان النبي صلى الله عليه و سلم قال : الحلال بين و الحرام بين و بينهما أمور مشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه و عرضه

و قد قاء أبو بكر الصديق رضي الله عنه من أكل شبهة

و كان الصالحون لا يقبلون عطاء ظالم و لا ممن في حالة شبهة و كثير من السلف لم يقبل صلة الاخوان عفافا و تنزها .... ثم قال ابن الجوزى : ثم أين هؤلاء من الأنفة من الميل الى الدنيا فان النبي صلى الله عليه و سلم قال : (اليد العليا خير من اليد السفلى)(١) و اليد العليا هي اليد المعطية هكذا فسره العلماء و هو الحقيقة و قد تأوله بعض القوم فقال العليا هي الآخذة قال ابن قتيبة : و لا أرى هذا الا تأويل قوم استطابوا السؤال ... ثم قال ابن الجوزى : و لقد دخلت بعض الأربطة فسألت عن شيخه فقيل لى قد مضى الى الأمير فلان يهنئه بخلعة قد خلعت عليه و كان ذلك الأمير من كبار الظلمة فقلت ويحكم ما كفاكم أن فتحتم الدكان حتى تطوفون على رؤوسكم بالسلع يقعد أحدكم عن الكسب مع قدرته عليه معولا على الصدقات و الصلات ثم لا يكفيه حتى يأخذ ممن كان ثم لا يكفيه حتى يدور على الظلمة فيستعطى منهم و يهنئهم بملبوس لا يحل و ولاية لا عدل فيها و الله أنكم أضر على الاسلام من كل مضر (٢)

---

(١) — سنن أبي داوود مع بذل المجهود ٨/١٩١

(٢) — تلبيس ابليس لابن الجوزى ١٨٥—١٨٦

والخلاصة أن المتصوفة بعد أن حرموا القيام بأى سبب يحصلون بسببه على الرزق الحلال ورأوه أنه مناف للزهد الحقيقي ودعوا الى التجرد الكامل من كل ما يملكه الانسان وقعوا في حيرة شديدة لأنهم أتوا ببدعة مرفوضة شرعا وعقلا ولم يجدوا أمامهم الا وسيلة واحدة للحصول على الرزق ألا وهي التسول والتكفف وسؤال الناس أموالهم بالباطل واتخذوا هذه مهنة لهم وكل من ينظر الى المتصوفة ومريديهم في العالم الاسلامي فانه يراهم بأنهم صاروا حملا ثقيلا على الأمة الاسلامية لأنهم لا يقومون بأى عمل وعوام المسلمين وجهالهم يفدقون عليهم الأموال بحجة أنهم أولياء الله المتفرغين للعبادة والذى يهمنا هنا هل السؤال والتسول لأموال الناس ممدوح في الاسلام لكي يحصل الانسان على رزقه عن طريقه أم لا ؟

وهذا ما سأجيب عنه الآن ان شاء الله

حكم السؤال في الاسلام

لقد حذر الاسلام من التسول و التكفف و سؤال الناس و ذمه و وعد عليه و ذكر العاقبة الوخيمة التي تصيب الانسان يوم القيامة بسبب سؤال الناس و التكفف لأموالهم و لم يره من الطرق المشروعة الجائزة للحصول على الرزق عن طريقه فضلا عن أن يكون من أفضل الطرق كما زعم المتصوفة

و اليك الأدلة على ذلك من أقوال الرسول الكريم صلى الله عليه و سلم

فمن الأحاديث التي تدل على ذم السؤال و التكفف لأموال الناس قول الرسول صلى الله عليه و سلم فيما رواه عنه ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال و هو على المنبر و هو يذكر الصدقة و التعفف منها و المسألة ، اليد العليا خير من اليد السفلى و اليد العليا المنفقة و السفلى السائلة (١)

و من الأحاديث التي تدل على ذم السؤال و الحث على العمل قول الرسول صلى الله عليه و سلم فيما رواه عنه أبو هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : لأن يحتزم أحدكم حزمة حطب على ظهره فيبيعها خير من أن يسأل رجلا فيعطيه أو يمنعه (٢)

و من الأحاديث التي تدل على ذم السؤال ما رواه عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : (ما يزال الرجل يسأل حتى يأتي يوم القيامة ليس في وجهه مزعة من لحم)(٣)

قال ابن بطال رحمه الله تعليقا على هذا الحديث : جازاه الله من جنس ذنبه

---

(١) — سنن أبي داوود مع بذل المجهود ٨/١٩١

(٢) — سنن النسائي مع شرح السيوطي ٥/٩٣

(٣) — سنن النسائي مع شرح السيوطي ٥/٩٤

حين بذل ماء وجهه و عنده الكفاية و اذا لم يكن اللحم فتؤذيه الشمس أكثر من غيره وأما من سأل مضطرا فيباح له السؤال و يرجى له أن يؤجر عليه اذا لم يجد عنه بدا (١)

و قال السندى (مزعة لحم) بضم ميم حكى كسرها و فتحها و سكون زاى معجمة و عين مهملة القطعة الكبيرة من اللحم و المراد أنه يجيء ذليلا لا جاه له و لا قدر كما يقال له وجه عند الناس أو ليس له وجه أو أنه يعذب في وجهه حتى يسقط لحمه أو أنه يجعل له ذلك علامة يعرف به و الظاهر ما قيل أنه جازاه الله من جنس ذنبه فانه صرف بالسؤال ماء وجهه عند الناس)(٢)

و عن قبيصة بن مخارق قال سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول :

(لا تصح المسألة الا لثلاثة رجل أصابت ماله جائحة فيسأل حتى يصيب سدادا من عيش ثم يمسك و رجل تحمل حمالة فيسأل حتى يؤدى اليهم حمالتهم ثم يمسك عن المسألة و رجل حلف ثلاثة نفر من قومه من ذوى الحجا بالله لقد حلت المسألة لفلان فيسأل حتى يصيب قواما من معيشة ثم يمسك عن المسألة فما سوى ذلك سحت(٣)

و عن أبي سعيد الخدرى رضي الله عنه قال أن أناسا من الأنصار سألوا رسول الله صلى الله عليه و سلم فأعطاهم ثم سألوه فأعطاهم حتى اذا نفذ ما عنده قال ما يكون عندى من خير فلن أدخره عنكم و من يتعفف يعفه الله و من يستغن يغنه الله و من يتصبر يصبره الله و ما أعطى أحد من عطاء أوسع من الصبر (٤)

و من الأحاديث التي تدل على ذم السؤال و تحث على العمل ما رواه عروة عن أبيه عن جده قال : قال رسول الله صلى الله عليه و سلم :(لأن يأخذ أحدكم حبله فيأتي

---

(١)— شرح جلال الدين السيوطي على سنن النسائي ٥/ ٩٤

(٢)— حاشية السندى على سنن النسائي ٥/ ٩٤

(٣)— سنن النسائي ٥/ ٩٧

(٤)— سنن أبي داوود مع بذل المجهود ٨/ ١٨٦ و النسائي ٥/ ٩٥

الجبل فيأتي بحزمة من حطب على ظهره فيبيعها فيستغني بثمنها خير له من أن يسأل الناس أعطوه أو منعوه)(١)

و عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : (لأن يحتطب أحدكم حزمة على ظهره خير من أن يسأل أحدا فيعطيه أو يمنعه)(٢)

و هكذا الاسلام كما نرى هنا في هذه الأحاديث نهى عن السؤال و حذر منه و عابه و شجع على العمل و وعد عليه الأجر الجزيل و لقد شجع السلف الصالح على العمل و حذروا من التكاسل

قال سعيد بن المسيب رحمه الله: لا خير فيمن لا يجمع المال من حله فيخرج منه حقه ويصون به عرضه .

و قال عمر بن الخطاب : يا معشر الفقراء ارفعوا رؤوسكم و اتجروا فقد وضح الطريق .

و قال عبد الله بن المبارك : من ترك السوق ذهبت مروءته و ساء خلقه (٣)

اذا نظرنا في الأحاديث و الآثار السابقة نخرج بخلاصة واحدة ألا و هي أن الاسلام قد حذر من سؤال الناس و تكففهم و حث على العمل و الكد و الكدح للحصول على الرزق و اعتبر ذلك عملا صالحا يجزى عليه الانسان يوم القيامة خيرا كما هو واضح أمامنا في الأحاديث و الآثار التي ذكرتها و بهذا يظهر لنا بطلان دعوى الصوفية في نهيهم عن العمل بحجة الزهد في الدنيا و حثهم على سؤال الناس و التكفف لأموالهم و اعتبارهم له من أفضل الطرق للحصول على الرزق .

---

(١)— مصنف عبد الرزاق ١١/١١ و كذا مصنف بن أبي شيبة ١٣٩/١

(٢)— صحيح البخاري مع الفتح ٣٠٤/٤

(٣)— تنبيه الغافلين ٦٨—٦٩

نفور الصوفية عن الزواج و تنفير الناس عنه بحجة الزهد في الدنيا و سوء فهمهم للزهد

لقد ابتعد زعماء الصوفية قديما و حديثا عن الزواج الشرعي و لم يكتفوا بابتعادهم عنه بل نفروا الناس عنه بشتى الأساليب المنفرة حيث يعتقد الصوفية بأن البعد عن الزواج و بالتالي عدم الأولاد لأن من لم يتزوج حتما لن يلد يرون هذا المسلك أحسن معين للفقير و أجمع لهمه و ألذ لعيشه و اليك أقوالهم التي وصفوا فيها الزواج بأنه رخص و ليس بسنة من سنن المصطفى صلى الله عليه و سلم و أنه قيود و انهماك في الدنيا و مانع من الوصول الى ولاية الله سبحانه و تعالى و دعا المتصوفة الى هجر الزوجة و الأولاد و السكن في المزابل مع الكلاب من أجل اهانة النفس و تحقيرها و تعذيبها و ذلك زهدا في الدنيا و رجاء الوصول الى ولاية الله حسب زعمهم .

و اليك عباراتهم التي تدل على أنهم نفروا من الزواج بشتى الأساليب

قال السهروردى و هو يذم الزواج و ينفر منه :

(التزوج انحطاط من العزيمة الى الرخص و رجوع من التزوج الى النقص و تقييد بالأولاد و الأزواج و دوران حول مظان الاعوجاج و التفات الى الدنيا بعد الزهادة (١)

و قال السهروردى : من تعود أفخاذ النساء لا يفلح (٢)

و قال أبو سليمان الداراني : ما رأيت أحدا من أصحابنا تزوج فثبت على مرتبته (٣)

و قال أيضا : ثلاث من طلبهن فقد ركن الى الدنيا من طلب معاشا أو تزوج امرأة أو كتب الحديث (٤)

---

(١) ــ عوارف المعارف للسهروردى ١٠٤

(٢) ــ عوارف المعارف للسهروردى ١٠٥

(٣) ــ عوارف المعارف للسهروردى ١٠٤

(٤) ــ عوارف المعارف للسهروردى ١٠٤

و قيل لبشر بن الحارث : ان الناس يتكلمون فيك فقال : ما يقولون قيل : يقولون انه تارك للسنة ــ يعني النكاح ــ فقال : قولوا لهم أنا مشغول بالفرض عن السنة و كان يقول لو كنت أعول دجاجة خفت أن أكون جلادا على الجسر (١)

و يقول السهروردى : فالتجرد عن الأزواج والأولاد اعون على الوقت للفقير و أجمع لهمه و ألذ لعيشه و يصلح للفقير في ابتداء أمره قطع العلائق و محو العوائق و التنقل في الأسفار و ركوب الأخطار و التجرد عن الأسباب و الخروج عن كل ما يكون حجابا (٢)

و قال أيضا و هو يحذر المريدين عن الزواج و يخوفهم منه :

(والصوفي مبتلى بالنفس و مطالبها وهوفي شغل شاغل عن نفسه فاذا انضاف الى مطالبات نفسه مطالبات زوجه يضعف طلبه و تكل ارادته و تفتر عزيمته و النفس اذا أطمعت طمعت و اذا أقنعت قنعت . . . . و قال أيضا : و ينبغي للمريد أن يعرض على نفسه ما يدخل عليه بالنكاح من الدخول في المداخل المذمومة المؤدية الى الذل و الهوان و أخذ الشيء من غير وجهه و ما يتوقع من القواطع بسبب التفات الخاطر الى ضبط المرأة و حراستها و الكف التي لا تنحصر (٣)

و قال أيضا : و لا شك أن المرأة تدعوا الى الرفاهية و الدعة و تمنع عن كثرة الاشتغال بالله و قيام الليل و صيام النهار و يتسلط على الباطن خوف الفقر و محبة الادخار و كل هذا بعيد عن المتجرد (٤)

و ذكر أن بعض الفقراء لما قيل له تزوج قال : أنا أنا أطلق نفس أحوج مني الى التزوج (٥)

---

(١) ــ عوارف المعارف للسهروردى ١٠٥

(٢) ــ نفس المرجع ١٠٤

(٣) ــ نفس المرجع ١٠٥

(٤) ــ نفس المرجع ١٠٥

(٥) ــ نفس المرجع ١٠٥

و يقول سهل بن عبدالله التسترى : اياكم و الاستمتاع بالنساء و الميل اليهن فان النساء مبعدات من الحكمة قريبات من الشيطان و هي مصايده و حظه من بني آدم فمن عطف اليهن بكلية فقد عطف على حظ الشيطان و من حاد عنهن يئس منه و ما مال الشيطان الى أحد كميله الى من استرق بالنساء و أن الشر معهن حيث كن فاذا رأيتم في وقتكم من قد ركن اليهن فايأسوا منه (١)

و قال ابراهيم بن أدهم : اذا تزوج الفقير فمثله مثل رجل قد ركب السفينة فاذا ولد له ولد قد غرق (٢)

هذا فيما يتعلق بتنفير الصوفية عن الزواج قبل وقوعه حتى لا يقع فيه المريد و أما اذا وقع المريد في الزواج و تزوج بالفعل فقد شجعوه على هجران المرأة و عدم قربها و ذلك بذكر حكايات عن أئمة التصوف هجروا نساءهم بعد أن تزوجوهن و لم يقربوهن و اليك نماذج من هذه الحكايات التي قصدوا من ورائها تعذيب النساء

فقد ذكر الشعراني عن ياقوت العرش و هو أحد المتصوفة أنه تزوج ابنة شيخه أبي العباس المرسي فمكثت عنده ثماني عشرة سنة لا يقربها حياء من والدها و منها و فارقها بالموت و هي بكر (٣)

و ذكر الطوسي أن صوفيا تزوج من امرأة فبقيت عنده ثلاثين سنة و هي بكر (٤)

و نقل أبو الحسن الهجويرى عن ابراهيم الخواص أنه قال : وصلت الى قرية بقصد زيارة عظيم كان هناك و لما ذهبت الى داره رأيت بيتا نظيفا مثل معبد الأولياء و قد جعل في راويتين من البيت محرابين و جلس في أحدهما شيخ و في الآخر عجوز نظيفة وصيفة و قد ضعف كلاهما من كثرة العبادة فأظهر السرور بقدومي و بقيت هناك

---

(١) — غيث المواهب العلية للرندى ٢٠٩/٢

(٢) — اللمع للطوسي ٢٦٥

(٣) — الأخلاق المتبولية لعبد الوهاب الشعراني ١٧٩/٣

(٤) — اللمع للطوسي ٢٦٥

ثلاثة أيام و لما أردت العودة سألت الشيخ من تكون لك تلك العفيفة قال هي من ناحية ابنة عمي و من ناحية أخرى زوجي فقلت رأيتكما خلال هذه الأيام الثلاثة كالغريبين تماما في الصحبة قال : نعم منذ خمسة و ستين سنة و نحن كذلك فسألته عن سبب ذلك فقال :اعلم اننا كنا عاشقين لأحدنا الآخر في الصغر و لم يكن أبوها يعطيها لي لأن محبتنا صارت معروفة فتحملت ذلك حتى توفي أبوها و كان والدي عمها فزوجها لي فلما كانت الليلة الأول من تلاقينا قالت لي أنت تعلم أي نعمة أنعمها الله علينا اذ أوصل كلامنا الى الآخر و أفرغ قلبينا من القيود و الآفات السيئة فقلت نعم قالت فلنمنع أنفسنا الليلة عن هوى النفس و نتدرس على مرادنا و نعبد الله شكرا على هذه النعمة فقلت هذا صواب و قالت هذا نفسه في الليلة التالية و قلت أنا في الليلة الثالثة لقد أدينا الشكر ليلتين من أجلك فلنقض ليلتين أيضا في العبادة من أجلي و قد تمت الآن خمسة و ستون عاما لم يمس أحدنا الآخر و نحن نقض كل العمر في شكر النعمة (١)

اذا نظرنا في العبارات السابقة التي أوردتها عن المتصوفة نرى بوضوح كامل و بدلالة صريحة لا غموض فيها كلها فيها تنفير عن الزواج و أنه من الموانع عن الوصول الى ولاية الله و أن البعد عن الزواج و عدم الاقدام عليه أو هجر الزوجة و الأولاد بعد الوقوع عليه هو الطريق الموصل الى ولاية الله سبحانه و تعالى و هذا حسب زعم المتصوفة

---

(١)— كشف المحجوب للهجويري ٢/ ٦٠٨

ثانيا : اثبات مشروعية النكاح بالكتاب والسنة وأقوال العلماء :

تمهيد :

لقد ذكرنا في الفقرة الأولى السابقة أقوال الصوفية التي تدل دلالة صريحة على أنهم يرون النكاح رخصة وليس بعزيمة وبينا بأنهم لم يقفوا عند هذا الحد بل اتخذوا شتى الأساليب لتنفير الناس عن الزواج حيث وصفوه بأوصاف قبيحة تجعل العاصي الجاهل الذى لا يعرف مكانة النكاح في الكتاب والسنة ينفر منه ويبتعد عنه خشية أن يقع في تلك المصائب التي ذكرها الصوفية لكل من أراد أن يقدم على الزواج

وفي هذه الفقرة نريد أن نرد على الصوفية وذلك بذكر الأدلة من الكتاب والسنة واجماع الأمة تثبت مشروعية النكاح وأنه مما رغب فيه الرسول صلى الله عليه وسلم وحث عليه وبهذا سيظهر بطلان دعاوى الصوفية التي ادعوها لكي ينفروا الناس عن الزواج

أولا : الأدلة من الكتاب و السنة و أقوال العلماء التي تثبت مشروعية النكاح .

النكاح مشروع بالكتاب و السنة و الاجماع و اليك بيان ذلك :

أولا : الأدلة من الكتاب على مشروعية النكاح

من الآيات التي تدل على مشروعية النكاح قول الله تعالى : ((فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى و ثلاث و رباع فان خفتم أن لا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم ذلك أدنى أن لا تعولوا و آتوا النساء صدقاتهن نحلة فان طبن لكم عن شيء منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا))(١)

ففي هذه الآية أمر الله سبحانه و تعالى بالنكاح و لو لم يكن النكاح أمرا مشروعا و محمودا لما أمر الله به لأن الله لا يأمر بالمنكر بل يأمر بالمعروف و يعرف مصالح عباده دنيا و أخرى و على هذا يظهر بطلان دعوى الصوفية في أن النكاح ليس بأكثر من رخصة و هذا قول المعتدلين منهم أما المنحرفون انحرافا خطيرا فقد وصفوا الزواج بأنه من العقبات الكبيرة التي تسد المريد من الوصول الى ولاية الله حسب زعمهم

و من الآيات التي تدل على مشروعية النكاح و الحث عليه قول الله تعالى : ((و انكحوا الأيامى منكم و الصالحين من عبادكم و اماءكم ان يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله و الله واسع عليم و ليستعفف الذين لا يجدون نكاحا حتى يغنهم الله من فضله و الذين يبتغون الكتاب مما ملكت أيمانكم فكاتبوهم ان علمتم فيهم خيرا و آتوهم من مال الله الذي آتاكم و لا تكرهوا فتياتكم على البغاء ان أردن تحصنا لتبتغوا عرض الحياة الدنيا و من يكرههن فان الله من بعد اكراههن غفور رحيم))(٢)

ففي هذه الآيات أمر الله سبحانه و تعالى بالنكاح و حذر من أن يكون الفقر عائقا

---

(١) — النساء آية ٣

(٢) — النور آية ٣٢ — ٣٣

من الاقدام على الزواج وتعهد الله سبحانه وتعالى بأن يغني الزوجين من فضلـــه لأن أرزاقه واسعة لا تحصى ولا تنفض ولا تنقطـــع ولأنه عليم بعباده سبحانه

وأمر الذين لا يستطيعون مؤنة النكاح بالصبر الى أن يغنيهم الله سبحانه وتعالى مـــن فضلـــه

وعلى كل الآيات فيها حث على النكاح وترغيب فيه وهذا بخلاف ما ذهب اليـــه المتصوفة حيث حذروا من الاقدام على الزواج وهو مناقضة صريحة لما جاء في الكتـــاب كما هو واضـــح أمامنـــا

وبما أن النكاح من الأشياء التي أحلها الله سبحانه وتعالى فهو من الطيبات وقد نهى الله سبحانه وتعالى عن تحريم الطيبات في كتابه فقال : ((يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين))(١)

قال الامام الطبرى : التبتل الذى أراده عثمان بن مظعون تحريم النساء والطيب وكل ما يلتذ به فلهذا نزل في حقه هذه الآية))(٢)

وبما أن النكاح من الأمور التي أحلها الله فهو من الطيبات وليس من الأشياء التي يجب الهروب عنها والنفور كما يفعل المتصوفة .

ثانيا : الأدلة من السنة على مشروعية النكاح والترغيب فيه

لقد رغب النبي صلى الله عليه وسلم في النكاح في أحاديث كثيرة وحث عليه حثا بليغا وبعبارات مختلفة فمرة رغب فيه بأمر الشباب المستطيعين بالزواج ومرة رغب فيه باعتبار من تزوج استكمل نصف دينه ومرة رغب فيه باعتبار من لم يتزوج مع الاستطاعة ليس منـــه وغير ذلك من الأساليب المتنوعة التي ستتضح لنا الآن في الأحاديث الآتيـــة :

---

(١)— المائـــدة ٨٧

(٢)— البخارى مع الفتح ١١٨/٩

فمن الأحاديث التي تدل على مشروعيةالنكاح ما رواه علقمة قال بينا أنا أمشي مع عبدالله رضي الله عنه فقال : (كنا مع النبي صلى الله عليه و سلم فقال : من استطاع الباءة فليتزوج فانه أغض للبصر و أحصن للفرج و من لم يستطع فعليه بالصوم فانه له وجاء))(١)

و في طريق آخر عن الأعمش قال حدثني ابراهيم عن علقمة قال كنت مع عبدالله فلقيه عثمان بمنى فقال :يا أبا عبد الرحمن ان لي اليك حاجة فخليا فقال لي عثمان هل لك يا أبا عبدالرحمن في أن نزوجك بكرا تذكرك ما كنت تعهد فلما رأى عبدالله أن ليس لي حاجة الى هذا أشار الي فقال يا علقمة فانتهيت اليه و هو يقول أما لئن قلت ذلك لقد قال لنا النبي صلى الله عليه و سلم : (يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليزوج و من لم يستطع فعليه بالصوم فانه له وجاء)(٢)

ففي هذين الحديثين أمر النبي صلى الله عليه و سلم بالنكاح و حث عليه و هذا يدل على مشروعية النكاح و أنه من الأمور التي أمر الله بها رسوله صلى الله عليه و سلم و ما دام أمر به رسول الله صلى الله عليه و سلم فهو من الأشياء الطيبة الفاضلة التي تعين الانسان في دينه و تساعده على الاستقامة وعدم الانحراف وليس كما يدعي المتصوفة بأن الزواج يعتبر عقبة من العقبات التي تكون حاجزا منيعا بين الانسان و وصوله الى ولاية الله سبحانه و تعالى

و قال الامام الحافظ بن حجر رحمه الله تحت هذا الحديث :(خص الشباب بالخطاب لأن الغالب وجود قوة الداعي فيهم الى النكاح بخلاف الشيوخ و ان كان المعنى معتبرا اذا وجد السبب في الكهول و الشيوخ أيضا)(٣)

---

(١)— البخارى مع الفتح ٩/١٠٦ و البيهقي في السنن الصغرى ٣/٧

(٢)— البخارى مع الفتح ٩/١٠٦

(٣)— فتح البارى شرح صحيح البخارى ٩/١٠٨

أما الاجماع فقد أجمع المسلمون كلهم قديما و حديثا على أن النكاح مشروع (١).

حكـــم النكـــاح

لقد ذكرنا فيما سبق الآيات القرآنية و الأحاديث النبوية التي تدل على مشروعية النكاح و الترغيب فيه و ذكرنا الاجماع على ذلك أيضا و هنا نريد أن نذكر أقوال الفقهاء في حكم النكاح و لا نريد هنا أن نذكر قول كل مذهب بعينه و نقارن بين المذاهب و انما نريد أن نذكر جملة من أقوال العلماء في حكم النكاح حتى نؤكد بأنه من الأمور المشروعة و لذا وضع الفقهاء له أحكاما و اليك جملة من أقوال العلماء التي بينوا فيها حكـــم النكـــاح :

قال الامام ابن قدامة المقدسي : و الناس في النكاح على ثلاثة أضرب و هي منهم من يخاف على نفسه الوقوع في المحظور ان ترك النكاح فهذا يجب عليه النكاح في قول عامة الفقهاء لأنه يلزمه اعفاف نفسه و صونها عن الحرام و طريقه النكـــاح

الثاني من يستحب له و هو من له شهوة يأمن معها الوقوع في محظور فهذا الاشتغال به أولى من التخلي لنوافل العبادة و هو قول أصحاب الرأى و هو ظاهر قول الصحابة رضي الله عنهم و فعلهم قال عبدالله بن مسعود : لو لم يبق من أجلي الا عشرة أيام و أعلم أني أموت في آخرها يوما و لي طول النكاح فيهن لتزوجت مخافة الفتنة

و قال ابن عباس لسعيد بن جبير تزوج فان خير هذه الأمة أكثرها نساء

و قال ابراهيم بن ميسرة قال لي طاووس لتنكحن أو لأقولن لك ما قال عمر لأبي الزوائد ما يمنعك عن النكاح الا عجز أو فجور

قال أحمد في رواية المروذى ليست العزبة من أمر الاسلام في شيء و قال : مـــن دعاك الى غير التزويج فقد دعاك الى غير الاسلام و لو تزوج بشر كان قد تم أمـــره

---

(١)— أنظر المغني لابن قدامة ٦/٤٤٥

و قال أيضا : و استدل بهذا الحديث على أن من لم يستطع الجماع فالمطلوب منه ترك التزويج لأنه أرشده الى ما ينافيه و يضعف دواعيه و أطلق بعضهم أنه يكره في حقه (١)

و من الأحاديث التي تدل على مشروعية النكاح و الحث عليه ما أخرجه ابن حبان في صحيحه أن النبي صلى الله عليه و سلم قال : (تزوجوا الودود الولود فاني مكاثر بكم الأمم يوم القيامة)(٢)

و للبيهقي من حديث أبي أمامة : (تزوجوا فاني مكاثر بكم الأمم و لا تكونوا كرهبانية النصارى)(٣)

وعن أنس رضي الله عنه قال : كان رسول الله صلى الله عليه و سلم يأمر بالباءة و ينهى عن التبتل نهيا شديدا و يقول : تزوجوا الودود الولود اني مكاثر الأنبياء يوم القيامة (٤)

اذا نظرنا في الأحاديث السابقة نرى بوضوح أن النبي صلى الله عليه و سلم أمر في الحديث الأول بتزوج امرأة ولودة حتى تكثر الأمة الاسلامية فيباهي بها الرسول صلى الله عليه و سلم الأمم يوم القيامة و لو عمل الناس بما يقوله المتصوفة بدعوتهم الى البعد عن الزواج نهائيا لا يمكن أن يحصل تكاثر الأمة و على هذا فالصوفية محاربون و محادون لأوامر الرسول صلى الله عليه و سلم لأنهم يحاربون أوامره و يصفون من أراد تطبيقها بأنه لا يمكن أن يصل الى ولاية الله سبحانه و تعالى

و في الحديث اعتبر الرسول ترك النكاح و الابتعاد عنه رهبانية كرهبانية النصارى

و في الحديث الثالث نهى الرسول صلى الله عليه و سلم عن التبتل و هو الانقطاع

---

(١)— فتح الباري شرح صحيح البخاري ٩ / ١١٠

(٢)— صحيح ابن حبان ٧ / ٧٨

(٣)— سنن البيهقي ٧ / ٧٨

(٤)— مراد الظمآن الى زوائد ابن حبان بتحقيق حمزة ٣٠٢

عن النكاح نهيا شديدا و معنى هذا أن ترك النكاح ليس من الأمور المرغوبة فيها و لا الجائزة فضلا عن أن يكون طريقا موصلا الى ولاية الله سبحانه و تعالى كما يدعي المتصوفة الدجاجلة

و من الأحاديث التي تدل على مشروعية النكاح و التحذير من تركه مع القدرة على لوازم النكاح قول النبي صلى الله عليه و سلم : (من كان موسرا فلم ينكح فليس منا)(١)

و منها أيضا ما رواه سعد بن أبي وقاص قال سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول : رد رسول الله على عثمان بن مظعون التبتل و لو أذن له لاختصينا (٢)

و قد سأل سعيد بن هشام بن عامر أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها عن التبتل فقالت : لا تفعل أما سمعت قول الله تعالى : (و لقد أرسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم أزواجا و ذرية) فلا تبتل

و عن أبي هريرة رضي الله عنه قال ثلاثة حق على الله اعانتهم المجاهد في سبيل الله و الناكح يريد أن يستعفف و المكاتب يريد الأداء (٣)

و عن عمرو بن العاص عن النبي صلى الله عليه و سلم قال : ان الدنيا متاع و خير متاع الدنيا المرأة الصالحة (٤)

و عن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه و سلم قال : (النكاح سنتي فمن لم يعمل بسنتي فليس مني و تزوجوا فاني مكاثر بكم الأمم يوم القيامة و من كان ذا طول فلينكح و من لم يجد فعليه بالصوم فان الصوم له وجاء)(٥)

---

(١)— سنن الدارمي ٢/١٣٣

(٢)— البخارى مع الفتح ٩/١١٧

(٣)— سنن النسائي ٦/٦١

(٤)— سنن النسائي ٦/٦٦

(٥)— سنن ابن ماجه ١/٥٩٢

و نخرج من هذه الأحاديث كلها ان النكاح من الأمور التي شرعها الله و رسوله محمد صلى الله عليه و سلم و حث عليه الرسول صلى الله عليه و سلم لأهميته و مكانته العظيمة و لهذا فكل من يدعو الناس الى البعد عن الزواج و الهروب عنه و يصفه بأوصاف منفرة يعتبر محادا لله و لرسوله و بالفعل قد وقع المتصوفة في هذا المحذور فأصبحوا يدعون الناس الى الهروب عن الزواج و البعد عنه مخالفين بذلك قول الله عزوجل :((و ما آتاكم الرسول فخذوه و ما نهاكم عنه فانتهوا))(١)

و قوله تعالى :((و ما كان لمؤمن و لا مؤمنة اذا قضى الله و رسوله أن يكون لهم الخيرة من أمرهم و من يعص الله و رسوله فقد ضل ضلالا بعيدا))(٢)

و مخالفين أيضا قول الرسول صلى الله عليه و سلم : (فاذا أمرتكم بشيء فخذوا منه ما استطعتم و اذا نهيتكم عن شيء فانتهوا)(٣)

و الصوفية وقفوا من هذه الآيات موقف الرفض لأنهم نهوا عن الزواج الذى أمر الله به و رسوله و لذا فهم يعتبرون عصاة مخالفين ولا أدرى كيف يزعم المتصوفة بأن البعد عن الزواج من أهم الطرق الموصلة الى الله و أن الوقوع فيه من أهم العقبات التي تحجز عن الوصول الى ولاية الله و الرسول قد أمر به فكيف تكون مخالفة الرسول موصلة الى ولاية الله و طاعته مانعة من الوصول الى ولاية الله ان هذا لافك مبين و بهتان واضح ما أقدم عليه المتصوفة الا لتدمير الأمة الاسلامية و اضعافها و ذلك لأن قلة الاقبال على الزواج ينتج عنه وجود عوانس كثيرة و يؤدى الى تقليل الأمة أيضا الى جانب ما يسببه من انتشار الانحلال و الفساد الخلقي

---

(١)— الحشر ٧

(٢)— الأحزاب ٣٦

(٣)— سنن ابن ماجه ١/٣

القسم الثالث من لا شهوة له اما لأنه لم يخلق له شهوة كالعنين أو كانت له شهوة فذهبت بكبر أو مرض و نحوه ففيه وجهان

أحدهما أنه يستحب له النكاح لعموم الأدلة المتقدمة الآمرة بالزواج

والثاني التخلي عن النكاح أفضل لأنه لا يحصل مصالح النكاح و يمنع زوجته من التحصين و يضر بها بحبسها على نفسه و يعرض نفسه لواجبات و حقوق لعله لا يتمكن من القيام بها و يشتغل عن العلم و العبادة بما لا فائدة فيه و الاخبار تحمل على من له شهوة لما فيها من القرائن الدالة عليها (١)

و قال ابن دقيق العيد و هو يتحدث عن أحكام النكاح :

(قسم الفقهاء النكاح الى الأحكام الخمسة و جعل الوجوب فيما اذا خاف العنت و قدر على النكاح و تعذر التسرى و كذا حكاه القرطبي عن بعض علمائهم و هو المازرى قال فالوجوب في حق من لا ينكف عن الزنا الا به كما تقدم

قال و التحريم في حق من يخل بالزوجة في الوطء و الانفاق مع قدرته عليه و توقانه اليه

و الاستحباب فيما اذا حصل به معنى مقصود من كثرة الشهوة و اعفاف نفس و تحصين فرج و نحو ذلك

و الاباحة فيما انتفت الدواعي و الموانع (٢)

وقال الامام ابن حجر رحمه الله تعالى : و قد قسم العلماء الرجل في التزويج الى أقسام

الأول التائق اليه القادر على مؤنه الخائف على نفسه فهذا يندب له النكاح عند

---

(١)— المغني لابن قدامة ٦/٤٤٦—٤٤٧ و كذلك زاد المستقنع ٦٠—٦١

(٢)— فتح البارى لابن حجر العسقلاني ٩/١١١

الجميع و زاد الحنابلة في رواية أنه يجب و بذلك قال أبو عوانة الاسفراييني من الشافعية و صرح به في صحيحه و هو قول داوود و أتباعه

و قال المازري الذى نطق به مذهب مالك أنه مندوب و قد يجب عندنا في حق من لا ينكف عن الزنا الا به

و قال القرطبي : المستطيع الذى يخاف الضرر على نفسه و دينه من العزوبة بحيث لا يرتفع عنه ذلك الا بالتزويج لا يختلف في وجوب التزويج عليه (١)

و قال القاضي عياض و هو يتحدث عن أحكام النكاح :

(النكاح مندوب حق في كل من يرجى منه النسل و لو لم يكن له في الوطء شهوة و كذا في حق من له رغبة في نوع من الاستمتاع بالنساء غير الوطء فأما من لا نسل له و لا ارب له في النساء و لا في الاستمتاع فهذا مباح في حقه اذا علمت المرأة بذلك و رضيت) (٢)

و قال أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي :

(النكاح فرض على كل قادر على الوطء ان وجد من أين يتزوج أو يتسرى أن يفعل أحدهما و لابد فان عجز عن ذلك فليكثر من الصوم

و قد استدل ابن حزم بقوله صلى الله عليه و سلم : (يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج و من لم يستطع فعليه بالصوم فانه له وجاء) (٣)

و قال الامام الشافعي : و أحب للرجل و المرأة اذا تاقت أنفسهما اليه أن يتزوجا لأن الله تعالى أمر به و رضيه و ندب اليه و بلغنا أن النبي صلى الله عليه و سلم قال :

---

(١) — فتح البارى لابن حجر العسقلاني ٩ / ١١٠

(٢) — نيل الأوطار للشوكاني ٦ / ١١٨

(٣) — سبق تخريجه أنظر المحلى لابن حزم ٩ / ٤٤٠ أنظر صـ ٧٦٦

(تناكحوا تكثروا فاني أباهي بكم الأمم حتى بالسقط وأنه قال : من أحب فطرتي فليستن بسنتي ومن سنتي النكاح)(١)

قلت والذى أراه راجحا من أقوال العلماء هو أن النكاح واجب على كل قادر عليه ويخشى الوقوع على الزنا ان لم يتزوج وذلك للأدلة الواردة في الأمر بالنكاح ولأن وقوعه في الزنا لا قدر الله يعتبر معصية ولا يمكن الوقاية من هذه المعصية الا بالزواج وما لم يتم الواجب الا به فهو واجب

وأما الذى لا يخشى الوقوع على الزنا مع وجود الشهوة فيه وتوقانه للنساء فانه عليه أن يتزوج أيضا تنفيذا لأمر الرسول وتطبيقا لسنته وتكثيرا للأمة فان الرسول صلى الله عليه وسلم حث على الزواج ورغب فيه فينبغي الحرص على اتيان السنة بقدر الامكان

وأما الذى لا يقدر على النكاح بأن يكون لا شهوة له نهائيا فهذا لا يجوز أن يتزوج لأنه لا يستطيع أن يقوم بحقها ومن أهم حقوقها الوطء وهو عاجز عنه الا اذا كانت المرأة على علم به قبل الزواج ورضيت به فحينئذ لا مانع

وأما قول ابن حزم بفرضية الزواج فهذا مرجوح ولو كان كذلك لكان فرض عين على كل شخص وأثم بتركه كل من لم يتزوج على الاطلاق وهذا لم يقل به غيره من العلماء فقد انتقل كثير من العلماء الكبار من هذه الدنيا ولم يتزوج .

هل الأفضل النكاح أم التفرغ لعبادة الله

لقد اختلف العلماء في المفاضلة بين النكاح والتفرغ للعبادة

فممن ذهب الى أفضلية التفرغ للعبادة على النكاح الامام الشافعي فقد قال رحمه الله :

---

(١) — مختصر اسماعيل بن يحى المزني بهامش كتاب الأم للشافعي ص ٢٥٥

(التخلي للعبادة أفضل لأن الله تعالى مدح يحيى عليه السلام فقال : (وسيدا و حصورا و نبيا من الصالحين)) والحصور الذى لا يأتي النساء فلو كان النكاح أفضل لما مدح بتركه و قال تعالى : ((زين للناس حب الشهوات من النساء و البنين و القناطير المقنطرة من الذهب و الفضة))

و هذا في معرض الذم و لأنه عقد معاوضة فكان الاشتغال بالعبادة أفضل منه كالبيع (١)

و ممن ذهب الى أن النكاح أفضل من الاشتغال بعبادة الله الحنابلة و قد قال ابن قدامة لكي يثبت بأن النكاح أفضل من العزوبة و التفرغ لعبادة الله

(و لنا ما تقدم من أمر الله تعالى به و رسوله و حثهما عليه

و قال صلى الله عليه و سلم : (ولكني أصوم و أفطر و أصلي و أرقد و أتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني) (٢)

و قال سعد لقد رد صلى الله عليه و سلم على عثمان بن مظعون التبتل و لو أحله لاختصينا (٣)

و عن أنس قال كان النبي صلى الله عليه و سلم يأمرنا بالباءة و ينهى عن التبتل نهيا شديدا و يقول : (تزوجوا الولود الودود فاني مكاثر بكم الأمم يوم القيامة) (٤)

و هذا حث شديد على النكاح يقربه إلى الوجوب و وعيد شديد على تركه يقربه إلى التحريم . ولو كان التخلي أفضل لانعكس الأمر

---

(١) — المغني لابن قدامة ٦/٤٤٧ والآية الأولى آل عمران ٣٩ والثانية ٤ آل عمران

(٢) — سبق تخريجه أنظر ص ٧٦٩

(٣) — سبق تخريجه أنظر ص ٧٦٩

(٤) — سبق تخريجه أنظر ص ٧٦٨

ولأن النبي صلى الله عليه وسلم تزوج وبالغ في العدد وفعل ذلك أصحابه ولا يشتغل النبي صلى الله عليه وسلم الا بالأفضل ولا يجتمع الصحابة على ترك الأفضل والاشتغال بالأدنى ومن العجب أن من يفضل التخلي لم يفعله فكيف اجتمعوا على النكاح في فعله وخالفوه في فضله فما كان فيهم من يتبع الأفضل عنده ويعمل بالأدنى ولأن مصالح النكاح أكثر فانه يشتمل على تحصين الدين واحرازه وتحصين المرأة وحفظها والقيام بها وايجاد النسل وتكثير الأمة وتحقيق مباهاة النبي صلى الله عليه وسلم وغير ذلك من المصالح الراجح أحدها على نفل العبادة بمجموعها (١)

وقال منصور بن يونس البهوتي : وفعله مع الشهوة أفضل من نوافل العبادات لاشتماله على مصالح كثيرة كتحصين فرجه وزوجته والقيام بها وتحصين النسل وتكثير الأمة وتحقيق مباهات النبي وغير ذلك (٢)

وقال صاحب الروض الندى :

(والاشتغال بالنكاح مع الشهوة أفضل من تفرغ لنفل عبادة لاشتماله على مصالح كثيرة من تحصين الفرج وتكثير الأمة وتحقيق مباهاته عليه السلام وغير ذلك (٣)

وقال الامام أحمد : ويسن مع شهوة النكاح لمن لم يخف الزنا وهو حينئذ أفضل من تفرغ لنفل عبادة (٤)

---

(١)— المغني لابن قدامة ٦/٤٤٧

(٢)— زاد المستقنع لمنصور بن يونس البهوى ٦٠—٦١

(٣)— الروض الندى شرح كاف المبتدى ٣٥٠

(٤)— كاف المبتدى للامام أحمد ١٤٩

والراجح في نظرى والله أعلم هو ما ذهب اليه الحنابلة من أن الاشتغال بالنكاح أفضل من التفرغ الكامل لنوافل العبادات وذلك للأمور الآتية

أولا : النكاح أمر به الرسول صلى الله عليه وسلم في سنته وحث عليه ورغب فيه أشد الترغيب ولأن الزواج لا يكون عائقا لمن أراد أن يقوم بنوافل العبادات فلا تناقض بينهما ولا تعارض ولأن الاشتغال بالنكاح والعمل والكدح لأجل الحصول على الرزق الذى ينفقه الانسان أيضا عبادة ولأن الأدلة التي ذكرها الحنابلة قوية جدا وهي تصرح محل النزاع بينما الأدلة التي استدل بها مخالفوهم ما هي الا أدلة عامة ليست نصا في محل النزاع

ولأن النبي صلى الله عليه وسلم لم يقر الذين أتوا الى بيته ليسألوا عن عبادته فلما أخبروا بها رأوها قليلة فنذر أحدهم أن يصلي كل الليل ونذر الآخر أن يصوم كل الدهر ونذر الآخر أن يعتزل النساء ولا يتزوج فالرسول صلى الله عليه وسلم لم يقرهم على هذا بل نهاهم عنه ولو كان التفرغ للعبادة أفضل من النكاح لما نهاهم الرسول عن فعلهم هذا بل لأقرهم عليه وهذا نص الحديث

فقد روى أنس بن مالك رضي الله عنه بأنه جاء ثلاثة رهط الى بيوت النبي صلى الله عليه وسلم يسألون عن عبادة النبي صلى الله عليه وسلم فلما أخبروا كأنهم تقالوها وأين نحن من النبي صلى الله عليه وسلم قد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر قال أحدهم أما أنا فأنا أصلي الليل أبدا وقال آخر أنا أصوم الدهر ولا أفطر وقال آخر أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدا فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أنتم الذين قلتم كذا وكذا أما والله اني لأخشاكم لله وأتقاكم له لكني أصوم وأفطر وأصلي وأرقد وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني (١)

---

(١) — صحيح البخارى مع الفتح ٩/١٠٤

قال الامام ابن حجر رحمه الله في الفتح : (المراد بالسنة في قوله صلى الله عليه و سلم (فمن رغب عن سنتي فليس مني) المراد بالسنة هنا الطريقة لا التي تقابل الفرض و الرغبة عن الشيء لا الاعراض عنه الى غيره

و المراد من ترك طريقتي و أخذ بطريق غيرى فليس مني و لمح بذلك الى طريق الرهبانية فانهم الذين ابتدعوا التشديد كما وصفهم الله تعالى و قد عابهم بأنهم ما وفوه بما التزموه و طريقة النبي صلى الله عليه و سلم الحنيفة السمحة فيفطر ليتقوى على الصوم و ينام ليتقوى على القيام و يتزوج ليكسر الشهوة و اعفاف النفس و تكثير النسل . و قوله صلى الله عليه و سلم (فليس مني) ان كانت الرغبة بضرب من التأويل يعذر صاحبه فيه فمعنى (فليس مني) أى على طريقتي و لا يلزم أن يخرج عن الملة

و ان كان اعراضا و تنطعا يفضي الى اعتقاد أرجحية عمله فمعنى (فليس مني) ليس على ملتي لأن اعتقاد ذلك نوع من الكفر

ثم قال : و في الحديث دلالة على فضل النكاح و الترغيب فيه و فيه تتبع أحوال الأكابر للتأسي بأفعالهم و أنه اذا تعذرت معرفته من الرجال جاز استكشافه من النساء و أن من عزم على عمل و احتاج الى اظهاره حيث يأمن الرياء لم يكن ذلك ممنوعا (١)

و قال الطبرى و هو يتحدث عن الأحكام المستفادة من هذا الحديث : فيه الرد على من منع استعمال الحلال من الأطعمة و الملابس و آثر غليظ الثياب و خشن المأكل (٢)

---

(١) — فتح البارى ٩/١٠٥

(٢) — فتح البارى ٩/١٠٦

والخلاصة أن ترك الزواج بقصد الزهد فيه ليس زهدا مشروعا بل هو زهد مبتدع و ما دام مبتدعا فليس فيه خيرا بل هو ضلال مبين لأن كل البدع الدينية ضلالة كما قال الرسول صلى الله عليه و سلم : (كل بدعة ضلالة و كل ضلالة في النار)(١)

و ما دام كل ضلالة في النار وأن كل بدعة على الاطلاق بدون استثناء ضلالة فان ترك الزواج والبعد عنه ما هو الا ضلالة لا يوصل صاحبه الا الى البعد عن الله لأنه مخالفة لما شرعه الله و أمر به رسوله محمد صلى الله عليه و سلم و لا يمكن محاداة الله و رسوله أن تكون موصلة الى ولاية الله بأى حال من الأحوال و لهذا فزعم المتصوفة أن البعد عن الزواج و الهروب عنه من الطرق الموصلة الى الله ما هو الا زعم باطل و خيال فاسد أتوا به من عند أنفسهم متأثرين برهبان النصارى الذين يبتعدون عن الزواج الرسمي و يمارسون كل أنواع الدعارة في معابدهم الشركية فكذلك الصوفية يهربون عن الزواج و ينفرون عنه الناس ثم يمارسون أنواع الفواحش في خوانقهم ومشاهدهم المنصوبة على القبور مع المردان

و قد ذكر الامام ابن الجوزى حكايات كثيرة تثبت بأن المتصوفة بالفعل ابتلوا بحب المرد وعشقهم و مصاحبتهم و ذلك بعد أن أعرضوا عما شرعه الله و هو قضاء الشهوة بطريقة مشروعة و ذلك بأن يتزوج الانسان على كتاب الله و سنة رسول الله صلى الله عليه و سلم

و اليك نماذج من هذه الحكايات حتى تعرف جيدا بأن كل من يحرم ما أحل الله من الطيبات لابد و أن يقع فيما حرم الله من الخبائث

قال الامام ابن كثير : (اعلم أن أكثر الصوفية المتصوفة قد سذوا على أنفسهم

---

(١)— سنن النسائي ٣/ ١٥٣

باب النظر الى النساء الأجانب لبعدهم عن مصاحبتهن و امتناعهم عن مخالطتهن و اشتغلوا بالتعبد عن النكاح و اتفقت صحبة الأحداث لهم على وجه الارادة و قصدوا الزهادة فأمالهم ابليس اليهم)(١)

و ذكر ابن الجوزى عن عبدالله بن الزبير الحنفي أنه قال كنت جالسا مع أبي النضر الفنوى و كان من المبرزين العابدين فنظر الى غلام جميل فلم تزل عيناه واقعتين عليه حتى دنا منه فقال سألتك بالله السميع و عزه الرفيع و سلطانه المنيع الا وقفت على أروى من النظر اليك فوقف قليلا ثم ذهب ليمض فقال له سألتك بالحليم المجيد الكريم المبدى المعيد الا ما وقفت فوقف ساعة فأقبل يصعد النظر اليه و يصوبه ثم ذهب ليمض فقال سألتك بالواحد الأحد الجبار الصمد الذى لم يلد و لم يولد الا وقفت ساعة فوقف ساعه فنظر اليه طويلا ثم ذهب ليمض فقال سألتك باللطيف الخبير السميع البصير و بمن ليس له نظير الا وقفت فوقف فأقبل ينظر اليه ثم أطرق رأسه الى الأرض و مضى الغلام فرفع رأسه بعد وقت طويل و هو يبكي فقال قد ذكرني هذا بنظرى اليه وجها جل عن التشبيه و تقدس عن التمثيل و تعاظم عن التحديد و الله لأجهدن نفسي في بلوغ رضاه بمجاهدتي جميع أعدائه و موالاتي لأوليائه حتى أصير الى ما أردته من نظرى الى وجهه الكريم و بهائه العظيم و لوددت أنه قد أراني وجهه و حبسني في النار ما دامت السماوات و الأرض ثم غشي عليه (٢)

و ذكر ابن الجوزى أيضا أن خير النساج قال : كنت مع محارب بن حسان الصوفي في مسجد الخيف و نحن محرمون فجلس الينا غلام جميل من أهل المغرب فرأيت محاربا ينظر اليه نظرا أنكرته فقلت له بعد أن قام : انك محرم في شهر حرام في بلد حرام في مشعر

---

(١) — تلبيس ابليس لابن الجوزى ٢٦٤

(٢) — تلبيس ابليس لابن الجوزى ٢٦٦

حرام و قد رأيتك تنظر الى هذا الغلام نظرا لا ينظره الا المفتونون . فقال لي : تقول هذا يا شهواني القلب و الطرف ألم تعلم أنه قد منعني من الوقوع في شرك ابليس ثلاث . فقلت : و ما هي ؟ قال : سر الايمان و عفة الاسلام و أعظمها الحياء من الله تعالى أن يطلع علي و أنا جاثم على منكر نهاني عنه ثم صعق حتى اجتمع الناس علينا (١)

ثم قال الامام ابن الجوزى بعد ذكره هاتين الحكايتين : قلت : انظروا الى جهل الأحمق الأول و رمزه الى التشبيه و ان تلفظ بالتنزيه و الى حماقة هذا الثاني الذى ظن أن المعصية هي الفاحشة فقط و ما علم أن نفس النظر بشهوة يحرم و محا عن نفسه أثر الطبع بدعواه التي تلذ بها شهوة النظر

ثم قال ابن الجوزى : و قد حدثني بعض العلماء أن صبيا أمرد حكى له قال : قال لي فلان الصوفي و هو يحبني : يا بني لله فيك اقبال و التفات حيث جعل حاجتي اليك

و حكى أن جماعة من الصوفية دخلوا على أحمد الغزالي و عنده أمرد و هو خال به و بينهما ورد و هو ينظر الى الورد تارة و الى الأمرد تارة فلما جلسوا قال بعضهم لعلنا كدرنا فقال اى و الله فتصايح الجماعة على سبيل التواجد

و حكى أبو الحسين بن يوسف أنه كتب اليه في رقعة انك تحب غلامك التركي فقرأ الرقعة ثم استدعى الغلام فصعد اليه النظر فقبله بين عينيه و قال هذا جواب الرقعة

قال الامام ابن الجوزى رحمه الله بعد ذكره لهذه الحكاية الأخيرة : اني لا أعجب من فعل هذا الرجل و القائه جلباب الحياء عن وجهه و انما أعجب من البهائم الحاضرين كيف سكتوا عن الانكار عليه و لكن الشريعة بردت في قلوب كثير من الناس (٢)

و قال ابن الجوزى أيضا : و بلغني عن هذه الطائفة التي تسمع السماع أنها تضيف اليه النظر الى وجه الأمرد و ربما زينته بالحلي و المصبغات من الثياب و الحواشي وتزعم

---

(١) — تلبيس ابليس لابن الجوزى ٢٦٧ (٢) — نفس المرجع ٢٦٧—٢٦٨

أنها تقصد به الازدياد في الايمان بالنظر والاعتبار والاستدلال بالصنعة على الصانع وهذه النهاية في متابعة الهوى ومخادعة العقل ومخالفة العلم قال الله تعالى ((وفي أنفسكم أفلا تبصرون))(١) وقال :((أفلا ينظرون الى الابل كيف خلقت))(٢) وقال :((أولم ينظروا في ملكوت السماوات والأرض))(٣)

فعدلوا عما أمرهم الله به من الاعتبار الى ما نهاهم عنه وانما تفعل هذه الطائفة ما ذكرناه بعد تناول الألوان الطيبة والشهية فاذا استوفت منها نفوسهم طالبتهم بما يتبعها من السماع والرقص والاستمتاع بالنظر الى وجوه المرد ولو أنهم تقللوا من الطعام لم يحنوا الى سماع ونظر))(٤)

ونقل ابن الجوزى عن أبي حمزة الصوفي قال : كان عبدالله بن موسى من رؤساء الصوفية ووجوههم فنظر الى غلام حسن في بعض الأسواق فمال به وكاد يذهب عقله عليه صبابة وحبا وكان يقف كل يوم في طريقه حتى يراه اذا أقبل واذا انصرف فطال به البلاء وأقصده عن الحركة الضعا وكان لا يقدر أن يمشي خطوة فأتيته يوما لأعوده فقلت يا أبا محمد ما قصتك وما هذا الأمر الذى بلغ بك ما أرى فقال أمور امتحنني الله بها فلم أصبر على البلاء فيها ولم يكن لي بها طاقة ورب ذنب يستصغره هو عند الله أعظم من كبير وحقيق بمن تعرف للنظر الحرام أن تطول به الأسقام))(٥)

ونقل عن أبي حمزة أيضا أنه قال : نظر محمد بن عبدالله بن الأشعث الدمشقي وكان من خيار عباد الله الى غلام جميل فغشي عليه فحمل الى منزله واعتاده

---

(١) — الذاريات آية ٢١ (٢) — الغاشية آية ١٧

(٣) — الأعراف آية ١٨٥ (٤) — تلبيس ابليس ٢٦٨

(٥) — تلبيس ابليس ٢٧١

السقم حتى أقعد من رجليه و كان لا يقوم عليهما زمانا طويلا فكنا نأته نعوده ونسأله عن حاله و أمره و كان لا يخبرنا بقصة و لا سبب مرضه و كان الناس يتحدثون بحديث نظره فبلغ ذلك الغلام فأتاه عائد فهش اليه و تحرك و ضحك في وجهه و استبشر برؤيته فما زال يعوده حتى قام على رجليه و عاد الى حالته فسأله الغلام يوما أن يسير معه الى منزله فأبى أن يفعل فسألني أن أسأله أن يتحول اليه فسألته فأبى أن يفعل ذلك فقلت للشيخ و ما الذى تكره من ذلك فقال لست بمعصوم من البلاء و لا آمن من الفتنة و أخاف أن يقع علي من الشيطان محنة فتجرى بيني و بينه معصية فأكون من الخاسرين (١)

و قال ابن الجوزى و هو يتحدث عن المتصوفة الذين ابتلوا بمصاحبة الغلمان المرد و حبهم و عشقهم : (و منهم من فرق بينه و بين حبيبه فقتل حبيبه . بلغني عن بعض الصوفية أنه كان في رباط عندنا ببغداد و معه صبي في البيت الذى هو فيه فشنعوا عليه و فرقوا بينهما فدخل الصوفي الى الصبي و معه سكين فقتله و جلس عنده يبكي فجاء أهل الرباط فرأوه فسألوه عن الحال فأقر بقتل الصبي فرفعوه الى صاحب الشرطة فأقر فجاء والد الصبي يبكي فجلس الصوفي يبكي و يقول له بالله عليك الا ما أخذتني به فقال الآن قد عفوت عنك فقام الصوفي الى قبر الصبي فجعل يبكي عليه ثم لم يزل يحج عن الصبي و يهدى له الثواب)(٢)

و قال ابن الجوزى أيضا : (و من هؤلاء من قارب الفتنة فوقع فيها و لم تنفعه دعوى الصبر و المجاهدة و قد نقل ابن الجوزى هذه الحكاية عن ادريس بن ادريس قال : حضرت بمصر قوما من الصوفية . و لهم غلام أمرد يغنيهم قال : فغلب على رجل منهم

---

(١)— تلبيس ابليس ٢٧٢

(٢)— تلبيس ابليس ٢٧٢

أمره فلم يدر ما يصنع فقال يا هذا قل لا اله الا الله فقال الغلام لا اله الا الله فقال : أقبل الفم الذى قال لا اله الا الله)(١)

و ذكر ابن الجوزى أيضا عن بن الحسين أنه قال : كل ما رأيتموني أفعله فافعلوه الا صحبة الأحداث فانها أفتن الفتن و لقد عاهدت ربي أكثر من مائة مرة أن لا أصحب حدثا ففسخها على حسن الخلق و قوام القدوة و غنج العيون و ما سألني الله معهم عن معصية)(٢)

قال ابن الجوزى بعد هذه الحكاية : قلت هذا الرجل قد فضح نفسه في شيء ستره الله عليه و أخبر أنه كلما رأى فتنة نقض التوبة فأين عزائم التصوف في حمل النفر على المشاق ثم ظن بجهله أن هي الفاحشة فقط و لو كان له علم لعلم أن صحبتهم و النظر اليهم معصية فانظر الى الجهل كيف يصنع بأربابه (٣) .

فهذه الحكايات التي ذكرها ابن الجوزى عن المتصوفة تثبت لنا اثباتا مؤكدا بأن المتصوفة بالفعل بعد أن ابتعدوا عن الزواج و نفروا عنه مريديهم اتجهوا الى وجهة أخرى ألا و هي صحبة المردان و الأحداث و ابتلوا بهم كما هو واضح في الحكايات التي سبق ذكرها و هكذا فالصوفية فروا من شيء أحله الله فوقعوا فيما حرم الله فجمعوا بين تحريم الحلال و تحليل الحرام

و لو كان لهم شيء من العلم بالكتاب و السنة لما وقعوا في هذه المتاهات و تخبطوا في هذا الظلام الحالك من الجهل الفاضح

فالله سبحانه و تعالى قد أمر المؤمنين و المؤمنات بغض الأبصار عن كل ما

---

(١) — تلبيس ابليس ٢٧٣

(٢) — تلبيس ابليس ٢٧٣

(٣) — تلبيس ابليس ٢٧٣

يسبب الفتنة سواء كان امرأة أو شابا أو أمردا يخاف من النظر اليه الوقوع في الفتنة قال تعالى :((قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم و يحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم والله خبير بما تعملون))(١)

و قال تعالى :((و قل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن و يحفظن فروجهن ذلك أزكى لهن))(٢)

و هذا أمر عام بغض النظر عن كل شيء يخاف منه الفتنة

و قد ورد الشرع بالنهي عن مجالسة المردان و أوصى العلماء بذلك فعن أنس ابن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه و سلم :(لا تجالسوا أبناء الملوك فان النفوس تشتاق اليهم ما لا تشتاق اليه الجوارى العواتق)(٣)

و عن أبي هريرة رضي الله عنه عن الرسول صلى الله عليه و سلم قال :(لا تملأوا أعينكم من أولاد الملوك فان لهم فتنة أشد من فتنة العذارى)(٤)

و عن الشعبي قال : قدم وفد عبدالقيس على رسول الله صلى الله عليه و سلم و فيهم غلام أمرد ظاهر الوضاءة فأجلسه النبي عليه الصلاة و السلام وراء ظهره)(٥)

و عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : نهى رسول الله صلى الله عليه و سلم أن يمد الرجل النظر الى الغلام الأمرد (٦)

---

(١)— النور آية ٣٠

(٢)— النور آية ٣١

(٣)— تلبيس ابليس لابن الجوزى ٢٧٤

(٤)— تلبيس ابليس لابن الجوزى ٢٧٤

(٥)— تلبيس ابليس لابن الجوزى ٢٧٤

(٦)— تلبيس ابليس لابن الجوزى ٢٧٤

و قال عمر بن الخطاب : ما أتى على عالم من سبع ضار أخوف عليه من غلام أمرد

و قال أيضا : لا تجالسوا أولاد الأغنياء فان لهم صور كصور النساء و هم أشد فتنة من العذارى (١)

و قال ابن معين : ما طمع أمرؤ بصحبتي (٢)

---

(١) — تلبيس ابليس لابن الجوزى ٢٧٤

(٢) — تلبيس ابليس لابن الجوزى ٢٧٥

الفصل الثاني : انحرافهم في مفهوم الجهاد مع ذكر نماذج من مواقفهم من أعداء

الأمة الاسلامية عبر التأريخ

وتحته مبحثان

المبحث الأول : مكانة الجهاد في سبيل الله في الاسلام

المبحث الثاني : انحرافهم في مفهوم الجهاد و موقفهم من أعداء الأمة الاسلامية عبر التأريخ

المبحث الأول :مكانة الجهاد في سبيل الله في الاسلام

تمهيد

يعتبر الجهاد في سبيل الله لاعلاء كلمة الله سبحانه و تعالى و كبح جماح الكافرين و الملحدين من الفرائض التي فرضها الله على الأمة الاسلامية و ذلك حتى يكون الطريق ممهدا لنشر الدعوة الاسلامية و حتى يعطي الكفرة الجزية عن يد و هم صاغرون و قد أمر الله بالجهاد في سبيله في آيات كثيرة من كتابه و منها قوله تعالى :((يا أيها النبي جاهد الكفار و المنافقين و اغلظ عليهم و مأواهم جهنم و بئس المصير))(١)

و قوله تعالى :((يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم تؤمنون بالله و رسوله و تجاهدون في سبيل الله بأموالكم و أنفسكم ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون))(٢)

و قوله تعالى :((و قاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة و اعلموا ان الله مع المتقين))(٣)

و قوله تعالى :((اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم و خذوهم و احصروهم و اقعدوا لهم كل مرصد فان تابوا و أقاموا الصلاة و آتوا الزكاة فخلوا سبيلهم ان الله غفور رحيم))(٤)

و قوله تعالى :((انفروا خفافا و ثقالا و جاهدوا بأموالكم و أنفسكم في سبيل الله ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون))(٥)

و قوله تعالى :((يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة و اعلموا أن الله مع المتقين))(٦)

---

(١)— التحريم ٩
(٢)— الصف ١٠
(٣)— التوبة ٣٦
(٤)— التوبة ٥
(٥)— التوبة ٤١
(٦)— سورة التوبة ١٢٢

و قوله تعالى : ((قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله و لا باليوم الآخر و لا يحرمون ما حرم الله و رسوله و لا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد و هم صاغرون))(١)

فالآيات المتقدمة كلها تدل على مكانة الجهاد العظيمة في الاسلام و أنه من الأشياء التي أمر الله بها عباده المؤمنين و ذلك لأن بالجهاد يتم فتح الطريق أمام الدعاة الى الله لنشر دعوة الحق في هذه المعمورة لاخراج الناس من ظلمات الكفر و الشرك و الالحاد و الوثنية الى نور الاسلام و لذا فقد كان الجهاد قائما منذ أن فرضه الله تعالى على هذه الأمة حيث كان الخلفاء يجيشون الجيوش و يبعثونها لفتح البلاد التي يسيطر عليها الطغاة و ما أن وضعت الأمة سيف الجهاد حتى أصبحت بالذل والهوان فأصبحت يلعب بها أعداؤها من الكفرة و الملحدين و الوثنيين حيث أننا لو شاهدنا أحوال الأمة الاسلامية اليوم فاننا نراه من أسوأ الأحوال حيث تعيش في واقع مرير يكاد الانسان يتقطع قلبه حينما يفكر في أحوال الأمة الاسلامية المعاصر و هو في الحقيقة واقع لا تحسد عليه و لا يمكن أن تكون هذه الأمة عزيزة قوية الا اذا رجعت الى كتاب ربها و سنة نبيها وأخذت منهما دينها الصحيح ورفعت راية الجهاد في سبيل الله فاذا فعلت ذلك فان السيطرة في هذا الكون و الهيمنة تكون لها ان شاء الله و ذلك لأن الله وعد عباده المؤمنين بأن يستخلفهم في الأرض فقال تعالى : ((وعد الله الذين آمنوا منكم و عملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم و ليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم و ليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني لا يشركون بي شيئا))(٢)

---

(١)— التوبة آية ٢٩

(٢)— النور آية ٥٥

والله سبحانه وتعالى لا يخلف وعده ولكن لما كانت الأمة لم تتوفر فيها الشروط لم تكن أهلا لهذا الاستخلاف فأصبحت ذليلة حقيرة حيث ان دم المسلم وقتله في عالمنا المعاصر يعتبر من أرخص الدم حيث ان المسلمين في العالم يبادون بالآلاف المؤلفة ولا تسمع في الاذاعات العالمية أى استنكار بينما لو قتل كافر واحد أو وثني أو يهودى تسمع اذاعات العالم تصيح وتستنكر بشدة ويقيمون الدنيا ويقعدونها وهذا شيء واضح وواقع مشاهد لا يحتاج الى سرد الأدلة لاثباته

وبما أن موضوع الجهاد موضوع طويل وعريض أريد أن أختصر الكلام عنه في العناصر الآتية وهي :

١ــ تعريفه ، وحكمه ، وفضله فقط وذلك خشية الاطالة لأننا اذا أردنا أن نتكلم عن الجهاد في سبيل الله بجميع جوانبه فاننا نحتاج الى تأليف كتاب مستقل وبعد هذا التمهيد البسيط نشرع في الموضوع فنقول : .

المطلب الأول : تعريف الجهاد و حكمـــه :

أولا : تعريف الجهـــاد :

١ــ الجهاد لغة :

قال الراغب الأصبهاني في تعريف الجهاد في اللغة : (الجهاد و الجهد الطاقة و المشقة و قيل الجهد بالفتح المشقة ،و الجهد الوسع)(١)

و قال الفيروزأبادى في تعريف الجهاد :(مصيره من الجهد بالفتح و الضم و هو الطاقة و المشقة و قيل بالفتح المشقة و بالضم الوسع ، و قيل الجهد ما يجهد الانسان)(٢)

و قال الامام ابن حجر :(و الجهاد بكسر الجيم أصله لغة المشقة)(٣)

و قال الشيخ مصطفى السيوطي :(الجهاد مصدر جاهد جهادا و مجاهدة اذا بالغ في قتل عدوه)(٤)

٢ــ و أما تعريف الجهاد شرعا : فقد عرفه العلماء بتعريفات كثيرة و أكثرها تدور عند أغلب الفقهاء من أهل المذاهب على مجاهدة الكفار لإعلاء كلمة الله ،واليك بعض هذه التعريفات :

أولا : تعريف الأحناف للجهاد :

لقد عرف الحنفية الجهاد بأنه هو : بذل الوسع و الطاقة بالقتال في سبيل الله عزوجل بالنفس و المال و اللسان أو غير ذلك و المبالغة في ذلك (٥)

---

(١)ــ المفردات في غريب القرآن للراغب الأصبهاني ١٠١

(٢)ــ بصائر ذوى التمييز في لطائف الكتاب العزيز ٢ / ٤٠١

(٣)ــ فتح البارى ٦ / ٣

(٤)ــ مطالب أولي النهى ٢ / ٤٦٧

(٥)ــ بدائع الصنائع للكاساني ٩ / ٤٢٩٩ ط مطبعة الامام ١٣ شارع محمد كريم بالقلعة القاهرة .

و قد عرفوه أيضا بأنه : (الدعاء الى الدين الحق و قتال من لم يقبله) (١)

هذا فيما يتعلق بتعريف الحنفية للجهاد شرعا

ثانيا : تعريف المالكية للجهاد شرعا :

لقد عرف المالكية الجهاد بأنه : (قتال مسلم كافرا غير ذى عهد لاعلاء كلمة الله تعالى) (٢)

ثالثا : تعريف الشافعية للجهاد :

لقد عرف الشافعية الجهاد بأنه : بذل الجهد في قتال الكفار كما قال ابن حجر في تعريفه : (و شرعا بذل الجهد في قتال الكفار) (٣)

رابعا : تعريفات الحنابلة للجهاد :

لقد عرف الحنابلة الجهاد بأنه : (وشرعا قتال الكفار) (٤)

قلت و التعريفات الشرعية السابقة كلها متحدة و ليس هناك بينها كبير اختلاف حيث اجتمعت كلها على أن معنى الجهاد في الشرع هو مقاتلة الكفار و مقارعتهم و انفرد الأحناف في تعريف الجهاد شرعا بذكر : (الدعاء الى دين الحق) و هذا صحيح

---

(١) — حاشية در المختار لابن عابدين ٤ / ١٢١ و انظر أيضا فتح القدير مع الشرح ٥ / ٤٣٧

(٢) — الشرح الصغير على أقرب المسالك للدردير ٢ / ٢٦٧

(٣) — فتح البارى لابن حجر ٦ / ٣

(٤) — المبدع لابن مفلح ٣/٣٠٧

فان مقاتلة الكفار قبل عرض الاسلام عليهم غير جائز بل لابد أولا أن توجه اليهم الدعوة الى الدخول في الاسلام فان استجابوا لذلك فبها و نعمت و ان لم يستجيبوا يطلب منهم دفع الجزية للمسلمين و فتح الأبواب لدعوة الاسلام حتى يخرج الناس من الظلمات الى النور فان أبوا الاسلام و دفع الجزية فحينئذ وجب قتالهم و هذا و ان لم يذكره الفقهاء الآخرون في تعريفاتهم السابقة فانهم حتما يقولون به ذلك لأن نصوص القرآن و السنة دلت عليه و كذلك سيرة الرسول صلى الله عليه و السلف الصالح و لعل عدم ذكره في التعريف الشرعي عند الفقهاء الذين لم يذكروه لوضوحه لأن القتال لا يكون الا بعد الدعوة و الامتناع عن قبولها

و أشمل تعريف للجهاد شرعا هو تعريف شيخ الاسلام ابن تيمية حيث قال رحمه الله في تعريف الجهاد في سبيل الله : (و الجهاد هو: بذل الوسع في حصول محبوب الحق و دفع ما يكرهه الحق ،

و قال في موضع آخر : و ذلك لأن الجهاد حقيقة الاجتهاد في حصول ما يحبه الله من الايمان و العمل الصالح و من دفع ما يبغضه الله من الكفر و الفسوق و العصيان(١)

لو نظرنا الى هذا التعريف فاننا نجده يشمل كل أنواع الجهاد التي يبذلها المسلم لطاعة ربه ،

حيث يشتمل اجتهاده في طاعة ربه في نفسه بامتثال أوامره و اجتناب نواهيه و اجتهاده في دعوة غيره لتلك الطاعة القريب و البعيد المسلم و غير المسلم و اجتهاده في قتال الكفار لاعلاء كلمة الله و غير ذلك من أنواع الجهاد التي لا نستطيع أن نذكرها هنا .

---

(١) مجموع فتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية ١٠/ ١٦١ — ١٦٢

ثانيا : حكم الجهاد في سبيل الله

يعتبر الجهاد في سبيل الله من الأشياء التي فرضها الله تعالى على عباده المؤمنين قال تعالى : ((كتب عليكم القتال و هو كره لكم و عسى أن تكرهوا شيئا و هو خير لكم و عسى أن تحبوا شيئا و هو شر لكم و الله يعلم و أنتم لا تعلمون))(١)

و قد اختلف الفقهاء في حكم الجهاد هل هو فرض عين أم فرض كفاية و اليك آراءهم باختصار :

فقد ذهب الأحناف و المالكية و المشهور من قول الامام الشافعي رحمه الله و الحنابلة الى أن الجهاد فرض كفاية الا اذا تعين و لا فرق في ذلك بين زمن الرسول صلى الله عليه و سلم و غيره من الأزمان (٢)

و استدلوا :

أولا : بقوله تعالى : ((لا يستوى القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر و المجاهدون في سبيل الله بأموالهم و أنفسهم فضل الله المجاهدين بأموالهم و أنفسهم على القاعدين درجة و كلا وعد الله الحسنى))(٣)

و وجه الدلالة : أن الله تعالى قد وعد كلا من المجاهدين و القاعدين بالحسنى و هذا يدل على أن الجهاد ليس فرض عين و انما هو فرض كفاية اذا قام به البعض سقط عن الباقين و لو كان فرضا على كل واحد من الأمة بعينه كالصلاة و الصوم لما فاضل بين الفعل و الترك و لأنه وعد الجميع بالحسنى فدل هذا على أن الجهاد ليس

---

(١) — البقرة آية ١٢٦

(٢) — أنظر حاشية الباجوري ٢/٢٦١ و فتح الباري ٦/٣٧
و تحفة المحتاج ٦/ ٢١٢ و عقد الفرائد للمقدسي ١/١١١
و الافصاح عن معاني الصحاح ٢/٤٢٩

(٣) — النساء آية ٩٥

بفرض عين و انما هو فرض كفاية (١)

ثانيا : استدلوا بقوله تعالى :((و ما كان المؤمنون لينفروا كافة فلو لا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين و لينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون)(٢)

و وجه الدلالة : ان هذه الآية تدل على أن الجهاد ليس فرض عين و انما هو فرض كفاية لأنه لو كان فرض عين لوجب على جميع الأمة النفير للجهاد

و قد كان الرسول صلى الله عليه و سلم يبعث السرايا و يقيم هو وسائر أصحابه في المدينة المنورة (٣)

ثالثا : استدلوا بما روى عن زيد بن خالد ان رسول الله صلى الله عليه و سلم قال :

(من جهز غازيا فقد غزا و من خلف غازيا في سبيل الله بخير فقد غزا)(٤)

و أخرج ابن ماجه عن عمر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال :

(من جهز غازيا حتى يستقل كان له مثل أجره حتى يموت أو يرجع)(٥)

وجه الاستدلال بهذين الحديثين أن الوعد المذكور فيهما ألا و هو لحوق الأجر بالقاعد كما يلحق الغازى مرتب على تمام التجهيز و هو المراد بقوله(حتى يستقل) و أنه يستوى معه في الأجر الى أن تنقض تلك الغزوة (٦)

---

(١)ـ أنظر أسنى المطالب ٤/١٧٥ ، و فيض الاله المالك ٢/٣٠٦
و مغني المحتاج ٤/٢٠٩ والمجموع ١٨/٤٨

(٢)ـ التوبة ١٢٢

(٣)ـ أنظر الأنوار لأعمال الأبرار ٢/٥٣٦ و تفسير القرطبي ٨/
و فتح البارى ٦/٣٨ والمغني لابن قدامة ٨/٣٤٦

(٤)ـ صحيح البخارى مع فتح البارى ٦/٤٩

(٥)ـ سنن ابن ماجه ٢/٩٢١

(٦)ـ أنظر فتح البارى ٦/٥٠ و نيل الأوطار ٧/٢٤٧

فيدل الحديث على أن الغزو فرض على الكفاية اذا قام به البعض وان لم يكونوا من أهل الجهاد وحصلت الكفاية بهم سقط الوجوب عن الباقين

رابعا : استدلوا بما روى أبو سعيد الخدرى رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث الى بني لحيان وقال : (ليخرج من كل رجلين رجل ثم قال للقاعد منكم أيكم خلف الخارج في أهله وماله بخير كان له مثل نصف أجر الخارج فلو جعل فرضا على الأعيان لاشتغل الناس به عن العمارة وطلب المعاش (١)

ووجه الدلالة بهذا الحديث : ان الرسول صلى الله عليه وسلم أوجب الخروج على بعض الأمة بقوله : (ليخرج من كل رجلين رجل) فدل على أن الجهاد في هذه الحالة ليس عينا وانما كفائي .

وقال الأوزاعي وعطاء والشافعي في قول له : ان الجهاد مع النبي صلى الله عليه وسلم فرض عين على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم على القادر منهم وبعد الرسول صلى الله عليه وسلم واستقرار الشرع فرض كفاية اذا لم يتعين (٢)

وقال السهيلي : كان فرض عين على الأنصار دون غيرهم ويؤيد ذلك مبايعة النبي صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة على أن يؤوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وينصروه ،

وقال الماوردى : كان عينا على المهاجرين دون غيرهم ويؤيده وجوب الهجرة قبل الفتح في حق كل من أسلم الى المدينة لنصر الاسلام فيخرج من قوليهما الماوردى والسهيلي أنه كان عينا على الطائفتين كفاية في حق غيرهم (٣)

---

(١) — أنظر المجموع للنووى ١٨/ ٤٨

(٢) — أنظر فتح البارى ٦/ ٣٧

(٣) — أنظر فتح البارى ٦/ ٣٧ ومغني المحتاج ٤/ ٢٠٩

واستدلوا :

بقوله تعالى :((انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله))(١)

ووجه الاستدلال بهذه الآية : ان الله سبحانه وتعالى أمرنا أن نخرج متأهبين أو غير متأهبين نشاطي وغير نشاطي رجالا أو ركبانا وقال الأوزاعي رجالا أوفرسانا (٢)

والأمر في الآية الكريمة للوجوب حتى ان بعض الصحابة فهموا من هذا الأمر العموم في زمن الرسول صلى الله عليه وسلم وبعده فلم يتخلفوا عن الغزو حتى مات منهم أبو أيوب الأنصاري والمقداد بن الأسود رضي الله عنهم (٣)

واستدلوا أيضا بقوله تعالى :((كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون))(٤)

ووجه الاستدلال بهذه الآية : ان الله تعالى فرض القتال على أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم في زمنه ومن كان يتخلف ويقيم في المدينة انما كان يقوم بأعمال الحراسة ومستلزمات المدينة وهو نوع من الجهاد (٥)

واستدلوا أيضا بقوله تعالى :((الا تنفروا يعذبكم عذابا أليما ويستبدل قوما غيركم))(٦)

فالوعيد بالعذاب لمن لم يخرج الى الجهاد ،دليل على أنه فرض عين فهذا مجمل أدلة فرض العين لدى أصحاب هذا القول

---

(١)— التوبة ٤١

(٢)— أنظر فتح الباري ٦/٣٨

(٣)— أنظر فتح الباري ٦/٣٨

(٤)— البقرة آية ٢١٦

(٥)— مغني المحتاج ٤/٢٠٩

(٦)— التوبة ٣٩

واحتجوا بالآيتين المتقدم ذكرهما على فرض الكفاية بعد عهده صلى الله عليه وسلم وهما قوله تعالى :((لا يستوى القاعدون من المؤمنين)) الى قوله :((وكلا وعد الله الحسنى))(١) وبقوله تعالى :((وما كان المؤمنون لينفروا كافة .....)) الى قوله :((لعلهم يحذرون))(٢)

ووجه الاستدلال أن الله تعالى وعد كلا من المجاهدين والقاعدين بالحسنى ويعني أن القاعدين غير آثمين اذا جاهد غيرهم والا لما وعدهم بالحسنى . والآية الثانية صريحة بعدم وجوب النفير على الجميع

الرد على أصحاب هذا القول :

١ــ للأدلة الواردة عند الجمهور التي توضح وتدل على أن القاعدين غير آثمين مع جهاد غيرهم وهناك من الآيات التي تدل بصراحة على بقاء طائفة وخروج أخرى للجهاد

وأن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يبعث السرايا ويقيم هو وسائر أصحابه .

أما الآية التي احتج بها أصحاب هذا القول : ((الا تنفروا يعذبكم عذابا أليما)) فقد قال ابن عباس رضي الله عنهما نسخها قوله تعالى :((وما كان المؤمنون لينفروا كافة))(٣)

وقد وافق ابن عباس على دعوى النسخ عكرمة والحسن البصرى كما روى ذلك الطبرى عنهما

وقال بعضهم : ان قوله تعالى :((فانفروا ثبات)) ناسخة لقوله تعالى :

((انفروا خفافا وثقالا))

---

(١)ــ النساء ٩٥

(٢)ــ التوبة آية ١٢٢

(٣)ــ سنن أبي داوود ٤١٣/١١

و ثبات جمع ثبة و معناه جماعات متفرقة و يؤيده قوله تعالى بعده :((أو انفروا جميعا))

و قال الحافظ ابن حجر : والتحقيق انه لا نسخ بل المرجع في الآيتين يعني هذه و قوله تعالى :((الا تنفروا)) مع قوله :((و ما كان المؤمنون لينفروا كافة)) تعيين الامام و الى الحاجة و هذا ما حصل مع الرسول صلى الله عليه وسلم حتى استنفرهم الى غزوة تبوك و كانت اجابتهم الى ذلك واجبة عليهم ولذلك هجر النبي صلى الله عليه وسلم كعب بن مالك و أصحابه الذين خلفوا حتى تاب الله عليهم بعد ذلك لذا يجب الجهاد على من استنفره الامام لقول الرسول صلى الله عليه وسلم :(و اذا استنفرتم فانفروا)(١)

و خلاصة القول : أنه لا نسخ بل الرجوع في الآيتين الى تعيين الامام و الى الحاجة الى ذلك و عليه فان الجهاد فرض على الكفاية في زمنه صلى الله عليه وسلم و بعده

و قال سعيد بن المسيب : الجهاد فرض على المستطيع مطلقا (٢)

و استدل سعيد بن المسيب :

١ــ بعموم قوله تعالى :((الا تنفروا يعذبكم عذابا أليما)) الآية و بقوله تعالى :((انفروا خفافا و ثقالا)) الآية

و بما روى عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال :(من مات و لم يغز و لم يحدث نفسه بغزو مات على شعبة نفاق) (٣)

---

(١)ــ صحيح البخارى مع الفتح ٦/ ٣٧ و انظر في الموضوع المغني لابن قدامة ٨/ ٣٤٦ و فتح البارى ٦/ ٣٨ و نيل الأوطار ٧/ ٢٤٢ و بدائع الصنائع ٧/

(٢)ــ انظر رحمة الأمة في اختلاف الأئمة ٢٩٢ و القوانين الفقهية لابن جزى ١٤٤

(٣)ــ سنن النسائي ٦/ ٨

فهذا الوعيد دليل على أن الجهاد فرض عين

و يرد على ما قاله سعيد بن المسيب : .

بأن هناك من الآيات القرآنية ما يدل على الفرض الكفائي في زمنه صلى الله عليه و سلم و هو قوله تعالى :((و ما كان المؤمنون لينفروا كافة)) الآية و قوله تعالى : ((لا يستوى القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر)) الآية

و قال ابن شبرمة و الثورى و سحنون : ان الجهاد تطوع و لا يجب الا في الحالات التي يتعين فيها (١)

و استدلوا بقوله تعالى :((كتب عليكم القتال)) الآية

و وجه الاستدلال بهذه الآية : ان الآية محمولة على الندب و ليس على الوجوب كقوله تعالى :((كتب عليكم اذا حضر أحدكم الموت ان ترك خيرا الوصية للوالدين و الأقربين بالمعروف))(٢)

فهذه الآية تدل على أن الوصية مندوبة فكذلك آية الجهاد تدل على أن الجهاد مندوب (٣)

الرد : ان آية الوصية كانت دالة على الوجوب حتى تم نسخ حكم وجوبها بتشريع المواريث ، و ((كتب)) بمعنى فرض فلا تصرف الى الندب الا بدليل و لم يقم الدليل في الجهاد (٤) .

و الخلاصة من العرض السابق لآراء الفقهاء و بيان أدلتهم و مناقشتها نرى رجحان قول الجمهور لقوة أدلتهم

---

(١) — بداية المجتهد ١/ ٣٨٠ و أحكام القرآن للجصاص ٣/ ١٤٠ ؛

(٢) — البقرة آية ١٨٠

(٣) — أحكام القرآن للجصاص ٣/ ١٤٠

(٤) — أحكام القرآن للجصاص ٣/ ١٤١

وعليه فان الجهاد فرض كفاية من عهد الرسول صلى الله عليه وسلم الى يوم القيامة اذا قام به البعض كان الباقون في سعة من تركه .

متى يكون الجهاد فرض عين

ويتعين الجهاد في ثلاثة مواضع وهي :

١ــ اذا التقى الزحفان وتقابل الصفان حرم على من حضر الانصراف وتعين عليه المقام ما لم يزد عدد العدو على مثلي عدد المسلمين

٢ــ اذا نزل الكفار ببلد من بلدان المسلمين تعين على أهله قتالهم ودفعهم بما يمكنهم ويستوى في ذلك السيد والعبد والبالغ والمراهق والرجل والمرأة ولا يجب استئذان العبد سيده ولا الولد والده ولا من عليه الدين صاحبه بل يجب المبادرة على كل من في البلد فان لم يكن لدى أهل البلدة القدرة والكفاية على دفع العدو النازل بهم وجب وتعين على كل من قرب منهم النفير اليهم ومساعدتهم على دفع العدو عنهم حتى تحصل الكفاية فان حصلت الكفاية سقط الاثم عن باقي المسلمين

ولا يسقط الوجوب لعدم المركوب لمن دون مسافة القصر بل يجب عليه النفير اليهم ان كان راجلا وكان قادرا على المشي

٣ــ اذا استنفر الامام قوما لزمهم النفير معه لقوله تعالى :((يا أيها الذين آمنوا ما لكم اذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم الى الأرض أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة الا قليل))(١)

وقول النبي صلى الله عليه وسلم :(واذا استنفرتم فانفروا)

وقد اتفق الفقهاء على تعيين الجهاد في الموضعين الأولين وبالثالث قال

---

(١)ــ أنظر المبدع لابن مفلح ٣/ ٣١٠ وحاشية الدسوقي على الدردير ٢/ ١٧٤ والتحفة ٩/ ٢٣٥

جمهور العلماء والائمة الأربعـــة (١)

ونختم موضوع حكم الجهاد في سبيل الله بقولين لامامين من أئمة الاسلام العظام وذلك حرصا على الفائدة وزيادة في توضيح الغامض من الأحكام وهذين الامامين هما شيخ الاسلام ابن تيمية والامام القرطبي

أما شيخ الاسلام ابن تيمية فقد قال في حكم الجهاد في سبيل الله: (اذا كان ابتداء فهو فرض على الكفاية اذا قام به البعض سقط الفرض عن الباقين وكان الفضل لمن قام به كما قال تعالى: ((لا يستوى القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر)) (٢)

فأما اذا أراد العدو الهجوم على المسلمين فانه يصير دفعه واجبا على المقصودين كلهم وعلى غير المقصودين لاعانتهم كما قال تعالى: ((وان استنصروكم في الديـــن فعليكم النصر الا على قوم بينكم وبينهم ميثاق)) (٣)

وكما أمر النبي صلى الله عليه وسلم بنصر المسلم وهذا يجب بحسب الامكان علـــى كل أحد بنفسه وماله مع القلة والكثرة والمشي والركوب كما كان المسلمون لما قصدهم العدو عام الخندق لم يأذن الله في تركه لأحد كما أذن في ترك الجهاد ابتداء لطلب العدو الذى قسمهم فيه الى قاعد وخارج بل ذم الذين يستأذنون: ((يقولون ان بيوتنا عورة وما هي بعورة ان يريدون الا فرارا)) (٤)

وقال شيخ الاسلام ابن تيمية أيضا وهو يتحدث عن الجهاد في سبيل الله:

(ومن عجز عن الجهاد ببدنه وقدر على الجهاد بماله وجب عليه الجهاد بمالـــه

---

(١) ـ أنظر الاختيار ٢/١٨٤ وفتح القدير ٤/٢٨٠ـ٢٨٣ والمغني ٨/٣٤٦

(٢) ـ النساء ٩٥

(٣) ـ الأنفـــال ٧٢

(٤) ـ الأحزاب ١٣ والموضوع مجموع فتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية ٢٨/٣٥٨

و هو نص أحمد في رواية أبي الحكم و هو الذى قطع به القاضي في أحكام القرآن في سورة براءة عند قوله :((انفروا خفافا و ثقالا)) فيجب على الموسرين النفقة في سبيل الله و على هذا فيجب على النساء الجهاد في أموالهن ان كان فيها فضل و كذلك في أموال الصغار اذا احتيج اليه كما تجب النفقات و الزكاة و ينبغي أن يكون محل الروايتين في واجب الكفاية فأما اذا هجم العدو فلا يبقى للخلاف وجه فان دفع ضررهم عن الدين و النفس و الحرمة واجب اجماعا (١)

و قد سئل شيخ الاسلام ابن تيمية عمن عليه دين و له ما يوفيه و قد تعين الجهاد فقال :(ان كان الجهاد المتعين لدفع الضرر كما اذا حضره العدو أو حضر هو الصف قدم على وفاء الدين كالنفقة و أولى و ان كان حال استنفار الامام فقضاء الدين أولى اذ الامام لا ينبغي له استنفار المدين مع الاستغناء عنه و لذلك قلت لو ضاق المال عن اطعام جياع و الجهاد و الجهاد الذى يتضرر بتركه قدمنا الجهاد و ان مات الجياع كما في مسألة التترس و أولى فان هناك نقتلهم بفعلنا و هنا يموتون بفعل الله)(٢)

ثم قال شيخ الاسلام ابن تيمية بعد أن ذكر الحديث الآتي حيث قال :و ثبت في الصحيح من حديث عبادة بن الصامت عن النبي صلى الله عليه و سلم أنه قال : على المرء المسلم السمع و الطاعة في عسره و يسره و منشطه و مكرهه و أثرة عليه (٣)

قال : فأوجب الطاعة التي عمادها الاستنفار في العسر و اليسر و هذا نص في وجوبه مع الاعسار بخلاف الحج هذا كله في قتال الطالب (٤)

---

(١)— الاختيارات الفقهية لشيخ الاسلام ابن تيمية ٣٠٨

(٢)— نفس المرجع ٣٠٩

(٣)— صحيح مسلم مع النووى مع اختلاف في بعض الألفاظ ١٢/٢٢٤

(٤)— الاختيارات الفقهية لشيخ الاسلام ابن تيمية ٣٠٩

وأما قتال الدفع فهو أشد أنواع دفع الصائل عن الحرمة والدين فواجب اجماعا فالعدو الصائل الذى يفسد الدين والدنيا لا شيء أوجب بعد الايمان من دفعه فلا يشترط له شرط بل يدفع بحسب الامكان وقد نص على ذلك العلماء أصحابنا وغيرهم فيجب التفريق بين دفع الصائل الظالم الكافر وبين طلبه في بلاده

والجهاد منه ما هو باليد ومنه ما هو بالقلب والدعوة والحجة واللسان والرأى والتدبير والصناعة فيجب بغاية ما يمكنه

وقال شيخ الاسلام ابن تيمية أيضا : واذا دخل العدو بلاد الاسلام فلا ريب أنه يجب دفعه على الأقرب فالأقرب اذ بلاد الاسلام كلها بمنزلة البلدة الواحدة وأنه يجب النفير اليه بلا اذن والد ولا غريم ونصوص أحمد صريحة بهذا وهو خير ما في المختصرات (١)

وقال الامام القرطبي تحت قوله تعالى :((انفروا خفافا وثقالا))الآية بعد أن ذكر الوجوه التي قالها فيها العلماء :

الرابعة : واذا تعين الجهاد بغلبة العدو على قطر من الأقطار أو بحلوله بالقطر فاذا كان ذلك وجب على جميع أهل تلك الديار أن ينفروا ويخرجوا اليه خفافا وثقالا شبابا وشيوخا كل على قدر طاقته من كان له أب بغير اذنه ومن لا أب له ولا يتخلف أحد يقدر على الخروج من مقاتل أو مكثر فاذا عجز أهل تلك البلدة عن القيام بعدوهم كان على من قاربهم وجاورهم أن يخرجوا على حسب ما لزم أهل تلك البلدة حتى يعلموا ان فيهم طاقة على القيام بهم ومدافعتهم وكذلك كل من علم بضعفهم عن عدوهم و علم أنه يدركهم ويمكنه غياثهم لزمه أيضا الخروج اليهم فالمسلمون كلهم يد على من

---

(١) — الاختيارات الفقهية لشيخ الاسلام ابن تيمية ٣١١

سواهم حتى اذا قام بدفع العدو أهل الناحية التي نزل العدو عليها واحتل بها سقط الفرض عن الباقين ولو قارب العدو دار الاسلام ولم يدخلوها لزمهم أيضا الخروج اليه حتى يظهر دين الله وتحمى البيضة وتحفظ الحوزة ويخزى العدو

وقسم ثان من واجب الجهاد — فرض أيضا على الامام اغزاء طائفة الى العدو كل سنة مرة يخرج معهم بنفسه أو يخرج من يثق به ليدعوهم الى الاسلام ويرغبهم ويكف أذاهم ويظهر دين الله عليهم حتى يدخلوا في الاسلام أو يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون

ومن الجهاد ايضا ما هو نافلة وهو اخراج الامام طائفة بعد طائفة وبعث السرايا في أوقات العزة وعند امكان الفرصة والارصاد لهم بالرباط في موضع الخوف اظهارا للقوة (١)

وقال الامام ابن العربي تحت قوله تعالى :((انفروا خفافا وثقالا)) الآية قال بعد أن ذكر أقوال العلماء في أحكام هذه ونسخها :.

المسألة الرابعة اذا كان النفير عاما لغلبة العدو على الحوزة أو استيلائه على الأسارى كان النفير عاما ووجب الخروج خفافا وثقالا وركبانا ورجالا عبيدا أو أحرارا من كان له أب من غير اذنه ومن لا أب له حتى يظهر دين الله وتحمى البيضة وتحفظ الحوزة ويخزى العدو ويستنقذ الأسرى ولا خلاف في هذا (٢)

---

(١) — تفسير القرطبي ٨/١٥١

(٢) — أحكام القرآن لابن العربي ٢/٩٥٤—٩٥٥

ثالثا : فضل الجهاد في سبيل الله تعالى

ان الجهاد في سبيل الله عز وجل لاعلاء كلمة الله و نشر دينه له فضل كبير و أجر عظيم عند الله سبحانه و تعالى و قد رغب الله فيه في كتابه و رغب فيه رسوله محمد صلى الله عليه و سلم في سنته و سأذكر أولا بعض الآيات التي تدل على فضل الجهاد في سبيل الله و فضل المجاهدين

ثم سأتبع ذلك بذكر بعض الأحاديث التي تدل على فضل الجهاد و المجاهدين في سبيل الله

ثم سأتبع ذلك بذكر نماذج من أقوال العلماء التي تدل على فضل الجهاد و المجاهدين في سبيل الله .

أولا : الآيات التي تدل على فضل الجهاد و المجاهدين في سبيل الله .

من الآيات التي تدل على فضل الجهاد و المجاهدين في سبيل الله قول الله تعالى : ((ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم و أموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون و يقتلون وعدا عليه حقا في التوراة والانجيل و القرآن و من أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به و ذلك هو الفوز العظيم)) (١)

قال الشيخ محمد جمال الدين القاسمي تحت هذه الآية :

هدى الله المؤمنين الى الاثمان و الأنفس مفتوحة بمحبة الأموال و الأنفس استنزلهم لفرط عنايته بهم عن مقام محبة الأموال و الأنفس بالتجارة المربحة و المعاملة المرغوبة بأن جعل الجنة ثمن أموالهم و أنفسهم مفوض لهم خيرا مما أخذ منهم فالآية ترغيب في الجهاد ببيان فضيلته اثر بيان حال المتخلفين عنه (٢)

---

(١) — التوبة آية ١١١

(٢) — محاسن التأويل لمحمد جمال الدين القاسمي ٨/٣٢٧٢

و قال الشيخ أبو السعود تحت هذه الآية أيضا : ولقد بولغ في ذلك على وجه لا مزيد عليه حيث عبر عن قبول الله تعالى من المؤمنين أنفسهم و أموالهم التي بذلوها في سبيله تعالى و اثابته اياهم بمقابلتها الجنة بالشراء على طريق الاستعارة التبعية ثم جعل المبيع هو العمدة و المقصد في العقد أنفس المؤمنين و أموالهم و الثمن الذى هو الوسيلة في الصفقة الجنة و لم يجعل الأمر على العكس بأن يقال : (ان الله باع الجنة من المؤمنين بأنفسهم و أموالهم) ليدل على أن المقصد في العقد هو الجنة و ما بذله المؤمنون في مقابلتها من الأنفس و الأموال و سيلة اليها ايذانا بتعلق كمال العناية بهم و بأموالهم ثم انه لم يقل (بالجنة) بل (بأن لهم الجنة) مبالغة في تقرير وصول الثمن اليهم و اختصاصه بهم و كأنه قيل (بالجنة الثابتة لهم المختصة بهم) (١)

و من الآيات التي تدل على فضل الجهاد و المجاهدين في سبيل الله قول الله تعالى :((و لا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله و يستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوف عليهم و لا هم يحزنون يستبشرون بنعمة من الله و فضل و ان الله لا يضيع أجر المؤمنين الذين استجابوا لله و الرسول من بعد ما أصابهم القرح للذين أحسنوا منهم و اتقوا أجر عظيم))(٢) .

و من الآيات التي تدل على فضل الجهاد في سبيل الله قول الله تعالى :((يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم تؤمنون بالله و رسوله و تجاهدون في سبيل الله بأموالكم و أنفسكم ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون يغفر لكم

---

(١)— تفسير أبي السعود ٦٠٦/٢

(٢)— آل عمران ١٦٩—١٧٢

ذنوبكم ويدخلكم جنات تجرى من تحتها الأنهار ومساكن طيبة في جنات عدن ذلك الفوز العظيم))(١)

ومن الآيات التي تدل علي فضل الجهاد في سبيل الله قول الله تعالى : ((انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون))(٢)

ومن الآيات التي تدل على فضل الجهاد في سبيل الله قول الله تعالى :

((أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله لا يستوون عند الله والله لا يهدى القوم الظالمين الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله وأولئك هم الفائزون يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم خالدين فيها أبدا ان الله عنده أجر عظيم))(٣)

فالآيات المتقدمة كلها تدل على فضل الجهاد والمجاهدين في سبيل الله تعالى حيث أخبرنا الله سبحانه وتعالى بأنه اشترى من المؤمنين الأموال والأنفس مقابل دخول الجنة وهذا هو الفوز العظيم ولمثله فاليعمل العاملون مشمرين عن سواعدهم

وأخبرنا أيضا سبحانه بأن الشهداء الذين يقتلون في سبيل الله أحياء عند ربهم يرزقون وهذا فضل عظيم وشرف كبير للمجاهد في سبيل الله لاعلاء كلمة الله سبحانه و تعالى

---

(١)— الصف ١٠—١٢

(٢)— الحجرات ١٥

(٣) التوبة ١٩—٢٢

و أخبرنا أيضا بأن الجهاد في سبيل الله أفضل بكثير من عمارة المسجد الحرام و سقيا الحجاج رغم أن هذا أيضا من الأعمال الصالحة و هذا يدل على مكانة الجهاد العظيمة و فضله الكبير عند الله سبحانه و تعالى .

ثانيا : الأحاديث التي تدل على فضل الجهاد والمجاهدين والمرابطين في سبيل الله

ان الأحاديث التي وردت في السنة النبوية في فضل الجهاد والمجاهدين كثيرة جدا ويصعب حصرها هنا ولذا سأذكر منها نماذج فقط

فمن الأحاديث التي تدل على فضل الجهاد في سبيل الله ومكانته العظيمة عند الله سبحانه وتعالى :

أخرج البخارى في صحيحه عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال :سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت : يا رسول الله أى العمل أفضل قال الصلاة على ميقاتها . قلت ثم أى قال : بر الوالدين قلت : ثم أى قال : الجهاد في سبيل الله فسكت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولو استزدته لزادني (١)

ومن الأحاديث التي تدل على فضل الجهاد في سبيل الله ما أخرجه البخارى في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنهعن رسولاللهصلى الله عليه وسلم جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال دلني على عمل يعدل الجهاد قال لا أجده هل تستطيع اذا خرج المجاهد أن تدخل مسجدك فتقوم ولا تفتر وتصوم ولا تفطر قال : ومن يستطيع ذلك قال أبو هريرة : ان فرس المجاهد ليستن في طوله فيكتب

---

(١) — البخارى مع الفتح ٣/٦

له حسنـــــات))(١)

قال عياض تحت هذا الحديث : اشتمل حديث الباب على تعظيم أمر الجهـــاد لأن الصيام وغيره مما ذكر من فضائل الأعمال قد عدلها كلها الجهاد حتى صارت جميع حالات المجاهد وتصرفاته المباحة معادلة لأجر المواظب على الصلاة وغيرها و استدل به على أن الجهاد أفضل الأعمال مطلقا (٢)

و قال ابن دقيق العيد : القياس يقتض أن يكون الجهاد أفضل الأعمال التي هي وسائل لأن الجهاد وسيلة الى اعلان الدين و نشره و اخماد الكفر و دحضه ففضيلتـه بحسب فضيلة ذلك والله أعلم (٣)

و من الأحاديث التي تدل على فضل الجهاد في سبيل الله و مكانته العظيمـــة عند الله ما أخرجه البخارى في صحيحه عن أبي سعيد الخدرى رضي الله عنه قـــال :

قيل : يا رسول الله أى الناس أفضل فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم مؤمـن يجاهد في سبيل الله بنفسه و ماله قالوا ثم من قال مؤمن في شعب من الشعاب يتقـي الله و يدع الناس من شره (٤)

و من الأحاديث التي تدل على فضل الجهاد في سبيل الله ما أخرجه البخارى في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول :

مثل المجاهد في سبيل الله والله أعلم بمن يجاهد في سبيله كمثل الصائم القائـم و توكل الله لمجاهد في سبيله بأن يتوفاه أن يدخله الجنة أويرجعه سالما مـع أجـر و غنيمـــــة (٥)

---

(١)— صحيح البخارى مع الفتح ٦/ ٤
(٢)— فتح البارى شرح صحيح البخارى ٦/ ٥
(٣)— نفس المرجع ٦/ ٦
(٤)— نفس المرجع ٦/ ٦
(٥)— نفس المرجع ٦/ ٦

و من الأحاديث التي تدل على فضل الجهاد في سبيل الله ما أخرجه البخارى في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال النبي صلى الله عليه و سلم : من آمن بالله و برسوله و أقام الصلاة و صام رمضان كان حقا على الله أن يدخله الجنة جاهد في سبيل الله أو جلس في أرضه التي ولد فيها فقالوا يا رسول الله أفلا نبشر الناس قال ان في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيل الله ما بين الدرجتين كما بين السماء و الأرض فاذا سألتم الله فاسألوه الفردوس فانه أوسط الجنة و أعلى الجنة أراه قال و فوقه عرش الرحمن و منه تفجر أنهار الجنة (١)

و من الأحاديث التي تدل على فضل الجهاد في سبيل الله و مكانته العظيمة عند الله ما أخرجه البخارى في صحيحه عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه و سلم قال : لغدوة في سبيل الله أو روحة خير من الدنيا و ما فيها (٢)

و من الأحاديث التي تدل على فضل الجهاد في سبيل الله ما أخرجه البخارى في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه و سلم قال : لقاب قوس في الجنة خير مما تطلع عليه الشمس و تغرب و قال لغدوة أو روحة في سبيل الله خير مما تطلع عليه الشمس و تغرب (٣)

و من الأحاديث التي تدل على فضل الجهاد في سبيل الله ما أخرجه البخارى في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : سمعت النبي صلى الله عليه و سلم يقول : و الذى نفسي بيده لولا أن رجالا من المؤمنين لا تطيب أنفسهم أن يتخلفوا عني و لا أجد ما أحملهم عليه ما تخلفت عن سرية تغدو في سبيل الله و الذى نفسي بيده لوددت أن أقتل في سبيل الله ثم أحيا ثم أقتل ثم أحيا ثم أقتل ثم أحيا ثم أقتل (٤)

---

(١) — صحيح البخارى مع الفتح ١١/٦
(٢) — نفس المرجع ١٢/٦
(٣) — نفس المرجع ١٣/٦
(٤) — نفس المرجع ١٦/٦

و من الأحاديث التي تدل على فضل الجهاد في سبيل الله ما أخرجه البخارى في صحيحه عن عبدالرحمن بن جبر ان رسول الله صلى الله عليه و سلم قال : ما اغبرت قدما عبد في سبيل الله فتمسه النار (١)

و من الأحاديث التي تدل على فضل الجهاد في سبيل الله ما أخرجه البخارى في صحيحه عن عبدالله بن أبي أوفى رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه و سلم قال : واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف (٢)

قال ابن المنير تحت هذا الحديث : كأن البخارى أراد أن السيوف لما كانت لها بارقة كان لها أيضا ظل

و قال القرطبي أيضا في هذا الحديث : و هو من الكلام النفيس الجامع الموجز المشتمل على ضروب من البلاغة مع الوجازة وعذوبة اللفظ فانه أفاد الحض على الجهاد و الاخبار بالثواب عليه و الحض على مقاربة العدو و استعمال السيوف و الاجتماع حين الزحف حتى تصير السيوف نظل المقاتلين (٣)

و قال ابن الجوزى : المراد أن الجنة تحصل بالجهاد و الظلال جمع ظل و اذا تدانى الخصمان صار كل منهم تحت ظل سيف صاحبه لحرصه على رفعه عليه و لا يكون ذلك الا عند التحام القتال (٤)

و من الأحاديث التي تدل على فضل الجهاد في سبيل الله ما أخرجه البخارى في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال : قال النبي صلى الله عليه و سلم : من احتبس فرسا في سبيل الله ايمانا بالله و تصديقا بوعده فان شبعه و ريه و روثه و بوله

---

(١) — صحيح البخارى مع الفتح ٦/ ٢٩

(٢) — نفس المرجع. ٦/ ٣٢

(٣) — فتح البارى ٦/ ٣٢

(٤) — نفس المرجع ٦/ ٣٢

في ميزانه يوم القيامة (١)

و من الأحاديث التي تدل على فضل الجهاد في سبيل الله ما أخرجه البخارى في صحيحه عن سهل بن سعد الساعدى رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال : رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا و ما عليها و موضع سوط أحدكم من الجنة خير من الدنيا و ما عليها و الروحة يروحها العبد في سبيل الله أو الغدوة خير من الدنيا و ما عليها (٢)

و من الأحاديث التي تدل على فضل الجهاد في سبيل الله ما أخرجه أبو داوود في سننه عن معاذ بن جبل رضي الله عنه انه سمع رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول : من قاتل في سبيل الله فوق ناقة فقد وجبت له الجنة و من سأل الله القتل من نفسه صادقا ثم مات أو قتل فان له أجر شهيد ، زاد ابن المصفى من هذا و من جرح جرحا في سبيل الله أو نكب نكبة فانها تجيء يوم القيامة كأغزر ما كانت لونها لون الزعفران و ريحها ريح المسك و من خرج بخراج في سبيل الله عز وجل فان عليه طابع الشهداء (٣)

و من الأحاديث التي تدل على فضل الجهاد في سبيل الله ما أخرجه الدارمي في سننه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : تكفل الله لمن خرج من بيته لا يخرجه الا الجهاد في سبيل الله و تصديق بكلماته أن يدخله الجنة أو يرده الى مسكنه الذى خرج منه مع ما نال من أجر أو غنيمة (٤)

ومن الأحاديث التي تدل على فضل الجهاد في سبيل الله ما أخرجه الدارمي في سننه عن عمران بن حصين رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال : مقام

---

(١) — صحيح البخارى مع الفتح ٦ / ٥٧
(٢) — نفس المرجع ٦ / ٨٥
(٣) — سنن أبي داوود ١٢ / ٢١
(٤) — سنن الدارمي ٢ / ٢٠٠

الرجل في الصف في سبيل الله أفضل من عبادة الرجل ستين سنة (١)

و من الأحاديث التي تدل على فضل الجهاد في سبيل الله ما أخرجه النسائي في سننه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول : مثل المجاهد في سبيل الله و الله أعلم بمن يجاهد في سبيله كمثل الصائم القائم الخاشع الراكع الساجد (٢)

و من الأحاديث التي تدل على فضل الجهاد في سبيل الله ما أخرجه النسائي عن سلمان الخير عن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال : من رابط يوما و ليلة في سبيل الله كان له كأجر صيام شهر و قيامه و من مات مرابطا أجرى له مثل ذلك الأجر و أجرى عليه الرزق و أمن من الفتان (٣)

و من الأحاديث التي تدل على فضل الشهادة في سبيل الله ما أخرجه البخارى في صحيحه عن ابن عباس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه و سلم :

لما أصيب اخوانكم بأحد جعل الله أرواحهم في جوف طير خضر ترد أنهار الجنة تأكل من ثمارها و تأوى الى قناديل من ذهب معلقة في ظل العرش فلما وجدوا طيب مأكلهم و مشربهم و مقيلهم قالوا من يبلغ اخواننا عنا انا أحياء في الجنة نرزق لئلا يزهدوا في الجهاد و لا ينكلوا عن الحرب فقال الله تعالى أنا أبلغهم عنكم قال و أنزل الله عز وجل (٤)

((و لا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون)) (٥)

---

(١) — سنن الدارمي ٢٠٢/٢

(٢) — سنن النسائي ١٨/٦

(٣) — سنن النسائي ٣٩/٦ و كذلك كتاب الجهاد لابن أبي عاصم ٧٠٤/٢

(٤) — البخارى مع الفتح ٩١/٦

(٥) — آل عمران ١٦٩

و من الأحاديث التي تدل على فضل الشهادة في سبيل الله ما أخرجه أبو داوود في سننه عن حسناء بنت معاوية الصريمية قالت : حدثنا عمي قال : قلت للنبي صلى الله عليه و سلم من في الجنة قال النبي في الجنة و الشهيد في الجنة و المولود في الجنة و الوئيد في الجنة (١)

و من الأحاديث التي تدل على فضل الاستشهاد في سبيل الله ما أخرجه مالك في الموطأ عن أبي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه و سلم قال : و الذى نفسي بيده لوددت أن أقاتل في سبيل الله فأقتل ثم أحيا فأقتل ثم أحيا فأقتل فكان أبو هريرة يقول : ثلاثا أشهد بالله (٢)

و بهذا نكتفي من ايراد النصوص النبوية التي تدل على فضل الجهاد و المجاهدين في سبيل الله عزو جل و قد تبين لنا من خلال الأحاديث التي مر ذكرها بأن الجهاد في سبيل الله من أحب الأعمال الى الله سبحانه و تعالى .

ثالثا : نماذج من أقوال العلماء التي ذكروا فيها فضل الجهاد في سبيل الله ورغبوا فيه

فمن العلماء الذين ذكروا أهمية الجهاد و فضله العظيم و رغبوا فيه شيخ الاسلام ابن تيمية فقد قال رحمه الله حينما سئل عن أفضلية سكن مكة و المدينة أم الرباط في الجهاد ؟

أجاب الشيخ رحمه الله قائلا : الحمد لله بل المقام في ثغور المسلمين كالثغور الشامية و المصرية أفضل من المجاورة في المساجد الثلاثة و ما أعلم في هذا نزاعا بين أهل العلم و قد نص على ذلك غير واحد من الأئمة و ذلك لأن الرباط في جنس الجهاد

---

(١) — سنن أبي داوود ٣/١٢

(٢) — موطأ الامام مالك ٤٦٠/٢

والمجاورة غايتها أن تكون من جنس الحج كما قال تعالى :((أجعلتم سقاية الحاج)) الآية ثم ذكر مجموعة من الأحاديث التي تدل على فضل الجهاد في سبيل الله (١)

وقال شيخ الاسلام ابن تيمية أيضا وهو يتحدث عن فضل الجهاد في سبيل الله بعد أن تحدث عن مكانة التوكل في الاسلام: (وهنا وان كان مأمورا به في جميع الدين فان ذلك في الجهاد آكد لأنه يحتاج الى أن يجاهد الكفار والمنافقين وذلك لا يتم الا بتأييد قوى من الله ولهذا كان الجهاد سنام العمل

ففيه سنام المحبة كما قال تعالى :((فسوف يأت الله بقوم يحبهم ويحبونه))(٢)

وفيه سنام التوكل وسنام الصبر فان المجاهد أحوج الناس الى الصبر والتوكل ولهذا قال تعالى :((والذين هاجروا في الله من بعد ما ظلموا لنبوئنهم في الدنيا حسنة ولأجر الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون))(٣)

ولهذا كان الجهاد موجبا للهداية التي هي محيطة بأبواب العلم كما دل عليه قوله تعالى :((والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا))(٤) فجعل لمن جاهد فيه هداية جميع سبله تعالى ولهذا قال الامامان عبدالله بن المبارك وأحمد بن حنبل وغيرهما اذا اختلف الناس في شيء فانظروا ماذا عليه أهل الثغر فان الحق معهم لأن الله يقول :((والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا))

وفي الجهاد أيضا حقيقة الزهد في الحياة الدنيا وفيه أيضا حقيقة الاخلاص فان الكلام فيمن جاهد في سبيل الله لا في سبيل الرياسة ولا في سبيل المال ولا في

---

(١) — مجموع فتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية ٢٨ / ٥ — ٦

(٢) — المائدة ٥٤

(٣) — النحل ٤١

(٤) — العنكبوت ٦٩

سبيل الحمية

و هذا لا يكون الا لمن قاتل ليكون الدين كله لله و لتكون كلمة الله هي العليـــا و أعظم مراتب الاخلاص تسليم النفس و المال للمعبود كما قال تعالى :((ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم و أموالهم بأن لهم الجنة))(١)

و قال سيف الله خالد بن الوليد الذى ذاق حلاوة الجهاد في سبيل الله بعد أن ذاق الايمان بالله ربا و بالاسلام دينا و بمحمد نبيا و رسولا و قضى حياته كلهـــا مجاهدا و أخذ يقارن بين متع الحياة ممثلا لها بعروس هو لها محب أو بغلام بشر به ، و الجهاد في سبيل الله فيرى في هذا متعته و قرة عينه قال رضي الله عنه :(ما مـن ليلة يهدى الي فيها عروس أنا لها محب أو أبشر فيها بغلام أحب الي من ليلـــة شديدة البرد كثيرة الجليد في سرية أصبح فيها العدو) (٢)

و قال عمرو بن عتبة بن فرقد :(سألت الله عز و جل ثلاثا فأعطاني اثنتين و أنـــا أنتظر الثالثة : سألته ان يزهدني في الدنيا فما أبالي ما أقبل منها و ما أدبر ، و سألته أن يقويني على الصلاة فرزقني منها ، و سألته الشهادة فأنا أرجوها)(٣)

و قال ابن قدامة في المغني قال الأشرم قال أحمد لا نعلم شيئا من أبواب البـر أفضل من السبيل ، و قال الفضيل بن زياد : سمعت أبا عبدالله و ذكر له أمر العـدو فجعل يبكي و يقول ما من أعمال البر خير منه

و قال عنه غيره ليس بعد لقاء العدو شيء . و مباشرة القتال بنفسه أفضل الأعمال و الذين يقاتلون العدو هم الذين يدفعون عن الاسلام و عن حريمهم فأى عمل أفضل منه

---

(١)— مجموع فتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية ٨/ ٤٤١

(٢)— الجهـــاد لابن المبارك ١/ ٩١

(٣)— الجهـــاد لابن المبارك ٢/ ١١٢

الناس آمنون وهم خائفون قد بذلوا مهج أنفسهم (١)

وقال السرخسي في المبسوط: وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم تارة يخرج وتارة يبعث غيره حتى قال: (وددت أن لا تخرج سرية أو جيش إلا وأنا معهم ولكن لا أجد ما أحملهم ولا تطيب أنفسهم بالتخلف عني)(٢)

ولوددت أن أقاتل في سبيل الله تعالى حتى أقتل ثم أحيا ثم أقتل (٣)

ففي هذا دليل على أن الجهاد وصفة الشهادة في الفضيلة بأعلى النهاية حتى تمنى ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم مع درجة الرسالة والآثار في فضيلة الجهاد كثيرة وقد سماه الرسول صلى الله عليه وسلم سنام الدين (٤)

وقال الامام ابن القيم رحمه الله وهو يتحدث عن فضل الجهاد ومكانته العظيمة عند الله: (وأخبر سبحانه انه اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة وأعاضهم عليها الجنة وان هذا العقد والوعد قد أودعه أفضل كتبه المنزلة من السماء وهي التوراة والانجيل والقرآن ثم أكد ذلك باعلامهم ان لا أحد أوفى بعهده منه تبارك وتعالى ثم أكد ذلك بأن أمرهم بأن يستبشروا ببيعهم الذى عاقدوه عليه ثم أعلمهم أن ذلك هو الفوز العظيم فليتأمل العاقد مع ربه عقد هذا التبايع ما أعظمه وأجله فان الله عز وجل هو المشترى والثمن جنات النعيم والفوز برضاه والتمتع برؤيته هناك

والذى جرى على يده هذا العقد أشرف رسله وأكرمهم عليه من الملائكة والبشر وأن سلعة هذا شأنها لقد هيئت لأمر عظيم وخطر جسيم

---

(١) — المغني لابن قدامة ٣٤٨/٨

(٢) — موطأ الامام مالك مع اختلاف في الصيغة ٤٦٥/٢

(٣) — نفس المرجع ٤٦٥/٢

(٤) — المبسوط للسرخسي ٣/١٠

قد هيئوك لأمـــر لو فطنـــت له فاربأ بنفســك أن ترعـى مـع الهمـل

مهر المحبة و الجنة بذل النفس و المال لمالكها الذى اشتراهما من المؤمنيـن فما للجبان المعرض المفلس و سوم هذه السلعة بالله ما هزلت فيستامها المفلسون و لا كسدت فيبيعها بالنسيئة المعسرون لقد أقيمت للعرض في سوق من يريد فلـم يرض ربها لها بثمن دون بذل النفس فتأخر البطالون و قام المحبون ينتظون أيهم يصلح أن يكون نفسه الثمن فدارت السلعة بينهم و وقعت في يد (أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين) ..... الى أن قال فلما تم العقد و سلموا المبيع قيـل لهم قد صارت أنفسكم و أموالكم لنا و الآن فقد رددناها عليكم أوفر ما كانت وإضعاف أموالكم معها :(و لا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون)(١)

لم نبتع منكم بنفوسكم و أموالكم طلبا للربح عليكم بل ليظهروا أثر الجود و الكرم في قبول المغيب و الاعطاء عليه أجل الاثمان ثم جمعنا لكم بين الثمن و المثمن (٢)

و قال الشيخ محمود شلتوت وهو يتحدث عن أهمية الجهاد و مكانته العظيمـــة لبقاء الأمة عزيزة قوية :

مضت سنة الله في هذه الحياة على أن البقاء و العزة و السلطان و علو الكلمـة انما يكون للعاملين المجاهدين أما المتباطئون و المتثاقلون الذين يؤثرون حياتهم و يضنون بأنفسهم و أموالهم و يخلدون الى الأرض و يعرضون عن دعوة الجهاد فـــي سبيل حريتهم وبقائهم فانهم لابد ذاهبون و هم لا محالة مستذلون مستعبدون

---

(١)— آل عمران ١٦٩

(٢)— زاد المعاد في هدى خير العباد ٣ / ٧٢

و يقول تحت قوله تعالى :((الا تنفروا يعذبكم عذابا أليما)) يذلكم و يستعبدكم لغيركم يسومكم سوء العذاب يستلب أموالكم و ينتهك أعراضكم و يذبح أبناءكم هـــذا التعذيب جزاء طبيعي للجبن و عدم القيام في وجه العدو و للتثاقل عن الجهاد و ليس هو الجزاء الأخروى الذى أعده الله لمن يخالف أمره .....

ثم قال : و قوله :((و ان تتولوا يستبدل قوما غيركم)) الآية و وصف القـــوم بالغيرية للدلالة على المغايرة الذاتية أى قوما مطيعين يؤثرون الدار الآخرة علـــى متاع الدنيا و الأسلوب يدل على شدة السخط عليهم كما سيتضح من آية المائـــــدة :

((ثم لا يكونوا أمثالكم))(١)

و بهذا نكتفي من ايراد أقوال العلماء التي بينوا فيها أهمية الجهاد في سبيل الله في نشر الدعوة و حماية الأمة الاسلامية و عزها و شرفها و قوتها و منعتها من الأعـــداء و بينوا أيضا فضل الجهاد و المجاهدين في سبيل الله تعالى في ثنايا حديثهم عـــن أهميـــة الجهـــاد

و الخلاصة أن الجهاد فرض من الفروض التي فرضها الله على عباده و بما أن الفروض تنقسم الى قسمين فرض كفاية و فرض عين فالجهاد في الأصل فرض كفاية اذا قام به عـدد كاف لردع العدوان سقط الاثم عن الباقين و ان لم يمكن دفع العدو الا بكل المسلمين وجب عليهـــم جميعـــارده و قد يتعين الجهاد في مواضع و هي :

١ــ اذا طلب الامام النفير العام

٢ــ اذا هجم العدو على بلاد المسلمين

٣ــ اذا حضر الانسان يوم الزحف وجب عليه القتال عينا و لا يجوز له الانصراف

---

(١)ــ سورة محمد ٣٨ و الموضوع الأجزاء العشر الأوائل لمحمود شلتوت ٦٣٨

و مع أن الجهاد من الأشياء التي شرعها الله لنشر الدعوة الى الله و حماية المسلمين من أعدائهم فقد وقف المتصوفة منه موقف العداء حتى أماتوا في المسلمين الروح القتالية مما تسبب عنه غزو الصليبيين للبلاد الاسلامية و استعمارها وهذا ما سأبينه في المبحث الآتي ان شاء الله (١)

---

(١) — انظر ص ٨٢٢ — ٨٣٤

المبحث الثاني : انحرافهم في مفهوم الجهاد و موقفهم من أعداء الأمة الاسلامية

لقد حاول كثير من أقطاب الصوفية صرف الناس عن القتال في سبيل الله و جهاد أعداء الأمة الاسلامية و اتخذوا لذلك عدة أساليب

فمن الأساليب التي اتخذوها لصرف الناس عن الجهاد في سبيل الله هو اللجوء الى تفسيرات غريبة للآيات القرآنية التي تتكلم عن الجهاد في سبيل الله و فضله العظيم بأن المقصود بالجهاد هو جهاد النفس فقط و ليس داخلا فيه جهاد الأعداء

و من الأساليب التي اتخذوها لصرف الناس عن الجهاد في سبيل الله هو سعيهم بين الناس بان جهاد النفس هو الجهاد الأكبر أما جهاد أعداء الأمة الاسلامية و مقارعتهم فليس بذى أهمية

و من الأشياء التي تدل على أن المتصوفة لا يرون الوقوف أمام أعداء الأمة الاسلامية و مجاهدتهم الكتب التي ألفها زعماء التصوف حيث انك اذا نظرت فيها لا يمكن أن تجد فيها و لو سطراً واحداً يتكلم عن أهمية الجهاد في الاسلام بل الكتب التي ألفوها لا تتكلم الا عن أمور جانبية بلهـا أمور نهى عنها الاسلام بلهـا الى الشرك و عبادة غير الله ولو نظرنا الى المتصوفة في عصرنا الحاضر فاننا نراهم اليد اليمنى للغرب الصليبي الحاقد في العالم الاسلامي و لذا نرى الصليبيين دائما يشجعون الطرق الصوفية و يعملون على نشرها و ذلك لادراكهم بأن هذه الطرق هي من أهم الأشياء التي يمكن عن طريقها تقويض الأمة الاسلامية و تخديرها و تحويلها الى أمة هزيلة لا تحرك ساكنا و قد فعلوا ذلك حتى كاد الجهاد في العالم الاسلامي ينسى و حتى أصبح كل من يتكلم عن الجهاد غريب بين الأمة الاسلامية و لو تتبعنا المتصوفة تأريخيا فسنجد مواقفهم سلبية من جهاد أعداء الأمة الاسلامية ،

و أبرز الحروب التي واجهها المسلمون بعد انتشار الطرق الصوفية هي : الغزو التترى و الحروب الصليبية و كان موقف المتصوفة من هذه الحروب كلها هو السكوت فقط و لم يخطوا في كتبهم عنها حتى و لو حرفا واحدا مما يدل دلالة واضحة على أنهم يرون عدم جدوى جهاد الكفار و لعل هذا بناءا على معتقدهم الفاسد بأن كل ما قدره الله فهو يحبه و كل ما وقع فقد قدره الله و استيلاء الكفار على بلاد المسلمين مما قدره الله و لذا يجب عدم معارضة قضاء الله و قدره

و اليك نماذج من التفسيرات الغريبة التي فسر بها المتصوفة بعض الآيات القرآنية التي تتكلم عن الجهاد و تحث عليه و ذلك من أجل أن يثبتوا بأن الجهاد الأكبر هو جهاد النفس و أما جهاد الأعداء فشيء ثانوى

فمن تفسيراتهم الغريبة ما روى عن داوود بن صالح أنه قال : قال لي أبو سلمة بن عبد الرحمن يا ابن أخي هل تدرى في أى شيء نزلت هذه الآية : ((اصبروا و صابروا و رابطوا و اتقوا الله لعلكم تفلحون)) (١)

قلت :لا قال : يا ابن أخي لم يكن في زمن رسول الله صلى الله عليه و سلم غزو يربط فيه الخيل و لكنه انتظار الصلاة بعد الصلاة فالرباط لجهاد النفس و المقيم في الرباط مرابط مجاهد نفسه (٢)

و قال بعض المتصوفة في قوله تعالى : ((و جاهدوا في الله حق جهاده)) هو مجاهدة النفس و الهوى و ذلك حق الجهاد و هو الجهاد الأكبر على ما روى في الخبر عن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال حين رجع من بعض غزواته : رجعنا من الجهاد

---

(١) — آل عمران ٢٠٠

(٢) — عوارف المعارف للسهروردى الملحق بالأحياء ٨٢

الأصغر الى الجهاد الأكبر (١)

من هذا التفسير الغريب يتضح لنا تماما بأن المتصوفة يدعون بأن جهاد النفس والمرابطة في جهادها هو الجهاد الأكبر وهذه دعوة صريحة منهم الى دعوة الناس أن يرابطوا في جهاد أنفسهم ويتركوا جهاد أعداء الأمة الاسلامية لأن جهاد الأعداء لا يساوى شيئا بالنسبة لجهاد النفس وهذه دعوة باطلة فان جهاد الأعداء هو الجهاد الأكبر وهو من أفضل الأعمال التي يقوم بها المؤمن ابتغاء مرضاة الله وقد بينا ذلك في المطلب الأول من هذا المبحث فلا حاجة لاعادته هنا (٢)

وأما الحديث الذى استدل به المتصوفة فهو كذب وافتراء على رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى جاء بشريعة الجهاد وبذل كل غال ونفيس في سبيل نشر دعوة التوحيد

قال شيخ الاسلام ابن تيمية في هذا الحديث الذى استدلوا به : وأما الحديث الذى يرويه بعضهم أنه قال في غزوة تبوك : (رجعنا من الجهاد الأصغر الى الجهاد الأكبر) فلا أصل له ولم يروه أحد من أهل المعرفة بأقوال النبي صلى الله عليه وسلم وأفعاله

وجهاد الكفار من أعظم الأعمال بل هو أفضل ما تطوع به الانسان قال الله تعالى :

((لا يستوى القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر والمجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة وكلا وعد الله الحسنى وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجرا عظيما)) (٣)

وقال تعالى : ((أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله

---

(١) — عوارف المعارف للسهروردى الملحق بالأحياء ٨٢

(٢) انظر ٧٩٢ — ٨٢١

(٣) — النساء آية ٩٥ — ٩٦

واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله لا يستوون عند الله والله لا يهدى القـــوم الظالميـــن))(١)

وفي الصحيحين عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال : سئل النـــبي صلى الله عليه وسلم أى الأعمال أفضل ؟ قال ايمان بالله وجهاد في سبيله قيـــل ثم ماذا قال حج مبرور (٢)

وقيل ان بعض الصالحين كتب الى أخ له يستدعيه الى الغزو فكتب اليه يا أخي كل الثغور مجتمعة لى في بيت واحد والباب على مردود فكتب اليه أخوه لو كان الناس كلهم لزموا ما لزمته لاختلت أمور المسلمين وغلب الكفار فلابد من الغزو والجهـاد فكتب اليه يا أخي لو لزم الناس ما أنا عليه وقالوا في زواياهم وعلى سجادتهم الله أكبر انهدم سور القسطنطينية (٣)

وهذا مفهوم خاطئ مخالف لمبادئ الاسلام الذى أمر بالقيام بالأسباب ومن الأسباب التي يجب أن يقوم بها المسلم لرد كيد الأعداء هو الجهاد في سبيل الله أما أن يقعد المسلمون وينتظرون بعد ذلك أن تتهدم لهم أسوار الأعداء فهـذا فهم غريب وليس من الاسلام في شيء ولا يقول به الا من يضمر الحقد للأمة الاسلامية يريدها أن تخضع لأعدائها فتصبح ذليلة حقيرة هزيلة .

والمتصوفة يميتون العزة والشعور بالكرامة كما يميتون فيه الصحة والحيوية فينحني أمام المشايخ ويقبل النعل والقدم ويتلقى بنفس راضية شتى الاهانات من أى جانب كانت فكيف يفكر من هذا حاله بالقتال والطعان ومقارعة الأعداء لردهم عن بـــلاد المسلميـــن أو لنشر دعوة الحق وفتح الطريق لها .

---

(١) ـ التوبـــة ١٩

(٢) ـ صحيح البخارى مع الفتح ٣/ ٣٨١ ، وأنظر مجموع فتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية

(٣) ـ عوارف المعارف للسهروردى ٨٢

و مما يدل على عدم اهتمام المتصوفة بأحوال الأمة الاسلامية و الدفاع عنها عدم تسجيل كتابهم الكبار عن تلك الحروب التي وقعت بين المسلمين و أعدائهم و من أبرز هذه الحروب التي وقعت بين المسلمين و غيرهم الحروب الصليبية و الغزو التترى و قد عاصر هذه الحروب كبار زعماء التصوف في مجال التأليف و مع ذلك فانك اذا قرأت في كتبهم لن تجد فيها و لو سطرا واحدا للاشارة على هذه الأحداث الجسام التي يقشعر الجلد من سماعها فقط فضلا عمن عاصرها و حضرها و رآها بأم عينيه

و من كبار المتصوفة الذين عاصروا الحروب الصليبية الغزالي و الذى يصفه المتصوفة بأنه حجة الاسلام فقد تكلم في كتابه احياء علوم الدين عن التصوف و قرر بأن طريقهم من أنجح الطرق و أصلحها للوصول الى ولاية الله و مرضاته و تكلم باسهاب شديد عن طقوس المتصوفة المبتدعة و مع ذلك فانه لم يتطرق و لو بسطر واحد للكلام على المصيبة التي أصيبت بها الأمة الاسلامية ألا و هو سقوط بيت المقدس في يد الصليبية

قال الشيخ عبد الرحمن الوكيل رحمه الله :

(سقط بيت المقدس في يد الطليبيين عام هـ و الغزالي الزعيم الصوفي الكبير على قيد الحياة فلم يحرك منه هذا الحادث الجلل شعورا واحدا و لم يجر قلمه بشيء ما عنه في كتبه لقد عاش الغزالي بعد ذلك ١٣ عاما اذ مات سنة ٥٠٥هـ فما ذرف دمعة واحدة و لا استنهض همة مسلم ليذود عن الكعبة الأولى بينما سواه من الشعراء يقول :

أحل الكفر بالاسلام ضيما ... يطول عليه للدين النحيب

و كم من مسجد جعلوه ديرا ... على محرابه نصب الصليب

دم الخنزير فيه لهم خلوف ... و تحريف المصاحف فيه طيب

أهز هذا الصريح الموجع زعامة الغزالي كلا اذ كان عاكفا على كتبه يقرر فيها ان الجمادات تخاطب الأولياء !!

و يتحدث عن الصحو و المحو دون أن يقاتل أو يدعوا حتى غيره الى قتال و ابن عربي و ابن الفارض الزعيمان الصوفيان الكبيران عاشا في عهد الحروب الصليبية فلم نسمع عن واحد منهما أنه شارك في قتال أو دعيا الى قتال أو سجلا في شعرهما أو نثرهما آهة حسرة على الفواجع التي نزلت بالمسلمين

لقد كانا يقرران للناس ان الله هو عين كل شيء فليدع المسلمون الصليبيين فما هم الا الذات الالهية متجسدة في تلك الصور هذا حال أكبر زعماء التصوف و موقفهم من أعداء الله فهل كافحوا غاصبا أو طاغيا (١)

و حين أغار الفرنج على المنصورة قبل منتصف القرن السابع الهجرى اجتمع زعماء الصوفية أتدرى لماذا ؟ لقراءة رسالة القشيرى و المناقشة في كرامات الأولياء (٢)

ثم قال الشيخ عبدالرحمن الوكيل بعد أن أورد هذه الحكاية : من أجل ذلك يجب أن لا نستغرب اذا رأينا المستعمرين يغدقون على الصوفية الجاه و المال فرب مفوض سام لم يكن يرضى أن يستقبل ذوى القيمة الحقيقية من وجوه البلاد ثم تراه يسعى الى زيارة حلقة من حلقات الذكر و يقضي هناك زيارة سياسية تستغرق الساعات أليس التصوف الذى على هذا الشكل يقتل عنصر المقاومة في الأمم (٣)

و يقول الدكتور عمر فروخ : ألا يعجب القارىء اذا علم ان حجة الاسلام أبا حامد الغزالي شهد القدس تسقط في أيدى الفرنجة الصليبيين و عاش اثنا عشر سنة

---

(١) — هذه هي الصوفية لعبدالرحمن الوكيل ١٧٠

(٢) — أنظر طبقات الشعراني ١/ ١١

(٣) — هذه هي الصوفية لعبد الرحمن الوكيل ١٧٢

بعد ذلك ولم يشر الى هذا الحادث العظيم ولو أنه أهاب بسكان العراق وفارس وبلاد الترك لنصرة اخوانهم في الشام لنفر مئات الألوف منهم للجهاد في سبيل الله ولو فروا اذن على العرب والاسلام عصورا مملوءة بالكفاح وقرونا زاخرة بالجهل والدمار

وما غفلة الغزالي عن ذلك الا لأنه كان في ذلك الحين قد انقلب صوفيا واقتنع على الأقل بأن الصوفية سبيل من سبل الحياة بل هي أسدى تلك السبل وأسعدها ..... ويزعم المتصوفة ان لهم كرامات ولكنهم لم يظهروا هذه الكرامات للدفاع عن دينهم وأوطانهم فاذا كان بهؤلاء القوم مثل هذه الكرامات ومثل هذه الكرامات لم تكن منهم فلقد كان من الجناية على الدين نفسه أن يسكتوا عن الفرنج الصليبيين في بلاد المسلمين وعن غيرهم من المغيرين الظالمين

ولكن المتصوفة يعللون سكوتهم ورضاهم بما ينزل بقومهم من المصائب بأن هذه المصائب عقاب من الله للمذنبين من خلقه فاذا كان الله قد سلط على قوم ظالما فليس لأحد أن يقاوم ارادة الله أو أن يتأفف منها (١)

وهذه شهادة ثالثة للدكتور زكي مبارك حيث قال بعد أن تحدث قليلا عن الحروب الصليبية : أتدرى لماذا ذكرت لك هذه الكلمة عن الحروب الصليبية لتعرف انه بينما كان يطرس الناسك يقضى ليله ونهاره في اعداد الخطب وتجييد الرسائل يحث أهل أوروبا فيها على احتلال أقطار المسلمين كان الغزالي حجة الاسلام غارقا في خلوته منكبا على أوراده المبتدعة لا يعرف ما يجب عليه من الدعوة الى الجهاد

---

(١)— التصوف في الاسلام للدكتور عمر فروخ ١٠٩

ويكفي أن نذكر ان الافرنج لما قبضوا على أبي القاسم الرطي (١) الحافظ يوم فتح بيت المقدس ونادوا عليه ليفتدى فلم يفده أحد ثم قتلوه وقتلوا معه من العلماء عددا لا يحصيه الا الله كما ذكر السبكي في طبقاته

فاين هذه المواقف المحذولة للمتصوفة من موقف العالم الفقيه شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى المشرف من هجوم التتار على دمشق فقد سارع لمقابلة ملكهم (قازان) على رأس وفد من الشاميين لاقناعه بالعدول عن دخوله دمشق فجعل يحدث هذا الملك بكل شجاعة مما أثار دهشته

ولما يئس منه سافر الى مصر وحرض السلطان بن النصر على الخروج الى الشام والدفاع عنها بعد ما تخلى عنها فلبى طلبه والتقى الجيشان في مرج الصفر قريبا من دمشق ونشبت معركة رهيبة اشترك فيها الامام ابن تيمية بعد أن ثبت المسلمين وبشرهم بالنصر فامتطى صهوة جواده وخرج الى ميدان الحرب يحارب بكل شجاعة ويحرض جماعته على الصبر والقتال ودامت المعركة أربعة أيام صدق خلالها أهل الشام وجند مصر القتال حتى اذا جاء عصر اليوم الرابع انتصر جند مصر والشام وهزم جيش التتار شر هزيمة بعد ما كان يهدد الشرق والغرب (٢)

---

(١) —

(٢) — أنظر البداية والنهاية لابن كثير ١٤/١٩

و من مبادئ الصوفيـة التي وضعوها لأنفسهم هو التكيف مع الزمان الذى يعيشون فيه و الدوران معه حيث دار و عدم المشي عكس الواقع المفروض بل يجب الخضوع للواقع سواء كان هذا الواقع موافقا للاسلام أو مخالفا له و سواء كان المتحكم في بلاد الاسـلام مسلمون أو كفار لأن الكل قدره الله تعالى

و مما يدل على هذا قول عبدالوهاب الشعراني حيث قال مقرر مبادئ الصوفيـة :

(أخذ علينا العهد بأن نأمر اخواننا أن يدوروا مع الزمان و أهله كيف دار و لا يزدرون قط من رفعه الله عليهم و لو في أمور الدنيا و ولايتها و كل ذلك أدبا مع اللـه عز و جل الذى رفعهم فانه ما يرفع أحدا الا لحكمة ثم أى فائدة من ازدراء من ارتفـع عليهم مع أن أحدا لا يسمع لهم و هذا العهد قل من يعمل به من الناس فيقولون عـن المحتسب أو الوزير أو غيرهما من أين لهؤلاء السفلة الفخامة علينا ونحن نعرف آبائهم (١)

و يقول الدكتور عمر فروخ يقول الصوفية : اذا سلط الله على قوم ظالما فليـس لأحد أن يقاوم ارادة الله أو أن يتأفف منها (٢)

و كثير من الطرق الصوفية هي عملاء للمستعمرين في العالم الاسلامي الى عصرنـا الحاضر و هم الذين مهدوا الطريق لاستعمار العالم الاسلامي من قبل الصليبيـين يقول الرئيس فيلب فونداس المستعمر الفرنسي : .

لقد اضطر حكامنا الاداريون و جنودنا في افريقيا الى تنشيط دعوة الطرق الدينية الاسلامية لأنها كانت أطوع للسلطة الفرنسية و أكثر تفهما و انتظاما من الطرق الوثنية (٣)

---

(١) ـ التصوف الاسلامي في الأدب و الأخلاق ٢ / ٣٠١ نقلا عن البحر المورود ٢٩٢

(٢) ـ التصوف في الاسلام للدكتور عمر فروخ ١٠٩ ـ

(٣) ـ الاستعمار الفرنسي في افريقيا السوداء ٥٢

و قال مؤلفوا كتاب تأريخ العرب الحديث و المعاصر تحت عنوان : .

(المتعاونون مع فرنسا في الجزائر)

و تتألف هذه الفئة من بعض الشباب الذين تثقفوا في المدارس الفرنسية و قضى الاستعمار على كل صلة لهم بالعروبة يضاف اليهم بعض أصحاب الطرق الصوفية الذين أشاعوا الخرافات و البدع و بثوا روح الانهزامية و السلبية في النضال فاستعملهم الاستعمار كجواسيس ثم فئة من الموظفين و النواب و العسكريين الذين شاركوا الادارة الفرنسية في أعمالها (١)

و قد كان اتباع الطريقة التيجانية و شيوخها من أكثر العلماء نفعا لفرنسا في الجزائر و بعض الأقطار الافريقية ففي عام ١٨٧٠م استطاعت سيدة فرنسية تدعى (أوريلي بيكار) أن تتسلل الى الزاوية التيجانية و تتزوج شيخها المدعو سيدى أحمد و لما توفي تزوجت أخاه فأصبحت السيدة المذكورة مقدسة عند التيجانيين و أطلقوا عليها لقب(زوجة السيدين) و كانوا يتيممون بالتراب الذى تمشي عليه مع أنها بقيت كاثوليكية على دينها القديم و قد أنعمت فرنسا عليها بوسام الشرف

و قالت الحكومة الفرنسية في أسباب منح هذا الوسام لأن هذه السيدة قد أدارت الزاوية التيجانية الكبرى ادارة حسنة كما تحب فرنسا و ترضى و كسبت للفرنسيين مزارع خصيبة و مراعي كثيرة لو لا ها ما خرجت من أيد العرب الجزائريين التيجانيين و لانها ساقت الينا جنود مجندة من أحباب الطريقة التيجانية و مريديها يجاهدون في سبيل فرنسا صفا كأنهم بنيان مرصوص (٢)

---

(١)— تأريخ العرب الحديث و المعاصر ٣٧٣

(٢)— مخازى الولي الشيطاني ١٢ نقلا عن التصوف لشقفة ٢١٢

و قد ساعد اتباع الطريقة التيجانية الجيوش الفرنسية بمختلف الوسائل فكانوا يتجسسون لهم و يرسلون معهم الأدلاء و يقاتلون الى جانبهم وعد مشائخهم ذلك واجبا يطلبه الشرف و يبغون فيه الاحتساب من الله تعالى

قال الشيخ محمد الكبير صاحب السجادة التيجانية الكبرى و خليفة الشيخ أحمد التيجاني الأكبر مؤسس هذه الطريقة في خطبة ألقاها أمام رئيس البعثة العسكرية الفرنسية في مدينة (عين ماض) المركز الأساسي للطريقة الصوفية التيجانية و ذلك بتأريخ ٢٨ ذى الحجة عام ١٣٥٠ هـ

قال فيها : ان من الواجب علينا اعانة حبيبة قلوبنا فرنسا ماديا و معنويا و سياسيا و لهذا فاني أقول لا على سبيل المن و الافتخار و لكن على سبيل الاحتساب و الشرف بالقيام بالواجب ان أجدادى قد أحسنوا صنعا في انضمامهم الى فرنسا قبل أن تصل الى بلادنا و قبل أن تحتل جيوشها الكرام ديارنا (١)

و قال الشيخ شقفة : و لم يقف الاستعمار في بلادنا و لا في مصر موقفا عدائيا من الصوفية بل كان يشجعها و يكرم شيوخها و يحسن استقبالهم و يسارع الى تحقيق مطالبهم (٢)

و قال الشيخ طنطاوى جوهرى في كتابه الجواهر في تفسير القرآن : .

ان كثيرا من الصوفية قد تنعموا و عاشوا في رغد من العيش و أغدق الناس عليهم المال من كل جانب و حببت اليهم الثمرات و هوت اليهم القلوب لما ركز في النفوس من قربهم الى الله فلما رأو الفرنجة أحاطوا بالمسلمين لم يسعهم الا أن يسلموا لهم القيادة ليعيشوا في أمن و سلام و هذا هو الذى حصل في أيامنا و ذكره الفرنسيون في

---

(١) — تأريخ المغرب في القرن العشرين لروم لاندو ١٤٣

(٢) — التصوف بين الحق و الخلق لشقفة ٢١٦

جرائدهم قبل الهجوم على مراكش و قرأنا نحن فيها اذ صرحوا بأن المسلمين خاضعون لمشائخ الطرق و أن الشرفاء القائمين في تلك البلاد و رجال الصوفية هم الذين يسلموننا البضاعة فعلى رجال السياسة أن يغدقوا النعم على مشائخ الطرق و على الشريف الذى يملك السلطة في تلك البلاد

و قالوا هكذا بصريح العبارة :(ان هؤلاء جميعا متمتعون بالعيش الهني و رغد المعيشة في ظلال جهل المسلمين و غفلتهم فمتى أكرمناهم و أنعمنا عليهم فهم يكونون معنا و يشاركوننا في جر المغنم و بصريح العبارة يكونون أشبه بالغربان و النسور و العقبان التي تأكل ما فضل من فرائس الآساد و النمور (١) .

و الخلاصة مما سبق لنا من العبارات التي نقلناها عن المتصوفة أنفسهم و التي تدل دلالة صريحة واضحة على أنهم يرون الجهاد الأكبر هو جهاد النفس أما جهاد الأعداء فليس بأمر ذى أهمية بالاضافة الى مقالات الكتاب المسلمين و غير المسلمين الذين أكدوا فيها تقاعس المتصوفة عن القيام بالجهاد في سبيل الله و تعاونهم مع المستعمر ندرك خطر كثير من رجال الطرق الصوفية على البلاد فانهم لا يتقاعسون عن تعاونهم مع الاستعمار اذا ضمنت مصالحهم المادية الخاصة و هم علاوة على هذا فانهم مستسلمون دائما للعدو فلا يحركون ساكنا اذ شعارهم الصوفي : .

دع الخلق للخالق (٢) ، ليس في الامكان أبدع مما كان (٣) ،

لو اطلعتم على الغيب لاخترتم الواقع

---

(١)— الجواهر في تفسير القرآن للطنطاوى ١٣٧/٩—١٣٨

(٢) ، (٣) التصوف بين الحق و الخلق لشقفة ٢١٥

و قال علي برادة التيجاني : ان الكفار و المجرمين و الفجرة و الظلمة ممتثلون لأمر الله تعالى ليسوا بخارجين عن أمره (١)

و اذا نظرنا الى العبارات السابقة نرى بأنها عبارات خطيرة جدا كلها تدعوا الى عدم مقاومة الكفار و مقارعتهم و ذلك لأن مقاومتهم تعني الاعتراض على قضاء الله و قدره و أن الكفرة ما هم الا ممتثلون لأمر الله تعالى و لذا فلا يجوز مقاومتهم بل ينبغي الاستسلام لهم و الخضوع للأمر الواقع مهما كان هذا الواقع نوعه سواء كانت السيطرة فيه للكفرة أو للمسلمين ليس هناك فرق بين الواقعين في المفهوم الصوفي و معنى هذا هو تعطيل الجهاد كلية

---

(١) جواهر المعاني لعلي برادة ١/ ٢٢١

الفصل الثالث : انحرافهم في مفهوم القضاء والقدر والتوكل والجنة والنار

وتحته ثلاثة مباحث

المبحث الأول : انحرافهم في مفهوم القضاء والقدر وأهمية الايمان بهما في العقيدة الاسلامية

وتحته ثلاثة مطالب

المطلب الأول : تعريف القضاء والقدر ومكانة الايمان بهما في العقيدة الاسلامية

المطلب الثاني : انحرافهم في عقيدة القضاء والقدر

المطلب الثالث : بيان بطلان المعتقد الصوفي تجاه عقيدة القضاء والقدر

المبحث الثاني : انحرافهم في مفهوم التوكل ومكانته العظيمة في العقيدة الاسلامية

وتحته مطلبان

المطلب الأول : تعريف التوكل وفضله ومكانته العظيمة في الاسلام وأنواعه

المطلب الثاني : عقيدة الصوفية في التوكل وبيان بطلانها

المبحث الثالث : انحراف عقيدة الصوفية تجاه الجنة والنار والخوف والرجاء

المبحث الأول : انحرافهم في عقيدة القضاء والقدر

تمهيد

لقد انحرف المتصوفة في القضاء والقدر كما انحرفوا في أشياء كثيرة من العقيدة الاسلامية حيث احتجوا بالقضاء والقدر في تجويز اقتراف المعاصي انطلاقا من معتقدهم الفاسد الذى وضعوه بأنفسهم من أن كل ما قدره الله وقضاه فقد رضيه ولذا لا ينبغي الانكار على من يرتكب المعاصي لأن الله قد قدرها وما قدره الله فالله سبحانه وتعالى يحبه وما دام الأمر كذلك فلا يجوز الانكار

وقبل أن أدخل في ذكر انحرافات المتصوفة تجاه عقيدة القضاء والقدر أريد أن أعرف القضاء والقدر وأذكر مكانة الايمان بهما في العقيدة الاسلامية ومراتبهما وحكم الرضا بهما وذلك حرصا على بيان المعتقد الصحيح الواجب اعتقاده تجاه هذه العقيدة التي ضل فيها فرق كثيرة فوقعوا في متاهات وضلالات خطيرة

المطلب الأول : تعريف القضاء والقدر ومكانة الايمان بهما في العقيدة الاسلامية

أولا تعريف القضاء والقدر

أ ـ معنى القدر في اللغة

قال ابن الأثير في معنى القدر

(قدر) من أسماء الله تعالى : القادر والمقتدر والقدير ، فالقادر اسم فاعل من قدر يقدر والقدير فعيل منه ، وهو للمبالغة والمقتدر مفتعل من اقتدر وهو أبلغ

وقد تكرر ذكر القدر في الحديث وهو عبارة عما قضاه الله وحكم به من الأمور وهو مصدر قدر يقدر قدرا وقد تسكن داله

ومنه ذكر ليلة القدر وهي الليلة التي تقدر فيها الأرزاق وتقضى (١)

وقال الجرجاني في تعريف القدر : القدر تعلق الارادة الذاتية بالأشياء في أوقاتها الخاصة فتعليق كل حال من أحوال الأعيان بزمان معين وسبب معين عبارة عن القدر .... ثم قال القدر خروج الممكنات من العدم الى الوجود واحدا بعد واحد مطابقا للقضاء الذي في الأزل والقدر فيما لا يزال والفرق بين القضاء والقدر هو أن القضاء وجود جميع الموجودات في اللوح المحفوظ مجتمعة والقدر وجودها متفرقة في الأعيان بعد حصول شرائطها (٢)

وفي المعجم الوسيط جاء في معنى القدر : القدر مقدار الشيء وحالاته المقدرة له وفي التنزيل العزيز : ((انا كل شيء خلقناه بقدر)) ووقت الشيء أو مكانه المقدر له والقضاء الذي يقضي به الله على عباده (٣)

---

(١) ـ النهاية لابن الأثير ٤ / ٢٢

(٢) ـ التعريفات للجرجاني ١٧٤

(٣) ـ المعجم الوسيط ٢ / ٧١٨

ب ـ تعريف القدر في الاصطلاح

قال القرطبي : القدر مصدر قدرت الشيء بتخفيف الدال أقدره وأقدره قدرا أو قدر اذا حصلت بمقداره ويقال فيه قدرت أقدر تقديرا شدد الدال فاذا قلنا ان الله تعالى قدر الأشياء فمعناه أنه تعالى علم مقاديرها وأحوالها وأزمانها قبل ايجادها ثم أوجد منها ما سبق في علمه انه يوجده على نحو ما سبق في علمه فلا محدث في العالم العلوي والسفلي الا هو صادر عن علمه تعالى وقدرته وارادته وهذا هو المعلوم من دين السلف الماضين الذي دلت عليه البراهين (١)

ويقول الشيخ عبدالكريم الخطيب : وقد ورد القدر في القرآن الكريم مصدرا وفعلا قال تعالى :((انا أنزلناه في ليلة القدر))(٢)

وقال تعالى :((انا كل شيء خلقناه بقدر))(٣)

وقال تعالى :((فقدرنا فنعم القادرون))(٤)

وقال تعالى :((وقدر فيها أقواتها في أربعة أيام سواء للسائلين))(٥)

ومعنى القدر التقدير ووضع الشيء في موضعه المناسب ولفظ القدر مشتق من القدرة ومن القدرة اشتقت الصفات الكريمة لله القادر والقدير والمقتدر

من ذلك نرى أن القضاء أخص من القدر بمعنى أن دائرة القدر أشمل وأعم فالقدر تدبير والقضاء حكم والقدر تصميم والقضاء تنفيذ وهذا واضح بالاضافة الى الله سبحانه وتعالى فالقدر من القدرة والقدرة الالهية لا يمدها شيء ايجادا أو عدما خلقا وافناء احياء أو اماتة فلو أراد سبحانه أن يجعل صورة الانسان

---

(١) ـ تفسير القرطبي ١٧ / ١٤٨

(٢) ـ القدر ١

(٣) ـ القمر ٤٩

(٤) ـ المرسلات ٢٣

(٥) ـ فصلت ١٢

على غير تلك الصورة لكان الذى أراد ولو أراد سبحانه أن يقيم الوجود كله على غير هذه الصورة لكان الذى أراد ولو أراد سبحانه أن يقيم الوجود كله على غير هذه الصورة لما كان هذا الوجود القائم ولكان هناك وجودا آخر أو عدة صور لا تنتهي من الوجود ولكن هكذا كان قضاء الله وحكمه في محيط قدرته المطلقة والله سبحانه وتعالى يقول :

((ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة))(١)

فهذا كله مما يدخل في قدرة الله تعالى كما يدخل فيها كل ما لا يخطر على بال أو يقع في ظن ولكن مشيئته سبحانه شاءت ما اختارت بارادته وحكمته من بين ما في سلطان قدرته التي لا تحد (٢)

اذا نظرنا في التعريفات اللغوية والاصطلاحية السابقة للقدر نخرج بخلاصة واحدة وهي أن معنى القدر هو أن الله سبحانه وتعالى قدر جميع ما يقع في هذا الكون قبل أن يقع [illegible] وأنه مسجل عنده في اللوح المحفوظ ولا يمكن أن يقع شيء في هذا الكون لم يقدره الله سبحانه وتعالى

ج ـ تعريف القضاء في اللغة والاصطلاح

قال الجرجاني في تعريف القضاء : القضاء لغة الحكم (٣)

وقال ابن الأثير في تعريف القضاء : أصل القضاء القطع والفصل يقال قضى يقضي قضاء فهو قاضي اذا حكم وفصل وقضاء الشيء احكامه وامضاؤه والفراغ منه فيكون بمعنى الخلق

---

(١) ـ هود ١١٩

(٢) ـ القضاء والقدر لعبد الكريم الخطيب ١٧٦

(٣) ـ التعرفات للجرجاني ١٧٧

و قال الزهرى : القضاء في اللغة على وجوه ، مرجعها الى انقطاع الشيء و تمامه و كل ما أحكم عمله أو أتم أو ختم أو أدى أو أوجب أو أعلم أو أنفذ أو أمضي فقد قضي و قد جاءت هذه الوجوه كلها في الحديث

و منه القضاء المقرون بالقدر و المراد بالقدر التقدير و بالقضاء الخلق كقوله تعالى :

((فقضاهن سبع سماوات في يومين)) (١)

أى خلقهن فالقضاء و القدر أمران متلازمان لا ينفك أحدهما عن الآخر لأن أحدهما بمنزلة الاساس و هو القدر و الآخر بمنزلة البناء و هو القضاء فمن رام الفصل بينهما فقد رام هدم البناء و نقضه (٢)

د ـ معنى القضاء في الاصطلاح

قال الامام القرطبى في معنى القضاء :

ان القضاء يكون بمعنى الأمر كقوله تعالى :((و قضى ربك ألا تعبدوا الا اياه و بالوالدين احسانا))(٣)

و يكون بمعنى الخلق كقوله تعالى :((فقضاهن سبع سماوات في يومين و أوحى في كل سماء أمرها))(٤)

و يكون بمعنى الحكم كقوله تعالى :((فاقض ما أنت قاض انما تقض هذه الحياة الدنيا))(٥)

و يكون بمعنى الفراغ كقوله تعالى :((قضي الأمر الذى فيه تستفتيان))(٦)

---

(١)ـ فصلت ١٢

(٢)ـ النهاية لابن الأثير ٤ / ٧٨

(٣)ـ الاسراء ٢٣

(٤)ـ فصلت ١٢

(٥)ـ الصافات

(٦)ـ يوسف ٤١

و يكون بمعنى الارادة كقوله تعالى :((اذا قضى أمرا فانما يقول له كن فيكون))(١)

و يكون بمعنى العهد كقوله تعالى : ((و ما كنت بجانب الغربي اذ قضينا الى موسى الأمر و ما كنت من الشاهدين))(٢)

اذا نظرنا في هذه المعاني التي ذكرها القرطبي للقضاء نرى كلها تدل على معنى واحد ألا و هو الفصل أو الحسم أو الانجاز لأن الأمر و الخلق و الحكم و الفراغ و الارادة و العهد كلها تدل على حسم الأمر و انجازه

قال الشيخ عبدالكريم الخطيب : فأمر الله لا يقع الا و معه الحسم و الانجاز و كذلك خلقه و حكمه و ارادته و عهده كما تقع في حسم و انجاز و لهذا جاء القضاء و مشتقاته مسندا الى الله تعالى في جميع الآيات التي ذكر فيها القضاء و لم يجيء مسندا الى غيره سبحانه الا مرة واحدة هي قوله تعالى على لسان السحرة لفرعون :

((فاقض ما أنت قاض)) و ذلك في مقام التحدى لفرعون و ألوهيته التي يدعيها كذلك جاء القضاء مسندا الى غير الله تعالى في حال النفي و ذلك في قوله تعالى :

((و الذين يدعون من دونه لا يقضون بشيء)) و هذا يعني أن القضاء لا يكون الا من مصدر عال يقضي فيمضي ما يقضى به و منه اشتق لفظ القضاء في الخصومات بين المتخاصمين أى الحاكم الذى لا يرد حكمه (٣)

و قال الشيخ عبدالكريم الخطيب : لم يذكر لفظ القضاء في القرآن الكريم و انما ذكرت مشتقاته في آيات كثيرة

---

(١)— آل عمران ٤٧

(٢)— القصص ٤٤ و أنظر تفسير القرطبي ١٠/٢٣٧

(٣)— القضاء و القدر لعبدالكريم الخطيب ١٧٥

فذكر القضاء في صورة فعل كقوله :((فقضاهن سبع سماوات في يومين))(١)

و قوله تعالى :((و قضى ربك ألا تعبدوا الا اياه و بالوالدين احسانا))(٢)

و قوله تعالى :((والله يقضي بالحق و الذين من دونه لا يقضون بشيء))(٣)

و قوله سبحانه : ((فلما قضينا عليه الموت ما دلهم على موته الا دابة الأرض تأكل منسأته))(٤)

كذلك ورد من لفظ القضاء اسم المفعول في قوله تعالى :((و كان أمرا مقضيا))(٥)

و اسم الفاعل في قوله تعالى :((فاقض ما أنت قاض))(٦)

والذى ينظر في هذه الآيات يجد تقاربا واضحا بين مشتقات القضاء و أنها تدور جميعها حول معنى واحد هو الفصل و الحسم في الأمر و أن قضاء الأمر معناه انجازه و حسمه (٧)

و قد عرف الجرجاني القضاء في الاصطلاح : بأنه عبارة عن الحكم الكلى الالهى في أعيان الموجودات على ما هي عليه من الأحوال الجارية في الأزل الى الأبد (٨)

من كل ما تقدم نخرج بخلاصة واحدة ألا و هي أن القضاء معناه الفصل و الحسم و الانجاز و الحكم .

---

(١)— فصلت ١٢

(٢)— الاسراء ٢٣

(٣)— غافر ٢

(٤)— سبأ ١٤

(٥)— مريم ٢١

(٦)— طه ٧٢

(٧)— القضاء و القدر لعبد الكريم الخطيب ١٧٤

(٨)— التعريفات للجرجاني ١٧٧

ثانيا : مكانة الايمان بالقضاء والقدر من العقيدة الاسلامية

ان الايمان بالقضاء والقدر يعتبر ركنا من أركان الايمان الذى لا يمكن أن يتم ايمان شخص ما الا بالايمان بهما جميعا وما يدل على هذا قول الرسول صلى الله عليه وسلم في حديث جبريل الطويل الذى رواه عمر بن الخطاب حيث ذكر فيه الرسول أركان الاسلام والايمان فقال الرسول صلى الله عليه وسلم متحدثا عن أركان الايمان : (الايمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله وتؤمن بالقدر خيره وشره حلوه ومره من الله تعالى)(١)

وعلى هذا فيجب على كل مسلم أن يؤمن ايمانا قويا وصادقا بأن كل ما يقع في هذا الكون من شر أو خير انما هو بارادة الله تعالى ولا يمكن أن يقع في هذا الكون شيئا لم يقدره الله سبحانه أزلا ولم يسجله في اللوح المحفوظ نهائيا وهذا المعتقد ينبغي أن يعتقده أى مسلم يريد النجاة من عذاب الله يوم القيامة

ومن الآيات التي تدل على أن كل ما يقع في هذا الكون قدره الله [illegible] ما يلي::

١ــ قوله تعالى :(ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم الا في كتاب من قبل أن نبرأها ان ذلك على الله يسير)(٢)

ويقول سبحانه :(انا كل شيء خلقناه بقدر وما أمرنا الا واحدة كلمح بالبصر)(٣)

ويقول تعالى :(وخلق كل شيء فقدره تقديرا)(٤)

ونخلص من هذه الآيات بأن كل ما يقع في هذا الكون قدره الله سبحانه في اللوح المحفوظ وأنه لا يمكن أن يقع في ملكه مالم يقدره سبحانه وتعالى

---

(١)ــ صحيح مسلم مع النووى ١/١٥٧
(٢)ــ الحديد ٢٢
(٣)ــ القمر ٤٩
(٤)ــ الفرقان ١٢

وأما الأحاديث التي تدل على أن أى شيء لا يمكن أن يقع في هذا الكون كائنا ما كان صغر أو كبر سواء كان هذا الشيء خيرا أو شرا والتي تحث على الايمان بأن القضاء والقدر من الله تعالى كثيرة واليك نماذج منها

عن جابر بن عبدالله رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(لا يؤمن عبد حتى يؤمن بالقدر خيره وشره ، حتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه)(١)

وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(لا يؤمن عبد حتى يؤمن بأربع يشهد أن لا اله الا الله وأني رسول الله بعثني بالحق ويؤمن بالموت ويؤمن بالبعث بعد الموت ويؤمن بالقدر (٢)

اذا نظرنا في هذين الحديثين نرى بوضوح أن الايمان بالقدر يعتبر شرطا أساسيا لكي يصبح الانسان مؤمنا الايمان الكامل الحق الذى ينجي صاحبه يوم القيامة من النار وأن الذى لا يؤمن بالقدر فالايمان منفي عنه حتى يؤمن بالقدر

وعن طاووس قال : أدركت أناسا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولون كل شيء بقدر قال وسمعت عبدالله بن عمر يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل شيء بقدر حتى العجز والكيس أو الكيس والعجز (٣)

وعن عبادة بن الصامت أنه قال لابنه : يا بني انك لن تجد طعم الايمان حتى تعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك وما أخطأك لم يكن ليصيبك سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ان أول ما خلق الله القلم فقال اكتب قال رب وماذا أكتب قال أكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة يابني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم

---

(١) — جامع الترمذى مع تحفة الأحوذى ٦/٣٥٦

(٢) — نفس المرجع ٦/٣٥٧

(٣) — مسلم مع النووى ١٦/٢٠٥

يقول من مات على غير هذا فليس مني (١)

اذا نظرنا في هذا الحديث نرى أن الرسول صلى الله عليه و سلم صرح بأن من لم يؤمن بالقدر ليس منه و هذا وعيد شديد

و قول الرسول صلى الله عليه وسلم في رواية لمسلم : كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات و الأرض بخمسين ألف سنة قال و عرشه على الماء (٢)

و قوله صلى الله عليه و سلم في رواية البخارى : كان الله و لم يكن شيء قبله و كان عرشه على الماء ثم خلق السماوات و الأرض و كتب في الذكر كل شيء (٣)

و على هذا فيجب على كل مسلم أن يؤمن بأن كل ما يقع في هذا الكون قدره الله سبحانه و تعالى في الأزل و كتبه في اللوح المحفوظ و أنه لا يمكن أن يقع في ملكه ما لم يقدره

و ينبغي أن يعتقد المسلم اعتقادا جازما بأنه لا يمكن أن يصيبه شيء في هذه الحياة من خير أو شر الا ما قدره الله له و مما يدل على هذا قول الرسول صلى الله عليه و سلم لابن عباس رضي الله عنه و اعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك الا بشيء قد كتبه الله لك ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك الا بشيء قد كتبه الله عليك رفعت الأقلام و جفت الصحف (٤)

و عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : أنه يكون في آخر الزمان قوم يكذبون بالقدر ألا و أولئك مجوس هذه الأمة فان مرضوا فلا تعودوهم و ان ماتوا فلا تشهدوهم (٥)

---

(١) — أخرجه الترمذى مع اختلاف في بعض ألفاظه

(٢) — صحيح مسلم مع النووى ١٦/٢٠٣

(٣) — صحيح البخارى مع الفتح ١٣/٤٠٣

(٤) — سنن الترمذى ٤/٥٧٥ و ذكره الالباني في صحيح النسائي رقم ٢٥١٦

(٥) — الشريعة للآجرى ١٩٠

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : ان لكل أمة مجوسا وان مجوس هذه الأمة القدرية فلا تعودوهم اذا مرضوا و لا تصلوا عليهم اذا ماتـــوا (١)

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه و سلم قال : ما كانت زندقة الا كان أصلها التكذيب بالقدر (٢)

وعن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : مـــا هلكت أمة قط الا بالاشراك بالله و ما أشركت أمة قط الا و كان بدوء اشراكها التكذيـب بالقدر (٣)

و أما وصايا السلف في الايمان بالقضاء والقدر والتحذير من انكارهما والخوض فيهما فكثيرة جدا واليك نماذج منها

عن يحيي بن يعمر قال خرجت أنا وحميد بن عبد الرحمن الحميدى فلقينـــا عبدالله بن عمر حاجين أو معتمرين فقلنا ودد نا أنا لقينا رجلا من أصحاب محمد صلـى الله عليه و سلم فنسأله عن القدر قال فلقينا ابن عمر فظننت أنه سيكل الكلام الى قلنا يا أبا عبدالرحمن قد ظهر قبلنا أناس يقرأون القرآن يتفقرون العلم تفقرا يزعمون أن لا قدر وان الأمر أنف قال فأبلغهم عني ان لقيتهم أني منهم برئ وأنهم مني بـرآء والذى يحلف به عمر نفسه لو أن أحدهم أنفق مثل أحد ذهبا ثم لم يؤمن بالقدر مـا قبل منه ثم ذكر حديث عمر المشهور والذى بدأه الرسول صلى الله عليه و سلم بقولـه : (انما الأعمال بالنيات)(٤)

---

(١) ـ الشريعة للآجرى ١٦١
(٢) ـ الشريعة للآجرى ١٦٣
(٣) ـ الشريعة للآجرى ١٦١
(٤) ـ كتاب الايمان لابن منده ١٣١

و روى الآجرى أن عبادة بن الصامت لما احتضر طلب منه ابنه أن يوصيه فقال يا أبت أوصني .فقال أجلسوني فلما أجلسوه قال يا بني اتق الله ولن تتقي الله حتى تؤمن بالله ولن تؤمن بالله حتى تؤمن بالقدر خيره و شره و تعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك و ما أخطأك لم يكن ليصيبك سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول : القدر على هذا من مات على غير هذا دخل النار (١)

و قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه حين قيل له ان ناسا يتكلمون في القدر فقام خطيبا فقال : يا أيها الناس انما هلك من كان قبلكم في القدر والذى نفس عمر بيده لا أسمع برجلين تكلما فيه الا ضربت أعناقهما قال فأحجم الناس فما تكلم فيه أحد حتى ظهرت نابغة الشام (٢)

و قال ابن عباس حينما أخبروه بأن الناس يتكلمون في القدر قال يكذبون بالكتاب لئن أخذت بشعر أحدهم لأنضونه ان الله عز و جل كان عرشه على الماء قبل أن يخلق شيئا فخلق القلم فكتب ما هو كائن الى يوم القيامة فانما يجرى الناس على أمر قد فرغ منه (٣)

و قال عمران بن الحصين حين سئل عن الايمان بالقدر قال : لو أن الله عذب أهل السماوات و الأرض لعذبهم و هو غير ظالم لهم ولو أنه رحم أهل السماوات و الأرض لكانت رحمته أوسع من ذلك ولو أن رجلا له مثل أحد ذهبا ينفقه في سبيل الله لا يؤمن بالقدر خيره و شره ما تقبل منه (٤)

---

(١) — الشريعة للآجرى ١٨٦

(٢) — شرح أصول اعتقاد أهل السنة و الجماعة للالكائي ٤/٦٦٤

(٣) — نفس المرجع ٤/٦٦٦

(٤) — نفس المرجع ٤/٦٧٦

و قال شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله و هو يتحدث عن معتقد أهل السنـــــة و الجماعة في القضاء و القدر :

(مذهب أهل السنة و الجماعة في هذا الباب و غيره ما دل عليه الكتاب و السنـــة وكان عليه السابقون الأولون من المهاجرين و الأنصار و الذين اتبعوهم باحسان و هـــو أن الله خالق كل شيء و ربه و مليكه و قد دخل في ذلك جميع الأعيان القائمة بها مـــن أفعال العباد و غير أفعال العباد و أنه سبحانه ما شاء كان و ما لم يشأ لم يكن فـــلا يكون في الوجود شيء الا بمشيئته و قدرته لا يمتنع عليه شيء شاءه بل هو قادر علـــى كل شيء و لا يشاء شيئا الا وهو قادر عليه و أنه سبحانه يعلم ما كان و ما يكون و مالـــم يكن لو كان كيف كان يكون فقد دخل في ذلك أفعال العباد و غيرها و قد قدر مقادير الخلائق قبل أن يخلقهم قدر أرزاقهم و آجالهم و أعمالهم و كتب ذلك و كتب مـــا يصيرون اليه من سعادة و شقاوة فهم يؤمنون بخلقه لكل شيء و قدرته على كل شيء و مشيئته لكل ما كان و علمه بالأشياء قبل أن تكون و تقديره لها و كتابته اياها قبل أن تكـــــون (١)

و قد قسم الامام ابن القيم مراتب القضاء و القدر الى أربعة مراتب و هذه المراتب هي :

١ــ علم الرب سبحانه بالأشياء قبل كونها

٢ــ كتابة ذلك عنده في الأزل قبل خلق السماوات و الأرض

٣ــ مشيئته المتناولة لكل موجود فلا خروج لكائن كما لا خروج له عن علمه

٤ــ خلقه لها و ايجاده و تكوينه فالله خالق كل شيء و ما سواه مخلوق (٢)

و هذه المراتب التي ذكرها ابن القيم لابد للانسان أن يؤمن بها كلها حتى يصبح

---

(١)ــ البقرة ٢٠٥

(٢)ــ شفاء العليل لابن القيم ٦٦

مؤمنا بالقضاء والقدر لأن الايمان بهما لا يتحقق الا اذا آمن الانسان بهـــذه المراتب المذكورة

ويقول أحمد بهجت وهو يتحدث مؤكدا أن كل الأشياء في هذا الكون لا تكون ولا تقع الا بارادة الله سبحانه وتعالى ومشيئته

قال : كل أحداث الأرض والكون كل أحداث التأريخ والزمن كلها مسجلة عنـد الله في كتاب يعلم الأشياء قبل أن تقع ويحيط علمه بها قبل أن تولد ولا يخرج شيء في الكون عن علمه سبحانه سواء كان هذا الشيء عظيما أم بسيطا . .

الله أقرب الى كل شيء من ذرات هذا الشيء ونواته

والله أعلم بكل شيء من معرفة الشيء بذاته أو صفاته

قال تعالى : ((ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن أقرب اليـه من حبل الوريد))(١)

وحبل الوريد جزء من جسد الانسان والله أقرب الى الانسان من أجزاء الانسان للانســـان

واذن فان كل شيء وقع على كوكب الأرض أو يقع عليه أو سيقع عليه سواء كان هـذا الكوكب هو وحده العامر بالانسان أو كانت هناك كواكب أخرى كل شيء مسجل في كتاب قبل أن يخلق الله تعالى الخلق أحاط علمه بكل ما سيقع من الخلق وكتب الحق سبحانه وتعالى كل ما سيحدث وان النص القرآني صريح في أن الله تعالى يعلم الماضـــي والحاضر والمستقبل من قبل أن يقع قال تعالى : ((وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر الا في كتاب مبين))(٢)

---

(١) — سورة ق ١٦

(٢) — يونـــس ٦١

كانت عقيدة النبي و الصحابة تجاه القضاء و القدر ان الله كتب كتاب الخلق قبل خلقه و رغم ذلك لم يتوقف أحدهم ليسأل اذا كان الله يعلم ما سأفعل . . . فأين حريتي كانسان فيما أفعله لم يتوقف أحدهم ليسأل

هل الانسان مخير أم مسير هل الانسان حر أم مسلوب الحرية و الارادة كانوا أحكم في ذلك و أرسخ في دين الله

فهموا أن القضاء و القدر لا ينافي حرية الانسان و أدركوا أن حرية الانسان لا تقف أمام طلاقة المشيئة الالهية كان الانسجام بينهم و بين الكون شيئا يثير الدهشة (١)

و هكذا كل ما يدور في هذا الكون من خير أو شر أو معصية أو طاعة انما هو بقضاء الله و قدره و لا يمكن أن يقع شيئا ما في هذا الكون الا بارادته سبحانه و تعالى و مشيئته كما قال تعالى :((و ما تشاءون الا أن يشاء الله رب العالمين))(٢)

و قوله تعالى :((فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام و من يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد في السماء))(٣)

و من هنا نقول ان الهداية و الاضلال كله بارادة الله و مشيئته سبحانه و تعالى و لا يمكن أن يقع في ملكه ما لا يشاؤه و لا يريده و هذا ما ينبغي اعتقاده تجاه عقيدة القضاء و القدر

و مما ينبغي أن يتنبه له المسلم في عقيدة القضاء و القدر أنه لا يجوز الاحتجاج بهما على المعايب و المعاصي بحيث يرتكب المعاصي و يقع فيها ثم يحتج بأنها وقعت بقضاء الله و قدره فيحاول أن يبرئ نفسه من المسئولية بل عليه اذا وقع في المعصية أن يتوب الى الله سبحانه و تعالى و ينيب اليه فيندم على ما فعل أما أن يبرئ نفسه عن

---

(١)ـ الله في العقيدة الاسلامية أحمد بهجت ٩٩

(٢)ـ التكوير ٢٩

(٣)ـ الأنعام ١٢٥

المسئولية بحجة أنه وقع في المعاصي بقضاء الله و قدره فهذا معتقد باطل فاسد

يقول شيخ الاسلام ابن تيمية في معرض رده على الذين يحتجون بالقدر في اقتراف المعاصي و يعتبرون أنفسهم أنهم لا ذنب لهم لأن المعاصي قدرها الله عليهم

قال رحمه الله : بل كل من احتج بالقدر فانه متناقض فانه لا يمكن أن يقر كل آدمي على ما يفعل به فلابد اذا ظلمه ظالم أن يدفع هذا القدر و أن يعاقب الظالم بما يكف عدوانه و عدوان أمثاله فيقال له ان كان القدر حجة فدع كل أحد يفعل بك ما يشاء و ان لم يكن حجة بطل قولك ان القدر حجة و أصحاب هذا القول الذين يحتجون بالحقيقة الكونية أى القدر لا يطردون هذا القول و لا يلتزمونه انما هم يتبعون أهواءهم كما قال فيهم بعض العلماء أنت عند الطاعة قدرى و عند المعصية جبرى (١)

و يقول الشيخ عبدالكريم الخطيب : و الاحتجاج بالقدر عند الذنب ينفع في موضع و يضر في موضع فينفع اذا احتج به العبد بعد وقوعه و كان باعثا له على التوبة و ترك معاودته كما فعل آدم ((و عصى آدم ربه فغوى ثم اجتباه ربه فتاب عليه و هدى)(٢) فذكر القدر في هذه الحالة من تمام التوحيد

أما الموضع الذى يضر فيه ذكر القدر فذلك بأن يرتكب العبد فعلا محرما أو يترك واجبا فيلومه عليه لائم فيحتج بالقدر معتذرا لنفسه مبرئا لها من كل تبعة مترخصا بالاثم فذلك هو الضلال البعيد و البهتان الغليظ (٣)

و يقول الشيخ أبو بكر الجزائرى :

انه لا يحتج بارادة الله و قدره على المعايب و لكن يحتج بهما على المصائب فالمعايب و هي الذنوب و المعاصي ما دام الله تعالى قد حرمها على عباده و كرهها

---

(١) — العبودية لشيخ الاسلام ابن تيمية ٢١

(٢) — عدة ١٢٢

(٣) — القضاء و القدر لعبد الكريم الخطيب ٢٣٩

لهم و منهم و أنزل بذلك كتبه و بعث رسله فان العبد اذا غشيها مريدا لها و تلبس بها مختارا غير مكره عليها لا يصح عقلا أن يحتج بالقدر الذى هو علم الله و تقديره لأحداث الكون خيرها و شرها و كتابته لها في كتاب المقادير اللوح المحفوظ بخلاف المصائب التي تصيب المرء و لم يكن قد تسبب فيها بترك طاعة أو مخالفة سنة من سنن الله تعالى الشرعية أو الكونية فانه ان قيل له في ذلك صح منه الاحتجاج بالقدر بل بالارادة الكونية اذ لم يكن بارادة منه و لا اختيار كالرجل يسقط عليه جدار أو تلسعه حية . . . . أما ان تسبب في هذا فلا حق له في الاحتجاج بالقدر بل عليه أن يتحمل نتائج معصيته و معاقبة ربه تعالى لمخالفته سنته و اهماله الأسباب المشروعة لسلامته(١)

و من تمام الايمان بالقضاء و القدر الرضا بهما

يقول الامام ابن القيم في حكم الرضا بالقضاء : هذا الباب من تمام الايمان بالقضاء و القدر و قد تنازع الناس فيه هل هو واجب أو مستحب على قولين و هما وجهان لأصحاب أحمد فمنهم من أوجبه و احتج على وجوبه بأنه من لوازم الرضا بالله ربا و ذلك واجب و احتج بأثر اسرائيل ((من لم يرض بقضائي و لم يصبر على بلائي فليتخذ له ربا سواى)

و منهم من قال : هو مستحب غير واجب فان الايجاب يستلزم دليلا شرعيا و لا دليل يدل على الوجوب و هذا القول أرجح فان الرضا من مقامات الاحسان التي هي من أعلى المندوبات . . . . ثم قال ابن القيم : ان من القضاء ما يؤمر بالرضا به و منه ماينهى عن الرضا به فالقضاء الذى يحبه الله و يرضاه نرضى به و الذى يبغضه و يسخطه و هو خالقه كالأعيان المسخوطة له فهذا الكلام في الأفعال و الأقوال سواء و هذا جواب جيد غير أنه يحتاج الى تمام فنقول الحكم و القضاء نوعان ديني و كوني

فالديني يجب الرضا به و هو من لوازم الاسلام و الكوني منه مايجب الرضا به كالنعم

---

(١) — عقيدة المؤمن للشيخ الجزائرى ٣٦٨

التي يجب شكرها و تمام شكرها الرضا بها

و منه ما لا يجوز الرضا به كالمعايب و الذنوب التي يسخطها الله تعالى و ان كانت بقضائه و قدره و منه ما يستحب الرضا به كالمصايب ، في وجوبه قولان

هذا كله في الرضا بالقضاء الذى هو المقضي

و أما القضاء الذى هو وصفه سبحانه و فعله كعلمه و كتابته و تقديره و مشيئته فالرضا به من تمام الرضا بالله ربا و الها و مالكا و مدبرا فبهذا التفصيل يتبين الصواب و يزول اللبس في هذه المسائل العظيمة التي هي مفرق طرق بين الناس (١) .

و الخلاصة التي نخرج بها من هذا المطلب هي أن الايمان بالقضاء و القدر ركن من أركان الايمان الستة التي لا يمكن أن يكمل ايمان المسلم الا بالايمان بها كلها و أن من لم يؤمن بقضاء الله و قدره يعتبر ايمانه ناقصا و أنه يجب على كل مسلم أن يعتقد بأن كل ما يقع في هذا الكون بقضاء الله و قدره و أنه لا يجوز الاحتجاج بالقضاء و القدر في المعايب و المعاصي بحجة تبرئة النفس من المسئولية و أن الرضا الواجب بالقضاء هو الرضا بالقضاء الديني الشرعي لأنه من لوازم الاسلام و أما القضاء الكوني فانه نوعان منه ما يجب الرضا به كالنعم التي أنعم الله بها على عباده و منه ما لا يجوز الرضا به كالمعايب و الذنوب فان الانسان ينبغي أن يحاول أن يتخلص من المعاصي و لا يحاول اقترافها و تبرئة نفسه منها بحجة أنها وقعت بقضاء الله و قدره فان هذه حجة ابليسية ينبغي للمسلم أن يبتعد عنها

و لأهمية الايمان بالقضاء و القدر تجد كل كتب الحديث النبوى معقود فيها باب أو فصل خاص بالايمان بالقضاء و القدر بدءا بالبخارى و مسلم و غيرهما من المحدثين

---

(١) — شفاء العليل لابن القيم ٥٨٠

وقد عقد الحافظ المنذري في مختصر صحيح مسلم بابا خاصا بالايمان بالقـــدر وساق تحت هذا الباب ثمانية عشر حديثا بأسانيدها في اثبات القدر (١)

وعقد ابن الأثير أيضا كتابا خاصا بالقدر وقد ساق تحت هذا الباب سبعة وثلاثين حديثا (٢)

وأنظر كذلك جمع الفوائد من جامع الأصول ومجمع الزوائد (٣)

وكذلك كتاب الجامع للأصول في أحاديث الرسول لمنصور علي ناصف (٤)

وكذلك شرح السنة للبغوي (٥)

---

(١) — أنظر مختصر صحيح مسلم للحافظ المنذري ٢/٢٤٦ وكذلك الفتح الرباني ١/١٢١—١٤١

(٢) — أنظر جامع الأصول في أحاديث الرسول لابن الأثير ١٠/٥١١

(٣) — ٢/٣٢٨

(٤) — ١/٣٦

(٥) — شرح السنة للبغوي ١/١٥٠

المطلب الثاني : انحرافهم في عقيدة القضاء و القدر

لقد بينا في المطلب الأول من هذا المبحث معنى القضاء و القدر و بينا أهمية الايمان بهما و الرضا بالقضاء و بينا أيضا بأنه لا يجوز الاحتجاج بالقدر في اقتراف المعاصي بحجة التنصل من المسئولية[1] و في هذا المطلب نريد أن نبين وجه انحراف المتصوفة تجاه عقيدة القضاء و القدر و نرد عليهم

و الحقيقة لقد وقع المتصوفة في عقيدة القضاء والقدر في انحراف خطير حيث احتج كثير منهم بالقضاء و القدر فجوز فعل كل شيء مقدور عليه و عبادة كل شيء و ذلك لاعتقادهم بأن كل شيء قدره الله و قضاه فقد أحبه و بنوا على هذه القاعدة بأنه لا يوجد شيء مكروه لله في هذا الكون بل الكل محبوب لله سبحانه و تعالى مرضي له و لهذا فلا يوجد عند المتصوفة شيء يسمى منكرا في هذه الحياة لأن كل ما يقع في هذا الكون بقضاء الله و قدره و ما دام كذلك فلا يوجد منكرا في هذا الكون بل كل شيء يقع في هذا الكون فهو محبوب لله مرضي له و قد قال بهذا المعتقد أحد كبار مشائخ المتصوفة و ذكره بعض العلماء الذين يهتمون بدراسة الفرق و كشف عوارها و اليك جملة من الأدلة التي تثبت لنا بأن المتصوفة بالفعل يعتقدون هذا المعتقد تجاه عقيدة القضاء و القدر

قال محي الدين بن عربي الذى يقول عنه الصوفية الشيخ الأكبر و الكبريت الأحمر مقررا عقيدة الصوفية في القضاء و القدر :

(ثم قال هارون لموسى عليهما السلام ((اني خشيت أن تقول فرقت بين بني اسرائيل)) فتجعلني سببا في تفريقهم فان عبادة العجل فرقت بينهم فكان منهم من عبده اتباعا للسامرى و تقليدا له و منهم من توقف عن عبادته حتي يرجع موسى اليهم فيسألونه في ذلك فخشي هارون أن ينسب ذلك الفرقان بينهم اليه فكان موسى أعلم بالأمر

(١) — انظر ص ٨٣٧—٨٥٣

من هارون لأنه علم ما عبده أصحاب العجل لعلمه بأن الله قضى ألا يعبد الا اياه و ما حكم الله بشيء الا وقع فكان عتب موسى أخاه هارون لما وقع الأمر في انكاره و عدم اتساعه فان العارف من يرى الحق في كل شيء بل يراه عين كل شيء فكان موسى يربي هارون تربية علم و ان كان أصغر منه في السن (١)

اذا نظرنا في هذا النص نرى احتجاج ابن عربي بالقضاء في تجويز عبادة العجل و ذلك بناءا على معتقد الصوفية بأن كل ما قضاه الله و قدره فهو يحبه و لذا لا يجوز انكاره و هذا المعتقد معتقد باطل جاء به المتصوفة من عند أنفسهم و الا فليس كل ما قدره الله و قضاه محبوبا له بل هناك أشياء قدرها الله و قضاها و هو يبغضها كالمعاصي و هناك أشياء قدرها الله و قضاها و هو يحبها كالطاعات و كل أعمال الخير و البر و التقوى.

و يقول شيخ الاسلام ابن تيمية موضحا عقيدة الصوفية في القضاء و القدر :

قال الحزب الثاني من الصوفية الذى كان هذا المشهد منتهى سلوكهم عرفوا الفرق الطبيعي و هم قد سلكوا على ترك الطبيعي و أنهم يزهدون في حظوظ النفس و أهوائها لا يريدون شيئا لأنفسهم و عندهم أن من طلب للأكل و للشرب الجنة فانما طلب هواه و حظه و هذا كله نقص عندهم ينافي حقيقة الفناء في توحيد الربوبية و هو بقاء مع النفس و حظوظها و المقامات كلها عندهم التوكل و المحبة و غير ذلك انما هي منازل أهل الشرع السائرين الى عين الحقيقة فاذا شهدوا توحيد الربوبية كان ذلك عندهم علا في الحقيقة اما لنقص المعرفة و الشهود و اما لأنه ذنب و طلب حظوظها فانه من شهد أن كل ما في الوجود فالرب يحبه و يرضاه و يريده لا فرق عنده بين شيء و شيء الا أن من الأمور ما معه حظ لبعض الناس من لذة يصيبها و منها ما معه ألم لبعض

---

(١) — فصوص الحكم لابن عربي ٢٦١

الناس فمن كان هذا مشهده فانه قطعا يرى ان كل من فرق بين شيء و شيء لم يفرق الا لنقص معرفته و شهوده ان الله رب كل شيء و مريد لكل شيء و محب على قولهم لكل شيء و اما الفرق يرجع الى حظه و هواه فيكون طالبا لحظه ذابا عن نفسه و هذا علة و عيب عندهم فصار عندهم كل من فرق اما ناقص المعرفة و الشهادة و اما ناقص القصد و الارادة و كلاهما علة بخلاف صاحب الفناء مع شهود ربوبيته فانه يشهد كل ما في الوجود بارادته و محبته و رضاه عندهم لا فرق بين شيء و شيء فلا يستحسن حسنة و لا يستقبح سيئة كما قاله صاحب منازل السائرين (١)

و من خلال هذا الكلام الذى أوردناه عن شيخ الاسلام ابن تيمية يتبين لنا أن المتصوفة يعتقدون ان كل ما قدره الله و قضاه من خير أو شر و من طاعة أو معصية فان الله يحبه و يرضاه و على هذا فليس عند الصوفية شيء يسمى طاعة و شيء يسمى معصية و شيء يسمى خيرا و شيء يسمى شرا و شيء يسمى محبوبا لله مرضيا عنه و شيء مكروه لله مبغوضا له بل كل ما يقع في هذا الكون حسب معتقدهم الفاسد هذا فهو محبوب له مرضي عنه و هذا معتقد باطل و خطير في نفس الوقت جاء به المتصوفة من عند أنفسهم لتدمير العقيدة الاسلامية في قلوب الأمة و تحويلها الى أمة اباحية لا تفرق بين الحلال و الحرام و لا بين الطاعة و المعصية و لا بين الحسن و القبيح و هذا المعتقد الفاسد لو طبقته الأمة لكان كفيلا بتدميرها تماما و تحويلها الى أمة اباحية لا تحرم حراما بل يفعل كل فرد فيها ما يقدر على فعله بدون تحفظ و ذلك انطلاقا من المعتقد الفاسد الذى قرره المتصوفة بناء على عقيدة القضاء و القدر حيث يعتقدون بأن كل ما يقع في هذا الكون اذا كان يقع بقدر الله و قضائه اذا فهو محب له مرضي له

---

(١) — مجموعة الرسائل الكبرى لشيخ الاسلام ابن تيمية ٢/١٣٢

و يقول شيخ الاسلام ابن تيمية في مكان آخر موضحا انحراف المعتقد الصوفي تجاه عقيدة القضاء و القدر : .

و أهل الفناء في توحيد الربوبية قد يظن أحدهم أنه اذا لم يشهد الا فعل الرب فيه فلا اثم عليه و هم في ذلك بمنزلة من أكل السموم القاتلة و قال أشهد أن الله هو الذى أطعمني فلا يضرني و هذا جهل عظيم فان الذنوب و السيئات تضر الانسان أعظم مما يضره السموم و شهوده أن الله فاعل ذلك لا يدفع ضررها و لو كان هذا دافعا لضررها لكان أنبياء الله و أولياءه المتقون أقدر على هذا الشهود الذى يدفعون به عن أنفسهم ضرر الذنوب ومن هؤلاء من يظن ان الحق اذا وهبه حالا يتصرف به و كشفا لم يحاسبه على تصرفه به . . . . الى أن قال و يجوزون قتال الأنبياء و قتلهم كما قال شيخ مشهور منهم كان بالشام لو قتلت سبعين نبيا ما كنت مخطئا فانه ليس في مشهودهم لله محبوب مرضى مراد الا ما يقع فما وقع فالله يحبه و يرضاه و ما لم يقع فالله لا يحبه و لا يرضاه و الواقع هو تبع القدر لمشيئة الله و قدرته فما شاء كان و ما لم يشأ لم يكن فهم من غلب كانوا معه لأن من غلب كان القدر معه و المقدور عندهم هو محبوب الحق فاذا غلب الكفار كانوا معهم و اذا غلب المسلمون كانوا معهم و اذا كان الرسول منصورا كانوا معه و اذا غلب أصحابه كانوا مع الكفار الذين غلبوهم و هؤلاء الذين يصلون الى هذا الحد غالبهم لا يعرف وعيد الآخرة فان من أقر بوعيد الآخرة و أنه للكفار لم يمكنه أن يكون معاونا للكفار مواليا لهم على ما يوجب وعيد الآخرة لكن قد يقولون بسقوطه مطلقا و قد يقولون بسقوطه عمن شهد توحيد الربوبية و كان في هذه الحقيقة القدرية و هذا يقوله طائفة من شيوخهم كالشيخ المذكور و غيره فلهذا يوجد هؤلاء الذين يشهدون القدر المحض و ليس عندهم غيره الا ما هو قدر أيضا من نعيم أهل الطاعة و عقوبة أهل المعصية

لا يأمرون بمعروف و لا ينهون عن منكر و لا يجاهدون في سبيل الله و لا يدعون الله بنصر المؤمنين على الكفار بل اذا رأى أحدهم من يدعوا قال الفقير و المحق أو العارف ما له و لهذا يفعل الله ما يشاء و ينصر من يريد فان عنده ان الجميع واحد بالنسبة الى الله و بالنسبة اليه أيضا فانه ليس له غرض في نصر احدى الطائفتين لا من جهة ربه فانه لا فرق عند الله تعالى بينهما و لا من جهة نفسه فان حظوظه لا تنقض باستيلاء الكفار بل كثير منهم تكون حظوظه الدنيوية مع استيلاء الكفار و المنافقين و الظلمة أعظم و عامة من معهم من الفقراء هم من هذا الضرب فان لهم حظوظا ينالونها باستيلائهم لا تحصل لهم باستيلاء المؤمنين و شياطينهم تحب تلك الحظوظ المذمومة و تغريهم بطلبهم و تخاطبهم الشياطين بأمر و نهي و كشف يظنونه من جهة الله و ان الله هو أمرهم و نهاهم و انه حصل لهم من المكاشفة ما حصل لأولياء الله المتقين ويكون ذلك كله من الشياطين و هم لا يفرقون بين الأحوال الرحمانية و الشيطانية لأن الفرق مبني على شهود الفرق من جهة الرب تعالى و عندهم لا فرق بين الأمور الحادثة كلها من جهة الله تعالى انما هو مشيئة محضة تناولت الأشياء تناولا واحدا فلا يحب شيئا و لا يبغض شيئا و لهذا يشترك هؤلاء في جنس السماع الذى يثيره في النفوس من الحب و الوجد و الذوق فيثير من قلب كل أحد حبه و هواه و أهواؤهم متفرقة فانهم لم يجتمعوا على محبة ما يحبه الله و رسوله اذ كان محبوب الحق على أصل قولهم هو ما قدره الله فوقع و اذا اختلفت أهواؤهم في الوجد اختلفت أهواء شياطينهم فقد يقتل بعضهم بعضا بشياطينه لأنها أقوى من شياطين ذلك (١)

اذا نظرنا في كلام شيخ الاسلام السابق نرى أنه ذكر فيه عقيدة المتصوفة تجاه القضاء و القدر حيث ذكر أن المتصوفة يعتقدون أن كل ما يقع في هذا الكون فهو مرضي لله

---

(١) — مجموعة الرسائل الكبرى لشيخ الاسلام ابن تيمية ٢/١٣٦

محبوب له و أنه ليس عندهم شيء يسمى منكرا بل كل ما وقع فهو معروف عندهم و يعتقدون بأنه لا يوجد شيء مبغوض لله في هذا الكون بل كل ما وقع فالله يحبه و انطلاقا من قاعدتهم أو عقيدتهم الفاسدة هذه فانهم لا يرون جهاد الكفار و المنافقين بل هم يقفون دائما مع من انتصر من باب الخضوع للأمر الواقع و عدم جواز مقاومته لأنهم يعتقدون بأن كل ما وقع في هذا الكون مرضي لله محبوب له لأنه واقع بقضاء الله و قدره والله سبحانه و تعالى لا يقضي و لا يقدر الا ما يحبه سبحانه و تعالى و هو معتقد فاسد و باطل.

و يقول شيخ الاسلام ابن تيمية في مكان آخر و هو يتحدث عن انحراف المتصوفة في عقيدة القضاء و القدر بعد أن ذكر أقسام الناس بالنسبة للقدر قال : و قسم ثان يشهدون ربوبية الحق و افتقارهم اليه و يستعينون بها على أهوائهم و أذواقهم غير ناظرين الى حقيقة أمره و نهيه و رضاه و غضبه و محبته و هذا حال كثير من المتفقرة و المتصوفة و لهذا كثيرا ما يغلطون على الأحوال التي يتصرفون بها في الوجود لا يقصدون ما يرضي الرب و يحبه و كثيرا ما يغلطون فيظنون أن معصيته هي مرضاته فيعودون الى تعطيل الأمر و النهي و يسمون هذا حقيقة و يظنون ان هذه الحقيقة(١)

و هنا في هذا الكلام قد ذكر شيخ الاسلام ابن تيمية بأن الصوفية لا يفرقون بين معصية الله و طاعته لأنهم يرون أو يعتقدون أن كل ما وقع فهو مرضي لله محبوب له فليس هناك شيء يسمى معصية لأن الكل مرضي لله سبحانه .

و يقول شيخ الاسلام ابن تيمية في مكان آخر و هو يتحدث عن الانحرافات التي وقع فيها المتصوفة تجاه عقيدة القضاء و القدر : .

و كثير من المشائخ المعظمين يسترسل أحدهم مع القدر غير محقق لما أمر به و نهى

---

(١) — التحفة العراقية في الأعمال القلبية لشيخ الاسلام ابن تيمية ٨٤

عنه و يجعل ذلك من باب التفويض و التوكل و يجرى مع الحقيقة القدرية و يحسب أن قول القائل ينبغي للعبد أن يكون مع الله كالميت بين يدى الغاسل يتضمن ترك العمل بالأمر و النهي حتى يترك ما أمر به و يفعل ما نهي عنه و حتى يضعف عنده النور و الفرقان الذى يفرق به بين ما أمر الله به و أحبه و أرضاه و بين ما نهى عنه و أبغضه و سخطه فيسوى بين ما فرق الله بينه .... حتى يفضي الأمر بغلاتهم الى عدم التمييز بين الأمر بالمأمور النبوى الالهي الفرقاني الشرعي الذى دل عليه الكتاب و السنة و بين ما يكون في الوجود من الأحوال التي تجرى على أيدى الكفار و الفجار فيشهدون وجه الجمع من جهة الجمع بقضاء الله و قدره و ربوبيته و ارادته العامة و أنه داخل في ملكه و لا يشهدون وجه الفرق الذى فرق الله به بين أوليائه و أعدائه و الأبرار و الفجار و المؤمنين و الكافرين و أهل الطاعة الذين أطاعوا أمره الديني و أهل المعصية الذين عصوا هذا الأمر و يستشهدون في ذلك بكلمات مجملة نقلت عن بعض الأشياخ أو ببعض غلطات بعضهم و هذا أصل عظيم من أعظم ما يجب الاعتناء به على أهل طريق الله السالكين سبيل ارادة الدين يريدون وجهه فانه قد دخل بسبب اهمال ذلك على طوائف فيهم من الكفر و الفسوق و العصيان ما لا يعلمه الا الله حتى يصيروا معاونين على البغي و العدوان للمسلطين في الأرض من أهل الظلم و العلو الذين يتوجهون بقلوبهم في معاونة من يهووه من أهل العلو في الأرض الفساد ظانين أنهم اذا كانت أحوال أثروا بها في ذلك من أولياء الله فان القلوب لها من التأثير أعظم مما للأبدان لكن ان كانت صالحة كان تأثيرها صالحا و ان كانت فاسدة كان تأثيرها فاسدا فالأحوال يكون تأثيرها محبوبا لله تارة و مكروها أخرى (١)

---

(١) — التحفة العراقية في الأعمال القلبية لشيخ الاسلام ابن تيمية ٧٩

و قال عبدالكريم الخطيب مؤكدا أن الصوفية يحتجون بالقدر و لذا لا يفرقون بين ما يحبه الله و يبغضه بل يعتقدون أن كل ما قدره و وقع فقد رضيه و أحبه

قال : و لبعض الصوفية فلسفة مريضة تذهب بهم هذا المذهب الأعوج الأهوج الذى يقود الى الضلال و الهلاك انهم ينسبون الى القدر كل شيء من طاعات و سخافات معا ان كل ما يفعلونه جميل حسن لأنهم حسب تصورهم المحموم المخبول لا يعلمون شيئا و انما هم ينفذون ارادة الله و مشيئته فكل أعمالهم طاعات و كل سخافاتهم قربات (١)

و الخلاصة أن انحراف الصوفية في عقيدة القضاء و القدر يتلخص فيما يلي

أولا : المتصوفة يعتقدون بأن كل ما يقع في هذا الكون يكون بارادة الله و مشيئته و ما دام الأمر كذلك فكل ما يقع في هذا الكون فهو مرضي لله سبحانه و تعالى و محبوب عنده بمعنى أنه لا يوجد في هذا الكون كله مما يقع فيه محبوبا لله و مبغوضا عنده بل الكل واقع بقدره و لذا فهو محبوب عنده سواء كان هذا الواقع طاعة أو معصية و سواء كان خيرا أو شرا و سواء انتصر الكفار على المسلمين أو انتصر المسلمون على الكفار الكل سواء لأنه واقع بقضاء الله و قدره و لذا فالصوفية يقبلون كل شيء يقع في هذا الكون بكل رضا و حب و لا يقفون ضده لأنه لا يوجد عندهم شيئا يسمى منكرا و لذا فهم لا يأمرون بمعروف و لا ينهون عن منكر و لا يجاهدون في سبيل الله لأن الجهاد في سبيل الله في معتقدهم هو مقاومة لقضاء الله و قدره حيث ان استيلاء الكفار على بلاد المسلمين انما هو واقع بقضاء الله و قدره و كل ما قدره الله و قضاه فهو يحبه هذا هو المعتقد الصوفي تجاه عقيدة القضاء و القدر

---

(١) — القضاء و القدر لعبدالكريم الخطيب ٢٣٣

المطلب الثالث : بيان بطلان المعتقد الصوفي تجاه عقيدة القضاء و القدر

لقد بينا في المطلب السابق وجه انحراف المتصوفة في عقيدة القضاء و القدر (١) وهنا في هذا المطلب نريد أن نبين بطلان هذا المعتقد و مخالفته لما جاء في الكتاب و السنة و ما فهمه علماء الأمة الاسلامية عن عقيدة القضاء و القدر

و الحقيقة عقيدة القضاء و القدر قد انحرف فيها فرق عديدة من الفرق المبتدعة التي أعرضت عن كتاب الله و سنة رسوله محمد صلى الله عليه و سلم و حكمت عقلها في النصوص الشرعية أو أعرضت عن النصوص الشرعية و أصبحت تشرع بعقولها ما تريد

فمن الفرق التي انحرفت عن المعتقد الصحيح تجاه عقيدة القضاء و القدر المعتزلة حيث يعتقدون بأن أفعال العباد ليست مخلوقة لله بل العبد هو بنفسه خالق فعله و بهذا وقعوا في القول بخالقين في هذا الكون حيث أثبتوا للعبد أنه يخلق أفعال نفسه

و قابلهم المرجئة فادعوا بأن العبد ليس له اختيار و لا ارادة بل هو مسلوب الارادة و الاختيار و أنه ما هو الا كالريشة المعلقة في مهب الرياح تحركها كيف شاءت فجردوا العبد عن المسئولية نهائيا

و لحق بهذين الفرقتين في الوقوع في الانحراف في عقيدة القضاء و القدر الصوفية فقالوا ان كل ما قدره الله و قضاه و وقع في هذا الكون فهو محبوب لله مرضي له و ليس هناك أمرا محبوبا و مبغوضا لله سبحانه و تعالى

هذه هي أهم الفرق التي وقعت في الانحراف في باب القضاء و القدر و الذي يهمنا من هذه الفرق هنا في هذا البحث هي الصوفية فقط

فنقول للصوفية ان قولكم بأن كل ما قدره الله و قضاه و وقع فهو محبوب لله تعالى مرضي له هذا معتقد باطل مخالف لما جاء في الكتاب و السنة و أقوال علماء الأمة

---

(١) — انظر ص ٨٥٥ — ٨٦٢

حيث ان من المعلوم ضرورة في العقيدة الاسلامية هو الاعتقاد بأن الله سبحانه و تعالى قدر كل ما يقع في هذا الكون و سجله في اللوح المحفوظ ثم يظهر لنا في هذا الكون شيئا فشيئا وفق ارادته و مشيئته و قدره الذى قدره في الأزل و أن الله سبحانه و تعالى يحب بعض ما قدره كالطاعات و جميع أعمال البر و يكره البعض الآخر رغم تقديره لهـــا كالمعاصي و المفاسد بجميع أنواعها رغم أنه قدرها سبحانه في الأزل

يقول الامام ابن القيم : الحكم و القضاء نوعان ديني و كوني فالديني يجب الرضا به و هو من لوازم الاسلام و الكوني منه ما يجب الرضا به كالنعم التي يجب شكرها و من تمام شكرها الرضا بها و منه ما لا يجوز الرضا به كالمعايب و الذنوب التي يسخطها الله و ان كانت بقضائه و قدره ..... و قد أخبر سبحانه بأنه لا يرضى المعاصي و الفســاد بكل أنواعها و ان قدرها في الأزل فقال سبحانه :((و هو معهم اذ يبيتون ما لا يرضى من القول))(١) فهذا قول واقع بمشيئته و تقديره و قد أخبر سبحانه أنه لا يرضاه

و كذلك قوله سبحانه :((والله لا يحب الفساد))(٢) فهو سبحانه لا يحبه كونا و لا دينا و ان وقع بتقديره كما لا يحب ابليس و جنوده و فرعون و حزبه و هـــو ربهم و خالقهم و قد أخبر سبحانه انه يمقت أفعالا كثيرة و يكرهها و يبغضهـــــا و يسخطها فقال تعالى :((و لا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء الا ما قد سلف انـه كان فاحشة و مقتا و ساء سبيلا))(٣)

و قال تعالى :((ذلك بأنهم اتبعوا ما أسخط الله و كرهوا رضوانه فأحبـــــط أعمالهـــــم))(٤)

و قال تعالى :((كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون))(٥)

---

(١)ـ النساء ١٠٨ (٢)ـ

(٣)ـ النساء ٢٢ (٤)ـ محمـــد ٢٨

(٥)ـ الصـــف ٣

و قال تعالى :((ولكن كره الله انبعاثهم فثبطهـــم))(١)

و محال حمل هذه الكراهة على غير الكراهة الدينية الأمرية لأنه أمرهم بالجهاد

و قال تعالى :((كل ذلك كان سيئه عند ربك مكروها))(٢)

فأخبر أنه يكره و يبغض و يمقت و يسخط و يعادى و يذم و يلعن و محال أنه سبحانه يحب ذلك و يرضى به و هو سبحانه يكرهه و يتقدس عن محبة ذلك و عن الرضا به بل لا يليق ذلك بعبده فانه نقص و عيب في المخلوق ان يحب الفساد و الشر و الظلم و البغي و الكفر و يرضاه فكيف يجوز نسبة ذلك الى الله تعالى و هذا الأصل من أعظم ما غلـــط فيه كثير من مثبتي القدر (٣)

و قال الامام ابن القيم في أقسام القضاء و الحكم و الارادة الى كوني متعلق بخلقه و الى ديني متعلق بأمره

هذا الباب متصل بالباب الذى قبله و كل منهما يقرر لصاحبه فما كان من كوني فهو متعلق بربوبيته و خلقه و ما كان من الدين فهو متعلق بالاهيته و شرعه و هو كما أخبر عن نفسه سبحانه له الخلق و الأمر فالخلق قضاؤه و قدره فعله و الأمر شرعه و دينه فهو الذى خلق و شرع و أمر و أحكامه جارية على خلقه قدرا و شرعا و لا خروج لأحد عن حكمه الكوني القدرى

و أما حكمه الديني الشرعي فيعصيه الفجار و الفساق و الأمران غير متلازمين فقد يقضي و يقدر ما لا يأمر به و لا شرعه و قد يشرع و يأمر بما لا يقضيه و لا يقدره و يجتمع الأمران فيما وقع من طاعات عباده و ايمانهم و ينتفي الأمران عما لم يقع من المعاصي و

---

(١) — التوبة ٤٦

(٢) — الاسراء ٣٨

(٣) — شفاء العليل لابن القيم ٥٨٠

الفسق و الكفر

و ينفرد القضاء الديني و الحكم الشرعي فيما أمر به و شرعه و لم يفعله المأمور و ينفرد الحكم الكوني فيما وقع من المعاصي

اذا عرف هذا فالقضاء في كتاب الله نوعان كوني قدري كقوله :((فلما قضينا عليه الموت ما دلهم على موته الا دابة الأرض تأكل منسأته))(١)

و قوله :((و قضى بينهم بالحق))(٢)

و شرعي ديني كقوله :((و قضى ربك ألا تعبدوا الا اياه))(٣)

أي أمر و شرع و لو كان قضاءا كونيا لما عبد غير الله ..... ثم قال ابن القيم :

و الارادة أيضا نوعان فالكونية كقوله تعالى :((فعال لما يريد))(٤)

و قوله :((و اذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليهم القول فدمرناها تدميرا))(٥)

و الدينية كقوله تعالى :((يريد الله بكم اليسر و لا يريد بكم العسر))(٦)

و قوله :((والله يريد أن يتوب عليكم))(٧)

فلو كانت هذه الارادة كونية لما حصل العسر لأحد منا و لو وقعت التوبة من جميع المكلفين و بهذا التفصيل يزول الاشتباه في مسألة الأمر و الارادة هل هما متلازمان أم لا ..... ثم قال ابن القيم و الصواب ان الأمر يستلزم الارادة الدينية و لا يستلزم الارادة الكونية فانه لا يأمر الا بما يريد شرعا و دينا و قد يأمر بما لا يريد كونا و قدرا كايمان من أمره و لم يوفقه للايمان مراد له دينا لا كونا و كذلك أمر خليله بذبح ابنه و لم يرد كونا و قدرا و بين هذين الأمرين و أمر من لم يؤمن بالايمان فرق

---

(١)— سبأ ١٤
(٢)— غافر ٧٥
(٣)— الاسراء ٢٣
(٤)— البروج ١٦
(٥)— الاسراء ١٦
(٦)— البقرة ١٨٥
(٧)— النساء ٢٧

فانه سبحانه لم يحب من ابراهيم ذبح ولده وانما أحب منه عزمه على الامتثال . . . . . وأما أمر من علم أنه لا يؤمن بالايمان فانه سبحانه يحب من عباده أن يؤمنوا به و برسلـــــه (١)

وقال الامام ابن القيم وهو يرد على الذين يعتقدون بأن كل ما قدره الله وأراده فقد أحبه

(وهنا أمر يجب التنبيه عليه والتنبيه له وبمعرفته تزول اشكالات كثيرة تعرض لمن لم يحط به علما وهو أن الله سبحانه وتعالى له الخلق والأمر وأمره سبحانه نوعان

أمر كوني قدري وأمر ديني شرعي

فمشيئته سبحانه متعلقة بخلقه وأمره الكوني وكذلك تتعلق بما يحب وبما يكـــره كله داخل تحت مشيئته كما خلق ابليس وهو يبغضه وخلق الشياطين والكفار والأعيان والأفعال المسخوطة له وهو يبغضها فمشيئته سبحانه شاملة لذلك كله وأما محبتـــه ورضاه فتتعلق بأمره الديني وشرعه الذي شرعه على السنة رسله فما وجد منه تعلقت به المحبة والمشيئة جميعا فهو محبوب للرب واقع بمشيئته كطاعات الملائكة والأنبيـاء والمؤمنين وما لم يوجد منه تعلقت به محبته وأمره الديني ولم تتعلق به مشيئتـه ولم تتعلق به محبته ولا رضاه ولا أمره الديني وما لم يوجد منها لم تتعلق بـــه مشيئته ولا محبته فلفظ المشيئة كوني ولفظ المحبة شرعي ديني ولفظ الارادة ينقسم الى ارادة كونية فتكون هي المشيئة وارادة دينية فتكون هي المحبة (٢) .

---

(١) — شفاء العليل لابن القيم ٥٨٥—٥٨٦

(٢) — شفاء العليل لابن القيم ١٠٥

و يقول شيخ الاسلام ابن تيمية و هو يرد على المتصوفة الذين لا يفرقون بين الحق والباطل و المؤمن و الكافر و الصالح و الفاجر و أن الكل عندهم سواء لأن الكل ينفذ ما قضاه الله و قدره و كل ما قضاه الله و قدره فهو محبوب عند الله في المعتقد الصوفي المنحرف

قال رحمه الله : و أما الذين يشهدون الحقيقة الكونية و توحيد الربوبية الشامل للخليقة و يقرون العباد كلهم تحت و القدر و يسلك هذه الحقيقة فلا يفرق بين المؤمنين المتقين الذين أطاعوا أمر الله الذى بعث به رسله و بين من عصى الله ورسوله من الكفار و الفجار فهؤلاء أكفر من اليهود و النصارى لكن من الناس من جعلوا الفرق في بعض الأمور دون البعض بحيث يفرق بين المؤمن و الكافر و لا يفرق بين البر و الفاجر أو يفرق بين بعض الأبرار و بين بعض الفجار و لا يفرق بين آخرين اتباعا لظنه و ما فيكون ناقص الايمان بحسب ما سوى بين الأبرار و الفجار و يكون معه من الايمان بدين الله تعالى الفارق بحسب ما فرق بين أوليائه و أعدائه ومن أقر بالأمر و النهي الدينيين دون القضاء و القدر و كان من القدرية كالمعتزلة و غيرهم الذين هم مجوس هذه الأمة فهؤلاء يشبهون المجوس و أولئك يشبهون المشركين الذين هم شر من المجوس و من أقر بهما و جعل الرب متناقضا فهو من أتباع ابليس الذى أعرض على الرب سبحانه و خاصمه كما نقل ذلك عنه (١)

و قال شيخ الاسلام ابن تيمية راداً على المتصوفة الذين يؤمنون بالقضاء و القدر و يبطلون الأمر و النهي و يقولون ان كل ما وقع في هذا الكون فهو محبوب لله لأنه وقع بقضاء الله و قدره .

---

(١) — مجموعة الرسائل الكبرى لشيخ الاسلام ابن تيمية ١ / ٨

قال : (ومن أقر بالقضاء والقدر دون الأمر والنهي الشرعيين فهو أكفر من اليهود والنصارى فان أولئك يقرون بالملائكة والرسل الذين جاءوا بالأمر والنهي الشرعيين لكن آمنوا ببعض وكفروا ببعض كما قال تعالى : (ان الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا أولئك هم الكافرون حقا وأعتدنا للكافرين عذابا مهينا)) (١)

ويقول شيخ الاسلام ابن تيمية وهو يرسم طريق الخلاص من هذا المعتقد المنحرف الذى وقع فيه المتصوفة : .

قال : فانما يخلص من هذا كله — أى الانحرافات التي وقع فيها المتصوفة في باب القضاء والقدر — من أثبت لله محبة لبعض الأمور وبغضا لبعضها ورضا لبعضها وسخطا لبعضها كما أخبرت به الرسل ونطقت به الكتب وهذا هو الذى يشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله ويعلم أن التوحيد الذى بعث به الرسل أن يعبد الله وحده لا شريك له فيعبد الله دون ما سواه وعبادته تجمع كمال محبته وكمال الذل له كما قال تعالى : (وأنيبوا الى ربكم وأسلموا له من قبل أن يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون)(٢) فينيب قلبه الى الله ويسلم له ويتبع ملة ابراهيم حنيفا : (ومن أحسن دينا ممن أسلم وجهه لله وهو محسن واتبع ملة ابراهيم حنيفا واتخذ الله ابراهيم خليلا))(٣)

وعلم أن ما أمر الله به ورسوله فان الله يحبه ويرضاه وما نهى عنه فانه يبغضه وينهى عنه ويمقت عليه ويسخط على فاعله فصار يشهد الفرق من جهة الله تعالى ويعلم أن الله تعالى يحب أن يعبد وحده لا شريك له ويبغض من يجعل له أندادا يحبونهم كحب الله وان كانوا مقرين بتوحيد الربوبية كمشركي العرب وغيرهم وأن هؤلاء القدرية

---

(١)— النساء آية ١٥٠ والموضوع مجموعة الرسائل ٨١١

(٢)— الزمر ٥٤

(٣)— النساء ١٢٥

الجبرية أهل الغناء في توحيد الربوبية حقيقة قولهم من جنس قول المشركين الذين قالوا :((لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء كذلك كذب الذين من قبلنا حتى ذاقوا بأسنا قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا ان تتبعون الا الظن وان أنتم الا تخرصون قل فلله الحجة البالغة فلو شاء لهداكم أجمعين))(١)

فان هؤلاء المشركين لما أنكروا ما بعثت به الرسل من الأمر والنهي وأنكروا التوحيد الذى هو عبادة الله وحده لا شريك له وهم يقرون بتوحيد الربوبية وأن الله خالق كل شيء ما بقى عندهم من فرق من جهة الله تعالى بين مأمور ومحظور فقالوا :

((لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء))

وهذا حق فان الله لو شاء أن لا يكون هذا لم يكن لكن أى فائدة لهم في هذا هذا غايته ان هذا الشرك والتحريم بقدر ولا يلزم اذا كان مقدورا أن يكون محبوبا مرضيا لله ولا علم عندهم بأن الله أمر به ولا أحبه ولا رضيه بل ليسوا في ذلك الا على ظن وخرص فان احتجوا بالقدر فالقدر عام لا يختص بحالهم وان قالوا نحب هذا ونسخط هذا فنحن نفرق الفرق الطبيعي لانتفاء الفرق من جهة الحق تعالى ولا علم لهم بانتفاء الفرق من جهة الله تعالى (٢)

وقال الشيخ عبد العزيز المحمد السلمان في حكم من يحتج بالقدر على ترك أمر أو فعل نهي :(لا يجوز لنا أن نجعل قضاء الله وقدره حجة لنا في ترك أمر أو فعل نهي بل يجب علينا أن نؤمن ونعلم أن لله الحجة علينا بانزال الكتب وبعثة الرسل قال الله تعالى :((رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل))(٣)

---

(١) — الأنعام ١٤٨—١٤٩

(٢) — مجموع فتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية ٨/٣٥٢

(٣) — النساء ١٦٥

و قال أيضا في حكم الرضا بالقضاء و حكم الرضا به : .

الرضا هو التسليم و سكون القلب و طمأنينته و القضاء الذى هو وصفه سبحانه و فعله القائم بذاته كله خير و عدل و حكمةٌ يجب الرضا به كله و أما القضاء الذى هو المقضي فنوعان ديني و شرعي يجب الرضا به كقوله تعالى :((و قضى ربك ألا تعبدوا الا اياه))(١)

و كقوله :((فلا و ربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم)) الآية (٢)

و النوع الثاني الكوني القدرى منه ما يجب الرضا به كالنعم التي يجب شكرها و من تمام شكرها الرضا بها و منه ما لا يجوز الرضا به كالمعايب و الذنوب التي يسخطها الله تعالى و ان كانت بقضائه و قدره و منه ما يستحب الرضا به كالمصائب (٣) .

و الخلاصة أن الصوفية بالفعل وقعوا في انحراف عقدى خطير في باب القضاء و القدر فمنهم من احتج بالقضاء و القدر و صرح بأن كل ما يقع في هذا الكون محبوب لله مرضي له و ذلك انطلاقا من معتقدهم الباطل بأن كل ما قدره الله و قضاه فوقع فهو يحبه و بناء على هذا المعتقد الباطل فليس عندهم منكرا و لا معروفا

و منهم من احتج بالقضاء و القدر في اقترافه المعاصي و المعايب و ألقى المسئولية عن نفسه بحجة أن هذا مقدور عليه و لذا فلا يعاقب عليه لأنه شيء خارج عن مقدوره فوافقوا في هذا الجبرية الذين يقولون ان الانسان مجبر في أفعاله التي يفعلها و لذا فهو ليس بمسئول عن ما يصدر منه

---

(١)— الاسراء ٢٣

(٢)— النساء ٦٥

(٣)— مختصر الأجوبة الأصولية على العقيدة الواسطية ١٢٤

وأن هذا المعتقد الفاسد أوقع المتصوفة في الاستهانة بالأوامر والنواهي الشرعية حيث ضربوا بها عرض الحائط

وقد بينا بطلان هذا المعتقد وذلك بنقل أقوال عدد من العلماء وأكدنا بأنه ليس كل ما قدره الله وقضاه يحبه بل الله سبحانه وتعالى قد قدر جميع الأشياء التي تكون في هذا الكون ولا يلزم من ذلك أن يحب كل ما يقع في هذا الكون

بل الله سبحانه وتعالى قدر الطاعات والايمان وكل أعمال البر والخير ورضيها وأحبها كونا وشرعا

وقدر المعاصي والمفاسد التي تقع في هذا الكون وكرهها وأبغضها ولم يحبها بل يبغضها ويكرهها ويبغض من يتلبس بها وقد بينا ذلك بما فيه الكفاية فانظره فان موضوع القضاء والقدر أمر دقيق جدا وقد نقلنا من أقوال العلماء الذين ردوا على المتصوفة ما يكفي ويشفي قلب كل من يريد الهداية الى الصواب في هذا الباب الذى انزلقت فيه أقدام كثير من الفرق المبتدعة

المبحث الثاني : انحرافهم في مفهوم التوكل ومكانته العظيمة في الاسلام :

تمهيد

لقد بينا في المبحث السابق المعتقد الذى يجب أن يعتقده المسلم تجاه عقيدة القضاء والقدر وبينا أيضا انحراف المتصوفة في عقيدة القضاء والقدر وردنا عليهم ردا مقنعا بينا من خلاله انحراف معتقدهم ومخالفته لما جاء في الكتاب والسنة وأقوال علماء أهل السنة تجاه عقيدة القضاء والقدر (١)

ونريد أن نبين في هذا المبحث انحراف المتصوفة في مفهوم التوكل حيث فهم المتصوفة بأن التوكل هو الاعراض بالكلية عن القيام بأى سبب يحصل الانسان عن طريقه على الرزق الذى كتبه الله له أو تناول أى دواء يتداوى به الانسان وذلك لأن من شرط التوكل عند المتصوفة هو التخلي عن أى سبب نهائيا وان من قام بأى سبب فلا يسمى عندهم متوكلا على الله وسيتبين لنا هذا ان شاء الله حينما نذكر عبارات المتصوفة التي تدل دلالة صريحة على أنهم يعتقدون هذا المعتقد وقبل أن أدخل في بيان انحرافات المتصوفة في مفهوم التوكل سأعرف التوكل وأذكر فضله ومكانته في الاسلام وذلك حتى أوضح بأن التوكل على الله من الأمور الدالة على قوة ايمان المسلم بالله وثقته به وأن عدم التوكل على الله يدل على ضعف ايمان المرء ثم بعد ذلك سأذكر في المطلب الثاني انحراف المتصوفة في مفهوم التوكل مع بيان بطلانه

---

(١) — انظر ص ٨٣٦ — ٨٧٢

المطلب الأول : تعريف التوكل و فضله و مكانته العظيمة في الاسلام و أنواعه

أولا تعريف التوكل لغة و اصطلاحا

أ ـ التوكل لغة : قال ابن منظور في لسان العرب المتوكل على الله الذى يعلم أن الله كافل رزقه و أمره فيركن اليه وحده و لا يتوكل على غيره (١)

و قال ابن الأثير : يقال توكل بالأمر اذا ضمن القيام به و وكلت أمرى الى فلان أى ألجأته اليه و اعتمدت فيه عليه و وكل فلان فلانا اذا استكفاه أمره ثقة بكفايته أو عجزا عن القيام بأمر نفسه

و قال أيضا (وكل) في أسماء الله تعالى (الوكيل) هو القيم الكفيل بأرزاق العباد و حقيقة أنه يستقل بأمر الموكول اليه

ثم قال ابن الأثير : و قد تكرر ذكر التوكل في الحديث و منه حديث الدعاء : (لا تكلني الى نفسي طرفة عين فأهلك

و منه الحديث : و وكلها الى الله أى صرف أمرها اليه

و الحديث الآخر : (من اوكل بما بين لحييه و رجليه توكت له بالجنة) و قيل هو بمعنى تكفل (٢)

اذا نظرنا في التعريفات السابقة للتوكل نرى أن معنى التوكل هو اللجوء الى الله و تفويض الأمر اليه وحده سبحانه دون سواه و ليس من معنى التوكل ترك الأسباب و الاعراض عنها بالكلية كما يدعيه المتصوفة لأنه لو كان من معاني التوكل التي يدل عليها هذا المفهوم لذكره أهل اللغة و لم يعرضوا عنه صفحا و هذا سيتبين لنا في التعريفات الاصطلاحية التي عرفه بها علماء الأمة الاسلامية الراسخين في العلم الذين نهلوا

---

(١) ـ لسان العرب ١١/ ٧٣٤

(٢) ـ النهايه لابن الأثير ٥/ ٢٢١

علمهم من المنهلين الصافيين كتاب الله و سنة رسوله محمد صلى الله عليه و سلم

ب ـ تعريف التوكل في الاصطلاح

لقد عرف العلماء التوكل في الاصطلاح بعدة تعريفات و هذه التعريفات وان اختلفت في الألفاظ الا أنها تتفق كلها في المضمون واليك نماذج منها :

فقد قال الحافظ ابن حجر في تعريف التوكل : والمراد بالتوكل اعتقاد ما دلت عليه هذه الآية : ((و ما من دابة في الأرض الا على الله رزقها و يعلم مستقرها و مستودعها كل في كتاب مبين)) (١)

و ليس المراد به ترك التكسب والاعتماد على ما يأتي من المخلوقين لأن ذلك قد يجر الى ضد ما يراه التوكل (٢)

و قال الامام النووى في شرح صحيح مسلم في تعريف التوكل :

اختلفت عبارات العلماء من السلف و الخلف في حقيقة التوكل فحكى أبو جعفر الطبرى و غيره عن طائفة من السلف أنهم قالوا لا يستحق اسم التوكل الا من لم يخالط قلبه خوف غير الله تعالى من سبع أو عدو وحتى يترك السعي في طلب الرزق ثقة بضمان الله تعالى له برزقه واحتجوا بما جاء في ذلك من الآثار

و قالت طائفة : حده الثقة بالله تعالى والاثمان بأن قضاءه نافذ واتباع سنة نبيه صلى الله عليه و سلم في السعي في ما لا بد منه من المطعم و المشرب و التحرز من العدو كما فعله الأنبياء صلوات الله تعالى عليهم أجمعين

قال القاضي عياض : و هذا المذهب هو اختيار الطبرى و عامة الفقهاء و الأول مذهب المتصوفة و أصحاب علم القلوب و الاشارات (٣)

---

(١) ـ هود آية ٦ (٢) ـ فتح البارى ١١/٣٠٥

(٣) ـ شرح النووى على صحيح مسلم ٣/٩١

و قال ابن رجب الحنبلي في جامع العلوم و الحكم في تعريف التوكل :

و حقيقة التوكل هو صدق اعتماد القلب على الله عز و جل في استجلاب المصالح و دفع المضار من أمور الدنيا و الآخرة كلها وكلة الأمور كلها اليه و تحقيق الايمان بأنه لا يعطي و لا يمنع و لا يضر و لا ينفع سواه (١)

اذا نظرنا في التعريفات الاصطلاحية للتوكل نرى أن تعريف ابن حجر رحمه الله للتوكل تعريف صحيح موافق لما جاء في الكتاب و السنة في المقصود بالتوكل على الله حيث أكد بأن المقصود بالتوكل على الله هو اعتقاد الانسان بأن رزق كل ما يدب على وجه هذه الأرض على الله سبحانه و تعالى و نفي أن يكون المراد بالتوكل ترك الأسباب عكس ما يقوله المتصوفة حيث يعتقدون أن التوكل الحقيقي هو ترك القيام بأى سبب يحصل الانسان من ورائه على رزقه

و هذا المعنى للتوكل في المفهوم الصوفي يتضح لنا اذا نظرنا في التعريف الأول الذى أورده النووى للتوكل و نسبه الى المتصوفة حيث ذكر ان من شرط التوكل على الله هو ترك السعي في طلب الرزق و هذا مفهوم خاطيء للتوكل فان معنى التوكل هو تفويض الأمور كلها الى الله سبحانه و التوكل عليه في كل الشئون مع القيام بالأسباب المقدور عليها كما سنوضحه قريبا حينما نرد على المتصوفة

و أما التعريف الثاني الذى أورده النووى للتوكل فهو تعريف صحيح موافق لما جاء في الكتاب و السنة عن معنى التوكل و هو الذى صار عليه السلف الصالح من الصحابة و التابعين رضوان الله عليهم أجمعين فانهم يعتبرون أعظم و أكمل توكلا على الله سبحانه و مع ذلك فلم يعرضوا عن القيام بالأسباب بل كانوا فرسانا بالنهار رهبانا

---

(١) — جامع العلوم و الحكم لابن رجب الحنبلي ٤٠٩

بالليل يكدون و يكدحون في سبيل الحصول على الرزق الحلال بعرق جبينهم و لو كان السعي في الرزق منافيا للتوكل لما فعله الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين . فتبين بهذا بطلان المعتقد الصوفي و الذى هو (ان من شرط التوكل على الله هو الاعراض عن الأسباب بالكلية كما هو واضح في التعريف الأول الذى أورده النووى رحمه الله و نسبه اليهم

و كذلك تعريف ابن رجب الحنبلي تعريف جيد و صحيح موافق لما جاء في الكتاب و السنة عن معنى التوكل

و الخلاصة التي نخلص بها من هذه التعريفات اللغوية و الاصطلاحية للتوكل هي أن معنى التوكل الصحيح هو اعتماد القلب على الله و تفويض الأمور اليه كلها و الاعتقاد الجازم بأنه لا يملك أحد دفع المضار و لا جلب المصالح غيره سبحانه و تعالى مع القيام بالأسباب المقدور عليها من السعي في كسب الرزق الحلال و استعمال الأدوية التي جعلها الله سببا للبرىء

و كما نرى في التعريفات السابقة للتوكل لم يذكر علماء اللغة و لا علماء الفقه و الحديث بأن من شرط التوكل الاعراض عن الأسباب بل نفوا أن يكون من معنى التوكل الاعراض عن السعي في طلب الرزق الحلال

و لم يقل بأن من شرط التوكل الاعراض عن الأسباب بالكلية من سعى في طلب الرزق و من التداوى الا المتصوفة كما ذكر عنهم النووى في التعريف السابق و هو مفهوم خاطيء و باطل ليس له أصل لا في الكتاب و لا في السنة و سنبين بطلانه قريبا

ثانيا : فضل التوكل على الله و مكانته العظيمة في الاسلام ،

ان التوكل على الله مقام جليل القدر عظيم الأثر أمر الله عباده به و حثهم عليه في مواضع كثيرة من كتابه الكريم فقال سبحانه :((و على الله فليتوكل المؤمنون))(١)

و قال :((و توكل على الحي الذى لا يموت و سبح بحمده و كفى به بذنوب عباده خبيرا))(٢)

و قال :((فاعبده و توكل عليه))(٣)

و قد جعل الله التوكل سببا لنيل محبته فقال سبحانه :((ان الله يحب المتوكلين))(٤)

و جعله أيضا سبحانه شرطا للايمان به فقال سبحانه :((و على الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين))(٥)

فأنعم بمقام يحظى بمحبة الرحمن و يتحقق به كمال الايمان و قد جعل الله التوكل شعارا لأهل الايمان يتميزون به عمن سواهم فقال سبحانه :((انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم و اذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا و على ربهم يتوكلون))(٦)

و ضمن الله سبحانه لمن يتوكل عليه القيام بأمره و كفايته همه فقال سبحانه :((و من يتوكل على الله فهو حسبه ان الله بالغ أمره قد جعل الله لكل شيء قدرا))(٧)

و قال سبحانه :((و من يتوكل على الله فان الله عزيز حكيم))(٨)

أى عزيز لا يذل من استجار به و لا يضيع من لاذ بجنابه حكيم لا يقصر عن تدبير من توكل على تدبيره

---

(١)ـ ابراهيم آية ١١
(٢)ـ الفرقان ٥٨
(٣)ـ هود آية ١٢٣
(٤)ـ آل عمران ١٥٩
(٥)ـ المائدة ٢٣
(٦)ـ الأنفال ٢
(٧)ـ الطلاق آية ٣
(٨)ـ الأنفال آية ٤٦

قال الامام ابن القيم رحمه الله وهو يتحدث عن مكانة التوكل و فضله في الاسلام:

فالتوكل مركب السائر الذى لا يتأتى له السير الا به و متى نزل عنه انقطع لوقتـــه و هو من لوازم الايمان و مقتضياته قال الله تعالى :((وعلى الله فتوكلوا ان كنتـــم مؤمنين))(١)

فجعل التوكل شرطا في الايمان فدل على انتفاء الايمان عند انتفاء التوكـــل

و في الآية الأخرى ((و قال موسى :((يا قوم ان كنتم آمنتم بالله فعليه توكلـوا ان كنتـــم مسلميـــــن))(٢) فجعل دليل صحة الاسلام التوكل

و قال تعالى :((وعلى الله فليتوكل المؤمنون))(٣).

فذكر اسم الايمان ههنا دون سائر أسمائهم دليل على استدعاء الايمان للتوكـل و أن قوة التوكل وضعفه بحسب قوة الايمان و ضعفه و كلما قوى ايمان العبد كان توكلـه أقوى و اذا ضعف الايمان ضعف التوكل و اذا كان التوكل ضعيفا فهو دليل على ضعف الايمـــان لابـــد

و الله تعالى يجمع بين التوكل و العبادة و بين التوكل و الايمان و بين التوكل و الاسلام وبين التوكل و التقوى و بين التوكل و الهدايـــة

فأما التوكل و العبادة فقد جمع بينهما في سبعة مواضع من كتابه منها في سورة أم القرآن :((اياك نعبد و اياك نستعين))(٤)

و منها قوله حكاية عن أوليائه و عباده المؤمنين أنهم قالوا :((ربنا عليك توكلنـــا و اليك أنبنا و اليك المصير))(٥)

---

(١)ـ المائدة ٢٢
(٢)ـ يونس ٨٤
(٣)ـ ابراهيم ١١
(٤)ـ الفاتحـة ٥
(٥)ـ الممتحنة ٤

و منها قوله لنبيه محمد صلى الله عليه و سلم :((و اذكر اسم ربك و تبتل اليه تبتيلا رب المشرق و المغرب لا اله الا هو فاتخذه وكيلا))(١)

و منها قوله تعالى :((و لله غيب السماوات و الأرض و اليه يرجع الأمر كله فاعبده و توكل عليه و ما ربك بغافل عما تعملون))(٢)

و منها قوله تعالى :((قل هو رب لا اله الا هو عليه توكلت و اليه متاب))(٣)

ثم قال ابن القيم بعد أن أورد عددا من الآيات القرآنية التي تدل على أهمية التوكل و مكانته العظيمة عند الله

فهذه السبعة المواضع جمعت الأصلين التوكل و هو الوسيلة و الانابة و هي الغاية فان العبد لابد له من غاية مطلوبة و وسيلة موصلة الى تلك الغاية فأشرف غاياته التي لا غاية له أجل منها عبادة ربه و الانابة اليه و أعظم وسائله التي لا وسيلة له الى هذه الغاية الا بهذه الوسيلة فهذه أشرف الغايات و تلك أشرف الوسائل

و أما الجمع بين الايمان و التوكل ففي قوله تعالى :((قل هو الرحمن آمنا به و عليه توكلنا فستعلمون من هو في ضلال مبين))(٤)

و أما الجمع بين التوكل و الاسلام ففي قوله تعالى :((و قال موسى يا قوم ان كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا ان كنتم مسلمين))(٥)

و أما الجمع بين التوكل و التقوى ففي قوله تعالى :((يا أيها النبي اتق الله و لا تطع الكافرين و المنافقين ان الله كان عليما حكيما))(٦)

---

(١)— المزمل ٨—٩ (٢)— هود ١٢٣

(٣)— الرعد ٣٠ (٤)— الملك ٢٩

(٥)— يونس ٨٤ (٦)— الأحزاب ١—٣

و قوله :((و من يتق الله يجعل له مخرجا و يرزقه من حيث لا يحتسب و من يتوكل على الله فهو حسبه ان الله بالغ أمره قد جعل الله لكل شيء قدرا))(١)

و أما الجمع بين التوكل والهداية ففي مثل قول الرسل لقومهم :((و ما لنا ألا نتوكل على الله و قد هدانا سبلنا و لنصبرن على ما آذيتمونا و على الله فليتوكل المؤمنون))(٢)

و قال الله تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه و سلم :((فتوكل على الله انك على الحق المبين))(٣)

فأمر سبحانه بالتوكل عليه عقب هذا الأمر بما هو موجب للتوكل مصحح له مستدع لثبوته و تحققه و هو قوله تعالى :((انك على الحق المبين)) فان كون العبد على الحق يقتضي تحقيق مقام التوكل على الله و الاكتفاء به و الايواء الى ركنه الشديد فان الله هو الحق و هو ولي الحق و ناصره و مؤيده و كافي من قام به فما لصاحب الحق أن لا يتوكل عليه و كيف يخاف و هو الحق كما قالت الرسل لقومهم :((و ما لنا أن لا نتوكل على الله و قد هدانا سبلنا))

فعجبوا من تركهم التوكل على الله و قد هداهم و أخبروا أن ذلك لا يكون أبدا و هذا دليل على أن الهداية و التوكل متلازمان فصاحب الحق لعلمه بالحق ولثقته بأن الله ولي الحق و ناصره مضطرا الى توكله على الله لا يجد بدا من توكله فان التوكل يجمع بين أصلين علم القلب و عمله أما علمه فيقينه بكفاية وكيله و كمال قيامه بما وكله اليه و ان غيره لا يقوم مقامه في ذلك

---

(١) — الطلاق آية ٢—٣

(٢) — ابراهيم آية ١٢

(٣) — النمل آية ٧٩

و أما عمله فسكونه الى وكيله و طمأنينته اليه و تفويضه و تسليمه أمره اليه و رضـــاه بتصرفه له فوق رضاه بتصرفه هو لنفسه فبهذين الأصلين يتحقق التوكل و هما جماعـــهُ و ان كان التوكل دخل في عمل القلب من علمه كما قال الامام أحمد : التوكل عمل القلـب و لكن لا بد فيه من العلم و هو اما شرط فيه و اما جزء من ماهيته و المقصود أن القلب متى كان على الحق كان أعظم لطمأنينته و وثوقه بأن الله وليه و ناصره و سكونه اليه فمـــا له ألا يتوكل على ربه و اذا كان على الباطل علما و عملا أو أحدهما لم يكن مطمئنـــا واثقا بربه فانه لا ضمان له عليه و لا عهد له عنده فان الله لا يتولى الباطل و لا ينصـره و لا ينسب اليه بوجه و وعده حق و لقاؤه حق و فعله كله حق ليس في أفعاله شيء باطـل بل أفعاله سبحانه بريئة من الباطل كما أن أقواله كذلك فلما كان الباطل لا يتعلق بـه بل هو مقطوع البتة كان صاحبه كذلك و من لم يكن له تعلق بالله العظيم و كان منقطعـا عن ربه لم يكن الله وليه و لا ناصره و لا وكيله فتدبر هذا السر العظيم في اقتران التوكـل و الكفاية بالحق و الهدى و ارتباط أحدهما بالآخر و لو لم يكن في هذه الرسالـــة الا هذه الفائدة السرية لكانت حقيقة أن تودع في خزانة القلب لشدة الحاجة اليهـــا و الله المستعان و عليه التكلان

فظهر أن التوكل أصل لجميع مقامات الايمان و الاحسان و لجميع أعمال الاسلام و ان منزلته منها منزلة الجسد من الرأس فكما لا يقوم الرأس الا على البدن فكذلك لا يقـــوم الايمان و مقاماته و أعماله الا على ساق التوكل و الله أعلم (١)

و قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ و هو يتحدث عن مكانة التوكل على الله في الاسلام مبينا وجه ترجمـــة الامام محمد بن عبد الوهـاب لبـاب التوكل بقوله تعالى

---

(١) — طريق الهجرتين لابن القيم ٢٥٥—٢٥٨

((وعلى اللـــه فتوكـــلوا ان كنتم مؤمنيـــن))(١)

أراد المصنف بهذه الترجمة بالآية بيان أن التوكل فريضة يجب اخلاصه لله تعالى فان تقديم المعمول يفيد الحصر أى وعلى الله فتوكلوا لا على غيره فهو من أجمع أنـــواع العبادة وأعظمها لما ينشأ عنه من الأعمال الصالحة فانه اذا اعتمد على الله في جميع أموره الدينية والدنيوية دون كل من سواه صح اخلاصه ومعاملته مع الله تعالى فهـــو من أعظم منازل (اياك نعبد واياك نستعين) فلا يحصل كمال التوحيد بأنواعـــه الثلاثة الا بكمال التوكل (٢)

وقال أيضا في مكان آخر وهو يتحدث عن مكانة التوكل في الاسلام بعد أن ذكـر آيات عديدة تتكلم عن مكانة التوكل في الاسلام : فظهر أن التوكل أصل لجميع مقامـــات الايمان والاحسان ولجميع أعمال الاسلام وأن منزلته منها كمنزلة الجسد من الـــرأس فكما لا يقوم الرأس الا على البدن فكذلك لا يقوم الايمان ومقاماته وأعماله الا على ســـاق التوكـــــل

قال شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله : (وما رجا أحد مخلوقا ولا توكل عليه الا خاب ظنه فيه فانه مشرك :((ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطيـــر أو تهوى به الريح في مكان سحيق))(٣)

وقال الشيخ سليمان بن عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب مبينا وجه ترجمـــــة الشيخ محمد بن عبدالوهاب لباب التوكل بقوله تعالى :((وعلى الله فتوكـــلوا ان كنتم مؤمنيـــــن))(٤)

---

(١) ـ المائدة ٢٣

(٢) ـ فتح المجيد شرح كتاب التوحيد ٣٦٠

(٣) ـ فتح المجيد شرح كتاب التوحيد ٣٦٠ والموضوع أنظر له فتح المجيد شرح كتاب التوحيد ٣٦٠

(٤) ـ المائدة ٢٣

و مراد المصنف بهذه الترجمة النص على أن التوكل فريضة يجب اخلاصه لله تعالى لأنه من أفضل و أعلى مقامات التوحيد بل لا يقوم به على وجه الكمال الا خواص المؤمنين و لذلك أمر الله به في غير آية من القرآن العظيم أعظم مما أمر بالوضوء و الغسل من الجنابة بل جعله شرطا في الايمان و الاسلام و مفهوم ذلك انتفاء الايمان و الاسلام عند انتفائه كما في الآية المترجم لها (١)

و قال الشيخ عبدالرحمن دمشقية و هو يتحدث عن مكانة التوكل في الاسلام :

(التوكل على الله تعالى من أعظم المقامات و أجلها و هو سر قوة المؤمن و صبره و جلده فبالتوكل تهون المصاعب و تصغر المصائب في عين المصاب و تزول عنه هموم تضيق عن حملها الجبال فكم ممن لا يعرفون شيئا عن حقيقة التوكل على رب العباد تؤدى بهم مشاكلهم و همومهم الى الانتحار كيف و أجل ميزة في التوكل أنه يرفع أكبر قدر ممكن من الهم عن كاهل المؤمن و يجعله متعلق القلب بالله في كل شيء و الله سبحانه يحب المتوكلين و يثني عليهم في العديد من الآيات كما قال تعالى : ((ان الله يحب المتوكلين)) (٢)

مما سبق يتضح لنا بأن التوكل على الله من أجل العبادات التي يجب اخلاصها لله سبحانه و تعالى دون سواه و أنه من العلامات الدالة على قوة الايمان و أن فقدانه يدل دلالة واضحة على فقدان الايمان و بقدر ما يكون الايمان قويا يكون التوكل على الله قويا و بضعف الايمان يكون التوكل على الله ضعيفا

---

(١) — تيسير العزيز الحميد شرح كتاب التوحيد ٤٦٦

(٢) — آل عمران ١٥٩ و أنظر أبو حامد الغزالي و التصوف ٣٧٥

المطلب الثاني عقيدة الصوفية في التوكل و بيان بطلانها

لقد انحرف الصوفية في مفهوم التوكل انحرافا خطيرا حيث فهموا ان من شرط التوكل على الله هو الاعراض كلية عن القيام بأى سبب سواء كان هذا السبب القيام بعمل يحصل الانسان عن طريقه على رزقه الحلال بعرق جبينه أو كان السبب استعمال الأدوية التي جعلها الله سببا لشفاء الانسان من الأمراض و سأقسم هذا المطلب الى فقرتين الفقرة الأولى و سأذكر فيها عبارات أئمة التصوف التي توضح لنا انحرافهم في مفهوم التوكل ثم سأقوم في الفقرة الثانية ببيان بطلان هذا المفهوم للتوكل على هذا الوجه و مخالفته للمفهوم الصحيح الذى جاء في الكتاب والسنة وما كان عليه سلف الأمة

أولا : ذكر عبارات أئمة التصوف التي توضح انحرافهم في مفهوم التوكل .

قال سهل بن عبدالله التسترى و هو يتحدث عن مفهوم التوكل عند الصوفية :

أول مقام التوكل أن يكون العبد بين يدى الله عز و جل كالميت بين يدى الغاسل يقلبه كيف يشاء لا يكون له حركة و لا تدبير (١)

و معنى ذلك أن الانسان المتوكل على الله ينبغي له أن يقعد و لا يتحرك في هذه الحياة لتأمين لوازم الحياة و إلا لا يوصف بأنه متوكل على الله و هذا مفهوم خاطئ للتوكل لأنه ليس من التوكل على الله قطع القيام بالأسباب التي تكون سببا لحصول الانسان على رزقه الحلال أو تناول دواء يكون سببا لشفائه .

و قال ذا النون المصرى : التوكل ترك تدبير النفس و الانخلاع من الحول و القوة و انما يقوى العبد على التوكل اذا علم ان الله سبحانه يعلم و يرى ما هو فيه (٢)

---

(١) — الرسالة القشيرية لأبي سالم القشيرى ١/٤١٦

(٢) — الرسالة القشيرية لأبي القاسم القشيرى ١/٤١٩

والشاهد في النص هو قول ذا النون : (التوكل ترك تدبير النفس) ويقصد بهذا أن المتوكل على الله لا ينبغي له أن يقوم بأى سبب لأنه ينافي التوكل على الله بل عليه أن يقطع الأسباب نهائيا ويقعد متوكلا على الله وهو مفهوم خاطيء طبعا فان هذا تواكل وليس توكلا .

وقال ذا النون أيضا : التوكل خلع الأرباب وقطع الأسباب (١)

والشاهد من النص واضح ولا يحتاج الى تعليق

وسئل أبو عبدالله القرشي عن التوكل فقال

التوكل التعلق بالله في كل حال فقال السائل زدني فقال ترك كل سبب يوصل الى سبب حتى يكون الحق هو المتولي لذلك (٢)

فهنا في هذا النص كما هو واضح أمامنا عرف أبو عبدالله القشيرى بأن التوكل هو ترك القيام بأى سبب في هذه الحياة الدنيا والقعود منتظرا اتيان رزقه من الله سبحانه وتعالى وهو مفهوم باطل ،

وقال أبو علي الروذبارى : اذا قال الفقير بعد خمسة أيام أنا جائع فألزموه السوق ومروه بالعمل والكسب (٣)

وقيل نظر أبو تراب النخشبي الى صوفي صديده الى قشر بطيخ ليأكله بعد ثلاثة أيام فقال له لا يصلح لك التصوف الزم السوق (٤)

وحكى عن ابراهيم الخواص أنه كان يقول اذا عرج المريد على الأسباب بعد ثلاثة أيام فالعمل في المكاسب ودخول السوق . أولى به

---

(١) — الرسالة القشيرية لأبي القاسم القشيرى ١ / ٤٢٠

(٢) — نفس المرجع ١ / ٤٢١ وأنظر في عقيدة الصوفية في التوكل على أنه اعراض عن الأسباب بالكلية الكتب الآتية ١ — ابن عطاء الله السكندرى وتصوفه ٢٤٧

٢ — كتاب جواهر المريدين ١٩

(٢) — الرسالة القشيرية ١ / ٤٢٨ (٣) — الرسالة القشيرية ١ / ٤٢٨

و قال الطوسي سأل رجل بن سالم بالبصرة و أنا حاضر في مجلسه و كان يتكلم في فضل المكاسب فقال له أيها الشيخ نحن مستعبدون بالكسب أم بالتوكل فقال ابن سالم التوكل حال الرسول و الكسب سنة الرسول و استن لهم الكسب لعلمه بضعفهم حتى اذا سقطوا عن درجة التوكل التي هي حاله لا يسقطوا عن درجة طلب المعاش التي هي سنته ولولا ذلك لهلكوا (١)

و قال ذا النون المصرى : اذا طلب العارف المعاش فهو لا شيء (٢)

و قال أبو طالب المكي : قد يفضل التارك للتكسب شغلا بالعبادة عن التكسب من حيث فضل المتقدمون الزاهد في الدنيا على كاسب المال حلالا و منفقه في سبيل الله (٣)

و قال أيضا : و قد علم التارك للتكسب توكلا على الله و ثقة به و رعاية لمقامه و صبرا على فقره و شغلا بمعاده عن معاشه و مقاسات الفتنة ان مولاه قد تكفل له برزقه في الدنيا و قد وكل اليه عمل الآخرة و انه ان شغل بما وكله اليه من عمل آخرته أقام له من يقوم بكفايته من دنياه فلو لم يتصرف المتوكل تصرف له غيره و ان عمل آخرته الذى وكله اليه هذا فان لم يعمله لم يقم غيره مقامه و ان الله تكفل له بعمل الدنيا فان لم يعمل لعمل له سواه كيف شاء (٤)

و قال أبو طالب المكي : و قال بعض علمائنا اذا استوى عند المريد وجود السبب وعدمه و كان قلبه ساكنا مطمئنا عند العدم ولم يشغله ذلك عن الله تعالى

---

(١) — اللمع للطوسي ٢٥٩

(٢) — اللمع للطوسي ٢٦١

(٣) — قوت القلوب لأبي طالب المكي ٢/٥٧

(٤) — قوت القلوب لأبي طالب المكي ٢/٥٧

ولم يتفرق همه فترك التكسب والقعود لهذا أفضل لشغله بحاله وتزوده لمعاده وقد صح له مقام في التوكل (١)

وذكر صاحب كتاب سراج الطالبين أن رجلا سأل شيخنا ابن سالم أنحن مستعبدون بالكسب أم بالتوكل فقال: التوكل حال رسول الله والكسب سنته وانما سن لهم الكسب لضعفهم حين سقطوا عن درجة التوكل فأباح لهم طلب المعاش بالمكاسب الذى هو سنته ولولا ذلك لهلكوا (٢)

ويقول أبو حامد الغزالي وهو يتحدث عن المفهوم الصوفي للتوكل:

ان كان مشتغلا بالله تعالى ملازما لمسجد أو بيت وهو مواظب على العلم والعبادة فالناس لا يلومونه في ترك التكسب ولا يكفونه ذلك بل اشتغاله بالله تعالى يقرر حبه في قلوب الناس حتى يحملوا اليه فوق كفايته وانما عليه أن لا يغلق الباب ولا يهرب الى جبل من بين الناس

فاشتغاله بالسلوك مع الأخذ من يد يتقرب الى الله تعالى بما يعطيه أولى لأنه تفرغ لله عز وجل واعانة للمعطى على نيل الثواب فان من كان لله تعالى كان الله عز وجل له

ومن اشتغل بالله عز وجل ألقى الله حبه في قلوب الناس وسخر له القلوب كما سخر قلب الأم لولدها (٣)

ودخل جماعة على الجنيد فقال ماذا تطلبون قالوا نطلب الرزق فقال ان علمتم في أى موضع هو فاطلبوه قالوا نسأل الله قال ان علمتم أنه ينساكم فذكروه فقالوا

---

(١) — قوت القلوب لأبي طالب المكي ٢/ ٣١

(٢) — سراج الطالبين ٨٤

(٣) — الاحياء للغزالي ٤/ ٢٩٠

ندخل البيت و نتوكل و ننظر ما يكون فقال التوكل على التجربة شك قالوا فما الحيلة قال ترك الحيلة (١)

و يقول الغزالي : فالاهتمام بالرزق قبيح بذوى الدين و هو بالعلماء أقبح فان الكسب يمنع عن السر بالفكر الباطن (٢)

و قال الهروى و هو يتحدث عن التوكل عند الصوفية :

التوكل كله الأمر كله الى مالكه و التعويل على وكالته و هو من أصعب منازل العامة عليهم و أوهى السبل عند الخاصة لأن الحق قد وكل الأمور كلها الى نفسه و آيس العالم من تملك شيء منها و هو على ثلاث درجات كلها تسير سير العامة

قال الدرجة الأولى : التوكل مع الطلب و معاطات السبب على نية شغل النفس و نفع الخلق و ترك الدعوى

الدرجة الثانية : التوكل مع اسقاط الطلب و غض الطرف عن السبب اجتهادا لتصحيح التوكل و قمعا لشرف النفس و تفرغا لحفظ الواجبات

الدرجة الثالثة : التوكل مع معرفة التوكل و المنازعة الى الخلاص من علة التوكل و هو أن تعلم ملكة الحق تعالى للأشياء ملكة عزة لا يشاركه فيها مشارك فيكل شريكه اليه فان من ضرورة العبودية أن يعلم العبد أن الحق تعالى هو مالك الأشياء وحده (٣)

اذا نظرنا في هذا الكلام الذى قاله الهروى عن التوكل نرى بوضوح أن الهروى اعتبر التوكل من مقامات العامة و أنه يعتبر من أوهى السبل عن الخاصة و كما هو واضح أمامنا فقد ذكر الهروى أن من درجات التوكل التوكل مع اسقاط الأسباب و هذا مفهوم

---

(١) — الاحياء للغزالي ٤ / ٢٩١

(٢) — الاحياء للغزالي ٤ / ٢٩٢

(٣) — منازل السائرين للهروى ١٧

خاطيء للتوكل فان التوكل لا يلزم منه بأى حال من الأحوال ترك الأسباب كليـــة وانما المفهوم الصحيح للتوكل هو القيام بالأسباب المقدور عليها ثم التوكل على اللـــه بعـــد ذلـــك

ثم دندن الهروى في الدرجة الثالثه من درجات التوكل أنه ينبغي للانسان أن يترقى في درجات التوكل حتى يتخلص من التوكل نفسه لأنه هو بنفسه علة لا ينبغـي للخواص الوقوف عندها بل عليهم أن يسعوا للتخلص من التوكل لأنه من مقامات العامة وهذا رأى باطل وفاسد فان التوكل على الله سبحانه وتعالى يعتبر من أرقـــى المقامات وأشرفها وقد أمر الله عباده المؤمنين أن يتوكلوا عليه فقال : ((وعلـى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين)) (١)

ولذا فكل من يريد التخلص من التوكل فانما يريد أن يصرف الناس عن تفويـــص أمورهم الى الله وتوجيههم الى جهة أخرى

وعلى كل فهذا المفهوم للتوكـــل مفهوم خاطيء وقد وقع المتصوفة بسبـــب هذا المفهوم الخاطيء للتوكل في أخطاء فاحشة من التسول والتكفف لأموال الناس في المساجد والطرقات العامة مما سبب لهم الاهانة

جملة من الحكايات التي تثبت أن الصوفية أوقعهم المفهوم الخاطيء للتوكل فـــي الشحاتة والتسول في الشوارع للتكفف لأموال الناس بالباطل

هناك حكايات وقصص كثيرة في كتب الصوفية تثبت بأن القوم بالفعل بعد أن فهموا التوكل فهما خاطئا اضطروا أن يمارسوا حرفة السؤال والتكفف لأموال الناس بالباطل

---

(١) منازل السائرين للهروى ٤٧ — ٤٨

و من هذه الحكايات التي أوردها الصوفيـة أنفسهم :

قيل لحذيفة المرعش و قد كان خدم ابراهيم بن أدهم و صحبه : ما أعجب مـا رأيت منه قال : بقينا في طريق مكة حرسها الله تعالى أياما لم نجد طعاما ثـم دخلنا الكوفة فأوينا الى مسجد خراب فنظر الي ابراهيم بن أدهم و قال يا حذيفـة أرى بك الجوع فقلت ما هو رأى الشيخ فقال علي بدواة و قرطاس فجئت بهما فكتب بسم الله الرحمن الرحيم أنت المقصود بكل حال و المشار اليه بكل معنى

أنا حامد و أنا شـاكر أنا ذاكـر أنا جائـع أنا ضائـع أنـا عـار

ثم دفع الى الرقعة فقال اخرج و لا تعلق قلبك بغير الله و ادفع الرقعة الى أول من يلقاك قال : فخرجت فأول من لقيني رجل كان على بغلة فدفعتها اليه فأخذهـا و بكى و قال ما فعل صاحب هذه الرقعة فقلت هو في المسجد الفلاني فدفع الي صرة فيها ستمائة دينار ثم لقيت رجلا آخر فقلت من صاحب هذه البغلة فقال نصراني فجئت الى ابراهيم بن أدهم و أخبرته بالقصة فقال لا تمسها فانه يجيء الساعة فلما كان بعد ساعة و أتى النصراني راكب على رأس ابراهيم بن أدهم و أسلم (١)

و الشاهد من ايراد هذا النص هو أن ابراهيم بن أدهم و مريده خرجا بدون زاد و أصيبا بجوع شديد و لم يجدا سبيلا للحصول على الرزق أو لقمة يقيمان بهـا صلبيهما الا طريقة واحدة و هي سؤال الناس و التكفف لهم و هذا هو المصير الحتمـي لكل من فهم التوكل هذا الفهم الصوفي الباطل

و حكي عن أبي حفص الحداد أنه كان أكثر من عشرين سنة يعمل في كل يوم بدينار

---

(١) — تنوير القلوب في معاملة علام الغيوب للخـراص ٤٧٨

و ينفقه عليهم يعني الصوفية و لا يسأل عن مسألة و يصوم ثم يخرج بين العشائين فيتصدق من الأبواب (١)

فهذا الرجل بالفعل كان يعمل و لكنه كان يتصدق بجميع ماله و يبقى خالي اليد و ذلك لأنه يعتقد أن التوكل لا يمكن أن يتحقق الا اذا تجرد الانسان من جميع أملاكه و هذا المعتقد الفاسد أوقعه في شيء محظور حذر منه الرسول ألا و هو سؤال الناس و التكفف لأيديهم بغية الحصول على لقمة العيش .

و قال أبو طالب المكي : و قد كان الخواص يدقق في أمر التوكل و يذكر أن الادخار يخرج من التوكل و لم يكن يفارقه أربعة أشياء (٢)

و هذا الفهم الذي فهمه الخواص للتوكل فهم خاطيء فان ادخار اللازم للقوت لا ينافي التوكل و لو فهمت الأمة الاسلامية للتوكل هذا المفهوم الصوفي الخاطيء للتوكل لأصبحت فقيرة حقيرة هزيلة خاضعة لغيرها تنتظر من يتصدق عليها من الأمم الأخرى و هو مفهوم خطير جدا لو طبق لانهار اقتصاد الأمة الاسلامية انهيارا كاملا و كما هو معلوم فالمال عصب الحياة و بدون المال لا يمكن أن يحقق شيء من الأشياء فهو الطاقة المحركة لهذه الحياة الدنيا و الاسلام لا يذم المال لأنه مال و انما يذم الاسلام المال الحرام أو الانهماك في الدنيا كلية مع نسيان الآخرة أما أن ندعوا الناس الى التجرد الكامل من أموالهم حتى يصبحوا فقراء فهذه دعوة دخيلة ليست من الاسلام في شيء

---

(١) — اللمع للطوسي ٢٦١

(٢) — قوت القلوب لأبي طالب المكي ٢/٣٨

وروى أبو القاسم القشيرى عن أبي نصر الصوفي أنه قال : خرجت من البحر بعمان وقد أثر في الجوع فكنت أمر في السوق فبلغت حانوت حلاوى فرأيت فيه حملانا مشوية وحلواء فتعلقت برجل وقلت اشتر لي من هذه الأشياء فقال لماذا ألك علي شيء أو عندى دين فقلت لابد أن تشترى من هذا

فرآني رجل فقال خله يافتى ان الذى يجب عليه أن يشترى لك ما تريد أنا لاهو اقترح علي وأحكم بما تريد (١)

والخلاصة التى نخرج بها من هذ المطلب الذى تكلمنا فيه عن انحراف الصوفية في مفهوم التوكل هي أن الصوفية يعتقدون بأن من شروط المتوكل على الله أن تتوفر فيه الأشياء التالية وهي :

أولا البعد عن القيام بأى سبب يحصل الانسان عن طريقه على الرزق الحلال الذى يعف به نفسه وعائلته

ثانيا : اذا كان له مال فعليه أن يتجرد من جميع ماله لأن شرط التوكل على الله خلو الأيدى من الأملاك كلية

ثالثا : عدم التداوى وعدم الادخار ولو شيئا بسيطا بقدر الضرورة من المال لأن ادخار شيء من المال ولو كان بسيطا واستعمال الأدوية ينافي التوكل على الله

رابعا : هذا المفهوم الخاطيء للتوكل أوقع المتصوفة في احتراف مهنة التسول والتكفف لأموال الناس بالباطل

هذا ملخص اعتقاد المتصوفة في التوكل على الله وكل هذه المعتقدات تعتبر منحرفة لأنها مخالفة لما جاء في الكتاب والسنة وأقوال علماء الأمة في مفهوم التوكل على الله وهذا ما سنبينه الآن في الفقرة التالية أثناء ردنا عليهم لبيان بطلان معتقدهم هذا ان شاء الله

---

(١) — الرساله القشيرية ٢ / ٥٧٢

ثانيا : بيان بطلان معتقد الصوفية نحو التوكل على الله

لقد بينا في الفقرة الأولى معتقد الصوفية في التوكل على الله و فهمهم الخاطئ له حيث فهم الصوفية كما أوضحناه سابقا بأن التوكل على الله يلزم منه قطع القيام بأى سبب و التجرد من الأملاك وعدم الادخار وعدم التداوى أيضا و دعوا الى أن يصبح الانسان كالميت لا حركة له ولا تدبير بل عليه أن يعيش جامدا لا حركة له اذا أراد أن يصل الى مقام التوكل الحقيقي[1] ، هنا في هذه الفقرة نريد أن نبين بطلان هذا المعتقد .

اذا عرضنا هذا المعتقد الصوفي الباطل نحو التوكل على الله على الكتاب والسنة سنجده معتقدا باطلا بعيدا كل البعد عن المفهوم الصحيح للتوكل الذى فهمه سلفنا الصالح للتوكل حيث ان السلف الصالح لم يفهموا من التوكل على الله ما فهمه المتصوفة من أنه يعني عدم القيام بالأسباب و التجرد من الأموال وعدم الاحتراز من الأعداء وعدم تناول الأدوية بقصد الشفاء بل السلف الصالح كانوا من أكبر المتوكلين على الله سبحانه و تعالى ومع ذلك فلم نجد في الكتب لواحد منهم يدعوا الى عدم القيام بالعمل و التجرد من الأموال و النهي عن التداوى بحجة التوكل ذلك لأن التوكل على الله و القيام بالأسباب ليسا متناقضين كما يزعم المتصوفة بل هما منسجمان تماما فعلى المؤمن أن يتوكل على الله حق توكله و يفوض كل أموره الى الله سبحانه جلت قدرته ثم يقوم بالأسباب التي فى حدود قدرته و طاقته و ما لم يكن باستطاعته فيفوض أمره الى الله أما أن يقعد الانسان في البيت أو في المسجد بدعوى التوكل ولا يقوم بأبسط الأعمال فهذا مفهوم خاطئ للتوكل و هو يسمى في الشريعة تواكل و ليس توكل

(١) — انظر ص ٨٨٥ — ٨٩٣

قال الامام ابن الجوزى رحمه الله في معرض رده على الصوفية الذين يعتقدون بأن القيام بالأسباب ينافي التوكل على الله : .

قلة العلم أوجبت هذا التخبط ولو عرفوا ماهية التوكل لعلموا أنه ليس بينه و بين الأسباب تضاد و ذلك أن التوكل اعتماد القلب على الوكيل وحده و ذلك لا يناقض حركة البدن في التعلق بالأسباب و لا ادخار المال (١)

و قد أمر الله تعالى بالمحافظة على المال و نهى عن وضعه في أيدى السفهاء خشية أن يبددوه و لو كان ادخار المال و المحافظة عليه ينافي التوكل على الله لما أمر الله بالمحافظة عليه قال تعالى :((و لا تؤتوا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قياما و ارزقوهم فيها و اكسوهم و قولوا لهم قولا معروفا))(٢)

و قد مدح الرسول صلى الله عليه و سلم المال الحلال الذى يكسبه الانسان بطرق مشروعة فقال :(نعم المال الصالح للرجل الصالح)(٣)

و لو كان جمع المال و الاحتفاظ به و صرفه في الوجوه المشروعة ينافي التوكل على الله و يخرج الانسان من دائرة المتوكلين لما مدحه الرسول صلى الله عليه و سلم بل لذمه و لنهى عنه و حذر منه ولكنه لم يفعل ذلك فظهر بهذا بطلان معتقد المتصوفة بأن جمع المال ينافي التوكل

و قد شجع الرسول صلى الله عليه و سلم بحث المسلم على ترك ورثته أغنياء على جمع المال و المحافظة عليه و عدم تبديده بحيث يصبح الانسان خالي اليدين من أملاكه كما يزعم المتصوفة بأن التوكل يقتضي ذلك

---

(١) ـ تلبيس ابليس لابن الجوزى ٢٧٨

(٢) ـ النساء آية ٥

(٣) ـ مسند أحمد ١٦٧/٤

وفي هذا المجال يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : (انك ان تدع ورثتك أغنياء خير من أن تدعهم عالة يتكففون الناس)(١)

ومن هذا الحديث نفهم بأن السعي في طلب المال الحلال وجمعه وادخاره للورثة لا ينافي التوكل على الله

وقد أمر سبحانه وتعالى بأخذ الحذر والحيطة من الأعداء خشية أن يغيروا علينا ونحن غافلون وأخذ الحذر يعتبر سببا من الأسباب والصوفية يدعون الى ترك الأسباب وعدم الالتفات اليها بحجة أنه ينافي التوكل وقد كذبهم الله تعالى فقال :

((يا أيها الذين آمنوا خذوا حذركم فانفروا ثبات أو انفروا جميعا))(٢)

فلو كان القيام بالأسباب ينافي التوكل على الله لما أمر الله سبحانه به بل لدعى العباد الى عدم الاقتراب منه ولكن لما لم يفعل الله ذلك ظهر بطلان ادعاء المتصوفة بأن القيام بالأسباب ينافي التوكل على الله سبحانه وتعالى

وقد أمر الله بالاعداد اللازم لمواجهة الأعداء من القوة فقال سبحانه : ((وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم))(٣)

واعداد العدة اللازمة لمواجهة الأعداء يعتبر من الأسباب وقد أمر الله به سبحانه وتعالى فلو كان مباشرة الأسباب تنافي التوكل لما أمر الله به بل لنهى عنه

ومما يدل على أن مباشرة الأسباب لا ينافي التوكل على الله سبحانه وتعالى أن الرسول صلى الله عليه وسلم حينما هاجر هو والصديق رضي الله عنه الى المدينة اختفى في غار حراء خوفا من أن يروهما كفار قريش والاختفاء يعتبر سببا من الأسباب

---

(١)— مسند أحمد ١/ ١٧٣

(٢)— النساء آية ٧١

(٣)— الأنفال آية ٦٠

و قد فعله الرسول صلى الله عليه و سلم و هو أكثر توكلا على الله سبحانه و تعالى ولو كان القيام بالأسباب ينافي التوكل على الله لما فعل الرسول هذا الفعل بل لانتظرهم ولم يختف منهم و بهذا يظهر بطلان المعتقد الصوفي تجاه التوكل على الله من اعتقادهم بأن القيام بالأسباب ينافي التوكل على الله سبحانه و تعالى

و قد أمر الرسول صلى الله عليه و سلم بمباشرة الأسباب المقدور عليها ثم التوكل على الله سبحانه بعد أن يعمل الانسان الأشياء اللازمة و ذلك فيما رواه أنس بن مالك رضي الله عنه قال : جاء رجل الى النبي صلى الله عليه و سلم و ترك ناقته بباب المسجد فسأله رسول الله صلى الله عليه و سلم عنها فقال أطلقتها و توكلت على الله قال اعقلها و توكـــــل (١)

و من هذا الحديث نخرج بخلاصة مهمة جدا في مفهوم التوكل ألا و هي ان التوكل على الله سبحانه و تعالى لا يعني ترك الأسباب اللازمة للمحافظة على الأموال و الأنفس أو غيرهما مما هو مقدور للانسان أن يفعله وانما على الانسان المسلم أن يفعل الأشياء التي تكون في مقدوره ثم يتوكل على الله سبحانه و تعالى في جميع أموره أما أن يتـــرك الانسان الأسباب المأمور بها و يبقى جالسا قعيد البيت و يزعم أنه متوكل على اللـــه فليس هذا بمفهوم صحيح للتوكل بل هو مفهوم خاطئ باطل مخالف لما جاء في الكتاب و السنة و مفهوم السلف الصالح لمعنى التوكل على الله و لم يقل به الا المتصوفـــــة المنحرفون الذين لذ لهم و طاب أكل أموال الناس بالباطل .

و قال ابن عقيل رحمه الله وهو يرد على الذين يقولون ان القيام بالأسباب بجميع أنواعها ينافي التوكـــــل :

---

(١) — كشف الخفاء ٤١٨

يظن أقوام أن الاحتياط والاحتراز ينافي التوكل على الله وان التوكل هو اهمال العواقب واطراح التحفظ وذلك عند العلماء هو العجز والتفريط الذى يقتضي من العقلاء التوبيخ والتهجين ولم يأمر الله بالتوكل الا بعد التحرز واستفراغ الوسع في التحفظ فقال تعالى :((وشاورهم في الأمر فاذا عزمت فتوكل على الله))(١)

فلو كان التعلق بالاحتياط قادحا في التوكل لما خص الله به نبيه حين قال له (وشاورهم في الأمر) وهل المشاورة الا استفادة الرأى الذى منه يؤخذ التحفظ والتحرز من العدو ولم يقنع في الاحتياط بأن يكله الى رأيهم حتى نص عليه وجعله عملا في نفس الصلاة وهي أخص العبادات فقال :((فلتقم طائفة منهم معك وليأخذوا أسلحتهم))(٢)

وبين عليه ذلك بقوله :((ود الذين كفروا لو تغفلون عن أسلحتم وأمتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة))(٣)

ومن علم أن الاحتياط هكذا لا يقال ان التوكل عليه ترك ما علم لكن التوكل التفويض فيما لا وسع فيه ولا طاقة قال عليه الصلاة والسلام :(اعقلها وتوكل)ولو كان التوكل ترك التحرز لخص به خير الخلق صلى الله عليه وسلم في خير الأحوال وهي حالة الصلاة وقد ذهب الشافعي رحمه الله الى وجوب حمل السلاح حينئذ لقوله تعالى :((وليأخذوا أسلحتهم)) فالتوكل لا يمنع من الاحتياط والاحتراز فان موسى عليه السلام لما قيل له ((ان الملأ يأتمرون بك ليقتلوك))(٤) خرج ونبينا صلى الله عليه وسلم خرج من مكة لخوفه من المتآمرين عليه ووقاه أبو بكر رضي الله عنه بسد اثقاب الغار وأعطى القوم التحرز حقه ثم توكلوا ..... ثم قال ومن عطل نعمه الله تعالى بترك الاحتراز

---

(١) — آل عمران ١٥٩ (٢) — النساء ١٠٢

(٣) — النساء ١٠٢ (٤) — القصص ٢٠

فقد عطل حكمته كمن يترك الأغذية والأدوية ثم يموت جوعا أو مرضا ولا أبله ممن يدعي العقل والعلم ويستسلم للبلاء انما ينفي أن تكون أعضاء المتوكل في الكسب وقلبه ساكن مفوض الى الحق منع أو أعطى ومتى وضعت الأسباب فأهملت كان ذلك جهلا بحكمة الوضع مثل وضع الطعام سببا للشبع والماء للرى والدواء للمرض فاذا ترك الانسان ذلك اهوانا بالسبب ثم دعا وسأل فربما قيل له قد جعلنا لعافيتك سببا فاذا لم تتناوله كان اهوانا لعطائنا فربما لم نعافك بغير سبب لاهوانك للسبب (١)

وقال الامام ابن الجوزى رحمه الله في معرض رده على المتصوفة الذين يعتقدون أن التوكل على الله يقتضي تعطيل القيام بالأسباب كلية بعد أن أورد عبارات أئمتهم التي تدل دلالة واضحة على أنهم يعتقدون هذا المعتقد الفاسد تجاه التوكل على الله

قال : هذا كلام قوم ما فهموا التوكل وظنوا أنه ترك الكسب وتعطيل الجوارح عن العمل ولو كان كل كاسب ليس بمتوكل لكان الأنبياء غير متوكلين فقد كان آدم عليه السلام حراثا ونوح وزكريا نجارين وادريس خياطا وابراهيم ولوط زراعين وكان سليمان يعمل الخوص وداوود يصنع الدرع ويأكل من ثمنه وكان موسى وشعيب ومحمد صلوات الله عليهم أجمعين رعاة ..... ثم قال ابن الجوزى رحمه الله منتقدا للفهم الصوفية المنحرف للتوكل واتخاذهم حرفة التسول هي الطريق الوحيد التي يحصلون بها على أرزاقهم

(قلت لو قال رجل للصوفية من أين أطعم عيالي لقالوا أشركت ولو سئلوا عمن يخرج للتجارة لقالوا ليس بمتوكل ولا مؤمن وكل هذا لجهلهم بمعنى التوكل واليقين ولو كان أحد يغلق عليه الباب ويتوكل لقرب أمر دعواهم لكنهم بين أمرين

---

(١) ـ تلبيس ابليس لابن الجوزى ٢٧٩

أما الغالب من الناس فمنهم من يسعى الى الدنيا مستجديا و منهم من يبعث غلامه فيدير بالزنبيل فيجمع له

و اما الجلوس في الرباط في هيئة المساكن و قد علم أن الرباط لا يخلوا من فتوح كما لا يخلوا الدكان من أن يقصد للبيع و للشراء (١)

و كان السلف رحمهم الله يكرهون القعود في المساجد و انتظار ما يأتي من الناس من صدقات

فقد قال سعيد بن المسيب رحمه الله من لزم المسجد و ترك الحرفة و قبل ما يأتيه فقد الحف في السؤال (٢)

و قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : يا معشر الفقراء ارفعوا رؤوسكم فقد وضح الطريق فاستبقوا الخيرات و لا تكونوا عيالا على المسلمين (٣)

و عن محمد بن عاصم قال بلغني أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان اذا رأى غلاما فأعجبه سأل عنه هل له حرفة فان قيل له لا سقط من عيني (٤)

و قال الامام ابن القيم رحمه الله و هو يناقش أحد المتصوفة الذين ادعوا أن القيام بالأسباب ينافي التوكل على الله بل صرح بعضهم أن الوقوف عند التوكل على الله يجعل الانسان غير متوكل على الله لأن التوكل نفسه يعتبر سببا من الأسباب فينبغي الانخلاع عنه

قال ابن القيم : الوجه الرابع أن قوله لأنه رفضت الأسباب و وقفت مع التوكل ، ان أراد به رفض الأسباب بالكلية جملة فهذا كما أنه ممتنع عقلا و حسا فهو محرم شرعا و دينا

---

(١) — تلبيس ابليس لابن الجوزي ٢٨١—٢٨٢

(٢) — نفس المرجع ٢٨٣

(٣) — نفس المرجع ٢٨٣

(٤) — نفس المرجع ٢٨٣

فان رفض الأسباب بالكلية انسلاخ من العقل والدين وان أراد به رفض الوقوف معها والوثوق بها وأنه يقوم بها قيام ناظر الى سببها فهذا حق ولكن النقص لا يكون في السبب ولا في القيام به وانما يكون في الاعراض عن المسبب تعالى كما تقدم فمنع الأسباب أن تكون أسبابا قدح في العقل والشرع واثباتها والوقوف معها وقطع النظر عن مسببها قدح في التوحيد والتوكل والقيام بها وتنزيلها منازلها والنظر الى مسبباتها وتعلق القيام به جمع بين الأمر والتوحيد وبين الشرع والقدر وهو الكمال والله أعلم (١)

وقال الشيخ سليمان بن عبدالله بن محمد بعد ذكره حديث السبعين ألف الذين قال فيهم الرسول انهم يدخلون الجنة بغير حساب والذين وصفهم بأنهم هم الذين لا يسترقون ولا يتطيرون ولا يكتوون وعلى ربهم يتوكلون (٢)

قال: واعلم أن الحديث لا يدل على أنهم لا يباشرون الأسباب أصلا كما يظنه الجهلة فان مباشرة الأسباب في الجملة أمر فطري ضروري لا انفكاك لأحد عنه حتى الحيوان البهيم بل نفس التوكل مباشرة لأعظم الأسباب كما قال تعالى: ((ومن يتوكل على الله فهو حسبه))(٣) أي كافيه انما المراد انهم يتركون الأمور المكروهة مع حاجتهم اليها توكلا على الله كالاسترقاء والاكتواء فتركهم له ليس لكونه سببا لكن لكونه سببا مكروها لا سيما والمريض يتشبث بما يظنه سببا لشفائه بخيط العنكبوت أما نفس مباشرة الأسباب والتداوي على وجه لا كراهة فيه فغير قادح في التوكل فلا يكون تركه مشروعا (٤)

---

(١) — طريق الهجرتين لابن القيم ٢٥٩

(٢) — أنظر صحيح البخاري مع الفتح ١٠/١٥٥

(٣) — الطلاق ٤

(٤) — تيسير العزيز الحميد شرح كتاب التوحيد ٤٩٥

و ذلك لما ورد من الأحاديث الكثيرة التي أمر الرسول فيها صلى الله عليه و سلم فيها بالتداوى من الأمراض و أخبرنا بأن الله أوجد لكل داء دواء و لكن عرفه من عرفه و جهله من جهله

و اليك نبذة من هذه الأحاديث

روى مسلم في صحيحه من حديث أبي الزبير عن جابر بن عبدالله رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه و سلم أنه قال : لكل داء دواء فاذا أصيب دواء الداء برىء باذن الله عز وجل (١)

و في الصحيحين عن عطاء عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : ما أنزل الله من داء الا أنزل له شفاء (٢)

و عن أسامة بن شريك قال كنت عند النبي صلى الله عليه و سلم و جاءت الأعراب فقالوا يا رسول الله أنتداوى فقال نعم يا عباد الله تداووا فان الله عز و جل لم يضع داء الا وضع له شفاء غير داء واحد قالوا ما هو قال الهرم (٣)

و في مسند أحمد عن أبي خزامة قال قلت يا رسول الله أرأيت رقى نسترقيها و دواء نتداوى به و تقاة نتقيها هل ترد من قدر الله شيئا فقال هي من قدر الله (٤)

و قال الامام ابن القيم بعد أن أورد جملة من الأحاديث التي تحث على التداوى (فقد تضمنت هذه الأحاديث اثبات الأسباب و المسببات و ابطال قول من أنكرها .... و أن التداوى لا ينافي التوكل كما لا ينافيه دفع داء الجوع و العطش

---

(١) — صحيح مسلم مع النووى ١٤/١٩١

(٢) — صحيح البخارى مع الفتح ١٠/١٣٤

(٣) — سنن أبي داوود مع بذل المجهود ١٦/١٨٣

(٤) — مسند أحمد ٣/٤٢١ مع اختلاف في اللفظ

والحر والبرد بأضدادها بل لا تتم حقيقة التوحيد الا بمباشرة الأسباب التي نصبها الله مقتضيات لمسبباتها قدرا وشرعا وأن تعطيلها يقدح في نفس التوكل كما يقدح في الأمر والحكمة ويضعفه من حيث يظن معطلها أن تركها أقوى في التوكل فان تركها عجزا ينافي التوكل الذى حقيقة اعتماد القلب على الله في حصول ما ينفع العبد في دينه ودنياه ودفع ما يضره في دينه ودنياه ولابد مع هذا الاعتماد من مباشرة الأسباب والا كان معطلا للحكمة وللشرع فلا يجعل العبد عجزه توكلا ولا توكله عجزا

وفيها رد على من أنكر التداوى وقال ان كان الشفاء قد قدر فالتداوى لا يفيد وان لم يكن قد قدر فكذلك وأيضا فان المرض حصل بقدر الله وقدر الله لا يدفع ولا يرد وهذا السؤال هو الذى أورده الأعرابي على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأما أفاضل الصحابة فأعلم بالله وحكمته وصفاته من أن يوردوا مثل هذا وقد أجابهم النبى صلى الله عليه وسلم بما شفى وكفى فقال : هذه الأدوية والرقى والتقى هى من قدر الله فما خرج شيء عن قدره بل يرد قدره بقدره وهذا الرد من قدره فلا سبيل الى الخروج عن قدره بوجه ما وهذا كرد قدر الجوع والعطش والحر والبرد بأضدادها وكرد قدر العدو بالجهاد وكل من قدر الله الدافع والمدفوع والدفع

ويقال لمورد هذا السؤال هذا يوجب عليك أن لا تباشر سببا من الأسباب التي تجلب بها منفعة أو تدفع بها مضرة لأن المنفعة والمضرة ان قدرتا لم يكن بد من وقوعها وان لم تقدرا لم يكن سبيل الى وقوعها وفي ذلك خراب الدين والدنيا وفساد العالم وهذا لا يقوله الا دافع للحق معاند له فيذكر القدر ليدفع حجة الحق عليه كالمشركين الذين قالوا :((لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء))(١) ((ولو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء نحن ولا آباؤنا))(٢)

---

(١)—الأنعام ١٤٨ (٢)—النحل ٣٥

فهذا قاله دفعا لحجة الله عليهم بالرسل (١)

والخلاصة أن المفهوم الصوفي للتوكل مفهوم خاطئ وباطل مخالف لما جاء في الكتاب والسنة وأقوال علماء الأمة الاسلامية عبر التأريخ لمفهوم التوكل على الله حيث ان معنى التوكل الصحيح في الاسلام هو تفويض العبد أموره كلها الى الله سبحانه وتعالى مع القيام بالأسباب التي تكون في طاقته القيام بها وقد اتضح لنا مما سبق من الآيات والأحاديث وأقوال علماء الأمة التي سقناها لابطال المعتقد الصوفي بأن التوكل على الله لا ينافي مباشرة الأسباب بجميع أنواعها من القيام بالعمل ومن التداوي ومن المحافظة على المال وادخاره مع الانفاق في الوجوه التي أمر الله بالانفاق فيها فهذا هو المفهوم الصحيح للتوكل في الاسلام ونخلص مما سبق أيضا بأن توكل الصوفية ليس توكلا على الله سبحانه وتعالى وانما هو تواكل لأنهم أعرضوا عن القيام بالأسباب وادعوا أن هذا هو معنى التوكل وليس التوكل كذلك فالتوكل على الله هو القيام بالأسباب مع تفويض الأمور الى الله ولو أعطينا نظرة بسيطة لأحوال المتصوفة في العالم الاسلامي فاننا نجدهم لا يسعون للكسب بل يجلسون في بيوتهم ينتظرون من يدق عليهم الباب ليعطيهم رغيفا حسنا وسمكة مشوية مقابل لا شيء وهكذا تعودوا على الأكل البارد السهل من غير كد ولا تعب فأعرضوا عن العمل وسموا ذلك توكلا ونحن نقول نعم انه توكل ولكن توكلا على من ؟!! انه توكل على جيوب الناس وأموالهم وليس توكلا على الله

وهذا الفهم الصوفي الخاطئ للتوكل كاف لهدم المجتمعات وتدميرها ونشر الفقر بينهم يؤدي في النهاية الى هلاك الأمة وضعفها بحيث

---

(١) — الطب النبوي لابن القيم ١٤—١٦

يسهل على الأعـــداء القضـاء عليها لأنهـا تصبح أمـــــة فقيرة هزيلة لا تستطيع المقاومة حيث انها قعدت في البيوت عن العمل بحجة التوكل فهذا المعتقد الصوفي نحو التوكـــل معتقد باطل وخطير جدا في نفس الوقت ينبغي مقاومته بكل قـوة ولا ينبغي التساهل تجاهـه لأن المتصوفة لم يدع الى ترك الأسباب والاعـــراض عنها الا لتدمير الأمـه واضعافها لأن الأمة التي لا تعمل لا يمكن أن تعيش حيـاة سعيدة عزيزة بل ستعيش حياة ذل وهوان وفقر

المبحث الثالث : انحراف عقيدة الصوفية تجاه الجنة و النار و الخوف و الرجاء

لقد انحرف الصوفيـــة تجاه الجنة و النار و الخوف و الرجاء كما انحرفوا في غيرهـــا حيث زعموا بأنهم يعبدون الله سبحانه و تعالى لأنه مستحق للعبادة لا خوفا من نـــاره و لا رجاء لجنته و شوقا اليها لأن العبادة التي تقترن بخوف الله و رجائه تعتبرعندهم نقصا في التوحيد حيث يدعون بأن العابد لله خوفا من عذابه و رجاء جنته انما يعبده لعوض يتوقع الحصول عليه و هم يستهينون بعقاب الله و نعيمه و لا يعيرونهما أى وزن البتة و يزعمون أن همهم الوحيد هو لقاء الله و مجالسته فقط

أما الرغبة في دخول الجنة و الخوف من الدخول في النار فانهم يترفعون عن ذلك و يرون أن هذا من الأمور التي تليق بالعوام فقط أما الخواص فلا ينبغي لهم النزول الى هذه الدرجة التي يراها الصوفيـــــة درجة منحطة

و لم يقفوا عند هذا الحد بل ادعوا بأن العذاب سمي عذابا لعذوبته و هذا المعتقد الفاسد أدى بهم الى الاستهانة بأوامر الله و نواهيه و اليك الآن ما يدل على هـــذا المعتقد الفاسد من بطون كتبهـــــم و أفواه مشائخهم الكبـــار .

نماذج من مقالات الصوفيـــة تبين معتقدهم تجاه الجنة و النار و الخوف و الرجاء

يعتقد الصوفيـــة أن للعارفين مقاما يجاوز مقام الجنة الى مجالسة الرحمن الدائمـــة و يدعون بأن هذا المقام لا يناله عموم الناس الذين يطلقون عليهم العوام و انما ينـــال هذا المقام الخواص و يعنون بهذا كل من انخرط تحت الطرق الصوفية

يقول أبو حامد الغزالي :

(فمن كان حبه في الدنيا رجاء نعيم الجنة و الحور العين مكن من الجنة ليتبوأ منها

حيث يشاء فيلعب مع الولدان و يتمتع بالنسوان فهنالا تنتهي لذته في الآخرة .....

فالابرار يرتعون في البساتين و يتنعمون في الجنان مع الحور العين و الولدان

و المقربون ملازمون للحضرة عاكفون بطرفهم عليها يستحقرون نعيم الجنان بالاضافة

الى ذرة منهـــا

فقوم بقضاء شهوة البطن و الفرج مشغولون

و للمجالسة أقوام آخرون (١)

و قال الغزالي أيضا : و أغلب البواعث باعث البطن و الفرج و موضع قضاء و طرهما

الجنة فالعامل لأجل الجنة عامل لبطنه و فرجه كالأجير السوء و درجته درجة البلـــه

و أما عبادة ذوى الألباب فانها لا تجاوز ذكر الله تعالى و الفكر فيه حبا لجماله

و جلاله و هؤلاء أرفع درجة من الالتفات الى المنكوح و المطعوم في الجنة فانهم لم

يقصدوها بل هم الذين يدعون ربهم بالغداة و العشي يريدون وجهه .... و يسخرون

ممن يلتفت الى الحـــــور العيـــــن (٢)

من خلال كلام الغزالى السابق يتضح لنا بأنه يعتبر الجنة موضعا لقضاء الوطـر

و التمتع بالمطعوم و المنكوح و لذا فان النفوس الشهوانية البهيمية التي تستعظـــم

أمورا كهذه و تلهث في طلبها عمياء عن رؤية الله تعالى و مجالسته و لذلك أشـــار

الغزالي الى عمى قلوب هؤلاء عن ابصار جلال الله و مجالسته و هذا المعتقد الفاسد

وقع فيه الغزالي بسبب بعده عن الكتاب و السنة و وقوعه في حبائل المتصوفة و الا لو رجع

الى الكتاب و السنة و فهم معناهما الفهم الصحيح لعلم أن أهل الجنة يرون ربهم فـي

الجنة و هذا أمر معروف معلوم لدى عوام المسلمين الذين سلموا عن التدنس بالفكـــر

---

(١) — احيـــاء علوم الدين ٤ / ٣٣٥

(٢) — احيـــاء علوم الدين ١ / ١٠٨

الصوفي المنحرف فضلا عن العلماء لأن معرفته ضرورة عقدية يتحتم على كل مسلم معرفته فكيف خفى هذا الأمر على الغزالي الذى يصفه البعض بأنه حجة الاسلام ولكن أظن أن التصوف هو الذى أوصله الى هذه الجهالة وليس هذا بغريب لأن من شرط الاعتناق للتصوف القاء علمي الكتاب والسنة والعقل أيضا والدخول فيه كالأعمى يساق حيث أراد سائقه وليس له الاعتراض عليه والا فبماذا نفسر هذا الكلام الذى استهزأ فيه الغزالي بنعيم الجنة التي أعدها الله لعباده المؤمنين المتقين والتي رغب فيها في كتابه وأمر أن يعمل العاملون لأجلها

ويعتبر الغزالي أن الجنة وما فيها من نعيم لا تليق الا بالبله أما العارفون فلا تساوى عندهم شيئا بما فيها من نعيم واليك نص كلامه

فقد قال : وأما العارف اذا انفتح له ثمانية أبواب من أبواب جنة المعارف واعتكف فيها ولم يلتفت أصلا الى جنة البله ... واياك أن تستبدل الذى هو أدنى بالذى هو خير فتكون من حملة البله ... ولا تظن أن روح العارف من الانشراح في رياض المعرفة وبساتينها أقل من روح من يدخل الجنة التي يعرفها ويقضي فيها شهوة البطن والفرج وأن يتساويان بل لا ينكر أحد أن يكون في العارفين من رغبته في فتح أبواب المعارف لينظر في ملكوت السماء والأرض وجلال خالقها ومدبرها أكثر من رغبته في المنكوح والمأكول والملبوس ... ولعل تمتع البهائم بالمطعم والمشرب والمنكح يزيد على تمتع الانسان (١)

كلام الغزالي السابق الاستهزاء بالجنة ونعيمها واضح فيه وهذا يوضح لنا مدى استهانة المتصوفة بوعد الله ووعيده وذلك لأن الله سبحانه وتعالى وعد عباده المؤمنين

---

(١) — جواهر القرآن للغزالي ٤٤—٤٩ باختصار

بالجنة و نعيمها فالاستهزاء بها يعتبر استهزاءا بوعده سبحانه و الاستهزاء بوعده يعتبر استهزاءا به و الاستهزاء بالله يعتبر كفرا به كما في قوله تعالى في حكمه على الذين استهزؤوا بالله و رسوله و آياته : ((قل أبالله و آياته و رسوله كنتم تستهزؤون لا تعتذروا قد كفرتم بعد ايمانكم)) (١)

و هذا صوفي آخر يسمى معشاد الدنيوري يزعم بأن الجنة عرضت عليه مرات عديدة و لكنه زهد عنها تقليلا لشأنها و هذا نص كلامه :

قال : منذ ثلاثين سنة تعرض علي الجنة بما فيها فما أعرتها طرفي (٢)

و هذا صوفي آخر يزعم بأن الجنة لا تساوى عنده جناح بعوضة و هو ابراهيم بن أدهم الذى يعتبر من أوائل الصوفية و مشائخهم الكبار و هذا نص كلامه

قال : الهي انك تعلم أن الجنة لا تزن عندى جناح بعوضة فى جنب ما أكرمتني من محبتك و آنستني من ذكرك (٣)

و قيل لرابعة العدوية : ألا تسألين الله الجنة ؟ فقالت الجار ثم الدار (٤)

و ذكر الغزالي عن بعض المتصوفة و لم يذكر اسمه أنه قال : من عبد الله لعوض فهو لئيم (٥)

و قال الشبلي : أوحى الله تعالى الى داوود عليه السلام : يا داوود ذكرى للذاكرين و جنتي للمعطين و زيارتى للمشتاقين (٦)

---

(١) — التوبة ٦٥

(٢) — الاحياء ٤ / ٣٦٠

(٣) — الاحياء ٤ / ٣٦٠

(٤) — ميزان العمل للغزالى ٦٨ و كذلك الاحياء ٤ / ٣٣١

(٥) — ميزان العمل للغزالى ٦٨

(٦) — الاحياء ٤ /

و هكذا كما نرى عبارات المتصوفة التي أوردتها عنهم و من بطون كتبهم نرى بوضوح أن الشيطان زين للمتصوفة القول بأنهم يعبدون الله لأنه يستحق العبادة فقط و ان طلب الجنة يساوى عندهم نقصان في التوحيد فصرفهم بذلك عن طلب أعظم ما وعد الله به عباده بدعوى المحبة الالهية و الاخلاص في التعبد و التجرد في طلب عبادة الله دون طلب شيء آخر و ظنوا أن طلب الجنة مناف للاخلاص و مضاد للمحبة و هذا اعتقاد فاسد و باطل لأنه يتناقض مع ما جاء في الكتاب و السنة من أن العبادة الحقة هي التي يقوم بها العبد رغبا في ثواب الله و جنته و خوفا من عذاب الله بما في ذلك الخوف من النار قال تعالى : ((إنهم كانوا يسارعون في الخيرات و يدعوننا رغبا و رهبا و كانوا لنا خاشعين))(١)

و قد كان صلى الله عليه و سلم أحب الخلق الى الله و أخلصهم له و مع ذلك فقد كان صلى الله عليه و سلم يسأل الله أن يدخله الجنة و يعيذه من النار و هذا أمر ثابت في السنة النبوية الصحيحة

و المتصوفة اذا نظرنا في أحوالهم فاننا نلاحظ بأن موازين العبادة قد اختلت عندهم و ذلك لزعمهم بأنهم يعبدون الله لأنه يستحق العبادة فقط و أنهم لا يرجون من وراء ذلك لا ثوابا و لا عقابا بما في ذلك الجنة و النار

و يزعم المتصوفة بأن الاخلاص لله في العبادة لا يتحقق الا اذا مات عامل الرجاء و الخوف عندهم و هما ميزانان رئيسيان من موازين العبادة حتى يصل الواحد منهم الى مرحلة لا يرجو فيها جنة و لا يخاف نارا و لا يبتغي ثوابا و لا يحذر عقابا

و مما يدل على هذا قول أبو يزيد البسطامي و هو يستهزء بالنار التي أعدها الله

---

(١) — الأنبياء ٩٠

للكافريـــــن

يقول : ما النار لاستندن اليها غدا وأقول اجعلني فداء لأهلها والا بلعتهـا ماالجنة لعبة صبيان ومراد أهل الدنيا (١)

وقول أبي يزيد البسطامي الاستهزاء بوعد الله ووعيده واضح جدا ولا يحتـاج الى بيان أوايضاح وهذا أمر خطير جدا يؤدى بصاحبه الى الكفـــر

ولم يكتف البسطامي بزهده في الجنة وعدم مبالاته بعذاب النار فحسب وانمـــا صرح بأنه يزهد في كل ما خلقه الله في السماوات والأرض

حيث يقول : أدخلني الله في الفلك الأسفل فدورني في الملكوت السفلى وأرانـــي الأرضين وما تحتها الى الثرى ثم أدخلني في الفلك العلوى فطوف بي في السمـاوات وأرانى ما فيها من الجنان الى العرش أوقفني بين يديه فقال سلني أى شـــيء رأيته حتى أهبه لك فقلت يا سيدى ما رأيت شيئا أستحسنه فأسألك اياه (٢)

في كلام أبي يزيد البسطامي زهده في كل ما في هذا الكون حتى الجنة واضـــح لأنه لا يراها حسنة لأن الجنة لا تساوى شيئا عند المتصوفـــة

وهذا محي الدين بن عربي الصوفي المعروف الذى يطلق عليه المتصوفة الكبريـــت الأحمر والشيخ الأكبر فقد زعم بأنه ليس هناك فرق بين الجنة والنار بل كلاهما واحـــد يتساوان في تنعم من دخلهما على السواء وليس أهل الجنة في نعيم وأهل النار فى جحيم كما أخبرنا الله في كتابه ورسوله في سنته وهذا معتقد خطير جدا مضاد لمـــا جاء في الكتاب والسنة وهذا نص كلامه فقد قال :

وان دخلوا دار الشقـــاء فانهـــم على لذة فيهـــا نعيم مباينـــــن

---

(١) — ميزان الاعتدال للذهبي ٢/ ٣٤٦

(٢) — الاحياء للغزالي ٤/ فصل حكايات المحبين ٣٧٥

نعيم جنان الخلد فالأمر واحد و بينهما عند التجلي تباين

يسمى عذابا من عذوبة طعمه و ذلك كالقشر و القشر صاين (١)

و قد جعل ريح العذاب / بمعنى الراحة و العذوبة كتفسيره لقوله تعالى :

((بل هو ما استعجلتم به ريح فيها عذاب أليم))(٢)

قال : ان الريح هنا اشارة الى ما فيها من الراحة فان بهذه الريح أراحهم من هذه الهياكل المظلمة .... و في هذه الريح عذاب أى أمر يستعذبونه اذا ذاقوه (٣)

قال شيخ الاسلام ابن تيمية بعد أن ذكر عن محي الدين بن عربي هذه الأبيات:

و لهذا قال بعض أصحابنا لبعض أتباع هؤلاء لما أثاروا محنة أهل السنة التي انتصر فيها الملاحدة ، قال له الله يذيقكم هذه العذوبة و هذا المذهب قد حكاه أصحاب المقالات كالأشعرى في مقالاته عن طائفة من سواد أهل الالحاد سموهم البطيخية و هو مما يعلم بالاضطرار فساده من دين الاسلام (٤)

و قد قال الحلاج قبل ابن عربي مستهزئا بوعد الله و وعيده :

أريدك لا أريدك للثواب و لكن أريدك للعقاب (٥)

و قد استجاب الله للحلاج دعاءه فاستصلوا أمام جمع كبير من الناس فأصبح عبرة لملاحدة التصوف على مر الدهور و الأزمان

---

(١) — فصوص الحكم لابن عربي ٩٤

(٢) — الأحقاف ٢٤

(٣) — فصوص الحكم لابن عربي ١٠٩

(٤) — الصفدية لشيخ الاسلام ابن تيمية ١/ ٢٤٦

(٥) — تأريخ بغداد ٨/ ١١٦

و هذه رابعة العدوية تقول مؤكدة عدم مبالاتها بالخوف من الله و رجاء ثوابه :

ما عبدته خوفا من ناره و لا حبا في جنته فأكون كالأجير بئس عبدته حباله وشوقا اليه (١)

و قال أبو سليمان الداراني : ان لله عبادا ليس يشغلهم عن الله خوف النار و لا رجاء الجنـــــة (٢)

و يقول أبو سليمان الداراني أيضا : الرضا أن لا تسأل الله تعالى الجنـــــة و لا تستعيذ به من النـــــار (٣)

و يقول الغزالي مبينا مقصد المتصوفة من عبادتهم لله ان كانت لهم عبادة ((فمقصد العارفين كلهم وصله و لقاؤه فقط فهي قرة العين التي لا تعلم نفس مـــا أخفي لهم منها و اذا حصلت انمحقت الهموم و الشهوات كلها و صار القلب مستغرقـــا بنعيمهـــــا

فلو ألقي في النار لم يحس بها لاستغراقه

و لو عرض عليه نعيم الجنة لم يلتفت اليه لكمال نعيمه و بلوغه الغاية التي ليس فوقها غاية(٤)

و يعتقد المتصوفـــة أن الخوف من عقاب الله و رجاء ثواب الله يليق بالعامة مـــن الناس ويعنون بهم من لم ينخرط في سلك المتصوفة أما الخاصة و هم المندرجون تحـــت طريقة من الطرق الصوفية فلا يليق بهم ذلك

و ذلك لأن المتصوفة يزعمون بأن تخويف العوام من الناس و ترغيبهم بالجنة و بثواب الله أصلح لهم لأن العوام دائما أقرب الى التكاسل و الاهمال و على هذا فالخوف عنـــد المتصوفة هو سوط الله الذى يسوق به عباده الى المواظبة على العلم و العمل لينالـوا

---

(١) — الاحياء للغزالي ٤/٣٢٨
(٢) — الاحياء للغزالي ٤/٣٢٨
(٣) — الرسالة القشيرية ٢/٤٢٥
(٤) — الاحياء للغزالى ٤/٣٢٨

بهما رتبة القرب من الله (١)

و قد قسم الغزالى الخوف الى قسمين و هما :

القسم الأول : خوف من عقاب الله و هذا خوف عموم الخلق

القسم الثانى : خوف من الحجاب عن الله و رجاء القرب منه و هذا المقام أعلى (٢)

و قد قسم الغزالي أيضا الطالبين الى ثلاث مراتب فقال :

المرتبة الأولى : من يرغب في ثوابه الموصوف له في الجنة أو عقابه الموعود له في النار و هذه الرتبة للعامة و هم الأكثرون

المرتبة الثانية : رجاء حمد الله و مخافة ذمه أى حمدا أو ذما في الحال من جهة الشرع و هذه منزلة الصالحين و هي أولى من الأولى بكثير

المرتبة الثالثة : و هي مرتبة من لا ينبغي الا التقرب الى الله تعالى و طلب مرضاته و ابتغاء وجهه و الالتحاق بزمرة المقربين اليه زلفى من ملائكته و هو درجة الصديقين و النبيين و لذلك قال تعالى :((واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة و العشي يريدون وجهه)) (٣)

ثم قال الغزالي : و لما كان العقل الضعيف لا يقف على كنه هذا المعنى و أكثر العقول ضعيفة خلق الله الجنة و النار و وعد الخلق بهما زاجرا و حثا و أطنب في وصفهما (٤)

---

(١) — الاحياء للغزالي ٤/١٦٥

(٢) — الاحياء للغزالي ٤/١٧٦

(٣) — الكهف ٢٨

(٤) — ميزان العمل للغزالى ٦٨—٦٩

من خلال كلام الغزالي السابق يتضح لنا بأن المتصوفة يعتبرون الحرص على دخول الجنة و الخوف من دخول النار شيء يليق بالعامة فقط أما الخاصة فلا ينبغي لهم الرغبة في دخول الجنة و الخوف من دخول النار لأن هذا يعتبر عند المتصوفة نقصا في التوحيد

و كذلك يظهر لنا اعتقاد المتصوفة تجاه الجنة و النار و الذى يتمثل في اعتقادهم بأن الجنة و النار ما خلقهما الله الا لضعاف العقول أما كاملوا العقول و هم المتصوفة فلا ينبغي لهم الالتفات الى وعد الله بالجنة و وعيده بعذاب النار لأن هذا لا يساوى عندهم شيئا

و الخلاصة أن المتصوفة يعتقدون بأن الجنة و النار خلقهما الله لضعاف العقول حتى يعملوا الأعمال الصالحة خوفا من عقابه و رغبة في ثوابه أما هم أى المتصوفة فانهم يترفعون أن يعبدوا الله خوفا من عذابه أو رغبة في ثوابه بل الذى يهمهم هو مجالسة الله سبحانه أما الجنة و النار فلا تساوى عندهم شيئا

و لم يقفوا عند هذا الحد بل زعم بعضهم الى أنه ليس هناك جنة و نار و ليس هناك معذب و منعم و انما الجميع منعم و سمى العذاب عذابا لعذوبة طعمه

و قالوا أيضا ان عبادة الله رغبا و رهبا انما هي من درجة العوام البله فلا ينبغي للمتصوفة النزول الى هذه الدرجة و قد ادعى بعضهم كما ذكرناه سابقا بأنه يستطيع أن يطفيء النار و يقدم نفسه فداءا للعصاة حتى يريحهم من العذاب و هذه كلها الى جانب كونها عقائد فاسدة فهي استهزاء بوعد الله و وعيده سبحانه و تعالى و أخيرا أقول انه لا يمكن أن يقول الكلام الذى قاله المتصوفة تجاه الجنة و النار و الخوف والرجاء من في قلبه مثقال ذرة من ايمان بالله و برسوله و بكتابه و لكن القوم فرغت قلوبهم عن الوحي فأصبحت مريضة بحيث أصبحت لا تعرق بين الكفر و الايمان و الحق و الباطل

وبما أن هذا المعتقد الصوفي تجاه الجنة والنار والخوف والرجاء واضح بطلانه للجميع ما أظنه يحتاج الى الرد ولكن من باب اكمال الفائدة أريد أن أرد عليهم بايجاز شديد جدا في المطلب الآتي :.

المطلب الثاني : بيان بطلان المعتقد الصوفي تجاه الجنة و النار و الخوف و الرجـــاء

أولا نقول ان زعم الصوفية بأنهم يعبدون الله حبا له و لأنه يستحق العبادة فقط وأنهم لا يبالون بعذابه و نعيمه الذى أعده اللـــه لعباده يوم القيامة يعتبـــر اعتقادا فاسدا لأنه يتصادم مع ما جاء في الكتاب و السنة و ذلك اذا نظرنا فيهما نجـد أن عبادة الله رغبا و رهبا لا تنافي عبادته تعظيما له و حبا و اجلالا لجنابه سبحانـــه فان من تعظيمه العمل على وفق ما شرعه و الله سبحانه قد تعبدنا بالوعد و الوعيـــد حيث أننا اذا نظرنا في كتاب الله نجده ملىء بالآيات التي تتكلم عن عذاب الله الذى أعده للعصاة و على رأس ذلك النار و التى أمرنا الله سبحانه أن نقى منها أنفسنا و أهلينا في قوله سبحانه :((يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم و أهليكم نارا وقودها النـاس و الحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم و يفعلون ما يؤمرون)) (١)

و كما أن القرآن ملىء بالآيات التي تتكلم عن وعيد الله للكافرين و العصاة فكذلـــك ملىء بالآيات التي تتكلم عن وعد الله سبحانه لعباده المؤمنين بالثواب الجزيل و الدخول في الجنة و النعيم المقيم

و عدم اعتبار وعد الله و وعيده يعتبر استخفافا بأوامر الله و نواهيه و وعده و وعيـــده و استهانة بما عنده و هذا ليس تعظيما لله و اجلالا كما يزعم المتصوفة و انما هو استخفاف بالله و استهزاء بـــــه

و كيف يكون معظما من يسمع قوله تعالى :((فاتقوا النار التي وقودها النـــــاس و الحجارة)) (٢) ترهيبا و تخويفا و تحذيرا لعباده و قوله تعالى :((و سارعـــوا الى مغفرة من ربكم و جنة عرضها السماوات و الأرض أعدت للمتقين)) فلا يبالي بمـــا

(١)— التحريم آية ٦ (٢) — التحريم آية ٦

يخوف الله به عباده و لا يشتهي و لا يعظم النعيم الذى أعده الله لعباده المؤمنين

و أظن لا يقول بهذا القول الا الأحمق الجاهل الفارغ قلبه من خشية الله و من العلم بكتاب الله و سنة رسوله محمد صلى الله عليه و سلم و ذلك لأن حب المتصوفة لله و عبادتهم له لا يمكن أن تكون أعلى من حب الأنبياء و عبادتهم و قد أثنى الله على واحد من الأنبياء فقال سبحانه :((و زكريا اذ نادى ربه رب لا تذرنى فردا و أنت خير الوارثين فاستجبنا له و أصلحنا له زوجه انهم كانوا يسارعون في الخيرات و يدعوننا رغبا و رهبا و كانوا لنا خاشعين و التي أحصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا و جعلناها و ابنها آية للعالمين))(١)

ففي هذه الآية كما نرى مدح الأنبياء لأنهم يعبدونه رغبة و رهبة و هذا مما يدل على أن عبادة الله رغبة في ثوابه و خوفا من عقابه من أعلى الدرجة و ليست من درجة البله و العوام كما يزعم المتصوفة

و تقوى الله سبحانه و تعالى و تعظيمه لا يمكن أن يتحقق الا اذا خاف الانسان مما خوف الله منه سبحانه قال تعالى :((انما يخشى الله من عباده العلماء))(٢)

و هذه الآية دليل قاطع في أن الخوف من الله و خشيته من صفات المؤمنين العلماء و ليست من درجة العوام و البله كما يزعم المتصوفة

ثم ان عدم الخوف مما خوف الله منه ليس من صفات المؤمنين و انما هو من صفات الطغاة المستبدين الذين لا يعطون وزنا لأوامر الله و نواهيه و مما يدل على هذا قوله تعالى :((و نخوفهم فما يزيدهم الا طغيانا كبيرا))(٣)

---

(١)— الأنبياء ٨٦—٩١
(٢)— فاطر ٢٨
(٣)— الاسراء ٦٠

والصوفية يعتبرون من الطغاة لأنهم لا يبالون بعذاب الله ولا يخشون الله وذلك لأنهم يعتبرون أن الخوف من النار والعذاب والرغبة في الثواب والجنة وما فيها من نعيم يعتبر شركا بالله في توحيده وهذا حسب زعمهم الباطل ومعتقدهم الفاسد يقول تعالى حاكيا عن الأقوام الذين عصوا الله فدمرهم :((وتركنا فيها آية للذين يخافون العذاب الأليم))(١)

وقد أمرنا الله سبحانه وتعالى أن نخشى يوم القيامة وما فيها من الأهوال العظيمة التي يشيب منها الولدان قال تعالى :((يا أيها الناس اتقوا ربكم واخشوا يوما لا يجزى والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئا ان وعد الله حق فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور))(٢)

والخلاصة أن الله سبحانه وتعالى دعانا الى أن نخشاه ونخافه ونعظمه ونجله ونحبه ونعبده رغبا ورهبا وأن الجنة أعدها الله لعباده المؤمنين والنار لعباده الكافرين والعصاة وان كان العصاة يخرجون منها حيث انه لا يخلد العاصي في النار

وأن عدم الخوف من عذاب الله والرغبة في ثواب الله ليس من صفات الكاملين كما يزعم المتصوفة وانما هو من صفات الطغاة الجبابرة الذين لا يقدرون الله حق قدره لأن الخوف من الله يعتبر أحد أركان الايمان والاحسان الثلاثة التي عليها مدار مقامات السالكين

وقد وضح هذا الامام ابن القيم فقال :

الخوف أحد أركان الايمان والاحسان الثلاثة التي عليها مدار مقامات السالكين

---

(١) — الذاريات ٣٧

(٢) — لقمان ٣٣

جميعها و هي الخوف و الرجاء و المحبه و قد ذكره سبحانه في قوله : ((قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم و لا تحويلا أولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة أيهم أقرب و يرجون رحمته و يخافون عذابه))(١)

فجمع بين المقامات الثلاثة فان ابتغاء الوسيلة اليه هو التقرب اليه بحبه و فعل ما يحبه ثم يقول : ((و يرجون رحمته و يخافون عذابه)) فذكر الحب و الخوف والرجاء

و المعنى ان الذين تدعونهم من دون الله من الملائكة والأنبياء و الصالحين يتقربون الى ربهم و يخافونه و يرجونه فهم عبيده كما أنكم عبيده فلماذا تعبدونهم من دون الله و أنتم و هم عبيد له

و قد أمر الله سبحانه بالخوف منه في قوله : ((فلا تخافوهم و خافون ان كنتم مؤمنين))(٢) فجعل الخوف منه شرطا في تحقيق الايمان و ان كان الشرط داخلا في الصيغة على الايمان فهو المشروط في المعنى و الخوف شرط في حصوله و تحقيقه و ذلك لأن الايمان سبب الخوف الحاصل عليه و حصول المسبب شرط في تحقيق السبب كما أن حصول السبب موجب لحصول مسببه فانتفاء الايمان عند انتفاء الخوف انتفاء للمشروط عند انتفاء شرطه و انتفاء الخوف عند انتفاء الايمان انتفاء للمعلول عند انتفاء علته فتدبره .... ثم قال الامام ابن القيم : و المقصود أن الخوف من لوازم الايمان و موجباته فلا يختلف عليه

و قال تعالى : ((فلا تخشوا الناس و اخشون))(٣) ..... و قال عن ملائكته الذين قد أمنهم من عذابه : ((يخافون ربهم من فوقهم و يفعلون ما يؤمرون))(٤)

---

(١) — الاسراء ٥٦ — ٥٧
(٢) — آل عمران ١٧٥
(٣) — المائدة ٤٤
(٤) — النحل ٥٠

و في الصحيح عن النبي صلى الله عليه و سلم أنه قال : (اني أعلمكم بالله و أشدكم لـــه خشيـــة)(١)

و كان صلى الله عليه و سلم يصلي و لصدره أزيز كأزيز المرجل من البكـــاء

و قال تعالى في سورة فاطر : (انما يخشى الله من عباده العلماء))(٢)

فكلما كان العبد بالله أعلم كان له أخوف

قال ابن مسعود : و كفى بخشية الله علما .

و نقصان الخوف من الله انما هو لنقصان معرفة العبد به فأعرف الناس أخشاهـم لله و من عرف الله اشتد حياؤه منه و خوفه له و حبه له و كلما ازداد معرفة ازداد حياء و خوفا و حبا فالخوف من أجل منازل الطريق و خوف الخاصة أعظم من خوف العامـــة و هم اليه أحوج و هو بهم أليق و لهم ألزم فان العبد اما أن يكون مستقيما أو مائلا عن الاستقامـــــة

فان كان مائلا عن الاستقامة فخوفه من العقوبة على ميله و لا يصح الائتمان الا بهـذا الخوف و هو ينشأ من ثلاثة أمور أحدها معرفته بالجناية و قبحها

و الثاني تصديق الوعيد و ان الله رتب على المعصية عقوبتهـــا

و الثالث أنه لا يعلم لعله يمنع من التوبة و يحال بينه و بينها اذا ارتكب الذنـب فبهذه الأمور الثلاثة يتم له الخوف و بحسب قوتها و ضعفها تكون قوة الخوف و ضعفه(٣)

و قال الامام ابن القيم رادا على المتصوفة الذين قالوا ان العذاب سمي عذابـــا لعذوبته

---

(١)— صحيح البخارى مع الفتح / ٩٢١

(٢)— فاطر ٢٨

(٣)— طريق الهجرتين لابن القيم ٢٨٢

قال : هذا الكلام و نحوه من رعونات النفس و من الشطحات التي يجب انكارهـــا فمن ذا الذى جعل وعيد الله وعدا وعقابه ثوابا وعذابه عذبا وهل هذا الانكـــار لوعيده وعذابه في الحقيقة وأى عذاب أشد من عذابه نعوذ بالله منه قال تعالـــى :

((ولكن عذاب الله شديد))(١)

و قال تعالى :((فيومئذ لا يعذب عذابه أحد ولا يوثق وثاقه أحد))(٢)

و هذا أظهر في كل ملة من أن يحتاج الى الاستدلال عليه وانما ينسب هـــذا المذهب الى الملاحدة من القائلين بوحدة الوجود

ثم أورد أبيات ابن عربي التي يدعي فيها بأن العذاب سمي عذابا لعذوبة طعمـــه فقال تعليقا عليها : فهذا القائل خط على تلك النقطة التى نقطها أبو العباس(٣) و لعل الكلامين من مشكاة واحدة و هذا مباين للمعلوم بالاضطرار من دين الرسل و ما أخبرت به عن الله و أخبر به على لسان رسوله صلى الله عليه و سلم .....

ثم قال ابن القيم في كلام ابن العريف و ابن عربى : و هذا خيال فاسد و تقدير فـــى النفس و الا فالحقيقة الخارجية تكذب هذا الخيال الباطل بل لوجب عليه أدنى شـــىء من عذابه لصاح و استغاث و طلب العفو والعافية و حكمة الله تقتضي تعجيز هـــذه النفوس الجاهلة الرعناء الحمقاء بأدنى شىء يكون من الألم و الوجع حتى يتبين لهـــا دعاويها الكاذبة و شطحها الباطل و هذا سيد المحبين و سيد ولد آدم استعاذته بالله من عذابه و بلائه و سؤاله العافية و معافاته معلومة في أدعيته و تضرعه الى ربـــه

---

(١)— الحج ٢ (٢)— الفجر ٢٥—٢٦

(٣)— هو أبو العباس حمد بن محمد الضهاجي الأندلسي المعروف بابن العريـــف المتوفي ٥٣٦ه كما جاء في كشف الظنون عند التعريف بكتابه محاسن المجالس. و هو من الذين رد عليهم ابن القيم ردا مفحما في طريق الهجرتين

وابتهاله اليه في ذلك وهي أكبر وأشهر من أن تذكر هنا وان ما في سيد المحبين أسوة وقدوة ولكن ابتلى كثير من أهل الارادة بالشطح كما ابتلي كثير من أهل الكلام بالشك والمعافى من عافاه الله من هذا وهذا فنسأل الله عافيته ومعافاته (١)

وكما سبق لنا في المطلب الأول فقد زعم المتصوفة بأنهم يسعون للوصول الى رؤية الله ومجالسته ولذلك فان الجنة والنار لا تساوى عندهم شيئا لأنهم حريصون على رؤية الله

ونحن نقول لهم نعم ان رؤية الله تعتبر أعظم نعمة أعدها الله سبحانه وتعالى ليكرم بها خواص عباده في دار كرامته وهم المؤمنون عامة الذين آمنوا بالله وبما جاء عن الله على مراد الله وبما جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم على مراد رسول الله صلى الله عليه وسلم من غير أن ينكروا من ذلك شيئا بأرائهم وأهوائهم كما فعلت كثير من الطوائف الضالة كالجهمية والمعتزلة والأشاعرة

ومن الآيات التي تدل على أن المؤمنين يرون ربهم يوم القيامة بعد دخولهم الجنة قول الله سبحانه وتعالى : ((وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة))(٢)

فهذه الآية لو سلمت من تحريف المحرفين وتدبرها مؤمن سليم الفطرة يجدها تنادى نداءا صريحا بأن الله تعالى يراه المؤمنون عيانا بالأبصار يوم القيامة

ومن أقوى الأدلة التي تدل على أن المؤمنين يرون ربهم يوم القيامة بعد دخولهم الجنة قول الله عز وجل : ((كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون))(٣)

ومفهوم المخالفة أن العقوبة التي يعاقب الله تعالى بها الكفار يوم القيامة انه

---

(١) — طريق الهجرتين لابن القيم ٢٨٩
(٢) — القيامة ٢٢
(٣) — المطففين ١٥

يحجبهم عن رؤيته واذا كان كذلك فاذا فان من أعظم نعم الله على المؤمنين أنهم يرونه عيانا ويسمعون كلامه سماعا اذلو لم يروه المؤمنون ولم يسمعوا كلامه كانوا أيضا محجوبين عنه تعالى

قال الامام المزني وهو من كبار أصحاب الامام الشافعي سمعت الشافعي يقول في قوله تعالى :((كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون)) فيها دليل على أن أولياءه يرون ربهم يوم القيامة

وقال الربيع بن سليمان : حضرت محمد بن ادريس الشافعي وقد جاءته رقعة من الصعيد فيها : ما تقول في قول الله عز وجل :((كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون)) فقال الشافعي : لما حجب هؤلاء في السخط كان في هذا دليل على أن أولياءه يرونه في الرضى ، قال الربيع : فقلت للشافعي يا أبا عبدالله وبه تقول قال نعم وبه أدين الله

ثم قال الشافعي وهويؤكد هذا المعنى : ولو لم يوقن محمد بن ادريس أنه يرى الله لما عبد الله عز وجل (١)

وهناك آيات أخرى كثيرة تدل على اثبات لقاء الله ورؤيته وذلك مثل قوله تعالى:

((واتقوا الله واعلموا أنكم ملاقوه))(٢)

وقوله :((الذين يظنون أنهم ملاقوا ربهم))(٣)

وقوله سبحانه :((تحيتهم يوم يلقونه سلام وأعد لهم أجرا كريما))(٤)

وقوله سبحانه :((فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا))(٥)

---

(١)— حادي الأرواح الى بلاد الأفراح لابن القيم ١٥٨

(٢)— البقرة ٢٢٣

(٣)— البقرة ٤٦

(٤)— الأحزاب ٤٤

(٥)— الكهف ١١٠

و قد ثبت في أحاديث كثيرة صحيحة بأن المؤمنين يرون ربهم يوم القيامة عيانا بأبصارهم بعد دخولهم الجنة و قد قال الامام ابن القيم بأن الأحاديث التي تتكلم عن اثبات رؤية الله وصلت الى حد التواتر و قد سرد منها ثلاثين حديثا مرفوعا بين صحيح و حسن و كثير من الأحاديث التي ذكرها في كتابه مخرجة في الصحيحين

و من الأحاديث الصحيحة المرفوعة التي تدل على اثبات رؤية الله للمؤمنين يوم القيامة ما أخرجه البخارى في صحيحه عن أبي هريرة و أبي سعيد الخدرى رضي الله عنهما أنهما قالا :(ان الناس قالوا يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة ؟فقال رسول الله عليه الصلاة و السلام هل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر قالوا لا يا رسول الله قال هل تضارون في الشمس ليس دونها سحاب قالوا لا قال فانكم ترونه كذلك (١)

و من الأحاديث التي تدل على اثبات رؤية الله سبحانه و تعالى ما رواه جابر ابن عبدالله البجلي رضي الله عنه و لفظه كنا جلوسا عند النبي صلى الله عليه و سلم اذ نظر الى القمر ليلة البدر فقال انكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته فان استطعتم ألا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس و صلاة قبل غروب الشمس فافعلوا (٢)

اذا نظرنا في الحديثين السابقين نرى بأنهما يدلان دلالة صريحة على أن المؤمنين كلهم يرون ربهم يوم القيامة و ذلك لأن رؤية الله تعتبر من أعظم النعم التي ينعم الله بها على عباده و من هنا نقول ان ادعاء المتصوفة بأنهم يعبدون الله لأنه

---

(١) — صحيح البخارى مع الفتح ١٣ / ٤١٩
(٢) — صحيح البخارى مع الفتح ٢ / ٣٣

يستحق العبادة فقط و لا يرجون من وراء هذه العبادة لا جنه و لا نار بل الذى يهمهم هو رؤية الله و مجالسته فقط أما الجنة فلا تساوى عندهم جناح بعوضة و النار لا يخافون منها لأن أحدهم يستطيع اطفاءها برقعته أو يستند اليها فيقدم نفسه فداءا للعاصيـــن و يريحهم منهـــا ،

نقول ان رؤية الله لا يشترط لها استغناء الانسان عن طلب دخول الجنة و ذلـك لأنه ثبت بأن المؤمنين كلهم يرون ربهم بعد دخول الجنة و لهذا نقول ان دخول الجنة يستلزم رؤية الله سبحانه و تعالى و ليس هناك بينهما تضاد حتى يزهد الانسان في طلب الجنة و بهذا يظهر بطلان دعوى المتصوفة بأنهم يزهدون في الجنة حرصـا على رؤية الله و مجالسته

و اليك هذه الأبيات التي صور فيها الامام ابن القيم يوم اللقاء أروع تصوير و أصدقه اعتمادا على ما في كتاب الله و سنة رسوله الصحيحة حيث قال رحمه الله

فبينما هم في عيشهم و سرورهـــم ... و ارزاقهم تجرى عليهـم و تقسـم

تجلى لهم رب السماوات جهـرة ... فيضحـك فوق العرش ثم يسلـم

سلام عليكم يسمعون جميعهـم ... بآذانهم تسليمه اذ يسلـم

يقول سلوني ما اشتهيتم فكـل مـا ... تريدون عندى اني أنا رحيم أرحـم

فقالوا جميعا نحن نسألك الرضـا ... فأنت الذى تولى الجميل و ترحـم

و لله أفراح المحبين عندمـا ... يخاطبهم من فوقهم و يسلـم

و لله أبصار ترى الله جهـرة ... فلا الضيم يغشاها و لا هي تسـأم

فيا نظرة أهدت الى الوجه نضـرة ... أمن بعدها يسلوا المحب المتيـم

فحيا على جنات عدن فانهـا ... منازلك الأولى و فيها المخيـم

ولله واديها الذى هو موعـــد ال مزيد لوفد الحـــب لو كنت منهـــم

وحي على يوم المزيد الذى بـــه زيارة رب العرش واليوم موســـم

ولكننا سبى العدو فهـــل تـــرى نعود الى أوطاننـــا ونسلـــم (١)

---

(١) — حادى الأرواح الى بلاد الأفراح لابن القيم ٧ — ٩٦

الباب الخامس: أهم الآثار السيئة التي نشرها الصوفية في الأمة الاسلامية وأساليب مقاومة الزحف الصوفي :

وتحته فصلان :

الفصل الأول : أهم الآثار السيئة التي نشرها الصوفية في الأمة الاسلامية

الفصل الثاني : أساليب مقاومة الزحف الصوفي

الفصل الأول : أهم الآثار السيئة التي نشرها الصوفية في الأمة الاسلامية :

و تحته أربعة مباحث :

المبحث الأول : انتشار الوثنية و الشرك

المبحث الثاني : تعطيل الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر في الحياة العامة :

و تحته مطلبان :

المطلب الأول : تعريف الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر و أهميتهما في الاسلام

المطلب الثاني : تعطيل الصوفية للأمر بالمعروف و النهي عن المنكر في الحياة العامة

المبحث الثالث : انتشار الموالد البدعية في الأمة الاسلامية :

و تحته ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : نشأة الموالد

المطلب الثاني : المفاسد التي وقعت بسبب هذه الاحتفالات التي نشرها الصوفية في الأمة الاسلامية

المطلب الثالث : حكم الاحتفال بالمولد النبوى و الموالد الأخرى

المبحث الرابع : انتشار الأذكار و الأدعية و الصلوات المبتدعة و اعراض الناس بسببها عن تلاوة القرآن الكريم و ذكر الله بما ورد في الكتاب و السنة

و تحته مطلبان :

المطلب الأول : نماذج من الأذكار و الأدعية و الصلوات الصوفيـة المبتدعة

المطلب الثاني : موقـف الاسـلام مـن الأوراد و الأذكـار و الأدعيـة التي ابتدعهـا الصوفيـة

الفصل الأول: أهم الآثار السيئة التي نشرها الصوفية في الأمة الإسلامية :

تمهيد :

لقد نشر الصوفية آثارا سيئة في الأمة الاسلامية وبما أن ذكر كل هذه الآثار يصعب نريد أن نذكر أهم الآثار التي نشروها في الأمة الاسلامية

وأهم هذه الآثار تتلخص فيما يلي :

فمثلا غلو الصوفية في الأولياء أدى بهم الى بناء القباب والمساجد على قبورهم ودعوة الناس الى دعائهم من دون الله وهذا أثر سيء نشره الصوفية في الأمة الاسلامية وهو مشاهد وواضح ولا يمكن انكاره حيث اننا نشاهد ما من بلد اسلامي الا وفيه عدة قبور تزار وتصرف لها أنواعا من العبادة التي لا يجوز صرفها لغير الله من الدعاء والاستغاثة والذبح وغير ذلك

وأيضا أدى غلو الصوفية في الأولياء الى الاعتقاد فيهم بأنهم فوق الانكار عليهم وذلك لاعتقادهم بأن الأولياء تحل لهم المحرمات وأنهم لا يفعلون أى فعل الا باذن وأمر من الله عن طريق علوم الحقيقة المزعومة وهذا الاعتقاد كان له ولا زال الى الآن الأثر السيء في الأمة الاسلامية حيث اننا نشاهد في عالمنا الاسلامي الواسع وقوع الصوفية في ارتكاب المحرمات بشتى أصنافها وعدم انكار المنكر عليهم وذلك لاعتقادهم بأن المشائخ لا ينكر عليهم

وأدى غلو الصوفية في الأولياء الى الاعتقاد بأنهم يتلقون علوما خاصة بهم عن الله سبحانه وتعالى وهذا الاعتقاد كان له ولا زال الى الآن الأثر السيء في الأمة الاسلامية حيث ان مشائخ الصوفية اخترعوا أذكارا وأدعية وصلواتا من عند أنفسهم وأمروا الناس بتلاوتها ليلا ونهارا وهذا الاعتقاد كان له ولا يزال الى الآن الأثر السيء في الأمة الاسلامية حيث اننا نشاهد في عالمنا الاسلامي على امتداده الواسع كثيرا من أفراد الأمة الاسلامية مشغولين بتلاوة هذه الأذكار المبتدعة مما تسبب عنه الاعراض عن تلاوة كتاب الله عزوجل وذكر الله بما ورد في الكتاب والسنة من الأذكار والأدعية والصلوات على الرسول صلى الله عليه وسلم

وأيضا أدى غلو الصوفية في مشائخهم الى اختراع موالد ومناسبات تعقد في كل عام مرة أو أكثر من مرة بل ما أن ينتهي مولد الا ويدخل موسم مولد آخر وهذه الموالد كان لها ولا زال الى الآن الأثر السيء في الأمة الاسلامية حيث انها أصبحت وكرا للافساد والمفسدين لأنها ترتكب فيها أنواع الفسق والمجون بأنواعه من الاختلاط والزنا واللواط ودعاء غير الله والذبح لغيره والاستغاثة بغيره

المبحث الأول : انتشار الوثنية و الشرك المتمثل في بناء القباب على القبور و صرف العبادات لأصحابها المدفونين فيها من دعاء و استغاثة و نذر و غيرها

تمهيد

اذا نظرنا في العالم الاسلامي من الشرق الى الغرب و من الشمال الى الجنوب نجد أن بناء المساجد على القبور و بناء القباب على قبور الأولياء منتشر فيه انتشارا واسعا و واضح كل الوضوح و أن كثيرا من أفراد الأمة الاسلامية في الماضي و الحاضر قد وقع في صرف عبادات لأصحاب هذه المساجد و القباب المبنية على القبور حيث توجهوا اليهم بالدعاء و الاستغاثة و النذور رغم أن هذه الأشياء عبادات من أجل العبادات التي لا يجوز صرفها لغير الله و بسبب هذه المشاهد وقع كثير من الأمة الاسلامية في الشرك بالله

و الذي نشر هذه المشاهد الوثنية من بناء القباب على القبور و بناء المساجد على القبور و صرف عبادات لأصحابها من دون الله هم المتصوفة في الماضي و الحاضر فكل من يسير في عالمنا الاسلامي الواسع يجد دعاة التصوف منتشرين في العالم الاسلامي يأمرون الناس ببناء القباب على قبور من يسمونهم أولياء و يأمرونهم ببناء المساجد على قبور الأولياء ثم يأمرونهم بالتوجه الى أصحاب هذه القبور و طلب ما يحتاجونه منهم و لذا فالصوفية هم دعاة الشرك في العالم الاسلامي و هم وراء كل انحراف عقدي و خاصة في توحيد الألوهية و الربوبية و ما وقع في الأمة الاسلامية من انحرافات عقدية بسبب المتصوفة قد وصفه علماء الأمة الاسلامية في مختلف العصور و اليك جملة من أقوالهم التي يصفون فيها انحطاط الأمة الاسلامية و كيف وقعت في أعمال شركية بسبب بناء القباب على

القبور و بناء المساجد عليها و لم يقتصر العلماء على وصف ما آلت اليه الأمة بسبب دعاة التصوف و انما استنكروا ذلك و حذروا منه و وصفوه بأنه شرك بالله يجب الابتعاد عنه و أكدوا أيضا بأن بناء القباب على القبور و المساجد عليها كان السبب الرئيسي في وقوع هذه الأمة في انحرافات عقدية خطيرة

فمن العلماء الذين تحدثوا عن الآثار السيئة التي نشرها المتصوفة في العالم الاسلامي الشيخ محمد الأنور أحمد البلتاجي فقد قال و هو يذكر ما شاهده من مشاهد وثنية :

تعالوا بنا الى مسجد من المساجد التي بنيت فوق الأضرحة في القاهرة أو في مدينة أو قرية لكي نرى ما يفعله الناس عند زيارتهم لهذه الأضرحة و لنعرف الثمرة التي أنتجتها دعوى الصوفية بجواز الاستغاثة بساكني القبور و الأضرحة

أول ما يصدمك تسمية المسجد فهو مسجد الولي الفلاني بعد أن جردوه من صفته بيت من بيوت الله و بدلا من أن تكون المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا أصبحت أماكن للدعاء لكل واحد سوى الله و سوف نرى في هذه المساجد البدعية ما يذهب بأحلام ذوي الأحلام و العقول

هذه طائفة من الناس تطوف بالضريح مستلمة لأركانه ملتمسة البركة من ساكنه و طائفة أخرى تقبل الأعتاب و تتمسح بالضريح

و هذا واحد يتجه الى صاحب الضريح بالسؤال و التضرع متذللا متخشعا و هذه أخرى تستغيث بصاحب الضريح على غريمها أو جارتها التي ظلمتها و ثالث يطلب من ساكن الضريح الشفاعة له

و رابع يطلب النجاح

و خامس يطلب الشفاء من العلل و الأسقام

و سادس يطلب الرواج و الربح لتجارته ... و ... و ... ؟ !!

بل ان الأمر يصل بالبعض من الناس الى كتابة العرائض التي يخطون فيها شكاواهم و حاجاتهم ثم يسقطونها في المقصورة المحيطة بالضريح

و البعض الآخر يرسل شكواه و حاجته بالبريد و يحرص الحرص كله على لصق طابع الدمغة بأعلاها ثم يوجه العنوان الى شخص ساكن الضريح مقرونا بألقاب التعظيم و التفخيم اللازمة

و الأدهى من ذلك أن يعنون البعض رسائلهم أي يكتبون العناوين الى الله تعالى أو رسوله صلى الله عليه و سلم عن طريق ساكن الضريح و نتمالك بعض الأنفاس و تجيل النظر في المتوسلين و الضارعين و الخاشعين فترى أحدهم يدير ظهره للضريح و يستقبل القبلة رافعا يديه بالدعاء فتتوسم فيه الخير فما زال في بعض الناس بقية من سلامة العقيدة و تدنو منه لتصغي لما يقول حتى يستقر في نفسك الاطمئنان و اذا به يصك سمعك بما يصدمك اذ يقول : اللهم بحق ساكن الضريح أن تفعل كذا و كذا (١)

و يقول البلتاجي متحدثا عن الأموال التي يقدمها المتصوفة الى أصحاب الأضرحة على أساس انها نذور لهم فيقول :

لا يخلوا ضريح في أى مسجد من صندوق للنذور يوضع الى جوار الضريح و انما يدعو الشرك بعضه بعضا اذ تنتهي عادة مناسك الطواف التي ابتدعها عباد القبور بايداع بعض الحلى أو الأموال في ذلك الصندوق واهمين أنهم بذلك الفعل ينذرون

---

(١) الله توحيد و ليس وحدة للبلتاجي ٣٢٤

بالقرب من الله و ينالون بركة ساكن الضريح و بهذا تقضى لهم الحوائج و ترفع عنهم الكربات بعد أن أدوا ما افترضوه على أنفسهم من طواف بالقبر و التماس لبركة ساكنه و استشفاع بالمقبور فيه و تقديم النذور و القرابين اليه و على ساكن الضريح أن يؤدى بعد هذه المناسك ما هو مطلوب منه و ما درى الضالون أنهم بعقيدتهم الزائفة تلك قد خسروا الدنيا و الآخرة (١)

و يقول الشيخ الصنعاني بعد كلام طويل في هذا الموضوع :

فان قلت هذا أمر عم البلاد و اجتمعت عليه سكان الأرض شرقا و غربا و شمالا وجنوبا فلا بلدة و لا قرية الا وفيها قبور و مشاهد و أحياء يعتقدون فيها و يعظمونها و ينذرون و يهتفون بأسمائها و يحلفون بها و يطوفون بفناء القبور و يسرجونها و يلقون عليها الورود و الرياحين و يلبسونها الثياب و يضعون كل ما يقدرون عليه من العبادة لها و ما في معناها من التعظيم و الخشوع بل هذه مساجد المسلمين غالبها لا يخلو عن قبر أو مشهد يقصده المصلون في أوقات الصلاة يضعون فيه ما ذكر أو بعضه و لا يسع عقل عاقل أن منكرا يبلغ ما ذكرت من الشفاعة و يسكت عليه علماء الاسلام . . . . ثم قال الصنعاني : قلت ان أردت الانصاف و تركت متابعة الأسلاف و عرفت أن الحق ما قام عليه الدليل لا ما اتفق عليه العالم جيل بعد جيل فاعلم أن هذه الأمور التي ندندن حول انكارها و نسعى في هدم منارها . . . . صادرة عن العامة الذين اسلامهم تقليد الآباء بلا دليل ينشأ الواحد منهم فيجد أهل بلدته يلقنونه في الطفولة أن يهتف باسم من يعتقدون فيه و يراهم ينذرون له و يعظمونه و يرحلون به الى محل قبره و يلطمون بترابه و يطوفون به حول قبره فينشأ و قد وقر في قلبه عظمة ما يعظمونه فينشأ

---

(١) — الله توحيد و ليس وحدة للبلتاجي ٢٠٦

على هذا الصغير و شاخ عليه الكبير و لا يسمعون انكارا عليهم بل ترى من يتسم بالعلم و يدعي الفضل معظما لما يعظمونه قابضا للنذور آكلا ما ينحر على القبور فظن أن هذا هو دين الاسلام و لا يخفى على أحد يتأهل للنظر و يعرف بارقة من علم الكتاب و السنة و الأثر أن سكوت العالم أو العالم بكسر اللام في الأولى و فتحها في الثانية على وقوع منكر ليس دليلا على جوازه (١)

و من العلماء الذين وصفوا انتشار الوثنية و الشرك في العالم الاسلامي بسبب بناء القباب و المساجد على القبور الشيخ يوسف القرضاوى فقد قال بعد أن أثبت بأن هذا حذر منه الاسلام أشد التحذير :

و مما يؤسف له كل مسلم غيور على دينه أن ما حذر منه الرسول صلى الله عليه وسلم قد وقع فيه كثير من أهل الاسلام فقد اتخذوا قبور بعض الصالحين اعيادا و شيدوها و زخرفوها و بنوا عليها المساجد و القباب و أوقدوا عليها السرج و القناديل ووقفوا لذلك الوقوف و نذروا لها النذور و طافوا بها كالكعبة و استلموها كالحجر الأسود و أوسعوا جدرانها لثما و تقبيلا و منهم من يسجد لها و يعفر الخدود على ترابها و يقف خاشعا مستكينا يستغيث بأصحابها يسألهم مشافهة قضاء الديون و تفريج الكربات و اغاثة اللهفات و شفاء المرضى و النصر على الأعداء و بعضهم يقدم طلباته مكتوبة في رقاع الى صاحب القبر و هذا من الشرك الصريح و لا حول و لا قوة الا بالله (٢)

و من العلماء الذين وصفوا ما انتشر في العالم الاسلامي من الوثنيات بسبب بناء القباب و المساجد على القبور الشيخ السيد سابق فقد قال : و كم نرى عن تشييد أبنية

---

(١) — تطهير الاعتقاد عن أدران الالحاد ، ٥٠ ضمن الجامع الفريد

(٢) — حقيقة التوحيد للشيخ يوسف القرضاوى ٦٤

القبور وتحسينها مفاسد يبكي لها الاسلام .... منها اعتقاد الجهلة فيها كاعتقاد الكفار في الأصنام وعظموا ذلك فظنوا أنها قادرة على جلب النفع ودفع الضر فجعلوها مقصدا لطلب قضاء الحوائج وملجأ لنجاح المطالب وسألوا منها ما يسأل العباد من ربهم وشدوا اليها الرحال وتمسحوا بها واستغاثوا وبالجملة انهم لم يدعوا شيئا مما كانت الجاهلية تفعله بالأصنام الا فعلوه فانا لله وانا اليه راجعون ومع هذا المنكر الشنيع والكفر الفظيع لا تجد من يغضب لله ويغار حمية للدين الحنيف

وقد تواتر الينا الاخبار ما لا يشك معه ان كثيرا من هؤلاء القبوريين أو أكثرهم اذا توجهت عليه يمين من جهة خصمه حلف بالله فاجرا فاذا قيل له بعد ذلك بشيخك ومعتقدك الولي الفلاني تلعثم وأبى واعترف بالحق وهذا من أبين الأدلة الدالة على أن شركهم قد بلغ فوق شرك من قال انه تعالى ثاني اثنين أو ثالث ثلاثة (١)

ومن العلماء الذين ذكروا انتشار دعاء غير الله تعالى في العالم الاسلامي الشيخ علي محفوظ فقد ذكر أن الشفاعة لا تكون الا اذا أذن الله للشفيع ثم ذكر أنه قد يغفل عن هذا العوام فتراهم اذا نزل بهم أمر خطير وخطب جسيم في بر أو بحر تركوا دعاء الله ودعوا غيره فينادون بعض الأولياء كالبدوي والدسوقي وزينب معتقدين أنهم يتصرفون في الأمور ولا تسمع منهم أحدا يخص مولاه بتضرع ودعاء وقد لا يخطر له على بال أنه لو دعا الله وحده ينجو من تلك الشدائد (٢)

ومن العلماء الذين وصفوا ما آلت اليه الأمة الاسلامية بسبب بناء القباب والمساجد على القبور من الشركيات الشيخ عبد اللطيف مشتهري فقد تكلم كلاما طويلا حول انتشار الشرك

---

(١) — فقه السنة للسيد سابق ١/٥٤٠

(٢) — الابداع في مضار الابتداع لعلي محفوظ ١٠٤

والوثنية بسبب هذه المباني المنتشرة في العالم الاسلامي على القبور واليا نبذة بسيطة من كلامه قال : ومن هذه البدع الضالة التقبيل والاستلام للأضرحة وتقبيل أعتابها هذا كله من الشرك والتعلق بالماديات على حساب الروحانيات .....

ثم قال وتقديم العرائض والشكاوى للأولياء من البدع الشاذة والله يعلم أن من مات فهو في شغل شاغل بآخرته حيث قال :((والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير))(١)

ومن العلماء الذين وصفوا ما وقعت فيه الأمة الاسلامية من الشركيات بسبب انتشار بناء القباب والمساجد على القبور الدكتور محمد الأنور البلتاجي فقد قال رحمه الله مبينا تفوق شرك المتأخرين من المتصوفة وغيرهم من مشركي الجاهلية الأولى الذين بعث اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(وأما المتأخرون من المتصوفة وغيرهم من عباد القبور فحالتهم أدهى وأمر وأشد غلوا وبعدا عن اخلاص الدعاء لله تعالى فهم اذا وقعوا في الشدة وأيقنوا بالهلاك وقرب الموت يستغيثون بالولي الفلاني فمثلا عند التطام الأمواج ينسون دعاء الله تعالى ولا يخطر في بالهم الا الاستغاثة بالولي والشيخ الفلاني وهذا الأمر متواتر عنهم تواترا يقطع أى شبهة على من يحاول الدفاع عنهم بشبهة واهية)(٢)

ومن العلماء الذين وصفوا ما آلت اليه الأمة الاسلامية من الشركيات بسبب بناء هذه القباب والمساجد على القبور الشيخ حسن بن مهدى النعمي رحمه الله فانه قال :

(وطالما شاهدنا عباد أرباب هذه القباب اذا التطمت عليهم الأمواج البحر العباب سمعت ذكر الزيلعي والحداد وكل يدعو شيخه عند نزلة الاضطراب اذ لكل

---

(١) — فاطر ١٣ والنص منقول من كتاب هذه دعوتنا للشيخ عبداللطيف مشتهر ص ٢٠٨

(٢) — الله توحيد وليس وحدة للبلتاجي ٢٧٤

طريقة لا ينتحي سواها في الهتف والانتساب (١)

و من العلماء الذين وصفوا انتشار الشرك في العالم الاسلامي بسبب بناء القباب و المساجد على القبور الامام الشوكاني فقد ذكر أن هؤلاء المتأخرين وصلوا في الاعتقاد في الأموات الى حد لم يبلغه المشركون الأوائل في الأموات فانهم اذا دهمتهم الشدائد استغاثوا بالأموات و نذروا لهم النذور و قل من يستغيث بالله سيما في تلك الحال و هذا يعلمه كل من له بحث عن أحوالهم

ثم قال الامام الشوكاني : و لقد أخبرني بعض من ركب البحر للحج أنه اضطرب اضطرابا شديدا فسمع من أهل السفينة من الملاحين و غالب الراكبين معهم ينادون الأموات و يستغيثون بهم و لم يسمعهم يذكرون الله قط قال و لقد خشيت في تلك الحال الفرق لما شاهدته من الشرك بالله (٢)

و يقول الشوكاني في مكان آخر من نفس الكتاب بعد أن رد على الذين يسمون دعاء غير الله توسلا : و ما عدا ذلك فالأمر فيها أظم و أعم ففي كل قرية حيث يعتقده أهلها و ينادونه و في كل مدينة جماعة منهم حتى انهم في حرم الله ينادون يا ابن عباس و يا محجوب فما ظنك بغير ذلك فلقد تلطف ابليس و جنوده أخزاهم الله تعالى لغالب أهل الملة الاسلامية بلطيفة تزلزل الأقدام عن الاسلام فانا لله و انا اليه راجعون (٣)

و قال المعلق على الدرر النضيد في الحاشية : و مثل هذا ما يسمعه كل أحد عن القبور المشيدة في الديار المصرية يا سيدي يا بدوي يا دسوقي يا بيومي يا متبولي ،

---

(١) — صفاء الأنباب ٤١
(٢) — الدرر النضيد للشوكاني ٦٧
(٣) — الدرر النضيد للشوكاني ٣٠

يا سيدة زينب . يا سيدة نفيسة وأمثال ذلك (١)

ومن العلماء الذين ذكروا انتشار الشركيات في العالم الاسلامي بسبب بناء القباب والمساجد على القبور الشيخ حافظ بن أحمد الحكمي فقد قال رحمه الله :

ولقد عمت البلوى بذلك وطمت في كل زمان ومكان حتى في هذه الأمة لا سيما زماننا هذا ما من قبر ولا بقعة يذكر لها شيء من الفضائل ولو كذبا الا قد اعتادوا الاختلاف اليها والتبرك بها حتى جعلوا لها أوقاتا معلومة يفوت عبدهم بفواتها ويرون من أعظم الخسارات أن يفوت الرجل ذلك العيد المعلوم وجعلوا لها طوفا معلوما كالطواف بالبيت الحرام وشرعوا تقبيلها كما يقبل الحجر الأسود وشرعوا لها نذورا من الغنم والنقود ووقفوا عليها الوقوف من العقارات والحرث وغيرها وغير ذلك من شرائعهم الشيطانية وقواعدهم الوثنية (٢)

ومن العلماء الذين ذكروا انتشار الوثنية والشرك في العالم الاسلامي شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى فقد قال : ومن هؤلاء من يرى أن زيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم أفضل من الحج والعمرة الى الكعبة ودعاء النبي والاستغاثة به أفضل من الاستغاثة بالله تعالى ودعائه وكثير من هؤلاء يخربون المساجد ويعمرون المشاهد فتجد المسجد الذي بني للصلوات الخمس معطلا مخربا ليس له كسوة الا من الناس وكأنه خان من الخانات والمشهد الذي بني على الميت عليه الستور وزينة الذهب والفضة والرخام والنذور تفد وتروح اليه فهل هذا الا من استخفافهم بالله تعالى وآياته ورسوله وتعظيمهم للشرك فانهم اعتقدوا أن دعاء الميت أنفع لهم من دعاء الله تعالى (٣)

---

(١) — حاشية الدر النضيد ٣٢ (٢) — معارج القبول للحكمي ١/ ٤٧٥

(٣) — الرد على البكري لشيخ الاسلام ابن تيمية ٣٤٩

و من العلماء الذين ذكروا انتشار الوثنية و الشرك في العالم الاسلامي بسبب بناء القباب و المساجد على القبور الامام ابن عقيل فقد قال رحمه الله :

لما صعبت التكاليف على الجهال و الطغام عدلوا عن أوضاع الشرع الى تعظيم أوضاع وضعوها لأنفسهم فسهلت عليهم اذ لم يدخلوا بها تحت أمر غيرهم قال و هم عندى كفار بهذه الأوضاع مثل تعظيم القبور و اكرامها بما نهى عنه الشرع من ايقاد النيران و تقبيلها و تخليقها و خطاب الموتى بالحوائج و كتب الرقاع فيها يا مولاى افعل بي كذا و كذا و أخذ تربتها بتركا و افاضة الطيب على القبور و شدوا اليها الرحال و القاء الخرق على الشجر اقتداء بمن عبد اللات و العزى (١)

و من العلماء الذين حكوا وقوع كثير من الأمة الاسلامية في دعاء غير الله بسبب الغلو في الصالحين و تشييد القباب و المساجد على قبورهم و المبالغة في تعظيمهم الشيخ صديق حسن خان رحمه الله تعالى فقد وصف ما رآه من حالة الملاحين في رحلته للحج حيث ركب المركب من الحديدة باليمن الى جدة مع الحجاج و هذا ما قاله :

(و من العجائب التي لا ينبغي اخفاؤها ان الملاحين اذا ترددوا في أمر المركب من جمود الريح أو هبوبها مخالفة أو شيئا من الخوف على السفينة و أهلها كانوا يهتفون باسم الشيخ عيدروس و غيره من المخلوقين مستغيثين و مستعينين به و لم يكونوا يذكرون الله عز و جل ابدا و يدعونه بأسمائه الحسنى و كنت اذا سمعتهم ينادون غير الله و يستغيثون بالأولياء و خفت على أهل المركب خوفا عظيما من الهلاك و قلت في نفسي يا لله العجب كيف يصل هذا المركب بأهله الى ساحل السلامة فان مشركي العرب قد كانوا لا يذكرون آلهتهم الباطلة في مثل هذا المقام و هؤلاء القوم الذين يسمون

---

(١) — اغاثة اللهفان للامام ابن القيم ١ / ٢٠٠

أنفسهم مسلمين يدعون غير الله و يهتفون بأسماء المخلوقين و لقد صدق تعالى فيما قال : ((و ما يؤمن أكثرهم بالله الا و هم مشركون)) (١)

و من العلماء الذين تحدثوا عن المفاسد التي وقعت بسبب الغلو في الصالحين و بناء القباب و المساجد على قبورهم و دعائهم من دون الله الامام ابن القيم الجوزية رحمه الله تعالى فقد تحدث في كتابه اغاثة اللهفان حديثا طويلا مفصلا عن عبادة القبور و رد عليهم ردا مقنعا و بين بطلان معتقداتهم و فصل و وضح في المفاسد التي ترتبت على الغلو في الصالحين و اليك نبذة بسيطة من كلامه رحمه الله فقد قال :

ثم ان في اتخاذ القبور أعيادا من المفاسد العظيمة التي لا يعلمها الا الله تعالى ما يغضب لأجله كل من في قلبه وقار لله تعالى و غيرة على التوحيد و تهجين و تقبيح الشرك

فمن مفاسدها اتخاذها أعيادا للصلاة اليها و الطواف بها و تقبيلها و استلامها و تعفير الخدود على ترابها و عبادة أصحابها و الاستغاثة بهم و سؤالهم النصر و الرزق و العافية و قضاء الدين و تفريج الكربات و اغاثة اللهفات و غير ذلك من أنواع الطلبات التي كان عباد الأوثان يسألونها أوثانهم

فلو رأيت غلاة المتخذين لها عيدا و قد نزلوا عن الأكوار و الدواب اذا رأوها من مكان بعيد فوضعوا لها الجباه و قبلوا الأرض و كشفوا الرؤوس و ارتفعت أصواتهم بالضجيج و تباكوا حتى تسمع لهم النشيج و رأوا أنهم قد أربوا في الربح على الحجيج فاستغاثوا بمن لا يبدى و لا يعيد و نادوا و لكن من مكان بعيد حتى اذا دنوا منها صلوا عند القبر ركعتين و رأوا أنهم قد أحرزوا من الأجر و لا أجر من صلى الى القبلتين

---

(١) — يوسف ١٠٦ و أنظر في الموضوع قطف الثمر في عقيدة أهل الأثر ١٠٧ و ١١٣ و كذلك رحلة الصديق الى البيت العتيق ١٧١

فتراهم حول القبر ركعا سجدا يبتغون فضلا من الميت و رضوانا و قد ملئوا أكمهم خيبة و خسرانا فلغير الله بل للشيطان ما يراق هناك من العبرات و يرتفع من الأصوات و يطلب من الميت من الحاجات و يسأل من تفريج الكربات و ذوى الفاقات و معافاة أولى العاهات و البليات ثم انثنوا بعد ذلك حول القبر طائفين تشبيها له بالبيت الحرام الذى جعله الله مباركا و هدى للعالمين ثم أخذ في التقبيل و الاستسلام أرأيت الحجر الأسود و ما يفعل به وفد البيت الحرام ثم عفروا لديه تلك الجباه و الخدود التي يعلم الله أنها لم تعفر كذلك بين يديه في السجود ثم كملوا مناسك حج القبر بالتقصير هناك و الحلاق و استمتعوا بخلاقهم من ذلك الوثن اذ لم يكن لهم عند الله من خلاق و قربوا لذلك الوثن القرابين و كانت صلاتهم و نسكهم و قربانهم لغير الله رب العالمين فلو رأيتهم يهنيء بعضهم بعضا ويقول أجزل الله لنا ولكم أجرا وافرا فاذا رجعوا سألهم غلاة المتخلفين الى البيت الحرام فيقول لا و لو بحجوا ألف عام هذا و لم نتجاوز فيما حكيناه عنهم و لا استقصينا جميع بدعهم و ضلالهم أذهى فوق ما يخطر بالبال أو يدور في الخيال (١)

و من العلماء الذين ذكروا انتشار دعاء غير الله في العالم الاسلامي الشيخ مبارك ابن محمد الميلي رحمه الله

فقد قال : ألست ترى في أوساطهم قبابا تبذل في تشييدها الأموال و تشد لزيارتها الرحال أم لست تسمع منهم استغاثات و طلب حاجات من الغائبين و الأموات أم لم تعلم تنعت بدور الضمان تشترى ضمانتها بالاثمان أم لم تجتمع بذرية تنسب للأولياء اعتاضوها بقوة غيبة أم لم تتكرر على مناظر مكتبى الباحثين يقدمون بضاعتهم

---

(١) — اغاثة اللهفان ١/١٦٣

مرابطين أو طرقيين هذا الى اجتماعات تنتهك فيها كل الحرمات باسم الزردات أو تحت ستار الاعتقادات والدعوة الى أوضاع مبتدعة صدت الناس عن اتباع السنـــــة المطهرة والخبير بحياة أهل عصره العالم بأصول دينه لا يتردد في ظهور الشرك وانتشاره وتعدد مظاهره وآثاره والعامي الفطرى لو سألته وأفهمته لوجدت عنده الخبر اليقين لاثبات ان أمثاله وما أكثرهم في ضلال مبين هذا اجمال تفصيله فيمـا بعد من الفصول (١)

ومن العلماء الذين ذكروا ما انحدرت اليه الأمة الاسلامية من انحراف عقدى خطير بسبب الغلو في الأولياء الذى أدى بهم الى بناء القباب والمساجد على قبورهم والتوجه اليهم بالدعاء والاستغاثة والنذور في أرجاء العالم الاسلامي بلا استثناء

حسين ابن غنام فقد قال وهو يصف حالة الناس قبل قيام دعوة الامام محمد بـــــن عبد الوهاب السلفية التي حولت هذه البلاد السعوديـــة الى منارة اشعاع لتعليم التوحيد الخالص الصافي المأخوذ من الكتاب والسنة والبعيد عن الفلسفات والبدع وبالتالي انتشر هذا التوحيد الخالص في أرجاء المعمورة وذلك بفضل الله تعالـى ثم بفضل هذه الدعوة السلفية

واليك نماذج مما قاله بايجاز

قال : في مطلع القرن الثاني عشر الهجرى كان أكثر الناس قد انهمكوا في الشرك وارتدوا الى الجاهلية وانطمست بينهم أنوار الاسلام والسنة لذهاب أهل العلـــم والبصيرة وغلبة أهل الجهل واستعلاء ذوى الأهواء والضلال نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم واتبعوا ما وجدوا عليه آباءهم من الضلال ظانين أنهم أدرى بالحق وأعلـم

---

(١) ـ الشرك ومظاهره لمبارك الميلي ١٠٨

بطريق الهدى

عدلوا عن عبادة الله وحده الى عبادة الأولياء والصالحين من الأموات والأحياء يستغيثون بهم في النوازل والكوارث ويقبلون عليهم في الحاجات والرغبات ويعتقدون النفع والضر في الجمادات كالأحجار والأشجار ويعبدون أهل القبور ويصرفون لهم الدعاء والنذور في حالتي الضراء والسراء سواء زائدين على مشركي الجاهلية الأولى حيث كانوا اذا مسهم الضر لا يدعون الا الله مخلصين له الدين أما اذا نجاهم الله فهم مشركون لكن هؤلاء أحبوا أوثانهم من دون الله محبة أعظم من محبتهم لله سرت في سويداء قلوبهم وبدت على صفحات وجوههم وألسنتهم وجوارحهم وبذلوا أعمارهم وحياتهم في دفع الحق ومن يبديه وهذا ليس في قطر دون قطر آخر ولكنه في غالب الأقطار كما أنه ليس في أول زمن الشيخ فحسب بل كان بدؤه من قديم حيث التغيير والابتداع والاختلاف بعد زمان رسول الله وزمان من بعده من أهل القرون الفاضلة ثم تعاقبت العصور وتوالت السنون والفي يزداد والضلال ينتشر حتى جاء من اعتقد أن الدين هو ذلك الضلال والبدع لأنهم وجدوا آباءهم وأجدادهم وأسلافهم عليه فقالوا انا على آثارهم مقتدون

وقد نص على ذلك كثير من العلماء في كتبهم المصنفة فيما حدث من البدع والحوادث وما غير من منار الدين وشعائر الاسلام كان في بلدان نجد من ذلك أمر عظيم يأتون عند قبر زيد بن الخطاب في الجبيلة فيدعونه لتفريج الكرب وكشف النوب وكان عندهم مشهورا بذلك ومذكورا بقضاء الحوائج

وكانوا يزعمون أن في قريوت في الدرعية قبور بعض الصحابة فعكفوا على عبادتها وصار أهل تربتها أعظم في صدورهم من الله

و في شعيب غبريا، يزعمون أن فيه قبر ضرار بن الأزور و هو مكذوب يأتون من المنكر عنده ما لا يعهده مثله

و كان الرجال و النساء يأتون بليدة الندا لفحل النخل الذى فيها و يفعلون عنده أقبح الأفعال و يتبركون به و يعتقدون فيه فكانت المرأة اذا تأخرت عن الزواج تأتيه فتضمه بيديها ترجوا أن يفرج عنها كربها و تقول يا فحل الفحول أريد زوجا قبل الحول ..... ثم ذكر ابن غنام ما يجرى في العالم الاسلامي خارج الجزيرة العربية فقال : وأما ما يجرى في بلدان مصر و صعيدها من الأمور التي يتنزه الانسان عن ذكرها خصوصا عند قبور الصلحاء و العباد كما ذكرها الثقات في نقل الأخبار و روايتها فأكثر من أن تحصى

فمنها أنهم يأتون قبر أحمد البدوى و قبور غيره فيستغيثون و يندبون و يسألونهم المدد و يستحثونهم على كشف المصائب و يتداولون بينهم الحكايات و يحكون في محافلهم خرافات من أفحش المنكرات فيقولون فلان استغاث بفلان فسارع الى اغاثته و فلان و فلان شكا لصاحب ذلك القبر حاله فأغاثه و كشف عنه ضره و فلان شكا اليه حاجته فأزال عنه فقره و أمثال هذا الهذيان الملي، بالزور و البهتان

و ما يفعل في بلدان اليمن من الشرك و الفتن فأكثر من أن يستقصى فمن ذلك ما يفعله أهل شرقي صنعاء بقبر يسمي عندهم الهادى كانوا يغدون عليه جميعا ويروحون يدعونه و يستغيثون به

وأما أهل برع فعندهم البرعي و هو رجل يرحل الى دعوته كل دان و قاص ويؤتى اليه من مسيرة أيام و ليال لطلب الاغاثة و شكاية الحال و يقيمون عند قبره للزيارة و يتقربون اليه بالذبائح كما حقق أخباره من شاهدها

وأما أهل الهجرية فعندهم قبر يسمى علوان وقد أقبل عليه العامة في نوائب الزمان واستغاث به منهم كل لهفان ويسميه غوغاؤهم منجي الغارقين وأغلب أهل البر والبحر منهم يطربون عند سماع ذكره ويستغيثون به وان لم يصلوا الى قبره وينذروا له في البر والبحر

وأما أهل حضرموت والشحر ويافع وعدن فقد ثوى فيهم الغي والضلال عندهم العيدروس يفعل عند قبره من السفه والشرك ما يكفي ذكر مجمله يقول قائلهم: شيء لله يا عيدروس شيء لله يا محي النفوس

وأما أهل بلدان الساحل فعندهم الكثير

أهل المخا عندهم الشاذلي — أكثرهم يدعوه ويستغيث به ولا تفتر ألسنتهم عند ذكره قعودا وقياما وينتابون تربته وحدانا وجميعا

وأهل الحديدة عندهم الشيخ صديق يعظمونه ويغلون فيه الى أنه لا يمكن أحد أن يركب البحر أو ينزل منه الى البر حتى يجيء اليه ويسلم عليه ويطلب منه الاغاثة والمدد فيما أراد

وأما أهل اللحية فعندهم الزيلعي واسمه عندهم الشمس لأن قبره ليس عليه قبة يصرفون اليه جميع النذور ويعظمونه ويدعونه أشد ما يكون ذلك عبادة وضراعة

وفي أرض نجران الطامة المعضلة وهو الرئيس المعروف بالسيد فقد أتى أهل نجران وما يليهم من الأعراب والقبائل من تعظيمه والغلو فيه والاعتقاد الشركي وما أفضى بهم الى الضلال والالحاد صرفوا له من أنواع العبادة سهما وجعلوا فيه من الألوهية قسما حتى كادوا يجعلونه لله ندا

وأما في حلب ودمشق وأقصى الشام وأدناه فلا يمكن ضبط قدره بحسب ما يحكيه

من يشاهد ذلك أو يراه من العكوف على عبادة القبور و صرف القربان اليها و النذور و المجاهرة بالفسوق و الفجور و أخذ المكوس

و في الموصل و بلدان الأكراد و ما يليها من سائر البلاد و في العراق عموما و في المشهد و بغداد خصوصا ما لا يقدر على حصره و تعداده مما يفعل عند قبر الامام أبي حنيفة و معروف الكرخي و الشيخ عبدالقادر الجيلاني من الدعاء و الاستغاثة بهم و الطلب منهم في سائر الأوقات و الأزمان و يحصل من التعظيم و التذلل عندهم و الخضوع أعظم مما يصدر بين يدى الله في الصلاة و اشتهر عندهم أن كثيرا من يفعل ذلك و جرب وجد أنهم لقضاء الحوائج ترياق مجرب . . . . . و أخيرا قال ابن غنام : و على العموم من رأى أفعال الناس في بلاد المسلمين فيما أشرنا اليه سابقا و هو عارف بالاثمان تبين له غربة الاسلام في ذلك الزمان (١)

و من العلماء الذين وصفوا ما انتشر في العالم الاسلامي من الشركيات بسبب الغلو في الأولياء و بناء القباب و المساجد على قبورهم الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن ابن حسن فقد قال رحمه الله في تضحية الامام فيصل بن تركي :

و من طاف البلاد و خبر أحوال الناس منذ أزمان متطاولة عرف انحرافهم عن هذا الأصل الأصيل و بعدهم عما جاءت به الرسل من التفريع و التأصيل فكل بلد و كل قطر و كل جهة فيها نعلم فيها من الآلهة التي عبدت من دون الله بخالص العبادات و قصدت من دونه في الرغبات و الرهبات ما هو معروف مشهور لا يمكن جحده ولا انكاره(٢)

و من العلماء الذين ذكروا انتشار دعاء غير الله بسبب الغلو في الأولياء و الصالحين

---

(١) — أنظر روضة الأفكار لابن غنام ١٠ — ٢٠

(٢) — أنظر الرسائل و المسائل للشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن ٣/١٥٧

الشيخ عبدالله بن محمد بن حميد فقد قال رحمه الله بعد أن تحدث عن أسباب رؤية الشيخ محمد بن عبدالوهاب للواقع من حوله :

كل ذلك قد أعطاه النظر الفاحص لما عليه قومه وبنو جلدته ومن جاورهم من البلدان من الانحراف عن طريق الاسلام الصحيح يصل في بعض الحالات الى الشرك الأكبر المخرج من الملة فقد رأى في تلك المناطق مرتعا للخرافات والعقائد الفاسدة التي تتنافى مع أصول الدين فكان هناك قبور تنسب الى بعض الصحابة يقصدها الناس ويطلب منها حاجاتهم ويستغيثوا بها لرفع كربهم وقضاء حاجاتهم وكما انتشرت هذه الخرافات في نجد رأى مثلها في الحجاز وفي البصرة والزبير وسمع مثلها في عدن واليمن (١)

ومن العلماء الذين ذكروا انتشار الشرك والوثنية في العالم الاسلامي بسبب الغلو في الصالحين وبناء القباب والمساجد على قبورهم الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن البسام (٢) وكذلك المؤرخ حافظ وهبة (٣)

ومن المؤرخين المستشرقين الذين وصفوا انتشار الشرك والوثنية في العالم الاسلامي بسبب الغلو في الأولياء الكاتب الأمريكي لوثروب ستودارد فقد قال وهو يصف العالم الاسلامي بعد حديث طويل في وصف العالم الاسلامي من النحية السياسية والاجتماعية :

وأما الدين فقد غشيته غاشية سوداء فالبست الوحدانية التي عليها صاحب الرسالة سجنا من الخرافات وقشور الصوفية وخلت المساجد من أرباب الصلوات وكثر

---

(١) — الشيخ محمد بن عبدالوهاب وحقيقة دعوته للشيخ عبدالرحمن بن حميد مطبوعة ضمن هداية الناسك ٩١—٩٢

(٢) — أنظر علماء نجد خلال ستة قرون له ١/٢٨

(٣) — أنظر جزيرة العرب في القرن العشرين لحافظ وهبة ٣١٩

عدد الأدعياء الجهلاء وطوائف النقراء والمساكين يخرجون من مكان الى مكان يحملون في أعناقهم التمائم والتعاويذ والسبحات ويرغبون في الحج الى قبور الأولياء ويزينون للناس التماس الشفاعة من دفناء القبور وغابت عن الناس فضائل القرآن فصار يشرب الخمر والأفيون في كل مكان وعلى الجملة فقد بدل المسلمون غير المسلمين وهبطوا مهبطا بعد القرار فلو عاد صاحب الرسالة الى الأرض في ذلك العصر ورأى ما كان يدهى الاسلام لغضب وأطلق اللعنة على من استحقها من المسلمين كما يلعن المرتدون وعبدة الأوثان (١)

قلت والعجب كل العجب أن كثيرا ممن يحملون شهادات عليا من جامعات اسلامية يجهلون أن هذه الشركيات التي نشرها المتصوفة في العالم الاسلامي مناقضة لما جاء به الاسلام رغم أن هذا الكاتب المسيحي استطاع أن يعرف بأن هذه الأعمال التي تمارس في العالم الاسلامي ليست من الاسلام في شيء فانا لله وانا اليه راجعون ،

ومن المستشرقين الذين كتبوا عن انتشار الشرك بالله من دعاء غيره والذبح لغيره والطواف بقبور الأولياء والصالحين بعد بناء القباب والمساجد على قبورهم المستشرق جولد زيهر حيث قال :

بقي كثير من عناصر الديانات السابقة للاسلام واستأنفت حياتها في المظاهر العديدة الخاصة بتقديس الأولياء وفي الحق ليس من شيء خروجا على السنة القديمة من هذا التقديس المبتدع المفسد لجوهر الاسلام والماسخ لحقيقته وان السني الصادق الحريص على اتباع السنة لابد أن يعده من قبيل الشرك الذى يستثير كراهيته واشمئزازه .... ثم قال جولد : وأضرحة الأولياء والأماكن المقدسة الأخرى

---

(١) — حاضر العالم الاسلامي للكاتب الأمريكي لوثروب ستودارد ترجمة عجاج نويهض ١/ ٢٥٩ — ٢٦٠

هي موضع عبادتهم التي يرتبط بها أحيانا ما يظهره العامة من تقديس وشني غليظ لبعض الأثار والمخلفات بل ان العامة تخص الأضرحة ذاتها بما لا يقل عن العبادة المحضة .... ثم قال : ويخشى الواحد منهم أن يحنث في يمين حلف فيه باسم الولي أكثر مما يحمر خجلا عندما يحلف بالله باطلا (١)

قلت والحقيقة يقف الانسان حائرا حينما يرى هؤلاء المستشرقون يفهمون الاسلام فهما دقيقا مما جعلهم يميزون تمييزا حقيقيا بين التوحيد الذى جاء به محمد بن عبدالله من عند الله بل ما جاءت به جميع الرسل منذ بدء الخليقة الى خاتمهم محمد صلى الله عليه وسلم

ويرى كثيرا ممن يحملون الشهادة العليا كالليسانس والدكتوراة والماجستير في دراسات اسلامية بل ومتخرجين من جامعات اسلامية لها وزنها في العالم ومع ذلك تراهم لا يفرقون بين التوحيد الخالص والشرك والشواهد على هذا كثيرة ولا حاجة لذكرها هنا لوضوحها لدى الأساط العلمية التي لها اهتمامات بالدراسات الاسلامية

---

(١) — العقيدة والشريعة لجولد زيهر ١٦٢

المبحث الثاني : تعطيل الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر في الحياة العامة

ان الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر يعتبر من أهم الواجبات التي يترتب عليها صلاح المجتمع و سلامته و نجاته في الدنيا و الآخرة ولكن الصوفية غلوا في الأولياء فزعموا بأنهم فوق انكار المنكر عليهم زاعمين بأنهم لا يقدمون على فعل أى شيء الا بأمر الله لهم و ذلك انطلاقا من عقيدتهم بأن الأولياء يتلقون علوما خاصة بهم عن الله و أن الذى يحرم في نظر الشريعة قد يحل في نظر علم الحقيقة المزعوم و لذا حرموا على المريدين انكار المنكر على مشائخهم مهما ارتكبوا من محرمات و مهما ضيعوا من فرائض الله و هذا الغلو كان له و لا زال الى الآن الأثر السيء في الأمة الاسلامية حيث اننا نشاهد ترتكب شتى المحرمات و تضيع الفرائض في الأوساط الصوفية المنتشرة في العالم الاسلامي انتشارا واسعا و لا نرى أحدا ينكر هذا المنكر خوفا من سوط عذاب شيوخ الصوفية المزعوم و لا يعني ذلك أنه لا يوجد علماء ينكرون هذه المنكرات فالأمة الاسلامية فيها الخير الى قيام الساعة و أن هناك طائفة قائمة على الحق الى أن يرث الله الأرض و من عليها و لكنهم قلة بالنسبة للفساد المنتشر في الأمة الاسلامية و سأقسم هذا المبحث الى مطلبين :

المطلب الأول : و سأخصصه لتعريف الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر و أهميتهما في الاسلام

أما المطلب الثاني : فسأخصصه لبيان و توضيح بأن المتصوفة بالفعل عطلوا الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر مما تسبب عنه انتشار الفساد بشتى أنواعه في الأمة الاسلامية

المطلب الأول تعريف الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأهميتهما في الاسلام

أولا : تعريف الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

الأمر ضد النهي وهو معروف لغة قال عز وجل :((وأمرنا لنسلم لرب العالمين))(١)

والمعروف لغة : العرف والعرفة والمعروف واحد ضد المنكر وهو كل ما تعرفه النفس من الخير وتطمئن اليه (٢)

وشرعا : هو اسم جامع لكل ما عرف من طاعة الله والتقرب اليه والاحسان الى الناس وما ندب اليه الشرع من الحسنات وهو من الصفات الغالبة أى معروف بين الناس اذا رأوه لا ينكروه (٣)

النهي لغة : المنع ، الزجر، الترك وفي الحديث :((لقد ابتدرها اثناعشر ملكا فما نهاها شيء دون العرش))

أى ما منعها وكفها عن الوصول اليه ومن كلام العرب اذا أكلنا التمر وشربنا الماء ناهت نفوسنا عن اللحم أى أبته (٤)

أما المنكر فهو خلاف المعروف ومنه النكير اسم الانكار معناه التغيير وفي التنزيل العزيز :((فكيف كان نكير)) أى انكاره

وشرعا : تعريف المنكر كل ما قبحه الشرع وحرمه وكرهه فهو منكر

---

(١)— لسان العرب لابن منظور الافريقي ٤/ ٢٧

(٢)— نفس المرجع ٩/ ٢٣٩

(٣)— الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لعبد الرحمن عبد الله المقيط ١٤

(٤)— لسان العرب لابن منظور ١٢/ ٥٥٠—٥٥١

اذا نظرنا في التعريفات السابقة للأمر بالمعروف و النهي عن المنكر نخرج بخلاصة واحدة وهي أن الأمر بالمعروف معناه هو الأمر بكل ما يحبه الله و يرضاه من الطاعات المشروعة التي أمر الله بها في كتابه و أمر بها رسوله في سنته و على هذا فكل ما شرعه الله في كتابه و على لسان رسوله صلى الله عليه و سلم في سنته فهو داخل في المعروف

أما المنكر فالمراد به هو كل ما حرمه الله في كتابه و نهى عنه و ما حرمه رسوله محمد صلى الله عليه و سلم في سنته بأمر الله له اذا فكل الأشياء التي نهت الشريعة عنها فهي كلها منكرة و كل من فعل شيئا منها فقد وقع في المنكر و أيضا كل من ترك ما أمر به من الفرائض و السنن و العقائد و العبادات فقد وقع في المنكر فيجب أن ينتهي عنه و لهذا فالأمر بالمعروف و النهي عن المنكر يشمل جميع شئون الحياة و ذلك لأن الفعل الذى يفعله الانسان هو اما أن يكون موافقا لما شرعه الله فيكون معروفا و اما أن يكون مخالفا لما شرعه الله فيكون منكرا و لهذا فان تعطيل الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر يؤدى الى فساد الحياة بكاملها و لا يمكن أن يصلح المجتمع الا بالأمر بالمعروف و النهي عن المنكر و لهذا فقد عظم الله من شأن الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر و اليك نصوص من الكتاب و السنة تدل على مكانة الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر :

أولا : من القرآن الكريم :

لقد وردت في القرآن الكريم آيات عديدة تحث على الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر و ترغب فيهما و تحذر من اهمالهما و تخبر بالعاقبة السيئة بالأمم التي أهملت الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر و كيف ان مصيرها كان الهلاك و الدمار الشامل و ذلك لما في الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر من أهمية كبيرة في صلاح الأمم و

طهرها و حفظها من كل أنواع الفساد بشتى أنواعهـــا

فمن الآيات التي أمر الله فيها بالقيام بالأمر بالمعروف و النهي عن المنكر قوله تعالى :

((و لتكن منكم أمة يدعون الى الخير و يأمرون بالمعروف و ينهون عن المنكر و أولئك هم المفلحون)) (١)

و من الآيات التي تدل على عظم مكانة الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر و فضلـــه و شرفه العظيم قوله تعالى :((كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف و تنهون عن المنكر و تؤمنون باللـــه و لو آمن أهل الكتاب لكان خيرا لهم منهم المؤمنـــون و أكثرهـــم الفاسقون)) (٢)

ففي هذه الآية أثنى الله عز وجل على هذه الأمة حيث وصفها بأنها خير الأمـــم ثم ذكر السبب الذى نالت به هذه المكانة العظيمة دون سائر الأمم فقال :((تأمرون بالمعروف و تنهون عن المنكر و تؤمنون بالله)) فهذه الأمة المحمدية هي خير الأمم شريطة أن تقوم بالأمر بالمعروف و النهي عن المنكر .

قال الامام ابن كثير بعد أن أورد أحاديث كثيرة تدل على خيرية هذه الأمة علـــى سائر الأمم : فمن اتصف من هذه الأمة بهذه الصفات دخل معهم في المدح كما قال قتادة : بلغنا أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه في حجة حجها رأى من الناس دعـة فقرأ هذه الآية :((كنتم خير أمة أخرجت للناس)) ثم قال من سره أن يكون من هذه الأمة فليؤد شرط الله فيها و من لم يتصف بذلك أشبه أهل الكتاب الذين ذمهـــم بقوله :((كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون)) (٣)

---

(١) — آل عمران ١٠٤

(٢) — آل عمران ١١٠

(٣) — المائدة ٧٨

ولهذا لما مدح هذه الأمة على هذه الصفات شرع في ذم أهل الكتاب و تأنيبهم فقال تعالى :((ولو آمن أهل الكتاب)) أى بما أنزل على محمد (١)

و قد اعتبر الامام ابن الجوزى أن القيام بالأمر بالمعروف و النهي عن المنكر شرط لتنال هذه الأمة الخيرية (٢)

و من الآيات التي تدل على خطورة ترك الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر قوله تعالى :((لعن الذين كفروا من بني اسرائيل على لسان داوود و عيسى بن مريم ذلك بما عصوا و كانوا يعتدون كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون (٣)

ففي هذه الآية أخبرنا الله سبحانه و تعالى على أنه لعن بني اسرائيل بسبب معاصيهم و تركهم القيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر و هذا يشمل كل من يفعل مثل أفعالهم و يترك القيام بالأمر بالمعروف و النهي عن المنكر .

ثانيا الأحاديث التي تدل على أهمية الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر

لقد وردت أحاديث كثيرة عن الرسول صلى الله عليه و سلم تدل على أهمية الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر و هذه الأحاديث بعضها فيه الأمر بالقيام بالأمر بالمعروف و النهي عن المنكر و بعضها فيه التحذير الشديد من ترك الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر و الاخبار بأن عاقبة تركها وخيمة و اليك نبذة من هذه الأحاديث

فمن الأحاديث التي تدل على أن القيام بالأمر بالمعروف و النهي عن المنكر واجب قوله صلى الله عليه و سلم :((من رأى منكم منكر فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه

---

(١) ــ تفسير ابن كثير ٢/٣٩٦

(٢) ــ زاد المسير لابن الجوزى ١/٤٤٠

(٣) ــ المائدة ٧٨

فان لم يستطع فبقلبه و ذلك أضعف الايمان) (١)

و من الأحاديث التي تدل على وجوب الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر ما رواه عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : (ان أول ما دخل النقص على بني اسرائيل كان الرجل يلقى الرجل فيقول له يا هذا اتق الله و دع ما تصنع فانه لا يحل لك ثم يلقاه من الغد فلا يمنعه ذلك أن يكون أكيله و شريبه و قعيده فلما فعلوا ذلك ضرب الله قلوب بعضهم ببعض ثم قال : (لعن الذين كفروا من بني اسرائيل على لسان داوود و عيسى بن مريم)) ثم قال : والله لتأمرن بالمعروف و لتنهون عن المنكر و لتأخذن على يد الظالم و لتأطرنه على الحق أطرا) (٢)

قال صاحب بذل المجهود في شرح هذا الحديث

معنى قوله : صلى الله عليه و سلم : (أن يكون أكيله و شريبه و قعيده) أى مصاحبا له في الأكل والشرب و القعود (٣)

و من الأحاديث التي تدل على أن ترك الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر عاقبته وخيمة وأن الله سبحانه و تعالى يعم الصالح و الطالح بالعقاب اذا تركت الأمة القيام به ما رواه جرير بن عبد الله البجلي قال سمعت النبي صلى الله عليه و سلم يقول :

(ما من رجل يكون في قوم يعمل فيهم بالمعاصي يقدرون على أن يغيروا عليه فلا يغيروا الا أصابهم الله بعقاب من قبل أن يموتوا) (٤)

---

(١) — صحيح مسلم مع النووى ٢ / ٢٢ و كذلك رياض الصالحين . ١٠

(٢) — سنن أبي داوود مع بذل المجهود ١٧ / ٢٦٤

(٣) — بذل المجهود شرح سنن أبي داوود ١٧ / ٢٦٤

(٤) — سنن أبي داوود مع بذل المجهود ١٧ / ٢٦٩

و هذا الحديث يدل على أن ترك الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر يؤدى الى عقاب شامل من الله سبحانه و تعالى لجميع الأمة

و من الأحاديث التي تدل على أن ترك الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر يؤدى الى عواقب وخيمة و أنه يؤدى الى هلاك الأمة بكاملها ما رواه الصديق رضي الله عنه حيث قال بعد أن حمد الله و أثنى عليه : (يا أيها الناس انكم تقرؤون هذه الآية و تضعونها على غير مواضعها :((عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم)) قال عن خالد و انا سمعنا النبي صلى الله عليه و سلم يقول : ان الناس اذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعقاب (١)

و هذا الحديث يدل على أن ترك الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر يؤدى الى عقوبة الأمة بكاملها

و قد قال أبو ثعلبة الخشني حينما سئل عن قوله تعالى :((عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم)) قال : أما الله لقد سألت عنها خبيرا سألت عنها رسول الله صلى الله عيه و سلم فقال : ائتمروا بالمعروف و تناهوا عن المنكر حتى اذا رأيت شحا مطاعا و هوى متبعا و دنيا مؤثرة واعجاب كل ذى رأى برأيه فعليك يعني بنفسك و دع عنك العوام فان من ورائكم أيام الصبر فيه مثل قبض على الجمر للعامل فيهم مثل أجر خمسين رجلا يعملون مثل عمله و زادني غيره قال يا رسول الله أجر خمسين منهم قال أجر خمسين منكم (٢)

---

(١) — سنن أبي داوود مع بذل المجهود ١٧ / ٢٦٧

(٢) — سنن أبي داوود مع بذل المجهود ١٧ / ٢٧١

ثالثا : نبذة من أقوال العلماء تدل على أهمية القيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

لقد تحدث كثير من علماء الأمة الاسلامية قديما وحديثا عن أهمية القيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واليك نماذج من أقوالهم :

قال الامام النووى وهو يتحدث عن أهمية القيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ومقررا بأن الحياة لا يمكن أن تستقيم الا بالقيام به :

(واعلم أن هذا الباب أعني باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قد ضيع أكثره من أزمان متطاولة ولم يبق منه في هذه الازمان الا رسوم قليلة جدا وهو باب عظيم به قوام الأمر وملاكه واذا كثر الخبث عم العقاب الصالح والطالح واذا لم يأخذوا على يدى الظالم أوشك أن يعمهم الله تعالى بعقابه فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم فينبغي لطالب الآخرة والساعي في تحصيل رضا الله عز وجل أن يعتني بهذا الباب فان نفعه عظيم لا سيما وقد ذهب معظمه ويخلص نيته ولا يهابن من ينكر عليه لارتفاع مرتبته فان الله تعالى قال :((ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوى عزيز)) (١)

وقال النووى أيضا في مكان آخر : وقد تطابق على وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الكتاب والسنة واجماع الأمة وهو أيضا من النصيحة التي هي من الدين ولم يخالف في ذلك الا بعض الروافض ولا يعتد بخلافهم كما قال الامام أبو المعالي امام الحرمين لا يكترث بخلافهم في هذا فقد أجمع المسلمون عليه قبل أن ينبغ هؤلاء وجوبه بالشرع لا بالعقل خلافا للمعتزلة (٢)

---

(١) — الحج ٤٠ وأنظر الموضوع في شرح النووى على صحيح مسلم ٢ / ٢٤

(٢) — شرح النووى مع صحيح مسلم ٢ / ٢٢

و قال الشيخ عبدالكريم زيدان وهو يتحدث عن الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر :

حكمة مشروعية الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر ظاهرة واضحة جلية لأن تبليغ الدعوة الاسلامية يندرج تحت مفهوم الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر كما أن من حكمة مشروعيته توقي العذاب و استنزال رحمة الله (١)

و قال

ان الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر واجب الأمة جمعاء فكل مسلم علم بالمنكر و قدر على انكاره وجب عليه ذلك لا فرق في ذلك بين حاكم و محكوم أو عالم أو عامي قال تعالى :((كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف و تنهون عن المنكر و تؤمنون بالله)) (٢)

و قال سبحانه :((والمؤمنون و المؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف و ينهون عن المنكر)) (٣)

و كل من الخطابين للأمة عامة و كذلك أكثر نصوص السنة الخطاب فيها عام لجميع أفراد الأمة

و لكن هذه المسئولية تتأكد على صنفين من الناس و هما العلماء و الأمراء

أما العلماء فلأنهم يعرفون من شرع الله تعالى ما لا يعرفه غيرهم من الأمة و لما لهم من هيبة في النفوس و احترام في القلوب مما يجعل أمرهم و نهيهم أقرب الى الامتثال و أدعى الى القبول . . .

و أما الأمراء و الحكام فان مسئوليتهم أعظم و خطرهم ان قصروا في الأمر و النهي

---

(١) — أصول الدين للشيخ عبدالكريم زيدان ٢٦٧

(٢) — آل عمران ١١٠

(٣) — التوبة ٧١

أكبر لأن الحكام لهم ولاية و سلطان ولديهم قدرة على تنفيذ ما يأمرون به و ينهون عنه و حمل الناس على الامتثال و لا يخشى من انكارهم مفسدة لأن القوة و السلاح في أيديهم و الناس ما زالوا يحسبون حسابا لأمر الحاكم و نهيه فان قصر الحاكم في الأمر و النهي طمع أهل المعاصي و الفجور و نشطوا لنشر الشر و الفساد دون أن يراعوا حرمة أو يقدسوا شرعا و لذا كان من الصفات الأساسية للحاكم الذي يتولى الله تأييده و نصره و يثبت ملكه و يسدد خطته أن يأمر بالمعروف و ينهى عن المنكر (١)

و نختم هذه النقولات عن العلماء الأجلاء بقول الامام النووي رحمه الله فقد نقل عن العلماء عدم سقوط الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر عن المكلف فقال :

قال العلماء رضي الله عنهم : و لا يسقط عن المكلف الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر لكونه لا يفيد في ظنه بل يجب عليه فعله فان الذكرى تنفع المؤمنين ..... و قال العلماء و لا يختص الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر بأصحاب الولايات بل ذلك جائز لآحاد المسلمين ..... ثم انه انما يأمر و ينهى من كان عالما بما يأمر به و ينهى و ذلك يختلف باختلاف الشيء فان كان من الواجبات الظاهرة و المحرمات المشهورة كالصلاة و الصيام و الزنا و الخمر و نحوها فكل المسلمين علماء بها و ان كان من دقائق الأفعال و الأقوال و ما يتعلق بالاجتهاد لم يكن للعوام مدخل فيه و لا لهم انكاره بل ذلك للعلماء (٢)

---

(١) — الوافي في شرح الأربعين النووية ٢٦٣

(٢) — شرح النووي على صحيح مسلم ٢/٢٣

والخلاصة أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر له أهمية كبيرة ومكانة عظيمة في الاسلام وذلك لأن الحياة لا يمكن أن تستقيم الا اذا قامت الأمة بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ولذلك فقد أمر الله به في كتابه وحث عليه وأمر به رسوله في سنته وحث عليه حثا شديدا وحذر من تركه وأخبر بأن ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عاقبته وخيمة على الأمة بكاملها صالحها وطالحهـــا

وأما حكم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فهو فرض كفاية كالجهاد تماما فاذا قام به العدد الكافي سقط عن باقي الأمة واذا لم يقم به عدد كاف وجب على كل أحد بعينه حسب قدرته وطاقته واذا تركه الأمة بكاملها أثمت وأصبحت مستحقة لمقت الله وعذابه وغضبه . ومن هنا نقول ان كل من يسعى لتعطيل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في هذه الأمة انما يسعى لتدميرها والقضاء عليها عقديا وأخلاقيا بل وحتى في المعاملات الدنيوية وذلك لأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يتناول جميـــع شئون الحياة فاذا ترك الناس القيام به فسدت الحياة بكاملهـــا

هذا وقد دعا المتصوفة الى تعطيل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فكانـــت عاقبتهم الوقوع في الفساد بأنواعه في العقيدة والعبادة والعمل وذلك نتيجـــة اعراضهم عن القيام بهذه الوظيفة الشرعية وزعمهم بأن المريد لا يجوز له الانكار علـــى شيخه وأن الشيخ الصوفي لا يجوز الانكار عليه أيضا من أى أحد من الأمة لأنه فـوق الانكار وهذا ما سنبينه في المطلب القادم بعد هذا مباشرة ان شاء الله .

المطلب الثاني : تعطيل الصوفية للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في الحياة العامة

لقد بينا في المطلب الأول من هذا المبحث مكانة الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر في الاسلام و رأينا بأنه لا يمكن أن تستقيم الحياة الا بالقيام بالأمر بالمعروف و النهي عن المنكر وان تركهما هو سبب هلاك الأمم و دمارها و القيام بهما هو سفينة النجاة و سعادة الأمم (١)

و في هذا المطلب سنبين موقف الصوفية من الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر وذلك بايراد نماذج من الآداب التي وضعها المتصوفة للمريدين مع ذكر الحكايات و القصص التي أوردها المتصوفة أنفسهم عن مجموعة من مشائخهم الكبار بأنهم وقعوا بالفعل في المنكرات

أولا : ذكر نماذج من الآداب التي وضعها الصوفية لكي يتأدب بها المريدون

من خلال النظر في الآداب التي وضعها المتصوفة لكي يتأدب بها المريدون يتبين لنا موقف المتصوفة من الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر و اليك نماذج من هذه الآداب التي تدل دلالة واضحة على أن المتصوفة سلبوا المريد الصوفي ارادته وجعلوه كالميت يقلبه الغاسل كما يريد و حذروه من الانكار على مشائخه المتصوفة مهما وقعوا في المنكرات والا مات كافرا مرتدا

فمن مشائخ المتصوفة الذين ذكروا آداب المريد الصوفي أبو حامد الغزالي فقد قال و هو يتحدث عن الآداب التي يجب أن يتحلى بها المريد مع شيخه الصوفي اذا أراد الوصول الى ولاية الله و الفوز في الدنيا و الآخرة :

.... فكذلك المريد يحتاج الى شيخ و استاذ يقتدى به لا محالة ليهديه الى سواء السبيل فان سبيل الدين غامض و سبل الشيطان كثيرة ظاهرة فمن لم يكن له

---

(١) — انظر ص ٩٤ — ٩٦٣

شيخ قاده الشيطان الى طرقه لا محالة .... فمعتصم المريد بعد تقديم الشروط المذكورة شيخه فليتمسك به تمسك الأعمى على شاطيء البحر بالقائد بحيث يفوض أمره اليه بالكلية ولا يخالفه في ورده ولا صدره ولا يبقى في متابعته شيئا ولا يذر وليعلم أن نفعه في خطأ شيخه لو أخطأ أكثر من نفعه في صواب نفسه (أى شيخه) أن يحميه ويعصمه بحصن حصين (١)

ففي كلام الغزالي السابق يتضح لنا بأن المتصوفة أمروا المريدين أن يقلدوا مشائخهم تقليد الأعمى الذى لا يبصر بمعنى أن المريد عليه أن يلقي عقله جانبا ويكون كالبهيمة التي لا تعقل يقودها الزعيم الصوفي حيث شاء وكما هو واضح في كلام الغزالي فان على المريد أن يتابع شيخه ويقتدى به في كل ما يفعله حتى ولو أخطأ الشيخ لأن الخير كل الخير للمريد هو متابعته لشيخه حتى ولو فعل هذا الشيخ شيئا محرما في الشريعة والخطر كل الخطر في مخالفته ونحن هنا نقول ان المتصوفة عطلوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذى لا يمكن أن تصلح الأمة الا به مما كان له الأثر الكبير في انتشار ارتكاب الفواحش في المشاهد والمناسبات الصوفية المنتشرة في العالم الاسلامي على امتداده الواسع الا المملكة العربية السعودية التي طهرها الله بدعوة التوحيد التي قضت على هذه الاعتقادات الفاسدة وأقامت مقامها التوحيد الخالص والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

ومن كبار المتصوفة الذين تكلموا عن آداب المريد عند الصوفية أبو القاسم القشيرى فقد قال وهو يتحدث عن الآداب التي يجب أن يتحلى بها المريد الصوفي الذي يريد أن يصل الى مقام الولاية الصوفية :

---

(١) — احياء علوم الدين للغزالى ٣ / وأنظر كذلك في آداب المريد عند الصوفية كتاب أبي البركات سيدى أحمد الدردير لعبدالحليم محمود ١١٩

ثم يجب على المريد أن يتأدب بشيخ فان لم يكن له أستاذ لا يفلح أبدا هـــذا أبو يزيد يقول :(من لم يكن له استاذ فامامه الشيطان) و سمعت الاستاذ أبا علـي الدقاق يقول :(الشجرة اذا نبتت من غير غارس فانها تورق و لكن لا تثمر كذلك المريد اذا لم يكن له استاذ يأخذ منه طريقته نفسا نفسا فهو عابد هواه و لا يجد نفاذا (١)

في كلام أبي القاسم القشيرى نلاحظ أنه يشترط اتخاذ الشيخ لأجل أخذ الطريقـة الصوفية منه و أنه لا يمكن أن يصل المريد الى الولاية الصوفية الا على يد شيخ صوفـي و هذا كلام باطل لا أساس له من الصحة و ذلك لأنه ليس عندنا في الاسلام طرق معترف بها توصل الى ولاية الله الا طريقة واحدة ألا و هو اتباع الكتاب و السنة فقط أما الطرق الأخرى المنتشرة في العالم الاسلامي الواسع فانها كلها طرق ضالة لا توصل من يعتنقها الا الـــى الضـــلال المبيـــــن

و كما هو واضح في كلام القشيرى فان الصوفية لا يعنون باشتراط اتخاذ الشيخ لكـي يتعلموا منه الكتاب و السنة و انما يشترطونه لكي يتعلموا منه الخرافات و يرشدهم الـــى كيفية اعتناق الطرق الصوفية

و الا فلسنا نحن ضد التعلم على أيدى الشيوخ الذين يعرفون علم الكتاب و السنة بل نقول لابد من الدراسة تحت الشيوخ حتى يفهم الانسان النصوص فهما صحيحـــا ،

و يقول أبو القاسم القشيرى و هو يتحدث عن الآداب التي يجب أن يتحلى بها المريد نحو شيخه :

شروط الاتباع موافقة المتبوع و أن لا يتفرقوا فيصيروا أحزابا كما قال سبحانه :

((تحسبهم جميعا و قلوبهم شتى)) (٢) و العلماء ورثة الأنبياء و المريدون

---

(١) ــ الرسالة القشيرية ٢ / ٧٣٥ (٢) ــ الحشر ١٤

لشيوخهم كالأمة لنبيهم فشرط المريد أن لا يتنفس بنفس الا باذن شيخه و من خالف شيخه في نفس سرا و جهرا فانه يرى غبه سريعا في غير ما يحبه و مخالفة الشيوخ فيما يسترونه عنهم أشد مما يظهر بالجهر بكثير لأن هذا يلحق بالخيانة و من خالف شيخه لا يشم رائحة الصدق فان بدر منه شيء من ذلك فعليه بسرعة الاعتذار و الافصاح عما حصل منه من المخالفة و الخيانة ليهديه شيخه الى ما فيه كفارة جرمه و يلتزم في الغرامة بما يحكم به عليه

و اذا رجع المريد الى شيخه بالصدق وجب على شيخه جبران تقصيره بهمته فان المريدين عيال على الشيوخ فرض عليهم أن ينفقوا عليهم من قوة أحوالهم بما يكون جبرانا لتقصيرهم (١)

اذا نظرنا في كلام أبي القاسم القشيرى نرى أن المبالغة الزائدة في تعظيم الشيوخ و الدعوة الى طاعتهم طاعة عمياء مطلقة و التحذير من مخالفتهم واضحة تماما و كما هو واضح أمامنا لم يقيد طاعة المشائخ بطاعتهم فيما يوافق الشرع و انما أطلقها و من هنا نستنتج بأنه يدعو الى طاعتهم طاعة عمياء خالية عن الانكار بأى شكل من الأشكال و هذا هو تعطيل الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر و ذلك لأن المشائخ كغيرهم معرضون للوقوع في ارتكاب المنكرات لأنهم ليسوا بمعصومين ،

و من المتصوفة الذين تحدثوا عن الآداب التي يجب أن يتحلى بها المريد مع شيخه محي الدين بن عربي الزعيم الصوفي المعروف فقد قال و هو يقرر الآداب التي يجب على المريد أن يتأدب بها نحو شيخه :

---

(١) ـ لطائف الاشارات لأبي القاسم القشيرى ٤/٢٩٦ و أنظر كذلك في آداب المريد عند الصوفية نعت البدايات لماء العينين ٥
و أنظر كذلك السير و السلوك لمحمد يوسف المرزوقي ٥٠

ما حرمة الشيخ الا حرمة الله فقم بها أد بالله بالله

هم الأدلاء والقرباء تؤيدهم على الدلالة تأييدا على الله

كالأنبياء تراهم في محاربهم لا يسألون من الله سوى الله

فاذا بدا منهم حال تؤلههم عن الشريعة فاتركهم مع الله (١)

ففي كلام محي الدين ابن عربي نرى أنه اعتبر حرمة الشيخ كحرمة الله سبحانه وتعالى ومعنى ذلك أنه ينبغي أن يطاع في كل ما يأمر به حتى ولو أمر بمعصية وينبغي أن لا ينهى الشيخ حتى ولو ارتكب المعصية لأنه ما دام المتصوفة يعتبرون حرمة الشيخ كحرمة الله فالله سبحانه وتعالى لا يسأل عما يفعل بل هو فعال لما يريد فكذلك الشيخ لا يسأل عما يفعل

وقد شبه ابن عربي مشائخ المتصوفة بالأنبياء ومعنى ذلك أنهم لا ينكر عليهم لأنهم لا يقعون في شيء محظور بل هم معصومون كالأنبياء وفي البيت الأخير حذر ابن عربي من الانكار على المشائخ اذا وقعوا في فعل شيء منكر تنكره الشريعة الاسلامية لأنهم دائما مع الله يتلقون منه الأوامر والنواهي كما سبق لنا ذلك في اعتقادات المتصوفة تجاه الأولياء في الباب الثالث وهذا هو تعطيل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بعينه

ومن المتصوفة الذين تكلموا عن الآداب التي يجب أن يتحلى بها المريد تجاه شيخه أبي يزيد البسطامي فقد دعا هذا الشيخ الصوفي الى أن يطيع المريد شيخه طاعة عمياء بحيث لا ينكر عليه منكرا بل حتى لو أمره بفعل المنكر فعليه أن ينفذ أوامره بلا توقف ولا استفسار واليك كلامه الذي يدل على هذا فقد قال :

---

(١) — الفتوحات المكية لابن عربي أول باب ١٨١ وأنظر كذلك في آداب المريد كتاب النفحات الأحمدية لعبده حسن راشد المشهدي الفخاجي ٧٥ وكذلك تحفة السالكين لمحمد المنير ٦٥—٧٦

اذا أمر الأستاذ التلميذ أمرا من أمور الدنيا و بعثه في اصلاحه فيقيم مؤذن في بعض طرقاته على مسجد من المساجد فيقول أدخل أولا المسجد و أصلي ثم أكون وراء ما بعثني اليه فقد وقع في بئر لا يتبين أسفلها يعني ليس لها قعر (١)

اذا نظرنا في كلام أبي يزيد البسطامي نرى أنه دعا الى تقديم طاعة الشيخ على طاعة الله و هذا أمر منكر لا يجوز فان طاعة الله و رسوله مقدمة على طاعة أي أحد مهما كانت مكانته ثم ان دعوة أبو يزيد للمريد السير للحصول على غرض من أغراض الدنيا الذى أرسله اليه شيخه و الصلاة تقام منكر عظيم و الذى يهمنا من ايراد هذا الكلام عن أبي يزيد هو أن المتصوفة يرون بأن طاعة الشيوخ فوق كل شيء حتى و ان أدت هذه الطاعة الى مخالفة أوامر الله و أمر رسوله و هذا منكر عظيم وقعوا فيه بسبب غلوهم في تقديس مشائخهم

و من المتصوفة الذين تكلموا عن أداب المريد ابراهيم الدسوقي فقد قال و هو يتحدث عن الآداب التي ينبغي أن يتحلى بها المريد الصوفي اذا أراد الوصول الى الولاية الصوفية

(. . . . . و كذلك ينبغي للمريد أن يحذر من تأويل كلام شيخه عن ظاهره اذا أمره بأمر بل يبادر الى فعل ذلك من غير تأويل)(٢)

في كلام ابراهيم الدسوقي السابق نرى أنه دعا الى طاعة المريد للشيخ طاعة مطلقة عمياء و تنفيذ ما يأمره به سواء كان المأمور به طاعة أو معصية الله لأنه أطلق الأمر و لم يقيده بطاعة الشيخ اذا أمر بمعروف و عدم طاعته اذا أمر بمنكر و هذا تعطيل

---

(١) — شطحات الصوفية لعبد الرحمن بدوى ١٨٢ و أنظر كذلك في آداب المريد عند الصوفية كتاب تحفة أهل الفتوحات و الأذواق لفتح الله بن أبي بكر النباتي ٨٦—٦٠

(٢) — الأنوار القدسية للشعراني ٢/٩٧

للأمر بالمعروف والنهي عن المنكـــــر

ومن الذين تكلموا عن الآداب التي يجب أن يتحلى بها المريد يوسف العجمـــي فقد قال وهو يتحدث عنها :

من آداب المريد أن يقف عند كلام شيخه ولا يتأوله وليفعل ما أمره به شيخه وان ظهر ان شيخه أخطـــأ (١)

في كلام يوسف العجمي السابق نلاحظ أنه أمر المريد أن يطيع شيخه طاعة مطلقة وينفذ أوامره التي يأمره بها حتى وان ظهر للمريد أن كلام الشيخ هذا خطأ لأن المتصوفة يعتقدون بأن مشائخهم فوق الانكار عليهم فلا يؤمرون بمعروف ولا ينهـــون عن المنكر وهذا تعطيل للأمر بالمعروف والنهي عن المنكـــــــر

ومن المتصوفة الذين تكلموا عن الآداب التي يجب أن يتحلى بها المريد الصوفـي علي المرصفي(٢) فقد قال وهو يتحدث عنها .... وان قال قائل للمريد ان كـــلام شيخه معارض لكلام العلماء أو دليلهم فعليه الرجوع الى كلام شيخه .... واذا خرج المريد عن حكم شيخه وقدح فيه فلا يجوز لأحد تصديقه انه في حالة تهمة الارتداد عن طريـــق شيخـــه (٣)

---

(١) ـ الأنوار القدسية للشعراني ٢/٣٦

وأنظر كذلك في أن الصوفية يدعون الى طاعة الشيخ طاعة عمياء كتاب منتخب التصوف للشيخ ملا العينين محمد الفاضلي ٤

(٢) ـ هو علي نور الدين المرصفي أنظر ترجمته في طبقات الشعراني الكبرى ٢/١٢٧

(٣) ـ الطبقات الكبرى للشعراني ٢/١٢٨

وأنظر كذلك في آداب المريد كتاب الرد على بعض المبتدعة لمحمد الطيـــب بن عبد المجيد بن عبد السلام ٦٦

في كلام المرصفي السابق نرى أنه أمر المريد العمل بما يقوله شيخه فقط حتى وان كان كلام شيخه مخالف للأدلة الشرعية وأقوال العلماء الآخرين و أنه لا يجوز أن يقدح في كلام شيخه حتى وان كان باطلا لأن هذا يؤدى في النهاية الى الردة عن طريق شيخه الذى لا يمكن أن يصل الى الولاية الصوفية الا عن طريقه حسب زعمهم .

و من المتصوفة الذين تكلموا عن آداب المريد عند الصوفية سراج الدين الرفاعي الصيادى و يشاركه أبو الهدى الصيادى الرفاعي

فقد قالا و هما يتحدثان عن آداب المريد عند الصوفية :

و من آداب المريد اللازمة : أولا حفظ قلب شيخه و مراعاته في الغيبة و الحضور ..... و التواضع له و لذريته و أقاربه و ثبوت القدم على خدمته و أوامره كليها و جزئيها و ربط القلب به و استحضار شخصه في قلبه في جميع المهمات و استمداد همته و الفناء فيه و أن يكون ملازما له لا يفترعنه طرفة عين و لا ينكر عليه ما ظهر منه من صفة عيب فلربما يظهر من الشيخ ما لا يعلمه المريد .... كما وقع لبعضهم انه دخل على شيخه فرأى عنده امرأة جميلة يلاعبها و يعانقها و يجامعها فخرج منكرا على شيخه فأخذ منه حالا جميع ما استفاده من شيخه (١)

كلام الرفاعيين السابق كله فيه غلو زائد في الشيوخ كما هو واضح أمامنا و قد دعيا في كلامهما الى عدم انكار المريد على شيخه حتى وان فعل شيئا معيبا في الشريعة الاسلامية و هذا تعطيل للأمر بالمعروف و النهي عن المنكر

---

(١) — قلادة الجواهر للصيادى ٢٧٨

و أنظر في آداب المريد عند الصوفية كتاب المنهل الروى الرائق لمحمد بن علي السنوسى ٧٠

و من المتصوفة الذين تكلموا عن الآداب التي يجب أن يتحلى بها المريد محمد أمين الكردى النقشبندى فقد قال و هو يتحدث عن هذه الآداب :

. . . . و منها أن لا يعترض عليه — أى على شيخه — فيما فعله و لو كان ظاهره حراما و لا يقول لم فعل كذا لأن من قال لشيخه لم لا يفلح أبدا فقد تصدر من الشيخ صورة مذمومة في الظاهر و هي محمودة في الباطن (١)

في الكلام السابق دعا محمد أمين الكردى كما هو واضح أمامنا الى عدم الانكار على الشيخ الصوفي حتى و ان ارتكب شيئا محرما و هذا تعطيل للأمر بالمعروف و النهي عن المنكر

و يقول أبو القاسم القشيرى في رسالته في باب حفظ قلوب المشائخ و هو يتحدث عن الآداب التي ينبغي أن يتحلى بها المريد نحو شيخه :

(و ترك الخلاف عليهم : سمعت الشيخ عبدالرحمن السلمي يقول ان شقيقا البلخي و أبا تراب النخشبي قدما على أبي يزيد البسطامي فقدمت السفرة و شاب يخدم أبا يزيد فقال له كن معنا يا فتى فقال أنا صائم ثم قال أبو تراب كل و لك أجر صوم فأبى فقال شقيق كل و لك أجر صوم سنة فأبى فقال أبو يزيد : دعوا من سقط من عين الله تعالى فأخذ ذلك الشاب في السرقة بعد سنة فقطعت يده (٢)

في الكلام السابق الذى أورده أبو القاسم القشيرى نرى أن أولئك المشائخ الثلاثة المذكورة أسماءهم في الكلام السابق أمروا المريد بالمعصية و هو أن يفطر فرفض ذلك المريد إستجابة للمشائخ و أصر على معصيتهم تقديما لطاعة الله على طاعتهم و ذلك

---

(١) — تنوير القلوب ٥٢٨

(٢) — الرسالة القشيرية ٢ / ٦٣٥

انطلاقا من (لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق) وقد ذكر في نفس الكلام السابق بأن هذا المريد بسبب عصيانه للمشائخ قطعت يده

ومن هذا الكلام نخرج بخلاصة وهي أن المتصوفة يعتبرون طاعة المشائخ فوق طاعة الله وانه لا يجوز أن يخالف لهم أمر حتى ولو أمروا بمعصية الله وهذا غلو زائد وتعطيل للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

ومن المتصوفة الذين تحدثوا عن آداب المريد مع شيخه الشيخ عبدالقادر الجيلاني فقد قال وهو يتحدث عن الآداب التي ينبغي أن يتحلى بها المريد مع شيخه :

(وأما آدابه — أي المريد — مع الشيخ فالواجب عليه ترك مخالفة شيخه في الظاهر وترك الاعتراض عليه في الباطن فصاحب العصيان بظاهره تارك لأدبه وصاحب الاعتراض بسره متعرض لعطبه بل يكون خصما على نفسه لشيخه أبدا يكف نفسه ويزجرها عن مخالفته ظاهرا وباطنا (١)

ويقول الجيلاني أيضا لأحد مريديه : ان لم تفلح على يدى لا فلاح لك قط (٢)

في كلام الشيخ عبدالقادر الجيلاني دعوته الى الغلو الزائد في طاعة المشائخ واضحة جدا وقد دعا الى عدم الاعتراض عليهم نهائيا مهما فعلوا وطاعتهم في الظاهر والباطن

ثم قال لمريده بأنه لا فلاح له ان لم يفلح على يده وهذا ادعاء للغيب والدعوة الى طاعة المشائخ طاعة مطلقة غير مقيدة كما هي هنا في كلام الشيخ تؤدى الى تعطيل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في النهاية ولذا لا ينبغي المبالغة والغلو في المشائخ

---

(١) — الغنية للشيخ عبدالقادر الجيلاني ٢/١٦٤

(٢) — الفتح الرباني للجيلاني ٣٧١

و نقل علي برادة التيجاني عن الامام الشربيني أنه قال في الآداب التي يجب أن يتحلى بها المريد مع شيخه :

و لا تعد من قبل اعتقادك انه ... مرب و لا أولى بها منه في العصر

فان رقيب الالتفات لغيره ... يقول لمحبوب السراية لا تسر

و ان تسم نحو الفقر نفسك فاطرح ... هواها و جانبه مجانبة الشر

و ضعها بحجر الشيخ طفلا فما لها ... خروج بلا فطم عن الحجر و الحجر

و من لم يكن سلب الارادة وصفه ... فلا يطعمن في شم رائحة الفقر

و لا تعترض يوما عليه فانه ... كفيل يتشتت المريد على هجر

و من يعترض و العلم عنه بمعزل ... يرى النقص في عين الكمال و مايدرى

و من لم يوافق شيخه في اعتقاده ... يظل من الانكار في لهب الجمر

فذوا العقل لا يرضى سواه و ان نأى ... عن الحق نائي الليل عن واضح الفجر

و لا تعرفن في حضرة الشيخ غيره ... و لا تملأن عينا من النظر الشزر

و لا تنطقن يوما لديه فان دعا ... اليه فلا تعدل عن الحكم النزر

و لا ترفعوا أصواتكم فوق صوته ... و لا تجهروا جهر الذى هو في قفر

. . . . الى أن قال

و سجادة الصوفي بيت مسكونة ... و لا وكرا الا أن يطير عن الوكر

و فر اليه في المهمات كلها ... فانك تلقى النصر في ذلك السفر

و لا تك ممن يحسن الفعل عنده ... فيفسد الا أن يفر الى السكر (١)

اذا نظرنا في الأبيات السابقة نرى فيها الغلو الزائد في المشائخ و رفعهم فوق

---

(١) — جواهر المعاني لعلي برادة ١٣٤/١

منزلتهم حيث دعا الشربيني المريدين الى عدم الاعتراض على المشائخ مهما فعلـــوا وأنه يجب موافقة المريد للشيخ فيما يعتقده اذا أراد السلامة والنجاة من النـــــار ثم دعا الشربيني للمريدين الى عدم رفع أصواتهم فوق أصوات مشائخهم وأخيرا أمر الشربيني المريدين أن يفروا في جميع المهمات الى المشائخ فانهم سيجدون النصر عندهم وهذا شرك محض

والحاصل أن النص يحتوى على محاذير كثيرة ومن أهم هذه المحاذير

١ــ الدعوة الى تعطيل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

٢ــ الدعوة الى اللجوء الى المشائخ في جميع المهمات وهذا شرك

٣ــ الزعم بأن المشائخ عند الصوفية كالرسول تماما ولذا لا يجوز رفع الصوت عندهـــم كما لا يجوز رفع الصوت عند الرسول .

ومن المتصوفة الذين تكلموا عن آداب المريد عند الصوفية الشيخ علي حرازم التيجاني فقد قال وهو يتحدث عن هذه الآداب :

ومن شرط المريد أن لا يرد على الشيخ كلامه ولو كان الحق بيد المريد فان الشيخ انما يقول ما فيه مصلحته فليقف عند قوله ولا ينازعه ولا يجادله ولا يماريه ومـــن وقع في شيء من ذلك أو خطر له نزاع في خاطره فالنزاع وان كان في نفسه هو عيـــن الاعتراض والاعتراض على الشيوخ حرام على المريدين وقوعه فهذا مريد مسخر للشياطين ساع في هوى نفسه سوءته مكشوفة عند سادات أهل طريق الله تعالى

ومن شرط المريد اذا وجهه شيخه في أمر أن يمضي لأمره من غير تأويل ولا توقف ولا يصرفه عنه صارف حتى قال بعض المشايخ لبعض المريدين أرأيت لو وجهك شيخـــك في أمر فمررت بمسجد تقام فيه الصلاة فما تصنع فقال : أمض لأمر الشيخ ولا أصلي حتى

أرجع اليه فقال له أحسنت

و منها ملازمة الورد الذى رتبه فان مدد الشيخ في ورده الذى رتبه فمن تخلف عنه فقد حرم المدد و هيهات أن يصح في الطريق و منها أن لا يتجسس على أحوال الشيخ من عبادة أو عادة فان في ذلك هلاكه و الله أعلم

و من شرط المريد أن يكون بين يدى الشيخ كالميت بين يدى الغاسل ان غسل عضوا من أعضائه قبل عضو آخر أو حركة أو تصرف فيه كيف يشاء بما يرى من المصلحة فلا يخطر عليه خاطر اعتراض و لو عاينه قد خالف الشريعة فان الانسان ليس بمعصوم و لا يجلس بين يديه الا ستوفرا كجلوس العبد بين يدى سيده (١)

في كلام حرازم السابق نرى الغلو الزائد في المشائخ حيث دعا المريدين الى عدم الرد على المشايخ حتى و لو كان الشيخ على باطل واضح و ذكر أيضا بأن مجرد الاعتراض على الشيوخ حرام و أن المريد الذى يعترض على شيخه و هو يراه يرتكب شيئا محرما انما هو مريد سلط عليه الشيطان

ثم دعا المريدين أيضا الى تقديم طاعة المشائخ على طاعة الله و دعاه أيضا أن يلقي عقله و شخصيته نهائيا و يصبح كالميت الذى يقلبه الغاسل كيف شاء و أنه لا يجوز للمريد أن يخطر على باله خاطر اعتراض حتى ولو رأى من شيخه شيئا محرما مخالفا للشريعة الاسلامية و هذا كله دعوة الى تعطيل الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر

و نقل على حرازم عن شيخه التيجاني أنه قال في آداب المريد :

آداب المريد في حق الشيخ كثيرة و أوجبها تعظيمه و توقيره ظاهرا و باطنا و عدم الاعتراض عليه في شيء فعله و لو كان ظاهره حراما و يؤول ما انبهم عليه و تقدبمه

---

(١) رماح حزب الرحيم لعلي حرازم ١/١٣٣

على غيره وعدم الالتجاء لغيره من الصالحين ومنها أن لا يقعد وشيخه واقف ولا ينام بحضرته الا باذنه في محل الضرورات ككونه معه في مكان واحد وأن لا يكثر الكلام بحضرته ولو باسطه ولا يجلس على سجادته ولا يسبح بسبحته ولا يجلس في المكان المعد له ولا يلج عليه في أمر ولا يسافر ولا يتزوج ولا يفعل فعلا من الأمور المهمة الا باذنه .... ومنها أن يحفظه في غيبته ويحفظه في حضوره وان يلاحظ بقلبه في جميع أحواله سفرا وحضرا لتعمه بركته من كان الشيخ يكرهه ومن طرده الشيخ عنه وبالجملة يجب أن يحب من أحب الشيخ ويكره من يكرهه ومنها أن يرى كل بركة حصلت له من بركات الدنيا والآخرة فببركته ..... ومنها أن يحمل كلامه على ظاهره فيمتثله الا لقرينة صارفة عن ارادة الظاهر فاذا قال له اقرأ كذا أو صل كذا أو صم كذا وجب عليه المبادرة وكذا اذا قال له وهو صائم أفطر وجب الفطر ومنها ملازمة الورد الذى رتبه الشيخ فان مدد الشيخ في ورده الذى رتبه فمن تخلف عنه فقد حرم المدد وهيهات أن يصح في الطريق (١)

في كلام التيجاني السابق نرى الأمور الآتية واضحة فيه كل الوضوح وهي :

١ــ الدعوة الى عدم الاعتراض على الشيخ حتى ولو فعل شيئا محرما وهذا تعطيل للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

٢ــ ثانيا الدعوة الى اللجوء الى الشيخ وهذا شرك

٣ــ الدعوة الى مراقبة الشيخ دائما في كل الشئون وهذا شرك بالله لأنه منه رفع الشيخ الى مرتبة الربوبية والألوهية

٤ــ الدعوة الى الاعتقاد بأن كل الخيرات التي يحصل عليها المريد من شيخه وهذه

---

(١)ــ رماح حزب الرحيم لعلي حرازم ١/١٣٣

دعوة الى الشرك بالله غيره

٥ــ الدعوة الى طاعة الشيخ طاعة مطلقة حتى ولو أمر بشيء منكر كالافطار من الصوم وترك الصلاة وهذه دعوة الى تقديم طاعة الشيخ على طاعة الله

وكل هذه الأمور منكرات عظيمة كل منها كافية لاخراج الانسان من الاسلام نهائيا فما بالك لو التزم بها المريد الصوفي كلها فانه حتما سينسلخ من الاسلام نهائيا

ويقول التيجاني وهو يتحدث عن الآداب التي يجب أن يتحلى بها المريد الصوفي تجاه شيخـــه :

ومن أكبر الشروط الجامعة بين الشيخ ومريده أن لا يشرك في محبته غيره ولا في تعظيمه ولا في الاستمداد منه ولا في الانقطاع اليه ويتأمل ذلك في شريعة نبيـــه صلى الله عليه وسلم فان من سوى رتبة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم برتبة غيره من النبيين والمرسلين في المحبة والتعظيم والاستمداد والانقطاع اليه بالقلب والتشريع فهو عنوان على أن يموت كافرا الا أن تدركه عناية الله ثم قال فاذا عرفت هذا فليكن المريد مع شيخه كما هو مع نبيه صلى الله عليه وسلم في التعظيم والمحبة والاستمداد والانقطاع اليه بالقلب فلا يعادل به غيره في هذه الأمور ولا يشرك غيره به (١)

في هذا النص دعا التيجاني المريد الصوفي الى أن يفرد شيخه ويوحده بالمحبة والتعظيم والتوقير بحيث لا يساوى غيره به أحدا في هذه الدنيا وعليه أن يكون مع شيخه كما يكون مع نبيه وهذا غلو زائد وادعاء من التيجاني بأن مرتبة الشيخ مساوية لمرتبة الرسول صلى الله عليه وسلم وما دامت مساوية للرسول فللولي الصوفي أن يفعل كل ما يريد ولا يجوز الاعتراض عليه وسؤاله والانكار عليه لأنه كالرسول تماما

---

(١)ــ رماح حزب الرحيم لعلي حرازم ١/١٢٦

لا يفعل الا المعروف أما المنكر فمعصوم منه و هذ ادعاء باطل و كذب صريح من التيجاني و الا فلا يجوز أن يكون الانسان مع شيخه كما يكون مع نبيه لأن شيخه معرض للخطأ و الصواب مهما علت مكانته فيؤمر بمعروف و ينهى عن المنكر و لم يقل التيجاني هذه المقولة الا لتعطيل الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر الذى أمر الله به في كتابه و رسوله في سنته و حث عليه علماء الأمة الاسلامية قديما و حديثا

و يقول أبو الهدى الرفاعي و هو يتحدث عن الآداب التي يجب أن يتحلى بها المريد مع شيخه :

١ــ تعظيم الشيخ المرشد و توقيره ظاهرا و باطنا

٢ــ عدم الاعتراض عليه في شيء و لو كان ظاهره حراما

٣ــ يؤول ما انبهم عليه من فعل الشيخ

٤ــ لا يلتجيء لغيره من الصالحين

٥ــ لا يقعد و شيخه واقف

٦ــ لا ينام بحضرة الشيخ الا باذنه

٧ــ لا يمش أمامه و لا يساويه في مشيه الا بليل مظلم ليكون أمامه صونا له

٨ــ التواضع للشيخ و لذريته و أقاربه

٩ــ ثبوت القدم على خدمته و أوامره جزئيها و كليها

١٠ــ يستحضر شخص شيخه في قلبه أثناء الذكر و يجعله بين عينيه قبل الذكر فان شيخه هو باب الدخول على الله و منه يستمد الهمة و يكون الشيخ عنده كالقبلة فبذلك يمد له نور من قبر الشيخ الرفاعي

١١ــ يستقبل عند الذكر جهة مرقد السيد الرفاعي ثم جهة المدينة المنورة

١٢ــ يكون ملازما له و لا يفتر عنه و لا طرفة عين

١٣ــ يقف كالميت لا يتحول عن باب شيخه (١)

في هذه الآداب التي ذكرها أبو الهدى الرفاعي نرى :

١ــ الدعوة الى عدم الاعتراض على الشيخ و عدم الانكار عليه حتى و لو رأى المريد شيخه يفعل شيئا محرما و هذه دعوة الى تعطيل الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر

٢ــ الدعوة الى الالتجاء الى الشيخ و هذه دعوة الى الشرك فان الالتجاء لا يكون الا الى الله سبحانه و تعالى

٣ــ الدعوة الى عبادة الشيخ من دون الله و الادعاء بأنه لا يمكن أن يصل أى انسان الى مرضاة الله الا عن طريق الشيخ و الأمر بأن يتخذ المريد شيخه قبلة فيتجه اليه أثناء الذكر من أجل أن يمد له نور من قبر الشيخ المؤسس للطريقة

٤ــ الوقوف باستمرار قدر الامكان أمام قبر الشيخ و عدم التحول عنه و هذه دعوة الى عبادة الشيخ و هو شرك بالله سبحانه و تعالى

و قد ذكر علي حرازم بأن عدم الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر طريق من الطرق الموصلة الى ولاية الله سبحانه و تعالى

فقال : سمعت من الشيخ التيجاني رضي الله عنه يقول كان بعض من أراد الله رحمته في الماضين يحب الصالحين فألقى الله في قلبه ان خرج من ماله فباعه و جمع ثمنه فذهب لبعض من اشتهر عند الناس بالصلاح و كانت تقصده الوفود من النواحي فذهب اليه هذا المرحوم بجملة ماله حتى بلغ بلده فسأل عن داره فدل عليها فدق الباب فخرجت الخادمة فقالت ما اسمك فقال عبد العلي و كان الشيخ المشهور بالولاية من

---

(١)ــ قلادة الجواهر للصيادى ١٧٨

العصاة المسرفين على نفوسهم و كان له نديم يتعاطى معه الشراب و غيره اسمه عبدالعلي فوافق اسمه اسم هذا المرحوم فذهبت الجارية فقالت للشيخ اسم هذا الذى دق الباب عبدالعلي فقال و ظن انه نديمه ائذن له فدخل على الشيخ فوجد الشراب بين يديه و امرأة فاجرة معه و رزقه الله تعالى الغفلة عن ذلك كله فتقدم اليه فقال يا سيدى سمعت بك من بلادى و جئتك قاصدا لتدلني على الله عز و جل و هذا مالي أتيتك به لله تعالى فقال له الشيخ يتقبل الله منكم ثم أمر الجارية أن تدفع له رغيفا فأخذه و أعطاه الفأس و أمره بالخدمة في بستان عينه له فذهب ذلك المرحوم من ساعته و نفسه مطمئنة و قلبه مسرور بقبول الشيخ له فذهب فرحا للخدمة و قد لقى نصبا من سفره للشيخ و ما استراح حتى بلغ البستان و جعل يخدم بفرح و نشاط و سرور فكان من قدر الله عز و جل و حسن جميله بذلك المرحوم أن صادف مجيئه للشيخ الكذاب المسرف وفاة رجل من أكابر العارفين و كان من أهل الديوان فحضر وفاته الغوث و الأقطاب السبعة فقالوا له يا سيدى فلان كم مرة نحن نقول لك اهبط الى مدينة من مدن الاسلام فعسى أن تلقى من يرثك في سرك و لم تساعدنا فالآن حانت وفاتك فيضيع سرك و تبقى بلا وارث فقال لهم يا سادتي قد ساق الله الي من يرثني و أنا في موضعي فقالوا له و من هو فقال عبدالعلي الذى وفد على فلان المبطل فانظروا الى حسن سريرته مع الله عز و جل و الى تمام صدقه و رسوخ خاطره و نفوذ عزمه و صلابة جزمه فان من رأى ما رأى و لم يتزلزل له خاطر و لم يتحرك له وسواس فهل سمعتم بمثل هذا الصفاء الذى في ذاته أفتوافقون على ارثه فقالوا نعم فخرجت روح الولي و اتصل سيدى عبدالعلي بالسر و أثابه الله عز وجل على حسن نيته فوقع له الفتح و علم من أين جائته الرحمة و أن الشيخ الذى وفد عليه مسرف كذاب و أن الله تعالى رحمه

بسبب نيته لا غير والله الموفق (١)

والشاهد من ايراد هذه القصة التي حكاها لنا علي حرازم عن شيخه التيجاني هو زعمه بأن هذا الرجل ذهب باحثا عن شيخ ولي صوفي لكي يربيه وأنه دخل على الشيخ المسرف ووجد معه امرأة فاجرة ولم ينكر عليه وكان عدم انكاره هذا المنكر على شيخه سببا من أسباب وصوله الى الولاية الصوفية وهذه دعوة صريحة من التيجاني الى تعطيل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لأنه ذكر في هذه القصة بأن ترك هذا الرجل للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر سبب ولايته وهي ولا شك من تأليف التيجاني ولا يهمنا نحن أن تكون هذه الحكاية حاصلة أم لم تحصل وانما الذى يهمنا من ايرادها هو أن الصوفية لا يرون القيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

وذكر علي حرازم حكاية أخرى عن شيخه التيجاني بأن ذكر أن أحد المشائخ أراد أن يختبر مريده فأمره بقتل أبيه فذهب وقتله واليك نص القصة

قال حرازم : ومنها ما سمعته من الشيخ رضي الله عنه قال : كان لبعض المشائخ مريد صادق فأراد أن يمتحن صدقه يوما فقال له مرة يا فلان أتحبني قال نعم يا سيدى قال له من تحب أكثر أنا أو أباك فقال أنت يا سيدى فقال أفرأيت ان أمرتك أن تأتيني برأس أبيك أتطيعني قال يا سيدى فكيف لا أطيعك ولكن الساعة ترى فذهب من حينه وكان ذلك بعد أن رقد الناس فتسور جدار دارهم وعلا فوق السطح ثم دخل على أبيه وأمه في منزلهما فوجد أباه يقضي حاجته من أمه فلم يمهله حتى يفرغ من حاجته ولكن برك عليه وهو فوق أمه فقطع رأسه وأتى به للشيخ وطرحه بين يديه فقال له ويحك أتيتني برأس أبيك فقال يا سيدى نعم هو هذا فقال له ويحك انما كنت مازحا

---

(١) — رماح حزب الرحيم لعلي حرازم ١ / د ١١ بهامش جواهر المعاني

فقال له المريد أما أنا فكل كلامك عندى لا هزل فيه فقال له الشيخ رضي الله عنه انظر هل هو رأس أبيك فنظر المريد فاذا هو ليس برأس أبيه فقال له الشيخ رأس من هو فقال له رأس فلان العلج قال و كان أهل مدينتهم يتخذون العلوج كثيرا بمنزلة العبيد السودانيين قال و كان أبوه غائبا تلك الليلة فخانته زوجته في الفراش و وعدت علجا كافرا و مكنته من نفسها و كشف الشيخ رضي الله عنه بذلك فأرسل المريد ليقتله على الصفة السابقة ليمتحن صدقه فعلم أنه جبل من الجبال فكان وارث سره و المتولي بعده على فتحه و الله تعالى الموفق (١)

و ذكر علي حرازم أيضا عن التيجاني أنه قال : كان لبعض العارفين بالله عز و جل مريد صادق و كان هو وارث سره فأشهده الله تعالى من شيخه أمور كثيرة منكرة و مع ذلك فلم يتحرك له وسواس فلما مات شيخه و فتح الله تعالى عليه فشاهد تلك الأمور وعلم ان الصواب مع الشيخ فيها و ليس فيها ما ينكر شرعا لأنها اشتبهت عليه فمن ذلك ان امرأة كانت من جيران الشيخ و كانت تذكر بالسوء و كان المريد يعرف شخصها و كان للشيخ امرأة على صورتها و لكن المريد لا يعرفها و كان للشيخ موضع يخلو به بين باب الدار و بين البيوت و كان المريد لا يبلغ اليه و انما يقف بالباب فاتفق أن دخلت المرأة المشهورة بالسوء على المريد و هو بالباب فجازت الدار و اتفق ان خرجت امرأة للشيخ الشبيهة بها فدخلت على الشيخ الخلوة و كان أرسل الشيخ اليها ليقضي حاجته منها فدخلت و قام اليها الشيخ و مرت الشبيهة بها نحو البيت فرمى المريد ببصره الى الخلوة فرأى المرأة مع الشيخ و هو يقضي حاجته منها فما شك أنها المشهورة بالسوء و ربط الله على قلبه فلم يستفزه الشيطان ثم خرجت المرأة و حانت الصلاة فخرج الشيخ للصلاة

---

(١) — رماح حزب الرحيم لعلي حرازم ١/١١٧

و تيمم و كان به مرض منعه من الاغتسال فما شك المريد أن الشيخ تيمم من غير ضرورة و ربط الله على قلب المريد و كان بالشيخ مرض منعه من هضم الطعام فصنعوا لـــه ماء القلنيص عصروه و أتوا له بماء ليشربه فدخل المريد فوجده يشربه فما شك أنه ماء خمر و ربط الله على قلبه فلم يتحرك عليه وسواس فلما فتح الله عليه علم أن المرأة الـتي وطئها الشيخ امرأته لا المرأة المشهورة بالسوء و علم أن التيمم الذى فعله الشيخ لضرورة كان بجسده و علم أن الماء الذى شربه الشيخ ماء القلنيص لا ماء الخمر و الله تعالـى الموفـــق (١)

من القصتين السابقتين نخرج بالنتائج الآتية :

النتيجة الأولى : أن المتصوفة يدعون المريدين لكي يطيعوا مشائخهم طاعة عمياء بحيث يجب عليه أن ينفذ أوامر الشيخ حتى و لو أمره بمعصية كما فعل ذلك المريد الـذى أمره شيخه بقتل أبيه فنفذ أمر شيخه رغم أنه أمره بمعصية و هذه دعوة الى فعل المنكرات التي يأمر بها المشائخ

النتيجة الثانية : انه لا يجوز للمريد أن ينكر على شيخه حتى و لو رآه يفعل شيئا محرما أمامه في الظاهر خوفا من أن لا يكون حلالا في علم الباطن حسب زعم المتصوفة و الا فالحلال و الحرام ظاهر في الشريعة الاسلامية و ليس هناك أى اشتباه بينهما و ما أمـر دجاجلة المتصوفة المريدين بهذا الأدب الا ليفعلوا المنكرات كما يريدون بدون أن يستنكر عليهم أى أحد من التلاميذ و هذه دعوة ظاهرة لتعطيل الأمر بالمعروف و النهي عـــن المنكـــر

و ذكر علي حرازم أن أحد المشائخ اختبر مريديه بالدخول مع امرأة جميلة في غرفة

---

(١)— رماح حزب الرحيم لعلي حرازم بهامش جواهر المعاني ١١٧/١

خاصة و أغلق الباب ففر منه جميع المريدين مستنكرين لهذا الفعل المحرم من الشيخ و لم يبق من المريدين الا مريدا واحدا فقط غير مستنكر على الشيخ هذا الفعل و اليك نص القصة بكاملها

قال علي حرازم : كان لبعض الأكابر عدة أصحاب و كان لا يتخيل النجابة الا من واحد منهم فأراد أن يختبرهم يوما فاختبرهم ففروا بجملتهم سوى ذلك الواحد و ذلك أنه تركهم حتى اجتمعوا على باب خلوته فاظهر لهم صورة امرأة جاءته فدخلت الخلوة فقام الشيخ و دخل معها فأيقنوا أن الشيخ اشتغل معها بالفاحشة فتفرقوا كلهم و خسرت نياتهم الا ذلك الواحد فانه ذهب و أتى بالماء و جعل يسخنه بقصد أن يغتسل به الشيخ فخرج عليه الشيخ فقال له ما هذا الذى تفعل فقال رأيت المرأة قد دخلت فقلت لعلك تحتاج الى غسل فسخنت لك الماء فقال له الشيخ و تتبعني بعد أن رأيتني على المعصية فقال له و لم لا أتبعك و أنت أعرف مني بالطريقة معرفتك باقية فيك فالوصف الذى عرفتك عليه لم يزل فلا تبدل لي نية و لا يتحرك لي خاطر فقال له الشيخ يا ولدي تلك الدنيا تصورت بصورة امرأة و أنا فعلت ذلك عمدا لينقطع عني أولئك القوم فارحل يا ولدى وفقك الله معي الى الخلوة فهل ترى امرأة فيها فدخل فلم يجد امرأة فازداد محبة على محبته و الله تعالى الموفق (١)

و الشاهد من ايراد هذه القصة هو أن الصوفية يعتقدون بأنه لا يجوز الانكار على المشائخ حتى و لو رآهم المريد يفعلون أمورا منكرة مخالفة للشريعة الاسلامية بل عليه أن يقرهم عليه لأن الانكار عليهم يؤدى الى حرمان المريد من الوصول الى الولاية الصوفية كما يزعمون و هذه دعوة صريحة الى تعطيل الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر

---

(١)— رماح حزب الرحيم لعلي حرازم بهامش جواهر المعاني ١١٨/١

و قال النبهاني : ابراهيم النبيتي المجذوب الصاحي .... من كراماته قال الحمصاني وقفت أصلي في جامع المرأة فدخل علي رجل من الجند و معه أمرد وقصد به جهة المراحيض فتشوشت في نفسي و قلت ضاقت عليه الدنيا و ما وجد الا الجامع و لم أنطق بذلك فقال لي إبراهيم المذكور : ما فضولك و ما أدخلك يا كذا و كذا و سبني و شتمني و قال لا تتعرض و مالك و ذاك الى غير ذلك (١)

و الشاهد من ايراد هذه القصة هو أن ذلك الصوفي الذى كان يصلي استنكر فعل هذا الجند مع هذا الأمرد الفاحشة في حمامات المسجد فتشوش في صلاته و لكن قال له الشيخ الصوفي الكبير لا ينبغي لك أن تعترض على من يفعل المنكر و هذه دعوة صريحة الى تعطيل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

و ذكر النبهاني أيضا أن أحد المارة استنكر على نور الدين العظمة عدم ستر عورته و فجأة وجد نفسه بين أصابع الشيخ العريان و اليك نص الحكاية

قال النبهاني علي نور الدين العظمة : كان من أكابر الأولياء و المجاذيب .... و من كراماته ما حكاه حشيش الحمصاني انه مر عليه يوما فجرى في خاطره الانكار عليه لعدم ستر عورته فما تم له هذا الخاطر الا و قد وجد نفسه بين أصبعين من أصابعه يقلبه كيف شاء و يقول انظر الى قلوبهم ولا تنظر الى فروجهم (٢)

و الشاهد من ايراد هذه الحكاية هو أن المتصوفة يعتقدون بأن انكار المنكر على المشائخ يسبب للانسان الهلاك الدنيوى و الأخروى ولذا فهم دائما يحذرون من الانكار على المشائخ و هذا تعطيل للأمر بالمعروف و النهي عن المنكر

---

(١) — جامع كرامات الأولياء للنبهاني ١/ ٤١٤

(٢) — نفس المرجع ٢/ ٣٧٨

و قال القشيرى : سمعت الشيخ أبا عبدالرحمن السلمي يقول خرجت الى مرو في حياة شيخي الأستاذ أبو سهل الصعلوكي و كان له قبل خروجي أيام الجمعة بالغدوات مجلس دور القرآن و الختم فوجدته عند رجوعي قد رفع ذلك المجلس و عقد مجلس القول فداخلني من ذلك شيء فكنت أقول في نفسي قد استبدل مجلس الختم بمجلس القول فقال لي يوما يا أباعبدالرحمن ايش يقول الناس في فقلت يقولون رفع مجلس القرآن و وضع مجلس القول فقال من قال لأستاذه لم لم يفلح أبدا (١)

و الشاهد من ايراد هذه الحكاية هو استبدال الشيخ مجلس القرآن الكريم بمجلس القول و أن الناس لم يستطيعوا أن ينكروا عليه هذا المنكر لأنهم يخشون من العاقبة الوخيمة التي تلحق بالمنكرين على مشائخ الصوفية حسب زعمهم الباطل و كما ذكرنا في القصة ان الشيخ قال لتلميذه ان كل من يقول لشيخه لم لا يمكن أن يفلح أبدا و ذلك لأن المطلوب من المريدين هو الاستسلام الكامل لكل ما يقوله الشيخ و يفعله و لا يجوز لهم حتى مجرد الاستفسار لأن هذا يكون عائقا أمام المريد من الوصول الى الولاية الصوفية و هذه دعوة صريحة الى تعطيل الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر

و قال أحمد بن محمد الصاوى أحمد البدوى أحد الأقطاب الأربعة ..... ثم حصلت له جمعية على الحق فاستغرق الى الأبد ..... و أكثر أوقاته شاخص ببصره نحو السماء و عيناه كالجمرتين ..... و اجتمع به ابن دقيق العيد فقال له انك لا تصلي ما هذا سنن الصالحين فقال له اسكت و الا طيرت دقيقك و دفعه فاذا هو بجزيرة متسعة جدا فضاق ذرعه حتى كاد يهلك فرأى الخضر فقال له لا بأس عليك ان مثل البدوى لا يعترض عليه اذهب الى هذه القبة و قف ببابها فانه سيأتيك

---

(١) — الرسالة القشيرية ٢/٦٣٤

العصر ليصلي بالناس فتعلق بأذياله لعل أن يعفو عنك ففعل فدفعه فاذا هـــو ببابـــه (١)

والشاهد من ايراد هذه القصة هو أن البدوى كان لا يصلي وأن ابن دقيق العيد بسبب استنكاره عليه هذا المنكر تعرض للخطورة فنفي من البلاد بدفعة واحدة مـــن الشيخ والصوفية يوردون مثل هذه الحكايات المكذوبة من أجل أن يخوفوا الناس من الانكار عليهم حتى يرتكبوا المنكرات بأنواعها كما يريدون وهذه دعوة صريحة الـــى تعطيل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكـــر

وحكى شهاب الدين السهروردى أن أحد الصالحين كان يصوم ويفطر قبل غروب الشمس واليك نص الحكاية

قال : وحكي عن بعض الصادقين من أهل واسط أنه صام لسنين كثيرة وكان يفطر كل يوم قبل غروب الشمس الا في رمضان

وعلق السهروردى على هذا بقوله ..... ولكن أهل الصدق لهم نيـات فيما يفعلون فلا يعارضون والصدق محمود لعينه كيف كان (٢)

والشاهد من ايراد هذه الحكاية هو أن هذا الرجل بافطاره قبل غروب الشمـــس يعتبر صومه باطلا وهذا منكر منه ومع ذلك فقد وصفه المتصوفة بأنه من الصادقيـن ولا ندرى كيف سيكون الكذابين حالهم اذا كان حال الصادقين هكذا يخالفون الشريعة مخالفة صريحة

وكما هو واضح في القصة فقد قال السهروردى ان أهل الصدق لا يعترض عليهم مهما فعلوا حتى ولو خالفوا بفعلهم ما جاء في الشريعه الاسلامية وهذه دعوة صريحة

---

(١) — حاشية الصاوى ١٤٦

(٢) — عوارف المعارف للسهروردى ١٧١

من المتصوفة لتعطيل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

ويقول عبدالعزيز الدباغ : واذا أراد الله شقاوة قوم وعدم انتفاعهم بالولي سخرهم الحق فيما هم فيه من قبح ومخالفة فيظنون أنه على شاكلتهم وليس كذلك حتى انه يتصور في طور الولاية أن يقعد الولي مع قوم يشربون الخمر وهو يشرب معهم فيظنون أنه شارب الخمر وانما تصوت روحه في صورة من الصور وأظهرت ما أظهرت وفي الحقيقة لا شيء وانما هو ظل ذاته تحرك فيما تحركوا فيه مثل الصورة التي تظهر في المرآة (١)

ويقول الدباغ أيضا في مكان آخر : ان غير الولي اذا انكشفت عورته نفرت منه الملائكة الكرام لأن الحياء يغلب عليهم والمراد بالعورة العورة الحسية وهي ظاهرة والعورة المعنوية التي تكون بذكر المجون وألفاظ السفه وأما الولي فانها لا تنفر منه اذا وقع له ذلك لأنه انما يفعله لغرض صحيح فيترك ستر عورته لما هو أولى منه لأن أقوى المصلحتين يجب ارتكابه ويؤجر على ستر عورته وان لم يفعله لأنه ما منعه من فعله الا ما هو أقوى منه ولولا ذلك الأقوى لفعله فكأنه فعلهما جميعا فيؤجر عليهما معا (٢)

ويقول عبدالعزيز الدباغ أيضا : ان الولي الكبير فيما يظهر للناس يعصي وهو ليس بعاصي وانما روحه حجبت ذاته فظهرت في صورتها فاذا أخذت في المعصية فليست بمعصيته لأنها اذا أكلت حراما مثلا فانها بمجرد جعلها في فيها فانها ترميه الى حيث شاءت وسبب هذه المعصية الظاهرة شقاوة الحاضرين والعياذ بالله (٣)

---

(١) — الابريز لعبدالعزيز الدباغ ٢٣١

(٢) — الابريز للدباغ ٢٣٢

(٣) — الابريز للدباغ ٢٣٢

اذا نظرنا في الحكايات الثلاثة التي ذكرناها عن عبدالعزيز الدباغ نرى فيهـــا كلها الغلو الزائد في المشائخ و الدعوة الى عدم الانكار عليهم حتى ولو رآهـــم الانسان يفعلون شيئا محرما و هذه دعوة صريحة من المتصوفة الى تعطيل الأمـــر بالمعروف و النهـــي عن المنكـــر

و يقول الشيخ أحمد بن الشيخ حسن عن الشيخ عبدالله بن دهلية قال أتيـــت شيخنا الشيخ محي الدين العلي مساء و كان جالسا جنب حائط فأدخل يده فيه و أخرجها الى جنبه الآخر فاجتمع عليها نساء فقبلها فقلت في نفسي هؤلاء النسوة لسن كلهن محارم فقال لي يا ابن خالي أنا بحر يدخله كلب و حائضة و غيرهما و لا يتنجـس فغزعت بعلمه بما خطر في قلبي ثم قال لي اتبعني الى رجل طعنته بسم ساعة أمـــس فسألت منه البارحة ثم اعدته عليه الصباح لنسل منه فتبعتـه فحضرنا الى رجـــل يتخبط في بوله و غائطه و يسيل منه اللعاب فقرأ شيئا فعض قفاه فأفاق و جلس كأنـــه تنبه من نوم و كان ذلك الرجل متعديا على الشيخ رضي الله عنه و نفعنا به فـــي الداريـــن (١)

و قال أيضا أتيت الشيخ محي الدين العلي و معي رجل اسمه الشيخ موسى فأضافنا فجاءه بعدنا جماعة من نساء و رجال فصافحهم جميعا بلا حائل فلما ذهبنا من عنـــده قال لي الشيخ موسى لم صافح الشيخ محي الدين النساء بلا حائل فزجرته عن مقالته و تفرقنا فجاءني صباح الغد و قال لي بت الليلة في شدة عظيمة جاءني الشيخ ادريس القادري و أوقعني في ثلاثة آبار و قال لي ما سلطك على الشيخ محي الدين العلـــي و أريد أن أستحل منه فاتبعني اليه فقلت له لا أتبعك و أعطيته عشر شلن و قلت لـــه

---

(١) — تذكرة أهل اليقين ٣٨

استعن بها لهدأيته و ذهب من عندى و حضر عند الشيخ فمر بي بعد رجوعه منـــه فقال لي قال الشيخ لي قبل ان أحكمه عفوت عنك و لا حرج عليك ولم يأخذ الهدية مني بل أعطاني أخرى (١)

و الشاهد من ايراد هاتين الحكايتين هو أن الشيخ محي الدين العلي الصوفـي ارتكب في كلتا الحكايتين أمرا منكرا و استنكر عليه رجل واحد في كلتا القصتين و لم يكن الانكار في الحكاية الأولى الا بالقلب فقط و أما في الثانية فتلفظ الرجل بالانكار على الشيخ فعلته المحرمة مع أحد الرجال الذين كانوا حاضرين معه عند الشيخ و كما هو واضح في الحكايتين أن الرجلين تعرضا لعقاب شديد في الدنيا قبل الآخرة بسبب انكارهم المنكر و مثل هذه الحكايات يقصد الصوفية من ورائها تخويف العامة من الانكار على المشائخ اذا وقعوا في منكرات لأن دجاجلة الصوفية لا يمكن أن يجتنبوا فعـــل المنكرات بجميع أنواعها و لذا فلا بد و أن يخوفوا العوام بمثل هذه الحكايات المكذوبة.

و يقول الشعراني و هو يتكلم عن أئمة التصوف : و منهم سيدى الشريف المجذوب رضي الله تعالى عنه و رحمه و كان رضي الله عنه ساكنا تجاه المجانين بالمارستان المنصورى و كان له كشف و مثاقلات للناس الذين ينكرون عليه و كان رضي الله عنه يأكل في نهار رمضان و يقول أنا معتوق أعتقني ربي و كان كل من أنكر عليه يعطبه في الحال و كان رضي الله عنه يبلع الحشيش فوجدها يوما حلاوة و كان قد أعطاه الله تعالـــى التمييز بين الأشقياء و السعداء في هذه الدار (٢)

و الشاهد في هذه الحكاية أن هذا الرجل كان يفطر في نهار رمضان وهذا أمـر

---

(١)— تذكرة أهل اليقين ٤٠

(٢)— الطبقات الكبرى للشعراني ٢ / ١٥٠

منكر لا يجوز و أن كل من تعرض للانكار عليه كان يهلك في الحال و كان يتعاطى الحشيش و هذا منكر ثاني و مثل هذه الحكاية يرويها المتصوفة لتخويف العوام حتى لا يقدموا على الانكار على مشائخ الصوفية حينما يفعلون المنكرات و هو كما نرى دعوة صريحة الى تعطيل الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر

و قال صاحب كتاب مدارج السلوك

و هو يتحدث عن الآداب التي يجب أن يتحلى بها المريد :

الأدب الثاني و مما يجب عليك أيها المريد من الآداب مع الشيخ وبعد سلب الارادة اليه و اعتقاده أن لا تعترض عليه في أقواله و أفعاله و أحواله وقتا من الأوقات في ظاهرك و باطنك و متى اعترضت عليه ولو باطنا حصل لك الشتات في الدين و الدنيا و طردت عن الوصول الى منزل المقربين طرد هجر وبعد قلبا و قالبا أو قلبا و هو أقوى في الطرد (١)

و يقول السهروردى تحت قوله تعالى :((فلا و ربك لا يؤمنون)) الآية ما نصه :

و شرطه التسليم و هو الانقياد ظاهرا و نفي الحرج و هو الانقياد باطنا و هذا شرط المريد مع شيخه بعد التحكيم بلبس الخرقة يزيل اتهام الشيخ عن باطنه في جميع تصاريفه و يحذر الاعتراض على الشيوخ فانهم سم قاتل للمريدين و قل أن يكون مريد يعترض على الشيخ بباطنه فيفلح و يذكر المريد كما أشكل عليه شيء من تصاريف الشيخ قصة موسى مع الخضر كيف كان تصدر من الخضر تصاريف ينكرها موسى ثم لما كشف له عن معناها بان لموسى وجه الصواب في ذلك فهكذا ينبغي للمريد أن يعلم ان كل تصرف أشكل على صحته من الشيخ عن الشيخ فيه بيان و برهان للصحة

---

(١)— مدارج السلوك ٨٥

(٢)— عوارف المعارف للسهروردى ٧٦

و قال أبو الحسن الششترى (١)

و لا يعترض على المشايخ فيما يصنعون فانهم لا يتصرفون الا عن اذن و بصيـــرة وليس هم مما يدخلون تحت جنس العالم الأول أعني عالم الحجاب الذين لم يتشوفوا الى عالم الملكوت و لم تفتق سماء عقولهم الا بالظواهر خاصة بل هم كائنون بائنون الحركات والسكنات و الأجسام و الأقوال و اللسان والحروف المنطوق بها كل ذلك متجانس مـع العامة و هم محجوبون عنهم من وجه آخر ثم قال : فلا يعرف ما هم به و عليه الا من كان منهـــــم (٢)

و قال الشربيني :

و لا تعتـرض يوما عليه فانـــه كفيل بتشتت المريـد على هجـــر

و من يعترض و العلم عنه بمعزل يرى النقص في عين الكمال ولا يدرى

و من لم يوافق شيخه في اعتقاده يظل من الانكار في لهب الجمـر (٣)

و قال محي الدين بن عربي :

و من شرط المريد أن يعتقد في شيخه أنه على شريعة من ربه و بينة منه و لا يـزن أحواله بميزان فقد تصدر من الشيخ صورة مذمومة في الظاهر و هي محمودة في الباطن و الحقيقة فيجب التسليم و كم من رجل كأس خمر بيده و رفعه الله الى فيه و قلبه الله في فيه عسلا والناظر يراه شراب خمر و هو ما شرب الا عسلا (٤)

و هذه دعوة صريحة الى تعطيل الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر بحجة أن الأولياء

---

(١)— هو أبو الحسن علي بن عبد الله الششترى المتوفي ٦٦٨هـ أنظر الأعلام للزركلي ٢٣٩/٣

(٢)— مدارج السلوك ٨٥

(٣)— مدارج السلوك ٨٦

(٤)— مدارج السلوك ٨٦

ينقلب لهم الحرام حلالا بمجرد أن يرفعوه الى أفواههم و هو كذب و افتراء صريح فان الحرام لا يمكن أن ينقلب حلالا بل هو يبقى على حرمته فالخمر خمر و لا يمكن أن ينقلب الى عسل و لا الى حليب و من زعم غير هذا فقد افترى على الله الكذب و المتصوفة يحكون هذه الحكايات المكذوبة لأجل أن يفعلوا المنكرات كما يريدون و لا ينكر عليهم أحد بحجة أن الحرام ينقلب لهم حلالا بمجرد أن يقترفوه فالخمر ينقلب حليبا بمجرد شربه و الزنا ينقلب حلالا بمجرد اقترافه و هكذا فكل حرام ينقلب حلالا بمجرد ما يقدم عليه الولي الصوفي و لذا لا ينبغي الانكار على الأولياء

و بعد أن الزم شيوخ المتصوفة للمريدين بعدم الانكار على المشايخ مهما ارتكبوا من منكرات وقع الصوفية في ارتكاب المنكرات بجميع أنواعها و ذلك بترك ما أمرت به الشريعة و اقتراف ما نهت عنه الشريعة من المعاصي و الفساد و اليك نماذج من هذه المعاصي و المنكرات التي كان يرتكبها زعماء التصوف

فقد قال توفيق الطويل و هو يتحدث عن أحوال المتصوفة في العهد العثماني التركي في مصر :

و كان كبار متصوفة هذا العهد لا يقيمون الصلاة أبدا مدعين أنهم يقومون بأدائها في الأماكن المقدسة و كان في مقدمة هؤلاء عبدالقادر الدشطوطي و ابراهيم المتبولي و علي الخواص و غيرهم من أصحاب الضرائح و المزارات ممن يوليهم العامة في مصر أبلغ آيات التقديس و أسمى مظاهر التقدير (١)

كما نرى في كلام توفيق الطويل فان المتصوفة وصلوا الى قمة الفساد و التحلل من الأوامر الالهية حيث تركوا الصلاة و مع ذلك و يا للأسف يطلق كثير من عوام المسلمين

---

(١) — الصوفية في مصر لتوفيق الطويل ٤٨

على أمثال هؤلاء أولياء الله و هم أبعد ما يكونون عن الله و كان الأحرى بأمثال هؤلاء أن يطلق عليهم أعداء الله و أن تقطع رقابهم حتى يكونوا عبرة لمن يأتي بعدهم و لكن بما أن الأمة كانت قد وصلت في الانحطاط العقدى و الأخلاقي الى الحضيض و كان الجهل منتشرا فيها فقد عاش هؤلاء معززون مكرمون و كانت لهم السيطرة الكاملة على الناس حكاما و محكومين في العالم الاسلامي و كانت لهم المكانة العليا في قلوب عوام المسلمين و قد ذكر توفيق الطويل بأن الصوفية كانت لهم السيطرة الكاملة على الناس

يقول توفيق الطويل و هو يتحدث عن نفوذ المتصوفة :

كان المتصوف اذا خرج الى الشارع أو سار في الأسواق تهافت عليه الناس وتكاثر حوله عديدهم و سدوا طريقه و انهالوا على يديه و قدميه تقبيلا و لثما و ممن كان خروجهم الى الشوارع يثير هذا الضجيج السيد محمد البكرى (١)

و مما يدل على وقوع زعماء التصوف في الفساد و الانحلال الخلقي :

ما قاله توفيق الطويل : و سار علي البكرى ١٢٠٧ عاريا في الأسواق يهذى في حديثه و يخلط في كلامه فيؤول الناس هذيانه تأويلا يلائم أحوالهم و يتفق مع أغراضهم و استغل أخوه سذاجة الناس فمنعه من الخروج الى الشوارع و الأسواق مكشوف الرأس والسوأتين كما كان يفعل في أغلب أحواله و حبسه في بيته و روج له و عزا اليه من الكرامات و الخوارق ما حمل الناس على الاسراف في الايمان به و المسارعة الى تقديم الهدايا و النذور اليه حتى أثرى أخوه من ورائه و قد بلغ من اعتقاد الناس في هذا الدرويش ان تبعته امرأة و لزمته في الشوارع و الأسواق فسرعان ما آمن الكثيرون من

---

(١) ـ الكواكب السائرة ١٠٨

الناس بصدق ولايتها و أشاعوا أن الشيخ قد لحظها و جذبها فأصبحت من أولياء الله الصالحين ثم ارتفعت في درجات الجذب فخرجت معه الى الشارع في قرى الرجال يتبعهما أنى سارا الأطفال و الصغار و عامة الناس و منهم من اقتدى بهما و نزع ثيابه و كثر أتباع هذا الرجل المعتوه حتى كان اذا مر بشارع ملأه ضجيجا و نهب أتباعه محال التجار و استولوا على ما فيها من البضائع و كانت المرأة تصعد أحيانا على درب عال و تفحش في القول فيزداد ايمان الكثيرين بها و يقبلون يدها تيمنا ببركتها ..... الى أن قال و قد ربط المرأة التي تبعته عند المجانين بالمارستان و لبثت على هذه الحال حتى اذا جدت الحوادث أطلق سراحها فخرجت الى الشوارع فاذا هي شيخة على انفرادها يحسن الناس الاعتقاد فيها و يؤمن النساء بصدق ولايتها حتى أقيمت لها الموالد بعد مماتها و قدمت اليها الهدايا و النذور(١)

و الكلام السابق يدل على أن المتصوفة وصلوا في الانحلال الخلقي الى الحضيض بحيث أصبحوا يسيرون في الشوارع عرايا كالحيوانات التي لا عقل لها و أظن هذا السلوك الفاضح من الانحلال الخلقي لم يصل اليه حتى الماديون الذين لا دين لهم فلا يمكن أن يسير الانسان في الشوارع عريانا و به حبة خردل من ايمان بل من عقل فضلا عن الايمان و مع هذا فان أمثال هؤلاء كانت لهم السيطرة الكاملة على الناس شعوبا و حكاما و السبب في ذلك أن الأمة أصبحت جاهلة بأمور دينها فوقعت في أحضان هؤلاء المتصوفة الدجاجلة فاستعمروها تماما و سلخوها من الدين بنشرهم مثل هذه المنكرات المذكورة في القصة السابقة .

و يقول توفيق الطويل و هو يتحدث عن السيد علي البدوي المذكور آنفا: بل بلغ من

---

(١) — تأريخ الجبرتي ٢ / ٥٥ ١

مكانة هذا الرجل الملحوظ ان كان شيوخ الطرق في الدول الاسلامية يجتمعون به فيعطيهم اذنا عاما على عموم الطرق و يأذن لهم في أن يكونوا رؤساء يرجع اليهم في أمر عموم الطرق (١)

و مما يدل على وقوع المتصوفة في ارتكاب الفواحش و المنكرات ما ذكره الشعراني عن فقراء الأحمدية حيث قال :

و قد اشتهر فقراء الأحمدية و البرهامية بارتكاب الفواحش مع النساء اللاتي يأخذون العهد عليهن (٢)

و قد ذكر الشعراني في ترجمة الشيخ عبدالقادر السبكي أنه كان يتكلم فيما يستحي منه الناس و لا يرضى عنه العرف و قد خطب مرة عروسا رآها فأعجبته فكشف لها عن جسمه و هي في حضرة أبيها لكي تطمئن على خلوه من البرص و براءته من الخشونة و غيرها مما يستدعي الشكوى بعد الزواج ثم تناول قضيبه في يده و طلب منها أن تمعن النظر اليه لتطمئن على حجمه و منظره (٣)

و قال توفيق الطويل : و كان وجود الغلمان في حلقات الذكر و مواكبه جزء من نظام المتصوفة

و كان العيسوية اذا اقاموا للذكر على طريقتهم المغربية سعى اليهم الناس و خف للفرجة عليهم حسان الغلمان فيكف بهم هؤلاء الغلمان و يسعون وراءهم (٤)

---

(١) — التصوف في مصر لتوفيق الطويل ١٢٣

(٢) — العهود المحمدية للشعراني ١٨٠ نقلا عن الصوفية في مصر لتوفيق الطويل

(٣) — الطبقات الكبرى للشعراني ١٨٤/٢

(٤) — التصوف في مصر لتوفيق الطويل ١١٢

و قال الشعراني : كان الشيخ علي أبو خوذة يحب الغلمان و يعبث بهم بحضرة آبائهم بالغا ما بلغت مكانتهم و كان كلما رأى امرأة حسس بيده على مقعدها (١)

و يقول الجبرتي : و كان المجذوب محمد بن أبي بكر المغربي الطرابلسي ت ١٢٠١ صاحب الأحوال يحب مجالس الشراب و تتهافت عليه نساء البلد فأنكر عليه ذلك بعض الناس و لكن أهل الفضل كانوا يحترمونه و ينقلون عنه أخبار حسنة و يجله الأعيان و تنهال عليه الهدايا و لا يرد له الوزراء شفاعة (٢)

و قال توفيق الطويل : و قد اشتهر فقراء المطاوعة بحبهم للغلمان حتى كانوا اذا عقدوا مجالس الذكر أجلسوا الصبيان من وائهم ليحتضنوهم من الخلف اذا اشتدت حماسة الذاكر لله فان أنكر عليهم ذلك أحد من الناس قالوا لا جناح على من مس دبر الغلام و انما الجناح على من فعل فيه الفاحشة وحدها

و يقول توفيق الطويل أيضا و هو يذكر الانحلال الخلقي الذى وصل اليه المتصوفة في آخر العهد العثماني التركي في مصر :

و كان الأولياء في عرف الجمهور و أكثر العلماء فوق الدين و فوق العرف و ما أكثر حوادث الفقراء مع النساء و الغلمان و سائر مظاهر تمردهم على الدين و العرف و قد كان الناس يقابلون هذا التمرد و الاستهتار بالرضا و الاغتباط و ان الأولياء في عرف الكثيرين منهم قد سقطت عنهم التكاليف الدينية فجاز لهم ما حرم على غيرهم يهملون الصلاة و يتركون الصلاة و لا يقومون بشيء من فروض الدين و شعائره ثم لا يتقيدون بعدها بشيء و لا يخضعون لقيوده و محرماته فالزنا و الميسر و الحشيش و كافة

---

(١) — أنظر الطبقات الكبرى للشعراني ٢ / ١٣٥

(٢) — أنظر تأريخ الجبرتي ٢ / ٣٧.

الرذائل قد أحلت لهم فاستباحوا الحرمات على مرأى من الناس و لم يجدوا من شدة الانكار عليهم ما يخيفهم أو يردهم عن غيهم و يدلهم الى أقوم سبيل (١)

اذا نظرنا في الحكايات التي ذكرناها عن أئمة التصوف أنفسهم و عن الكتاب الذين كتبوا عن التصوف و آثاره المدمرة في العالم الاسلامي يتضح لنا بأن المتصوفة بالفعل وقعوا في ارتكاب المنكرات بجميع أنواعها فتركوا الفرائض من صلاة و صوم و غيرها و ارتكبوا المحرمات فوقعوا في ارتكاب الفاحشة مع النساء و الغلمان الذكور و شربوا الخمور و الحشيش و لم يتركوا بابا من أبواب المنكر الا و أتوا عليه و ذلك بعد أن عطلوا الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر في العالم الاسلامي كما تبين لنا في الآداب التي وضعوها للمريدين و التي قالوا من أهمها عدم انكار المريد على شيخه مهما فعل من المنكرات و بسبب الحكايات المكذوبة التي ذكروها بأن كثيرا ممن أنكروا على الشيوخ تعرضوا للمخاطر و لذا عاث الصوفية في الأرض فسادا و لا زالوا الى الآن يعيثون في الأرض فسادا فالمنكرات التي تفعل عند زيارة قبور زعماء التصوف يعجز الانسان ويستحي أن يذكرها حيث في تلك الموالد يحصل الاختلاط الرهيب بين النساء والرجال متبرجات مائلات مميلات و يحصل من الفساد في تلك المشاهد الصوفية ما الله به عليم و لذا فالصوفية هي أم الفساد العقدى و الخلقي في العالم الاسلامي و مع ذلك فقد استهان أكثر العلماء بالمتصوفة و لم يأخذوا من التأليف في الرد عليهم ما يستحقونه الى الآن لأن الطرق الصوفية منتشرة على امتداد العالم الاسلامي و كل طريقة جديرة بأن تؤلف عليها رسالة لوحدها .

و يقول الامام الشاطبي و هو يتحدث عن الاعتقاد الفاسد المنتشر في الأمة

---

(١) — الصوفية في مصر لتوفيق الطويل ١١٦

الاسلامية من أن زعماء الطرق الصوفية تباح لهم المحرمات دون غيرهم من البشر

قال : ان كثيرا يتوهمون ان الصوفية أبيح لهم أشياء لم تبح لغيرهم لأنهم ترقوا عن رتبة العوام المنهمكين في الشهوات الى رتبة الملائكة الذين سلبوا الاتصاف بطلبها و الميل اليها فاستجازوا لمن ارتم في طريقهم اباحة بعض الممنوعات في الشرع بناءا على اختصاصهم عن الجمهور .... و هذا باب فتحته الزنادقة بقولهم : ان التكليف خاص بالعوام ساقط عن الخواص (١)

و قال الهيثمي في الفتح المبين نقلا عن أبي شامة من شيوخ النووى ان من البدع السيئة الانتماء الى جماعة يزعمون التصوف و يخالفون ما كان عليه مشائخ الطرق من الزهد و الورع و سائر الكمالات المشهورة عنهم بل كثير من أولئك اباحية لا يحرمون حراما لتلبيس الشيطان عليهم أحوالهم القبيحة الشنيعة منهم باسم الفسق أو الكفر أحوج منهم باسم التصوف أو الفقر (٢)

ويقول الشيخ مبارك الميلي و هو يتحدث عن انحراف المتصوفة في باب الولاية :

النقطة الثانية حصر الولاية فيمن كان على شاكلتهم و من ذريتهم ولو كان حظه من العلم الأمية و من العمل الاباحية و المعتقدون فيهم يجيبون على جهالاتهم و يدافعون عن منكراتهم بأن شريبهم انما يشرب عسلا أو أنه تطفيء من نور الولاية الشديد غلته و بأن زانيهم انما زناه صورة خيالية يمتحن بها أهل المرأة و مبلغ عقيدتهم فيه و يعبرون عن ذلك بقولهم (الشيخ يفسد النية) (٣)

و من المتصوفة الذين ذكروا الآداب التي يجب أن يتحلى بها المريد ابن عجيبة الحسني(٤)

---

(١) — الموافقات للشاطبي ٢/٢٤٨ (٢) — الفتح المبين للهيثمي ٩٥

(٣) — الشرك و مظاهره للميلي ٢٩٥

(٤) — أنظر ايقاظ الهمم في شرح الحكم لابن عجيبة الحسني ١٠٤

و الخلاصة أن الصوفية يعتقدون بأن المريد الصوفي الذى يريد أن يصل الـــى الولاية الصوفية الشيطانية لا يجوز له أن يعترض على شيخه نهائيا حتى و لو رآه يفعـل شيئا منكرا واضحا كل الوضوح لأن هذا يكون سببا لطرده عن رعاية الشيخ و يكون عرضـة للهلاك الدنيوى و الديني كما يزعمون

و يعتقد المتصوفة أيضا بأن الأولياء تباح لهم كل المحرمات لأنها بمجرد ما يضعونها في أفواههم تنقلب حلالا مثل الخمر الذى انقلب عسلا كما سبق ذكره آنفا و لذا لا يجوز الانكار على الأولياء مهما ارتكبوا من جرائم فزيعـــة كالزنا و اللواط و شرب الخمـــر و ترك الصلاة و غيرها من فرائض الاسلام لأنهم يعتقدون بأن أولياء الصوفية تباح لهم المحرمات و قد أدى هذا كله الى تعطيل الأمر بالمعروف و النهي عن المنكـــر في العالم الاسلامي مما سبب انتشار المنكرات بكل أنواعها كما ذكرنا ذلك عن مجموعـة من شيوخ الطرق الصوفية و كيف أنهم وقعوا في ارتكاب الفواحش و المنكرات و مـع ذلك لم يوجد من ينكر عليهم و يضرب على أيديهم بيد من حديد بل عاثوا في الأرض فسادا فأفسدوا الأمة عقديا و أخلاقيا و لا زالوا الى الآن أراح الله الأمة الاسلامية منهـــم آميـــن

المبحث الثالث : انتشار الموالد البدعية في الأمة الاسلامية

و تحته ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : نشأة الاحتفالات بالموالد

ان المتبع للتأريخ الاسلامي يجد أن مثل هذه الاحتفالات لم تكن موجودة عند المسلمين في القرون الأولى التي شهد لها الرسول صلى الله عليه و سلم بأنها خير القرون بل و حتى بعد تلك القرون فان الأمة كانت في عافية من الوقوع في هذه الموالد المبتدعة التي أصبحت وكرا للفساد و المفسدين في العالم الاسلامي الى يومنا هذا حتى جاءت الدولة الفاطمية الباطنية العبيدية و التي انتسبت الى فاطمة رضي الله عنها ظلما و عدوانا من أجل أن يكسبوا ود المسلمين و قد ذكر كثير من المؤرخين الى أن هؤلاء الفاطميون ينحدرون من أصل يهودي يقال لهم العبيديون و هم أبناء عبيدالله بن ميمون بن ديصان المشهور بالقداح قيل انه يهودي و قيل انه مجوسي (١)

و قد استمرت دولتهم في مصر من ٣٥٧—٥٦٧ هـ و قد أحدث العبيديون المنتسبون الفاطميون . احتفالات بأيام كثيرة على رأسها أربعة موالد : مولد النبي صلى الله عليه و سلم و علي بن أبي طالب و ولديه الحسن و الحسين رضي الله عنهم أجمعين

فقد جاء في خطط المقريزي المسمى كتاب المواعظ و الاعتبار بذكر الخطط و الآثار تحت عنوان (ذكر الأيام التي كان الخلفاء الفاطميون يتخذونها أعيادا و مواسم تتسع بها أحوال الرعية وتكثر معهم قال : كان للخلفاء الفاطميين في طول السنة أعيادا

---

(١) — أنظر البداية و النهاية لابن كثير ١١ / ١٨٠

و مواسم رأس السنة و موسم أول العام و يوم عاشوراء و مولد النبي و مولد علي بن أبي طالب و مولد الحسن و الحسين رضي الله عنهم و مولد الخليفة الحاضر و ليلة أول رجب و ليلة نصفه و ليلة أول شعبان و ليلة نصفه و موسم ليلة رمضان و غرة رمضان و سواط رمضان و ليلة الختم و موسم عيد الفطر و موسم عيد النحر و عيد الغدير و كسوة الشتاء و كسوة الصيف و يوم النيروز و يوم الغطاس و يوم الميلاد و خميس العدس و أيام الركوبات (١)

و جاء في صبح الأعشى للقلقشندى في كلام طويل له في جلوسات الخليفة الفاطمي العبيدى الباطني قال بعد أن ذكر جلوسه في المجلس العام أيام المواكب و جلوسه ليلة أول رجب و ليلة نصفه و ليلة أول شعبان و ليلة نصفه للقاضي و الشهود في ليالي الوفود الأربع من كل سنه قال : الجلوس الثالث جلوسه في مولد النبي صلى الله عليه و سلم في الثاني عشر من شهر ربيع الأول (٢)

و ممن صرح من المتأخرين بأن أول من أحدث الموالد هـ(المتسمون بالفاطميين مفتي الديار المصرية سابقا الشيخ محمد بخيت المطيعي و الشيخ علي محفوظ و الشيخ سعد صادق و الأستاذ علي فكرى

فقد قال الشيخ محمد بخيت المطيعي الحنفي مفتي الديار المصرية سابقا في كتابه أحسن الكلام :

مما أحدث و كثر السؤال عنه الموالد فنقول ان أول من أحدثها بالقاهرة الخلفاء الفاطميون و أولهم المعز لدين الله توجه من المغرب الى مصر في شوال سنة ٣٦١هـ

---

(١) — الخطط للمقريزى ١/ ٢٧٤

(٢) — أنظر صبح الأعشى في صناعة الانشا ٣/ ٤٩٤—٤٩٨

فوصل الى ثغر الاسكندرية في شعبان ٣٦٢هـ و دخل القاهرة ٧رمضان من تلـــك السنة فابتدعوا سنة الموالد : المولد النبوى و مولد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب و مولد السيدة فاطمة الزهراء و مولد الحسن و مولد الحسين و مولد الخلفة الحاضـر و بقيت هذه الموالد على رسومها الى أن أبطلها الافضل بن أمير الجيوش و كان أبوه أمير الجيوش قد قدم من الشام الى مصر في خلافة المستنصر بالله بناء علـى دعوة منه فدخل مصر في عشية الأربعاء لليلتين خلتا من جمادى الأولى سنة ٤٦٥هـ فلما توجه لمحاربة أهل الشام استناب ولده الأفضل الذى ألقى الاحتفالات بتلـك الموالد الى أن أعادها الآمر بأحكام الله عندما تولى بعد أبيه المستعلي سـنة خمس و تسعين و أربعمائة من الهجرة (١)

و قال المطيعي أيضا و هو يتحدث عن بدعة الموالد في الاسلام :

و في خلافة الآمر بأحكام الله أعاد الموالد الستة المذكورة بعد أن أبطلها الأفضل و كاد الناس ينسونها

و قد استمر عمل الموالد الى الآن غير أن الناس تركوا بعض الموالد الخمسة وزادوا موالد أخرى حتى ان الموالد الآن لا تكاد تحصى و زادوا على ما كان يعمل فيهـــا زمن الفاطميين أشياء و نقصوا أشياء و زادوا في أيامهـا (٢)

و قال الشيخ علي محفوظ : ان أول من أحدثها ـ أى الموالد ـ بالقاهرة الفاطميون في القرن الرابع فابتدعوا ستة موالد : المولد النبوى و مولد الامام علي و مولد السيدة فاطمة و مولد الحسن و مولد الحسين و مولد الخليفة الحاضر و بقيت هذه الموالد علـى

---

(١) ـ أحسن الكلام للمطيعي ٤٤ـ٤٥

(٢) ـ أحسن الكلام للمطيعي ٤٧

رسومها الى أن أبطلها الأفضل بن أمير الجيوش ثم أعيدت في خلافة الآمر بأحكام الله في سنة ٥٢٤ هـ بعد ما كاد الناس ينسونها و قد استمر العمل بالموالد الى يومنا هذا و توسع الناس و ابتدعوا كل ما تهواه أنفسهم و يوحيه اليهم الشيطان (١)

و قال الأستاذ سعد صادق محمد و هو يتحدث عن أنشأ الموالد في الاسلام لأول مرة :

و المعروف أن الفاطميين هم أول من ابتدع فكرة الاحتفال بذكرى المولد النبوى و جعلوه من الأعياد للعامة في كل أمة من الأمم الاسلامية كما ابتدعوا غيره من الاحتفالات الدورية التي عدت من مواسمها و كذلك صرفوا الكثير من اهتمامهم الى احياء ما كان معروفا من المواسم و الأعياد قبل الاسلام (٢)

و مما تقدم تبين لنا أن الاحتفالات بالموالد سواء كان مولد النبي صلى الله عليه و سلم أو مولد غيره احتفالات مبتدعة لم يفعلها الرسول صلى الله عليه و سلم و لا أمر بها و لا فعلها الصحابة و لا التابعون لهم باحسان الى يومنا هذا و انما ابتدع هذه الموالد أول مرة الفاطميون الباطنيون العبيديون الذين يرجعون الى أصول يهودية و ما دام الأمر كذلك فان هذه الموالد المنتشرة في العالم الاسلامي بكامله الا ماشاء الله هي موالد مبتدعة و ما دامت مبتدعة فهي ضلالة وغير مقبولة عند الله و ذلك لما ورد في الحديث عن الرسول صلى الله عليه و سلم : (كل بدعة ضلالة و كل ضلالة في النار) (٣)

---

(١)— الابداع في مضار الابتداع لعلي محفوظ ١٢٦ و أنظر نحوه المحاضرات الفكرية للأستاذ علي فكرة ٨٤

(٢)— صراع بين الحق و الباطل لسعد صادق محمد ١٢٤

(٣)— ٣/٥٣/١

و قوله صلى الله عليه و سلم :(من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد)(١)

أى مردود على صاحبه لا يقبل منه نهائيا حتى و ان اعتبره عبادة لأن العبادة هي ما شرعه الله سبحانه و تعالى فقط أما غيرها فليست عبادة مشروعة و لا مقبولة عند الله و مما ينبغي التنبيه عليه انه و ان كان المبتدعون لهذه الموالد أول مرة الفاطميون الا أن المتصوفة هم الذين نشروا هذه الاحتفالات في العالم الاسلامي و لا زالوا الى يومنا هذا يبتدعون كل مرة مولدا جديدا لدجال صوفي جديد بحيث ان الانسان يعجز عن حصر الموالد التي تقام لمن يسميهم المتصوفة أولياء الله في العالم الاسلامي بأسره فما من مدينة الا و فيها دجال صوفي يقام له المولد كل عام و يعرف هذا كل من سافر الى البلاد الاسلامية حق المعرفة و لا يستطيع أن ينكر هذه الحقيقة الا مكابر معاند فهي أعمال ظاهرة في الميدان واقعيا و ما أظن يحتاج الى الرجوع الى الكتب لاثبات هذه الاحتفالات التي يمارسها المتصوفة في العالم الاسلامي و يرتكبوا فيها كل الفساد بأنواعه الفساد العقدى و الخلقي بجانب التبذير الهائل للأموال

و اليك مثالا واحدا للموالد التي يحتفل بها المتصوفة في العالم الاسلامي بأسره الا المملكة العربية السعودية التي طهرها الله بدعوة التوحيد و هذا المثال هو مولد السيد البدوى الذى يحتفل به المصريون في كل عام و يشدون الرحال من أجل حضور الاحتفال بمولده السنوى العظيم الذى يقام في طنطا كل عام

و قد وصف كيفية اقامة هذا المولد الأستاذ محمد فهمي عبداللطيف فقال : اذا ما صدر التصريح باقامة المولد الأحمدى و أعلن ذلك في كافة البلاد توافد الناس من شتى الجهات في الموعد المحدد فيقيمون الخيام و يضربون السرادقات في ساحة المولد

---

(١)ـ صحيح البخارى مع الفتح ١٣/٣١٧

و يرضى أصحاب العوائد بدفع أجر يطلبه منهم المالكون للأرض لاقامة خيامهم عليها و تقام الخيام و السرادقات الخاصة بأهل الريف حول ساحة المولد و الضواحي المجاورة لها أمام الخيام و السرادقات الخاصة بالحكومة و شيوخ الطرق و أرباب العوائد فانها تقام في الساحة و تسمى هذه البقعة بالسحابة

و بالقرب من الساحة تقام سارية خشبية عالية تسمى بالصارى و يقدر متوسط ما يقام من الخيام عادة في هذا المولد خمسة آلاف خيمة

و في اليوم الأول للمولد يطوف مأمور البوليس بطنطا في موكب من الجنود معلنا افتتاح المولد و يسمى هذا الموكب بركبة الحاكم

و من أول ليلة المولد تقام حلقات الذكر حول الصارى و يعتبر هذا الصارى جامعة المناكير و المفاسد وللناس فيه عقائد عجيبة غريبة فبينما يعتقد بعضهم ان زيارة هذه الخشبة تعادل زيارة البدوى نفسه اذ يعتقد آخرون ان السيد يجلس فوقها أيام المولد ليشرف على زواره و يتعرف عليهم و يجزم الكثيرون بأن النبي صلى الله عليه وسلم يزور هذه الخشبة فجر يوم الاثنين قياما بواجب السيد البدوى

و لن يروعك في حياتك أسوأ مما تشهد من هول حول هذا الصارى اذ يتراكم حوله خليط من الكتل البشرية على حال لا ترضي عاقلا من العقلاء و لا متدينا بأى دين فيختلط الرجال بالنساء و الكبار بالصغار و يتحلق حول الصارى كثير من المسالب و الحمقى و رواد الفسوق و كبار العصاة المجرمين المدمنين للحشيش و ما اليه من الكيوف و يسمى العامة هؤلاء بالمجاذيب و يعتقدون أن لهم عند ربهم ما يشاءون و ينخرط هؤلاء كل ليلة في مجالس الذكر التي يقيمونها حول هذا الصارى و هي أشبه ما تكون بحلقات الرقص الخليعة و قبل هذا يعمدون حال وصولهم الى ضريح البدوى

فيطوفون به طواف القدوم على نحو ما يفعل القاصدون لحج بيت الله الحرام و يقولون ان هذه كانت سنة الشيخ عبدالعال خليفة السيد البدوى و لهم في هذا الاحتفال بـــدع شـــتى (١)

و يقول صاحب الجواهر السنية الأحمدى و هو يتحدث عـــن كرامات البدوى : و من كراماته أن حجرا أسود مثبتا في ركن قبته تجاه وجه الداخـل من الجهة اليمنى و فيه موضع قدمين شاع بين الناس و ذاع و استفاض و ملأ البقاع و الأسماع أنه أثر قدم رسول الله صلى الله عليه و سلم و كل من زار الأستاذ يتبـــرك بمحـل القدميـــن (٢)

و قال الشيخ السحيمي بعد ايراده لهذه الحكاية : فصاروا يتمسحون به كما كانت العرب في الجاهلية تفعل بالأحجار و الأوثان و الأصنام التي كانوا ينصبونها

أما النذور فهي الهدف الأسمى لسدنة الضريح و الدعاة اليه سواء كانت تلك النذور عينا أو نقدا و قل أن يخلو ضريح من صندوق للنذور و ذلك أن المناسك و المشاعـــر حوله لا تنتهي الا بايداع بعض الأموال فيه (٣)

و قال الشيخ محمود شلتوت : و عجل البدوى الذى يجهز و يطاف به حول الضريح في موكب معروف مشـــهور (٤)

---

(١) — السيد البدوى و دولة الدراويش في مصر لمحمد فهمي عبداللطيف ١٣١ و أنظر نحوه قاموس العادات و التقاليد لأحمد أمين ٣٨٧—٣٨٨

(٢) — الجواهر السنية للأحمدى ٨٣ نقلا عن رسالة الأعياد و أثرها للشيخ السحيمي ٣٩٦

(٣) — الأعياد و أثرها للسحيمي ٣٩٦

(٤) — فتاوى الشيخ محمود شلتوت ٢٣٨—٢٣٩

و قال الشيخ السحيمي : و ما يفعل عند قبر البدوى يفعل عند قبر الحسين و السيدة زينب بالقاهرة من حيث الطواف و التمسح بأعتابها و النذور و غير ذلك من أمور العبادات التي لا تصرف الا لله و قد وقفت على ذلك و ليس من رأى كمن سمع و لا يكاد يخلو بلدا اسلاميا الا و له أولياؤه المزعومون الذين تشد اليهم الرحال و يطاف على مشاهدهم و تقدم اليهم النذور و القربات و تجعل لهم الموالد و الأعياد بل ان لغالب الأضرحة مواسم و أعيادا أسبوعية خلاف الموالد تسمى بالحضرة كليلة الثلاثاء و يومه للامام الحسين رضي الله عنه و ليلة السبت و يومه للامام الشافعي و هكذا لكل ولي عندهم وقت معلوم تجتمع فيه العامة و الخاصة من الرجال و النساء و معهم الأطفال لزيارته على الوجه المعروف (١)

و هذا المثال الذى ضربناه ألا و هو السيد البدوى و ما يفعل عند قبره يوم مولده الذى يقام كل عام فترتكب فيه كل الجرائم و يمارس فيه كل الفساد بأنواعه ينطبق في كل الموالد التي يقيمها المتصوفة في العالم الاسلامي على امتداده الواسع حيث انه ما من دولة بل ما من مدينة بل ما من قرية الا و لها ولي تقيم له المولد سنويا و يحصل فيه ما يحصل في قبر البدوى تماما فان المتصوفة عقائدهم متحدة مهما اختلفت ديارهم و تعددت طرقهم و قد رأينا ذلك بأم أعيننا و عايشناه و نحن صغار في بلدنا و في بلاد أخرى مررنا بها كالسودان حيث ان هناك توجد قبور عديدة في جميع أنحاء البلاد تقام لها الاحتفالات السنوية فيطاف بها و يذبح عندها و تقدم لها النذور النقدية و يختلط فيها الرجال بالنساء و ترتكب فيها أنواع الفواحش التي نهى عنها الاسلام يستحي الانسان أن يذكرها

---

(١) — الأعياد و أثرها للشيخ السحيمي

المطلب الثاني : المفاسد التي وقعت بسبب هذه الاحتفالات التي نشرها الصوفية
==========

في الأمة الاسلامية :
==========

لقد بينا فيما سبق بأن الاحتفالات بالموالد سواء الاحتفالات بمولد الرسول صلى الله عليه وسلم أو بمولد غيره لم يكن في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا في عهد الصحابة الكرام ولا في عهد التابعين وتابعي التابعين في القرون المفضلة الأولى المشهود لها بالخيرية وانما أحدث بدعة الموالد في العالم الاسلامي الباطنية أو قام بنشرها تلامذتهم الصوفية فملأوا أرجاء العالم الاسلامي بقبور تقدس وتعبد من دون الله (١)

وفي هذا المطلب نريد أن نذكر نماذج قليلة فقط مما يحصل في هذه الموالد من مفاسد متنوعة من الشرك والزنا واللواط والاختلاط الذى يحصل بين الرجال والنساء وذلك حتى نبين للناس بأن هذه الاحتفالات الصوفية ما هي الا وكر لممارسة الفساد بشتى أنواعه المختلفة

فمن المؤرخين الذين تحدثوا عن المفاسد التي كانت في الموالد عبد الرحمن الجبرتي فقد قال وهو يصف المولد العفيفي (٢) وما يحصل فيه من أنواع الفساد بشتى أنواعه المختلفة : (ينصبون خياما كثيرة وصواوين ومطابخ وقهاوى ويجتمع العالم الأكبر من أخلاط الناس وخواصهم وعوامهم وفلاحي الأرياف وأرباب الملاهي

---

(١) — انظر ص ١٠٠٢ — ١٠٠٩

(٢) — قال عنه الجبرتي : هو الامام المعمر القطب أحد مشائخ الطرق عبد الوهاب ابن عبد السلام بن أحمد العفيفي المالكي وكانت الأمراء تأتي اليه لزيارته ولما توفي عام ١١٧٢ : هـ بنى له أولاده قبة وكان يقصد للزيارة ويختلط به الرجال والنساء و ابتدعوا له مولد له موسما وعيدا في كل سنة يدعون اليه الناس. انظر تاريخ الجبرتي ١ / ٢٠٣

و الملاعيب و الغوازى و البغايا و القرادين و الحواة فيملأون الصحراء و البستان فيطئون القبور و يتغوطون و يزنون و يلوطون و يلعبون و يرقصون و يضربون بالطبول و الزمور ليلا و نهارا و يجتمع لذلك الفقهاء و العلماء و يقتدى بهم الأكابر من الأمراء و التجار و العامة من غير انكار بل يعتقدون ان ذلك قربة و عبادة و لو لم يكن ذلك لأنكره العلماء فضلا عن كونهم يفعلونه فالله يتولى هدانا أجمعين (١)

و من المؤرخين الذين كتبوا عن الفساد الذى يحصل في الموالد أبو المحاسن

ت

فقد قال و هو يتحدث عن الفساد الذى يحصل في الاحتفالات بالموالد :و صار يعمل المولد في كل سنة فيأتيه الناس من الأقطار و ترحل اليه من الأطراف و تخرج اليه أهل مصر و القاهرة و تضرب بزاويته الخيم و يعقد سوق و يجتمع من النسوان والشبان خلق كثير فذكروا انه عمل المولد على عادته في شهر ربيع الأول سنة ٧٩٠هـ فهرع الناس لحضور المجتمع حتى غص الفضاء بكثرة العالم و تنوعوا تلك الليلة في الفسوق لكثرة اختلاط النسوان و المردان بأهل الخلاعة فتواتر الخبر بأنه وجد في صبيحة تلك الليلة من جرار الخمر التي شربت بالليل فوق الخمسين فارغة ملقاة حول الزاوية في المزارع و انتضت تلك الليلة عدة أبكار و أوقدت شموع بمال كثير فبعث الله يوم الأحد صباح المولد قاصفا من الريح كدرت على من كان هناك و سفت في وجوههم التراب و اقتطعت الخيم و لم يقدر أحد على ركوب البحر و لم يعد يعمل مولد بعدها فان الشيخ مات في آخر شعبان سنة ٧٩٠ (٢)

---

(١) — تأريخ الجبرتي ١/٣٠٤

(٢) — المنهل الصافي ١/٥٥٦—٥٥٧

و من المؤرخين الذين تحدثوا عن الفساد الذى يحصل في الموالد

فقد قال في مولد الشيخ اسماعيل بن يوسف الأنبابي : حصل فيه من الفساد ما لا يحصى من كثرة الفساد و الفساق حتى أشيع أنهم وجدوا في ثاني يوم في الـــــزرع مائة و خمسين جرة فارغة من جرار الخمر و فتحت مئات الأبكار و كان يعمل هذا المولـد كل سنة و يحضر الى مولده ما لا يحصى من القاهرة و مصر و الضواحي و البلاد (١)

و يقول المقريزى و هو يصف ما يحصل في هذا المولد من الفساد : (كان فيه مـن الفساد ما لا يوصف و وجد في المزارع مائة و خمسين جرة فارغة سوى مـا حكي عـــن الزنـــا و اللواط (٢)

و كرر ابن حجر ما تواتر عن المولد و بقايا الجرار الفارغة من الزنا و اللواط و التجاهر بذلك و قال عن اسماعيل انه انقطع بزاويته ثم صار يعمل عند المولد كما يعمل بطنطا و يجعل فيه من المفاسد و القبائح ما لا يعبر عنه (٣)

و يقول الحافظ محمد بن عبد الله السخاوى عندما أبطل الظاهر جقمق مولد البدوى عمل شخص يسمى رمضان بناحية محل البرج بالقرب من المحلة الكبرى المولد و وقـــع فيه فساد كبير على العادة (٤)

و من المؤرخين الذين تحدثوا عن الفساد الذى يحصل في الاحتفالات بالمولـد ابن الصيرفي على بن داوود الجوهرى فقد قال و هو يتحدث عن المفاسد التي كانت تحصل في مولد الأنباني :(عمله على عادته في زاويته و اتفق فيه من المفاسد و القبائح

---

(١)— تأريخ ابن الفرات ٩ / ٢٧—٤٢—٤٣

(٢)— السلوك للمقريزى ٣ /

(٣)— أبناء الغمر لابن حجر ١ / ٣٥٠—٣٥١—٣٥٧

(٤)— التبر المسبوك ١٧٧

ما لا يمكن شرحه حتى ان الناس وجدوا من الغد في المزارع من جرار الخمر عدة كثيرة تزيد عن ألف جرة سوى ما شربوه في الخيم واما ما حكي من الزنا واللياطة فكثير حتى أرسل الله عليهم في تلك الليلة ريحا كادت تقلع الأرض بمن عليها ولم يجسر أحد من التعدية في النيل فأقاموا بذلك البر أياما حتى سكن الريح وقد توفي اسماعيل في هذه السنة (١)

وقد ذكر ابن اياس محمد بن أحمد

عن مولد الأنبابي أنه كان مرتعا للحفلات الساهرة التي يأتي الناس من أجل الفرجة في تلك الحفلات التي تقام في ذلك المولد

فقد قال في حوادث صفر ٩١٣هـ: كانت ليلة سيدى اسماعيل الأنبابي ونصبت الخيام في الجزيرة التي تجاه بولاق وخرجت الناس في تلك الليلة عن الحد في القصف والفرجة وكانت ليلة حافلة

وفي العام التالي قال في ليلة اسماعيل الأنبابي: كانت ليلة حافلة وضربت في الجزيرة نحو خمسمائة خيمة وخرج الناس في القصف والفرجة (٢)

ومن تحدثوا عن المفاسد التي تحصل في هذه الاحتفالات بالموالد المبتدعة الدكتور أحمد صبحي منصور فقد قال: (والأضرحة الصوفية كانت مدعاة للخلوة المحرمة ومكانا للتلاقي الآثم كما كانت الموالد مواسم زمنية لممارسة الانحلال الخلقي فأصبحت القرافة بما تضم من أضرحة وقباب مواطن مستمرة للانحلال الخلقي في العصر المملوكي حتى ان النداء كان يتكرر دون جدوى بمنع النساء من الخروج الى القرافة لتحاشي

---

(١)— نزهة النفوس والأبدان لابن الصيرفي ١/١٦٩—١٨٠

(٢)— تأريخ ابن اياس ٤/١١٤—١٣٢—١٨٣—٢١٤

ما يقع فيها من فسوق واستمرت القرافة بقبابها وأضرحتها تؤدى دورها المزرى حتى عصرنـــا الحاضـــر (١)

و يقول أحمد صبحي منصور أيضا و هو يتحدث عن الفساد الذى يحصل في الموالد الأحمدية عامة و مولد البدوى خاصة :

لقد أصبح مولد البدوى و الموالد الأحمدية أكبر بؤرة للفساد في مصر المملوكيـة و لم تمنع مكانة البدوى و خلفائه من الانكار على ما يقع في مولده من الاثم و الفجور و لم تكن السلطات المملوكية لتهتم بما يحدث في طنطا الا بعد أن تولى السلطان جقمق سنة ٨٤٢هـ و قد وصفه أبو المحاسن بأنه كان شديدا على من يفعل المنكرات فكسدت في عصره حال أرباب الملاهي و المسكرات و في عهد جقمق تزعم الفقهاء العلامة الدين برهان الدين البقاعي كفائر ضد الصوفية و انحلالهم الديني و الخلقي و هـــو صاحب ما يعرف في المراجع التأريخية المملوكية بفتنة البقاعي و قد كان للبقاعي دور في اطلاع جقمق على ما يجرى في مولد البدوى من انحلال خلقي شاع و ذاع و ملأ الأسماع فأصدر الظاهر جقمق أمرا بابطال المولد الأحمدى سنة ٨٠١هـ و بسبب هذا الحادث تجرأ المؤرخون فأثبتوا ما يقع في المولد من انحراف فالسخاوى يقول : ان المولد الأحمدى كانت تتخذ فيه أماكن تعد للفساد في تلك الأيام لكثيرة الجموع ثـــم اضطر الصوفية لاثبات هذا الحادث يقول الحلبي عن المولد : و صار له يوم مشهـــود و يقصده الناس من النواحي البعيدة و شهرة هذا المولد في عصرنا هذا تغني عـــن التدوين عنه
و قد قام جماعة من العلماء و ممن يتدين في الأمر بابطاله لأمور عرضت فيه منهـــا وجود النساء الخطايا و اختلاط بعض الفساق بهن فلم يتهيأ لهم ابطاله الا سنـــة

---

(١) ـ السيد البدوى بين الحقيقة و الخرافة ٧٤ ـ ٧٧

واحد و خمسين و ثمانمائة و كان ذلك في زمن السلطان جقمق و كانوا قد أنهوا اليه ان في مولد سيدى أحمد البدوى يقع فيه محرمات و مفاسد كثيرة بسبب اختـــلاط الرجـــال بالنســـاء (١)

و من العلماء الذين تحدثوا عن المفاسد التي تقع في هذه الاحتفالات المبتدعة بالموالد الشيخ عبداللطيف مشتهرى فقد قال :

و من المحرمات التي تقع فيها ـ أى الموالد ـ اضاعة المال بكثرة الوقود و انـارة المصابيح في المساجد و الطرق و استهلاك الشموع و المصابيح

و منها انتهاك حرمة المساجد بتقذيرها و باللغط و وجود الأطفال و الحفـــاة الذين ينجسونها حتى يتعذر اقامة الشعائر بها على الوجه المرضي و معلوم ان التشويش في المساجد حرام و لو بتلاوة القرآن

و منها تبرج النساء الزائرات للموالد و الأضرحة مع الاختلاط بالرجال و ما يحدث فيه من فجور و نشل و معارك في تلك الليالي في الساحة و ما حولها

و منها استعمال آلات اللهو و الأغاني الخليعة

و من بدع الموالد الترجيع في القرآن كالطرب مع شرب الجوزة و الشيشة

و منها الرياء الزائد و التنافس بين الأغنياء للمباهاة و تعطيل الناس عن أعمالهم و خاصة من يفدون من الريف فضلا عمن يتكبدون من مال هم أحوج ما يكونون اليـــه بالاضافة الى ما يحدثونه من أزمات خانقة في المواصلات و الطعام و ما يحصل لهـــم من الكوارث

و منها حلقات الذكر المحرف و فيها المنشدون الذين يبتغون المال و الشهـرة

---

(١) ـ السيد البدوى بين الحقيقة و الخرافة ٣٢٣

و لا يبتغون رضوان الله كما يوجد فيها الصارخون في المساجد و المصفقون و المصفرون و الراقصون المائلون المميلون كما تجد في الطرق المؤدية الى الموالد من يقـــرأون القرآن على قارعة الطريق و في الحوانيت لاجتلاب الزبائن و على الكبارى و أبواب الأنفاق يستجدون بالقرآن عطف الناس فأرخصوا ما أغلى الله و حقروا ما عظم من منهج الحياة و دستور الوجود كتاب الله

و منها تعطيل للعاملين عمالا و فلاحين و طلبة عن أداء واجباتهم بما فيها مـــن افراط بالسهر و السفر و حملهم على الكف بشراء ما يلزمهم من الشهوات و قد يكـون الكثير من رواد هذه الموالد ممن لا يركع للبـــه ركعـــة

و منها شد الرحال الى غير المساجد الثلاثة بمكة و المدينة و القدس حيث قـال الرسول : لا تشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد المسجد الحرام و المسجد الأقصـــى و مسجـــدى هـــذا

و لو لم يكن في الموالد الا اتخاذ القبور عيدا للذبائح و القرابين و النذور كفعل المشركين عند أوثانهم لكفى بذلك تحريما

علاوة على ما يحدث في هذه الموالد من توسل لغير الله و سؤال و استعانة بمـا سواه و شرك لا يحصى مع أن منع المفاسد مقدم على جلب المصالح و ما دام المسلـم لا يستطيع أن يزيل هذه المنكرات فليبتعد عن شهودها حتى لا تصيبه اللعنـة (١)

و من العلماء الذين تحدثوا عن المفاسد التي حصلت بسبب انتشار هذه الموالد المبتدعة الشيخ عبدالرحمن الوكيل

فقد قال و هو يتحدث عن المفاسد التي حصلت في العالم الاسلامي بسبب ابتداع

---

(١) — هذه دعوتنا للشيخ عبداللطيف مشتهرى ٢٢٠—٢٢٤ بتصرف

هذه الموالد التي يحتفل بها المتصوفة في العالم الاسلامي على مدار السنة حيث ما ينتهي موسم مولد الا و يبدأ موسم آخر و هكذا

قال الشيخ رحمه الله : (و دعوى حبهم ـ أى الصوفية ـ للرسول صلى الله عليه و سلم و آل بيته دعوى الرجس أنه قداسة و الاثم الكبير انه روحانية فضيلة ؟ ! ! و كذلك الفرية افتراء الشيعة انهم أحباء آل البيت محمد صلى الله عليه و سلم أترى الشيعة و الصوفية اتبعوا الرسول وحده و جعلوه وحده الأسوة و القدوة الحسنة

ما ثم ما يحتجون به لدعواهم سوى العكوف على الأضرحة الزنيمة المفتراة لآل البيت سوى تلك القباب التي شيدوها معبودة على عظام نخرة لا تدرى أهي الحيوان أم انسان أم هي أمشاج من عظام شتى لا تدرى أهى لصالح أم طالح لمسلم أم يهودى فقد شيدتها الفاطمية في مصر لتصرف الناس عن حج بيت الله الحرام و لتجعل قلوب المسلمين نفسها قبور خربة ثم سمتها بأسماء آل البيت و أقامت على سدانتها و عبادتها الصوفية

ما لهم من دليل على حبهم لآل البيت سوى عبادة تلك الأصنام بتقبيل أستارها و أحجارها و لثم نحاسها و خشبها و تعطير أجوائها و الاستشفاع بأعتابها و اقتراف الأعياد الوثنية في كل موسم لها

و سل الآمنين تلك الموالد عن عربدة الشيطان في باحاتها و عن الاثم المهتوك في حاناتها و عن حمم الشهوات التي تتفجر تحت سوا د ليلاتها

و هكذا تكد الصوفية في سبيل أن تجعل دنيا المسلمين كلها مقبرة فقراء الا من الوحشة جرداء الا من الرهبة و الفزع خاوية الا من خطايا تقترف باسم الاسلام تكد في أن تجعل نفوس المسلمين مقابر و غاياتهم المقابر و آلهتهم العظام البوالي في

المقابر و تحت المسلمين ليجعلوا الحياة كلها قربانا الى غايات العدم و جيف المقابر

فما ينقضي في مصر أسبوع الا و تحشد الصوفية أساطين شركها و عباد أوثانها عند مقبرة يسبحون بحمد جيفتها و يسجدون اذلاء لرقها و يقترفون خطايا المحوسية في حمأتها و يحتسون آثام الخمر و الحشيش و الأجسام التي طرحها الليل على الاثم فجورا و معصية و يسمونها للناس (موالد) أو مواسم . عبر و ذكريات خوالد و ما تجتمع جماعة صوفية أو تنفض الا ليبحثوا كيف يحتفون بصنم قبر أو رقة قبر و ما يهوم ليل على صوفي أو يفزعه بالنور نهارا الا و قلبه مستعبد بهوى صنم قبر أو رقة قبر و ما يقعد صوفي أو يقوم أو يركب أو يمشي الا و ينعق مستغيثا بصنم قبر أو رقة قبر !!

قبور قبور هذه هي دنيا الصوفية لها جهاد الصوفية و لرمسها عباداتها و لها تحيا و لها تموت و بها تعيش و خير ما تتمناه الصوفية هو أن يهلك المسلمون جميعا حتى يكون في كل ساعة (مولد) مقبرة و عيد رمة !!

فليقتل المسلمون أنفسهم ليمدوا الصوفية بأعياد كثيرة للقبور و نذور للجماجم ما لهم من دليل على حبهم للرسول و آل بيته سوى تلك التواشيح التي يتغزلون بها في العيون الحوالم النعس و الشفاه الظوامئ اللعس و الأهداب المسبلات في اغراء على لهب من الورد يتوهج في الخدود النضر

تلك هي أدلتهم و يا لها من أدلة حياة كلها خطايا و قلوب أربابها رمم معبودة و نفوس آلهتها جيف و أفكار كلها للأساطير و حياة ميتة و وجود يفزع منه و دنيا خمول خامد تقصف بها الذلة فأين الكفاح في سبيل بناء الحياة (١)

---

(١) — هذه هي الصوفية لعبد الرحمن الوكيل ١٦٠

والخلاصة التي توصلنا اليها بعد سردنا الطويل هذا لأقوال العلماء والمؤرخين قديما وحديثا في وصف ما يحدث في هذه الموالد المبتدعة التي نشرها المتصوفة في العالم الاسلامي ولا زالوا الى اليوم ينشرونها ويدعون الناس لعبادتها من دون الله هي أن هذه القبور التي جعل لها المتصوفة أعيادا معينة ما هي الا وكر لممارسة كل الفساد بأنواعه وأشكاله المختلفة من الشرك بالله ومن الانحلال الخلقي كالزنا واللواط بسبب الاختلاط الفظيع الذى يحصل في هذه الاحتفالات الصوفية بين الرجال والنساء ولذا يجب هدم تلك القباب والمساجد المبنية على تلك القبور لأنها هي السبب في وقوع الأمة في هذا الفساد المنتشر في العالم الاسلامي بأسره الا من شاء الله وقليل ما هم

المطلب الثالث: حكم الاحتفال بالمولد النبوي والموالد الأخرى التي يقيمها الصوفية في العالم الاسلامي :

لقد بينا في المطلب الأول من هذا المبحث بأن الاحتفال بالموالد سواء الاحتفال بمولد الرسول صلى الله عليه وسلم أو بمولد غيره لم يكن في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا في عهد الصحابة الكرام ولا في عهد التابعين وتابعي التابعين في القرون المفضلة الأولى المشهود لها بالخيرية وانما أحدثه العبيديون وقام بنشره في العالم الاسلامي الصوفية ثم أتبعت ذلك في المطلب الثاني بذكر المفاسد التي وقعت وتقع بسبب هذه الاحتفالات المبتدعة التي أصبحت وكرا للافساد

وفي هذا المطلب أريد أن أبين حكم الاحتفال بهذه الموالد فأقول ان حكم الاحتفال بهذه الموالد يعتبر بدعة مذمومة في الدين ويعترف الصوفية أنفسهم بأنها بدعة ومما يدل على هذا قول محمد بن علوي المالكي الصوفي المعاصر فقد قال وهو يسرد أدلته الواهية لكي يثبت مشروعية الاحتفال بالمولد النبوي :

الخامس : ان الاحتفال بالمولد النبوي لم يكن في عهده صلى الله عليه وسلم فهو بدعة ولكنها حسنة لاندراجها تحت الأدلة الشرعية والقواعد الكلية .

وقد رد عليه الشيخ ابن منيع حفظه الله وأطال عمره بعدة وقفات فقال :

الوقفة الأولى : عند اعترافه بأن الاحتفال بالموالد بدعة لأنه لم يكن على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا شك أن الاحتفال بالمولد بدعة وأنه لم يكن على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم بالرغم من أن عهده صلى الله عليه وسلم ملئ برجال هم أحرص الناس على حب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأحرص الناس على الفرح برسول الله صلى الله عليه وسلم

و أحرص الناس على الاستبشار برسول الله و أحرص الناس على اظهار السرور برسول الله و أخلص الناس تضحية و فداء و وقوفا مع رسول الله صلى الله عليه و سلم فهل يستطيع المالكي أن يقول ان القرامطة و الفاطميين و الرافضة و الصوفية و غيرهم من أهل البدع و المحدثات و ممن هم سلف المالكي و قدوته هل يستطيع أن يقول بأنهم أعظم من أصحاب رسول الله صلى الله عليه و سلم أم يستطيع المالكي أن يقول ان القرامطة و الفاطميين و الرافضة و الصوفية و غيرهم من أسلافهم أعلم من أصحاب رسول الله بحق رسول الله .... نعم لم يكن الاحتفال بالمولد في عهد رسول الله و لا في عهد أصحابه و لا في عهد تابعي أصحاب رسول الله و لا في عهد الأئمة الأعلام في الفقه و الحديث و مقاصد التشريع أمثال ابن حنيفة و مالك و الشافعي و أحمد و الأوزاعي والثوري و البخاري و مسلم و الترمذي و النسائي و أبو داوود و ابن ماجه و غيرهم فهل نقبل أمرا أتى به شر من وطأ الحصى القرامطة و الفاطميون و غيرهم ممن يشهد التأريخ الاسلامي بتدنيسهم محيا الاسلام و نترك ما عليه أصحاب القرون الثلاثة المفضلة من صحابة و تابعين و علماء أجلاء لهم أقدامهم المعلاة في العلم و التقى و الصلاح و الاستقامة و سلامة المعتقد و دقة النظر و صدق الاتباع و الاقتداء بمن أمرنا الله تعالى أن نجعله أسوة و قدوة لمسالكنا و هو رسولنا و حبيبنا و نبينا محمد صلى الله عليه و سلم

الوقفة الثانية : عند قوله :(ان الاحتفال بالمولد بدعة الا أنها بدعة حسنة) قال ابن منيع كم نتمنى من المالكي أن يتقي الله تعالى و أن يقف مع حماة الاسلام وألا يشترك مع غيره في فتح ثغرات شر و ابتداع على المسلمين فان رسول الله صلى الله عليه و سلم قد أوتي جوامع الكلم و له من الفصاحة و البلاغة و القدرة على القول المبين ما يستطيع

أن يبين به أقسام البدعة ان كان للبدعة أقسام وأن يبين من هذه الأقسام ما يجـــوز وما لا يجوز ولكنه صلى الله عليه وسلم عمم فقال : (من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد)(١)

وفي رواية :(من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد)(٢)

وقال :(كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار)(٣)

فالتعبير بكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار ماذا يعني هـــل يعني ذلك العموم أم يعني التقسيم ؟

ولئن قال بعض أهل العلم بالتقسيم فان المحققين منهم ينحون باللائمة على ذلـــك الاتجاه الذى فتح للبدع والمحدثات الأبواب على مصاريعها (٤)

قال شيخ الاسلام ابن تيمية بعد أن تحدث حديثا طويلا عن البدع : وبهـــذا يتبين لك أن البدعة في الدين وان كانت في الأصل مذمومة كما دل عليه الكتاب والسنة سواء في ذلك البدع القولية أو الفعلية وقد كتبت في غير هذا الموضوع ان المحافظـــة على عموم قول النبي صلى الله عليه وسلم كل بدعة ضلالة متعين وأنه يجب العمل بعمومه وأن من أخذ يصنف البدعة الى حسن وقبيح ويجعل ذلك ذريعة الى أن لا يحتج بالبدعة على المنهي فقد أخطأ كما يفعل طائفة من المتفقهة والمتصوفة والمتعبـــدة اذا نهوا عن العبادات المبتدعة والكلام في التدين المتبوع ادعوا ان لا بدعـــة مكروهة الا ما نهى عنه فيعود الحديث الى أن يقال كل ما نهي عنه أو كل ما حـــرم أو كل ما خالف نص النبوة فهو ضلالة وهذا أوضح من أن يحتاج الى بيان بل كل ما

---

(١)— صحيح البخارى مع الفتح ٥/ ٣٠١ (٢)— نفس المرجع ١٣/ ٣١٧

(٣)— سنن النسائي ٣/ ١٨١ (٤)— حوار مع علوى المالكي للشيخ ابن منيع ٥٧

لم يشرع من الدين فهو ضلالة (١)

و قال شيخ الاسلام ابن تيمية في موضع آخر من مجموع الفتاوى :

و معلوم ان كما لم يسنه و لا استحبه رسول الله صلى الله عليه وسلم و لا أحد من هؤلاء الذين يقتدى بهم المسلمون في دينهم فانه يكون من البدع المنكرات ولا يقول أحد في مثل هذا انه بدعة حسنة (٢)

و الخلاصة أن قول العلوى بأن المولد بدعة حسنة قول باطل وذلك لأنه لا يوجد من البدع في الدين حسن و قبيح بل كل البدع التي تبتدع في دين الله فهي قبيحة و ضلالة و مردودة على صاحبها و المولد من جملة هذه البدع التي ابتدعت في دين الله فهو مردود على أصحابه لأنهم يمارسون عبادة غير مشروعة و شرط العبادة المقبولة أن تكون صوابا و الصواب هو ما وافق الكتاب و السنة و أن يكون خالصا لوجه الله لا يشرك فيه معه غيره

و قال الدكتور عزت عطية في حكم الاحتفال بالمولد النبوى :

لا خلاف بين العلماء في أن الاحتفال بيوم المولد عمل محدث لم يعهد في عصر الرسول صلى الله عليه و سلم و لا في عصر الصحابة أو التابعين لهم باحسان الى يوم الدين ... ... و قد اختلف موقف العلماء في الاحتفال بيوم المولد فالبعض أجرى عليه أدلة ذم البدع باعتبار حدوثه و ترك النبي صلى الله عليه و سلم و من بعده من السلف هذا من ناحية و من ناحية أخرى لأنه تخصيص بغير مخصص و قد ورد النهي عن مثله فقد نهى النبي صلى الله عليه و سلم تخصيص يوم الجمعة بصيام و لأن المفسدة

---

(١) — مجموع الفتاوى لشيخ الاسلام ابن تيمية ١٠/ ٣٧٠—٣٧١

(٢) — نفس المرجع ٢٧/ ١٥٢

انما تنشأ من تخصيص ما لا خصوصية له كما في الاحتفال بالمولد لما نهى عنه

فان الناس انما يخصون هذا اليوم بالاحتفال لاعتقادهم فيه فضيلة تقتضي ذلك ولا فضيلة فيه فأقل أحوال هذا الاحتفال في نظر الشرع أن يكون مكروها (١)

و قال تاج الدين عمر بن علي اللخمي السكندرى المعروف بالفاكهاني و هو يتحدث عن حكم الاحتفال بالمولد

قال :بعد أن حمد الله و أثنى عليه بما هو أهله : أما بعد فانه قد تكرر سؤال جماعة من المباركين عن الاجتماع الذى يعمله بعض الناس في شهر ربيع الأول ويسمونه المولد هل له أصل في الشرع أو هو بدعة حدث في الدين ؟

و قصدوا الجواب على ذلك مبينا و الايضاح عنه معينا فقلت و بالله التوفيق :

لا أعلم لهذا المولد أصلا في كتاب ولا سنة ولم ينقل عمله عن أحد من علماء الأمة الذين هم القدوة في الدين المتمسكون بآثار المتقدمين بل هو بدعة أحدثها المبطلون و شهوة نفس اعتنى بها الآكلون بدليل انا اذا أبرنا عليها الأحكام الخمسة قلنا اما أن يكون واجبا أو مندوبا أو مباحا أو مكروها أو محرما وليس هو بواجب اجماعا ولا مندوبا لأن حقيقة المندوب ما طلبه الشارع من غير ذم على تركه و هذا لم يأذن فيه الشارع ولا فعله الصحابة و التابعون ولا العلماء المتدينون فيما علمت و هذا جوابي عنه بين يدى الله ان عنه سئلت ولا جائزا ولا مباحا لأن الابتداع في الدين ليس مباحا باجماع المسلمين فلم يبق الا أن يكون مكروها أو محرما (٢)

و قال شيخ الاسلام ابن تيمية و هو يتحدث عن حكم الاحتفال بالمولد النبوى :

---

(١) — البدعة تحديدها و موقف الاسلام منها ٤٨١

(٢) — المورد في عمل المولد للامام أبي حفص تاج الدين الفاكهاني ٢٠

وما أحدثه بعض الناس اما مضاهات للنصارى في ميلاد عيسى عليه السلام واما محبة النبي صلى الله عليه وسلم وتعظيمهم فيه .... ومع اختلاف الناس في مولده فان هذا لم يفعله السلف ولو كان خيرا محضا أو راجحا لكان السلف أحق به منا فانهم كانوا أشد محبة للنبي صلى الله عليه وسلم وتعظيما له منا وهم على الخير أحرص وانما كمال محبته وتعظيمه في متابعته وطاعته واتباع أمره واحياء سنته باطنا وظاهرا ونشر ما بعث به والجهاد على ذلك بالقلب واليد واللسان فان هذه هي طريقة السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم باحسان (١)

وقال الشيخ أبو بكر الجزائري في حكم الاحتفال بالمولد بعد أن ذكر نماذج من المفاسد التي تحصل في هذه الموالد في العالم الاسلامي عامة :

ومن هنا كان حكم الاسلام على هذه الموالد والمواسم والزرد والحضرات المنع والحرمة فلا يبيح منها مولدا ولا موسما ولا زردة ولا حضرة وذلك لأنها بدع قامت على أساس تقويض العقيدة الاسلامية وافساد حال المسلمين ويدل على ذلك مناصرة أهل الباطل لها ووقوفهم الى جنبها ومعها ولو كان فيها ما يوقظ الروح الاسلامي أو يحرك ضمائر المسلمين لما وجدت من حكومات الباطل والشر الا محاربتها والقضاء عليها هذا وهل دعاء غير الله والذبح والنذر لغير الله غير شرك حرام ؟!!

وهذه الموالد ما قام سوقها الا على ذلك وهل الرقص والمزامير واختلاط النساء بالرجال الا فسق حرام وما خلت تلك الموالد والمواسم من شيء من هذا فكيف اذا لا تكون حراما

وهل هذه الموالد عرفها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه والتابعون لهم

---

(١) — اقتضاء الصراط المستقيم لشيخ الاسلام ابن تيمية ٢/ ٦١٥

باحسان والجواب لا لا وما لم يكن على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه دينا فهل يكون اليوم دينا وما لم يكن دينا فهو بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار سئل مالك رحمه الله عما يترخص فيه بعض أهل المدينة من الغناء فقال للسائل هل الغناء حق قال لا قال اذا فماذا بعد الحق الا الضلال فهذه الموالد على اختلافها ما فيها من حق البتة وما لم يكن حقا فهو باطل (١)

وقال الشيخ عبد العزيز بن عبد الله باز في حكم الاحتفال بالمولد النبوي حينما سئل عنه: والجواب أن يقال انه لا يجوز الاحتفال بمولد الرسول صلى الله عليه وسلم ولا غيره لأن ذلك من البدع المحدثة في الدين لأن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يفعله ولا خلفاؤه الراشدون ولا غيرهم من الصحابة رضوان الله على الجميع ولا التابعون لهم باحسان في القرون المفضلة وهم أعلم الناس بالسنة وأكمل حبا لرسول الله ومتابعة لشرعه من بعدهم ..... ثم قال الشيخ ابن باز: ان الاحتفال بالموالد ليس من دين الاسلام بل هو من البدع المحدثات التي أمر الله سبحانه ورسوله بتركها والحذر منها ولا ينبغي للعاقل أن يغتر بكثرة من يفعله من الناس في سائر الأقطار فان الحق لا يعرف بكثرة الفاعلين وانما يعرف بالأدلة الشرعية ثم ان غالب هذه الاحتفالات بالموالد مع كونها بدعة لا تخلو من اشتمالها على منكرات أخرى كاختلاط النساء بالرجال واستعمال الأغاني والمعازف وشرب المسكرات والمخدرات وغير ذلك من الشرور وقد يقع فيها ما هو أعظم من ذلك وهو الشرك الأكبر وذلك بالغلو في رسول الله أو غيره من الأولياء ودعائه والاستغاثة به وطلب المدد واعتقاد أنه يعلم الغيب ونحو ذلك من الأمور الكفرية التي يتعاطاها الكثير من الناس حين احتفالهم

---

(١) — الانصاف للشيخ الجزائري ٢٩

بمولد النبي وغيره ممن يسمونهم بالأولياء (١)

وقال ابن الحاج في المدخل في حكم الاحتفال بالمولد النبوي :

ومن جملة ما أحدثوه من البدع مع اعتقادهم ان ذلك من أكبر العبادات مايفعلونه من المولد وقد احتوى ذلك على بدع محرمات ثم ذكر منها استعمال الأغاني بآلات الطرب وحضور المردان والشباب ورؤية النساء لهم وما في ذلك من المفاسد ثم قال : فان خلا المولد من السماع وعمل طعاما فقط ونوى به المولد ودعا اليه الاخوان وسلم من كل ما تقدم ذكره فهو بدعة بنفس نية اذ أن ذلك زيادة في الدين وليس من عمل السلف الماضين واتباع السلف أولى بل أوجب من أن يزيد بنيته مخالفا لما كانوا عليه (٢)

وقال الشيخ علي محفوظ تحت عنوان (المواسم التي ينسبونها الى الشرع وليست منه) :

ومنها ان تلك المواسم التي ينسبونها الى الشرع وليست منه ليلة الثاني عشر من ربيع الأول يجتمع لها الناس في المساجد وغيرها فيهتكون حرمة بيوت الله تعالى ويسرفون في الوقود فيها ويرفع القراء أصواتهم بقصائد الغناء التي تثير شهوة الشبان الى الفسوق والفجور فتراهم عند ذلك يصيحون بأصوات منكرة ويحدثون في المساجد ضجة فظيعة وقد لا يتعرضون في قصائدهم لشيء من خصائص رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخلاقه الكريمة وأعماله النافعة الجليلة وفيهم من يشتغل بالذكر المحرف وكل ذلك لم يأذن به الله ورسوله ولم يعهد عن السلف الصالح فهو بدعة وضلالة (٣)

---

(١) — جملة الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة

(٢) — المدخل لابن الحاج ٢/٢

(٣) — الابداع في مضار الابتداع للشيخ علي محفوظ ١٤١

و يعتقد كثير من المتصوفة بأن الرسول يحضر الحضرات التي يقومونها بهـا فـي مولده و قد ذكر ذلك محمد بن علوى المالكي الصوفي المعاصر و لكنه لم يرتضيه مـع اقراره بأنه يعتقد بأن روح الرسول تحضر مجالس الصوفية في المولد النبوى أثنـاء احتفالهـم بـه

و اليك نص كلامه فقد قال : و اننا نعتقد أنه صلى الله عليه و سلم حي حياة برزخيـة كاملة لائقة بمقامه و ان روحه جوالة سياحة في ملكوت الله سبحانه و تعالى و يمكن أن تحضر مجالس الذكر و مشاهد النور و العلم و كذلك أرواح خلص المؤمنين من أتباعه (١)

و يعتقد فريق آخر من المتصوفة ان القيام الذى يقومه المتصوفة أثناء قراءة المولـد النبوى هو لمقابلة النبي و الترحيب به حيث انهم يعتقدون بأنه يحضر المولد بذاتـه و قد جاء ذلك في نظم مولد البرزنجي و نصه :

و قد سن أهـل الفضل و العلم و التقى قياما على الأقدام مع حسـن امعـان

بتشخيص ذات المصطفى و هو حاضـر بأى مقـام فيه يذكـر بـل دان

في تفسير ذلك التشخيص يقول محمد بن علوى المالكي الصوفي المعاصر في رسالته حول الاحتفال بالمولد النبوى ما نصه :

أن هذا القيام لتصور شخص النبي صلى الله عليه و سلم في الذهن قال فالنـاس يقومون احتراما و تقديرا لهذا التصور الواقع في نفوسهم عن شخصية ذلك الرسـول العظيم مستشعرين جلال الموقف و عظمة المقام (٢)

و الاعتقاد بأن الرسول صلى الله عليه و سلم يحضر موالد الصوفية و حلقاتهم

---

(١)— رساله حول الاحتفال بالمولد النبوى د ٢ نقلا عن القول الفصل للشيـخ اسماعيل الأنصارى

(٢)— القول الفصل لاسماعيل الأنصارى ٣٠٢—٣٠٤

المبتدعة اعتقاد باطل و ضلال مبين و ذلك لأن الرسول صلى الله عليه و سلم لا يخرج من قبره قبل يوم القيامة و لا يتصل بأحد من الناس بل هو منعم في قبره و روحه في أعلى عليين عند ربه في دار الكرامة قال تعالى :((ثم انكم بعد ذلك لميتون ثم انكم يوم القيامة تبعثون)) (١)

و قال شيخ الاسلام ابن تيمية و هو يتحدث عن حكم المولد :

و أما اتخاذ الموسم غير المواسم الشرعية كبعض ليال شهر ربيع الأول التي يقال انها ليلة المولد أو بعض ليالي رجب أو ثامن عشر ذى الحجة أو أول جمعة من رجب أو ثامن شوال الذى يسميه الجهال عيد الأبرار فانها من البدع التي لا يستحبها السلف و لم يفعلوها (٢)

و على كل حال فليس عندنا في الاسلام الا ثلاثة أعياد فقط و هي عيد الفطر و عيد الأضحى و عيد الأسبوع الذى هو يوم الجمعة و قد جاءت أحاديث كثيرة تدل على أن يوم الجمعة عيد من أعياد المسلمين منها ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول :(ان يوم الجمعة يوم عيد فلا تجعلوا يوم عيدكم يوم صومكم الا أن تصوموا قبله أو بعده)(٣)

و قال الشيخ صالح السحيمي و هو يستنكر على العلماء الذين يدعون الى هذه البدعة و لا ينكرونها : و نحن لا نلوم العامة الذين يفعلون مثل هذه الأمور و هم يحسبون أنهم يحسنون صنعا بقدر ما نوجه اللوم بوجه خاص الى بعض المنتسبين الى

---

(١) — المؤمنون ١٥—١٦ (٢) — الفتاوى المصرية لشيخ الاسلام ابن تيمية ١/ ٣١٢

(٣) — صحيح ابن خزيمة باب الدليل على أن الجمعة يوم عيد ٣/ ٣١٥ زكذلك البزار في كشف الأستار عن زوائد البزار في باب ما جاء في صوم يوم الجمعة ١/ ٤٩٦

العلم أولئك الذين يعرفون طريق الحكم و لكنهم يحيدون عنها و لا يذكرون ان الاتباع أولى من الابتداع و لكنهم يتجاهلون هذا الحق الذى لا يجادل فيه فكيف يجهل هؤلاء أن حقيقة الاحتفالات بذكرى مولد الرسول عليه السلام تتركز في اتباع ما جاء به و احياء سنته و ان هذه الذكرى الطيبة ليست مؤقتة بزمن و ليست محددة بشهر ربيع الأول و لا غيره بل ينبغي أن نحييها و نحتفي بها في كل لحظة من لحظات حياتنا و في كل بقعة حللنا بها و ذلك باتباع سنته و السير على نهجها و ما أظن أن مسلما يجهل أن فكرة الاحتفال بالمولد النبوى أو غير ذلك من الموالد فكرة مبتدعة جاءتنا متأخرة و فيها تشبه باليهود و النصارى الذين لا يعرفون من الدين الا الاحتفالات على رأس السنة بعيد ميلاد المسيح عليه السلام أو غيره الذى هو دس عليهم و ليس من دينهم و نحن قد قلدناهم في هذا العمل كما قلدناهم في أمور كثيرة و هذا بلا شك مصداق لقول الرسول صلى الله عليه و سلم : (لتتبعن سنن من كان قبلكم شبرا بشبر و ذراعا بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه قالوا يا رسول الله اليهود و النصارى قال فمن)(١)

و قال أبو عبد الله الأستاذ محمد الحفار : (ليلة المولد لم يكن السلف الصالح و هم أصحاب رسول الله صلى الله عليه و سلم و التابعون لهم يجتمعون فيها للعبادة و لا يفعلون فيها زيادة على سائر ليالي السنة لأن النبي صلى الله عليه و سلم لا يعظم الا بالوجه الذى شرع به تعظيمه و تعظيمه من أعظم القربات الى الله لكن يتقرب الى الله جل جلاله بما شرع)(٢)

---

(١) — صحيح مسلم مع شرح النووى ١٦/٢١٩ وانظر الموضوع في تنبيه أولي الأبصار للشيخ السحيمي

(٢) — المعيار المعرب للأحمدى ٧/٩٦—١٠١

والخلاصة ان الاحتفال بالمولد النبوى أو بالموالد الأخرى بدعة أحدثت في الدين وليست منه ولذا فهذه الاحتفالات التي يفعلها المتصوفة في العالم الاسلامي لا تقرب الى الله سبحانه وتعالى وانما تبعد عنه وذلك لأن التقرب الى الله لا يكون الا بعبادة مشروعة وهذه الاحتفالات ليست بعبادة مشروعة وانما هي عبادات مبتدعة والبدع مردودة على أصحابها وكلها ضلالة بلا استثناء كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم : (من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد) (١)

وكما قال صلى الله عليه وسلم : (كل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار) (٢)

---

(١) — صحيح البخارى مع الفتح ٣١٧/١٣

(٢) — سنن النسائي ١٨٩/٣

المبحث الرابع : انتشار الأذكار والأدعية والصلوات المبتدعة في الأمة الاسلامية

واعراض الناس بسببه عن تلاوة القرآن الكريم وذكر الله بما ورد في الكتاب والسنة

وتحته تمهيد ومطلبان :

أولا التمهيد

اذا نظرنا في العالم الاسلامي على امتداده الواسع وكثرة سكانه نرى انتشار هذه الأذكار والأدعية والصلوات المبتدعة منتشر بين الأمة الاسلامية ولقد انشغل كثير من أفراد هذه الأمة الاسلامية وبالذات الذين انضموا الى الطرق الصوفية واعتنقوها أو العامة الذين لا يميزون بين الحق والباطل بهذه الأذكار والأدعية والصلوات الصوفية المبتدعة فأصبحوا يتلونها ليلا ونهارا وصباحا ومساءا تاركين تلاوة كتاب الله عز وجل وذكره بما شرع في كتابه وسنة رسوله محمد صلى الله عليه وسلم

واذا ألقينا نظرة بسيطة في الطرق الصوفية نرى أن كل شيخ طريقة قد وضع أحزابا وأدعية وصلواتا خاصة بطريقته يتلوها أتباعه ليلا ونهارا ويسمى كل صوفي الأدعية والأذكار والصلوات المبتدعة بقوله : (هذا حزب فلان أو ورده وأتباع هذا الشيخ الذى وضع هذا الحزب أو الورد يحافظون عليه قراءة وتبركا وتقديسا أشد من محافظتهم على القرآن الكريم

وهذا ليس من باب المبالغة وانما هو واقع مرير مشاهد نعايشه في عصرنا الحاضر والعجيب الغريب أن كل أهل طريقة صوفية يدعون ان حزبهم أفضل من أحزاب الطرق الصوفية الأخرى ولم يقف المتصوفة عند هذا الادعاء بل وصل بهم الأمر والجرأة على الله وعدم الخوف منه الى الادعاء بأن أحزابهم المبتدعة أفضل من القرآن الكريم ،

ولو نظرنا الى الأدعية والأوراد والأذكار والصلوات الصوفية المبتدعة نرى أنها تشتمل مع كونها مبتدعة على الشرك بالله سبحانه وتعالى والالحاد والكفر وأقل ما فيها اشتمالها على التوسلات المبتدعة كالتوسل بالذوات أحياء وأمواتا غائبين .

ولقد شغلت هذه الأذكار والصلوات والأدعية المبتدعة الناس عن ذكر الله وعن تلاوة القرآن حيث ان كثيرا من أفراد الأمة الاسلامية يبقون في تلاوة هذه الأوراد سنين عديدة بل يبقون فيها طول عمرهم ويكررونها ليلا ونهارا صباحا ومساءا حتى تصير لهم عادة وطبعا فيغفل عن ذكر الله تعالى طول عمره فيختم على قلبه فلا يقبل دعوة الحق بل يبقى أسيرا لهذه الأدعية والأوراد والأحزاب والصلوات المبتدعة ويلهج بذكرها وتلاوتها ليل نهار فلا قرآن ولا ذكر مشروع بل يغني عمره عاكفا عليها وكلما قرأها ازداد قسوة وكرها للحق وبعدا عن أهله وهذا معروف لا يخفى على أحد يعايش أحوال أمته الاسلامية ويهتم بشئونها ويتألم لألمها لأنه واقع مشاهد في أصحاب الطرق الصوفية في العالم الاسلامي الا من شاء الله وقليل ما هم

ثم ان الأذكار والأدعية والصلوات الصوفية المبتدعة تجد في كثير من ألفاظها التي سيقت بها الغموض والخفاء بحيث في بعض الأحيان لا يدرى الانسان ما تدل عليه هذه الألفاظ من المعاني فقد تكون هذه محتوية على الكفر والشرك بالله سبحانه وتعالى

بل في بعض الأدعية والأذكار والصلوات الصوفية فيها ألفاظ صريحة تدل الى القول بوحدة الوجود بل يوجد في أدعيتهم الدعوة الى رفع التكليف عنهم وتارة فيها الدعوة الى الحب والغرام (١)

---

(١) — أنظر السيد البدوى بين الحقيقة والخرافة ١٠٣

ولقد وضع المتصوفة أدبا لهذه الأذكار والصلوات والدعوات المبتدعة وألزموا المريد قرائتها يوميا بل تتلى بعض الأوراد الصوفية يوميا عدة مرات بحيث لا يبقى للمريد وقت يتلو فيه القرآن ولا وقت يذكر الله فيه بالأذكار النبوية المشروعة مما سبب اعراض جمهور كبير من الأمة الاسلامية فى أنحاء العالم عن تلاوة كتاب الله عز وجل وتدبر معانيه وعن ذكر الله عز وجل ودعائه بما شرعه

المطلب الأول : نماذج من الأذكار و الأدعية و الصلوات الصوفية المبتدعة

لقد ابتدع المتصوفة أذكارا وأدعية و صلوات كثيرة جدا يصعب حصرها و بما أن المقصود في عقد هذا المبحث ليس جمع أذكارهم و أدعيتهم و صلواتهم سنكتف بذكر نماذج منها و ذلك للتدليل على أن المتصوفة هم الذين نشروا هذه الأدعية و الأذكار و الصلوات المبتدعة مما كان له الأثر السيء في الأمة الاسلامية حيث تسببت هـــذه الأشياء المبتدعة الى عزل الناس عن تلاوة كتاب و ذكر الله بالأذكار المشروعة

أما الآن فاليك نماذج من هذه الأذكار و الأدعية و الصلوات الصوفية

فمن الأدعية التي يدعوا بها المتصوفة الله سبحانه و تعالى :

(الهي استهلك كليتي في كليتك وامدد أوليتي بأوليتك حتى أشهد أوليتك في أوليتي وآخريتك في آخريتي و ظاهريتك في ظاهريتي و باطنيتك في باطنيـــتي و قابليتك في قابليتي وأنت في امنيتي و هويتك في هويتي)(١)

اذا نظرنا في هذا الدعاء نلاحظ أنه يحتوى على الطلب من الله سبحانه وتعالى أن يحل في الانسان و هذا دعاء باطل و كفر بالله سبحانه و تعالى و ذلك لأن مـن العقائد المسلمة بها عند المسلمين أن الله سبحانه و تعالى بائن عن خلقه و لا يمكن بأى صورة من الصور أن يحل في أى شيء من مخلوقاته

و من أدعية الصوفية المبتدعة التي يتلونها ليلا و نهارا حزب البحر للشاذلي و فيه هذا المقطع من الدعاء (نسألك العصمة في الحركات و السكنات و الكمالات والإرادات و الخطرات من الشكوك و الظنون و الأوهام السائرة للقلوب من مطالعة الغيوب (٢)

---

(١) — مجموعة أحزاب ١٥ نقلا عن التصوف لشقفة ١٦٦

(٢) — مجموع الأوراد الكبير ١٣٨

في هذا الدعاء طلب من الله ما يختص به الرسل عليهم الصلاة والسلام ألا وهو العصمة فان العصمة لا تكون الا للرسل فقط أما غيرهم من الأمة فانهم ليسوا بمعصومين بل هم معرضون للخطأ دائما وأبدا وانما المؤمن الحق كلما أخطأ يتوب الى الله سبحانه

فطلب الشاذلي العصمة من الله فيه تعد في الدعاء

كذلك دعاء الله سبحانه وتعالى أن يطلعه على الغيب وهذا أيضا تعد في الدعاء فان علم الغيب خاص بالله سبحانه وتعالى لا يشاركه فيه أحد كائنا من كان

ويقول الشاذلي أيضا في أحزاب النصر : حم حم حم حم حم حم الأمر وجاء النصر فعلينا لا ينصرون حم عسق حمايتنا مما نخاف اللهم قنا شر الأسوأ ولا تجعلنا محلا للبلو اللهم أعطنا أمل الرجاء ونور الأمل يا هو يا هو يا هو (١)

ويقول الشاذلي أيضا في حزب البر : يا من هو هو هو في علوه قريب يا ذا الجلال والاكرام : ولقد شكى اليك يعقوب فخلصته من حزنه وردت عليه بصره وجمعت بينه وبين ولده ولقد ناداك نوح من قبل فنجيته من كربه ولقد ناداك أيوب من بعده فكشفت ما به من ضر الخ ..... (٢)

اذا نظرنا في الأدعية السابقة للشاذلي نرى أن الدعاء الأول فيه عبارات لا ندرى ماذا يقصد بها ألا وهي الحاء والميم ثم انه دعا الله بـ هو هو هو

وكرر هذا الدعاء في حزب البر أيضا بنفس العبارة السابقة ألا وهي دعاء الله بضمير الغائب

---

(١) — مجموع الأوراد ١٤٥

(٢) — مجموع الأوراد الكبير ١٣٣

ثم ان الشاذلي ماذا يريد بذكر من ذكرهم الله في كتابه و نجاهم من الكرب التي وقعوا فيها بدعائهم له و اخلاصهم له في الدعاء و العبادة و في كل حياتهم هل يظن أن الله يحتاج الى التذكير أم لا ؟ ((و الحقيقة انه عبث و الا فالله سبحانه و تعالى عالم بهذا كله ثم ان ذكر الله بالاسم المفرد الله الله أو بالاسم المضمر هوهوهو غير مشروع

. قال ابن القيم : الذكر بالاسم المفرد الله الله غير مشروع أصلا و لا مفيد شيئا و لا هو كلام أصلا و لا يدل على مدح و لا تعظيم و لا يتعلق به ايمان و لا ثواب و لا يدخل به الذاكر عقد الاسلام جملة فلو قال الكافر (الله الله) من أول عمره الى آخره لم يصر بذلك مسلما فضلا عن أن يكون من جملة الذكر أو يكون أفضل الأذكار ، و بالغ بعضهم في ذلك حتى قال الذكر بالاسم المضمر أفضل من الذكر بقولهم (الله الله) و كل هذا من أنواع الهوس و الخيالات الباطلة المفضية بأهلها الى أنواع من الضلالات فهذا فساد هذا البناء الهائر (١)

و من أدعية الصوفية المبتدعة :

اللهم انك منتخب أقفال قلوب أهل الاختصاص و خلصتهم من قيد الأقفاص فخلص سرائرنا من التعلق بملاحظة سواك و افننا عن شهود نفوسنا حتى لا نشهد الا علاك(٢)

هذا الدعاء أيضا فيه طلب من الله سبحانه و تعالى أن يغني المتصوفة الى أن يصلوا الى مرحلة لا يشاهدون فيها أنفسهم بل يشاهدون الله فقط و هذا فيه اشارة الى القول بحلول الله في مخلوقاته

---

(١) — شريق الهجرتين لابن القيم ٣٣٨

(٢) — مجموع الأوراد الكبير ٩٢

و من أدعيتهم المبتدعة : الهي بروح سيدنا محمد صلى الله عليه و سلم خلص معارفنا و بروح نبينا آدم اجعل أرواحنا سابحات في عوالم الجبروت و اكشف لهم عن حضائر الالاهوت الهي بالنور المحمدى الذى رفعت به كل رفيع مقام و ضربت فوق خزانه أسرار ألوهيتك اعلامه افتح لنا فتحا حمدانيا و علما ربانيا و تجليا رحمانيا و فيضا احسانيا (١)

اذا نظرنا في هذا الدعاء نرى أنه يشتمل على عدة محاذير منها

أنه فيه التوسل بالذوات و هو توسل مبتدع غير مشروع

و منها أنه فيه الاعتداء في الدعاء لأنه طلب من الله أن تسبح روحه في الكون العلوى و يكشف الله لها الغيوب و هذا دعاء باطل فان الغيب خاص بالله سبحانه و تعالى و قد بينا ذلك فيما سبق (٢)

و منها أنه فيه التوكل بالنور المحمدى و لا ندرى ماذا يقصد بهذا النور فان كان يقصد بأن النبي خلق من نور فهذا معتقد فاسد و باطل و قد بينا بطلانه فيما سبق (٣)

و منها أيضا أن هذا الداعي طلب من الله أن يعطيه علما ربانيا و المعنى أنه يطلب من الله أن يوحي اليه و هذا فيه تعد في الدعاء لأن من المعلوم بالضرورة أن باب النبوة قد أغلق ببعثة الرسول محمد صلى الله عليه و سلم

و منها أنه طلب منه أن يتجلى له في هذه الدنيا لكي يراه و هذا أيضا فيه تعد في الدعاء فان الله سبحانه وتعالى لا يرى في الدنيا نهائيا و انما يراه المؤمنون في الآخرة

---

(١) مجموع الأوراد ٨٥

(٢) — أنظر ص ٦٥٢ — ٦٧٠

(٣) — أنظر ص ١٣٩ — ١٤٢

و من صلواتهم المبتدعة على الرسول صلى الله عليه و سلم و يتلونها ليلا و نهارا :

اللهم صل و سلم و بارك على سيدنا محمد أستاذ كل أستاذ و صل و سلم و بارك على سيدنا محمد ملاذ كل ملاذ (١)

هذه الصلاة فيها شرك صريح و يتضح هذا في وصفه للرسول بأنه ملاذ كل ملاذ و ذلك لأن الملاذ الوحيد هو الله سبحانه و تعالى أما غيره من مخلوقاته فانهم لا يملكون لأنفسهم شيئاً فضلاً عن أن يملكوه لغيرهم

و للأسف فالمتصوفة يكررون أمثال هذه الصلوات كل يوم مرات عديدة .

و من أدعيتهم المبتدعة (و أنعم علينا بتجلي الأسماء و الصفات و صل و سلم و بارك على سيدنا محمد و أغرقنا في عين بحر الوحدة السارية في جميع الموجودات ..... و أذقنا لذة تجلي الذات و أدمها علينا)(٢)

اذا نظرنا في هذا الدعاء نرى أن هذا الداعي الصوفي سأل الله سبحانه و تعالى أن يغرقه في عين بحر الوحدة و المتصوفة يعنون بهذا اللفظ وحدة الوجود و هذا الحاد و كفر بالله سبحانه و تعالى

ثم انه سأل الله أن يتجلى الله له في هذه الدنيا و يديمها عليه و هذا تعدى واضح في الدعاء فان الله سبحانه و تعالى لا يرى في هذه الدنيا .

و من صلواتهم المبتدعة على الرسول صلى الله عليه و سلم :

اللهم صل و سلم و بارك على سيدنا محمد النور الذاتي و السير السارى في سائر الأسماء و الصفات (٣)

---

(١)— مجموع الأوراد الكبير ٤٢
(٢)— مجموع الأوراد ٣٧
(٣)— مجموع الأوراد ٢٧

و هذه الصلاة فيها القول بأن الرسول صلى الله عليه و سلم من نور الله أى أنه خلق من النور و نوره هذا سائر في جميع الأسماء و الصفات و هو معتقد فاسد فان الرسول خلق مما خلق منه غيره من البشر و لم يخلق من النور كما يدعيه المتصوفة و قد بينا ذلك فيما سبق (١)

و من صلواتهم المبتدعة على الرسول صلى الله عليه و سلم الصلاة التالية :

اللهم صل على سيدنا محمد بحر أنوارك و معدن أسرارك و لسان محبتك و عروس مملكتك و امام حضرتك و طراز ملكك و خزائن رحمتك و طريق شريعتك المتلذذ بتوحيدك انسان عين الوجود و السبب في كل موجود عين أعيان خلقك المقدم من نور رضائك صلاة تدوم بدوامك و تبقى ببقائك (٢)

اذا نظرنا في هذه الصلاة التي ابتدعها المتصوفة من عند أنفسهم ليصلوا بها على الرسول صلى الله عليه و سلم نرى فيها الغلو الشديد في الرسول حيث وصفوه فيها بأوصاف لم يصفه الله بها سبحانه في كتابه و لا وصف هو بها نفسه في سنته و يتضح لنا هذا الغلو في كل العبارات الموجودة في هذه الصلاة و أظن لا حاجة لتوضيح وجه تناقض هذه الأوصاف التي وصفه بها المتصوفة في هذه الصلاة لأن المعاني واضحة تماما و لا يزيدها الشرح الا غموضا لأن محاولة توضيح الشيء الواضح من الصعوبة بمكان

و من أدعية الصوفية و صلواتهم المبتدعة على الرسول صلى الله عليه و سلم قولهم :

اللهم صل على الذات المحمدية اللطيفة الأحدية شمس سماء الأسرار و مظهر الأنوار و مركز مدار الجلال و قطب فلك الجمال اللهم بسره لديك و بسره اليك آمن خوفي و أقل عثرتي و اذهب حزني و حرصي و كن لي و خذني اليك مني و ارزقني الغناء

---

(١) — أنظر ص ١٣١ — ١٤٢ (٢) — مجموع الأوراد الكبير ٢٥

عني ولا تجعلني مفتونا بنفسي محجوبا بحسي واكشف لي عن كل سر مكتوم يا حي يا قيـــوم

اذا نظرنا في الصلاة والدعاء السابق نرى فيها الغلو الشديد في الرسول صلى الله عليه وسلم حيث وصفوه بأوصاف لم يصفه الله بها ولا وصف بها هو نفسه وهـــي أوصاف مناقضة للاسلام كما هو واضح لكل من له أقل علم بكتاب الله وسنة رسوله محمد صلى اللهعليه وسلم

ثم ان المتصوفة قد دعوا الله عز وجل أن يغنيهم الله حتى يصلوا الى مرحلة لا يشاهدون فيها الا الله وهذه هي عقيدة الحلول بعينها وهي التي يسعى كل صوفي للوصول اليها

وفيها أيضا طلب المتصوفة من الله أن يكشف لهم عن كل سر مكتوم أى أن يطلعهم الله على الغيب وهذا يعتبر تعدى في الدعاء لأن الله سبحانه وتعالى قد أخبر في كتابه بأن الغيب خاص به سبحانه وتعالى فقال :((قل لا يعلم من في السماوات والأرض الغيب الا الله وما يشعرون أيان يبعثون))(١)

ومن صلواتهم المبتدعة على الرسول صلى الله عليه وسلم قولهم :

اللهم صل على محمد الذى تجسد فيه الله اللهم صلى على نفسك التي ظهرت وتظهر في صور الكائنات اللهم وأسألك بجميع ما تعلم لنفسك من لا يعلمه منك غيرك أن تنفعني يا ذا الجلال والاكرام فمن شهود تجليات ذاتك بالعين التي لا تحجب عنها شيء في الأرض ولا في السماء وافض على جميع ذاتي لذة الشهود حتى أكون كلي لذة ذاتية الهية سارية في نفسي وتجلى لى يا الهي بمقام الاستواء الجامع للمراتب

---

(١) ـ النمل ٦٥

الخفية الالهيـــــة (١)

اذا نظرنا في هذه الصلاه و الدعاء نرى أنها تحتوى على ألفاظ تدل على عقائد الصوفية الباطلة

من هذه الاعتقادات التي تحتوى عليها قول المتصوفة بأن الرسول تجسد فيه الله و معنى ذلك أنه هو الله و هذا كفر

و منها اعتقادهم بأن الله يظهر في صور الكائنات و هذا هو القول بوحـــــدة الوجود تماما و هو الحاد بالله

و منها دعاء هذا الصوفي أن يكون ذاتا الهية أى سأل الله أن يكون الها و هـــذا أيضـــا كفـــر

و غير ذلك من العقائد الباطلة التي تحتوى عليها هذه الصلاة و الدعاء الذى يتلـــوه المتصوفة ليل نهار و العبارات التي سيقت بها هذه الصلاة و الدعاء من أولها الـــى آخرهـــا كفر بواح بالله سبحانه و تعالـــــى .

و من صلوات الصوفية المبتدعة على النبي صلى الله عليه و سلم :

اللهم صل و سلم و بارك على خلقة الذات المطلسم و الغيث المطمطم لاهوت الجمال و ناسوت الوصال و طلعة الحق هوية انسان الأزل في نشر من لم يزل مـــن أقمت به نواسيت الفرق الى طريق الحق فصل اللهم به منه فيه (٢)

اذا نظرنا في هذه الصلاة نراها سيقت بألفاظ غريبة و غامضة و فيها أيضا ألفـــاظ يقولها المسيحيون الذين يعتقدون بأن عيسى ابن الله أو هو الله فمن الألفاظ الغريبة الغامضة قولهم :المطلسم و المطمطم) و لا ندرى ماذا يقصد المتصوفة بهذا أكفـــر

---

(١) ــ المجموعة الشريفة من جوامع الكلم الالهية نقلا عن التصوف لشقفة ١٦٦

(٢) ــ مجموعة أحزاب ص ١٥ نقلا عن التصوف لشقفة ٨١٦

هي أو توحيد

و من الألفاظ التي قالها المتصوفة تقليدا للنصارى قولهم :(لاهوت الجمال و ناسوت الوصال) و هذه ألفاظ غريبة على الاسلام يستعملها النصارى الذين يعتقدون بأن العيسى ابن الله أو هو الله .

و من الصلوات المبتدعة التي ابتدعها المتصوفة ليصلوا بها على الرسول صلى الله عليه و سلم قولهم : اللهم صلى على محمد و على آل محمد حتى لا يبقى من الصلاة شيء و ارحم محمدا و آل محمد حتى لا يبقى من الرحمة شيء و بارك على محمد و على آل محمد حتى لا يبقى من البركة شيء و سلم على محمد و على آل محمد حتى لا يبقى من السلام شيء (١)

اذا نظرنا في هذه الصلاة التي ابتدعها المتصوفة نرى فيها الاعتداء الواضح في الدعاء لأنهم دعوا الله أن يرحم محمدا حتى لا يبقى من رحمته شيء و معنى هذا القول بنفاذ رحمة الله و هذا معتقد باطل فان رحمة الله واسعة لكل ما في هذا الكون و خارجه أيضا كما في قوله تعالى :((و رحمتي وسعت كل شيء))(٢)

وهذا النص من أوله الى آخره فيه الاعتداء الواضح في الدعاء

و قد زعم المتصوفة الفضل الكبير و الأجر الجزيل لكل من تلا هذه الأذكار و الدعوات و الصلوات التي ابتدعوها من عند أنفسهم حيث ذكروا صيغا مختلفة لأوراد هم و أحزابهم و ذكروا لكل صيغة فضلا خاصا بها و كأنهم ينزل عليهم الوحي

---

(١) — أفضل الصلوات ٧١

(٢) — الأعراف آية ١٥٦

فمن الصلوات التي ابتدعوها و ذكروالها فضلا معينا :

قولهم : اللهم صلي على سيدنا محمد حاء الرحمة و ميما الملك و دال الدوام السيد الكامل الفاتح الخاتم عدد ما في علمك كائن أو قد كان كلما ذكرك و ذكره الذاكرون و كما غفل عن ذكرك و ذكره الغافلون صلاة دائمة بدوامك باقية ببقائك لا منتهى لها دون علمك انك على كل شيء قدير (١)

و قد قال النبهاني في فضل هذه الصلاة : هذه الصلاة بألف حسنة فقد نقل في شرح الدلائل عن جده يوسف الفاسي عن الصالح الولي أبي العباس أحمد الحاج رضي الله عنه قال : بلغني أن من صلى على النبي صلى الله عليه و سلم بهذه الصلاة له عشر حسنات فرأى شخص النبي صلى الله عليه و سلم فقال له يا نبي الله ألمن صلى عليك بهذه الصلاة عشر حسنات كما يقولون فقال النبي صلى الله عليه و سلم بل عشر صلوات لكل صلاة عشر حسنات و الحسنة بعشر أمثالها (٢)

و نحن نقول ان هذه الصلاة صلاة مبتدعة و ليست من الصيغ الواردة في السنة النبوية و ما دامت مبتدعة فهي مردودة على أصحابها فضلا عن أن يكون لها هذا الفضل الذى زعمه جد النبهاني و كل هذا هراء و كذب و افتراء على الله لأجل ترغيب الناس في الانشغال بتلاوة هذه الطقوس التي وضعوها .

و من الصلوات المبتدعة التي ابتدعها المتصوفة من عند أنفسهم ليصلوا بها على الرسول صلى الله عليه و سلم قولهم : (اللهم صلى على سيدنا محمد صلاة تنجينا بها من جميع الأهوال و الآفات و تقضي لنا بها جميع الحاجات و تطهرنا بها من جميع

---

(١) — أفضل الصلوات ص ٧

(٢) — أفضل الصلوات ص ٧

السيئات و ترفعنا بها عندك أعلى الدرجات و تبلغنا بها أقصى الغايات من جميع الخيرات في الحياة و بعد الممات (١)

قال النبهاني نقل في شرح الدلائل عن الحسن بن علي الأسواني أنه قال : من قال هذه الصلاة في كل مهم و بلية ألف مرة فرج الله عنه و أدرك مأموله (٢)

و نحن نقول ان هذه الصلاة صلاة مبتدعة وليست مشروعة فهي مردودة على أصحابها و هذا الفضل المذكور لها انما هو زعم باطل لا أساس له من الصحة

و قد ذكر بعضهم فضلا آخر لهذه الصلاة فقال :

فقد قال بعض الأشياخ : من قالها في مهمة أو نازلة ألف مرة فرج الله تعالى عنه و أدرك مأموله و من أكثر منها زمن الطاعون أمن منه و من أكثر منها عند ركوب البحر أمن من الغرق و من قرأها خمسمائة مرة ينال ما يريد و الغنى ان شاء الله تعالى و هي مجربة صحيحة في جميع ذلك و الله تعالى أعلم (٣)

قلت و هذا زعم باطل فليس أي فضل لهذه الصلاة بل هي مردودة على أصحابها لأنها مبتدعة و كل بدعة مردودة على صاحبها فضلا عن أن يكون لها مثل هذا الفضل .

و من الصلوات المبتدعة التي ابتدعها المتصوفة ليصلوا بها على الرسول صلى الله عليه و سلم قولهم : اللهم صلى على سيدنا محمد السابق للخلق نوره و رحمة للعالمين ظهوره عدد من مضى من خلقك و من بقى و من سعد منهم و من شقى صلاة تستغرق العد و تحيط بالحد صلاة لا غاية لها و لا منتهى و لا انقضاء صلاة دائمة بدوامك و على آله و صحبه و سلم تسليما مثل ذلك (٤)

---

(١) — أفضل الصلوات ٧٦ (٢) — أفضل الصلوات ٧٦

(٣) — أفضل الصلوات ٧٧ (٤) — أفضل الصلوات ٨٢

قال النبهاني بعد ذكر هذه الصلاة في فضلها : وقد ذكروا بأن من صلى بهذه الصلاة عشر مرات صباحاو مساءا استوجب رضاء الله الأكبر والامان من سخطه وتوالت عليه الرحمة والحفظ الالهي من الأسواء وتسهل عليه الأمور (١)

قلت وهذا زعم باطل وافتراء على الله سبحانه وتعالى ،

ومن الصلوات التي ابتدعها المتصوفة وذكروا لها فضلا معينا قولهم :

اللهم اجعل أفضل صلواتك أبدا وأنمى بركاتك سرمدا وأزكى تحياتك فضلا وعددا على أشرف الخلائق الانسانية ومجمع الحقائق الايمانية وطور التجليات الاحسانية ومهبط الأسرار الرحمانية ..... الى أن قال : ومالك أزمة المجد الأسنى مشاهد أسرار الأزل ومشاهد أنوار السوابق الأول وترجمان لسان القدم ..... ومظهر سر الوجود الجزئي والكلي وانسان عين الوجود العلوى والسفلي روح جسد الكونين وعين حياة الدارين الخ ..... (٢)

قال أحمد الصاوى في فضل هذه الصلاه : ان هذه الصلاة نقلها حجة الاسلام الغزالى عن القطب العيدروس وتسمى شمس الكنز الأعظم ومن قرأها حجب قلبه عن وساوس الشيطان وقال بعضهم : انها للقطب الرباني سيدى عبد القادر الجيلاني وأن من قرأ بعد صلاة العشاء الاخلاص والمعوذتين ثلاثا ثلاثا وصلى على النبي بهذه الصلاة رأى النبي صلى الله عليه وسلم في المنام (٣)

قلت وهذا زعم باطل وكذب وافتراء على الله بغير حجة لأنه لا يمكن لانسان أن يقول أن فضل من فعل هذا فأجره كذا الا النبي الموحى اليه لأن الله يخبره بهذا

---

(١) — أفضل الصلوات ٨٢ (٢) — أفضل الصلوات ٨٣

(٣) — أفضل الصلوات على سيد السادات ٨٣

أما غيره كائنا من كان فليس هذا من شأنه و من ادعى هذا فقد زعم أنه مشرع .

و من الصلوات التي ابتدعها المتصوفة و زعموا لها فضلا معينا صلاة أحمد البدوى وهي

اللهم صلى و سلم و بارك على سيدنا و مولانا محمد شجرة الأصل النورانية و لمعة القبضة الرحمانية وأفضل الخليقة الانسانية و أشرف الصورة الجسمانية و معدن الأسرار الربانية و خزائن العلوم الاصطفائية صاحب القبضة الأصلية و البهجة السنية و الرتبة العلية من اندراج النبيون تحت لوائه فهم منه و اليه و صلي و سلم و بارك عليه و على آله و صحبه عدد ما خلقت و رزقت و أمت و أحييت الى يوم تبعث من أفنيت و سلم تسليما كثيرا و الحمد لله رب العالمين (١)

و قد قال أحمد الصاوى في فضل هذه الصلاة المبتدعة : ذكر بعضهم أنها تقرأ عقب كل صلاة سبعا و ان كل مائة منها بثلاثة و ثلاثين من دلائل الخيرات (٢)

و قال زيني دحلان : ذكر كثير من العارفين ان هذه الصلاة المنسوبة للقطب الكامل سيدى أحمد البدوى رضي الله عنه سبب لحصول كثير من الأنوار و انكشاف كثير من الأسرار و هي من أعظم الأسباب للاتصال بالنبي صلى الله عليه وسلم في المنام و اليقظة و هي سبب في وصول كثير الى مرتبة القطبانية و فيها أسرار في تسهيل الرزق و هو رزق الأشياخ و الباطني و هو رزق الأرواح أعني العلوم و المعارف و بها تحصل النصر على النفس و الشيطان و سائر الأعداء ولها خواص كثيرة لا تعد ولا تحصى

و ذكروا ان قراءة ثلاث مرات منها بقراءة دلائل الخيرات و ينبغي لقارئها أن يكون وقت قرائتها مستحضرا لأنوار النبي صلى الله عليه و سلم و عظمته في قلبه و انه السبب الأعظم في وصول كل خير و الواسطة العظمى و النور الأعظم و لا يقرؤها

---

(١) — أفضل الصلوات ٨٥ (٢) — أفضل الصلوات على سيد السادات ٨٦

الشخص الا و هو متطهر فمن واظب على قرائتها بهذه الشروط كل يوم مائة مرة و استمر على ذلك أربعين يوما مع الاستقامة يحصل له من الأنوار و الخير ما لا يعلم قدره الا الله تعالى و من واظب على قرائتها كل يوم ثلاث مرات بعد صلاة الصبح و ثلاثا بعد المغرب يرى لها أسرارا كثيرة (١)

قلت اذا نظرنا في الصلاة التي ابتدعها أحمد البدوى للصلاة بها على الرسول صلى الله عليه و سلم نرى فيها الغلو الزائد في الرسول صلى الله عليه و سلم حيث وصفه فيها أحمد البدوى بأوصاف تخرجه عن طور البشرية الى طور الالهية و كل الأوصاف المذكورة في هذه الصلاة تتناقض مع العقيدة الاسلامية الواجب اعتقادها تجاه الرسول صلى الله عليه و سلم الا القليل منها

و لذا أقول أولا هذه الصلاة مبتدعة و ثانيا مشتملة على ألفاظ لو قالها الانسان تخرجه عن المعتقد الصحيح و على هذا فتلاوة هذه الصلاة ليل نهار لا تزيد قلب تاليها الا قسوة و فسادا و خرابا داخلى فضلا عن أن يكون لها الفضل المزعوم الذى ذكروه لها .

و من الصلوات التي ابتدعها أحمد البدوى ليصلي بها على الرسول صلى الله عليه و سلم و زعم لها أتباعه فضلا معينا :

اللهم صلي على نور الأنوار و سر الأسرار و ترياق الأغيار و مفتاح باب اليسار سيدنا محمد المختار و آله الأطهار و أصحابه الأخيار عدد نعم الله و أفضاله (٢)

---

(١) — أفضل الصلوات على سيد السادات ٨٦ و أنظر كذلك في الصلوات التي ابتدعها المتصوفة مناهل الأشواق الى حبيب الخلق و الخلاق و هو كله في الصلوات على النبي صلى الله عليه و سلم و كذلك كتاب النفحات الأقدسية ٨٤

(٢) — أفضل الصلوات ٨٦ و أنظر في الصلوات التي ابتدعها المتصوفة للصلاة بها على الرسول كتاب فتح القوى المتين لأحمد الغندور في الصلاة على سيد المرسلين ٢٢١ و أنظر كذلك القرب و التهاني ٨٤ و أنظر كذلك العقد النفيس لأحمد بن ادريس المغربي ٢٦

قال زيني دحلان في فضل هذه الصلاة : ذكر كثير من العارفين أنها مجربة لقضاء الحاجات و كشف الكربات و دفع المعضلات و حصول الأنوار و الأسرار بل مجربة لجميع الأشياء وعدد وردها مائة مرة كل يوم و ينبغي أن يبتدئ المريدون في أول سلوكهم باستعمالها و في انتهائهم بالصيغة الأولى .

قلت الصلاة كما نراها تشتمل على ألفاظ تتناقض مع العقيدة الاسلامية حيث وصفت الرسول بأوصاف لم يوصف بها لا في كتاب الله و لا في سنة رسول الله بل هي مناقضة لتلك الأوصاف التي وصف بها الرسول في الكتاب و السنة

و أما الفضل الذى ذكره زيني دحلان عن شيوخه العارفين فهو فضل مزعوم مكذوب لا أساس له من الصحة و انما يذكر المتصوفة أمثال هذا الفضل لأذكارهم المبتدعة من أجل أن يرغبوا الناس في تلاوتها و يصرفوهم عن تلاوة كتاب الله و ذكره بالأذكار المشروعة الواردة في السنة

و من الصلوات التي ابتدعها المتصوفة ليصلوا بها على الرسول صلى الله عليه و سلم صلاة الفاتح و هذا نصها :

اللهم صلى على سيدنا محمد الفاتح لما أغلق و الخاتم لما سبق ناصر الحق بالحق الهادى الى صرطك المستقيم و على آله حق قدره و مقداره العظيم (١)

قال أحمد التيجاني حينما سئل عن صلاة الفاتح هذه التي ابتدعها هو بنفسه و ادعى أنها نزلت عليه من الله كذبا و زورا : (و أما سؤالكم عن صلاة الفاتح لما أغلق

---

(١) — أحزاب أوراد التيجانية ١٢ و أنظر كذلك في الصلوات التي ابتدعها المتصوفة الكتب الآتية :

١ — كتاب الصلوات على النبي لمحمد اسماعيل بكامله ٢ — سعادة الدارين للنبهاني بكامله ١٠٥ ٣ — النفحة الالهية في الصلاة على خير البرية للغماري

الخ فانها وردت من الغيب على هذه الكيفية و ما ورد من الغيب كما له ثابت خارج عن القواعد المعلومة ليست من تأليف مؤلف . . . . و خاصة الفاتح لما أغلق انها أمر الهي لا مدخل فيه للعقول فلو قدرت مائة ألف أمة في كل أمة مائة ألف قبيلة في كل قبيلة مائه ألف رجل و عاش كل واحد منهم مائة ألف عام يذكر كل واحد منهم في كل يوم ألف صلاة على النبي صلى الله عليه و سلم من غير صلاة الفاتح لما أغلق الخ و جميع ثواب هذه الأمم في مدة هذه السنين كلها في هذه الأذكار كلها ما لحقوا كلهم ثوابوا مرة واحدة من صلاة الفاتح لما أغلق . . . . ثم قال : فمن توجه الى الله تعالى مصدقا بهذا الحال فاز برضاء الله و ثوابه في دنياه و أخراه بما لا تبلغه جميع الأعمال يشهد بهذ الفيض الالهي الذى لا تبلغه الآمال و لا يحصل هذا الفضل المذكور الا مع التسليم(١)

و يقول التيجاني أيضا و هو يتحدث عن فضل صلاة الفاتح :

و ان صلاة الفاتح لما أغلق أفضل من جميع وجوه الأعمال و العبادات و جميع وجوه البر على العموم و الاطلاق و جميع وجوه الشمول و الامكان الا من كان من دائرة الاحاطة فقط فان ذكره أفضل منها بكثير دون غيره من الأعمال و السلام (٢)

و قال التيجاني أيضا و هو يتحدث عن فضل صلاة الفاتح لما أغلق :

ان صلاة الفاتح لما أغلق بستمائة ألف صلاة و كل صلاة من الستمائة ألف صلاة بأربعمائة غزوة ثم قال بعده صلى الله عليه و سلم ان من صلى بها أى بالفاتح لما أغلق الخ مرة واحدة حصل له ثواب ما اذا صلى بكل صلاة وقعت في العالم من كل جن و انس وملك ستمائة ألف صلاة من أول العالم الى وقت تلفظ الذاكر بها أى كأنه صلى

---

(١)— جواهر المعاني لعلي برادة ١١٧/١

(٢)— جواهر المعاني لعلي برادة ١١٨/١

بكل صلاة ستمائة ألف صلاة من جميع المصلين عموما ملكا و جنا و انسا و كل صلاة من ذلك بأربعمائة غزوة و كل صلاة من ذلك بزوجة من الحور و عشر حسنات و محـــــو عشر سيئات و رفع عشر درجات و ان الله يصلي عليه وملائكته بكل صلاة على عشر مرات ثم قال الشيخ التيجاني : فاذا تأملت هذا بقلبك علمت أن هذه الصلاة لا تقوم لها عبادة في مرة واحدة فكيف من صلى بها مرات ماذا له من الفضل العظيم عند اللـــه و هذا حاصل في كل مرة منهـــا (١)

و يقول التيجاني سألت النبي صلى الله عليه و سلم عن فضل صلاة الفاتح لما أغلق فأخبرني أولا بأن المرة الواحدة منها تعدل من القرآن ستة مرات ثم أخبرني ثانيا ان المرة الواحدة منها تعدل من كل تسبيح وقع في الكون و من كل ذكر و من كل دعاء كبير أو صغير و من القرآن ستة آلاف مرة لأنه من الأذكار (٢)

و يقول التيجاني أيضا : و أخبرني صلى الله عليه و سلم أنها (أى صلاة الفاتح) لم تكن من تأليف البكرى الخ و لكن توجه الى الله مدة طويلة أن يمنحه صلاة على النبي صلى الله عليه و سلم فيها ثواب جميع الصلوات و سر جميع الصلوات و طال طلبه مـــدة طويلة ثم أجاب الله دعوته فأتاه الملك بهذه الصلاة متكوبة في صحيفة من النور ثم قال التيجاني فلما تأملت هذه الصلاة وجدتها لا تزنها عبادة جميع الجن و الانس و الملائكة(٣)

و يقول محمد فتحا بن عبدالواحد السوسي التيجاني في المعتقد الواجب في صلاة

---

(١)— جواهر المعاني لعلي برادة ١/١١٥—١١٦

(٢)— جواهر المعاني لعلي برادة ١/١١٤

(٣)— جواهر المعاني ١/١١٦

الفاتح لما أغلق :

واعتقاد المصلي بها انها في صحيفة من نور أنزلت بأقلام قدرة الهية وليست من تأليف البكرى والفضل الذى فيها لا يحصل الا بشرطين:الأول الاذن والثاني ان يعتقد الذاكر ان هذه الصلاة من كلام الله تعالى كالأحاديث القدسيـــة وليست من تأليف البكرى (١)

وذكر علي برادة عن التيجاني أنه قال : أخبرني سيد الوجود صلى الله عليه وسلم يقظة لا مناما قال لي أنت من الآمنين وكل من رآك من الآمنين وكل من أحسن اليك بخدمة أو غيرها وكل من أطعمك يدخلون الجنة بلا حساب ولا عقاب (٢)

اذا نظرنا في المقالات التي أوردتها عن التيجانيه نجد بأنهم يعتقدون بأن صلاة الفاتح نزلت من الله سبحانه وتعالى وليست من تأليف البشر وانها نزلت مكتوبة على أحرف من نور أنزل بها الملك

ويعتقدون أيضا بأن التيجاني رأى النبي صلى الله عليه وسلم يقظة لا مناما وأخبره بأن فضل صلاة الفاتح يفوق فضل كل عبادة يقوم بها الانسان طول حياته الخ ما زعم أن النبي صلى الله عليه وسلم قاله له كذبا وزورا وبهتانا

ولو لاحظنا بدقة نرى أن التيجاني انفرد من بين المتصوفة الذين ابتدعـــوا كيفيات للصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم بزعمه بأن هذه الصلاة نزل بها اليه ملك مكتوبة في صحيفة من نور وعلى هذا فهي وحي من الله وأن تلاوة هذه الصلاة أفضـل من القرآن بستة آلاف مرة بل إن تلاوتها أفضل من جميع عبادة الجن والانس والملائكة

---

(١)— الدرة الحزيدة ٤ / ١٨٤

(٢)— جواهر المعاني لعلي برادة ١ / ٤

و من بين ما انفرد به التيجاني ادعاؤه أنه رأى النبي صلى الله عليه و سلم يقظة لا مناما و أنه أخبره بفضل صلاة الفاتح المذكورة آنفا و لو عرضنا هذه المزاعم التيجانية الباطلة على الكتاب و السنة سنجدها تتعارض تماما مع ما جاء فيهما و ذلك لأنه من المعلوم لكل مسلم سلم من أفكار الصوفية المسمومة الاعتقاد الجازم بأنه لا وحي بعد رسول الله و لا شيء أفضل من القرآن على الاطلاق و لا يمكن أن يتلقى أحد أوامر تخالف الشريعة الاسلامية من الرسول بعد موته و اليك الآن مناقشة هذه المزاعم فقرة فقرة

أولا : لقد زعم التيجانية كما سبق لنا بأن صلاة الفاتح نزلت من الله و نحن نقول ان كل مسلم يعتقد اعتقادا جازما بأنه لا وحي بعد رسول الله صلى الله عليه و سلم ينزل من الله سبحانه و تعالى و انما الوحي الذي يدعيه المتصوفة من الممكن أن يكون وحيا من الشيطان و قد بينا فيما سبق انقطاع الوحي بموت رسول الله صلى الله عليه و سلم و ختم النبوة (١)

و النبي صلى الله عليه و سلم قد بلغ رسالة ربه كاملة و لم يتوفاه الله حتى بلغ الرسالة و أدى الأمانة و نصح الأمة حيث دلها على كل ما ينفعها و حذرها من كل ما يضرها و لذا فالأمة ليست بحاجة الى من يكمل لها أمور دينها لأنه ليس فيه النقص نهائيا و الرسول لم يكتم شيئا مما أنزل اليه

و من الآيات التي تدل على هذا :

أولا قوله تعالى : ((يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك و ان لم تفعل فما بلغت رسالته و الله يعصمك من الناس))(٢)

---

(١) — أنظر ص ٥٥٢ — ٥٦٦

(٢) — المائدة ٦٧

قال الامام الطبرى رحمه الله تعالى قال ابن عباس رضي الله عنه في قوله تعالى :

((يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته))

يعني ان كتمت آية مما أنزل اليك من ربك لم تبلغ رسالاتي (١)

وهذا يدل على أن الرسول لم يكتم شيئا مما أنزل اليه

ثانيا : قوله تعالى :((فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك وضائق به صدرك ان يقولوا لولا انزل عليه كنز أو جاء معه ملك انما أنت نذير والله على كل شيء وكيل))(٢)

قال الفخر الرازى عند تفسير هذه الآية : انهم كانوا لا يعتقدون بالقرآن ويتهاونون به فكان يضيق صدر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يلقى اليهم ما لا يقبلونه ويضحكون منه فهيجه الله تعالى لأداء الرسالة وطرح المبالاة بكلماتهم الفاسدة وترك الالتفات الى استهزائهم والغرض منه التنبيه على انه ان أدى ذلك الوحي وقع في سخريتهم وسفاهتهم وان لم يؤد ذلك الوحي اليهم وقع في ترك وحي الله تعالى وفي ايقاع الخيانة منه فاذا لابد من تحمل أحد الضررين وتحمل سفاهتهم من تحمل ايقاع الخيانة في وحي الله تعالى (٣)

ثالثا : قوله تعالى :((اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا))(٤)

وهذه الآية تدل دلالة صريحة على أن الدين قد كمل وأنه ليس بحاجة الى اكمال من أحد يزعم التلقي عن الله كذبا وزورا وقد شهد الله تعالى لرسوله بأنه بلغ الرسالة

---

(١) — تفسير الطبرى ٦/١٩٨

(٢) — هود آية ١٢

(٣) — التفسير الكبير للفخر الرازى ١٧/١١٢

(٤) — المائدة آية ٣

في مواضع كثيرة من القرآن الكريم و كفى بها شهادة

قال تعالى :((ما على الرسول الا البلاغ)) (١)

و قال سبحانه :((فان توليتم فاعلموا انما على رسولنا البلاغ المبين))(٢) .

و أما الأدلة من السنة التي تدل على أن الرسالة قد كملت و أن الرسول بلغ كل ما أنزل اليه و لم يكتم منه شيئا

الحديث الذى روته عائشة رضي الله عنها قالت :(من حدثك أن محمدا صلى الله عليه و سلم كتم شيئا مما أنزل عليه فقد كذب و الله يقول :((يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك)) .الآية)(٣)

و في رواية لمسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت : و لو كان محمد صلى الله عليه و سلم كاتما شيئا مما أنزل عليه لكتم هذه الآية :((و اذ تقول للذى أنعم الله عليه و أنعمت عليه أمسك عليك زوجك و اتق الله و تخفي في نفسك ما الله مبديه و تخشى الناس و الله أحق أن تخشاه))(٤)

فهذين الحديثين يدلان دلالة صريحة على أن الرسول صلى الله عليه و سلم بلغ رسالة ربه كاملة و لم يكتم منها شيئا ليبلغه للمتصوفة بعد وفاته كما يزعمون .

أما الاجماع فقد أجمع المسلمون على أن الرسول صلى الله عليه و سلم قد بلغ رسالة ربه و لم يكتم منها حرفا واحدا قال الفخر الرازى في التفسير الكبير :

أجمع المسلمون على أنه لا يجوز على الرسول صلى الله عليه و سلم أن يخون في الوحي و التنزيل و أن يترك بعض ما يوحى اليه لأن تجويزه يؤدى الى الشك في كل

---

(١) — التغابن ١٢ (٢) — المائدة ٢١

(٣) — البخارى مع الفتح ٨/٣/

(٤) — صحيح مسلم مع النووى و الآية سورة الأحزاب ٣٧

الشرائع والتكاليف وذلك يقدح في النبوة

وأيضا فالمقصود من الرسالة تبليغ تكاليف الله تعالى وأحكامه فاذا لم تحصل هذه الفائدة فقد خرجت الرسالة عن أن تفيد فائدتها المطلوبة منهـــا (١)

وقال أبو محمد بن حزم رحمه الله تعالى : (واعلموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكتم من الشريعة كلمة فما فوقها ولا اطلع أخص الناس به من زوجة أو ابنة عم أو ابن عم أو صاحب على شيء من الشريعة كتمه عن الأحمر والأسود ورعاة الغنـــم ولا كان عنده عليه السلام سر ولا رمز ولا باطن غير ما دعا الناس كلهم اليه ولـــو كتمهم شيئا لما بلغ كما أمر ومن قال هذا فهو كافر فاياكم وكل قول لم يبين سبيلـه ولا وضح دليله ولا تعوجوا عما مضى عليه نبيكم صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضي الله عنهـــــم (٢)

ومما سبق لنا من الأدلة من الكتاب والسنة واجماع الأمة يتبين لنا بأن الرســول صلى الله عليه وسلم قد بلغ كل ما أوحي اليه ولم يدخر منه شيئا كما يزعم كثير مـــن المتصوفة ليبلغه لهم وان من ادعى هذا الادعاء فقد كفر لمخالفته لصريح القرآن والسنة المطهرة واجماع الأمة الاسلامية .

ثانيا : لقد زعم التيجاني بأنه رأى النبيّ صلى الله عليه وسلم يقظة لا منامًا وأخبره بالفضل المزعوم لصلاة التيجاني والتي هي معروفة بصلاة الفاتح لما أغلق الخ الصلاة

وقد أنكر العلماء على الذين يدعون رؤية النبي صلى الله عليه وسلم يقظة بعـــد موته وذلك لأن النبي صلى الله عليه وسلم قد مات فادعاء حياته بعد موته صلى الله

---

(١) — التفسير الكبير للفخر الرازي ١٧/١٦٣

(٢) — الفصل في الملل والأهواء والنحل ٢/١١٦

عليه و سلم قبل يوم القيامة مستحيل شرعا لما يلزم منه مخالفته لقوله تعالى :((انـك ميت و انهم ميتون)) الآية (١) و لا يتناقض هذا مع ما ورد من ان الأنبياء أحياء في قبورهم و كذلك الشهداء و لا ما ورد عن النبي صلى اللهعليه و سلم من أنه ترد عليه روحه حتى يرد السلام على من سلم عليه فان تلك حياة برزخية تختلف عن هذه الحيـاة و لذا يقتصر في شأنها على ما ورد في النصوص

قال الامام الطبرى و هو يرد على القائلين بجواز رؤية النبي صلى الله عليه و سلم يقظة بعد موته :(و هذا القول يدرك فساده ببادىء العقـــول اذ يلزم عليـــه أن لا يراه أحد الا على صورته التي مات عليها و أن لا يراه رائيان في آن واحد فـي مكانين

و ان يحيا الآن و يخرج من قبره و يمشي في الأسواق ويخاطبوه و يلزم منه أن يخلو قبره الشريف من جسده الشريف فلا يبقى في قبره منه شيء فيزار مجرد القبر و يسلم علـى غائب لأنه جائز ان يرى في الليل و النهار مع اتصال الأوقات على حقيقته في غير قبـره و هذه جهالات لا يلتزم بها من له أدنى مسكة من العقل (٢)

و قال شيخ الاسلام ابن تيمية : و الضلال من أهل القبلة يرون من يعظمونه اما النبي صلى الله عليه و سلم و اما غيره من الأنبياء يقظة و يخاطبهم و يخاطبونه و قد يستفتونه و يسألونه عن أحاديث فيجيبهم و منهم من يخيل اليه ان الحجرة قد انشقت و خرج منها النبي صلى الله عليه و سلم و عانقه هو وصاحباه . . . . . و هذا موجود عند خلق كثير كما هو موجود عند النصارى و المشركين لكن كثير من الناس يكذب بهذا و كثير منهم اذا صدق به يظن انه من الآيات الالهية و ان الذى رأى ذلك رآه لصلاحه و دينه ولم يعلم

---

(١) — الزمر آية ٣٠

(٢) — شرح الزرقاني على المواهب اللدنية ٥/٣٥٢

أنه من الشيطان و أنه بحسب قلة علم الرجل يضله الشيطان و من كان أقل علما قال له ما يعلم أنه مخالف للشريعة خلافا للظاهر و من عنده علم منها لا يقول له ما يعلم أنه مخالف للشريعة و لا مفيدا فائدة في دينه بل يضله عن بعض ما كان يعرفه فان هذا فعل الشياطين و هو و ان ظن أنه قد استفاد شيئا فالذى خسره من دينه أكثر و لهذا لم يقل قط أحد من الصحابة ان الخضر أتاه موسى و لا عيسى و لا أنه سمع رد النبي صلى الله عليه و سلم و ابن عمر كان يسلم اذا قدم من سفر و لم يقل قط انه يسمع الرد و كذلك التابعون و تابعوهم وانما حدث هذا من بعض المتأخرين (١)

و قال الآلوسي في تفسيره عند قوله تعالى :((وخاتم النبيين)) بعد أن ذكر ما حكى منها عمن يزعمون أنهم صالحين أقول بعد هذا كله : ان ما نسب الى بعض الكاملين من أرباب الأحوال من رؤية النبي صلى الله عليه و سلم يقظة بعد موته و سؤاله والأخذ عنه لم نعلم وقوع مثله في الصدر الأول و قد وقع اختلاف بين الصحابة رضي الله عنهم من حين توفى عليه الصلاة و السلام الى ما شاء الله تعالى في مسائل دينية و أمور دنيوية و فيهم أبو بكر و علي رضي الله تعالى عنهما و لم يبلغنا ان أحدا منهم ادعى أنه رأى رسول الله صلى الله عليه و سلم في اليقظة و أخذ عنه ما أخذ و كذلك لم يبلغنا انه صلى الله عليه و سلم ظهر لمتحير في أمر من أولئك الصحابة الكرام فأرشده و أزال حيرته و قد صح عن عمر رضي الله عنه انه قال في بعض الأمور : يا ليتني كنت سألت رسول الله صلى الله عليه و سلم عنه و لم يصح عندنا انه توسل الى السؤال عنه صلى الله عليه و سلم ما يحكى عن بعض أرباب الأحوال و قد وقفت على اختلافهم في حكم الجد مع الاخوة فهل وقفت على أحد منهم ظهر له الرسول صلى الله عليه و سلم فأرشده

---

(١)— مجموع فتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية ٢٧ / ٣٦٠—٣٦٢

الى ما هو الحق فيه ؟

و قد بلغك ما أصاب فاطمة البتول رضي الله تعالى عنها من الحزن العظيم بعد وفاته صلى الله عليه و سلم و ما جرى في أمر فدك فهل بلغك أنه صلى الله عليه و سلم ظهر لها كما ظهر للصوفية قبل لوعتها و هون حزنها و بين لها الحال و قد سمعت بذهاب عائشة رضي الله تعالى عنها الى البصرة و ما كان من وقعة الجمل فهل سمعت تعرضه صلى الله عليه و سلم لها قبل الذهاب و صده اياها عن ذلك لئلا يقع أو تقوم الحجة عليها على أكمل وجه الى غير ذلك مما لا يكاد يحصى كثرة ، و الحاصل انه لم يبلغنا ظهوره عليه الصلاة و السلام لأحد من أصحابه و أهل بيته و هم هم مع احتياجهم الشديد لذلك (١)

ففي كل هذه الحوادث لم يروا ان النبي صلى الله عليه وسلم ظهر لأصحابه يقظة ليفصل بينهم مع أنهم أصحابه الكرام فكيف يظهر لمن هو دونهم منزلة و تقوى بل لمن هو شك في اسلامه و ايمانه بالله و برسوله و ذلك لاتيانه بما يخالف عقيدة الاسلام و افترائه على الله و على رسوله الكذب

و الخلاصة أن النبي صلى الله عليه و سلم لا يمكن أن يرى في اليقظة بعد موته و كل من ادعى رؤيته صلى الله عليه و سلم يقظة فقد افترى على الله الكذب و ليس له أي حجة يعتمد عليها

قال القسطلاني في المواهب اللدنية :

فالقول برؤيته صلى الله عليه و سلم بعد موته بعين الرأس في اليقظة يدرك فساده بأوائل العقول لاستلزامه خروجه من قبره و مشيه في الأسواق و مخاطبته للناس و مخاطبة

---

(١) — تفسير الآلوسي ٢٢ / ٣٨

الناس له (١)

ثالثا : لقد زعم التيجاني بأن النبي صلى الله عليه و سلم أخبره بفضل صلاة الفاتح

و لو عرضنا هذا الزعم الباطل على كتاب الله و سنة رسوله محمد صلى الله عليه و سلم نراه أنه يتعارض تماما مع ما يجب على المسلم أن يعتقده و ذلك لأن المعتقد الواجب تجاه التلقي عن الرسول صلى الله عليه و سلم لا يكون الا في حياته أما بعد موته فقد انقطع الاتصال بينه و بين أمته و قد بلغ الرسول رسالة ربه كلها و لم يترك منها شيئا حتي يبلغه بعد وفاته لدجاجلة الصوفية الأفاكين الذين يكذبون على الله و على رسوله و لا شك أن ما يدعي الصوفية تلقيه عن الرسول صلى الله عليه و سلم انما هو من تخييل الشيطان و توهيمه لهم

و في هذا المجال يقول شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله : (و المقصود أن الصحابة رضوان الله عليهم لم يطمع الشيطان أن يضلهم كما أضل غيرهم من أهل البدع الذين تأولوا القرآن على غير تأويله أو جهلوا السنة أو رأوا أو سمعوا أمورا من الخوارق فظنوها من جنس آيات الأنبياء و الصالحين و كانت من أفعال الشياطين فأهل الهند يرون من يعظمونه من شيوخهم الكفار و غيرهم و النصارى يرون من يعظمونه من الأنبياء و الحواريين و غيرهم و الضلال من أهل القبلة يرون من يعظمونه اما النبي صلى الله عليه و سلم و اما غيره من الأنبياء يقظة و يخاطبهم ويخاطبونه و قد يستفتونه و يسألونه عن أحاديث فيجيبهم و منهم من يخيل اليه أن الحجرة قد انشقت و خرج منها النبي صلى الله عليه و سلم و عانقه هو و صاحبيه .... و هذا و أمثاله أعرف ممن وقع له عددا كثيرا و قد حدثني بما وقع له في ذلك و بما أخبره به غيره من الصادقين من يطول هذا الموضوع بذكرهم و لكن كثير من الناس يكذب بهذا و كثير منهم اذا صدق

---

(١) — المواهب اللدنية مع شرح الزرقاني ٥/٢٩٩

به ظن انه من الآيات الالهيه وان الذى رأى ذلك رآه لصلاحه ودينه ولم يعلم انه من الشيطان وأنه بحسب قلة علم الرجل يضله الشيطان (١)

ثم ان امكانية رؤية النبي صلى الله عليه وسلم في المنام ثابتة شرعا لأن الشيطان لا يتمثل به نهائيا ولكن الواجب في كل ما نسمعه من النبي صلى الله عليه وسلم في الرؤية المنامية عرضه على الكتاب والسنة فان رأيناه موافقا لهما ولم يخرج حكما شرعيا ولا قاعدة دينية نعلم ان الرؤيا حق وان الكلام حق وتكون الرؤيا بشارة وتأنيسا للرائي ولا يجوز اثبات حكم شرعي عن طريق الرؤيا المنامية

قال الامام النووى رحمه الله تعالى في حديث :(من رآني في المنام فقد رآني)(٢) قال : فان معنى الحديث ان رؤيته صحيحة وليست من أضغاث الأحلام وتلبيس الشيطان ولكن لا يجوز اثبات حكم شرعي به لأن حالة النوم ليست حالة ضبط وتحقيق لما يسمعه الرائي وقد اتفقوا على أن من شرط تقبل روايته وشهادته أن يكون متيقظا لا مغفلا وسيء الحفظ ولا كثير الخطأ ولا مختل الضبط والنائم ليس بهذه الصفة فلم تقبل روايته لاختلال ضبطه هذا كله في منام يتعلق باثبات حكم على خلاف ما يحكم به الولاة أما اذا رأى النبي صلى الله عليه وسلم يأمره بفعل ما هو مندوب اليه أو ينهاه عن منهي عنه أو يرشده الى فعل مصلحة فلا خوف في استحباب العمل على وفقه لأن ذلك ليس حكما بمجرد المنام بل تقرر من أجل ذلك الشيء والله أعلم (٣)

واذا كان الأمر مخالفا لما تلقاه الصحابة رضي الله عنهم عن النبي صلى الله عليه وسلم فلا يغير بسبب ما رآه النائم ما تقرر في الشرع وقد حكى الامام النووى الاتفاق على ذلك

---

(١) — مجموع الفتاوى لشيخ الاسلام ابن تيمية ٢٧/ ٣٩٠—٣٩٢

(٢) — صحيح البخارى مع الفتح ١٢/ ٣٨٣ وكذلك صحيح مسلم مع النووى ١٥/ ٢٤

(٣) — شرح الامام النووى على صحيح مسلم ١/ ١١٥

رابعا : زعم التيجاني أن تلاوة صلاة الفاتح لما أغلق أفضل من ختم القرآن بكامله ستة مرات

قلت و هذا كذب على الله سبحانه و تعالى و على رسوله محمد صلى الله عليه و سلم و التيجاني نفسه يعرف ان هذا كذب محض و لكنه يدعي هذا الفضل المزعوم لاضلال العوام و صرفهم عن تلاوة كتاب الله عز و جل

و الكذب على الله و على رسوله يعتبر كفرا و قد قال جمهور العلماء من اعتقد حل الكذب على النبي صلى الله عليه و سلم فقد كفر (١)

و قال النبي صلى الله عليه و سلم : من كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار (٢)

قال الشيخ محمد الخضر الشنقيطي :(فحيث ان تعمد الكذب على النبي صلى الله عليه و سلم قال بعض العلماء انه كفر يكون تعمد الكذب على الله كفرا اتفاقا)(٣)

و مما جاء في تغليظ الكذب على الله :

١ــ قوله تعالى :((و من أظلم ممن افترى على الله كذبا أو قال أوحي الي و لم يوح اليه شيء و من قال سأنزل مثل ما أنزل الله))(٤)

قال أبو حيان :(بدأ أولا بالعام و هو افتراء الكذب على الله و هو أعم من أن يكون ذلك الافتراء بادعاء وحي أو غيره ، ثم ثانيا الخاص و هو افتراء منسوب الى وحي من الله تعالى . . ثم ثالثا بأخص مما قبله لأن الوحي قد يكون بانزال القرآن و بغيره)(د)

٢ــ و منها قوله تعالى :((و لكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب و أكثرهم لا يعقلون))(٦)

---

(١)ــ فتح الباري (١/ ٢٠٢ (٢)ــ صحيح البخاري مع فتح الباري ١/ ٢٠١

(٣)ــ مشتهى الخارف الجاني في رد زلقات التيجاني ٢٥٢ (٤)ــ الأنعام ٩٣

(د)ــ النهر المادّ من البحر بها من البحر المحيط لابن حيان ٤/ ١٨٠

(٦)ــ المائدة ١٠٣

قال أبو حيان :(نص الشعبي و غيره ان المفترين هم المبتدعون و أن الذين لا يعقلون هم الأتباع)(١)

و هذا كله ينطبق على التيجاني و أمثاله الذين يزعمون التلقي عن الله و عن الرسول كما سبق لنا أن التيجاني زعم ان صلاة الفاتح لما أغلق أفضل من القرآن ستة آلاف مرة و من زعم ان شيئا من كلام البشر أفضل من القرآن فقد كفر بما أنزل على محمد و ذلك لأن القرآن كلام الله تعالى و فضل كلام الله على سائر الكلام كفضل الله على خلقه فتفضيل كلام بعض المخلوقين على كلام الله كتفضيل بعض المخلوقين على الله و فاعل ذلك لا يشك في كفره (٢)

و الأحاديث التي وردت في فضل القرآن الكريم كثيرة جدا يصعب حصرها و لذا نريد أن نذكر نبذة منها فقط و ذلك لكي نطلع على جزء بسيط منها حتى نعرف عظمة القرآن الكريم و مكانته العظيمة عند الله سبحانه و تعالى و حتى نبين أيضا بأن القرآن الكريم أفضل ذكر على الاطلاق بلا نزاع بين علماء الأمة الاسلامية الا من أصيب بمرض الخرافات و البدع و الدجل كالصوفية الذين أعرضوا عن تلاوة كتاب الله تعالى و ذكره بما ورد في السنة النبوية في الأحاديث الصحيحة و انشغلوا بتلاوة الأذكار التي ابتدعها لهم مشائخهم الدجاجلة .

فمن الأحاديث التي تدل على فضل القرآن الكريم وفضل تلاوته

ما رواه أبو أمامة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول : اقرأوا القرآن فانه يأتي يوم القيامة شفيعا لأصحابه (٣)

---

(١) — البحر المحيط لابن حيان ٤ / ٣٤

(٢) — أنظر مشتهى الخارف الجاني في رد زلقات التيجاني ٢٥٩

(٣) — صحيح مسلم مع النووي ٦ / ٩٠

و منها ما رواه النواس بن سمعان رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول : (يؤتى يوم القيامة بالقرآن و أهله الذين كانوا يعملون به في الدنيا تقدمه سورة البقرة و آل عمران تحاجان . . . عن صاحبهما)(١)

و منها ما رواه عثمان بن عفان رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: خيركم من تعلم القرآن و علمه (٢)

و منها ما روته عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: الذى يقرأ القرآن و هو ماهر به مع السفرة الكرام البررة و الذى يقرأ القرآن و يتعتع فيه و هو عليه شاق له أجران (٣)

و منها ما رواه أبو موسى الأشعرى رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: مثل المؤمن الذى يقرأ القرآن مثل الأترجة ريحها طيب و طعمها طيب و مثل المؤمن الذى لا يقرأ القرآن كمثل التمرة لا ريح لها و طعمها حلو و مثل المنافق الذى يقرأ القرآن كمثل الريحانة ريحها طيب و طعمها مر و مثل المنافق الذى لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة ليس لها ريح و طعمها مر (٤)

و منها ماروواه عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول : (لا حسد الا على اثنين رجل آتاه الله الكتاب وقام به آناء الليل و رجل أعطاه الله مالا فهو يتصدق به آناء الليل و آناء النهار)(٥)

---

(١)- صحيح مسلم مع النووى ٦/ ٩٠

(٢)- صحيح البخارى مع الفتح ٩/ ٧٤

(٣)- صحيح مسلم مع النووى ٦/ ٨٤

(٤)- صحيح مسلم مع النووى ٦/ ٦٤

(٥)- صحيح البخارى مع الفتح ٩/ ٧٣

و منها ما رواه عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه و سلم:

من قرأ حرفا من كتاب الله فله حسنة و الحسنة بعشر أمثالها لا أقول : الم حرف و لكن أقول ألف حرف و لام حرف وميم حرف (١)

و منها ما رواه عمروبن العاص رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه و سلم قال : يقال لصاحب القرآن : اقرأ و ارتق و رتل كما كنت ترتل في الدنيا فان منزلتك عند آخر آية تقرأ بها (٢)

اذا نظرنا في النصوص السابقة نرى أن القرآن الكريم أفضل من كل ذكر يذكر به الله عز و جل على الاطلاق و أنه لا يجوز لأى انسان يؤمن بالله و اليوم الآخر أن يعتقد أن هناك ذكرا يذكر به الله أفضل من القرآن الكريم كما قال بعض الصوفية بلسان المقال كالتيجاني بأن أذكارهم المبتدعة أفضل من القرآن الكريم و كما يقول كل المتصوفة بلسان الحال و بأفعالهم بأن الاشتغال بأذكارهم المبتدعة أفضل من تلاوة القرآن الكريم و ذلك أن كل من يشاهد أحوال الصوفية في العالم الاسلامي على امتداده الواسع يرى الصوفية منهمكين في تلاوة الأذكار التي ابتدعها لهم مشائخهم و التي أكثرها لا يخلو من الشرك و الالحاد و الكفر و العياذ بالله كما سبق لنا في النماذج التي أوردناها عنهم

و الحقيقة ان المتصوفة في العالم الاسلامي شغلوا الناس بتلاوة أذكارهم المبتدعة مما تسبب عنه اعراض الناس عن تلاوة كتاب الله عز و جل و تدبر معانيه

يقول الشيخ محمد عبدالسلام خضر الشقيرى و هو يتحدث عن الأسباب التي أدت

---

(١) — سنن الترمذى مع التحفة ٨/٢٢٦

(٢) — سنن الترمذى مع التحفة ٨/٢٣٢

الى اعراض الناس عن تلاوة كتاب الله في العالم الاسلامي :

الطائفة الرابعة : المتصوفة و السبب في اعراض هؤلاء الناس عن القرآن انما هو اشتغالهم بأحزاب مشائخهم و أورادهم و بالبيارق و البازات والليالي و الختمات و الموالد و الحضرات و المنامات و التخمير بسانوريا مانوريا سبا بينزا و الواجب على العلماء أن يحاربوا هؤلاء الأقوام (١)

و يقول الشيخ الشقيرى أيضا و هو يحذر الناس عن الاشتغال بهذه الأوراد والأذكار الصوفية المبتدعة : أيها المسلم المتبع لأعظم رسول لا تعرض عن قراءة كتاب ربك الى قراءة أوراد المشائخ و أحزابهم فان الأجر كله و الثواب كله و الفضل العظيم كله والنصح و الارشاد و الوعظ و الهدى و النور كله و الصراط المستقيم انما هو في تلاوة كتاب الله تعالى

فيا متبع الرسول الأعظم اياك ثم اياك وما ابتدع فانه ضلالة و اعلم انه لا يجوز لك أن تقرأ دعاء البسملة و لا ورد الجلالة و دعاءها للجيلاني لأنه يصدك عن القرآن و لا يجوز لك أن تقرأ مسبعات و لا منظومة الدردير و لا ورد السحر الميمية و المنبهمة للبكرى بل اقرأ بدل هذا أحزابا من القرآن تنفعك قراءتها يوم لقاء ربك و لا سيما قراءة التدبر و التفقه

أيها العاقل هل حزب البر و البحر و النصر و حزب الرفاعي الكبير و الصغير و حزب الدسوقي الكبير و الصغير أيضا و حزب النووى و البيومي و حزب الوقاية المسمى بالدور الأعلى بل و جميع ما في مجموع الأوراد خير أم حزب واحد أو سورة واحدة من القرآن العظيم لا بل آية واحدة بل حرف واحد من كتاب الله لا شك إنك تعترف

---

(١) — السنن و المبتدعات للشقيرى ٢٢٤

انه أعظم و أجل ألف ألف مرة بل لا مناسبة بالكلية و أنت تشهد و تقر معي بذلك و لا أظنك تنكره ، أن جميع ما في مجموع الأذكار الطيبة للطرق السبعة و جميع ما في كتاب مجموع أوراد الخلوتية و السيرغنية و أوراد الخليلية و حرز الجوشني و حرز الغاسلة و الجلجوتية و البرهيتية لا شك انه من عند غير الله و لا شك انه شرع لم يشرعه الله ولا رسوله فصار بدعة و كل بدعة ضلالة ..... يا قوم حذار حذار من الاعراض عن كتاب الله فان الله يقول :((و من أعرض عن ذكرى فان له معيشة ضنكا و نحشره يوم القيامة أعمى))(١)

و يقول :((و من يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين))(٢)

و يقول لنبيه :((و قد آتيناك من لدنا ذكرا من أعرض عنه فانه يحمل يوم القيامة وزرا خالدين فيه و ساء لهم يوم القيامة حملا))(٣)

و يقول :((و من يعرض عن ذكر ربه يسلكه عذابا صعدا))(٤)

يا قوم اني أقول و الحق أقول انه لا يرغب عن كتاب ربه الى مخترعات الشيوخ الا من سفه نفسه و ضل سعيه و زين له الشيطان عمله فصده عن السبيل فحزبوا القرآن و قسموه على أيامكم و لياليكم و حلوا و ارتحلوا فيه من أوله الى آخره و اجعلوا المصحف في جيوبكم دائما و أبدا بدل المجموع و لكن أكبر ما تمعنون النظر بعد القرآن أحاديث الرسول صلى الله عليه و سلم و التعبد بالأدعية و الأذكار المروية عنه في كتب السنة الصحيحة و هذا فيه الغنية التامة و الكفاية العظمى عن جميع ما تقرأونه من الأوراد و الأحزاب و الدلائل و التوسلات التي لم يتعبد بحرف واحد منها أحد من الصحابة و لا التابعين ولا أئمة الدين أسأل الله لي و لكم الهداية والاعتصام بكتابه و سنة نبيه آمين (٥)

---

(١)— طه آية ١٢٤ (٢)— الزخرف

(٣)— طه آية ٩٩—١٠١ (٤)— الجن ١٧

(٥)— السنن و المبتدعات للشقيري ٢١٠—٢١٢

و يقول الشيخ محمد خضر الشنقيطي و هو يرد على قول التيجاني بأن صلاة الفاتح تفضل تلاوتها على القرآن الكريم بستة آلاف مرة :(بل لو قال قائل القرآن أفضل من هذه الصلاة المخترعة التي لم ترو عن النبي صلى الله عليه و سلم كان ذلك تنقيصا له كما قال الشاعر :

ألم تر أن السيف ينقص قدره اذا قيل ان السيف خير من العصا

و أما كلام هذا الرجل فهو من باب التهكم لا من باب التفضيل الحقيقي الذى المشاركة فيه في أصل الفضل شرط و ايضاح ذلك هو أنه لو صح ما قاله هذا الرجل من الافتراء من ان صلاة الفاتح تعدل ستة آلاف مرة من القرآن فأى فضل للقرآن معها و أى فائدة فيه مع وجودها فكيف يشتغل عاقل به و يختمه في ليال عديدة و هو يجد هذه الكلمات التي يمكنه قولها في طرفة عين و يحصل له من الأجر ما يعدل ستة آلاف مما لم يحصله الا في ليال عديدة فاشتغال العاقل حينئذ عبث لوجود ما هو أيسر و أفضل بشيء لا ينتهي فعلى كلامه لم يبق للقرآن فضل مع صلاة الفاتح البتة فآل كلامه الى التهكم لأن مدار التهكم على عدم المشاركة في أصل الفضل و على كلامه لم يبق للقرآن بالنسبة لها فضل تحصل فيه المشاركة أعاذنا الله تعالى من الخذلان و الطغيان و الغلو في الدين بما لم يرد به دليل و لا برهان و ما حمل عليه الا حب الرياسة و كثرة الأتباع لجمع حطام الدنيا أعاذنا الله تعالى من الخسران)(١)

---

(١) — مشتهى العارف الجاني في رد زلقات التيجاني ٢٦١

المطلب الثاني : موقف الاسلام من الأوراد و الأذكار و الأدعية التي ابتدعها الصوفية

اذا نظرنا في الأذكار و الأوراد و الأدعية و الصلوات التي ألزم بها دجاجلة الصوفية نجدها كلها مبتدعة و ليس فيها أي ذكر مشروع لا من كتاب الله و لا من سنة رسول الله صلى الله عليه و سلم و بالاضافة الى بدعية هذه الأذكار فانها تشتمل على كل أنواع الضلال و الباطل من الكفر و الشرك و الالحاد كما بيناه و من هنا نقول ان موقف الاسلام من هذه الأذكار و الأوراد و الأدعية و الأحزاب التي ابتدعها المتصوفة هو الرفض القاطع بلا مداهنة و لا مجاملة و ذلك لأن المتصوفة ابتدعوا هذه الأدعية و الأوراد و جعلوا لها أوقاتا مخصوصة تتلى فيها و أعدادا محدودة و شروطا معلومة و اتخذوا هذه الأذكار شعارا خاصا بهم دون سائر المسلمين الذين لم ينخرطوا تحت طرقهم الضالة و يعتقد كثير منهم إن هذه الأذكار واجبة أو مندوبة و يرتبون على ذلك ما لا يحصى من الثواب كما بيناه فيما سبق و يوعدون كل من ترك هذه الأذكار بالعقوبة و يستغنون بها عن الأوراد الشرعية الثابتة بالكتاب و السنة و هذا يعتبر تشريعا لم يأذن به الله فهو بمثابة جعل الحلال حراما و الحرام حلالا لقول النبي صلى الله عليه و سلم : (من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد) و هذه الأذكار المبتدعة ليست من أمر النبي صلى الله عليه و سلم فهي مردودة على أصحابها و لا يمكن أن يجني المتصوفة بتلاوة هذه الأذكار على ثواب و أجر عند الله سبحانه و تعالى ان لم يحصلوا على الوزر الكبير و ذلك لأن الأذكار عبادة و هم يعبدون الله بما لم يشرعه و من شرط العبادة أن تكون مشروعة و قد نهى النبي صلى الله عليه و سلم في أحاديث كثيرة عن الابتداع في الدين أيا كانت هذه البدعة صغيرة أو كبيرة و توعد عليها بالعقاب و وصف

كل البدع بأنها ضلالة بلا استثناء وأخبر بأن أى أحد يعمل عملا لم يشرعه الله بقصد التقرب به الى الله بأنه مردود على صاحبه . .

ومن الأحاديث التي نهى فيها الرسول عن البدع وحذر منها أشد التحذير قوله صلى الله عليه وسلم : (من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد) (١)

وهذه الأذكار الصوفية ليست من الاسلام فهي مردودة على أصحابها

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا خطب احمرت عيناه وعلا صوته واشتد غضبه حتى كأنه منذر جيش يقول صبحكم ومساكم ويقول : بعثت أنا والساعة كهاتين ويقرن بين اصبعيه السبابة والوسطى ويقول أما بعد فان أصدق الحديث كتاب الله وخير الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة (٢)

وعن العرباض بن سارية رضي الله عنه قال : وعظنا رسول الله صلى الله عليه وسلم موعظة بليغة وجلت منها القلوب وذرفت منها العيون فقلنا يا رسول الله كأنها موعظة مودع فأوصنا قال : أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وان تأمر عليكم عبد حبشي وانه من يعش منكم فسيرى اختلافا كثيرا فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فان كل بدعة ضلالة (٣)

من خلال الأحاديث المتقدمة نخرج بخلاصة ألا وهي أن كل محدثة في الدين صغرت أو كبرت تعتبر ابتداعا وضلالا وان المبتدع الذى يتعبد الله ببدعة عبادته مردودة عليه لأن من شرط العبادة أن تكون مشروعة وعلى هذا فالأذكار التي يدندن

---

(١) — البخارى مع الفتح ٥/٣٠١

(٢) — صحيح مسلم مع النووى ٦/١٥٣

(٣) — سنن أبي داود من بذل المجهود ١٨/١٤٧

بها المتصوفة مردودة عليهم لأنها غير مشروعة ولذا فانشغالهم بها لا يزيدهم الا ضلالا وبعدا عن الله سبحانه وتعالى كما هو حال الصوفية الذى نشاهده في العالم الاسلامي فهم أبعد الناس عن هدى كتاب الله وسنة رسوله محمد صلى الله عليه وسلم مما سبب لهم هذا الغرق في البدع بأنواعها المختلفة في العبادة والعقيدة والسلوك

ولقد كان الصحابة رضوان الله عليهم أشد الناس حرصا على العمل بالكتاب والسنة وأشدهم عداوة وبغضا للبدع وأهلها

فقد قال الصديق رضي الله عنه : (أشهد أن الكتاب كما نزل وإن الدين كما شرع وإن الحديث كما حدث وإن القول كما قال وأن الله هو الحق المبين) (١)

وقال أيضا في خطبة له بعد توليه الخلافة رضي الله عنه : أيها الناس اني قد وليت عليكم ولست بخيركم فان رأيتموني على حق فأعينوني وان رأيتموني على باطل فسددوني أطيعوني ما أطعت الله فيكم فاذا عصيته فلا طاعة لي عليكم ألا ان أقواكم عندى الضعيف حتى آخذ الحق له وأضعفكم عندى القوى حتى آخذ الحق منه

وقال في خطبة أخرى : انما أنا مثلكم وإني لا أدرى لعلكم تكلفوني ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يطيقه إن الله اصطفى محمدا على العالمين وعصمه من الآفات وإنما أنا متبع ولست بمبتدع فإن استقمت فتابعوني وإن زغت فقومونـي (٢)

وقال الامام أبو حنيفة رحمه الله : عليك بالأثر وطريقة السلف وإياك وكل محدثة فانها بدعة

وقال ابن الماجشون سمعت مالكا يقول :

من ابتدع في الاسلام بدعة يراها حسنة فقد زعم أن محمدا خان الرسالة لأن

---

(١) — السنن والبتدعات للشقيرى ٤

(٢) — نفس المرجع ٥

الله يقول :((اليوم أكملت لكم دينكم)) فما لم يكن يومئذ دينا لا يكون اليوم دينا

و قال الامام أحمد بن حنبل رحمه الله : أصول السنة عندنا التمسك بما كان عليه أصحاب رسول الله و الاقتداء بهم و ترك البدع و كل بدعة فهي ضلالة (١)

اذا نظرنا في النصوص السابقة من الكتاب و السنة و الآثار التي أوردناها عن الصحابه و التابعين نخرج منها بخلاصة واحدة ألا و هي ان كل بدعة في الدين صغيرة أو كبيرة في الأصول أو الفروع في العقائد أو العبادات أو المعاملات فعلية أو قولية أو تركية فهي ضلالة صاحبها مؤاخذ معاقب عليها في النار و بدعته مردودة عليه غير مقبولة منه ذلك لقوله تعالى :((اليوم أكملت لكم دينكم و أتممت عليكم نعمتي و رضيت لكم الاسلام دينا)) (٢)

و من هنا نقول للصوفية و غيرهم من الفرق المبتدعة ان هذا الدين دين كامل شامل و ليس بحاجة الى ترقيع بالبدع و الخرافات التي ما أنزل الله بها من سلطان سواء كانت هذه البدع في العقائد أو العبادات أو غيرهما من شئون الحياة

يقول الشيخ الشقيرى محذرا من البدع : فحذار حذار ان تتبعوا قول من يقولون باستحسان البدع في الدين أو تقسيمها فانما مثلهم في فهم كلام الله و رسوله :((كمثل الحمار يحمل أسفارا بئس مثل القوم)) الآية (٣) لا تتبعوهم فتكونوا كالذين سفه الله أحلامهم فقال تعالى فيهم :((اتخذوا أحبارهم و رهبانهم أربابا من دون الله)) (٤) أى علماءهم و عبادهم أربابا من دون الله

---

(١) — السنن و المبتدعات للشقيرى ٦

(٢) — المائدة آية ٣

(٣) — الجمعة آية ٥

(٤) — التوبة آية ٣١

و قد فسرها النبي صلى الله عليه و سلم بقوله : ما صلوا لهم صلاة و لا صاموا لهم يوما و لكن أطاعوهم في كل ما قالوه، فتلك كانت ربوبيتهم اياهم (١)

و يقول الشيخ الامام أبو بكر بن العربي في معرض رده على الذين يخترعون أدعية من عند أنفسهم و يأمرون الناس أن يدعوا بها الله عند تفسير قوله تعالى :((و لله الأسماء الحسنى فادعوه بها و ذروا الذين يلحدون في أسمائه سيجزون ما كانوا يعملون))(٢)

قال رحمه الله : (و يقال الحد و لحد اذا مال و الالحاد يكون بوجهين بالزيادة فيها و النقصان منها كما يفعله الجهال الذين يخترعون أدعية يسمون فيها البارى بغير أسمائه و يذكرونه بما لم يذكره من أفعاله الى غير ذلك مما لا يليق به فحذار منها و لا يدعون أحد منكم الا بما في الكتب الخمسة و هي كتاب البخارى و مسلم و الترمذى و أبي داوود و النسائي فهذه الكتب هي بدء الاسلام و قد دخل فيها ما في الموطأ الذى هو أصل التصانيف و ذروا سواها و لا يقولن أحد اختار دعاء كذا فان الله قد اختار له و أرسل بذلك الخلق رسوله (٣)

و يقول الامام القرطبي عند تفسير قوله تعالى :((ربنا اغفر لنا ذنوبنا و اسرافنا في أمرنا و ثبت أقدامنا و انصرنا على القوم الكافرين))(٤)

قال : فعلى الانسان أن يستعمل ما في كتاب الله و صحيح السنة من الدعاء و يدع ما سواه و لا يقولن اختار كذا فان الله تعالى قد اختار لنبيه و أوليائه و علمهم كيف يدعون (٥)

---

(١)— السنن و المبتدعات للشقيرى ٦
(٢)— الأعراف ١٨٠
(٣)— أحكام القرآن لابن العربي ٢/ ٨١٦
(٤) آل عمران ١٤٧
(٥)— تفسير القرطبي ٤/ ٢٣١

و يقول القرطبي أيضا عند تفسير قوله تعالى : ((ادعوا ربكم تضرعا و خفية انه لا يحب المعتدين)) (١)

بعد أن ذكر وجوها من الاعتداء في الدعاء قال : و منها أن يدعوا الله بما ليس في الكتاب العزيز و لا في السنة فيتخير ألفاظا مفقرة و كلمات مسجعة قد وجدها فـــي كراريس لهؤلاء (يعني المشايخ) لا أصل لها و لا معول عليها فيجعلها شعاره و يترك ما دعا به رسوله صلى الله عليه و سلم و كل هذا يمنع من استجابة الدعاء (٢)

و يقول شيخ الاسلام ابن تيمية منكرا على الذين يبتدعون أشياء من عند أنفسهـــم و يعتقدون أنها تقربهم الى الله زلفى :

و ما علم باتفاق الأمة انه ليس بواجب و لا مستحب و لا قربة لم يجز أن يعتقد أو يقال فيه قربة أو طاعة فكذلك هم متفقون على انه لا يجوز قصد التقرب به الى الله و لا التعبد به و لا اتخاذه دينا فلا يجوز جعله من الدين لا باعتقاد و قول و لا بارادة و عمل و باهمال هذا الأصل غلط خلق كثير من العلماء و العباد يرون الشيء اذا لـــم يكن محرما لا ينهى عنه بل يقال انه جائز و لا يفرق بين اتخاذه دينا و طاعة و بيـــن استعماله كما تستعمل المباحات المحضة و معلوم ان اتخاذه دينا بالاعتقاد أو بالقول أو بالعمل من أعظم المحرمات و أكبر السيئات و هذا من البدع المنكرات التي هي أعظم المعاصي التي يعلم أنها معاصي و سيئات (٣)

و الخلاصة أن المتصوفة ابتدعوا أذكارا وأدعية و صلوات على الرسول صلى الله عليه و سلم من عند أنفسهم و ادعوا أن لها الفضل العظيم و حثوا الناس على تلاوتها صباحـا

---

(١) ـ الأعراف ٥٥

(٢) ـ تفسير القرطبي ٢٢٦/٧

(٣) ـ مجموعة الرسائل و المسائل لشيخ الاسلام ابن تيمية ١٣٨/١

و مساءا وليلا و نهارا ولم يقفوا عند الابتداع لهذه الأذكار و الأدعية و الصلوات فقط بل ادعوا أنهم يتلقون هذه الأدعية و الأذكار و الصلوات من الرسول صلى الله عليه و سلم ولم يقفوا عند هذا الحد بل ادعى بعضهم أنه نزل عليه ورده من الله متكوبا في صحيفة من نور و أنه رأى الرسول يقظة لا منامًا و أخبره بفضل الذى ادعى بأن المرة الواحدة منه تفضل ختم القرآن ست مرات

و قد بينت بأن هذه الادعاءات كلها باطلة و أن هذه الأذكار و الأدعية و الصلوات مبتدعة فقط لا غير و أكدت بأن التلقي عن الرسول قد انقطع بموته فلا يمكن للرسول أن يأمر بأمر يخالف الشريعة الاسلامية و بينا أيضا بأن هذه الأذكار و الأدعية و الصلوات مع بدعيتها تشتمل على الشرك و الالحاد و الكفر

و لذا نقول ان موقف الاسلام من هذه الأذكار و الأدعية و الصلوات التي ابتدعها المتصوفة هو الرفض القاطع و ذلك لأنها ليست مما شرعه الله و الصوفية يعتبرونها عبادات فيفعلونها و الشرط في العبادات التوقف فيما ورد به النص فقط و لا يمكن لانسان مهما كانت مكانته أن يجتهد لاختراع عبادات جديدة لم يأمر بها الله في كتابه و لا رسوله في سنته بل المطلوب هو التوقف فيما ورد به النص و أن من حاول أن يأتي بعبادات جديدة لم يأمر بها الاسلام فقد زعم لنفسه بأنه المشرع لعباد الله و هذا غاية الانحراف حيث إن من يزعم هذا فكأنه ادعى بأنه شريك لله سبحانه و تعالى

و الحقيقة نحن لسنا بحاجة الى ابتداع أذكار و أدعية و صلوات على الرسول صلى الله عليه و سلم و ذلك لأنه يوجد في كتاب الله و سنة رسوله محمد صلى الله عليه وسلم الشيء الكثير من ذلك بحيث يعجز أحدنا أن يحفظه فلماذا ابتدع المتصوفة هذه البدع التي شغلوا بها الناس و لا نجد جوابا لهذا السؤال سوى جواب واحد ألا و هو أن

نقول ان الذى دفع المتصوفة الى ذلك هو نيتهم السيئة للاسلام و المسلمين حيث اخترعوا هذه الأذكار و الأدعية و الصلوات لأجل شغل الناس عن تلاوة كتاب الله و عن ذكره بما ورد في سنة رسوله محمد صلى الله عليه و سلم و قد تحقق لهم ما أرادوا حيث اننا نشاهد كثير من أفراد الأمة الاسلامية في العالم الاسلامي على امتداده الواسع منهمكون في تلاوة هذه الأذكار و الأدعية و الصلوات التي ابتدعها لهم المتصوفة من عند أنفسهم معرضين عن تلاوة كتاب الله عز و جل و عن ذكر الله بما ورد من الأذكار المشروعة الكثيرة في سنة رسوله محمد صلى الله عليه و سلم التي تطهر القلوب و تنورها و يزداد الانسان ايمانا كلما تلاها و لذا نقول ان هذه الأذكار و الأدعية و الصلوات الصوفية كان لها و لا زال الى الآن الأثر الكبير في التسبب لاعراض الناس عن تلاوة كتاب الله و ذكر الله بما شرعه

و أنا أدعو الصوفية اذا كانوا يريدون ذكر الله عز و جل و الصلاة على رسوله محمد صلى الله عليه و سلم أن يرجعوا الى كتاب الله عز و جل فيتلونه ليلا و نهارا فهو أفضل ذكر على الاطلاق و أن يرجعوا الى سنة رسوله محمد صلى الله عليه و سلم ففيها الكثير من الأذكار و الأدعية و الصلوات المشروعة فقد عقد أهل السنن رواة الحديث أبوابا خاصة بالأذكار و الأدعية في كتبهم و كذلك هناك كتب ألفت خاصه بالأذكار و الأدعية و الصلوات على الرسول صلى الله عليه و سلم مثل عمل اليوم و الليلة للنسائي وعمل اليوم و الليلة لابن السني و الأذكار للنووى و الكلم الطيب لشيخ الاسلام ابن تيمية و(صحيح الكلم الطيب) للشيخ ناصر الدين الألباني و غير ذلك من كتب الأذكار الصحيحة التي يصعب حصرها هنا فان ذكر الله بما ورد في الكتاب و السنة هو العمل المقرب اليه سبحانه و تعالى

ولولا خشية الاطالة لذكرت الكثير من الأدعية والصلوات والأذكار المشروعة وبما أنني أرشدت القارئ الى أماكنها عليه أن يرجع الى تلك الكتب المذكوره فانه سيجد فيها ما يشفي ويكفي من الأذكار التي تنور القلب وتطهره

الفصل الثاني : أساليب مقاومة الزحف الصوفي

وتحته ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : نشر العقيدة الصحيحة المأخوذة من الكتاب والسنة

المبحث الثاني : القضاء على المظاهر التي تكون سببا في انتشار الشرك كالقباب والمساجد المبنية على القبور والأشجار والأحجار التي تعبد من دون الله

المبحث الثالث : منع كتب الصوفية لئلا يتداولها الناس ومنع دعات التصوف ودراسة كتبهم من قبل شخصيات لها حصانة عقدية لكشف زيفها

التمهيد

لقد تبين لنا من خلال الدراسة السابقة لمظاهر الانحرافات العقدية عند الصوفية بأن المتصوفة بالفعل وقعوا في عقائد فاسدة تختلف مع العقيدة الاسلامية اختلافا بينا واضحا في الالهيات والنبوات وفي باب الولاية وفي أبواب الزهد والقضاء والقدر والتوكل والجهاد وفي الجنة والنار

وقد تبين لنا أيضا الآثار السيئة التي أصابت الأمة الاسلامية نتيجة الانحرافات العقدية التي جلبها المتصوفة من الوثنيات القديمة والنصرانية واليهودية المحرفة ومن القباب والمساجد المبنية على القبور والتوجه الى أصحابها بالدعاء والاستغاثة وادخال نظريات الحادية كالقول بوحدة الوجود والحلول والاتحاد وكذلك نشر بدعة الموالد في العالم الاسلامي وما يفعل فيها من المفاسد الخطيرة بأنواعها وأشكالها وكذلك تعطيل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

والآن في هذا الفصل أريد أن أقترح بعض الأمور التي أراها تكون سببا في الحد من انتشار هذا الفكر الصوفي المنحرف وهذه الاقتراحات تتلخص في الأشياء التالية:

١ـ تثبيت العقيدة الصحيحة في قلوب المسلمين واعداد رجال يقومون بتدريسها

٢ـ القضاء على المظاهر التي تكون سببا لانتشار دعاء غير الله

٣ـ منع كتب الصوفية لئلا تكون متداولة بين الناس وكذلك منع دعاة التصوف من ممارسة نشاطهم حتى لا ينشروا هذه العقائد الفاسدة في أوساط المسلمين وذلك لأن الوقاية خير من العلاج كما يقولون

المبحث الأول : نشر العقيدة الصحيحة المأخوذة من الكتاب و السنة

ان نشر العقيدة الصحيحة المأخوذة من الكتاب و السنة في المجتمع المسلم يعتبر أمرا أساسيا لحماية المسلمين من هذه الأفكار و العقائد الهدامة التي نشرها المتصوفة في الأمة الاسلامية و ذلك لأن القلب الذى غرست فيه العقيده الاسلامية الصحيحة التي كان عليها الرسول صلى الله عليه و سلم و صحابته و السلف من هذه الأمة و من سار على نهجهم الى يومنا هذا و الى أن يرث الله الأرض و من عليها يكتسب مناعة ضد العقائد الفاسدة و الأفكار الهدامة فلا يقبلها بل يرفضها و ينبذها

و لو لا خلاء كثير من أفراد الأمة الاسلامية من العقيدة الصحيحة لما انتشرت هذه العقائد الباطلة في الأمة الاسلامية بهذه الصورة الفظيعة بل لوجدت الطريق أمامها مسدودا و رجعت على عقبيها القهقرى و لكن مع الأسف الشديد وجدت العالم الاسلامي يعيش في جهل دامس مظلم فانتشرت فيه هذا الانتشار الذى نراه اليوم حيث أصبحت العقائد الفاسدة هي المعلومة و المألوفة لدى الناس و العقيدة الصحيحة التي جاءت في الكتاب و السنة أصبحت مجهولة حتى أصبح الناس يستغربون من العقيدة الصحيحة اذا ذكرت لهم بينما يتقبلون العقائد الفاسدة بكل راحة و انبساط و ذلك لأنهم ألفوا هذه العقائد التي شاب عليها الكبير و كبر عليها الصغير فأصبحت شيئا معتادا طبيعيا عندهم و هكذا أصبح المعروف منكرا و المنكر معروفا

و الذى أراه من أهم الأشياء التي يمكن من القضاء على هذه العقائد الفاسدة هو نشر العقيدة الصحيحة حتى تتمكن هذه العقيدة من قلوب المسلمين و ذلك لأنه لا يمكن أن تمسح هذه العقائد الفاسدة من القلوب الا اذا كان البديل متوفر و الحمد لله

البديل متوفر و هو العقيدة الصحيحة الصافية التي تتلاشى أمامها جميع العقائد الباطلة و تزول نهائيا كما زالت من قبل حيث بعث الرسول صلى الله عليه و سلم الى هذه الأمة و هي تعيش في الشرك و الوثنية و مع ذلك فقد استطاعت العقيدة الاسلامية القضاء على تلك العقائد الشركية التي كانت منتشرة آن ذاك في الجزيرة العربية و غيرها من البلاد التي انتشر فيها الاسلام.حيث حلت العقيدة الاسلامية الصحيحة مكان تلك العقائد الباطلة من شركية و وثنية و الحادية و غيرها فكذلك الآن العلاج الوحيد للقضاء على هذه العقائد الشركية المنتشرة في العالم الاسلامي هو القيام بنشر العقيدة الاسلامية الصحيحة الصافية و يتم هذا باتخاذ الخطوات التالية :

١ــ ببيان التوحيد بأنواعه الثلاثة الألوهية و الربوبية و الأسماء و الصفات

ففي توحيد الألوهية ينبغي أن نوضح للناس بأن توحيد الألوهية معناه هو افراد الله بالعبادة و لهذا لا يجوز صرف عبادة من العبادات لغير الله سبحانه و تعالى فلا يدعى غيره و لا يستغاث بغيره و لا يذبح لغيره و لا يتوكل على غيره و غير ذلك من العبادات التي يجب أن يفرد الله بها مع التأكيد على أن غير الله لا يستحق شيئا من العبادات مهما علت درجته لا نبي و لا ولي لا انسي و لا جني و لا ملائكة لأن الكل عبيد لله سبحانه

و في توحيد الربوبية يجب التركيز على توضيح بأن الله سبحانه و تعالى هو الخالق الرازق المحي المميت النافع الضار و لذا لا يجوز طلب منفعة أو دفع مضرة من غير الله سبحانه لأنه هو المغيث لمن يستغيث به سبحانه

و في توحيد الأسماء و الصفات يجب التوضيح بأن الله سبحانه و تعالى موصوف بصفات الكمال و الجلال و أنه يجب على كل مسلم أن يصف الله بالصفات الواردة في الكتاب و السنة من غير تأويل و لا تحريف و لا تعطيل و لا تبديل

٢ــ ببيان الأركان التي يقوم عليها الايمان و هي الأركان الستة و توضيح معانيهـــا توضيحا صحيحا

٣ــ ببيان الأركان التي يقوم عليها الاسلام و هي الأركان الواردة في الحديث المعلومة

٤ــ ببيان المعتقد الصحيح الذى يجب أن يعتقده المؤمن نحو عقيدة القضاء و القـدر لأن هذه العقيدة انحرفت فيها فرق كثير من المبتدعة

٥ــ بوضع منهج دراسي صحيح موافق للكتاب و السنة و اختيار معلمين يمتازون بالعقيدة الصحيحة المأخوذة من الكتاب و السنة و ابعاد المدرسين المنحرفين عن المـــدارس و المعاهد و الجامعات حتى لا ينشروا العقائد المنحرفة الفاسدة

٦ــ بتسخير أجهزة الاعلام من صحافة و مجلات و جرائد و اذاعة و تلفزيون لنشر مبادىء الاسلام و توضيح العقيدة الصحيحة للناس حتى يصبح الناس على بينة من عقيدتهم

٧ــ ببيان المعتقد الصحيح الذى يجب أن يعتقده المؤمن نحو عقيدة التوكل على الله لأن هذه العقيدة انحرف فيها فرق المبتدعة

المبحث الثاني : القضاء على المظاهر التي تكون سببا في انتشار الشرك كالقبـــاب والمساجد المبنية على القبور والأشجار والأحجار التي تعبد من دون الله

لقد تبين لنا فيما سبق في الآثار السيئة التي نشرها المتصوفة في العالم الاسلامي بأن الغلو في الصالحين وبناء القباب والمساجد على قبورهم كان من أهم الأسباب التي ساعدت على انتشار دعاء غير الله عز وجل وما دام الأمر كذلك فلا يمكن أن يقف هذا الزحف الصوفي الا اذا أزيلت هذه القباب والمساجد المبنية على القبور والتي أصبح الناس يتوجهون اليها من دون الله سبحانه وتعالى

وليس هذا بشيء غريب فان الرسول صلى الله عليه وسلم قد أمر بهدم مسجد الضرار الذى بناه المنافقون من أجل التفريق بين المسلمين والاضرار بهم وكذلك كثير من الصحابة كانوا يحرصون على القضاء على كل شيء يخافون منه الفتنة في الدين وكذلك كثير من العلماء الكبار أمر بهدم أشياء كانت سببا لفتنة الناس في عقائدهم بل منهم من هدمها بنفسه .وهدم مسجد الضرار دليل قوي وواضح على وجوب هدم ما هو أعظم منه فسادا مثل هذه المساجد المبنية على القبور والتي نراها منتشرة في عالمنـــا الاسلامي من شماله الى جنوبه ومن شرقه الى غربه ووسطه الا ما شاء الله من البلاد التي أنعم الله عليها بدعوة التوحيد السلفية وذلك لأن حكم الاسلام في هذه المساجد والقباب المبنية على القبور هو أن تهدم كلها حتى تسوى بالأرض لأنها هي أولـــى بالهدم من مسجد الضرار الذى أمر الرسول بهدمه فهدم وكذلك القباب المبنية على القبور يجب هدمها لأنها أسست على معصية الله ورسوله وذلك كما علمنا سابقا فـــان الرسول صلى الله عليه وسلم قد نهى نهيا قاطعا عن البناء على القبور وأمر بتسويـــة

ما بني منها عليه وذلك حتى يقضي على كل المظاهر التي تكون سببا في وقوع الأمـــة في الاشراك بالله تعالى :

فقد أخرج مسلم في صحيحه عن أبي الهياج الأسدى رضي الله عنه قال قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه : ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لا تدع تمثالا الا طمسته ولا قبرا مشرفا الا سويته (١)

فهذا الحديث دليل قاطع على وجوب ازالة كل الأشكال التي تكون سببا للوقوع في عبادة غير الله تعالى من التماثيل والمباني التي تشيد على القبور

وأخرج الامام مسلم أيضا في صحيحه عن ثمامة بن شفى قال كنا مع فضالة بن عبيد بأرض الروم برودس فتوفى صاحب لنا فأمر فضالة بقبره فسوى ثم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمر بتسويتها (٢)

وهذا الحديث دليل قاطع على وجوب تسوية القبور والتحذير من رفعها فما بالك بالبناء عليها المساجد والقباب طبعا هذا من باب أولى ممنوع شرعا واذا كان كذلك فينبغي هدم ما بني عليه منها وذلك ازالة للفتنة

ومن الأدلة على وجوب هدم كل شيء يخشى منه الفتنة هدم الرسول صلى الله عليه وسلم لمسجد الضرار والذى قال الله فيه في كتابه :((والذين اتخذوا مسجـــدا ضرارا وكفرا وتفريقا بين المؤمنين وارصادا لمن حارب الله ورسوله من قبل وليحلفن ان أردنا الا الحسنى والله يشهد انهم لكاذبون))(٣)

قال الشيخ الجزائرى : مسجد الضرار عبارة عن وكر مؤمرات أقيم لمناوءة رسول الله

---

(١)— صحيح مسلم مع النووى ٧ / ٣٦
(٢)— صحيح مسلم مع النووى ٧ / ٣٥
(٣)— التوبة ١٠٧

صلى الله عليه و سلم و المسلمين في المدينة بناه اثنا عشر رجلا من كبار المنافقين و لما فرغوا منه أتوا النبي صلى الله عليه و سلم و هو يتجهز لغزوة تبوك و طلبوا منه أن يأتيهم و يصلي لهم فيه ليأخذ الصبغة الشرعية و انهم لكاذبون الا أن الرسول صلى الله عليه و سلم اعتذر لهم بقوله : اني على جناح سفر و حال شغل أو كما قال و وعدهم أن يصلي فيه بعد عودته

و لما غزا رسول الله صلى الله عليه و سلم بتبوك وعاد و وصل الى ذى أوزان و نزل بها و هي على ساعة من المدينة أتاه خبر المسجد اذ نزل فيه قرآن : و هو قوله تعلى :((و الذين اتخذوا مسجدا ضرارا)) الآية فدعا صلى الله عليه و سلم اثنين من أصحابه و هما مالك بن لدحشم أخو بني سالم بن عوف و معن بن عدى أخو بني العجلان فقال : انطلقا الى هذا المسجد الظالم أهله فاهدماه و حرقاه و فعلا أتياه فهدماه و حرقاه و تفرق أهله عنه و تركوه للنار تلتهمه (١)

فما دام أمر الرسول بهدم هذا المسجد لأنه بناه أصحابه بقصد حبك المؤامرة فيه على المسلمين فكذلك يجب هدم القباب و المساجد المبنية على القبور التي تعبد من دون الله لأنها فتنت المسلمين و أوقعتهم في الشرك بالله

قال الامام ابن القيم بعد أن ذكر أمر الرسول صلى الله عليه و سلم بهدم مسجد الضرار : فهدم القباب و البناء و المساجد التي بنيت على القبور أولى و أحرى لأنه لعن متخذى المساجد عليها و نهي عن البناء عليها فيجب المبادرة و المسارعة الى هدم ما لعن رسول الله صلى الله عليه و سلم فاعله و نهى عنه و الله عز و جل يقيم

---

(١)— هذا الحبيب يا محب للشيخ الجزائري ص ٤٣٥ و كذلك أنظر عيون الأثر ص ٢٨٥ و كذلك سيرة ابن هشام ٤/ ١٣٦١ و كذلك مختصر زاد المعاد للامام محمد بن عبد الوهاب ٢٨٢ و كذلك الدرر لابن عبد البر ٢٥٧ و كذلك حياة الرسول المصطفى ٢/ ٣٦٥ و كذلك خاتم النبيين لأبي زهرة ٢/ ٢٩١

لدينه و سنة رسوله من ينصرهما و يذب عنهما فهو أشد غيرة و أسرع تغييرا و كذلك يجب ازالة كل قنديل أو سراج على قبر و نحوه فان فاعل ذلك ملعون بلعنة رسول الله صلى الله عليه و سلم و لا يصح هذا الوقف و لا يصح إثباته و تنفيذه (١)

و مما يدل على وجوب هدم المشاهد التي تكون سببا لوقوع الناس في الشرك بالله ما ذكره الامام ابن القيم إن أهل الطائف بعد فتحها سألوا رسول الله صلى الله عليه و سلم ان لا يهدم الطاغية ثلاث سنين فأبى لهم الرسول صلى الله عليه و سلم و أمر بهدمها فورا و هذا يدل على وجوب إزالة كل الأشياء التي تكون سببا لوقوع المسلمين في فتنة الشرك و أنه لا يجوز تركها مع القدرة عليها

و اليك نص كلام الامام ابن القيم رحمه الله و هو يتحدث عن الفقه الذى يستفاد من تلك الغزوة :

و منها أنه لا يجوز ابقاء مواضع الشرك و الطواغيت بعد القدرة على هدمها و إبطالها يوما واحدا فانها شعائر الكفر و الشرك و هي أعظم المنكرات فلا يجوز الاقرار عليها مع القدرة البتة و هذا حكم المشاهد التي بنيت على القبور التي اتخذت أوثانا و طواغيت تعبد من دون الله و الأحجار التي تقصد للتعظيم و التبرك و النذر و التقبيل لا يجوز ابقاء شيء منها على وجه الأرض مع القدرة على إزالته و كثير منها بمنزلة اللات و العزى و مناة الثلاثة الأخرى أو أعظم شركا عندها و بها و الله المستعان

و لم يكن أحد من أرباب هذه الطواغيت يعتقد أنها تخلق و ترزق و تميت و تحيى و انما كانوا يفعلون عندها و بها ما يفعله إخوانهم من المشركين اليوم عند طواغيتهم فاتبع هؤلاء سنن من كان قبلهم و سلكوا سبيلهم حذو القذة بالقذة و أخذوا مأخذهم

---

(١) — اغاثة اللهفان للامام ابن القيم ١ / ٢١٠

شبرا بشبر و ذراعا بذراع و غلب الشرك على أكثر النفوس لظهور الجهل و خفاء العلم فصار المعروف منكرا و المنكر معروفا و السنة بدعة و البدعة سنة و نشأ في ذلك الصغير و هرم عليه الكبير و طمست الاعلام و اشتدت غربة الاسلام و قل العلماء و غلب السفهاء و تفاقم الأمر و اشتد البأس و ظهر الفساد في البر و البحر بما كسبت أيدى الناس و لكن لا تزال طائفة من العصابة المحمدية بالحق قائمين و لأهل الشرك و البدع مجاهدين الى أن يرث الله الأرض و من عليها و هو خير الوارثين

و منها جواز صرف الامام الأموال التي تصير الى هذه المشاهد و الطواغيت في الجهاد و مصالح المسلمين فيجوز للامام بل يجب عليه أن يأخذ أموال هذه الطواغيت التي تساق اليها كلها و يصرفها على الجند و المقاتلة و مصالح الاسلام كما أخذ النبي صلى الله عليه وسلم أموال اللات و أعطاها لأبي سفيان يتألفه بها و قضى منها دين عروة و الأسود و كذلك يجب عليه أن يهدم هذه المشاهد التي بنيت على القبور التي اتخذت أوثانا و له أن يقطعها للمقاتلة أو يبيعها و يستعين بأثمانها على مصالح المسلمين و كذلك الحكم في أوقافها فان وقفها فالوقف عليها باطل

و هو مال ضائع فيصرف في مصالح المسلمين فان الوقف لا يصح الا في قربة و طاعة لله و رسوله فلا يصح الوقف على مشهد و لا قبر يسرج عليه و يعظم و ينذر له و يحج اليه و يعبد من دون الله و يتخذ وثنا من دونه و هذا مما لا يخالف فيه أحد من أئمة الاسلام و من اتبع سبيلهم (١)

و قال الامام ابن القيم أيضا و هو يتحدث عن أهل الطائف بعد أن فتحها رسول الله صلى الله عليه و سلم : و قد كانوا فيما سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم

---

(١) — زاد المعاد في هدى خير العباد ٥٠٦/٣

أن يدع لهم الطاغية وهي اللات لا يهدمها ثلاث سنين فأبى رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم فما برحوا يسألونه سنة سنة و يأبى عليهم حتى سألوه شهرا واحدا بعد قدومهم فأبى عليهم أن يدعها شيئا مسمى فأرسل المغيرة بن شعبة و معه أبو سفيان فهدماها (١)

و هذا يدل على أنه يجب هدم المشاهد التي تكون سببا لوقوع الناس في الشرك بالله عز و جل وأنه لا يجوز التباطؤ في هدمها مع القدرة لأنها من أخطر الأسباب التي توقع الأمم في الشرك و الخرافة كما هو حاصل اليوم في عالمنا الاسلامي بسبب ما نشره المتصوفة من البناء على القبور المساجد و القباب و دعوة الناس للطواف حولها حيث إنك قل أن تجد مدينة أو قرية في العالم الاسلامي بأسره الا ما شاء الله الا و فيها قبر بني عليه القبة و المسجد و يتوجهون الناس اليه لقضاء حوائجهم و أنا أؤكد بأنه لا يمكن أن يقضى على الشرك الا إذا أزيلت الأسباب التي وقع بسببها لأن العلاج الناجح لكل مرض لازالته هو معرفة السبب و القضاء عليه و الا يكون العلاج سطحيا .

و مما يدل على وجوب هدم كل شيء يؤدي إلى فتنة المسلمين في دينهم وإزالته قول الامام أبو بكر الطرطوشي حيث قال رحمه الله : انظروا رحمكم الله أينما وجدتم سدرة أو شجرة يقصدها الناس و يعظمونها و يرجون البرء و الشفاء من قبلها و يضربون بها المسامير و الخرق فهي ذات أنواط فاقطعوها (٢)

و هذا الكلام الذى قاله الطرطوشي يفعله المتصوفة مع أوليائهم بل يفعلون أكثر منه بكثير و لذا يجب هدم تلك المشاهد التي شيدها المتصوفة على قبور من يسمونهم

---

(١) — زاد المعاد ٣/٤١٤

(٢) — اغاثة اللهفان ١/٢١١

أولياء لأنها أصبحت أكبر فتنة للمسلمين حيث صرفتهم عن عبادة الله الى عبادة أصحاب تلك المشاهد المشيدة على القبور

و قد ذكر الحافظ أبو محمد عبدالرحمن بن اسماعيل المعروف بأبي شامة في كتابه الحوادث و البدع ما صنعه بعض أهل العلم ببلاد أفريقيا : أنه كان الى جانبه عين تسمى عين العافية قد افتتنوا بها يأتونها من الآفاق فمن تعذر عليه نكاح أو ولد قال امضوا بي الى العافية فيعرف فيها الفتنة فخرج في السحر فهدمها و اذن للصبح عليها ثم قال اللهم اني هدمتها لك فلا ترفع لها رأسا قال فما رفع لهـــا رأس الى الآن (١)

و قد قال الامام ابن القيم : و قد كان بدمشق كثير من هذه الأنصاب فيسر اللـــه سبحانه و كسرها على يد شيخ الاسلام و حزب الله الموحدين كالعمود المخلق والنصب الذى كان بمسجد النارنج عند المصلى يعبده الجهال و النصب الذى كان تحـــت الطاحون الذى عند مقابر النصارى ينتابه الناس للتبرك به و كان صورة صنم في نهـــر القلوط ينذرون له و يتبركون به و قطع الله سبحانه النصب الذى كان عند الرحبـــة يسرج عنده و يتبرك به المشركون و كان عمودا طويلا على رأسه حجر كالكرة و عند مسجد درب الحجر نصب قد بني عليه مسجد صغير يعبده المشركون يسر الله كسره (٢)

و مما يدل على وجوب ازالة و هدم كل شيء يخشى من بقائه الفتنة ما روى عـــن المعرور بن سويد قال صليت مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه في طريق مكة صلاة الصبح فقرأ فيها ((ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل)) و لإيلاف قريش ثم رأى النـاس يذهبون مذاهب فقال أين يذهب هؤلاء فقيل يا أمير المؤمنين مسجد صلى فيه

---

(١) — الحوادث و البدع لأبي شامة

(٢) — اغاثة اللهفان لابن القيم ١ / ٢١٢

النبي صلى الله عليه و سلم فهم يصلون فيه فقال انما هلك من كان قبلكم بمثل هـــذا كانوا يتبعون آثار أنبيائهم و يتخذونها كنائس و بيعا فمن أدركته الصلاة منكم في هذه المساجد فليصل و من لا فليمض و لا يتعمدها

و أيضا لما بلغ عمر بن الخطاب ان الناس ينتابون الشجرة التي بايع تحتهـــا رسول الله صلى الله عليه و سلم أصحابه أرسل فقطعهـــا (١)

و مما يدل على ازالة كل شيء يخشى منه فتنة المسلمين في دينهم و انحرافهـــم عن عقيدتهم الاسلامية الصحيحة ما ذكره محمد بن اسحاق في مغازيه من زيادات يونس بن بكير عن أبي خلدة خالد بن دينار قال حدثنا أبو العالية قال لما فتحنا تستر وجدنا في بيت مال الهرمزان سريرا عليه رجل ميت عند رأسه مصحف له فأخذنا المصحف فحملناه الى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فدعا له كعبا فنسخه بالعربية فأنا أول رجل من العرب قرأه فقرأته مثل ما أقرأ القرآن فقلت لأبي العالية ما كان فيه قال سيرتكـــم و أحوالكم و لحون كلامكم و ما هو كائن بعد قلت فما صنعتم بالرجل قال حفرنا بالنهار ثلاثة عشر قبرا متفرقة فلما كان الليل دفناه و سوينا القبور كلها لنعميه على الناس حتى لا ينبشونه فقلت و ما يرجون منه قال كانت السماء اذا حبست عنهم أبرزوا السرير فيمطرون فقلت من كنتم تظنون الرجل قال رجل يقال له دانيال فقلت مذ كم وجدتموه مات قال مذ ثلاثمائة سنة قلت ما كان تغير منه شيء قال لا الا شعيرات من قفاه ان لحوم الأنبياء لا تبليها الأرض و لا تأكلها السباع (٢)

و الذى يهمنا من ايراد هذه القصة هو ان المهاجرين و الأنصار حاولوا تعميـــة قبر هذا الرجل خشية أن يفتتن به الناس و لم يبرزوه للدعاء عنده و التبرك به و لو ظفر

---

(١) — اغاثة اللهفان ١/ ٢٠٤

(٢) — اغاثة اللهفان ١/ ٢٠٣ و كذلك فتوح البلدان للبلاذرى ٢/ ٤٦٦

به المتصوفة عباد القبور لجالدوا عليه بالسيوف ليتخذوه معبودا من دون الله و كيف لا و قد اتخذوا من القبور أوثانا من لا يصل الى مستوى هذا الرجل بل و لا يقاربه و أقاموا لها سدنة و جعلوها معابد مقدسة

و وجه الاستدلال بهذه القصة للمبحث بما أن الصحابة الكرام أعموا قبر هذا الرجل خشية إفتتان الناس به فكذلك يجب ازالة و هدم كل شيء يؤدي الى فتنة الناس وانحرافهم عن عقيدة التوحيد الصحيحة

و الخلاصة أن من انجع العلاج للتخلص من هذا الشرك المنتشر في الأمة الاسلامية هو القضاء نهائيا على الأسباب التي أدت الى انتشاره و التي تتمثل في بناء القباب و المساجد على القبور و التوجه الى أصحابها بالدعاء و الاستغاثة و تقديم النذور و القرابين لها و الطواف حولها كالكعبة و بدون ازالة هذه القباب و المشاهد المبنية على دجاجلة المتصوفة لا يمكن تخليص الأمة الاسلامية من هذه الوثنية التي نشرها دعاة التصوف في العالم الاسلامي و لسنا نحن أول من قال بهذا بل لقد أمر الرسول الكريم بتسوية القبور و عدم رفعها و أمر ما رفع منها أن يسوى و أمر أن تطمس التماثيل والمشاهد التي كان يعبدها المشركون و لم يتركها و لو لحظة واحدة بل بادر الى هدمها وازالتها فور تمكنه من ازالتها وقال بهذا أكثر من علماء الأمة الاسلامية بل و فعلوه بأنفسهم كما سبق لنا آنفا في هذا المبحث

و النختم هذا المبحث بقولين لامامين عظيمين من أئمة الاسلام فانه مفيد في هذا المجال ألا و هو بيان أن الاسلام يحرم هذه المشاهد التي نشرها المتصوفة في العالم الاسلامي فوقع كثير من أفراد الأمة الاسلامية بسببها في الشرك بالله

قال الامام ابن القيم بعد أن ذكر جملة من الأحاديث التي نهى فيها الرسول

صلى الله عليه و سلم عن بناء المساجد على القبور :

و المقصود أن هؤلاء المعظمين للقبور المتخذ ينها أعيادا الموقدين عليها السرج الذين يبنون المساجد و القباب مناقضون لما أمر به رسول الله صلى الله عليه و سلم محادون لما جاء به و أعظم ذلك اتخاذها مساجد و ايقاد السرج عليها وهو من الكبائر وقد صرح الفقهاء من أصحاب أحمد و غيرهم بتحريمه الى أن قال . . . . . و قد آل الأمر بهؤلاء الضلال المشركين الى أن شرعوا للقبور حجا و لا يخفى أن هـــذا مفارقة لدين الاسلام و دخول في دين عباد الأصنام (١)

و قال الامام محمد بن علي الشوكاني و هو يتحدث عن موقف الاسلام من بناء المساجد و القباب علـــى القبـــور :

و رفع القبور و وضع القباب و المساجد و المشاهد عليها قد لعن رسول الله صلـى الله عليه و سلم فاعله تارة و تارة قال : اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد و تارة نهى عن ذلك و تارة بعث من يهدمه و تارة جعله من فعل اليهود و النصارى و تارة قال : (لا تتخذوا قبرى وثنا) و تارة قال : (لا تتخذوا قبرى عيدا) أى موسما يجتمعون فيه كما صار يفعله كثير من عباد القبور يجعلون لمن يعتقدون من الأموات أوقاتا معلومة يجتمعون فيها عند قبورهم ينسكون لها المناسك و يعكفون عليها كما يعرف ذلك كل أحد من الناس من أفعال هؤلاء المخذولين الذين تركوا عبادة الله الذى خلقهم و رزقهم ثم يميتهم و يحييهم و عبدوا عبدا من عباد الله صار تحـــت أطباق الثرى (٢)

---

(١) — اغاثة اللهفان لابن القيم ١٩٦/١

(٢) — انظر شرح الصدور بتحريم رفى القبور للشوكاني ضمن الجامع الفريد ٥٢٦

و مع أن الاسلام نهى عن بناء المساجد و القباب على القبور و التوجه اليها بالدعاء و الاستغاثة و النذور و القرابين و الطواف حولها أصر المتصوفة على الوقوع فيما حذر منه الاسلام فبنوا القباب و المساجد على القبور و أمروا الناس أن يتوجهوا اليها من دون الله فاستجاب لهم الكثير من هذه الأمة فوقعوا في شركيات خطيرة و لذا يجب ازالة هذه المساجد و القباب التي شيدت على القبور لأنها مخالفة للاسلام و ليس هناك أى نزاع بين العلماء الذين يحكمون النصوص القرآنية و النبوية في الحلال و الحرام في وجوب ازالة هذه المشاهد و انما من الممكن أن يدافع عنها القبوريون لأنها آلهتهم التي يعبدونها من دون الله و لا عبرة لخلافهم و أقوالهم لأنها خالية من الأدلة التي تعتمد عليها و ما هي الا مجرد أقوال يقولونها متبعين أهواءهم محاولة منهم لتبرير الشرك

المبحث الثالث : منع كتب الصوفية لئلا يتداولها الناس و منع دعاة التصوف و دراسة كتبهم من قبل شخصيات لها حصانة عقدية لكشف زيفها

لقد بينا في المبحث السابق بأن من أهم العوامل التي تساعد على الحد من انتشار الزحف الصوفي في العالم الاسلامي هو القضاء على المظاهر التي تكون سببا لوقوع الأمة في الشرك بالله عز وجل و التي تتمثل في هذه المساجد و القباب المبنية على القبور المنتشرة في العالم الاسلامي على اتساعه و بينا بأن موقف الاسلام من هذه المشاهد هو تحريم إقامتها مبدئيا و المبادرة بأسرع ما يمكن الى هدم ما بني منها حتى لا يفتتن الناس في دينهم بسببها و قد أثبتنا ذلك بأدلة من السنة النبوية و أقوال الصحابة و أفعالهم و أقوال علماء الأمة الاسلامية و أفعالهم عبر التاريخ (١)

و في هذا المبحث نحب أن نذكر أسلوبا من أساليب مقاومة هذا الفكر الصوفي المنحرف و هذا الأسلوب هو منع كتب المتصوفة من دخول الأسواق وذلك حتى لا تقع في أيدي الناس فيقع كثير منهم في مفاهيم خاطئة و انحرافات عقدية خطيرة كما هو واقع اليوم في عالمنا الاسلامي حيث انتشرت هذه الكتب بين الأمة الاسلامية فوقع الكثير منهم في انحرافات عقدية خطيرة وخاصة في توحيد الألوهية حيث يتوجه عدد كبير من أفراد الأمة الاسلامية الى القبور بشتى أنواع العبادات كالدعاء و الاستغاثة و الذبح و النذر و الطواف معرضين عن الله سبحانه و تعالى و ذلك بسبب الأباطيل و الأكاذيب التي يحكيها مؤلفوا كتب المتصوفة من أن الأولياء يقدرون على قضاء مطالب من توجه اليهم من المريدين و هذا واقع مشاهد نعايشه و نراه بأم أعيننا و لا يستطيع أحد أن ينكر هذا الا معاند مكابر منكر للحقيقة الظاهرة الواضحة كوضوح الشمس في رابعة النهار

---

(١) انظر ١٠٨٣ — ١٠٩٢

و بجانب منع كتب المتصوفة يجب أيضا منع الدعاة الذين يحملون الفكر الصوفي من مزاولة تدريس الناس عامة في المساجد و المدارس و حتى في بيوتهم الخاصة التي يتخذونها غالبا أوكارا لممارسة بدعهم و نشر سمومهم بين الناس وذلك حتى لا يلوثوا المجتمع بأفكارهم الضالة التي اذا انتشرت بين مجتمع ما تحوله الى مجتمع مشرك خرافي لا قيمة له في الدنيا و الآخرة و مجال التعليم الخقيقة يعتبر مجالا هاما جدا فينبغي الحرص عليه بحيث يوضع له المنهج الصحيح للتدريس و كذلك لا يوضع أو يعين في تدريس النشأ و حتى ادارة المدارس و المعاهد ينبغي أن لاتستند الا الى رجال معروفين بالتوجه الصحيح الذين يتمتعون بصحة العقيدة و سلامة المنهج فان فساد النشأ يعني فساد الأمة بكاملها لأنهم رجال المستقبل و الى جانب عزل الذين يحملون الفكر الصوفي نهائيا عن المجتمع ينبغي تحذير من عرف منهم بعينه من ممارسة نشاطه حتى لا يفسد الأمة بنشر عقائده الضالة التي حملها من الوثنيات القديمة كالبوذية و المسيحية و اليونانية

و بجانب منع كتب التصوف و دعاة التصوف ينبغي دراسة كتب التصوف من قبل شخصيات لها كفاءة و حصانة عقدية لكشف زيفها و اثبات بأنها عقائد خرافية باطلة دخيلة على الاسلام و ليست منه و ذلك لأن الكثير من الأمة الاسلامية لا يعرفون عقائد الصوفية الباطلة التي تحتوى عليها كتبهم الضالة و انما يظن كثير من أفراد الأمة الاسلامية العوام بل و حتى العلماء الذين لم يأخذوا القسط الكافي من علم الكتاب و السنة يظنون أن الطرق الصوفية ما هي الا طرق تدعوا الناس الى الزهد في الدنيا و الاهتمام بأمور الآخرة و تهتم بتربية الانسان تربية اسلامية الى أن يصبح من أولياء الله

و قد واجهت الكثير ممن يحسبون على العلم و العلماء يدافعون عن الصوفية و يدعون بأن الصوفية ليس فيها أى انحرافات عقدية نهائيا و قد جرى بيني و بين كثير منهم مناقشات حادة كان النصر فيها حليفا لي فيها لأنهم ليس لهم أى أدلة يثبتون بها حججهم وإنما كل مناقشاتهم تعتمد على الأهواء المجردة فقط بدون التقيد بالأدلة الشرعية و الحقيقة كنت أقدم لهم أثناء المناقشة نصوصا من بطون كتب المتصوفه أنفسهم فكانوا يستغربون جدا و قد رجع أفراد منهم عن المشي وراء الطرق الصوفية و الحمد لله

و المقصود من هذا الكلام هو أن الكثيرين تخفى عليهم ما تحتويه كتب الصوفية من الأباطيل و العقائد الفاسدة المملوءة بها و لذا أحبذ أن يكتب المتخصصون في العقيدة في الفكر الصوفي فانه يحتاج إلى مزيد من الكتابة من أكثر من شخص و في الحقيقة أنا بنفسي ما كنت أعرف عن التصوف هذه الحقائق التي توصلت اليها بعد اطلاعي على كتبهم و قد ذهلت من تلك الأباطيل التي تحتوى عليها تلك الكتب

و في النهاية أقول : ان دراسة كتب الصوفية و الرد عليها أراه من أهم الأساليب الناجحة في فضح عوار الفكر الصوفي الوثني المنحرف الذى نشر الشرك و الوثنية في العالم الاسلامي بأسره الا ما شاء الله و قليل ما هم

الخاتمة : أهم النتائج التي توصلت اليها من خلال هذا البحث

بعد هذا البحث مع الصوفية و عقائدهم المنحرفة نخرج بالنتائج التالية :

أولا : ان التصوف نشأ أول ما نشأ على هيئة الزهد و التقشف المبالغ فيه ثم تأثر بالفلسفات و الوثنيات القديمة كاليونانية و النصرانية و أديان الهند الوثنية كالبوذية مما أدى بأصحابه إلى إعتناق عقائد فاسدة

و يتضح لنا أيضا من خلال هذه الدراسة لعقائد التصوف بأن من أهم الأسباب التي وقع الصوفية بسببها في هذه العقائد الفاسدة التي سبق ذكرها تتلخص لنا فيما يلي :

أولا : بحث المتصوفة عن الهداية الى الحق و الصواب عن غير طريق الكتاب و السنة اللذين لا يمكن أن يصل أحد بدونهما الى الحق و الصواب نهائيا مهما بذل من جهود

ثانيا : زعمهم بأن هناك علما يسمى علم الحقيقة يختلف عن العلم الشرعي الذى جاء به محمد بن عبدالله عليه السلام من عند الله سبحانه و تعالى و ادعاؤهم بأنهم يتلقون علوما خاصة بهم مباشرة عن الله و أن هذه العلوم خاصة بهم لا يشاركهم فيها أحد أبدا الا من انضوى تحت الطرق الصوفية و تدرج في المراتب التي وضعوها لتربية المريدين و كما اتضح لنا في المبحث الخاص بالحقيقة في الباب الأول من هذه الرسالة ان هذا الاعتقاد الفاسد كان من أكبر الأسباب التي وقع الصوفية بسببه في هذا الضلال العقدى الخطير لأنهم سلكوا غير طريق الرسول صلى الله عليه و سلم فوقعوا في عقائد فاسدة

ثالثا : الغلو الزائد في الرسول محمد صلى الله عليه و سلم و الأولياء مما أدى بهم الى

اخراج الرسول صلى الله عليه و سلم من مرتبة البشرية و العبودية الى مرتبة الألوهيـة

و كذلك أدى الغلو في الأولياء بالصوفية الى أن يعتقدوا فيهم بأنهم يتلقون علوما خاصة بهم و أنهم يغيثون من استغاث بهم فصرفوا لهم أنواعا من العبادة .

و قد أدت هذه الأسباب المذكورة الى اعتناق العقائد الفاسدة التالية :

ففي باب الالهيات وقع الصوفية في انحرافات عقدية خطيرة و هذه الانحرافات نلخصها فيما يلي :

١ــ اعتقادهم بأنه لا يمكن التعبير عن التوحيد و أن من عبر عنه فهو ملحد أو وثـــني

٢ــ اعتقادهم بأن التوحيد الحقيقي هو القول بوحدة الوجود الذى يعتبر قمة الالحاد

٣ــاعتقادهم بجواز عبادة كل شيء موجود في هذا الكون

٤ــ اعتقادهم بأن كل أهل الأديان و الملل الباطلة عبادتهم صحيحة و أنهم مصيبون مأجورون

٥ــ اعتقادهم بامكانية حلول الله في بعض مخلوقاته التي يصطفيها

٦ــ اعتقادهم بأن كل من أحب شيئا في هذا الكون فقد أحب الله لأن الكل بزعمهم ما هو الا مظاهر و مجالى لله تعالى تمشي على ظهر هذا الكون سبحانه و تعالى عمـا يقول الظالمون علوا كبيرا

٧ــ اعتقادهم بأن التوحيد الذى أرسل الله به الرسل و أنزل به الكتب ما هو الا توحيد العوام أمـــــا الخواص فان هذا التوحيد بالنسبة لهم يعتبر شركا بالله يترفعون عنه بزعمهم

و أما فيما يتعلق بالرسول صلى الله عليه و سلم فان الصوفية قد وقعوا في انحرافات عقدية خطيرة تجاهه و تتلخص هذه الانحرافات فيما يلـــي :

١ــ اعتقاد الصوفية بأن الرسول صلى الله عليه و سلم مخلوق من نور الله عز و جل الذى هو صفته و ليس مخلوقا كغيره من البشر من تراب و نطفة و هذا انحراف عقدى خطير لأنه يجعل الرسول صلى الله عليه و سلم جزءا من الله فيعبد

و هذا يتصادم مع ما جاء في الكتاب و السنة من أن الرسول صلى الله عليه و سلم بشر مثلنا من حيث الخلقة و مع ذلك فهو أفضل الخليقة على الاطلاق

٢ــ اعتقاد الصوفية بأن كل ما في هذا الكون من المخلوقات مخلوق من نور الرسول صلى الله عليه و سلم و هذا اعتقاد باطل و فاسد لأنه مخالف لما جاء في القرآن الكريم و السنة النبوية

٣ــ اعتقاد الصوفية بأن كل الرسل الذين كانوا قبل النبي محمد صلى الله عليه و سلم أوحى اليهم منه و كلهم مقترف من علومه و لم يقف الصوفية في هذا الحد بل ادعوا بأن علم الله سبحانه و تعالى جزء من علم الرسول صلى الله عليه و سلم و هذا غاية الالحاد في الله عز و جل و غلو زائد عن الحد في الرسول صلى الله عليه و سلم الذى نهي عن الغلو فيه في أحاديث كثيرة مر ذكرها في ثنايا البحث في الفصل الخاص بانحرافات الصوفية تجاه الرسول صلى الله عليه و سلم

٤ــ اعتقاد الصوفية بجواز التوجه الى الرسول صلى الله عليه و سلم بالدعاء و الاستغاثة من دون الله و توجههم اليه ليلا و نهارا بمطالبهم في جميع أنحاء العالم الاسلامي معرضين عن الله سبحانه و تعالى الذى قال في كتابه :((ادعوني أستجب لكم ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين))(١)

---

(١)ــ غافر ٦٠

و أما في باب الولاية فقد انحرف المتصوفة فيه انحرافات خطيرة جدا و تتلخص هـذه الانحرافات :

١ــ اعتقادهم بأن الأولياء يتلقون علوما خاصة بهم عند الله تختلف عن العلوم الشرعية التي أرسل الله بها رسوله محمد صلى الله عليه و سلم

٢ــ اعتقادهم بأن الأولياء ينفعون و يضرون و توجههم اليهم بالدعاء و الاستغاثة و الطواف حول قبورهم و الذبح و النذر لهم كما هو مشاهد اليوم في عالمنا الاسلامي على امتداده الواسع

٤ــ اعتقادهم بأن الأولياء يعلمون الغيب و لا تخفى عليهم خافية

٥ــ اعتقادهم بأن للأولياء مراتب سبعة و أن كل واحد من أهل هذه المراتب لـــه وظيفة خاصة به و أن هذا الكون تسيره مجموعة ممن يزعمون أنهم أولياء الله

٦ــ اعتقادهم بأن لأولياء يجوز لهم الخروج عن الشريعة و التمرد على أوامر الله و رسوله

٧ــ اعتقـــاد الغلاة منهم بأن الولاية أفضل من النبوة و بناء عليه أن الأولياء أفضل من الأنبياء و أعلم منهم بحقائق العلوم .

و أما في باب الخضر عليه السلام فان المتصوفة أيضا وقعوا في انحرافات عقديـــة خطيرة تجاهه و تتلخص معتقداتهم تجاهه :

١ــ أن الخضر ولي و ليس نبي و بناء عليه فان الأولياء يعتبرون أعلم بحقائق العلوم من الأنبياء لأن الخضر عليه السلام كان أعلم من موسى رغم أنه كان وليا فقط

و هذا حسب زعمهم و الا فان الخضر عليه السلام الراجح أنه نبي و ليس بولي فقط كما سبق في مبحث الخضر عليه السلام

٢ــ بنوا على قصه الخضر و موسى عليهما السلام أنه يجوز للولي و يسوغ له الخروج على

الشريعة الاسلامية كما خرج الخضر عليه السلام على الشريعة التي جاء بها موسى عليه السلام من عند الله في الظاهر رغم أن الأعمال التي أقدم عليها الخضر كلها أمور مشروعة و خاصة بعد أن وضح سبب اقدامه عليها

و فات المتصوفة في هذا الى أن موسى عليه السلام لم يكن مبعوثا الى جميع البشرية و انما كان مبعوثا الى قومه بني اسرائيل خاصة و أيضا فان الخضر كان نبيا يوحى اليه و شرائع الأنبياء تختلف مع اتحادهم في الأصول و المتصوفة مع الرسول محمد صلى الله عليه و سلم ليسوا كذلك لأن الرسول مبعوث الى جميع الثقلين الانس و الجن و لا يجوز لأى أحد كائنا من كان أن يدعي أنه مع رسول الله محمد صلى الله عليه و سلم كالخضر مع موسى عليه السلام و الا يعتبر زنديقا خارجا عن الاسلام

٣ــ يعتقد المتصوفة أن الخضر عليه السلام حي الى قيام الساعة و يدعون أنهم يتلقون منه عقائدهم الباطلة و أورادهم الخرافية المبتدعة كذبا و بهتانا .

و أما في باب الزهد فان الصوفية قد انحرفوا في مفهوم الزهد حيث فهموا الزهد بأنه التخلي عن القيام بأى عمل يحصل الانسان من ورائه على رزقه الذى كتبه الله له فقعدوا عن العمل و أصبحوا عالة و عارا على الأمة الاسلامية و أصبح أعداء الاسلام يرمون الاسلام بأنه دين البطالة و الكسل و الخمول و التسول لأن فهم الصوفية الخاطىء للزهد أوقعهم في اتخاذ التسول و سؤال الناس مهنة لهم و لو فهم الصوفية الزهد الحقيقي في الاسلام لما وقعوا في هذا الانحراف الخطير حيث ان الزهد في الاسلام يتمثل في الزهد عن الحرام و الزهد في كل شيء يخالف الاسلام و أن لا يجعل الانسان المسلم الدنيا أكبر همه و الاستعاضة بالحلال عن الحرام و بالسنة عن البدعة و بحصر الهم في ابتغاء مرضاة الله و الدار الآخرة و هذا يتطلب الأخذ بالأسباب و من الأسباب

التي يجب الأخذ بها هو السعي في كسب الرزق الحلال بالطرق المشروعة ثم انفاقه في الطرق المشروعة التي أمر الاسلام بانفاق الرزق فيها وذلك مثل ما كان يفعل أبو بكر الصديق وعمر الفاروق وعثمان بن عفان وغيرهم من أغنياء الصحابة الكرام رضوان الله عليهم حيث انهم كانت لهم أموالا كثيره وكانوا ينفقونها في سبيل الله وهم أزهد الناس في الدنيا بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن زهدهم لم يصل بهم الى رفض السعي في طلب الرزق الحلال وتعذيب النفس وحرمانها مما أحله الله كما يفعل الصوفية لأن هذا ليس الزهد الذى جاء به الاسلام بل هو زهد بوذى وثني دخيل على الاسلام لأن الاسلام يأمر باعطاء كل ذى حق حقه ثم ان ادعاء الانسان بأنه زاهد لا يتحقق له الزهد الا اذا كانت الدنيا في يده وينفقها في الطرق المشروعة أما الانسان الذى يفقد المال فانه لا يصح أن يسمى زاهدا لأنه فاقد له وكما هو معلوم فان فاقد الشيء لا يعطيه .

وأما في باب الجهاد فقد انحرف الصوفية فيه أيضا انحرفات خطيرة وتتمثل هذه الانحرافات :

١ــ اعتقاد الصوفية بأن جهاد النفس هو الجهاد الأكبر ولذا ينبغي للانسان أن يختلي بنفسه في خلوات مظلمة ويجاهد نفسه

وأما جهاد الأعداء فهو الجهاد الأصغر ولذا فلا ينبغي للانسان أن يترك الأكبر ويذهب الى الأصغر وهذا المعتقد الفاسد أدى بهم الى الاستهانة بالجهاد الاسلامي الذى يعتبر ذروة الاسلام بل هم دائما وأبدا كانوا عونا للمستعمرين والغزاة الكفرة والى يومنا هذا لا يزالون كذلك .

وأما في باب القضاء والقدر فقد انحرف الصوفية انحرافات خطيرة وتتمثل هذه الانحرافات :

يعتقد الصوفية بأن كل ما قدره الله سبحانه وتعالى وقضاه ووقع في هذا الكون فهو مرضي لله سبحانه وتعالى بقطع النظر عن نوعية هذا الشيء الواقع مشروع أو غير مشروع سواء كان ايمانا أو اسلاما وعملا صالحا أو كان كفرا ونفاقا وعملا محرما فالكل قد وقع بقضاء الله وقدره ولا يجوز معارضته نهائيا البتة والا كان نقصا في التوحيد وهذا المعتقد الفاسد تجاه عقيدة القضاء والقدر أدى بهم الى حب كل شيء واقتراف كل المنكرات في هذه الدنيا وعطلوا بذلك وظيفة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لأنهم يعتقدون بأن ما يقع في هذا الكون محبوب لله سبحانه وتعالى مرضي له وليس هناك ثنائية هذا معروف وهذا منكر بل الكل معروف عندهم .

وأما في باب التوكل والخوف والرجاء فقد انحرف فيه المتصوفة انحرافات خطيرة وتتمثل هذه الانحرافات :

١ـ اعتقاد المتصوفة بأن التوكل الحقيقي الذي يجب أن يكون عليه الانسان هو أن يترك القيام بالأسباب نهائيا ويتجرد عن ماله حتى يصبح فقيرا وقد أدى بهم هذا الفهم الخاطيء للتوكل الى اتخاذ التسول مهنة لهم بحيث أصبح الأعداء يسخرون من الأمة الاسلامية بسبب ما يرونه من هذه الصور المشينة التي يمارسها المتصوفة الخرافيون في أنحاء العالم الاسلامي بل في كل العالم وتحسب على الاسلام ظلما

٢ـ يعتقد المتصوفة بأنه ينبغي للانسان المسلم أن يعبد الله لذاته ولا يجوز له أن يعبد الله خوفا من ناره وطمعا في ثوابه أو جنته لأن عبادة الله رغبا ورهبا تعتبر شركا بالله سبحانه وتعالى ينبغي للمتصوف أن يترفع عنها في زعمهم وهذا المعتقد

الفاسد أدى بهم الى الجرأة على الله حيث تجردوا عن الخوف منه مما سهل عليهم الكذب و الافتراء على الله و ارتكاب محارم الله وتحريم ما أحل الله سبحانه و تعالى و الزهد فيما رغب الله فيه من الجنة و نعيمها و الاستهانة فيما حذر الله عنه من النار و عذابها '

و أما الآثار السيئة التي نشرها المتصوفة في العالم الاسلامي فهي تتلخص فيما يلي :

١ــ ادخال نظريات و عقائد الحادية في الأمة الاسلامية من القول بوحدة الوجود و الحلول و الاتحاد و الفناء الباطل و الاعتقاد بأن هذا التوحيد الذى أرسل به الرسل و أنزل به الكتب ليس توحيدا حقيقيا و أن التوحيد الحقيقي الذى ينبغي أن يسعى الانسان للوصول اليه هو القول بوحدة الوجود

٢ــ قيام المتصوفة ببناء المساجد و القباب على قبور الموتى الذين يسمونهم أولياء الله و دعوة الناس الى زيارة هذه الأماكن و التمسح بأعتابها و التوجه الى أصحابها بالدعاء و الاستغاثة و الذبح لهم و النذر لأصحابها و صرف كثير من العبادات التي لا يجوز صرفها لغير الله

٣ــ تعطيل المتصوفة وظيفة الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر و خاصة لمشائخهم لاعتقادهم بأن المشائخ يحل لهم ما حرم عليهم

و يعتقد بعضهم بأنه لا يوجد شيء يسمى منكرا و شيء يسمى معروفا بل الكل معروف و لذا فلا حاجة الى القيام بوظيفة الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر و قد أدى هذا المعتقد الفاسد بالمتصوفة الى ارتكاب كل المنكرات و الفواحش كما هو مشاهد في عالمنا الاسلامي اليوم في المناسبات الصوفية

٤ــ نشر الموالد البدعية في العالم و ارتكاب كل المنكرات فيه من الزنا و اللواط و الرقص

و عبادة غير الله من الدعاء لغيره و الذبح و النذر لغير الله سبحانه و تعالى و كل المنكرات

٥ــ ابتداع الأذكار و الصلوات و الأدعية المبتدعة في العالم الاسلامي و شغل الناس بتلاوتها مما تسبب عنه اعراض الناس عن تلاوة كتاب الله عز و جل و ذكر الله بالأذكار المشروعة الواردة في كتاب الله و سنة رسوله محمد صلى الله عليه و سلم حيث نشاهد في عالمنا الاسلامي الواسع عدد غير قليل يتلون هذه الأذكار و الأدعية و الصلوات المبتدعـــــة .

و أما الأساليب التي يجب أن نتبعها للقضاء على الفكر الصوفي المنحرف فتتلخص فيمـــا يلي :

١ــ غرس العقيدة الصحيحة السلفية المأخوذة من الكتاب و السنة في قلوب المسلميـن عامة، و يتم هـــــذا :

١ــ بالعودة الى منهج الكتاب و السنة و تنقية المناهج الدراسية من الفكر الصوفـي و البدعي كعقائد الأشاعرة و المعتزلة و الجهمية و غيرهم من الفلاسفة و المبتدعـــة الذين شوهوا صفاء العقيدة الاسلامية الصحيحة و جعلوها معقدة ،

٢ــ باسناد شئون التعليم الى علماء مشهود لهم بصحة العقيدة و سلامة المنهج و الاستقامة و ابعاد كل الخرافيين و المبتدعين عن شئون التعليم حتى لا يلوثوا أفكار النشء فينشئوا لنا جيلا خرافيا مبتدعا يهدم بنيان الأمة الاسلامية و يفسد عقائدهـــا بدلا من اصلاحهـــــا

٣ــ بمنع كتب الصوفية من أن تكون متداولة بين الناس لأن الوقاية خير من العلاج

و بهذا أختم بحثي هذا راجيا من الله عز و جل أن أكون قد وفقت فيه للصـواب

و مقرا و معترفا بأن ما كـــان من صواب فيه فبتوفيق الله عز و جل و فضله و ما كـــان فيه من خطأ فهو خطأ غير متعمد و الانسان دائما معرض للخطأ و المطلوب منه هـــو الرجوع الى الحق حينما يتبين لـــــه

كما في الحديث : (كلكم خطاؤن و خير الخطائين التوابون)

و آخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

سبحان ربك رب العزة عما يصفون و سلام على المرسلين و الحمد لله رب العالمين

الفهـــــــــــارس

١ ــ فهرس الآيـــــــات القرآنيـــــــة

٢ ــ فهرس الأحـاديث النبـويـــــــــة

٣ ــ فهرس الأعلام المترجم لهم في الحاشية

٤ ــ فهرس المصـادر و المـــراجـــع

٥ ــ فهرس الموضـــوعـــــــات

فهرس الآيات القرآنية

	الصفحة
((سورة البقرة))	
يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم	٢٥
و من الناس من يتخذ من دون الله أندادا	٣٣
وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا	١٤١
يا أيها الناس اعبدوا ربكم	١٩٠
وإلهكم اله واحد لا اله الا هو	١٩١
وإذا سألك عبادى عني	١٥٨
وإذ قال ربك اني خالق بشرا من طين	١٤٤
لله ما في السماوات و ما في الأرض	٣٧٥
وإذ قلتم يا موسى لن نصبر على طعام واحد	٣٩٣
الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات	٥١١
وإذ قال ربك للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا	٦٥٧
و كلوا و اشربوا و لا تسرفوا	٧٣٤
كتب عليكم القتال و هو كره لكم	٧٩٦
و اتقوا الله و اعلموا أنكم ملاقوه	٩٢٤
الذين يظنون أنهم ملاقوا ربهم	٩٢٤
((سورة آل عمران))	
قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله	١١٩ — ٢٨٦

كنتم خير أمة أخرجت للناس	١٢٤
و لا يأمركم أن تتخذوا الملائكة و النبيين أربابا	١٨٦—٤٦٦
شهد الله أنه لا إله إلا هو	٢١٩
هنالك دعا زكريا ربه	٣٩٣
و ما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل	٤١٠
و من يغفر الذنوب إلا الله	٤١٨
وجيها في الدنيا و الآخرة	٤٢٣
ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب	٤٤٢
وإذ أخذ الله ميثاق النبيين	٤٩٦
إنما ذلكم الشيطان يخوف أوليائه	٥١٢
و ما كان الله ليطلعكم على الغيب	٦٦٤
و لا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا	٨٠٦—٨١٤
يا أيها الذين آمنوا اصبروا و صابروا	٨٢٣
وشاورهم في الأمر	٨٩٨
فلا تخافوهم و خافون	٩٢٠
ربنا اغفر لنا ذنوبنا	١٠٧٣
و لتكن منكم أمة يدعون إلى الخير	٩٥٦
كنتم خير أمة أخرجت للناس	٩٥٦
و ما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور	٣٢
((سورة النساء))	
إن الله لا يغفر أن يشرك به	١٣٦—٤٥٧

إنا أوحينا اليك	٣٧٩
واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا	٤٥٣
ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى	٤٥٩
الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله	٥١١
ومن يشرك بالله فقد ضل	٦٩٩
ولا تؤتوا السفهاء أموالكم	٧٤٢
فانكحوا ما طاب لكم من النساء	٧٦٤
لا يستوى القاعدون من المؤمنين	٧٩٧
وهو معهم إذ يبيتون ما لا يرضى من القول	٨٦٤
إن الذين يكفرون بالله ورسله	٨٦٩
ومن أحسن دينا ممن أسلم وجهه لله	٨٦٩
رسلا مبشرين ومنذرين	٨٧٠
فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك	٨٧١
يا أيها الذين آمنوا خذوا حذركم	٨٩٦
ود الذين كفروا لو تغفلون عن أسلحتكم	٨٩٨
((سورة المائدة))	
يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه	٣٣— ٨١٦
ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا	٧٢
اليوم أكملت لكم دينكم	١٠٣
قل ياأهل الكتاب لا تغلوا في دينكم	١٣٤—١٤٤

و قالت اليهود و النصارى نحن أبناء الله	٣٠٢
لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح بن مريم	٣٢٥
قل يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم	١٤٤
و لله ملك السماوات و الأرض	٣٧٥
قل أتعبدون من دون الله ما لا يملك لكم	٤٧٥
يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود و النصارى	٥١١
تعلم ما في نفسي و لا أعلم ما في نفسك	٦٦٥
فمن كفر بعد ذلك منكم	٦٩٩
يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم	٧٦٥
فسوف يأت الله بقوم يحبهم و يحبونه	٨١٦
و على الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين	٨٧٨
فلا تخشوا الناس و اخشون	٩٢٠
يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك	١٠٥٣
كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه	٩٥٦
فان توليتم فاعلموا أنما على رسولنا البلاغ المبين	١٠٥٥
و لكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب	٨٦٩
((سورة الأنعـــام))	
و إن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم	٨٦
و كذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الانس	١٠٠
قل لا أقول لكم عندي خزائن الله و لا أعلم الغيب	١١٣—٦٦٥

وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو	١٥١
قل أندعوا من دون الله ما لا ينفعنا ولا يضرنا	٢١٤
وهو الله في السماوات وفي الأرض	٣٢٤
قل أرأيتكم ان أتاكم عذاب الله	٣٩٣
قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر	٣٩٣
قل إني نهيت أن أعبد الذين تدعون من دون الله	٣٩٥
وأنذر به الذين يخافون أن يحشروا إلى ربهم	٤٦٥
فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام	٤٨٣—٨٥٠
ثم الذين كفروا بربهم يعدلون	٦٢٠
وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو	٦٥٣
ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا	١٠٦٢
لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا	٨٧٠
((سورة الأعراف))	
قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق	٢٥
قال رب أرني أنظر اليك	١١٢
قل لا أملك لنفسي نفعا ولا ضرا إلا ما شاء الله	١٤٧—٣٧٦
فاذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة	١٦٠
لقد أرسلنا نوحا إلى قومه	١٩٤
وإذا فعلوا فاحشة	٣٠٥
فلما وقع عليهم الرجس	٣٩٢

إن الذين تدعون من دون الله عبادا أمثالكم	٣٩٤ — ٤٦١
ادعوا ربكم تضرعا و خفية	٤٥٠
و لا تفسدوا في الأرض بعد اصلاحها	٤٥٠
اعبدوا الله ما لكم من إله غيره	١٩٤
ألا له الخلق و الأمر	٤٦٤
قل ياأيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا	٥٥٧
يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد	٧٣٦
أو لم ينظروا في ملكوت السماوات و الأرض	٧٨١
و رحمتي وسعت كل شيء	١٠٤٣
و لله الأسماء الحسنى فادعوه بها	١٠٧٣
((سورة الأنفال))	
إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم	٤٤٠
إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم	٨٧٨
و من يتوكل على الله فهو حسبه	٨٧٨
و أعدوا لهم ما استطعتم من قوة	٨٩٦
((سورة التوبة))	
أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة	٣٣
يا أيها النبي جاهد الكفار و المنافقين	٢٧٤
قل إن كان آباؤكم و أبناؤكم	٢٨٧
إتخذوا أحبارهم و رهبانهم	٤٤٣ — ١٠٧٣

و قل اعملوا فسيرى الله عملكم و رسوله	٧٧٣
و قاتلوا المشركون كافة	٧٨٧
و اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم	٧٨٧
إنفروا خفافا و ثقالا	٧٨٧
يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم	٧٨٧
قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله	٧٨٨
إلا تنفروا يعذبكم عذابا أليما	٧٩٦
و ما كان المؤمنون لينفروا كافة	٧٩٧
إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم	٨٠٥
أجعلتم سقاية الحاج	٨٠٧
و لكن كره الله انبعاثهم	٨٦٥
و الذين اتخذوا مسجدا ضرارا و كفرا	١٠٨٥
قل أبالله و آياته و رسوله	٩٠٩
و المؤمنون و المؤمنات بعضهم أولياء بعض	٩٦١
((سورة يونس))	
هؤلاء شفعاؤنا عند الله	١٥٠
و لا تدع من دون الله ما لا ينفعك و لا يضرك	٧٠٠—١٥١—١١٧
قل من يرزقكم من السماء و الأرض	١٨٨
فماذا بعد الحق إلا الضلال	٣٧٧
و إذا مس الانسان الضر دعانا	٣٩٣

و يعبدون من دون الله ما لا يضرهم	٤٥١
ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم	٥١١
كذلك حقت كلمة ربك	٦٢٣
قل هل من شركائكم من يبدأ الخلق	٦٢٣
قل هل من شركائكم من يهدى إلى الحق	٦٢٣
فقل انما الغيب لله فانتظروا	٦٦٣
إنما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه	٧١٩
و ما يعزب عن ربك من مثقال ذرة	٨٤٩
و قال موسى يا قوم ان كنتم آمنتم بالله	٨٨٠
((سورة هود))	
و أتبعوا في هذه الدنيا لعنة	٢٨٢
حتى إذا جاء أمرنا و فار التنور	٥٢١
و لقد جاءت رسلنا إبراهيم بالبشرى	٦٥٨
و لما جاء رسلنا لوطا سيء بهم	٦٥٩
و لله غيب السموات و الأرض	٦٦٤
ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة	٦٣٩
و ما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها	٨٧٥
فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك	١٠٥٤
((سورة يوسف))	
و ما يؤمن أكثرهم بالله إلا و هم مشركون	١٣٦
أذكرني عند ربك فأنساه الشيطان	١٨٧

قال معاذ الله إنه ربي أحسن مثواى	١٨٧
قال بل سولت لكم أنفسكم أمرا	٦٥٩
قضي الأمر الذى فيه تستفتيان	٨٤٠
((سـورة الرعـد))	
له دعوة الحق والذين تدعون من دونه	١٤٨—٧٠٠
يمح الله ما يشاء ويثبت	٥٩٥
وإذا مس الناس ضر دعوا ربهم	٦٢٢
قل هو ربي لا إله إلا هو عليه توكلت	٨٨٠
((سـورة ابراهيـم))	
كتاب أنزلناه اليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور	٢١٥
واجنبني وبني أن نعبد الأصنام	
ربنا إني أسكنت من ذريتي بواد غير ذى زرع	٦١٦
وعلى الله فليتوكل المؤمنون	٨٧٨
وما لنا أن لا نتوكل على الله	٨٨١
((سـورة الحجـر))	
وإن من شيء إلا عندنا خزائنه	٤٥٣
واعبد ربك حتى يأتيك اليقين	
إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون	٥٦١
((سـورة النحـل))	
أفمن يخلق كمن لا يخلق	١٩١
ولقد بعثنا في كل أمة رسولا	١٩٤

وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم	٢٧٥
فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله	٥١١
ولله غيب السموات والأرض	٦٦٤
وما بكم من نعمة فمن الله	٦٩٨
وجعل لكم سرابيل تقيكم الحر	٧٣٦
إن ابراهيم كان أمة قانتا لله	٦١٥
والذين هاجروا في الله من بعد ما ظلموا	٨١٦
وقالوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء	٩٠٣
يخافون ربهم من فوقهم	٩٢٠
((سورة الاسراء))	
قل ادعوا الذين زعمتم من دونه	١٤٨
ويسألونك عن الروح	٣٦٣
ويدع الانسان بالشر دعاءه بالخير	٣٩٣
سبحان الذى أسرى بعبده	٤٠١—٤٥٥
وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا	٤٨٣
وإذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون إلا اياه	٦١٥
وقضى ربك ألا تعبدوا الا اياه	٨٤٠
كل ذلك كان سيئه عند ربك مكروها	٨٦٥
وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا	٨٦٦
ونخوفهم فما يزيدهم إلا طغيانا كبيرا	٩١٨

((سـورة الكهـف))

واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم ٣٩٥ — ٩١٤

وعلمناه من لدنا علما ٤٨١

وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا ٤٨٢

قل الله أعلم بما لبثوا له غيب السموات ٦٦٤

فمن كان يرجو لقاء ربه ٦٩٦

((سـورة مريـم))

هل تعلم له سميا ٢١٠

وأعتزلكم وما تدعون من دون الله ٦٩٦

وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئا ٢٨١

أولا يذكر الانسان أنا خلقناه من قبل ٢٨١

((سـورة طـه))

فاقض ما أنت قاض ٢٦٣

أفلا يرون ألا يرجع اليهم قولا ٤٧٥

وعصى آدم ربه فغوى ٨٥١

ومن أعرض عن ذكرى فانه له معيشة ضنكا ١٠٦٧

وقد آتيناك من لدنا ذكرا ١٠٦٧

((سـورة الأنبيـاء))

انهم كانوا يسارعون في الخيرات ٣١ — ٩١٠

وما أرسلنا من قبلك من رسول ١٩٤ — ٢٠٨

وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد ٥٠٠

و زكريا اذ نادى ربه ر ِ لا تذرني فردا	٩١٨
((سـورة الحـج))	
و من يشرك بالله فكأنما خر من السماء	٤٥٧
و ما قدروا الله حق قدره	٦٢٠
يدعوا من دون الله ما لا يضره	٧٠٠
و ترى الناس سكارى	٩٢٢
((سـورة المؤمنـون))	
و لقد خلقنا الانسان من سلالة من طين	١٣٩ — ٣٥١
و من يدع مع الله الها آخر	١٥١ — ٦٩٧
قل لمن الأرض و من فيها	١٥٣ — ٦٢١
قل من بيده ملكوت كل شيء	١٥٣
ما اتخذ الله من ولد و ما كان معه من إله	١٨٩
((سـورة النـور))	
و أنكحوا الأيامى منكم	٧٦٤
قللمؤمنين يغضوا من أبصارهم	٧٨٤
و قل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن	٧٨٤
وعد الله الذين آمنوا منكم	٧٨٨
((سـورة الفرقـان))	
و خلق كل شيء فقدره تقديرا	١٥٩
و توكل على الحي الذى لا يموت	٨٧٨

((سورة الشعـــــــراء))

ربكم و رب آبائكم الأولين ١٨٦

و لا تدع مع الله إلها آخر ٢١٥

((سورة النحـــــــــــل))

فأنجيناه و أهله الا امرأته ١٦٠

أمن خلق السماوات و الأرض ١٩١

أمن يجيب المضطر إذا دعاه ٢٩٣

قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين ٣١٥

و تفقد الطير فقال مالي لا أرى الهدهد ٦٦٤

فتوكل على الله إنك على الحق المبين ٨٨١

((سورة القصـــــــــص))

و قيل ادعوا شركاءكم فدعوهم ١٤٨

و لا تدع مع الله إلها آخر ١٥٧

و ما كنت ترجوا أن يلقى إليك الكتاب ٤٨١

فلما قضى موسى الأجل و سار بأهله ٦٦٠

كل شيء هالك إلا وجهه ٦٦٣

و ابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ٧٢١

((سورة العنكبـــــــــوت))

فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين ٦٩٨

و الذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا ٨١٦

((سورة الـــــروم))

الله الذى خلقكم ثم رزقكم ٦٤٠

يا أيها الناس اذكروا نعمة الله عليكم ٦٢٢

ضرب لكم مثلا من أنفسكم ٦٢٣

((سورة لقمـــــان))

وإذ قال لقمان لابنه و هو يعظه ١٣٥—٤٥٦

خلق السماوات بغير عمد ترونها ٦١٩

إن الله عنده علم الساعة و ينزل الغيث ٦٤٠—٦٦٧

يا أيها الناس اتقوا ربكم ٩١٦

((سورة السجدة))

الله الذى خلق السماوات و الأرض ٤٤٢

((سورة الأحـــــزاب))

ما كان محمـد أبا أحد من رجالكم ٩٩

و كان أمر الله قدرا مقدورا ١٦٠

و كان عند الله وجيها ٤٢٣

و ما كان لمؤمن و لا مؤمنـــــة ٧٧٠

يا أيها النبي اتق الله و لا تطع الكافرين ٨٨٠

تحيتهم يوم يلقونه ســــــلام ٩٤٤

وإذ تقول للذى أنعم الله عليـــــه ١٠٥٥

((سورة سبأ))

بلدة طيبـــة و رب غفـــور ١٨٦

قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله ٤٤٢-٦٣٢

فلما قضينا عليه الموت ٨٤٢-٨٦٦

((سورة فاطـــــر))

كذلك إنما يخشى الله من عباده العلماء ٩٦ -٩١٨

و الذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير ٦٢٨-١٤٦- ١٥٧

ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها ١٥١

إن الله عالم غيب السماوات و الأرض ٦٦٤

إن تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ٦٩٧

((سورة يـــــس))

ليأكلوا من ثمره و ما عملته أيديهم أفلا يشكرون ٧٤٤

((سورة الصافات))

و جعلوا بينه و بين الجنة نسبـــا ٢٨١

أتدعون بعلا و تذرون أحسن الخالقين ٣٩٤

و اتل عليهم نبأ إبراهيم اذ قال لأبيه و قومه ماذا تعبدون ٤٤٦

((سورة ص))

و إذ قال ربك للملائكة اني خالق بشرا من طين ١٤٠-٣٥١

و هل أتاك نبأ الخصم إذ تسوروا المحراب ٦٦١

((سورة الزمـــــر))

و لئن سألتهم من خلق السماوات و الأرض ١٣٦

ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى ١٤١

إنك ميت وإنهم ميتون	٤١٠—١٠٥٧
والذين اتخذوا من دونه أولياء	٤٤٤
فاعبد الله مخلصا له الدين	٤٥٣
ولقد أوحي اليك وإلى الذين من قبلك	٤٦٣
قل إني أمرت أن أعبد الله مخلصا له الدين	٦٩٦
وإذا مس الانسان ضر دعا ربه منيبا اليه	٦٩٨
وأنيبوا إلى ربكم وأسلموا له من قبل	٨٦٩
((سورة غافـــــــر))	
وقال فرعون يا هامان ابن لي صرحا	١٧٨
النار يعرضون عليها غدوا وعشيا	٢٦٤
ذلكم بأنه إذا دعي الله وحده كفرتم	٦٩٨
والله يقضي بالحـــق	٨٤٢
((سورة فصلـــــــت))	
ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله وعمل صالحا	٢٦١
ذلكم ظنكم الذى ظننتم بربكم أرداكم	٤٤٦
فقضاهن سبع سماوات	٨٣٨—٨٤٠
((سورة الشـــــــورى))	
وما كان لبشر أن يكلمه الله الا وحيا	١٠٢
انا أوحينا اليك كما أوحينا الى نوح	١٤٣
وكذلك أوحينا اليك روحا من أمرنـــــا	١٤٤

ليس كمثله شيء و هو السميع البصير	٢١٠
و إنك لتهدي إلى صراط مستقيم	٢١٥
((سورة الزخرف))	
و اسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا	٢٠٨
أهم يقسمون رحمة ربك	٤٨١
و من يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا	١٠٦٧
((سورة الجاثية))	
و قالوا إن هي إلا حياتنا الدنيا نموت و نحيا	١٨٨
أرأيت من اتخذ إلهه هواه	١٢٦
((سورة الأحقاف))	
فلولا نصرهم الذين اتخذوا من دون الله قربانا	٤٤٤
قل ما كنت بدعا من الرسل	٤٥٨
و من أضل ممن يدعو من دون الله	٤٦١—٦٩٦
بل هو ما استعجلتم به ريح	٩١٢
((سورة محمد))	
فاعلم أنه لا إله إلا الله	٩٦
ذلك بأنهم اتبعوا ما أسخط الله	٨٦٤
((سورة الفتح))	
و يعذب المنافقين و المنافقات	٤٤٦
((سورة الحجرات))	
إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله و رسوله	٨٠٧

((سـورة ق))

و نحن أقرب اليه من حبل الوريد ٤٤٧

و لقد خلقنا الانسان و نعلم ما توسوس به نفسه ٨٤٩

((سـورة الذاريـات))

و ما خلقت الجن و الانس إلا ليعبدون ٣٨٧

و في أنفسكم أفلا تبصرون ٧٨١

و تركنا فيها آية للذين يخافون العذاب الأليم ٩١٩

((سـورة النجـم))

و ما ينطق عن الهوى ١١٢

و النجم إذا هوى ما ضل صاحبكم ٢١٥

فأوحى إلى عبده ما أوحى ٤٥٥

((سـورة القمـر))

إنا كل شيء خلقناه بقدر ١٥٩

و فجرنا الأرض عيونا ١٦٠

((سـورة الحديـد))

إعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ٣٣—٧١٨

ما أصاب من مصيبة في الأرض ١٥٩

اتقوا الله و آمنوا برسوله ٢١٥

و هو معكم أينما كنتم ٣٢٤

هو الأول و الآخر و الظاهر ٦٢١

((سـورة المجادلـة))

إن الذين يحادون الله و رسوله ٤٥٩

((سـورة الحشـر))

و ما أتاكم الرسول فخذوه و ما نهاكم عنه فانتهوا ١١٩

تحسبهم جميعا و قلوبهم شتى ٩٦٦

((سـورة الممتحنـة))

قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم ٢١٨

ربنا عليك توكلنا ٨٧٩

((سـورة الصـف))

يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة ٧٨٧

كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون ٨٦٤

((سـورة الجمعـة))

فاذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض ٧٣٧

مثل الذين حملوا التوراة ٥—١٠٧٢

هو الذى بعث في الأميين رسولا منهم ٦١٥

((سـورة المنافقـون))

و لله العزة و لرسوله و للمؤمنين ٧٤٧

((سـورة الطـلاق))

و من يتق الله يجعل له مخرجا ٨٨١

((سـورة التحـريـم))

يا أيها النبي جاهد الكفار و المنافقين ٧٨٧

يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم و أهليكم نارا	٩١٧
((سـورة الملـك))	
فامشوا في مناكبها و كلوا من رزقه	٧٣٧
قل هو الرحمن آمنا به	٨٨٠
((سـورة نـوح))	
و قالوا لا تذرن آلهتكم و لا تذرن ودا و لا سواعا	١٣٤
إن أجل الله إذا جاء لا يؤخر لو كنتم تعلمون	١٦٠
مما خطيئاتهم أغرقوا فأدخلوا نارا	٢٦٢
قال رب اني دعوت قومي ليلا و نهارا	٥٢٠
قال نوح رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا	٥٢١
((سـورة الجـن))	
عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا	١٨٢
و أنه لما قام عبد الله يدعوه	١٤٠—٤٥٥
و أن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا	١٥٧—٧٠٢
قل إني لا أملك لكم ضرا و لا رشدا	٤٧٥
قل إنما أدعوا ربي ولا أشرك به أحدا	٦٩٧
و من يعرض عن ذكر ربه يسلكه عذابا صعدا	١٠٦٧
((سـورة المـزمـل))	
و اذكر اسم ربك و تبتل اليه تبتيلا	٨٨٠
((سـورة القيامـة))	
وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة	٩٢٣

((سـورة الانسـان))

إنا خلقنا الانسان من نطفة أمشاج ٣٤٣

((سـورة المرسـلات))

فقدرنا فنعم القادرون ٨٣٨

((سـورة التكـوير))

وما تشاءون إلا أن يشاء الله رب العالمين ٨٥٠

((سـورة المطففيـن))

كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون ٩٢٣

((سـورة الغاشيـة))

أفلا ينظرون الى الابل كيف خلقت ٧٨١

((سـورة الفجـر))

فيومئذ لا يعذب عذابه أحد ٩٢٢

((سـورة الليـل))

وإن لنا للآخرة والأولى ٣٧٥

((سـورة العلـق))

اقرأ باسم ربك الذى خلق خلق الانسان من علق ٩٦

((سـورة القـدر))

إنا أنزلناه في ليلة القدر ٨٣٨

((سـورة البينـة))

وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين ٦٩٥

((سـورة الاخـلاص))

لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد ٢١٠—٣٨٧

فهرس الأحاديث النبويـــــة

التسلسل	الحديث	الصفحـة
١—	ائتمروا بالمعروف و تناهوا عن المنكر	٩٥٩
٢—	الدعاء هو العبادة	١٥٨
٣—	الدعاء مخ العبادة	١٥٨
٤—	إذا سألت فاسأل الله	٧٠٠
٥—	إستأذنت ربي أن أستغفر لأمي	٤٦٠
٦—	أشهد أن لا اله الا الله و أني رسول الله	٢٠٨
٧—	أصبح من عبادى مؤمن بي و كافر	٦٧٠
٨—	أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلي	٥٦٦
٩—	أعطيت الليلة خمسا ما أعطيهن أحد قبلي	٥٦٧
١٠—	أفضل الذكر لا اله الا الله و أفضل الدعاء الحمد لله	٢٠٨
١١—	إقرؤا القرآن فانه يأتي يوم القيامة شفيعا	١٠٦٣
١٢—	الايمان أن تؤمن بالله و ملائكته و كتبه و رسله	٨٤٣
١٣—	الذى يقرأ القرآن و هو ماهر به	١٠٦٤
١٤—	أمسك بعض مالك فهو خير لك	٧٤٠
١٥—	أما والله اني لأخشاكم لله و أتقاكم له	٧٣٤
١٦—	أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لااله الا الله و أن محمدا رسول الله	١٩٤
١٧—	أنا محمد عبدالله و رسوله	١٣٥

١٨—	إنك تأتي قوما من أهل الكتاب	١٩٥
١٩—	إن أول ما خلق الله القلم فقال اكتب	٣٥٥
٢٠—	إنه لا يستغاث بي وإنما يستغاث بالله	٤٦٢
٢١—	إن مثلي و مثل الأنبياء قبلي كمثل رجل بنى بيتا	٥٦٥
٢٢—	إن الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده	٧٢١
٢٣—	إن الله حرم عليكم عقوق الأمهات	٧٤٢
٢٤—	إنك ان تدع ورثتك أغنياء خير لك	٧٤٢
٢٥—	إن الدنيا متاع و خير متاع الدنيا المرأة الصالحة	٧٦٩
٢٦—	إن أول ما خلق الله القلم فقال اكتب	٨٤٤
٢٧—	إنه يكون في آخر الزمان قوم يكذبون بالقدر	٨٤٥
٢٨—	إن أناسا قالوا يا رسول الله هل نرى ربنا	٩٢٥
٢٩—	إن يوم الجمعة يوم عيد ١٠٣٩	١٠٢٩
٣٠—	أيها الناس إربعوا على أنفسكم	٦١٦
٣١—	إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه	٩٥٩
٣٢—	إن أول ما دخل النقص على بني إسرائيل	٩٥٨
٣٣—	تزوجوا الودود الولود	٧٦٨
٣٤—	تزوجوا فاني مكاثر بكم الأمم	٧٦٨
٣٥—	تزوجوا الودود الولود فاني مكاثر بكم الأنبياء يوم القيامة	٧٦٨
٣٦—	تعوذوا بالله من الفقر و القلة و الذلة	٧٤٣
٣٧—	تكفل الله لمن خرج من بيته لا يخرجه إلا الجهاد	٨١٣

٣٨—	ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الايمان	٢٨٧
٣٩—	ثلاثة حق على الله إعانتهم	٧٦٩
٤٠—	جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال دلني	٨١٠
٤١—	جاء رجل بمثل البيضة من ذهب فقال	٧٣٩
٤٢—	خيركم من تعلم القرآن وعلمه	١٠٦٤
٤٣—	ذهبت النبوة وبقيت المبشرات	٥٦٥
٤٤—	رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها	٨١٣
٤٥—	رد رسول الله صلى الله عليه وسلم على عثمان بن مظعون التبتل	٧٦٩
٤٦—	سئل النبي صلى الله عليه وسلم أى الأعمال أفضل	٨٢٥
٤٧—	فاذا أمرتكم بشيء فخذوا منه ما استطعتم	٧٧٠
٤٨—	فان على رأس مائة سنة لا يبقى على وجه الأرض	٤٩٩
٤٩—	قالوا يا رسول الله أنتداوى	٩٠٢
٥٠—	قال النبي صلى الله عليه وسلم النبي في الجنة والشهيد في الجنة	٨١٥
٥١—	قلت يا رسول الله أى العمل أفضل قال الصلاة على ميقاتها	٨٠٩
٥٢—	قلت يا رسول الله أرأيت رقى نسترقيها	٩٠٢
٥٣—	قول الرسول لابن عباس (اللهم علمه الكتاب	٩٧
٥٤—	قول الرسول صلى الله عليه وسلم (لا نبي بعدى	١١١
٥٥—	قول الرسول صلى الله عليه وسلم : اللهم اسقنا اللهم اسقنا	٤٢٤

٥٦—	قول الرسول صلى الله عليه و سلم لأنس : اللهم أكثر ماله و ولده و بارك له فيه	٧٣٩
٥٧—	كان الله و لم يكن شيء قبله و كان عرشه على الماء	٨٤٥
٥٨—	كان رسول الله صلى الله عليه و سلم إذا غضب احمرت عيناه	
٥٩—	كان رسول الله صلى الله عليه و سلم يدعوا بهؤلاء الدعوات	٧٤٣
٦٠—	كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات	٨٤٥
٦١—	كل بدعة ضلالة و كل ضلالة في النار	٧٧٨
٦٢—	كنا جلوسا عند النبي صلى الله عليه و سلم إذ نظر إلى القمر	٩٢٥
٦٣—	لأن يحتزم أحدكم حزمة حطب على ظهره	٧٥٤
٦٤—	لأن يأخذ أحدكم حبله فيأتي الجبل	٧٥٧
٦٥—	لأن يحتطب أحدكم حزمة على ظهره	٧٥٨
٦٦—	لا حسد إلا على اثنين	١٠٦٤
٦٧—	لا يؤمن عبد حتى يؤمن بالقدر خيره و شره	٨٤٤
٦٨—	لا يؤمن عبد حتى يؤمن بأربع	٨٤٤
٦٩—	لتتبعن سنن من كان قبلكم شبرا بشبر ١٠٢٠	١٠٣٠
٧٠—	لقلب قوس في الجنة خير مما تطلع عليه الشمس و تغرب	٨١١
٧١—	لما أصيب إخوانكم بأحد جعل الله أرواحهم في جوف طير	٨١٤
٧٢—	لن يدخل أحدكم الجنة بعمله	٤٥٩
٧٣—	اللهم أنت ربي لا إله الا أنت خلقتني	١٩٢
٧٤—	اللهم رب السماوات السبع و رب العرش العظيم	١٩٢
٧٥—	اللهم إني أسألك و أتوجه اليك بنبيك محمد	٤٢٥

٧٦—	اللهم حوالينا و لا علينا	٤٣٣
٧٧—	ما من رجل يكون في قوم يعمل فيهم بالمعاصي	٩٥٨
٧٨—	ما أنزل الله من داء إلا أنزل له شفاء	٩٠٢
٧٩—	ما اغبرت قدما عبد في سبيل الله فتمسه النار	٨١٢
٨٠—	ما الدنيا في الآخرة إلا كما يجعل أحدكم اصبعه	٧١٩
٨١—	ما أكل أحد طعاما خيرا من أن يأكل من عمل يده	٧٣٨
٨٢—	ما يزال الرجل يسأل حتى يأتي يوم القيامة	٧٥٦
٨٣—	ما يكون عندى من خير فلن أدخره عنكم	٧٥٧
٨٤—	ما شاء الله و شئت	٤٦٢
٨٥—	مثل المؤمن الذى يقرأ القرآن مثل الأترجة	١٠٦٤
٨٦—	مثل المجاهد في سبيل الله و الله أعلم بمن يجاهد في سبيله	٨١٤
٨٧—	مثلي و مثل الأنبياء كرجل بنى دارا فأتمها	٥٦٥
٨٨—	مثلي و مثل النبيين من قبلي كمثل رجل بنى دارا	٥٦٥
٨٩—	مفاتيح الغيب خمس لا يعلمها إلا الله	٦٦٦
٩٠—	مقام الرجل في الصف في سبيل الله أفضل	٨١٤
٩١—	من رأى منكم منكرا فليغيره بيده	٩٥٨
٩٢—	من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد	١٠٣١
٩٣—	من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد	١٠٢٢
٩٤—	من حدثك أن محمدا صلى الله عليه وسلم كتم شيئا	١٠٥٥
٩٥—	من رآني في المنام فقد رآني	١٠٦١
٩٦—	من كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار	

٩٧ —	من قرأ حرفا من كتاب الله فله حسنة	١٠٦٥
٩٨ —	من احتبس فرسا في سبيل الله إيمانا بالله	٨١٢
٩٩ —	من قاتل في سبيل الله فوق ناقة فقد وجبت له الجنة	٨١٣
١٠٠ —	من حدثك أن محمدا رأى ربه فقد كذب	٦٦٦
١٠١ —	و من زعم أن محمدا يخبر بما يكون في غد	٦٦٩
١٠٢ —	من مات وهو يدعو من دون الله ندا دخل النار	٧٠١
١٠٣ —	من استطاع الباءة فليتزوج	٧٦٦
١٠٤ —	من مات ولم يغز ولم يحدث نفسه بغزو	٧٩٨
١٠٥ —	من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين	٩٧
١٠٦ —	من سلك طريقا يلتمس فيه علما	٩٧
١٠٧ —	من خرج في طلب العلم فهو في سبيل الله	٩٧
١٠٨ —	من كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار	١٠٩
١٠٩ —	من حدث عني حديثا وهو يرى أنه كذب	٣٣٦
١١٠ —	وإذا استنفرتم فانفروا	٧٩٨
١١١ —	وددت أن لا تخرج سرية	٨١٨
١١٢ —	وعليك بالجهاد فانه رهبانية الاسلام	٧٠
١١٣ —	واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف	٨١٢
١١٤ —	واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء	٨٤٥
١١٥ —	وعظنا رسول الله صلى الله عليه وسلم موعظة بليغة	١٠٧٠
١١٦ —	والله لو كان موسى حيا لما وسعه إلا أن يتبعني	٨٣
١١٧ —	والذى نفسي بيده لولا أن رجالا من المؤمنين	٨١١

١١٨—	والذى نفسي بيده لوددت أن أقاتل في سبيل الله	٨١٥
١١٩—	ولوددت أن أقاتل في سبيل الله تعالى حتى أقتل	٨١٨
١٢٠—	والذى نفسي بيده لو كان موسى حيا ما وسعه الا أن يتبعني	٤٩٦
١٢١—	يا معاذ تدرى ما حق الله على عباده	١٩٦
١٢٢—	يا بني تميم أبشروا فقالوا بشرتنا فأعطنا	٣٥٣
١٢٣—	يا معشر قريش اشتروا أنفسكم	٣٥٥
١٢٤—	يا موسى إني على علم من علم الله علمنيه الله	٤٨٤
١٢٥—	يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج	٧٦٦
١٢٦—	يؤتى يوم القيامة بالقرآن وأهله	١٠٦٤
١٢٧—	يقال لصاحب القرآن اقرأ وارتق ورتل	

فهرس الأعلام المترجم لهم

التسلسل	الاسم	الصفحة
١ —	ابراهيم بن أدهم البلخي	٣٠
٢ —	ابراهيم الدسوقي	١٦٥
٣ —	ابن سبعين	٢٧٥
٤ —	ابن الفارض	٤٣
٥ —	ابن عجيبة الحسيني	
٦ —	ابن عطاء الله السكندرى	٢٤٤
٧ —	أبو بكر بن محمد البناني	٦٤٩
٨ —	أبو العباس محمد بن محمد الضهاجي	٩٢٢
٩ —	أبو سليمان الداراني	٣٦
١٠ —	أبو بكر الشبلي	٣٧
١١ —	أبو بكر الوراق	٩٤
١٢ —	أبو تراب النخشبي	٣٧
١٣ —	أبو حامد الغزالي	٣٨
١٤	أبو طالب المكي	٤٣
١٥ —	أبو يزيد البسطامي	٨٤
١٦ —	أبو سعيد الحزاز	٢٤١
١٧ —	أبو الحسن الشاذلي	٣٢٠
١٨	أبو القاسم القشيرى	١٧
١٩	أبو مغيث الحلاج	٤٠
٢٠	بالي أفندى	٢٥١
٢١ —	الجنيد محمد أبو القاسم الحزاز	٢١
٢٢ —	الرندى	٩٠

٢٣—	أحمد البدوى	٦٧
٢٤—	أحمد الرفاعي	١٥٤
٢٥	الهجويرى	٦٥
٢٦—	جعفر الصادق	
٢٧—	جمال الدين أبو المواهب الشاذلي	٢١٢
٢٨—	دفع الله بن محمد الكاهلي الهزلي	٥٤٦
٢٩—	ذا النون المصرى	٣٨
٣٠	رابعة العدوية	٣٠
٣١	زيني دحلان	٤٨
٣٢—	سحنون بن عمر المحب	٢٢
٣٣—	السرى سقطي النارى	٣٩
٣٤—	شرف الدين أبو عبد الله البوصيرى	١٤٣
٣٥—	الششترى	٢٥٤
٣٦—	الطوسي	١٧
٣٧—	عبد الرحيم البرعي	٣٩٧
٣٨—	عبد الرؤوف المناوى	٦٠٧
٣٩—	عبد الرزاق الكاشاني	٢٤٤
٤٠—	عبد العزيز الدباغ	١٣٨
٤١—	عبد الكريم الجيلي	٥٨
٤٢—	عبد الله بن سعود الشابي	٥٤٨
٤٣—	عبد الله اليافعي	٥٨٦
٤٤—	عبد الوهاب بن عبد السلام العفيفي	٩٢٢
٤٥—	عبد الوهاب الشعراني	٤٨
٤٦—	محمد محمد البكرى	٢٤٤
٤٧—	محمد أبو المواهب الشاذلي	٣٤٧

٤٨ —	محمد بهاء الدين البيطار	٥٤٨
٤٩ —	محمد بن ابراهيم الكلاباذى	١٧
٥٠ —	معروف الكرخي	٢١
٥١ —	المنـوفي	١٧٣
٥٢ —	محمد وفا	١٢٤
٥٣ —	محمد البكرى	٣٣٦
٥٤ —	محيي الدين بن عربي	٤٣
٥٥ —	لسان الدين الخطيب	١٨٤
٥٦ —	الهروى	١٧٤
٥٧ —	يوسف النبهاني	٤٨

فهرس المصادر والمراجع

اولا مصادر التصوف ومراجعه :

١ ـ الابريز الذى تلقاه احمد بن المبارك عن عبد العزيز الدباغ
المطبعة الازهرية المصرية الطبعة الاولى ١٣٠٦ هـ

٢ ـ ابن سبعين وفلسفته الصوفية للدكتور / ابو الوفاء الغنيمى
التفتازانى ط / دار الكتاب اللبنانى بيروت الطبعة الاولى ١٩٧٣ م

٣ ـ ابن عطاء الله السكندرى وتصوفه للدكتور ابو الوفاء الغنيمى التفتازانى

٤ ـ ابو العباس المرسى ومسجده الجامع الكبير تأليف حسنى الندوى
ط/ دار الكتب المصرية القاهرة ١٩٤٤ م .

٥ ـ ابو البركات سيدى احمد الدردير لعبد الحليم محمود ط/ دار النصر
للطباعة احمد حمدى احمد شعبان ، القاهرة .

٦ ـ احياء علوم الدين / لأبى حامد الغزالى ، وبذيله كتاب المغنى عن حمل
الاسفار ، لابى الفضل / عبد الرحيم العراقى ط/ دار الكتب
العلمية بيروت لبنان ، الطبعة الاولى ١٤٠٦ هـ .

٧ـ الاخلاق المتبولية / لعبد الوهاب الشعراوى

٨ـ الاستبصار لاهل الاذكار أو النور المبين فى ارشاد المريدين
لاحمد محمود زين الدين الحسينى الشاذلى ط / الانوار القاهرة
الطبعة الاولى ، ١٣٥٩ هـ ١٩٤٠ م .

٩ـ افضل الصلوات على سيد السادات ليوسف النبهانى الشاذلى ضمن الشمائل
المحمدية ، بدون ذكر مكان الطبع ولا تاريخه .

١٠ـ انذار وافادة الى بائع دينه با لشهادة ، لعبد الله بن محمد المشرى
العلوى التيجانى صور بالمكتبة الوركزية بالجامعة الاسلامية بالمدينة

١١ـ الانوار المحمدية من المواهب اللدنية ، ليوسف النبهانى الشاذلى
بدون ذكر مكان الطبع .

١٢ـ الانوار القدسية فى بيان آداب العبودية ، لعبد الوهاب الشعرانى
تحقيق وتقديم طه عبد الباقى سرور الطبعة الاولى .

١٣ـ الانتصار الكامل فى معرفة الاوامر والاوائل ، لعبد الكريم البيلى
ط/ الحلبى مصر الطبعة الرابعة .

١٤ـ الانسان الكامل والتعليق التوثيق الفرد من كلام الشيخ الاكبر محيي الدين ابن عربي جمع وتأليف محمود محمود الغراب بدون ذكر تاريخ الطبع ٠
١٥ـ ايقاظ الهمم في شرح الحكم ، لابن عجيبة الحسني ٠
١٦ـ بدّ العارف لعبد الحق بن سبعين تحقيق وتقديم / ابراهيم جورج كتورة ط/ دار الاندلس ،بيروت بدون ذكر تاريخ الطبع ٠
١٧ـ برقة المنيح ومعها القصيدة المضرية والقصيدة المحمدية : لشرف الدين ابي عبدالله محمد البوصيري : ط / ونشر مكتبة ومطبعة الحسيني القاهرة بدون ذكر تأريخ الطبع
١٨ـ البراهين الساطعة لسلامة العزامي النقشبندي : بدون ذكر مكان الطبع ولا تأريخه
١٩ـ البرهان المؤيد للسيد احمد الرفاعي الحسيني الكبير / مطبعة القاهرة بجوار محكمة الاستئناف بمصر / ١٣٢٢هـ
٢٠ـ البريلوية : للشيخ احسان الهي ظهير ط / ادارة ترجمان السنة لاهور باكستان الطبعة السادسة ١٤٠٤ هـ ١٩٨٤م توزيع رئاسة ادارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والارشاد :
٢١ـ تاج العروس الحاوي لتهذيب النفوس / لأحمد عطاء الله السكندري ط : مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي مصر / الطبعة الثانية
٢٢ـ تأريخ التصوف الاسلامي للدكتور عبدالرحمن بدوي : طبع وكالة المطبوعات الكويت ١٩٧٨م
٢٣ـ تأريخ التصوف الاسلامي للدكتور / قاسم غني : ترجمة الى العربية الدكتور صادق نشأت : طبع مكتبة النهضة العربية القاهرة
٢٤ـ التصوف الاسلامي بين الدين والفلسفة/ للدكتور ابراهيم هلال نشر دار النهضة العربية ط : الأولى ١٣٩٥هـ ١٩٧٥م
٢٥ـ تحفة اهل الفتوحات / لأبي بكر البناني ط /مطبعة التقدم مصر
٢٦ـ التصوف الاسلامي في الأدب والاخلاق / للدكتور زكي مبارك ط / مطبعة الرسالة ط / الأولى / ١٣٥٧ هـ ١٩٣٨ م
٢٧ـ التصوف والمجتمع لعبداللطيف الشاذلي ط / مطابع سلا الحي الصناعي منشورات جامعة الحسن الثاني سلسلة اطروحات ورسائل

٢٨ـ التصوف بين الحق والخلق : للشيخ محمد لبرهقفه / ط: الدار السلفية للنشر والتوزيع ط الثالثة :
٢٩ـ التصوف في مصر ابان العصر العثماني / للدكتور توفيق الطويل نشر مكتبة الآداب بالجماميز : بدون
٣٠ـ التصوف منشؤه ومصطلحاته : للدكتور اسعد السحمراني / ط دار النفائس بيروت لبنان ط : الأولى ١٤٠٧ هـ ١٩٨٧م
٣١ـ التعرف لمذهب اهل التصوف : لأبي بكر محمد الكلاباذي : تحقيق محمود امين النواوي نشر مكتبة الكليات الأزهرية بدون
٣٢ـ تفريح الخاطر في مناقب تاج الأولياء وبرهان الأصفياء / الشيخ عبد القادر البيـــــلاني : ط شركة ومكتبة ومطبعة البابي الحلبي / بدون ذكر تأريخ الطبع
٣٣ـ تفسير القرآن الكريم / لمحي الدين بن عربي / بدون ذكر مكان الطبع ولا تأريخه
٣٤ـ التمكين في شرح منازل السائرين / لمحمود ابو الفيض المنوفي الحسيني ط / دار النهضة مصر للطباعة والنشر الفجالة / بدون ذكر تأريخ الطبع
٣٥ـ تنوير القلوب في معاملة علام الغيوب / لســـــلامة العزامي النقشبندي بدون ذكر مكان الطبع ولا تأريخـــــه :
٣٦ـ تنوير الابصار لمحمد ابو الهدى افندي الرفاعي / بدون ذكر مكان الطبع ولا تأريخه
٣٧ـ جامع السعادات لمحمد مهـــدي النراقي : منشورات دار النعمان للطباعة والنشـــر / حسن الشيخ ابراهيم الكتبي : بدون ذكر تأريخ الطبع
٣٨ـ جامع كرامات الاولياء ليوسف النبهاني الشاذلي / ط شركة مكتبة مصطفى البابي الحلبي ط الثانية ١٣٦٤ هـ
٣٩ـ جمهرة الأولياء واعلام اهل التصوف لمحمود ابو الفيض المنوفي الحسيني مطبعة المدني العباسية القاهرة ط الأولى ١٣٨٧هـ ١٩٦٧م
٤٠ـ الجواهر والدرر مما استفاده عبد الوهاب الشعراني من سيده علي الخواص بهامش الابريز للدباغ
٤١ ـ جواهر البحار في فضائل النبي المختار ليوسف النبهاني الشاذلي ط مصطفى البابي الحلبي ١٣٧٩ هـ ١٩٦٠م
٤٢ـ جواهر المريدين في معاملة علام الغيوب وذكر اقاويل العارفين في مسائل التوحيد لمحمد نور سامع ط مصطفى البابي الحلبي ١٣٣٩هـ

٤٣ـ جواهر المعاني وبلوغ الأماني في فيض ابي العباس التيجاني لعلي حرازم بن العربي برادة المغربي الفاسي ط دار الجيل بيروت لبنان ١٤٠٨ هـ ١٩٨٨ م

٤٤ـ حاشية الصاوي على شرح الخريدة البهية لأبي البركات احمد الدردير : تطلب من مكتبة القاهرة لصاحبها علي يوسف سليمان

٤٥ـ حجة الله على العالمين في معجزات سيد المرسلين ليوسف النبهاني الشاذلي ط دار الفكر بدون ذكر تأريخ الطبع :

٤٦ـ الحدائق الوردية في حقائق اجلاء النقشبندية / لعبد المجيد بن محمد الخانس نشر عبد الوكيل الدروي دمشق جامع الدرويشية

٤٧ـ دائرة معارف قرن العشرين لمحمد فريد وجدي / ط دار المعرفة بيروت لبنان ط الثالثة ١٩٧١م

٤٨ـ الدرر السنية في شروط واحكام اوراد الطريقة التيجانية / لمحمد سعد بن عبدالله الرباط ابن التيجاني ط : مكتبة القاهرة لصاحبها علي يوسف بدون ذكر الطبع

٤٩ـ دور الخواص على فتاوى سيدي علي الخواص بهامش الابريز للدباغ

٥٠ـ الدورة الخريدة : لمحمد فتحا بن عبدالواحد السوسي النظيفي ط : مطبعة السعادة بجوار محافظة مصر

٥١ـ الدرر السنية في الرد على الوهابية / لأحمد زيني دحلان ط / شركة مكتبية ومطبعة البابي الحلبي بمصر ط الرابعة ١٤٠٠ هـ ١٩٨٠م

٥٢ـ دراسات في تاريخ الفلسفة العربية الاسلامية واثار رجالها / لعبده الشمالي

٥٣ـ دراسات في الفرق لصابر طعيمة / مكتبة المعارف الرياض الطبعة الثانية ١٤٠٤

٥٤ـ دلائل الخيرات / لابي عبدالله محمد بن سليمان الجزولي وبهامشه مجموعة الاحزاب والاوراد والادعية والاستغاثات / ط . دار الفكر بدون

٥٥ـ الديوان الكبير المسمى رياض المديح وجلاء كل ذي ود صحيح وشفاء كل قلب جريح في مدح النبي المليح / للسيد جعفر الصادق المرغني / ط. مكتبة القاهرة لصاحبها علي يوسف سليمان شارع الصنادقية بالازهر بمصر.

٥٦ـ ديوان ترجمان الاشواق / لمحي الدين ابن عربي بدون ذكر مكان الطبع ولا تاريخه

٥٧ـ ديوان عبد الرحيم البرعي الطبعة الاخيرة ١٣٨٩هـ دار المكتبة الثقافية بيروت لبنان

٥٨- ديوان الحلاج لأبي المغيث الحسين بن منصور بن محمد البيضاوي /وضعه واطلعه الدكتور / كامل مصطفى الشيبي ط ٠ دار الآفاق العربية بغداد ١٤٠٤ هـ

٥٩- رسائل ابن سبعين لأبي محمد عبدالحق بن سبعين المرسي الاندلسي / تحقيق بدوي عبد الرحمن بدوي / نشر المؤسسة المصرية العامة للتأليف ٠

٦٠ - الرسالة القشيرية للامام / ابي القاسم عبد الكريم القشيري تحقيق الدكتور / عبدالحليم محمود ومحمود بن الشريف ط٠ مطبعة حسان شارع الجيش القاهرة ٠

٦١- الرسائل الصغرى للشيخ / عباد الرندي نشرها الاب / بولس ع لقربا اليسوعي المطبعة الكاثوليكية بيروت لبنان ١٩٥٧م ٠

٦٢ - رماح حزب الرحيم على نحو حزب الرجيم / لعمر بن سعيد الفوتي الطوري الكدوي بهامش جواهر المعاني ط ٠ دار الجيل بيروت لبنان ١٤٠٨هـ ٠

٦٣- روضة التعريف بالحب الشريف / للوزير لسان الدين الخطيب / تحقيق وتعليق وتقديم عبد القادر أحمد عطا ملتزم الطبع والنشر دار الفكر العربي بدون ذكر تاريخ الطبع ٠

٦٤- الزيارات للقاضي محمود العدوي / تحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد عضو مجمع اللغة العربية القاهرة ط ٠ المجمع العلمي دمشق ١٩٥٦ م ٠

٦٥- سراج الطالبين على منهاج العابدين / لاحسان بن محمد دحلان الكديري بدون ذكر مكان الطبع ولاتاريخه ٠

٦٦- سعادة الدارين في الرد على الفرقتين / للشيخ / ابراهيم السنمودي المنصوري بدون ذكر مكان الطبع ٠

٦٧- سفينة اللجوء في التوسلات والتوجهات والتضرعات التي بها حياة القلوب لعبد السلام الأسمر واتباعه / ط ٠ المكتبة الثقافية بيروت لبنان ٠ بدون

٦٨- السلسبيل المعين في الطرائق الاربعين / ط ٠ وزارة الاعلام والثقافة ليبيا ٠

٦٩ـ السيد ابراهيم الدسوقى لأحمد عزالدين عبدالله خلف :
ط المجلس الأعلى للشئون الاســـلامية مصر بدون
٧٠ـ السير والسلوك للسيد محمد يوسف المرزوقى / مطبعة الجمهورية مصر
بدون ذكر تأريخ الطبع ٠
٧١ـ السيد البدوى بين الحقيقة والخرافة للدكتور صبحي منصور ط ابريل ١٤٠٢
٧٢ـ السيوف الحداد فى اعناق اهل الزندقة والالحاد لمصطفى كمال الدين على
البكرى : المطبعة المتوسطة بالعشماوى مصر ١٣٥٠هـ
٧٣ـ شرح القاشانى على فصوص الحكم لعبد الرزاق القاشانى ط شركة مكتبة
ومطبعة مصطفى البابى الحلبى مصر الطبعة الثانية ١٣٨٦هـ
٧٤ـ شرح الحكم لمحمد ابراهيم العروف بابن عباد النفرى الرندى على متن الحكم
لمحمد بن عبدالكريم بن عطاء الله السكندرى / مطبعة داراحياء الكتب
العربية لأصحابها عيسى البابى الحلبى وشركاه
٧٥ـ شرح الحكم العطائية / لأحمد بن محمد بن عيسى الفارسى
تحقيق احمد زكى عطية ط : الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ١٣٩١هـ
٧٦ـ شرح منازل السائرين لعبد المعطى محمود عبدالمعطى اللخمى الاسكندرية
مطبعة المعهد العلمى الفرنسى للآثار الشرقية القاهرة ٩٤
٧٧ـ شرح الانسان الكامل صاحب المعارف البواهر للشيخ شهاب الدين احمد
بن عبدالقادر المعروف المسمى بالبيان والمزيد بدون ذكر مكان الطبع
٧٨ـ شرح منحة الصفا لمن رام العز والوفا فى الصلوات على طه البشر
لعلى بن محمد المالكى مذهبا الخلوتى طريقة / المطبعة الحسينية المصرية
٧٩ـ شطحات الصوفية : للدكتور عبدالرحمن بدوى نشر وكالة المطبوعات ٢٧
شارع فهد السالم الكويت ط الثانية ١٩٧٦م
٨٠ـ شواهد الحق فى الأستغاثة بسيد الخلق ليوسف بن اسماغيل النبهانى
ط : مصطفى البابى الحلبى مصر ط : الثانية ١٣٨٥هـ

٨١ـ الصلة بين التصوف والتشيع للدكتور كامل مصطفى الشيبي ط / دار المعارف مصر ط الثانية .

٨٢ ـ الصوفية في الإسلام تأليف المستشرق الدكتور نيكلسون ترجمة وتعليق نور الدين شريبة نشر مكتبة الخانجي مصر ١٣٧١هـ

٨٣ـ الصوفية معتقدا ومسلكا للشيخ ماير طعيمة بدون ذكر مكان الطبع الطبعة الأولى ١٤٠٥ هـ ١٩٨٥م

٨٤ـ صيغ الصلاة على النبي لأحمد البدوي وعبد القادر الجيلاني وغيرهما من ائمة التصوف لأحمد زيني دحلان بدون ذكر مكان الطبع ولا تأريخه

٨٥ـ الطبقات الكبرى لعبد الوهاب بن احمد الشعراني ط شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي مصر ط الأولى ١٣٧٣هـ ١٩٥٤م

٨٦ـ الطبقات في خصوص الأولياء والصالحين والعلماء والشعراء في السودان لمحمد نور ضيف الله البعلي تحقيق يوسف فضل حسن ط دار التأليف والترجمة والنشر جامعة الخرطوم ط الثانية .

٨٧ـ طبقات الصوفية لأبي عبد الرحمن السلمي بدون ذكر مكان الطبع ولا تأريخه

٨٨ـ طبقات الأولياء لابن الملقن سراج الدين ابو حفص عمر بن علي بن احمد المصري ط الأولى ١٣٩٣ هـ تحقيق وتخريج نور الدين شريبة مجمع البحوث الإسلامية .

٨٩ـ عقد الدرر واللآلي في بيان فضل الفقر والفقراء وفضيلة السؤال لفتح الله بن ابي بكر بنانى بهامش مدارج السلوك بدون

٩٠ـ عقود الجواهر في سلاسل الأكابر لحسين فوزي علي الحسيني الجنيدي الملقب بضياء الدين مطبعة الأمة بغداد ٧١ ١٩٤م

٩١ـ العقيدة والشريعة في الإسلام لجولد تسيهر ترجمة الدكتور محمد يوسف موسى وعلي حسن عبد القادر وعبد العزيز عبد الحق نشر دار الكتب الحديثة بمصر ومكتبة المثنى بغداد ط الثانية

٩٢ـ علم القلوب لأبى طالب المكى نشر مكتبة القاهرة لصاحبها على يوسف سليمان مصر الطبعة الأولى ١٣٨٤هـ تحقيق عبدالقادر احمد عطا شركة الطباعة الفنية المتحدة

٩٣ـ عوارف المعارف لعبد القاهر السهروردى الملحق بكتاب الاحياء للغزالى

٩٤ـ الغنية لطالبى طريق الحق فى الأخلاق والتصوف والآداب الاسلامية للشيخ عبدالقادر الجيلانى ط الثالثة ١٣٧٥هـ ١٩٥٦م شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبى والاولاده مصر

٩٥ـ غيث المواهب العلية شرح الحكم العطائية لأبى عبدالله محمد بن ابراهيم بن عباد التعزى الرندى تحقيق الدكتور عبدالحكيم محمد والدكتور محمود بن الشريف ط : مطبعة السعادة ط الأولى ١٣٩٠هـ ٧٠ ١٩م

٩٦ـ الفتح الربانى والفيض الرحمانى للشيخ عبدالقادر الجيلانى ط : شركة مصطفى البابى الحلبى مصر ١٣٨٧ هـ ١٩٦٨م

٩٧ـ فتوح الغيب للشيخ عبدالقادر الجيلانى مطبعة مصطفى البابى الحلبى مصر ط الثانية ١٣٩٢هـ ١٩٧٣م

٩٨ـ الفتوحات الالهية شرح المباحث الأصلية لابن عجيبة الحسنى ط : دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت لبنان

٩٩ـ فتح القوى المتين فى الصلاة على سيد المرسلين لأحمد الغندور الشافعى مذهبا الشاذلى الخلوتى خدمة وطريقة مطبعة التضامن الأخوى الطبعة الأولى

١٠٠ـ الفتوحات المكية لمحى الدين بن عربى / ط : المطبعة العربية القاهرة.

١٠١ـ فرقان القلوب لمحمد ابى الهدى افندى الرفاعى ط مطبعة هندية مصر.

١٠٢ـ فصوص الحكم لمحي الدين بن عربى بتعليقات ابو العلا عفيفى ط : الثانية ١٤٠٠هـ ١٩٨٠م ط دار الكتاب العربى بيروت لبنان

وكذلك فصوص الحكم من شرح القاشانى .

١٠٣ـ الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة للشيخ عبدالرحمن عبدالخالق
ط الدار السلفية الكويت ٠

١٠٤ـ الفلسفة الصوفية في الاسلام للدكتور عبدالقادر محمود
ملتزم الطبع والنشر دار الفكر العربي ٠

١٠٥ـ القرب والتهاني في حضرة التداني شرح الصلوات المحمدية للسادة
الصوفية / لفؤاد محمد رضوان الفرشوطي بمسجد السيدة زينب
بأسوان ١٣٩٧ هـ ١٩٧٧م

١٠٦ـ القصر المشيد في التوحيد وفي طريقة سيدي ابراهيم الرشيد
لمحمد خليل العجرى ط المطبعة العلمية ١٣١٤هـ ط الأولى

١٠٧ـ قصيدة الهمزية في مدح خير البرية لشرف الدين ابي عبدالله محمد البوصيري
ط : مكتبة القاهرة مصر الأزهر٠ بدون

١٠٨ـ قلائد الجواهر في مناقب عبدالقادر الجيلاني لمحمد يحي التادفي
الحلبي ط : مصطفى البابي ٠الحلبي مصر ط الثالثة ١٣٧٥ هـ ١٩٥٦م

١٠٩ـ قلادة الجواهر في ذكر الغوث الرفاعي واتباعه الأكابر لمحمد ابي الهدى
افندي الرفاعي الخالدي السيادي ط الأولى ١٤٠٠ هـ ١٩٨٠م

١١٠ـ قوت القلوب في معاملة المحبوب لأبي طالب محمد بن علي بن عطية الحارثي
المكي ط : مصطفى البابي الحلبي مصر ٠ بدون

١١١ـ القول المتين في بيان توحيد العارفين لمحمد بن فضل الله الهندي
ط : مطبعة الشروق ١٣٤٤ هـ ١٩٢٦م ٠

١١٢ـ قوانين حكم الاشراق الى كافة الصوفية بجميع الاقاق لجمال الدين
محمد ابي الدواهب الشاذلي نشر مكتبة الكليات الازهرية لحسين محمد
امبابي المناوي ١٣٨٠ هـ ١٩٦١م ٠

١١٣ـ كتاب المواقف فى التصوف والوعظ والارشاد للامير عبدالقادر الجزائرى ط : دار اليقظة العربية ط :الثانية ١٩٦٧م ٠

١١٤ـ كتاب النظام الخاص لاهل الاختصاص لاحمد الرفاعى الكبير الحسنى الانصارى بهامش البرهان المؤيد

١١٥ـ كشف المحجوب للهجويرى عثمان بن سعيد ترجمة عربية ط : دار النهضة العربية بيروت لبنان ١٤٠٠هـ ١٩٨٠م ٠

١١٦ـ الكشف والتبين فى غرور الخلق أجمعين لابى حامد الغزالى بهامش تنبيه المغترين له أيضا ٠

١١٧ـ كشف الحجاب عمن تلاقا مع الشيخ التجانى من الاصحاب لاحمد بن الحاج العياشى سكيرج بدون ذكر مكان الطبع ط : ١٣٨١ هـ ١٩٦١م ٠

١١٨ـ الكشف عن حقيقة الصوفية لاول مرة فى التأريخ لمحمود عبدالرؤف القاسم توزيع دار الصحافة للطباعة والنشر بيروت لبنان ط الاولى ١٤٠٨هـ ١٩٨٧م ٠

١١٩ـ الكنز المطلسم لمحمد ابى الهدى أفندى الرفاعى الصيادى المطبعة العلمية مصر ١٣١٣هـ ٠

١٢٠ـ لباب المعاني الملخص من شفاء صدور المؤمنين فى هدم قواعد المبتدعين لمحمد بن السيد أحمد العبدلى البحرينى الرفاعى بدون ذكر مكان الطبع ولاتأريخه ٠

١٢١ـ لطائف الاشارات للقشيرى تحقيق وتقديم وتعليق الدكتور / ابراهيم بسيونى ط: دار الكتاب العربى للطباعة والنشر القاهرة ٠

١٢٢ـ لطائف المنن لعبد الوهاب الشعرانى ط : مطبعة الميمنية مصر لصاحبها مصطفى البابى ٠ بدون

١٢٣ـ لطائف المنن لابن عطاء الله السكندري تحقيق الدكتور/عبد الحليم محمود ط : مطبعة احسان شارع الجيش ١٩٨١ بدون

١٢٤ـ اللمع للطوسي ابي السراج ملتزم الطبع والنشر دار الكتب الحديثة مصر ط : مطبعة السعادة مصر ٠ بدون

١٢٥ـ لواقح الأنوار القدسية في بيان العهود المحمدية لعبد الوهاب الشعراني ط : الثانية ١٣٩٢هـ / ١٩٧٣م ط : مركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي

١٢٦ـ متابعة الأبرار ومطالعة الأنوار في التبرك بأوراد أصحاب من الأكابر والأخيار ط : المطبعة الكبرى الأميرية بولاق مصر المحمية ١٣١٦هـ ٠

١٢٧ـ مجموع الأوراد الكبير والأدعية والأحزاب والاستغاثات ط : مكتبة النشر ومطبعتها لمحمد عبد المعطي القاهرة ٠ بدون

١٢٨ـ مدارج السلوك الى مالك الملوك لأبي بكر محمد بنانى ط : المطبعة الجمالية ط : الأولى ١٣٢٠هـ ٠

١٢٩ـ المدخل لمحمد بن محمد بن محمد الفاسي المكي ط : المطبعة المصرية بالأزهر ط : الأولى ١٣٤٨ هـ / ١٩٢٩م ٠

١٣٠ـ المدخل الى التصوف الشاذلي لأبي الوفاء التفتازاني ط : مصر بدون

١٣١ـ المدرسة الشاذلية وإمامها ابو الحسن الشاذلي ط : دار الكتب الحديثة لصاحبها توفيق حنيفي ط : القاهرة ٠ بدون

١٣٢ـ ميزان العمل لأبي حامد الغزالي ط : دار الكتب العلمية بيروت لبنان بدون ط ٠ ٠ ٠

١٣٣ـ مشارق انوار القلوب ومفاتح اسرار الغيوب لعبد الرحمن بن محمد الأنصاري المعروف بابن الدباغ ط : دار صادر بيروت ٠ بدون

١٣٤ـ مشارق الأنوار في فوز أهل الاعتبار للشيخ حسن العدوي الحمزاوي ط : مطبعة الجمهورية مصر بدون

١٣٥ـ مصرع التصوف للعلامة برهان الدين البقاعي تحقيق عبدالرحمن الوكيل
ط : دار الكتب العلمية بيروت لبنان ١٤٠٠هـ ١٩٨٠م

١٣٦ـ معجم مصطلحات الصوفية / للدكتور عبد المنعم الحفني ط دار المسيرة
بيروت . بدون

١٣٧ـ مفاهيم يجب ان تصحح لمحمد علوى المالكى الحسينى ط: دار الانسان
القاهرة ، ط : الأولى ١٤٠٥ هـ ١٩٨٥ م .

١٣٨ـ منهاج الراغبين فى الصفا والأنس ومعراج الواصلين لمحمد نور
المطبعة العلمية ط: الأولى ١٣١٢هـ .

١٣٩ـ المنقذ من الضلال ومعه كيمياء السعادة والقواعد العشرة والأدب
فى الدين لأبى حامد الغزالى ط : مؤسسة الكتب الثقافية بدون

١٤٠ـ منازل السائرين الى الحق عز شأنه لأبى اسماعيل عبدالله بن محمد
الانصارى الهروى الصوفى : ط / مصطفى البابى الحلبى مصر ط الثانية

١٤١ـ منهاج العابدين / لأبى حامد الغزالى ط : الطباعة الفنية المتحدة
شارع العباسية مصر بدون

١٤٢ـ المنهل الروى الرائق فى اسانيد العلوم واصول الطرائق / لمحمد
بن على السنوسى ط : وزارة الثقافة والاعلام ليبيا . بدون ذكر تأريخ الطبع

١٤٣ـ المواقف لمحمد بن عبد الجبار النفرى ط: دار الكتب المصرية القاهرة
بدون ذكر تأريخ الطبع .

١٤٤ـ المواهب السرمدية فى مناقب النقشبندية لمحمد امين الكردى
مطبعة السعادة مصر ط الأولى ١٣٢٩هـ .

١٤٥ـ نشر المحاسن الغالية فى فضل المشائخ الصوفية اصحاب المقامات العالية لأبى محمد عبدالله بن اسعد اليافعى بدون ذكر مكان الطبع ط الأولى ١٣٨١ هـ ١٩٦١م .

١٤٦ـ نعت البدايات وتوصيف النهايات لماء العينين بن السيد محمد فاضل بن مامين بدون ذكر مكان الطبع وتاريخه .

١٤٧ـ النفحات الأحمدية لعبده حسن راشد المهدز الخفاجى مطبعة التقدم العلمية ط : الأولى ١٣٢١ هـ

١٤٨ـ النفحة العلية فى اوراد الشاذلية لجامعه عبد القادر زكى ط : المكتبة الشعبية بيروت لبنان ط : الثالثة

١٤٩ـ نفح الأزهار فى مولد المختار لعلي البندى : عميد كلية العلوم جامعة القاهرة .

١٥٠ـ الهدية الهادية الى الطائفة التيجانية للدكتور محمد تقي الدين الهلالى : ط : الأولى ١٣٩٣هـ ١٩٧٣م

١٥١ـ هذه اسرار الحقيقة لمن سلك الطريقة : لمحمد عبدالرحيم الشاذلى ابوالمعارف الحسنى الشالى الأحمدى ط : مطبعة الفتوح الأدبية مصر ١٣٣٩ هـ ١٩٢١م .

١٥٢ـ هذه هى الصوفية للشيخ عبدالرحمن الوكيل ط: دار الكتب العلمية بيروت لبنان ط الرابعة ١٩٨٤م .

ثانيا المصادر الأخرى :

١٥٣ـ الابداع فى مضار الابتداع : للشيخ على محفوظ نشر المكتبة العلمية بالمدينة المنورة لصاحبها محمد سلطان النمنكانى ط الخامسة ١٣٩١هـ ١٩٧١م .

١٥٤ـ احسن الكلام فيما يتعلق بالسنة والبدعة من الأحكام : للشيخ محمد بخيت المطيعى طبع ونشر جمعية الأزهر العلمية مصر ط الثانية ١٣٥٨ هـ .

١٥٥ـ احكام القرآن : لأبى بكر محمد بن عبدالله المعروف بابن عربى تحقيق على محمد البجاوى ط دار المعرفة بيروت لبنان بدون ذكر تأريخ الطبع

١٥٦ـ الأحاطة فى اخبار قرناطة : للسان الدين الخطيب تحقيق محمد عبدالله عنان ط : الشركة المصرية للطباعة والنشر القاهرة ط الأولى ١٣٩٧هـ

١٥٧ـ الاختيار لتحليل المختار : لأبى عبدالله بن محمد بن مودود ط : مصطفى البابى الحلبى القاهرة مصر بدون ذكر تأريخ الطبع .

١٥٨ـ احكام القرآن للجصاص .

١٥٩ـ ارشاد السارى شرح صحيح البخارى : لأبى العباس شهاب الدين احمد بن محمد القسطلانى ط :دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع

١٦٠ـ الأزهار المتناثرة فى الأحاديث المتواترة لجلال الدين السيوطى مطبعة دار التأليف بدون ذكر تأريخ الطبع

١٦١ـ الأسماء والصفات : للحافظ ابى بكر احمد بن الحسين بن علي البيهقى تحقيق محمد زاهد الكوثرى الحنفى ضمن فرقان القرآن لسلامة الفراس القطاعى الصوفى ط دار احياء التراث العربى بيروت لبنان بدون ذكر تأريخ الطبع .

١٦٢ـ اسباب النزول للنيسابورى أبي الحسن علي بن أحمد الواحدى ط الحلبي ٢ـ١٣٨٧

١٦٣ـ الاسلام والفلسفات القديمة : لأنور الجندى ط دار الأعتصام بدون ذكر تأريخ الطبع .

١٦٤ـ الاستقامة لأبي العباس تقي الدين احمد بن عبد الحليم بن تيمية
تحقيق الدكتور محمد رشاد سالم ط جامعة الامام بن سعود الاسلامية
الرياض ط الأولى ١٤٠٤هـ - ١٩٨٣م
١٦٥ـ اسنى المطالب في احاديث مختلفة المراتب / لمحمد درويش الحوت/ط: دولة قطر
١٦٦ـ اصول الدين للأستاذ ابي منصور عبدالقاهر بن طاهر التميمي البغدادي
ط استانبول مطبعة الدولة . بدون
١٦٧ـ اصول الدعوة للشيخ عبدالكريم زيدان ط : مكتبة المنار الاسلامية
١٤٠١هـ ١٩٨١م .
١٦٨ـ اضواء البيان في ايضاح القرآن بالقرآن : للشيخ محمد الأمين
بن محمد المختار الجكني الشنقيطي نشر مكتبة ابن تيمية القاهرة
ط : ١٤٠٨ هـ ١٩٨٨م .
١٦٩ـ الاعتصام للامام ابي اسحاق ابراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الشاطبي
الغرناطي ط دار المعرفة بيروت لبنان ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م.
١٧٠ـ الاعلام لخير الدين الزركلي : بدون ذكر مكان الطبع ولا تأريخه
ط الثالثة .
١٧١ـ اعلام النساء لعمر رضا كحالة المطبعة الهاشيمية ط: الثالثة ١٣٧٩هـ
١٧٢ـ اعتقادات فرق المسلمين والمشركين : للفخر الرازي ط شركة الطباعة
الفنية المتحدة. بدون
١٧٣ـ الأعياد واثرها على المسلمين للشيخ سليمان بن سالم بن رجا السبيعي
رسالة ماجستير بالجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة.
١٧٤ـ الأنوار لأعمال الأبرار.
١٧٥ـ اغاثة اللهفان من مصايد الشيطان لأبي عبدالله محمد بن ابي بكر الشهير
بابن القيم الجوزية ط: دار المعرفة بيروت لبنان تحقيق محمد حامد الفقي
١٧٦ـ الأقسام عن معاني الحمام .

١٧٧ ـ اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة اصحاب الجحيم لابن تيمية تحقيق وتعليق الدكتور ناصر بن عبدالكريم العقل ونق لله تعالى عملي طلبة العلم من صاحب السمو الملكي الامير سلطان بن عبدالعزيز اثابه الله تعالى .

١٧٨ ـ الله في العقيدة الاسلامية لأحمد بهجت ط دار المختار الاسلامية للطباعة والنشر والتوزيع القاهرة ط الثانية ١٣٩٩هـ ١٩٧٩م .

١٧٩ ـ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لعبدالرحمن بن عبد الله المقيط . بدون ذكر مكان الطبع ولاتأريخه ط : ١٤٠٥هـ

١٨٠ ـ انباء الغمر بانباء العمر لابن حجر العسقلاني تحقيق حسن حبش القاهرة ١٩٦٩م

١٨١ ـ انوار التنزيل واسرار التأويل تفسير ناصر الدين ابي الخير عبدالله بن عمر البيضاوي ط : مصطفى البابي الحلبي مصر ط الثانية ١٣٨٨هـ .

١٨٢ ـ الانصاف فيما قيل في المولد من الغلو والاجحاف للشيخ ابي بكر الجزائري بدون ذكر مكان الطبع ولاتأريخه .

١٨٣ ـ بدائع الفوائد لابن القيم الجوزية ط دار الكتاب العربي بيروت لبنان

١٨٤ ـ بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع للامام علاء الدين بن ابي بكر الكاساني . مطبعة الامام القاهرة بدون

١٨٥ ـ البداية والنهاية للحافظ بن كثير عماد الدين ابو الفداء اسماعيل بن كثير القرشي ط : دار الفكر العربي بدون ذكر تأريخ الطبع .

١٨٦ ـ بداية المجتهد لمحمد بن رشد القرطبي ط مصطفى البابي الحلبي ط الثالثة ١٣٧٩هـ .

١٨٧ ـ البصائر للمتوسلين بالمقابر للشيخ محمد طاهر الباكستاني طبع على نفقة الشيخ خليفة آل ثاني قطر ١٤٠٣هـ

١٨٨ ـ البحر المحيط لأبي حيان ابو عبدالله محمد بن يوسف بن علي بن حيان نشر مكتبة النصر الحديثة الرياض بدون ذكر تأريخ الطبع .

١٨٩ـ بيان تلبيس الجهمية فى تأسيس بدعهم الكلامية لابن تيمية تصحيح وتعليق محمد بن القاسم : مطبعة الحكومة مكة المكرمة ١٣٩٢هـ

١٩٠ـ تأريخ محمد بن احمد بن اياس تحقيق محمد مصطفى القاهرة ١٩٦١م

١٩١ـ تأريخ ابن خلدون طبع ونشر دار الكتاب اللبنانى ومكتبة المدرسة بيروت ١٩٦٦م.

١٩٢ـ تأريخ بغداد للحافظ ابى بكر احمد بن على الخطيب البغدادى نشر دار الكتاب العربى بيروت.

١٩٣ـ التبر المسبوك فى ذيل السلوك للحافظ محمد بن عبدالرحمن بن محمد بن ابى بكر بن عثمان السخاوى : نشر مكتبة الكليات الأزهرية بدون

١٩٤ـ تجريد التوحيد المفيد للأمام تقى الدين احمد بن علي المقريزى تعليق طه محمد الزينى ط : مركز شئون الدعوة الاسلامية بالجامعة الاسلامية .

١٩٥ـ التحذير من مختصرات محمد على الصابونى فى التفسير للشيخ بكر بن عبدالله ابوزيد نشر دار الراية الرياض ط الأولى ١٤٠٩هـ .

١٩٦ـ التحفة العراقية فى الأعمال القلبية لشيخ الاسلام بن تيمية ضمن امراض القلوب وشفائها له تقديم الدكتور محمود مطرجى . ط : دار القلم بيروت لبنان . بدون

١٩٧ـ تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذى للامام ابى العلي محمد بن عبدالرحمن المباركفورى ط : دار الفكر للطباعة والنشر ط الثالثة ١٣٩٩ هـ .

١٩٨ـ تحفة الطالب والجليس فى كشف شبه داوود بن جرجيس للشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ بدون

١٩٩ـ تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة فى العقل اومرذولة : لأبى الريحان محمد بن احمد مطبعة دائرة المعارف العثمانية بميدان اباد الدكن الهند ١٣٧٧هـ ١٩٥٨م.

٢٠٠ـ تحفة المحتاج : لأحمد بن حجر الهيثمى ط مصطفى محمد القاهرة

٢٠١ـ تحذير الساجد من اتخاذ القبور مساجد للشيخ : محمد ناصر الدين الالبانى

٢٠٢ ـ تطهير الاعتقاد عن ادران الالحاد : للمحدث محمد بن اسماعيل الأمير الصنعانى ضمن كتاب الجامع الفريد : طبع على نفقة محمد بن ابراهيم النعمان

٢٠٣ـ التعريفات للشريف علي بن محمد الجرجانى ط : دار الكتب العلمية بيروت لبنان . ط الثالثة ١٤٠٨هـ . ١٩٨٨م

٢٠٤ـ تفسير القرآن العظيم للامام الجليل الحافظ عماد الدين ابو الفداء اسماعيل بن كثير ط / مكتبة الدار التراث القاهرة ١٤٠٠هـ

٢٠٥ـ تفسير القرآن الحكيم الشهير بتفسير المنار لمحمد رشيد رضا ط دار المعرفة بيروت لبنان ط الثانية . بدون

٢٠٦ـ التفسير الكبير للفخر الرازى ط : المطبعة البهية المصرية بدون ذكر تأريخ الطبع .

٢٠٧ـ تفسير روح المعانى للآلوسى ط داراحياء التراث العربى بيروت لبنان . بدون ذكر تأريخ الطبع .

٢٠٨ـ تفسير النسفى : لأبى عبدالجله بن احمد ابى البركات ط : داراحياء الكتب العربية بدون

٢٠٩ـ تفسير غرائب القرآن وارغائب الفرقان لنظام الدين الحسن بن محمد القمى / ط مصطفى الحلبى ط الأولى . بدون

٢١٠ـ تفسير القرآن العظيم لجلال الدين السيوطي و جلال الدين محمد بن احمد ط داراحياء الكتب العربية بدون ذكر تأريخ الطبع .

٢١١- تفسير ابي السعود لأبي السعود محمد العمادي الحنفي ط مطبعة السعادة بدون ذكر تأريخ الطبع .

٢١٢- تفسير القرآن الكريم / للشيخ محمود شلتوت ط دار القلم

٢١٣- تقوية الايمان لمحمد بن اسماعيل الدهلوي

٢١٤- تلبيس ابليس للحافظ جمال الدين ابي الفرج عبدالرحمن بن الجوزي البغدادي ط دار الكتب العلمية بيروت لبنان بدون ذكر تأريخ الطبع

٢١٥- تلخيص كتاب الأستغاثة المعروف بالرد على البكري لشيخ الاسلام ابن تيمية : نشر الدار العلمية السعودية . بدون

٢١٦- تنبيه اولى الابصار الى كمال الدين ومافي البدع من الأخطار للدكتور / صالح بن سعد السحيمي ط دار بن حزم الرياض ط الأولى ١٤١٠هـ ١٩٨٩م .

٢١٧- تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأخبار الشنيعة الموضوعة لأبي الحسن علي بن محمد الكناني نشر مكتبة القاهرة ط الأولى بدون ذكر تأريخ الطبع .

٢١٨- توحيد الألوهية اساس الاسلام : لحامد بن عبدالقادر الأحمدي رسالة ماجستير بالجامعة اسلامية . بالمدينة المنورة .

٢١٩- توضيح الكافية الشافية / للشيخ : عبدالرحمن بن ناصر السعدي

٢٢٠- التوضيح عن توحيد الخلاق للشيخ / سليمان بن عبدالله / ط دار طيبة الرياض ط الأولى ١٤٠٤ هـ

٢٢١- التوسل انواعه واحكامه للشيخ / محمد ناصر الدين الألباني . ط المكتب الاسلامي : بيروت لبنان . وكذلك سوريا دمشق ط الثانية ١٣٩٧هـ

٢٢٢- تهذيب اللغة / لأبي المنصور محمد بن احمد الأزهري اللغوي تحقيق الدكتور عبدالحليم النجار مراجعة الاستاذ / محمد علي النجار نشر الدار المصرية للتأليف والنشر ط مطابع سجل العربي بدون ذكر تأريخ الطبع .

٢٢٣ـ تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد للشيخ / سليمان بن عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب ط : المكتب الاسلامي بيروت لبنان بدون

٢٢٤ـ تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان / للشيخ : عبدالرحمن بن سعدي ط : المطبعة السلفية ومكتبتها ١٣٧٧هـ

٢٢٥ـ جامع بيان العلم وفضله وماينبغي في روايته وحمله : للامام المحدث المجتهد حافظ المغرب ابي عمر يوسف بن عبدالبر القرطبي الاندلسي ٠ ط : دار الكتب العلمية بيروت لبنان٠ بدون

٢٢٦ـ جامع الترمذي للامام الحافظ ابي عيسى بن سورة الترمذي مع شرحه تحفظة الأحوذي : لمباركفوري ط دار الفكر ط الثالثة ١٣٩٩هـ ١٩٧٩م٠

٢٢٧ـ جامع العلوم والحكم للامام ابي الفرج عبدالرحمن بن شهاب الدين ابن رجب الحنبلي ط دار المعرفة بيروت٠ بدون

٢٢٨ـ الجامع لأحكام القرآن : لأبي عبدالله محمد بن احمد الأنصاري القرطبي ط : دار احياء التراث العربي بيروت لبنان ١٩٦٧م٠

٢٢٩ جامع البيان في تفسير القرآن للامام الكبير المحدث الشهير ابي جعفر محمد بن جرير الطبري : ط دار المعرفة بيروت لبنان ٠ بدون

٢٣٠ـ جامع الأصول في احاديث الرسول / للامام ابي السعادة مبارك بن محمد بن الأثير تحقيق محمد حامد الفقي ط : مطبعة السنة المحمدية ٠ ط الأولى ١٣٧٣هـ ١٩٥٣م٠

٢٣١ـ جزيرة العرب : لحافظ وهبة / القاهرة مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ط الخامسة ١٣٨٧هـ ١٩٦٧م٠

٢٣٢ـ جلاء العينين في محاكمة الأحمدين / للسيد نعمان خير الدين الشهير بابن الآلوسي البغدادي ط دار الكتب العلمية بيروت لبنان ٠ بدون

٢٣٣ـ جمع الفوائد من جامع الأصول ومجمع الزوائد للسيد عبدالله هاشم اليماني . بدون

٢٣٤ـ الجواهر في تفسير القرآن : للشيخ : الحكيم طنطاوي جوهري ط : مصطفى البابي الحلبي ط الثانية ١٣٥٠هـ .

٢٣٥ـ الجواهر السنية / لعبدالمقصود الأحمدي ط : صبيح بدون ذكر تأريخ الطبع .

٢٣٦ـ جوامع السيرة للامام ابن حزم ابي محمد علي بن احمد بن سعيد بن حزم تحقيق الدكتور احسان عباس والدكتور ناصر الدين الأسد ط : دار المعارف بدون

٢٣٧ـ الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح للشيخ الاسلام بن تيمية مطبعة المدني ١٣٨٣هـ .

٢٣٨ـ حاشيتا قليوبي وعميرة على شرح جلال الدين المحلي على المنهاج للأحمد بن سلامة شهاب الدين القليوبي ط : عيسى البابي الحلبي : بدون

٢٣٩ـ حياة الرسول المصطفى للسيد عبدالرزاق محمد اسواط / ط : الدار العلمية للموسوعات بيروت لبنان . بدون

٢٤٠ـ حاضر العالم الاسلامي للوثروب ستودارد الأمريكي نقله الى العربية الأستاذ عجاج نويهض . بدون

٢٤١ـ حاشية الدسوقي :

٢٤٢ـ حاشية السندي على سنن النسائي ط دار الكتب العلمية بيروت لبنان . بدون

٢٤٣ـ حاشية در المختار لابن عابدين . للسيد محمد امين افندي الشهير بابن عابدين بدون

٢٤٤ـ حجة الله البالغة / للشيخ : احمد المعروف بشاه ولي الله بن عبدالرحيم الدهلوي ط دار المعرفة .

٢٤٥ـ حكم الله الواحد الصمد في حكم الطالب من الميت العدد / للمعصومي الخجندي ابوعبد الكريم محمد سلمان . بدون ذكر مكان الطبع .

٢٤٦ـ حوار مع علوى المالكى فى رد مذكراته وضلالاته : للشيخ عبدالله بن سليمان بن منيع القاضى بمحكمة التمييز بمكة المكرمة ط على نفقة بعض المحسنين ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م.

٢٤٧ـ خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم لمحمد ابوزهرة ط دارالفكرالعربى

٢٤٨ـ الخير الكثير للدهلوى

٢٤٩ـ دائرة المعارف الاسلامية نقلها الى العربية محمد ثابت الفندى ط مؤسسة عبد الحفيظ لتجليد وتصنيع الكتب بيروت لبنان بدون ذكر تأريخ الطبع .

٢٥٠ـ الدر النضد فى اخلاص كلمة التوحيد للعلامة الفقيه المجتهد محمد بن علي الشوكانى ط مكتبة الصحابة الاسلامية السالمية الكويت بدون

٢٥١ـ الدرر فى اختصار المغازى والسير للأمام بن عبدالبر تحقيق الدكتور شوقي ضيف / المجلس الأعلى للشئون الاسلامية القاهرة .

١٣٨٦هـ ١٩٦٦م.

٢٥٢ـ الدرالمنثور فى التفسير بألمأسور لجلال الدين السيوطى ط محمد امين

٢٥٣ـ دراسات فى الفرق للدكتور صابر طعيمة ط مكتبة المعارف الرياض .

ط الثانية ١٤٠٤هـ ١٩٨٣م .

٢٥٤ـ الدررالكافية فى اعيان المائة الثامنة لابن حجر العسقلانى تحقيق محميد سيد جادالحق ط : دار الكتب الحديثة .

٢٥٥ـ دراسات فى تأريخ الفلسفة العربية الاسلامية وآثار رجالها لعبده الشمالى ط : دار صادر بيروت ط : ١٣٩٩هـ ١٩٧٩م.

٢٥٦ـ دعوة التوحيد لمحمدخليل هراس ط : مكتبة الصحابة طنطا . بدون

٢٥٧ـ دلائل النبوة للبيهقى احمد بن الحسين بن علي تحقيق عبد المعطى القلعجى

٢٥٨- الدين الخالص للسيد محمد صديق حسن القنوجي البخاري ط : مكتبة دار التراث ٢٢ شارع الجمهورية القاهرة .

٢٥٩- رحلة الصديق الى البيت العتيق للصديق حسن خان تصحيح وتعليق عبد الحكيم شرف الدين ط دار ابن القيم ط الثالثة ١٤٠٦هـ

٢٦٠- رحمة الأمة في اختلاف الأئمة / لأبي عبد الله بن عبد الرحمن الدمشقي العثماني ط : مصطفى البابي الحلبي ط الأولى ١٣٧٩هـ

٢٦١- رسالة الشرك ومظاهره / للشيخ مبارك بن محمد الميلي ط : مركز شئون الدعوة بالمدينة المنورة ط الأولى ١٤٠٧ هـ.

٢٦٢- روضة الأفكار والأفهام للشيخ العلامة حسين بن غنام ط مطبعة المدني المؤسسة السعودية بمصر ط الأولى

٢٦٣- الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام تحقيق وتعليق وشرح عبد الرحمن الوكيل ط : دار الكتب الحديثة مصر بدون

٢٦٤- الروض الندى شرح كاف المبتدى في الفقه الحنبلي للامام احمد البعلي

٢٦٥- زاد المعاد في هدى خير العباد لابن القيم الجوزية تحقيق شعيب الأرنؤوط وعبد القادر الأرنؤوط ط / مؤسسة الرسالة بيروت ط الثامنة.

١٤٠٥هـ ١٩٨٥م.

٢٦٦- زاد المسير لابي عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي ط : المكتب الاسلامي دمشق ط : الأولى ١٣٨٤ هـ ١٩٦٤م.

٢٦٧- زاد المستقنع / لمنصور بن يونس البهوتي .

٢٦٨- الزهد والرقائق / لعبد الله بن المبارك تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي . ط : دار الكتب العربية بيروت بدون ذكر تاريخ الطبع .

٢٦٩- سبل السلام شرح بلوغ المرام / للشيخ : الامام محمد بن اسماعيل الأمير الصنعاني : تحقيق محمد بن عبد العزيز الخولي / ط مصر مكتبة عاطف بجوار ادارة الأزهر بدون

٢٧٠ـ السراج المنير فى الأعانة على معرفة بعض معانى كلام ربنا الحكيم الخبير
للشيخ / الأمام الخطيب الشربينى بدون ذكر مكان الطبع ٠
٢٧١ـ سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة واثرها السيء فى الأمة ـ
تخريج الشيخ /محمدناصر الدين الألبانى ط :المكتب الاسلامى ٠
٢٧٢ـ السلوك للمقريزى : ط دار الكتب القاهرة تحقيق زيادة بدون
٢٧٣ـ السنن والمبتدعات : للشيخ محمد عبد السلام خضر الشقيرى
ط : دار الكتب العلمية بيروت لبنان ط : ١٤٠٠ هـ ١٩٧٠م
٢٧٤ ـ سنن النسائى للامام الحافظ ابى عبد الرحمن احمد بن شعيب بن على بن بحر
النسائى مع شرح الحافظ جلال الدين السيوطى وحاشية الامام السندى
ط دار الكتب العليمة بيروت لبنان ٠ بدون
٢٧٥ـ سنن ابن ماجه للامام الحافظ ابى عبدالله محمد بن يزيد القزوينى
تحقيق وترقيم محمد فؤاد عبدالباقى ط: عيسى البابى الحلبى مصر٠ بدون
٢٧٦ـ سنن الدارمى للامام ابومحمد عبدالله بن عبدالرحمن بن الفضل بن سلام
الدارمى :يطلب من دار الكتب العلمية نشردار احياء السنة النبوية
بدون ذكر تأريخ الطبع ٠
٢٧٧ـ سنن ابى داود لأبى داود سليمان بن الأشعث السجستانى مع بذل المجهود
ط دار الكتب العلمية بيروت لبنان : بدون ذكر تأريخ الطبع ١
٢٧٨ـ السنن الصغرى للبيهقى الحافظ ابى بكر احمدبن الحسين بن علي البيهقى
تعليق الدكتور عبدالمعطى قلعجى ط دار الوفاء المنصورة ط الأولى ١٤١٠هـ
٢٧٩ـ السنن الكبرى للبيهقى الحافظ ابى بكر احمد بن الحسين بن علي ٠
٢٨٠ـ السيرة النبوية لأبى محمد عبدالملك بن هشام تحقيق نخبة من العلماء
ط دار الفكر القاهرة٠
٢٨١ـ السيرة النبوية لابن كثير تحقيق مصطفى عبدالواحد نشردار المعرفة بيروت

٢٨٢ـ السيرة النبوية واخبار الخلفاء لأبي حاتم محمد بن احمد التميمي البستي ط : مؤسسة الكتب الثقافية بيروت لبنان ط الأولى ١٤٠٧هـ

٢٨٣ـ شأن الدعاء للخطابي . احمد بن محمد ابي سليمان تحقيق احمد يوسف الدقاق ط دار المأمون للتراث دمشق ط الأولى *

٢٨٤ـ الشريعة : للامام ابي بكر محمد بن الحسين الآجري تحقيق محمد حامد الفقي ط دار الكتب العلمية بيروت لبنان ط الأولى ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م.

٢٨٥ـ شرح الزرقاني على موطأ الامام مالك لمحمد الزرقاني ط : دار المعرفة بيروت لبنان ط : ١٣٩٨هـ

٢٨٦ـ شرح الحافظ جلال الدين السيوطي لسنن النسائي : ط دار الكتب العلمية بيروت لبنان. بدون

٢٨٧ـ شرح النووي على صحيح مسلم للحافظ ابي زكريا محي الدين بن شرف الشافعي : المطبعة المصرية ومكتبتها بدون ذكر تأريخ الطبع .

٢٨٨ـ الشرح الكبير لأحمد بن محمد العدوي الشهير بالدردير ط : عيسى البابي الحلبي : بدون ذكر تأريخ الطبع .

٢٨٩ـ شرح ثلاثيات مسند الامام احمد للعلامة الشيخ/محمد الفارسي الحنبلي ط : المكتب الاسلامي .

٢٩٠ـ الشرح الصغير على اقرب المسالك للدردير

٢٩١ـ شرح اسماء الله الحسنى لسعيد بن علي القحطاني ط: الأولى ١٤٠٩هـ

٢٩٢ـ شرح السنة : للبغوي ابي محمد الحسين بن مسعود الفراء ط: المكتب الاسلامي ط الأولى ١٣٩٠هـ ٧١ ١٩م

٢٩٣ـ شرح العقيدة الواسطية / للشيخ صالح فوزان الفوزان ط: مكتبة المعارف بالرياض ط الرابعة ١٤٠٧هـ

٢٩٤ـ شرح العقيدة الطحاوية لعلي بن محمد بن ابي العز الحنفي تحقيق ومراجعة جماعة من العلماء مع تخريج احاديثها محمد ناصر الدين الألباني .
ط دار الفكر العربي بيروت بدون ذكر تأريخ الطبع .

٢٩٥ـ شرح الصدور بتحريم رفع القبور : للامام الشوكانى ضمن كتاب الجامع الفريد : طبع على نفقة محمد بن ابراهيم النعمان.

٢٩٦ـ شرح المواهب اللدينة للزرقانى لمحمد عبد الباقى الزرقانى ط : الأولى الطبعة الأزهرية المصرية.بدون

٢٩٧ـ شعب الأيمان للبيهقى الحافظ ابى بكر احمد بن الحسين . بن علي .

٢٩٨ـ شفاء العليل فى مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل : لابن القيم الجوزية نشر مكتبة التراث القاهرة : بدون ذكر تأريخ الطبع .

٢٩٩ـ الشفاء بتعريف حقوق المصطفى للقاضى عياض :مطبعة محمد علي صبيح واولاده مصر . بدون

٣٠٠ـ الشيخ محمدبن عبدالوهاب وحقيقة دعوته / للشيخ عبدالله بن حميد : مطبوع ضمن هداية المناسك ومعه مجموعة رسائل ط : السابعة ١٣٩٨هـ

٣٠١ـ الصارم المنكى فى الرد على السبكى للامام محمد بن احمد بن عبدالهادى ط : دارالكتب العلمية بيروت لبنان ط : الأولى ١٤٠٥ هـ ١٩٨٥م .

٣٠٢ـ صبح الأعشى فى صناعة الانشاء : لأبى العباس احمد بن علي القلقشندى نشر الهيئة المصرية العامة للكتاب / ١٤٠٥هـ .

٣٠٣ـ صحيح البخارى مع شرحه فتح البارى لأبى عبدالله محمد بن اسماعيل البخارى ترقيم محمد فؤاد عبدالباقى : ط دارالفكر للطباعة والنشر والتوزيع بدون ذكر تأريخ الطبع .

٣٠٤ـ صحيح مسلم بشرح النووى لأبى الحسن مسلم بن الحجاج القشيرى المطبعة المصرية ومكتبتها بدون ذكر تأريخ الطبع.

٣٠٥ـ صحيح ابن خزيمة لابن خزيمة السلمى النيسابورى تحقيق مصطفى الأعظمى ط المكتب الاسلامى ط : الأولى ١٣٩٥هـ ١٩٧٥م.

٣٠٦- صحيح ابى عوانة :

ط :مجلس دائرة المعارف العثمانية بالهند .بدون

٣٠٧- الصحاح / للجوهرى اسماعيل بن حماد الجوهرى تحقيق احمد عبد الغفور عطار ط : دار العلم : للملايين بيروت الطبعة الثانية ١٣٩٩هـ ١٩٧٩م.

٣٠٨- الصراع بين الوثنية والاسلام لعبدالله القصيمى ط الثانية القاهرة ١٤٠٢هـ ١٩٨٢م.

٣٠٩- صراع بين الحق والباطل لسعد صادق محمد ط : دار اللواء بالمملكة العربية السعودية ط : الخامسة ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م.

٣١٠- الطب النبوى لابن القيم الجومية تحقيق شعيب الأرنؤوط وعبدالقادر الأرنؤوط

ط :مؤسسة الرسالة مكتبة المنار الاسلامية الكويت الحولى .

ط :الثالثة ١٤٠٢هـ ١٩٨٢م.

٣١١- طريق الهجرتين وباب السعادتين لابن القيم الجوزية ط : دار الكتب العلمية بيروت لبنان ط الأولى ١٤٠٢هـ

٣١٢- ظهر الاسلام لأحمد امين ط : دار الكتاب العربى بيروت ط: الخامسة

٣١٣- العبودية لشيخ الاسلام بن تيمية ط : مكتبة المدنى ومطبعتها جدة سوق الندى بدون ذكر تأريخ الطبع .

٣١٤- عجائب الآثار فى التراجم والأخبار : للعلامة الشيخ عبدالرحمن الجبرتى ط : دار الجيل بيروت لبنان ط الثانية.

٣١٥-عقيدة المؤمن للشيخ / ابو بكر الجزائرى ط : دار الكتب السلفية القاهرة ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م .

٣١٦- عقد الفرائد وكنز الفوائد لشمس الدين ابى عبدالله محمد بن عبدالقوى المقدسى

٣١٧ـ علماء نجد خلال ستة قرون : لفضيلة الشيخ / عبدالله بن عبدالرحمن بن صالح البسام ط : مكتبة ومطبعة النهضة الحديثة مكةالمكرمة ط الأولى ١٣٩٨هـ

٣١٨ـ عنوان المجد في تأريخ نجد / للشيخ عثمان بن عبدالله بن بشر المطبعة السلفية بمكةالمكرمة ١٣٤٩هـ

٣١٩ـ عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير تحقيق لجنة احياء التراث العربي في دار الآفاق الجديدة بيروت لبنان ط : الثالثة ١٤٠٢ هـ ١٩٨٢م

٣٢٠ـ غاية الأماني فيالرد على النبهاني للعلامة ابي المعالي محمود شكري الآلوسي المطبعة العربية لاهور / ١٤٠٣ هـ ١٩٨٣م .

٣٢١ـ الفتوى الحموية الكبرى / لشيخ الاسلام احمد بن تيمية ط : القاهرة في روضة الفسطاط . بدون

٣٢٢ـ الفتاوى الكبرى لشيخ الاسلام بن تيمية تحقيق وتعليق وتقديم محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبدالقادر عطا : ط دارالكتب العلمية بيروت لبنان ط الأولى ١٤٠٨هـ ١٩٨٧م

٣٢٣ـ فتح المجيد شرح كتاب التوحيد / للشيخ : عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ ط دارالفكر ط السادسة ١٣٩٧هـ ١٩٧٧م.

٣٢٤ـ فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير للامام محمد بن علي الشوكاني ط : مصطفى البابي الحلبي مصر ط : الثانية.

٣٢٥ـ فتح الباري شرح صحيح البخاري للحافظ احمد بن علي بن حجر العسقلاني ط : دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع .

٣٢٦ـ فتوح البلدان : لأحمد بن يحي بن جابر المعروف بالبلاذري طبع ونشر مكتبة النهضة المصرية القاهرةرضوان محمد رضوان .

٣٢٧ـ فتح البيان فيإعجاز القرآن : لصديق حسن خان : مطبعة العاصمة القاهرة نشر عبد الحي علي محمود .

٣٢٨ـ الفتح المبين / للحافظ نورالدين علي بن ابي بكر الهيثمي

٣٢٩ـ الفرقان بين اولياء الرحمن واولياء الشيطان : لابن تيمية .
ط : المكتب الاسلامي بيروت ردمشق بدون

٣٣٠ـ الفرق بين الفرق / للبغدادي عبدالقاهر بن طاهر ط / منشورات دار
الآفاق الجديدة بيروت ط: الثانية ١٩٧٧م

٣٣١ـ فقه السنة / للسيد سابق ط : دارالكتاب العربي بيروت لبنان
الطبعة الشرعية السادسة ١٤٠٤هـ ١٩٨٤م .

٣٣٢ـ الفوائد لابن قيم الجوزية تحقيق بشر محمد عيون نشر مكتبة دارالبيان
دمشق الطبعة الاولى : ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م

٣٣٣ـ فيض الالة المالك في حل الفاظ عمدة السالك : للسيد محمد بركات البقاعي المكي

٣٣٤ـ قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة : لشيخ الاسلام بن تيمية طبع ونشر
الرئاسة العامة لأدارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والارشاد
١٤٠٤هـ ١٩٨٤م

٣٣٥ـ قاموس العادات والتقاليد المصرية لمحمد فهمي عبداللطيف : ط : المركز
العربي للصحافة القاهرة.

٣٣٦ـ القاموس المحيط : لفيروز آبادي مجد الدين محمد بن يعقوب طبع المؤسسة
العربية للطباعة والنشر بيروت

٣٣٧ـ القائد الى تصحيح العقائد . المعلمي عبدالرحمن بن يحيي المعلمي اليماني
ط : المكتب الاسلامي .

٣٣٨ـ قرة عيون الموحدين /للشيخ : عبدالرحمن بن حسن طبع ونشر
الرئاسة العامة لادارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والإرشاد
الرياض ١٤٠٤ هـ ط الثالثة.

٣٣٩ـ القضاء والقدر بين الفلسفة والدين / لعبد الكريم المليباري
دارالفكر الثانية ١٩٨٨م

٣٤٠ـ قطف الثمرات في بيان عقيدة اهل الأثر للشيخ صديق حسن خان
تعليق الدكتور عاصم بن عبدالله القريوتي ط : الأولى ١٤٠٤ هـ
٣٤١ـ القول الفصل في حكم الاحتفال بمولد خير الرسل للشيخ اسماعيل
بن محمد الأنصاري طبع ونشر الرئاسة العامة لإدارات البحوث
العلمية والافتاء والدعوة والارشاد / الرياض ١٤٠٥ هـ
٣٤٢ـ القواعد النورانية الفقهية / لشيخ الاسلام احمد بن تيمية تحقيق
محمد حامد الفقي ط : مكتبة المعارف الرياض ، ط الأولى ١٤٠٢هـ
٣٤٣ـ الكامل في التأريخ : لابن الأثير
ط : دار الكتاب العربي بيروت لبنان ط : السادسة ١٤٠٦هـ ١٩٨٦م
٣٤٤ـ كاف المبتدي للإمام احمد بن حنبل
٣٤٥ـ الكبائر للذهبي الحافظ أبوعبدالله محمد بن أحمد بن عثمان
٣٤٦ـ كتاب الرد على المنطقيين : لشيخ الاسلام بن تيمية نشر ادارة
ترجمان السنة ٤٧٥ شادمان لاهور ط الرابعة ١٤٠٢ هـ ١٩٨٢م
٣٤٧ـ كتاب الرد على الأخنائي لشيخ الاسلام بن تيمية تحقيق عبدالرحمن
يحي المعلمي اليماني بدون
٣٤٨ـ كتاب الزهد لأبي عبدالله الامام احمد بن حنبل الشيباني : دراسة
وتحقيق محمد السعيد بيسون زغلول ط دار الكتاب العربي بيروت
لبنان ط : الأولى / ١٤٠٦هـ ١٩٨٦م
٣٤٩ـ كتاب الايمان للحافظ محمد بن اسحاق بن يحيى بن منده تحقيق الدكتور
علي بن ناصر فقيهي ط ، المجلس العلمي بالجامعة الاسلامية
ط الأولى ١٤٠١ هـ
٣٥٠ـ كتاب الباعث على انكار البدع والحوادث : لأبي شامة الامام شهاب الدين
ابي محمد عبدالرحمن بن اسماعيل بن ابراهيم المعروف بأبي شامة
ط : دار الراية ، بدون

٣٥١ـ كتاب المغازي :لمحمد بن عمربن واقد : تحقيق الدكتور مارسن جونس منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت لبنان

٣٥٢ـ كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك : لتقي الدين احمد بن علي المقريزي بدون ذكرمكان الطبع ولا تأريخه.

٣٥٣ـ كتاب التوحيد : للشيخ محمد بن عبدالوهاب : ومعه كتاب القول السديد ط مركز شئون الدعوة بالجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة.

٣٥٤ـ كتاب الجهاد : لابن ابي عاصم تحقيق مساعد بن سليمان الراشد الحميد / ط : دارالقلم للطباعة والنشروالتوزيع دمشق ط: الأولى ١٤٠٩هـ

٣٥٥ـ كتاب الجهاد : لعبدالله بن المبارك :ط دار النور بيروت بدون

٣٥٦ـ الكشاف الفريدعن معاول الهدم ونقائض التوحيد : لخالد محمد علي الحاج

٣٥٧ـكلمة الأخلاص وتحقيق معناها لابن رجب الحنبلي / ط الرابعة المكتب الاسلامي

٣٥٨ـ الكواكب السائرة : لنجم الدين العزبي : منشورات دارالأمان الجديدة بيروت. بدون

٣٥٩ـ لسان العرب لأبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري ط : دارصادر بيروت بدون ذكرتأريخ الطبع .

٣٦٠ـلسان الميزان لابن حجر العسقلاني .

٣٦١ـ مؤلفات الامام محمد بن عبدالوهاب نشر جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية الرياض.

٣٦٢ـالمبدع : لابن مفلح: ابي اسحاق ابراهيم الحنبلي /ط: المكتب الاسلامي

٣٦٣ـ مجموعة التوحيد : تحقيق محمدعيون : مراجعة الشيخ عبدالقادر الأرنؤوط: نشر مكتبة دارالبيان دمشق توزيع مكتبة المؤيد الطائف ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م .

٣٦٤ـمجمع الزوائد ومنبع الفوائد :للحافظ نورالدين علي بن ابي بكر الهيثمي : بتجرير الحافظين الجليلين العراقي وابن حجر ٠
ط : دار الكتاب العربي بيروت لبنان ط : الثالثة ١٤٠٢هـ ١٩٨٢م

٣٦٥ـمجموعة الرسائل والمسائل النجدية : جمع الشيخ سليمان سحمان ط الأولى مطبعة المنار مصر ١٣٤٥هـ ٠

٣٦٦ـ مجمع البيان في تفسير القرآن : لأبي الفضل الحسن الطبرسي
ط / مكتبة الحياة بيروت بدون

٣٦٧ـمجموعة الرسائل المنبرية ط : دار ضياء للتراث العربي بيروت لبنان بدون

٣٦٨ـ مجموع فتاوى شيخ الاسلام بن تيمية جمع وترتيب الشيخ عبدالرحمن بن محسن بن قاسم النجدي ٠ بدون

٣٦٩ـ محاسن التأويل : لمحمد جمال الدين القاسمي : ط : دار احياء الكتب العربية عيسى البابي الجلبي ٠ بدون

٣٧٠ـمحمد بن عبدالوهاب دعوته وسيرته محاضرة للشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز ط : الدار السعودية للنشر٠بدون

٣٧١ـ مختصر منهاج القاصدين لأحمد بن عبدالرحمن بن قدامة المقدسي تحقيق عبدالله الليث الأنصاري ط :دار المعرفة بيروت لبنان ط الأولى ١٤٠٩هـ

٣٧٢ـ مدارج السالكين لابن قيم الجوزية تحقيق محمد حامد الفقي ط : دار الكتاب العربي بيروت لبنان ٠ بدون

٣٧٣ـ مسند الامام احمد بن حنبل الشيباني ط : دار صادر بيروت

٣٧٤ـمختصر اسماعيل بن يحي المزني بهامش كتاب الأم للشافعي

٣٧٥ـ مسند الحميدي للحافظ ابي بكر عبد الله بن الزبير الحميد تحقيق الأستاذ حبيب الرحمن الأعظمي نشر المجلس العلمي كراتشي الباكستان ط الأولى ١٣٨٢هـ ١٩٦٣م

٣٧٦ـ مسند ابى داوود الطيالسى لأبى داود الطيالسى ترتيب عبد الرحمن البنا المطبعة المنيرية ١٣٧٢هـ .

٣٧٧ ـ مستدرك الحاكم على الصحيحين لأبى عبدالله الحاكم محمد بن عبدالله نشردارالكتب العلمية بيروت . بدون

٣٧٨ـ مشتهى الطارف الجانى فى رد زلقات التيجانى الجانى لمحمدخضر الجكنى الشنقيطى دار البشر عمان بدون

٣٧٩ـ مشكاة المصابيح لمحمد بن عبدالله الخطيب التبريزى . تحقيق محمد ناصر الدين الألبانى ط : المكتب الاسلامى بيروت ردمشق ط الأولى ١٣٨٩هـ .

٣٨٠ـ المصباح المنير لأحمد بن محمد بن علي الفيومى ط : الخامسة المطبعة الأميرية . بدون

٣٨١ـمصنف عبد الرزاق بن همام الصنعانى تحقيق حبيب الرحمن الأعظمى بيروت لبنان . بدون

٣٨٢ـمصنف ابن ابى شيبة / ط حيدر آباد بعناية عزيز بك .

٣٨٣ـ معجم الطبرانى الكبير للطبرانى سليمان ابن احمد تحقيق احمد عبدالمجيد سلفى/مطبعة الوطن العربى بغداد ط الأولى / ١٤٠٠هـ ١٩٨٠م .

٣٨٤ـمعجم المؤلفين لعمر رضا كحالة نشرمكتبة المثنى بيروت دارصادر بيروت

٣٨٥ـمعارج الألباب فى مناهج الحق والصواب : للشيخ حسن بن مهدى النعيمى تحقيق محمد حامد الفقى ط مكتبة المعارف الرياض ط: الثالثة ١٤٠٥هـ

٣٨٦ـ المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء افريقيا والأندلس لأحمد بن يحي ط : بيروت لبنان ١٤١٠هـ .

٣٨٧ـمعجم مقاييس اللغة / لأبى الحسن احمد بن فارس بن زكريا ط: الأولى القاهرة

٣٨٨ـ معارج القبول للشيخ / حافظ بن احمد حكمي : المطبعة السلفية ومكتبتها ٢١ شارع الفتح بالروضة ٠ بدون

٣٨٩ـ معاني القرآن واعرابه / للزجاج ط عالم الكتب بيروت الأولى ١٤٠٨هـ

٣٩٠ـ مغني المحتاج : لمحمد الشربيني الخطيب/ط: مصطفى البابي الحلبي ١٣٧٧هـ

٣٩١ـ المغني لابن قدامة ابي محمد عبدالله بن احمد بن محمد / ط : مؤسسة عبدالحفيظ البساط بيروت لبنان ٠ بدون

٣٩٢ـ المفردات في غريب القرآن لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني : تحقيق / محمد سعيد كيلاني/ط: دار المعرفة بيروت لبنان بدون ذكر تاريخ الطبع ٠

٣٩٣ـ مفيد المستفيد لشيخ الاسلام محمد بن عبد الوهاب / مطبوع في جامعة الامام ضمن مطبوعات مؤلفات الشيخ / محمد بن عبدالوهاب ٠

٣٩٤ـ منهاج السنة النبوية لشيخ الاسلام ابن تيمية تحقيق الدكتور محمد رشاد سالم / ط : جامعة الأمام محمد بن سعود الاسلامية ١٤٠٦هـ ١٩٨٦م ٠

٣٩٥ـ المنهاج في شعب الأيمان للحليمي :
تحقيق حلمي محمد فودة / ط : الأولى ١٣٩٩هـ ط : دار الفكر

٣٩٦ـ الموافقات في اصول الشريعة / لأبي اسحاق الشاطبي ابراهيم بن موسى اللخمي الغرناطي المالكي ط : دار المعرفة بيروت لبنان

٣٩٧ـ المورد في عمل المولد ٠ حكم الأحتفال بالمولد النبوي / للامام ابي حفص تاج الدين الفاكهاني / ط /مكتبة المعارف الرياض ط / الأولى ١٤٠٧هـ

٣٩٨ـ موطأ الامام مالك برواية تحقيق وتعليق محمد فؤاد عبدالباقي ٠ ط: عيسى البابي الحلبي وشركاؤه بدون

٣٩٩ـ وكذلك الموطأ مع شرح الزرقاني ٠

٤٠٠ـموارد الظمآن الى زوائد بن حبان لنور الدين علي بن ابى بكر الهيثمى
تحقيق محمد عبد الرزاق حمزة / ط : دار الكتب العلمية بيروت لبنان .
٤٠١ ـ نبذة فى الدعاء لليافعى .
٤٠٢ـ نزهة النفوس والابدان . لابن الصيرفى علي بن داود الجوهرى
تحقيق حسن حبش القاهرة . ١٩٧٠م
٤٠٣ـنزهة الأعين النواظر فى علم الوجوه والنظائر : لابن الجوزى ابى الفرج
عبدالرحمن / تحقيق محمد عبد الكريم كاظم ، ط / ١٤٠٤هـ بيروت لبنان
٤٠٤ـ نقض المنطق لشيخ الاسلام احمد بن تيمية تصحيح محمد حامد الفقى
مكتبة السنة المحمدية ٥ شارع سامى البارودى . بدون
٤٠٥ـ النهاية فى غريب الحديث والأثر للامام مجد الدين ابى السعادات
المبارك الجزرى المعروف بابن الأثير / ط: دار احياء التراث العربى
بيروت لبنان : ط الأولى ١٣٨٣هـ ١٩٦٣م .
٤٠٦ـ نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من احاديث سيد الأخيار :
للامام محمد بن علي الشوكانى : ط : مصطفى البابى الحلبى .
الطبعة الأخيرة مصر .
٤٠٧ـ الوافى فى شرح الأربعين النووية :

الموضوع :	الصفحة
المصدر الثالث : المسيحية المحرفة :	: ٧٠ـ٧٨
الفصل الثاني : أهم العوامل التي أدت الى الأنحرافات	
العقيدية عند الصوفية :	٧٩
المبحث الأول : طلب الهداية في غير الكتاب والسنة...	٨٠ـ١٠٥
إدعاء كثير من الصوفية تلقي الهداية عن طريق الوراثة وزعم	
التلقي من الله :	٨١ـ٩٣
تنفير الصوفية الناس عن العلم الشرعي :	٩٣
حث السلف على العلم والأخذ من فيه :	٩٦
إستهزاء الصوفية بعلماء الأمة الاسلامية	٩٨
ختام المبحث :	١٠٢ـ١٠٥
المبحث الثاني : إعتقادهم بأن هناك حقيقة تخالف الشريعة	١٠٦ـ ١٢٦
موقف المتصوفة من القرآن الكريم :	١٢٦
موقف العلماء من تقسيم الصوفية الدين الى شريعة وحقيقة..	١٣٠
الأنحرافات التي وقع فيها الصوفية بسبب هذه القاعدة : ..	١٣٢
المبحث الثالث : الغلو الزائد في الرسول صلى الله عليه وسلم	
والأولياء :	١٣٣
أولا : تعريف الغلو في اللغة وفي الأصطلاح :.....	١٣٣ـ١٣٤
ثانيا : موقف الاسلام من الغلو	١٣٤ـ١٣٧
المطلب الأول : غلوهم في الرسول صلى الله عليه وسلم	١٣٧ـ١٥٢
المطلب الثاني : غلوهم في الأولياء:.....	١٥٢ـ١٦٨

الموضوع : الصفحة

المبحث الرابع : تأثرهم بالفكر اليونانى الوثنى :..... ١٦٩
أولا : أقوال كبار أئمة التصوف التى تدل على تأثرهم بفلاسفة اليونان :- ١٦٩ — ١٧٥
ثانيا : الكتاب الذين كتبوا عن التصوف وأثبتوا تأثرهم بالفكر اليونانى : ١٧٥
تصريح كبار المستشرقين بتأثر المتصوفة بالفكر اليونانى : ١٨٠
الخلاصة : ١٨١
الباب الثانى : انحرافات الصوفية فى الألهيات:..... ١٨٢
الفصل الأول : انحراف الصوفية فى التوحيد مع ذكر
المفهوم الصحيح لتوحيد الله: ١٨٤
المبحث الأول : تعريف التوحيد فى اللغة مع توضيح المفهوم
الصحيح لتوحيد الله الذى ارسل الله به الرسل وأنزل به الكتب:..١٨٥ — ٢٠٥
أولا : تعريف التوحيد فى اللغة والاصطلاح: ١٨٥
ثانيا : المفهوم الصحيح لتوحيد الله عز وجل :..... ١٨٦
أولا: توحيد الربوبية : ١٨٦
النوع الثانى : توحيد الألوهية :..... ١٩٣
النوع الثالث : توحيد الأسماء والصفات:..... ١٩٧
المبحث الثانى: موقف الصوفية من التوحيد الذى أرسل الله
به رسله وأنزل به كتبه:..... ٢٠٦ — ٢١٩
أقسام التوحيد عند الصوفية :..... ٢١٩ — ٢٢٦
المبحث الثالث: مفهوم التوحيد عند غلاة الصوفية
هو القول بوحدة الوجود :..... ٢٢٧
المطلب الأول :ذكر النصوص التى تدل على أن الصوفية
يعتقدون بأن حقيقة التوحيد هو القول بوحدة الوجود:..... ٢٢٨ — ٢٥٥

الموضوع : الصفحة :

المطلب الثاني :المضاعفات التي ترتبت على القول بوحدة الوجود: ٢٥٦
اولا : من المضاعفات التي وقع فيها الصوفية تبريرا عبادة كل شيء موجود في هذا الكون : ٢٥٦ـ٢٦٥
ثانيا : من المضاعفات التي ترتبت على القول بوحدة الوجود القول بوحدة الأديان:..... ٢٦٥ـ٢٧١
الخلاصة:..... ٢٧١
المطلب الثالث :حكم من قال من بوحدة الوجود في ميزان الاسلام: ٢٧٣ـ٢٨٤
الفصل الثاني :إنحراف الصوفية في المحبة واعتقادهم بأن الله يحل في بعض مخلوقاته :..... ٢٨٥:
المبحث الأول :إنحراف الصوفية في محبة الله عزوجل :..... ٢٨٦:
تمهيد:في أن حب الله شعبة من شعب الأيمان :..... ٢٨٦ :
خطأ الصوفية في مفهوم محبة الله:..... ٢٨٨ :
أقسام المحبة عند الصوفية :..... ٢٩٢ :
إعتقاد الصوفية بأن من أحب أي شيء في هذا الكون فقد أحب الله :..... ٢٩٦ :
الخلاصة: ..... ٣٠١ :
المبحث الثاني :إعتقاد الصوفية بحلول الله في خلقه ..... ٣٠٦ :ـ٣٢٢
المطلب الأول : ذكر النصوص التي تثبت قول الصوفية بالحلول .... ٣٠٦ :
المطلب الثاني:موقف اهل الاسلام من القائلين بالحلول ٣٢٣ :ـ٣٢٨
الخلاصة:..... ٣٢٨ :

الموضوع:	الصفحة:
الباب الثالث : إنحرافاتهم في الرسول صلى الله عليه وسلم والخضر عليه السلام والأولياء رحمهم الله :	٣٣٠
الفصل الأول : إنحرافاتهم في الرسول صلى الله عليه وسلم:	٣٣١
المبحث الأول : إنحرافهم في مبدإ خلقه والمادة التي خلق منها .	٣٣٢ـ
المطلب الأول : إعتقادهم بأن الرسول أول مخلوق وأنه مخلوق من نور:	٣٣٤
أولا: ذكر النصوص التي تثبت معتقدهم هذا :	٣٣٤
ثانيا : الشبه التي تعلق بها الصوفية لاثبات هذا المعتقد:	٣٤٩
ثالثا : أول ما خلق الله :	٣٥٣ـ٣٥٧
المطلب الثاني : إعتقادهم بأن الكون خلق من نور محمد صلى الله عليه وسلم:	٣٥٨ـ٣٧٣
المطلب الثالث : إعتقادهم بأن الكون خلق من أجل محمد صلى الله عليه وسلم وأن جميع العلوم جزء من علمه:	٣٧٣
أولا: ذكر النصوص التي تثبت معتقد الصوفية هذا	٣٧٣
ثانيا : شبههم:	٣٨٣
المبحث الثاني : إعتقاد الصوفية بجواز التوجه الى الرسول صلى الله عليه وسلم بالدعاء والاستغاثة: وحكم التوجه الى الرسول صلى الله عليه وسلم بالدعاء والاستغاثة :	٣٨٩ـ٤٧٧
تمهيد:	٣٩٠
المطلب الأول : نماذج من مقالات الصوفية التي تثبت توجههم الى الرسول بالدعاء والاستغاثة:	٣٩١
أولا : تعريف الدعاء في اللغة والاصطلاح:	٣٩١

الموضوع :	الصفحة
ثانيا : نماذج من مقالات الصوفية التي تثبت توجههم الى الرسول صلى الله عليه وسلم بالدعاء والاستغاثة :	٣٩٧ـ٤١٧
الخلاصة :	٤١٧
المطلب الثاني : أهم الشبه التي يستدل بها الصوفية لتجويز التوجه إلى النبي صلى الله عليه وسلم والأولياء بالدعاء والاستغاثة من دون الله :	٤١٩ـ٤٤٧
اولا: سوء فهم الصوفية للأحاديث الواردة في التوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم وعدم تفريقهم بين التوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم وبين دعائه والاستغاثة به من دون الله :	٤١٩
ثانيا : النصوص التي تثبت على أن الصوفية يخلطون بين التوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم وبين دعائه والاستغاثة به وأنهم يرون الكل بمعنى واحد :	٤٢٠
ثالثا : شبه الصوفية على جواز التوسل بالذوات :	٤٢٥
الخلاصة :	
المطلب الثالث : حكم التوجه إلى الرسول صلى الله عليه وسلم بالدعاء والاستغاثة :	٤٤٩ـ٤٧٧
مكانة الدعاء من العقيدة الاسلامية وأقسامه :	٤٥٠ـ٤٥٤
الرد على الصوفية الذين يقولون بجواز التوجه الى الرسول بالدعاء والاستغاثة بأدلة من الكتاب والسنة	٤٥٥ـ٤٦٤
اقوال العلماء في حكم التوجه إلى الرسول صلى الله عليه وسلم بالدعاء والاستغاثة :	٤٦٥ـ٤٧٧

الموضوع :	الصفحة
الفصل الثاني : إنحرافاتهم فيما يخص الخضر عليه السلام :	٤٧٨
تمهيد :	٤٧٩
المبحث الأول : إعتقاد الصوفية وغيرهم بأن الخضر ولي وليس بنبي وأنه يجوز الخروج عن الشريعة للولي كما خرج الخضر عن شريعة موسى :	٤٨٠-٤٩٤
المبحث الثاني : إدعاء الصوفية بأن الخضر حي الى الآن وادعاؤهم الألتقاء به والتلقي عنه :	٤٩١
المطلب الأول : ذكر النصوص عنهم التي تدل على معتقدهم هذا	٤٩١
المطلب الثاني : بيان بطلان معتقد الصوفية بحياة الخضر والتلقي عنه :	٤٩٥
الفصل الثاني : إنحرافاتهم تجاه الأولياء :	٥٠٥-٧١٣
تمهيد :	٥٠٨
المطلب الأول : تعريف الولي مع ذكر المفهوم الصحيح لولاية الله بايجاز ...	٥١٠
المطلب الثاني : ذكر النصوص التي تثبت بأن الصوفية يزعمون التلقي عن الله والعروج إليه وان الولاية أفضل من النبوة	٥١٤-٥٥١
المطلب الثالث : بيان بطلان هذا الادعاء وأنه لا وحي يتلقى بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم	٥٥٢-٥٦٩
المبحث الثاني : إعتقادهم بأن هناك مجموعة من الأولياء لهم القاب خاصة بهم يتصرفون في هذا الكون ويتحكمون فيه :	٥٧٠
المطلب الأول : مراتب الاولياء ووظائفهم وذكر نماذج من النصوص عنهم تثبت بأنهم يعتقدون بأن للأولياء تصرفا في هذا الكون :	٥٧١
أولا : مراتب الأولياء عند الصوفية :	٥٧١

الموضوع :	الصفحة :
ثانيا : معانى هذه الألفاظ ووظيفة أصحاب كل مرتبة عند الصوفية :	٥٧٣
الخلاصة :	٥٨٣
ثالثا : ذكر نماذج من نصوص من بطون كتب الصوفية التى ألفها أئمة جهابذة عندهم تثبت لنا أنهم بالفعل يعتقدون أن الأولياء يتصرفون فى الكون :	٥٨٤ ـ ٦١٠
المطلب الثانى : موقف أهل الاسلام من هذه المراتب ومن يدعى التصرف لغير الله فى هذا الكون :	٦١١ ـ ٦٣١
الخلاصة :	٦٣١
المبحث الثالث : إعتقادهم بأن الأولياء يعلمون الغيب :	٦٣٣ ـ ٦٥١
المطلب الأول : ذكر النصوص عنهم التى تثبت بأنهم يعتقدون بأن الاولياء يعلمون الغيب :	٦٣٤ ـ ٦٥١
المطلب الثانى : بيان أن علم الغيب خاص بالله تعالى وحكم من يدعى الغيب :	٦٥٢ ـ ٦٧٠
أولا : النصوص القرآنية التى تدل على إختصاص علم الغيب بالله سبحانه وتعالى ونفيه عن غيره كائنا من كان :	٦٥٢
ثانيا : موقف علماء الاسلام ممن يدعى علم الغيب :	٦٦٨
الخلاصة :	٦٧٠
المبحث الرابع : توجه الصوفية إلى الأولياء بالدعاء والاستغاثة	٦٧٢ ـ ٧١٣
المطلب الأول : ذكر النصوص التى تثبت بأنهم يتوجهون الى شيوخهم بالدعاء والاستغاثة :	٦٧٣ ـ ٦٩٤

الموضوع :	الصفحة :
الخلاصة :.....	٦٩٤ :
المطلب الثانى :حكم دعاء غير الله فى الاسلام :.....	٦٩٥ـ٧١٣ :
أولا: الأدلة من القرآن الكريم التى تدل على ان دعاء غير الله شرك	٦٩٥
ثانيا :الأدلة من السنة المشرفة على أن دعاء غير الله شرك.....	٧٠٠ :
ثالثا : أقوال العلماء فى حكم دعاء غير الله :.....	٧٠١ :
الخلاصة :.....	٧١١
الباب الرابع : إنحرافاتهم فى مفهوم الزهد والجهاد والقضاء والقدر والتوكل والجنة والنار:	٧١٤ :
الفصل الأول : إنحرافهم فى مفهوم الزهد :.....	٧١٦ـ٧٨٦ :
المبحث الأول :تعريف الزهد ومراتبه والفهم الصحيح له :.....	٧١٦ـ٧٢٣ :
تعريف الزهد فى اللغة:.....	٧١٦ :
تعريف الزهد فى الاصطلاح:	٧١٧ :
أقسام الزهد ومراتبه والفهم الصحيح له :.....	٧١٧ـ٧٢٣ :
المبحث الثانى :إنحراف الصوفية فى مفهوم الزهد:.....	٧٢٤ :
المطلب الأول :تعريفات الصوفية للزهد:.....	٧٢٤ـ٧٢٦ :
المطلب الثانى :عبارات أئمة التصوف التى تدل على أنهم يفهمون الزهد بأنه عبارة عن ترك الدنيا بالكلية وتعذيب النفس بشتى أنواع التعذيب من الجوع والعرى والسهر والفقر :	٧٢٧ :
بيان بطلان هذا المفهوم الصوفى :.....	٧٣٧ :

الموضوع :	الصفحة :
وقوع الصوفية فى النجاسات وسؤال الناس بسبب سوء فهمهم للزهد :	٧٤٤
عبارات الصوفية وحكاياتهم التى تثبت بأنهم مدحوا السؤال والنجاسة وابقوه فى واقع حياتهم :	٧٤٧
حكايات عن الصوفية أنفسهم على أنهم بالفعل سألوا الناس :	٧٥١
الخلاصة :	٧٥٥
حكم السؤال فى الاسلام :	٧٥٦
نفور الصوفية عن الزواج وتنفيرهم الناس عنه بحجة الزهد فى الدنيا وسوء فهمهم للزهد :	٧٥٩ — ٧٨٥
أولا : ذكر عباراتهم التى تدل على أنهم نفروا من الزواج بشتى الأساليب :	٧٥٩
ثانيا : إثبات مشروعية النكاح بالكتاب والسنة وإجماع العلماء	٧٦٣
أولا : الأدلة من الكتاب على مشروعية النكاح :	٧٦٣
ثانيا : الأدلة من السنة على مشروعية النكاح :	٧٦٥
ثالثا : الإجماع :	
حكم النكاح فى الإسلام :	٧٦٧ — ٧٧٣
هل الأفضل النكاح أم التفرغ لعبادة الله :	٧٧٣ — ٧٧٧
الخلاصة :	٧٧٨ — ٧٨٥
الفصل الثانى : إنحرافهم فى مفهوم الجهاد مع ذكر نماذج من مواقفهم من اعداء الأمة الإسلامية عبر التأريخ /	٧٨٦
المبحث الأول مكانة الجهاد فى سبيل الله فى الإسلام :	٧٨٧
تمهيد :	٧٨٧

الموضوع :	الصفحة :
المطلب الأول : تعريف الجهاد وحكمه :	٧٩٠
أولا : تعريف الجهاد :	٧٩٠ـ٧٩٢
ثانيا : حكم الجهاد في سبيل الله :	٧٩٣ـ٧٩٩
الخلاصة :	٧٩٩
متى يكون الجهاد فرض عين :	٨٠٠ـ٨٠٤
ثالثا : فضل الجهاد في سبيل الله تعالى :	٨٠٥ـ٨٢١
أولا: الآيات التي تدل على فضل المجاهدين في سبيل الله :	٨٠٥ـ٨٠٩
ثانيا : الأحاديث التي تدل على فضل الجهاد والمجاهدين والمرابطين في سبيل الله :	٨٠٩ـ٨١٥
ثالثا : نماذج من أقوال العلماء التي ذكروا فيها فضل الجهاد في سبيل الله ورغبوا فيه :	٨١٥
الخلاصة :	٨١٥
المبحث الثاني : إنحرافهم في مفهوم الجهاد وموقفهم من أعداء الأمة الاسلامية :	٨٢٢ـ٨٣٤
الفصل الثالث : إنحرافهم في مفهوم القضاء والقدر والتوكل والجنة والنار :	٨٣٥ـ٩٢٧
المبحث الأول : إنحرافهم في عقيدة القضاء والقدر :	٨٣٦ـ٨٧٢
تمهيد :	٨٣٦
المطلب الأول : تعريف القضاء والقدر ومكانة الايمان بهما في العقيدة الاسلامية :	٨٣٧
أولا : تعريف القضاء والقدر :	٨٣٧ـ٨٤٢

الموضوع: ========== الصفحة ==========

ثانيا : مكانة الايمان بالقضاء والقدر من العقيدة الاسلامية :.....:٨٤٣

الخلاصة : .....:٨٥٣

المطلب الثاني: إنحرافهم في عقيدة القضاء والقدر:.....:٨٥٥ـ٨٦٢

الخلاصة : .....:٨٦٣

المطلب الثالث :بيان بطلان المعتقد الصوفي تجاه عقيدة القضاء والقدر /.....:٨٦٣ـ٨٧١

الخلاصة:.....:٨٧١ـ٨٧٣

المبحث الثاني : إنحرافهم في مفهوم التوكل :.....:٨٧٣ـ٩٠٥

تمهيد: .....:٨٧٣ :

المطلب الأول : تعريف التوكل وفضله ومكانته العظيمة في الاسلام وأنواعه:.....:٨٧٤ـ٨٨٤

أولا : تعريف التوكل لغة واصطلاحا : .....:٨٧٤ـ٨٧٧

ثانيا : فضل التوكل على الله ومكانته العظيمة في الاسلام : .....:٨٧٨ـ٨٨٤

المطلب الثاني: عقيدة الصوفية في التوكل وبيان بطلانها : .....:٨٨٥

أولا: ذكر عبارات أئمة التصوف التي توضح إنحرافهم في مفهوم التوكل : .....:٨٨٥ـ٨٩٣

ثانيا : بيان بطلان معتقد الصوفية نحو التوكل على الله :.....:٨٩٤ـ٩٠٤

الخلاصة :.....:٩٠٤ـ٩٠٥

المبحث الثالث : إنحراف عقيدة الصوفية تجاه الجنة والنار والخوف والرجاء :.....:٩٠٦ـ٩١٦

المطلب الأول : ذكر نماذج من مقالات أئمة الصوفية تبين معتقدهم تجاه الجنة والنار والخوف والرجاء :.....:٩٠٦ـ٩١٦

المطلب الثاني:بيان بطلان المعتقد الصوفي تجاه الجنة والنار والخوف والرجاء :٩١٧ـ٩٢٧

الموضوع : ========== الصفحة : ==========

الباب الخامس : أهم الآثار السيئة التي نشرها الصوفية في الأمة الاسلامية وأساليب مقاومة الزحف الصوفي: .....: ٩٢٨ـ١٠٩٦

الفصل الأول : أهم الآثار السيئة التي نشرها الصوفية في الأمة الاسلامية: ٩٢٩ـ١٠٧٧

تمهيد: .....: ٩٣١ـ٩٣٢

المبحث الأول : انتشار الوثنية والشرك المتمثل في بناء القباب على القبور وصرف العبادات لأصحابها المدفونين فيها من دعاء واستغاثة ونذر وغيرها : .....: ٩٣٣ـ٩٥٢

المبحث الثاني: تعطيل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في الحياة العامة: ٩٥٣ـ١٠٠٠

المطلب الأول ـ تعريف الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأهميتهما في الاسلام : .....: ٩٥٤ـ٩٦٣

أولا : تعريف الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .....: ٩٥٤ ـ ٩٥٥

ثانيا : ذكر النصوص التي تدل على أهمية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في الاسلام :.....: ٩٥٥ـ٩٦٣

اولا: من القرآن الكريم : .....: ٩٥٥ـ٩٥٧

ثانيا : الأحاديث التي تدل على أهمية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر :٩٥٧ـ٩٥٩

ثالثا : نبذة من أقوال العلماء تدل على أهمية القيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر : .....: ٩٦٠ـ٩٦٢

الخلاصة : .....: ٩٦٣

المطلب الثاني : تعطيل الصوفية للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في الحياة العامة : .....: ٩٦٤ـ١٠٠٠

الخلاصة : .....: ١٠٠١

الموضـــوع : الصفحـة :

المبحث الثالث : إنتشـــار المـــوالد البدعيـــــة في الأمـــــة الاســـــــلاميـــــة : .....:١٠٠٢ـــ١٠٣٠
المطلب الأول : نشأت الاحتفالات بالموالد: .....:١٠٠٢ـــ١٠٠٩
المطلب الثاني: المفاسد التي وقعت بسبب هذه الاحتفالات التي نشرها الصوفية في الأمة الاسلامية .....:١٠١٠ـ١١٠
الخـــلاصـــة : .....:
المطلب الثالث : حكم الاحتفال بالمولد النبوي والموالد الأخرى التي يقيمها الصوفية في العالم الاسلامي .....:
الخـــلاصـــة : .....:
المبحث الرابع : إنتشار الأذكار والأدعيـــة والصـــلوات المبتدعـــة في الأمـــة الاســـــلاميـــة وإعـــــراض الناس بسببـــهـا عن تـلاوة القرآن الكريم وذكر الله بما ورد في الكتاب والسنـــة : .....:١٠٣٢ـــ١٠٧٧
أولا : التمهيـــــد: .....:١٠٣٢ـ
المطلب الأول : ذكر نماذج من الأذكار والأدعية والصلوات الصوفية المبتدعة ١٠٣٥ـ١٠٦٨
المطلب الثاني: موقف الاســـــــــلام من الأوراد والأذكـار والأدعيـة التي ابتدعـها الصـــوفيـــة :.....:١٠٦٩ـــ١٠٧٧
الفصـــل الثاني : أساليب مقاومة الزحف الصـــوفي :.....:١٠٧٨ـــ١٠٩٦
التمهيـــــد: .....:١٠٧٩
المبحث الأول : نشر العقيدة الصحيحة المأخوذة من الكتاب والسنة...:١٠٨٠ـــ١٠٨٢
المبحث الثاني: القضاء على المظاهر التي تكون سببا في إنتشار الشـــرك كالقباب والمساجد المبنية على القبور والأشجار والأحجار التي تعبد من دون الله : .....:١٠٨٣ـــ١٠٩٣

الموضوع : الصفحة :

المبحث الثالث : منع كتب الصوفية لئلا يتداولها الناس ومنع دعاة التصوف ودراسة كتبهم من قبل شخصيات لها حصانة عقدية لكنها زيفها : ١٠٩٤

الخاتمة : أهم النتائج التي توصل إليها من خلال هذا البحث : ... ١٠٩٧ — ١١٠٦

الفهارس : ١١٠٧

فهرس الآيات القرآنية : ..... ١١٠٨ — ١١٢٩

فهرس الأحاديث النبوية : ..... ١١٣٠ — ١١٣٦

فهرس الأعلام المترجم لهم في الحاشية : ..... ١١٣٧ — ١١٣٩

فهرس المصادر والمراجع : ..... ١١٤٠ — ١١٧٤

فهرس الموضوعات : ..... ١١٧٥ — ١١٨٩